البحر المحيط

تصنيف

أثير الدين أبي حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان

الغرناطي الأندلسي

٦٥٤هـ/٧٤٥هـ

حقق هذا الجزء

محمد أنس الخن

الجزء الرابع عشر

دار الرسالة العالمية

بسم الله الرحمن الرحيم

جميع الحقوق محفوظة للناشر

الطبعة الأولى

٢٠١٥م / ١٤٣٦هـ

الرسالة العالمية

دار الرسالة العالمية

جميع الحقوق محفوظة

يمنع طبع هذا الكتاب أو أي جزء منه بجميع طرق الطبع و التصوير و النقل و الترجمة و التسجيل المرئي و المسموع و الحاسوبي وغيرها إلا بإذن خطي من:

شركة الرسالة العالمية م.م.

Al-Resalah Al-A'lamiah LTD.
Publishers

الإدارة العامة
Head Office

دمشق - الحجاز
شارع مسلم البارودي
بناء خولي و صلاحي

2625

(963)11-2212773

(963)11-2234305

الجمهورية العربية السورية
Syrian Arab Republic

info@resalahonline.com
http://www.resalahonline.com

فرع بيروت
BEIRUT/LEBANON
TELEFAX: 815112- 319039- 818615
P.O. BOX:117460

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الإسراء

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا
حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا ۚ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١﴾ وَآتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي
إِسْرَائِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا مِن دُونِي وَكِيلًا ﴿٢﴾ ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ۚ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا
شَكُورًا ﴿٣﴾ وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا
كَبِيرًا ﴿٤﴾ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ ۚ
وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ﴿٥﴾ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ
أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴿٦﴾ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ۚ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ
لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا ﴿٧﴾
عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ ۚ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا ۘ وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي
لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾ وَأَنَّ الَّذِينَ لَا
يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٠﴾ وَيَدْعُ الْإِنسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ ۖ وَكَانَ الْإِنسَانُ عَجُولًا
﴿١١﴾ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ ۖ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن
رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ ۚ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا ﴿١٢﴾ وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ
طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ
عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾ مَّنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ
أُخْرَىٰ ۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا
فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا ﴿١٦﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِن بَعْدِ نُوحٍ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ
عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴿١٧﴾ مَّن كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ

جَهَنَّمَ يَصْلَـٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْـَٔاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ
كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾ كُلًّا نُّمِدُّ هَـٰٓؤُلَآءِ وَهَـٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ
مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ وَلَلْـَٔاخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَـٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴿٢١﴾ لَّا
تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا ﴿٢٢﴾﴾.

المفردات جاسَ يجوسُ جَوْساً وجَوَساناً: تردَّد في الغارة. قاله الليث[(١)].

وقال أبو عبيدة: جاسوا: فَتَّشوا هل بقيَ ممَّنْ لم يُقتَلْ[(٢)]. وقال الفرَّاء: قَتلوا[(٣)]. قال حسان:

ومِنَّا الذي لاقى بسيفِ[(٤)] محمَّدٍ فجاسَ بهِ الأعداءَ عَرْضَ العساكرِ

وقال قُطْرُب: نزلوا. قال الشاعر:

فجُسْنا دِيارَهُمُ عَنْوةً وأُبْنا بِساداتِهِمْ[(٥)] مُوْثَقينا

وقيل: داسوا، ومنه:

إليكَ جُسْنا اللَّيلَ بالمَطِيّ[(٦)]

وقال أبو زيد: الجَوْسُ والحَوْسُ والعَوْسُ والهَوْسُ: الطَّوفُ[(٧)] بالليل؛ فالجَوْس والحَوْس: طلَبُ الشيء باستقصاء.

حظرتُ الشيء: منعتُه[(٨)].

---

(١) تفسير الرازي ٢٠/١٥٦ بنحوه.
(٢) نُسب في الدر المصون ٧/٣١٤ لأبي عبيد، ونسبه الأزهري في تهذيب اللغة ١١/٣١٩، والرازي في تفسيره ٢٠/١٥٦ للزجاج، وهو في معاني القرآن له ٣/٢٢٧.
(٣) هكذا في تفسير القرطبي ١٣/٢٢. وهو في معاني القرآن للفراء ٢/١١٦ بلفظ: قتلوكم بين أيديكم.
(٤) في النسخ سوى (ز١) و(د١) و(د٢): لسيف، والمثبت هو الموافق لما في النكت والعيون ٣/٢٣٠، وتفسير القرطبي ١٣/٢٣.
(٥) في النسخ سوى (ز١) و(د١) و(يه): وأبناء ساداتهم، والمثبت هو الموافق لما في النكت والعيون ٣/٢٣٠، وتفسير القرطبي ١٣/٢٣، والكلام منهما.
(٦) شطر بيت لم أقف على قائله، وهو في النكت والعيون ٣/٢٢٩.
(٧) المثبت من (ز١) و(د١) و(يه)، وفي باقي النسخ: الطواف، وكلاهما بمعنى.
(٨) ينظر معجم مقاييس اللغة ٢/٨٠.

سورة الإسراء[١]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

التفسير ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا ۚ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ① وَآتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا مِن دُونِي وَكِيلًا ② ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ۚ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ③﴾.

سبب نزول ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ﴾: ذكَرَ رسولُ الله ﷺ لقريشٍ الإسراء به وتكذيبَهم له، فأنزل اللهُ ذلكَ تصديقاً له. وهذه السورة مكية؛ قال صاحب «الغنيان»: بإجماع. وقيل: إلَّا آيتين ﴿وَإِن كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ﴾ ﴿وَإِن كَادُوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ﴾. وقيل: إلا أربع؛ هاتانِ، وقولُه: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ﴾، وقولُه: ﴿وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ﴾ وزاد مقاتل قولَه تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهِ﴾ الآية. وقال قَتادة: إلا ثماني آيات أُنزلت بالمدينة، وهي: من قوله: ﴿وَإِن كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ﴾ إلى آخرِهنَّ[٢].

ومناسبةُ أولِ هذه السورة لآخرِ ما قبلها أنَّه تعالى لمَّا أمرَهُ بالصَّبرِ ونهاه عن الحزنِ عليهم وأن يضيقَ صدرُه من مكرهم، وكان من مكرِهم نِسبتُه إلى الكذبِ والسِّحرِ والشِّعرِ وغيرِ ذلك ممَّا رَمَوه به، أعقبَ تعالى ذلكَ بذكرِ شرفِه وفضلِه واحتفائِه به[٣] وعُلُوِّ منزلتِه عنده.

وتقدَّمَ الكلام على «سبحان» في البقرة[٤]، وزعمَ الزمخشريُّ[٥] أنَّه عَلَمٌ للتَّسبيحِ، كعُثمانَ للرجل. وقال ابن عطية[٦]: ولم ينصرِفْ لأنَّ في آخره زائدتين، وهو معرفةٌ

---

(١) في (يه): سورة بني إسرائيل.
(٢) المحرر الوجيز ٣/ ٤٣٤، وزاد المسير ٥/ ٣.
(٣) عبارة: «واحتفائه به» ليست في (يه) و(دا).
(٤) عند تفسير الآية (٣٢) منها.
(٥) في الكشاف ٢/ ٤٣٦.
(٦) في المحرر الوجيز ٣/ ٤٣٥.

بالعَلَمِيَّة، وإضافتُه لا تزيدُه تعريفاً. انتهى. ويَعْنيانِ ـ والله أعلم ـ أنَّه إذا لم يُضَفْ، كقوله:

سُبحانَ مِنْ علقمةَ الفاخِرِ[١]

وأمَّا إذا أُضيفَ فلو فرَضْنا أنَّه عَلَمٌ لَنُوِيَ تنكيرُه، ثم يُضاف، وصار إذ ذاكَ تعريفُه بالإضافة لا بالعلَمِيَّة.

وأسرى بمعنى سَرَى، وليست الهمزةُ فيه للتَّعدية، وعُدِّيا بالباء، ولا يلزم من تَعدِيَته بالباء المشاركةُ في الفعل، بل المعنى: جعلَهُ يسري؛ لأنَّ السُّرى يدلُّ على الانتقال، كمشى وجرى، وهو مستحيلٌ على الله تعالى، فهو كقوله: ﴿لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ﴾ [البقرة: ٢٠] أي: لأذهَبَ سمعَهم، فأسرَى وسَرَى على هذا كسقى وأسقى إذا كانا بمعنًى واحد؛ ولذلك قال المفسِّرون: معناه: سرى بعبده.

وقال ابن عطية[٢]: ويظهَرُ أنَّ «أسرى» مُعدَّاةٌ بالهمزة إلى مفعولٍ محذوفٍ تقديره: أسرى الملائكةُ بعبدِه؛ لأنَّه يَقْلَقُ أن يُسنَدَ «أسْرَى» وهو بمعنى «سرَى» إلى الله تعالى، إذ هو فِعْلٌ يُعطي النَّقلةَ، كمشى وجرى وأحضر وانتقل، فلا يَحْسُنُ إسنادُ شيءٍ من هذا، ونحن نجدُ مندوحةً، فإذا صرَّحتِ الشريعةُ بشيءٍ من هذا النحو، كقوله في الحديث: «أتيتُه سعياً» و«أتيتُه هرولةً»[٣] حُمِلَ ذلك بالتأويل على الوجه المخلص من نفي الحوادث، و«أسرى» في هذه الآية تخرج فصيحةً كما ذكرنا، ولا يحتاج إلى تَجوُّزِ قلقٍ في مثل هذه اللفظة، فإنَّه ألزَمُ للنَّقلة من «أتيتُه» و﴿فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُم﴾ [النحل: ٢٦] انتهى.

وإنَّما احتاجَ ابنُ عطية إلى هذه الدعوى اعتقاداً أنَّه إذا كان «أسرى» بمعنى «سرى» لزِمَ من كون الباء للتَّعدية مشاركةُ الفاعل للمفعول، وهذا شيءٌ ذهب إليه

(١) عجزُ بيت صدرُه: أقولُ لمَّا جاءني فَخْرُهُ. وقائله الأعشى الكبير، وهو في ديوانه ص٩٤، والكتاب لسيبويه ١/ ٣٢٤، وتقدم عند تفسير الآية (٣٢) من سورة البقرة.

(٢) في المحرر الوجيز ٣/ ٤٣٤-٤٣٥.

(٣) أخرجه الحاكم ٤/ ٢٧٥ مطولاً من حديث أبي هريرة ﷺ مرفوعاً، وفيه: «من أتى الله يمشي أتاه هرولةً، ومن أتاه هرولةً أتاه سعياً». وأخرج البخاري (٧٤٠٥)، ومسلم (٢٦٧٥) منه قوله: «وإن أتاني يمشي أتيتُه هرولة». وينظر مسند أحمد (٧٤٢٢).

المبرِّد، فإذا قُلتَ: قُمتُ بزيدٍ، لزِمَ منه قيامُكَ وقيامُ زيدٍ عنده، وهذا ليس كذلك، التبست عنده باءُ التَّعدية بباءِ الحال، فباءُ الحال تلزَمُ فيه المشاركة؛ إذ المعنى: قمتُ ملتبساً بزيد. وباءُ التَّعدية مرادفةٌ للهمزة، فقُمتُ بزيد. والباء للتَّعدية كقولِكَ: أقمتُ زيداً، ولا يلزمُ من إقامتِكَهُ أن تقوم أنت.

قال ابن عطية: ويَحتمِلُ أن يكون «أسرى» بمعنى «سرى» على حذفِ مضافٍ، كنحو قوله تعالى: ﴿ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾ [البقرة: ١٧]. يعني أن يكون التقديرُ: لَسَرَتْ ملائكتُه بعبده، فحُذِفَ المضافُ وأُقيمَ المضافُ إليه مقامَه، وهذا مبنيٌّ على اعتقادِه(١) أنَّه تلزَمُ المشاركة، والباءُ للتَّعدية.

وأيضاً فمواردُ القرآن في «فأَسْرِ» بقطع الهمزة ووصلها يقتضي أنَّهما بمعنًى واحد، ألا ترى أنَّ قولَه: ﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ﴾ [هود: ٨١] و﴿أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِيٓ﴾ [الشعراء: ٥٢] قرئ بالقطع والوصل، ويَبعُدُ مع القطع تقديرُ مفعولٍ محذوف، إذ لم يُصرَّحْ به في موضعٍ فيُستدَلُّ بالمُصَرَّحِ على المحذوف.

والظاهرُ أنَّ هذا الإسراءَ كان بشخصِه؛ ولذلك كذَّبَتْ قريشٌ به وشنَّعَتْ عليه، وحينَ قصَّ ذلك على أمِّ هانئ قالت له: لا تُحدِّثِ الناسَ بها فيُكذِّبوك، ولو كان مناماً ما استُنكِرَ ذلك. وهذا(٢) قول جمهور أهل العلم، وهو الذي ينبغي أن يُعتَقد. وحديثُ الإسراء مَرْويٌّ في المسانيد عن الصحابة في كلِّ أقطار الإسلام، وذُكِرَ أنَّه رواه عشرون من الصحابة. قيل: وما رُويَ عن عائشة ومعاوية أنَّه كان مناماً فلعلَّه لا يصِحُّ عنهما، ولو صحَّ لم يكن في ذلك حُجَّة؛ لأنَّهما لم يُشاهِدا ذلك؛ لصِغَرِ عائشة، وكُفْرِ معاوية إذ ذاك، ولأنَّهما لم يُسنِدا ذلك إلى الرسول ﷺ ولا حدَّثا به عنه. وعن الحسن: كان في المنام رؤيا رآها(٣).

(١) في (د٢) والمطبوع: اعتقاد.
(٢) في (أ) و(د٢) والمطبوع: وهو.
(٣) الشفا للقاضي عياض ١/ ٣٥٩ و٣٦٠ و٣٦٢ و٣٦٣، والمحرر الوجيز ٣/ ٤٣٤-٤٣٥ مع تقديم وتأخير وإدخال كلامهما في بعض. وقول أم هانئ ﵂ أخرجه ابن سعد في طبقاته ١/ ٢١٥. وقول عائشة ومعاوية ﵄ في سيرة ابن هشام ١/ ٣٩٩-٤٠٠، وأخرجهما الطبري ١٤/ ٤٤٥.

وقوله: ﴿بِعَبْدِهِۦ﴾: هو محمدٌ ﷺ.

وقال أبو القاسم سليمان الأنصاري: لمَّا وصل محمد ﷺ إلى الدرجات العالية والمراتب الرفيعة في المعارج أوحى اللهُ إليه: يا محمد، بِمَ أُشَرِّفُك؟ قال: يا ربِّ بنسبتي إليك بالعبودية. فأنزل فيه ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ﴾ الآية. انتهى[1].

وعنه: قالوا: عبد الله ورسوله. وعنه: إنَّما أنا عبدٌ، وهذه إضافة تشريف واختصاص. وقال الشاعر:

لا تَدْعُني إلَّا بيا عَبْدَها ... لأنَّه أشْرَفُ أسمائي[2]

وقال العلماء: لو كان لرسول الله ﷺ اسمٌ أشرفَ منه لسمَّاه به في تلك الحالة[3].

وانتصب «ليلاً» على الظرفِ[4].

ومعلومٌ أنَّ السُّرَى لا يكون في اللغة إلَّا بالليل، ولكنَّه ذُكرَ على سبيل التوكيد[5]. وقيل: يعني في جوف الليل، فلم يكُنْ إدْلاجاً ولا ادِّلاجاً.

وقال الزمخشري[6]: أراد بقوله: «ليلاً» ـ بلفظ التنكيرـ تقليلَ مدَّةِ الإسراء، وأنَّه أسرى به في بعض الليل من مكة إلى الشام مسيرة أربعين ليلة، وذلك أنَّ التنكير فيه قد دَلَّ على معنى البعضية، ويشهد لذلك قراءةُ عبد الله وحذيفة: «من الليلِ»[7] أي: بعض الليل، كقوله: ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ﴾ [الإسراء: ٧٩] على الأمر بالقيامِ في بعض الليل. انتهى.

---

(١) تفسير الرازي ٢٠/١٤٦.
(٢) لم أقف على قائله، وهو في نفح الطيب ٢/ ٦٦٥، وتفسير القرطبي ١٣/ ٧ من دون نسبة.
(٣) أحكام القرآن لابن العربي ٢٠/ ١١٨٠.
(٤) تفسير الرازي ٢٠/١٤٦.
(٥) ينظر الصحاح (سرى).
(٦) في الكشاف ٢/ ٤٣٦.
(٧) ذكرها ابن عطية في المحرر الوجيز ٣/ ٤٣٥، وأخرجها الطبري في تفسيره ١٤/ ٤١٣، وهي قراءة شاذة.

والظاهر أنَّ قوله: «من المسجد الحرام» هو المسجدُ المحيطُ بالكعبة بعينِه، وهو قولُ أنس. وقيل: من الحِجْر. وقيل: من بين زمزم والمقام. وقيل: من شِعب أبي طالب. وقيل: من بيت أم هانئ. وقيل: من سقف بيته عليه السلام. وعلى هذه الأقوال الثلاثة يكون أطلق المسجد الحرام على مكة[(١)].

وقال قَتادة ومقاتل: قبل الهجرة بعام. وقالت عائشة: بعام ونصف في رجب. وقيل: في سبعَ عشرة من ربيع الأول، والرسولُ عليه السلام ابنُ إحدى وخمسين سنةً وتسعة أشهر وثمانية وعشرين يوماً[(٢)]. وعن ابن شهاب: بعد المبعث بسبعة أعوام. وعنه: بخمسة أعوام[(٣)]. وعن الحَرْبيِّ: ليلةَ سبع وعشرين من ربيع الآخر قبل الهجرة بسنة[(٤)]. والمُتحقَّقُ أنَّ ذلكَ كان بعدَ شقِّ الصحيفة وقبلَ بيعة العقبة. ووقَعَ لشَريك بن أبي نَمِر في الصحيح أنَّ ذلك كان قبلَ أن يُوحى إليه. ولا خلافَ بين المُحدِّثين أنَّ ذلكَ وهَمٌ من شَريك[(٥)].

وحكى الزمخشريُّ[(٦)] عن أنس والحسن أنَّه كان قبل المَبعث.

وقال أبو بكر محمد بن عليّ بن القاسم الذهبيُّ[(٧)] في «تاريخه»: أُسْري به من مكة إلى بيت المقدس، وعُرِجَ به إلى السماء قبل مبعثه بثمانية عشر شهراً.

---

(١) هذه الأقوال ذكرها ابن عطية في المحرر الوجيز ٣/ ٤٣٥، وذكر ابن الجوزي في زاد المسير ٥/ ٤ القول الأول، والقول الذي فيه أنه ﷺ أسري به من بيت أم هانئ، ثم قال: وهو قول أكثر المفسِّرين! لكن الطبري رجَّح في تفسيره ٤/ ٤٢٠ القول الأول وهو أنه ﷺ أسري به من المسجد الحرام، يعني الذي يتعارفه الناس بينهم إذا ذكروه. قلت: وما ذهب إليه الطبري هو الموافق لما جاء في الصحيحين؛ البخاري (٣٢٠٧)، ومسلم (١٦٤).

(٢) المحرر الوجيز ٣/ ٤٣٥-٤٣٦.

(٣) هذا القول من (ز١) و(به) و(د١).

(٤) التمهيد لابن عبد البر ٨/ ٤٩-٥١، وفيه الروايتان عن الزهري.

(٥) المحرر الوجيز ٣/ ٤٣٦. ورواية شَريك المُشار إليها هي عند البخاري (٧٥١٧)، ومسلم (١٦٢). وينظر فتح الباري ١٣/ ٤٧٨ حول هذه الرواية.

(٦) في الكشاف ٢/ ٤٣٧.

(٧) تحرفت في المطبوع وفي جميع النسخ الخطية إلى «الرعيني»، والمثبت من التمهيد ٨/ ٤٨، وتفسير القرطبي ١٣/ ١٣، وكلامه الآتي فيهما.

ويُروى أنَّه كان نائماً في بيت أمِّ هانئٍ بعد صلاة العشاء، فأُسْرِيَ به، ورجعَ من ليلتِه وقَصَّ القِصَّةَ على أمِّ هانئ، وقال: «مُثِّلَ لي النبيُّونَ فصلَّيتُ بهم» وقامَ ليخرُجَ إلى المسجد، فتشبَّثَتْ أمُّ هانئ بثوبِه، فقال: «مالَكِ؟» قالت: أخشى أن يُكذِّبَكَ قومُكَ إنْ أخبَرْتَهم. قال: «وإنْ كذَّبوني» فخرج فجلس إليه أبو جهل، فأخبره رسولُ الله ﷺ بحديث الإسراء، فقال أبو جهل: يا معشرَ بني كعب بنِ لؤي، هَلُمَّ! فحدَّثهم، فمِنْ بين مُصَفِّقٍ وواضع يدَه على رأسه تعجُّباً وإنكاراً، وارتدَّ ناسٌ ممَّن كان آمنَ به، وسعى رجالٌ إلى أبي بكر، فقال: إنْ كان قال ذلك لقد صدق. قالوا: أتُصدِّقُه على ذلك؟ قال: إنِّي لأُصَدِّقُه على أبعدَ من ذلك. فسُمِّي الصِّدِّيق رضي الله تعالى عنه. ومنهم من سافر إلى [ما] ثَمَّ، فاستَنْعتوه المسجدَ، فجُلِّي له بيتُ المقدسِ، فطَفِقَ ينظرُ إليه وينعَتُه لهم، فقالوا: أمَّا النَّعتُ فقد أصاب. فقالوا: أخبِرْنا عن عِيْرِنا. فأخبَرَهم بعددِ جِمالها وأحوالها، وقال: «تَقْدُم [يوم] كذا مع طلوع الشمس يَقْدُمُها جملٌ أورَقُ» فخرجوا يشتدُّون ذلك اليوم نحوَ الثنيَّة، فقال قائلٌ منهم: هذه واللهِ الشمسُ قد شرَقَتْ. وقال آخر: وهذه واللهِ العِيرُ قد أقبلَتْ يَقْدُمها جملٌ أورَقُ كما قال محمد. ثمَّ لم يؤمنوا، وقالوا: ما هذا إلَّا سحرٌ مُبين. وقد عُرِجَ به إلى السماء في تلك الليلة، وكان العروجُ به من بيت المقدس، وأخبر قريشاً أيضاً بما رأى في السماء من العجائب، وأنَّه لقِيَ الأنبياء، وبلغَ البيتَ المعمور وسدرةَ المنتهى[(١)]. وهذا على قول من قال: إنَّ هذه الليلة هي ليلة المعراج، وهو قولُ ابنِ مسعود وجماعةٍ، وذهبَ بعضُهم إلى أنَّ ليلةَ المِعراج هي غيرُ ليلةِ الإسراء.

والمسجدُ الأقصى مسجدُ بيت المقدس، وسُمِّي الأقصى؛ لأنَّه كان في ذلك الوقت أقصى بيوت الله الفاضلة من الكعبة. قال ابن عطية[(٢)]: ويَحتَمِل أن يُريد بالأقصى البعيدَ دون مفاضلةٍ بينَه وبينَ سواه، ويكون المقصدُ إظهارَ العجب في الإسراء إلى هذا البُعدِ في ليلة. انتهى.

---

(١) الكشاف ٢/٤٣٧، وما بين حاصرتين منه. قال الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف (٦٩٢): رواه الطبراني في معجمه بنقص يسير. قلت: هو عند الطبراني ٢٤/(١٠٥٩).

(٢) في المحرر الوجيز ٣/٤٣٦. وما قبله منه.

ولفظةُ «إلى» تقتضي أنَّه انتهى الإسراءُ به إلى حدِّ ذلك المسجد، ولا يدلُّ من حيثُ الوضع على دخوله[(١)].

و«الذي بارَكنا حولَه» صفةُ مدح[(٢)] لإزالة اشتراكٍ[(٣)] عارضٍ، وبركتُه بما خُصَّ به من مجامعِ الخير؛ الدينية كالنبوَّةِ والشرائعِ والرُّسلِ الذين كانوا في ذلك القطرِ ونواحيه ونواديه، والدنياوية من كثرة الأشجار والأنهار وطيبِ الأرض، وفي الحديث أنه تعالى باركَ فيما بين العَريش إلى الفرات وخصَّ فلسطينَ بالتقديس.

وقرأ الجمهور: «لنُرِيَه» بالنون، وهو التفاتٌ من ضمير الغائب إلى ضمير المتكلِّم، وقراءة الحسن: «ليُرِيَه» بالياء، فيكونُ الالتفاتُ في «آياتنا»، وهذه رؤيا عين[(٤)].

والآيات التي أُرِيها هي العجائبُ التي أَخبر بها الناس، وإسراؤه من مكة وعُروجُه إلى السماء، ووصفُه الأنبياء واحداً واحداً حسبما ثبت في الصحيح[(٥)].

وقال ابن عطية[(٦)]: ويَحتَمِل أن يُريد: لنُرِيَ محمداً للناس آيةً، أي: يكون النبيُّ ﷺ آيةً في أن يصنَع اللهُ ببشرٍ هذا الصنع، فتكون الرؤيةُ على هذا رؤية قلب.

قال الزمخشري[(٧)]: «إنَّه هو السميع» لأقوال محمد، «البصير» بأفعاله، العالِمُ بتهذُّبها وخُلوصها، فيُكرمه ويُقرِّبه على حسب ذلك.

وقال ابن عطية[(٨)]: وعيدٌ من الله للكفار على تكذيبهم محمداً ﷺ في أمر الإسراء، فهي إشارةٌ لطيفةٌ بليغةٌ إلى ذلك، أي: هو السميعُ لما تقولون، البصيرُ بأفعالكم. انتهى.

---

(١) تفسير الرازي ٢٠/ ١٤٦-١٤٧.

(٢) بعدها في (ز١) و(د١) زيادة: لا، الصواب حذفُها.

(٣) المثبت من (ز١) و(د١)، وتحرفت في المطبوع وفي باقي النسخ الخطية إلى: اشتراط.

(٤) المحرر الوجيز ٣/ ٤٣٦، والحديث أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق ١/ ١٤٤ من كلام كعب الأحبار. وتنظر قراءة الحسن في الشاذة ص٧٤.

(٥) تفسير القرطبي ١٣/ ١٦، والحديث في صحيح مسلم (١٦٢).

(٦) في المحرر الوجيز ٣/ ٤٣٦.

(٧) في الكشاف ٢/ ٤٣٧-٤٣٨.

(٨) في المحرر الوجيز ٣/ ٤٣٦.

ولـمَّا ذكرَ تشريفَ الرسولِ ﷺ بالإسراءِ وإراءتَه الآيات ذكرَ تشريفَ موسى بإيتائه التوراة[١].

و«آتَينا» معطوف على الجملة السابقة من تنزيهِ الله تعالى وبراءتهِ من السوء، ولا يلزَمُ من عطف الجُمَلِ المشاركةُ في الخبرِ أو غيرِه.

وقال ابن عطية[٢]: عطَفَ قولَهُ: «وآتينا» على ما في قوله: «أسرى بعبده» من تقدير الخبر، كأنَّه قال: أسْرَينا بعبدِنا، وأرَيْناه آياتِنا، وآتَينا.

وقال العسكري[٣]: «وآتَيْنا» معطوفٌ على «أسرى». انتهى. وفيه بُعدٌ.

والكتاب هنا: التوراة، والظاهر عود الضمير من «وجعلناه» على الكتاب، ويحتمل أن يعود على موسى[٤].

ويجوز أن تكون «أنْ» تفسيرية و«لا» نهيٌ، وأن تكون مصدرية تعليلاً، أي: لأن لا يتَّخِذوا، و«لا» نفيٌ، ولا يجوز أن تكون «أنْ» زائدة[٥]، ويكون «لا تتَّخِذوا» معمولاً لقولٍ محذوفٍ خلافاً لِمُجَوِّزِ ذلك، إذ ليس من مواضع زيادة «أنْ».

وقرأ ابن عباس، ومجاهد، وقتادة، وعيسى، وأبو رجاء، وأبو عمرو من السبعة: «يتَّخِذوا» بالياء على الغَيبة، وباقي السبعة بتاء الخطاب[٦].

والوَكيل: فَعيلٌ من التوكل، أي: متوكَّلاً عليه في الأمور، فهو نِدٌّ لله بهذا الوجه. وقال مجاهد: «وكيلاً»: شريكاً[٧]. وقال الزمخشري[٨]: ربّاً تَكِلون إليه أمورَكم.

---

(١) الوسيط ٣/ ٩٦، وزاد المسير ٥/ ٦.
(٢) في المحرر الوجيز ٣/ ٤٣٦.
(٣) في المطبوع والنسخ الخطية سوى (ز١) و(د١) و(يه): العكبري، ولم أجد هذا الكلام في كتبه، والمثبت موافق لما في الدر المصون ٧/ ٣٠٨، واللباب ١٢/ ٢٠٥، والكلام فيهما.
(٤) المحرر الوجيز ٣/ ٤٣٦.
(٥) الذي جوَّز أن تكون «أن» زائدة أبو البقاء في الإملاء ٣/ ٤٦٨. ينظر الدر المصون ٧/ ٣٠٩.
(٦) قراءة أبي عمرو في السبعة ص٣٧٨، والتيسير ص١٣٩.
(٧) من قوله: «في الأمور» إلى هنا من (ز١) و(يه)، والكلام بتمامه في المحرر الوجيز ٣/ ٤٣٦- ٤٣٧، وقول مجاهد أخرجه الطبري في تفسيره ١٤/ ٤٥٠.
(٨) في الكشاف ٢/ ٤٣٨.

وقال ابن جرير[(١)]: حفيظاً لكم سواي.

وقال أبو الفرج بن الجوزي[(٢)]: قيل للربِّ: وكيلٌ؛ لكفايتِه وقيامِه بشؤون عبادِه؛ لا على معنى ارتفاعِ منزلةِ المُوكِّل وانحطاطِ أمرِ الوكيل. انتهى.

وانتصَبَ «ذريةَ» على النداء، أي: يا ذرية، أو على البدل من «وكيلاً»، أو على المفعول الثاني لـ «تَتَّخِذوا»، و«وكيلاً» في معنى الجمع، أي: لا تتَّخِذوا وكلاءَ ذريةً، أو على إضمار أعني[(٣)].

وقرأت فرقةٌ: «ذريةُ» بالرفع، وخُرِّجَ على أن يكون بدلاً من الضمير في «يتَّخِذوا» على قراءة من قرأ بياء الغَيبة.

وقال ابن عطية[(٤)]: ولا يجوز في القراءة بالتاء؛ لأنَّكَ لا تُبدِلُ من ضميرِ مخاطَبٍ، لو قلتَ: ضربتُكَ زيداً ـ على البدل ـ لم يَجُزْ. انتهى.

وما ذكره من إطلاق أنَّك لا تُبدِلُ من ضميرِ مخاطَبٍ، يحتاج إلى تفصيل، وذلك أنَّه إنْ كان في بدلِ بعضٍ من كُلٍّ وبدلِ اشتمال جازَ بلا خلاف، وإنْ كان في بدلِ شيءٍ من شيءٍ وهُما لعَينٍ واحدةٍ، فإنْ كان يُفيد التوكيدَ جاز بلا خلاف، نحو: مررتُ بِكُم صغيرِكم وكبيرِكم، وإنْ لم يُفِدِ التوكيدَ، فمذهبُ جمهورِ البصريين المنعُ، ومذهبُ الأخفش والكوفيين الجوازُ، وهو الصحيح؛ لوجود ذلك في كلام العرب، وقد استدلَلْنا على صحة ذلك في «شرح كتاب التسهيل».

وذكر «مَنْ حملنا مع نوح» تنبيهاً على النِّعمة التي نجَّاهم بها من الغرق[(٥)].

وقرأ زيد بن ثابت، وأبان بن عثمان، وزيد بن عليّ، ومجاهد ـ في روايةٍ ـ بكسر ذال «ذِرِّية». وقرأ مجاهد أيضاً بفتحها، وعن زيد بن ثابت «ذَرِيَّة» بفتح الذالِ وتخفيفِ الراء وتشديد الياء، على وزن فَعِيلَة كمطيَّة[(٦)].

---

(١) في تفسيره ١٤/ ٤٥٠.
(٢) في زاد المسير ٥/ ٦ نقلاً عن ابن الأنباري.
(٣) ينظر مشكل إعراب القرآن ١/ ٤٢٧-٤٢٨، والدر المصون ٧/ ٣١٠.
(٤) في المحرر الوجيز ٣/ ٤٣٧، وما قبله منه.
(٥) معاني القرآن للزجاج ٣/ ٢٣٠، وتفسير القرطبي ١٣/ ١٧.
(٦) ينظر القراءات الشاذة ص٧٤، والمحتسب ١/ ١٥٦.

والظاهر أنَّ الضميرَ في «إنَّه» عائدٌ على نوح؛ قال سلمان الفارسي: كان يحمدُ اللهَ على طعامِه. وقال إبراهيم: شُكْرُه؛ إذا أكلَ قال: بسم الله، فإذا فرغ قال: الحمد لله. وقال قتادة: كان إذا لبِسَ ثوباً قال: بسم الله، وإذا نزَعَه قال: الحمد لله. وقيل: الضمير في «إنَّه» عائدٌ إلى موسى[(١)]. انتهى.

ونبَّه على الشُّكرِ لأنه يستلزِمُ التوحيدَ، إذِ النِّعمُ التي يجب الشكرُ عليها هي من عنده تعالى، فكأنَّه قيل: كونوا مُوحِّدين شاكرين لنعم الله، مُقتدين بنوحٍ الذي أنتم ذرِّيةُ مَنْ حُمِلَ معه[(٢)].

﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِي ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤﴾ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُو۟لِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا۟ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ ۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ﴿٥﴾ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴿٦﴾ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ۚ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْـَٔاخِرَةِ لِيَسُۥٓـُٔوا۟ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا۟ مَا عَلَوْا۟ تَتْبِيرًا ﴿٧﴾ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ ۚ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا ۘ وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ حَصِيرًا ﴿٨﴾﴾.

«قضى» يتعدَّى بنفسه إلى مفعول، كقوله: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ﴾ [القصص: ٢٩] ولمَّا ضمِّنَ هنا معنى الإيحاءِ أو الإنفاذِ تعدَّى بـ«إلى»، أي: وأوحينا أو أنفَذنا إلى بني إسرائيل في القضاء المحتوم المبتوت.

وعن ابن عباس: معناه: أعلمناهم. وعنه أيضاً: قضينا عليهم. وعنه أيضاً: كتبنا[(٣)].

---

(١) معاني القرآن للنحاس ٤/ ١٢١، والنكت والعيون ٣/ ٢٢٨، وزاد المسير ٥/ ٦-٧. وقول سلمان أخرجه الطبري في تفسيره ١٤/ ٤٥٢ و٤٥٣، والحاكم ٢/ ٣٦٠، والبيهقي في الشعب (٤٤٧١). وقول إبراهيم ـ وهو النخعي ـ أخرجه عبد الله بن أحمد في زوائده على الزهد ص٦١، وقول قتادة أخرجه الطبري ١٤/ ٤٥٤.

(٢) ينظر معناه في تفسير الرازي ٢٠/ ١٥٤.

(٣) القولان الأول والثاني أخرجهما الطبري في تفسيره ١٤/ ٤٥٥-٤٥٦، وهما في المحرر الوجيز ٣/ ٤٣٧، والقول الأول في تفسير الرازي ٢٠/ ١٥٥، والقول الثاني في النكت والعيون ٣/ ٢٢٨، وزاد المسير ٥/ ٧.

واللام في «لَتُفْسِدُنَّ» جواب قسم، فإمَّا أن يُقدَّرَ محذوفاً ويكون مُتعلَّقُ القضاءِ محذوفاً تقديره: وقضَينا إلى بني إسرائيل بفسادِهم في الأرض وعُلُوِّهم، ثمَّ أقسمَ على وقوع ذلك وأنه كائِنٌ لا مَحالةَ، فحذَفَ متعلَّقَ «قضينا» وأبقى منصبَّ القَسَم المحذوف. ويجوز أن يكون «قضينا» أُجْري مُجْرَى القسم، «ولتُفْسِدُنَّ» جوابُه، كقولهم: قضاءُ الله لأقومَنَّ.

وقرأ أبو العالية وابن جُبَير: «في الكُتُب» على الجمع[١]، والجمهور على الإفراد، فاحتمل أن يُريد به الجنسَ، والظاهرُ أن يُرادَ التوراة.

وقرأ ابن عباس، ونصر بن علي، وجابر بن زيد: «لَتُفْسَدُنَّ» بضمِّ التاء وفتح السين مبنيًّا للمفعول[٢]، أي: يُفسِدُكم غيرُكم، فقيل: من الإضلال. وقيل: من الغَلَبة.

وقرأ عيسَى: «لَتَفْسُدُنَّ» بفتح التاء وضمِّ السين[٣]، أي: فَسَدْتُم بأنفسكم بارتكاب المعاصي مرتين؛ أولاهما: قَتْلُ زكريا عليه السلام. قاله السُّدِّي عن أشياخه[٤]. وقاله ابن مسعود وابن عباس، وذلك أنَّه لمَّا مات صديقُهُ مَلِكُهم تنافسوا على المُلْك، وقتلَ بعضُهم بعضاً، [وهم] لا يسمعون من زكريا، فقال اللهُ له: قُمْ في قومِكَ أُوحِ على لسانِكَ، فلمَّا فرَغَ ممَّا أوحى اللهُ إليه عَدَوْا عليه ليقتلوه، فهرب، فانفلقَتْ له شجرةٌ فدخَلَ فيها، وأدركَه الشيطانُ، فأخذَ هُدْبَةً من ثوبِه فأراهم إيَّاها، فوضعوا المنشار في وسطها حتى قطعوه في وسطها[٥]. وقيل: سبب قَتْلِ زكريا أنَّهم اتَّهموه بمريم، قيل: قالوا حين حمَلَتْ مريمُ: ضَيَّعَ بنتَ سيِّدِنا حتى زَنَتْ، فقطعوه بالمنشار في الشجرة[٦].

وقيل: شَعْيا. قاله ابنُ إسحاق، وإنَّ زكريا ماتَ موتاً ولم يُقتَل، وأنَّ الذي

(١) القراءات الشاذة ص٧٤.
(٢) القراءات الشاذة ص٧٥، والمحتسب ٢/ ١٤.
(٣) المحتسب ٢/ ١٤
(٤) زاد المسير ٥/ ٧.
(٥) تفسير القرطبي ١٣/ ٢١، وما بين حاصرتين منه.
(٦) المحرر الوجيز ٢/ ٤٣٩.

دخل الشجرة وقُطع نصفين بالمنشار في وسطها هو شَعْيا[١]. وكان قتلُ زكريا وحَبْسُ أرميا حين أنذرهم سخط الله.

والآخرةُ: قتلُ يحيى بن زكريا وقَصْدُ قتلِ عيسى ابن مريم[٢].

أعلمَ اللهُ بني إسرائيل في التوراة أنَّه سيقعُ منهم عصيانٌ وكفرٌ لنِعَم الله تعالى في الرسل وفي الكتبِ وغيرِ ذلك، وأنَّه سيُرسل عليهم أمَّةً تغلبُهم وتقتُلُهم وتُذِلُّهم، ثمَّ يرحمُهم بعدَ ذلك، ويجعلُ لهم الكَرَّةَ، ويردُّهم إلى حالهم الأولى من الظهور، فتقَعُ منهم المعاصي وكفرُ النِّعمِ والظلمُ والقتلُ والكفرُ باللهِ من بعضهم، فيبعثُ اللهُ عليهم أمَّةً أخرى تُخرِبُ ديارهم، وتقتُلُهم وتُجليهم جلاءً مُبرِّحاً، ودلَّ الوجودُ بعد ذلك على هذا الأمر كلِّه. قيل: وكان بين آخر الأولى والثانية مئتا سنة وعشرُ سنين ملكاً مؤيَّداً ثابتاً. وقيل: سبعون سنة[٣].

وقال الكلبي: لتعصُنَّ في الأرض المقدسة، و«لتعلُنَّ» أي: تطغَون وتعظُمون[٤].

وقرأ زيد بن علي: «عِلِيًّا كبيراً» في الموضعين بكسر العين واللَّام والياءِ المشدَّدة، وقراءة الجمهورِ: «عُلُوًّا» والتَّصحيحُ في فُعولِ المصدرِ أكثرُ، كقوله: ﴿وَعَتَوْ عُتُوًّا كَبِيرًا﴾ [الفرقان: ٢١] بخلاف الجمع، فإنَّ الإعلالَ فيه هو المَقيسُ، وشذَّ التَّصحيحُ، نحو: بَهْو وبُهُوّ، خلافاً للفرَّاء إذ جعل ذلك قياساً.

﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا﴾ أي: موعدُ أولاهما؛ لأنَّ الوعدَ قد سبق ذلك، والموعود هو العقاب. وقال الزمخشري: معناه وعدُ عقابِ أولاهما[٥].

وقيل: الوعد بمعنى الوعيد. وقيل: بمعنى الموعد الذي يُراد به الوقت، والضمير في أولاهما عائدٌ على المرَّتين.

وقرأ الجمهور: «عباداً». وقرأ عليٌّ، والحسن، وزيد بن عليّ: «عبيداً»[٦].

---

(١) تفسير الطبري ١٤/ ٤٦٩، وتفسير القرطبي ١٣/ ٢١-٢٢.
(٢) الكشاف ٢/ ٤٣٨.
(٣) المحرر الوجيز ٣/ ٤٣٨.
(٤) ذكره السمعاني في تفسيره ١/ ٤٢٧ من دون نسبة.
(٥) الكشاف ٢/ ٤٣٨.
(٦) نسبة القراءة لعلي ﷺ من (ز١) و(د١)، وهي عنه في المحتسب ٢/ ١٤، وعن الحسن في القراءات الشاذة ص٧٥.

قال ابن عباس، وقتادة: غزاهم جالوتُ من أهل الجزيرة. وقال ابنُ جُبير وابنُ إسحاق: غزاهم سنحاريبُ وجنودُه ملكُ بابل. وقيل: بُخْتَنَصَّر. ورُوي أنَّه دخل قبلُ في جيشٍ من الفُرس وهو خاملٌ يسيرُ في مطبخ الملك، فاطَّلعَ من جَوْرِ بني إسرائيل على ما لم يعلَمْه الفُرسُ؛ لأنَّهُ كان يداخلهم، فلمَّا انصرفَ الجيشُ ذكرَ ذلك للملك الأعظم، فَلمَّا كان بعدَ مُدَّةٍ جعله الملكُ رئيسَ جيشٍ، وبعثَه وخرَّبَ بيتَ المقدس، وقتلهم وجلاهم، ثمَّ انصرفَ فوجد الملكَ قد مات فملَكَ موضِعَه، واستمرَّتْ حالُه حتى ملك الأرض بعد ذلك[١]. وقيل: هم العمالقة، وكانوا كفاراً[٢]. وقيل: كان المبعوثون قوماً مؤمنين بعثَهم اللهُ وأمرهم بغزوِ بني إسرائيل[٣]. والبعثُ هنا الإرسال والتسليط.

وقال الزمخشري[٤]: معناه: خَلَّينا بينهم وبين ما فعلوا ولم نَمنَعْهم، على أنَّ الله عزَّ وعلا أسند بَعْثَ الكفَرة إلى نفسه، فهو كقوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٩]، وكقول الداعي: وخالِفْ بين كَلِمَتِهم[٥]. وأسندَ الجَوْسَ - وهو التردُّدُ خلالَ الديار بالفسادِ - إليهم، فتخريبُ المسجدِ وإحراقُ التوراة من جملة الجَوْسِ المُسنَدِ إليهم. انتهى. وفي قوله: خلَّينا بينهم وبين ما فعلوا، دسيسةُ الاعتزال.

وقال ابن عطية[٦]: «بعَثْنا» يَحتَمِل أن يكون اللهُ أرسل إلى ملك تلك الأمة

---

(١) المحرر الوجيز ٣/ ٤٣٨.
(٢) زاد المسير ٥/ ٩، وتفسير القرطبي ١٣/ ٢٢.
(٣) تفسير الرازي ٢٠/ ١٥٧.
(٤) في الكشاف ٢/ ٤٣٨.
(٥) رُوي أنَّ الصحابة ﷺ كانوا يقولونه في قنوتهم فيما أخرجه ابن خزيمة (١١٠٠) من حديث عبد الرحمن بن عبد القاري ﷺ. ورُوي أنَّ عمر ﷺ كان يقوله فيما أخرجه عبد الرزاق في مصنفه (٤٩٦٨)، لكن في إسناده علي بن زيد بن جدعان، وهو ضعيف. وأخرجه عبد الرزاق - أيضاً - (٤٩٨٢) من قنوت الحسن، و(٤٩٨٩) من قنوت ابن جريج. والبيهقي في الدعوات الكبير (٣٨١) من قنوت أنس بن مالك ﷺ، لكن في إسناده أبان بن أبي عياش، وهو ضعيف.
(٦) في المحرر الوجيز ٣/ ٤٣٩.

رسولاً يأمره بغزوِ بني إسرائيل، فتكون البعثةُ بأمر، ويَحتَمِل أن يكون عبَّرَ بالبعث عمَّا أُلقي في نفس الملك الذي غزاهم. انتهى.

﴿أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ أي: قتالٍ وحربٍ شديدٍ؛ لقوَّتِهم ونجدتِهم وكثرةِ عددِهم وعُدَدِهم.

وقرأ الجمهور: «فجاسوا» بالجيم. وقرأ أبو السَّمَّال وطلحة: «فحاسوا» بالحاء المهملة. وقُرِئ: «فتَجَوَّسوا» على وزن تكَسَّروا بالجيم[١].

وقرأ الحسن: «خَلَل الديار» واحداً ويُجمع على خِلال، كجبل وجِبال، ويجوز أن يكون خِلال مفرداً، كالخَلَل: وهو وَسْطُ الديار وما بينها[٢].

والجمهور على أنَّه في هذه البعثة الأولى خُرِّب بيت المقدس، ووقع القتلُ فيهم والجلاءُ والأسرُ. وعن ابن عباس ومجاهد أنَّه حين غَزَوا جاسَ الغازون خلالَ الديار ولم يكُنْ قتلٌ ولا قتالٌ في بني إسرائيل، وانصرفت عنهم الجيوش، والضميرُ في «وكان» عائدٌ على «وعدُ أولاهما». قال الزمخشري[٣]: وكان وعدُ العقاب وعداً لا بُدَّ أن يُفعل. انتهى. وقيل: يعود على الجيوش.

﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ﴾ هذا إخبارٌ من الله لبني إسرائيل في التوراة، وجعل «ردَدْنا» موضعَ «نردُّ» إذْ وقتَ إخبارِهم لم يقع الأمرُ بَعْدُ، لكنَّه لمَّا كان وعدُ الله في غاية الثِّقة أنَّه يقعُ عبَّرَ عن مستقبله بالماضي[٤].

والكَرَّة: الدَّولةُ والغَلَبةُ على الذين بُعثوا عليهم حين تابوا ورجعوا عن الفساد ملَكوا بيت المقدس. قيل: الكَرَّة: قتلُ بُخْتَنَصَّر واستنقاذُ بني إسرائيل أسراهم وأموالَهم ورجوعُ الملك إليهم[٥].

---

(١) هاتان القراءتان في الشاذة ص٧٥، والمحتسب ٢/ ١٤. إلا أنه وقع فيهما في القراءة الثانية: «فحوَّسوا»؛ قال في الدر المصون ٧/ ٣١٤: على وزن «نكّسوا».
(٢) قراءة الحسن في الشاذة ص٧٥.
(٣) في الكشاف ٢/ ٤٣٩.
(٤) المحرر الوجيز ٣/ ٤٣٩.
(٥) الكشاف ٢/ ٤٣٩.

وذُكِرَ في سبب ذلك أنَّ مِلكاً غزا أهلَ بابل، وكان بُخْتَنَصَّر قد قتلَ من بني إسرائيل أربعين ألفاً ممَّن يقرأ التوراة، وبقي بقيَّتُهم عندهم ببابل في الذُّلِّ، فلمَّا غزاهم ذلك الملك وغلب على بابل تزوَّجَ امرأةً من بني إسرائيل، فطلبَتْ منه أن يرُدَّ بني إسرائيل إلى بيت المقدس، ففعل، وبعد مدَّةٍ قامت فيهم الأنبياء، فرجعوا إلى أحسن ما كانوا. وقيل: الكَرَّةُ: هي تقويةُ طالوتَ حتى حاربَ جالوتَ ونصَرَ داودَ حتى قتلَ جالوت[1].

وقال قَتادة: كانوا أكثرَ نَفَراً[2] في زمان داود عليه السلام.

وانتصب «نفيراً» على التميز[3]، فقيل: النَّفير والنَّافر واحدٌ، وأصله من ينفِرُ معَ الرجلِ من عشيرتِه وأهلِ بيته. قاله أبو مسلم[4]. وقال الزجَّاج: يجوز أن يكون جمعَ نَفْرٍ، كَكَلْبٍ وكُلَيبٍ، وعَبدٍ وعُبَيدٍ، وهم المجتمعون للمصير إلى الأعداء. وقيل: النَّفير مصدر، أي: أكثرَ خروجاً إلى الغزو، كما في قول الشاعر:

فأكرِمْ بقحطانَ من والدٍ وحِمْيَرَ أكرِمْ بقومٍ نفيرا

ويُروى:

وبالحِمْيريين أكرِمْ نفيرا[5]

والمفضَّلُ عليه محذوفٌ قدَّره الزمخشري[6]: وأكثرَ نفيراً ممَّا كنتم، وقدَّره غيرُه: وأكثرَ نفيراً من الأعداء.

﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ﴾ أي: أطعتم الله، كان ثوابُ الطاعة لأنفسِكم. ﴿وَإِنْ أَسَأْتُمْ﴾ بمعصيتهِ كان عقابُ الإساءةِ لأنفسكم، لا يتعدَّى الإحسانُ والإساءةُ إلى غيركم،

(١) تفسير الرازي ٢٠/ ١٥٥-١٥٦.
(٢) المثبت من (ز١)، وبمعناه أخرجه الطبري ١٤/ ٤٧٧ فقال: عدداً. ووقعت في (د١) و(يه): نفيراً، وتحرفت في المطبوع وباقي النسخ إلى: شراً!.
(٣) إملاء ما منَّ به الرحمن ٢/ ٨٨.
(٤) زاد المسير ٥/ ١٠.
(٥) كلام الزجاج في معانيه ٣/ ٢٢٨، والبيت لتُبَّع بن بكر الحِمْيَري، كما في المحرر الوجيز ٣/ ٤٣٩، والنكت والعيون ٣/ ٢٣٠.
(٦) في كشافه ٢/ ٤٣٩.

وجواب «وإن أسأتُم» قوله: «فلها» على حذف مبتدأ محذوف، و«لها» خبرُه، تقديره: فالإساءةُ لها. قال الكرماني: جاء «فلها» باللام ازدواجاً. انتهى. يعني أنَّه قابَلَ قولَه: «لأنفسكم» بقوله: «فلها». وقال الطبريّ: اللام بمعنى «إلى» أي: فإليها ترجع الإساءة. وقيل: اللام بمعنى «على» أي: فعليها، كما في قوله:

فخَرَّ صريعاً لليدينِ وللفمِ[(١)]

﴿فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ ٱلۡأٓخِرَةِ﴾ أي: المرة الآخرة في إفسادكم وعُلُوِّكم، وجواب «إذا» محذوفٌ يدلُّ عليه جواب «إذا» الأولى، تقديره: بعثناهم عليكم.

وإفسادُهم في ذلك بقتل يحيى بن زكريا عليهما السلام. وسبب قتله فيما روي عن ابن عباس وغيره أنَّ ملكاً أراد أن يتزوَّج مَنْ لا يجوزُ له نكاحُها، فنهاه يحيى بن زكريا، وكان لتلك المرأة حاجةٌ كلَّ يوم عند الملك تقضيها، فألقَتْ أمُّها إليها أن تسألَه عن ذبح يحيى بن زكريا بسبب ما كان منعَه من تَزَوُّجِ ابنتها، فسألَتْه ذلك، ودافَعَها، فألحَّتْ عليه، فدعا بطَسْتٍ فذبحه، فندرت قطرةٌ على الأرض، فلم تزَلْ تغلي حتى بعث الله عليهم بُخْتَنَصَّر وألقى في نفسه أن يقتل على ذلك الدم منهم حتى يسكن، فقتلَ عليه منهم سبعين ألفاً[(٢)].

وقال السُّهيلي[(٣)]: لا يصحُّ أن يكون المبعوث في المرة الآخرة بُخْتَنَصَّر، لأنَّ قتْلَ يحيى بعد رفْعِ عيسى، وبُخْتَنَصَّر كان قبل عيسى بزمن طويل، وقيل: المبعوث

(١) تفسير الطبري ١٤/ ٤٧٨، والشعر عجز لبيت، صدره: وهتكت بالرمح الطويل إهابه. ينظر أدب الكاتب لابن قتيبة ص٥١١، وعجز البيت اختُلف على صدره اختلافاً كبيراً، وكذلك اختُلف على قائله، فيقال: هو لجابر بن حُني كما في المفضليات ص٢١٢، ويقال: للمقشعر بن جديع النصري كما في الحماسة البصرية ١/ ٦٩، ويقال: لربيعة بن مُكدَّم كما في زهر الأكم ١/ ١٠٤، ويقال: لعصام بن مقشعر البصري، أو لشداد بن معاوية العبسي، أو لكعب بن مدلج الأسدي، أو للأشتر النخعي كما في معجم الشعراء ص١١٤، ويقال: لكعب بن حُدَير كما في شرح أدب الكاتب للجواليقي ص٣٥٩، ويقال: للمكعبر الأسدي، أو للمكعبر الضبي، أو لشُرَيح بن أوفى، أو للأشعث بن قيس كما في الاقتضاب ص٤٣٩، ويقال غير ذلك.

(٢) تفسير الطبري ١٤/ ٤٧٩-٤٨٢.

(٣) فيما نقل عنه القرطبي في تفسيره ١٣/ ٢٧-٢٨.

عليهم الإسكندر، وبين الإسكندر وعيسى نحوَ ثلاث مئة سنة، ولكنه إن أُريد بالمرة الأخرى حين قتلوا شعياء، فكان بُخْتَنَصَّر إذ ذاكَ حيًّا فهو الذي قتلهم وخرَّبَ بيت المقدس، وأتبعهم إلى مصر وأخرجهم منها.

ورُوي عن عبد الله بن الزُّبير أنَّ الذي غزاهم آخِراً ملكٌ اسمُه خُردُوس، وتولَّى قَتْلَهم على دم يحيى بن زكريا قائدٌ له، فسكن الدم[١]. وقيل: قتلَهُ ملكٌ من ملوك بني إسرائيل يُقال له: لاجِب[٢]. وقال الربيع بن أنس: كان يحيى قد أُعطي حُسناً وجمالاً، فراودَتْه امرأةُ الملكِ عن نفسِه، فأبى، فقالت لابنتها: سَلي أباكِ رأسَ يحيى، فأعطاها ما سألت[٣].

وقرأ الجمهور: ﴿لِيَسُـۡٔوا﴾ بلام «كي» وياء الغَيبة وضميرِ الجمعِ الغائبِ العائدِ على المبعوثين[٤]. وقرأ ابن عامر، وحمزة، وأبو بكر: «لِيَسُوءَ» بالياء وهمزة مفتوحة على الإفراد، والفاعلُ المُضمَرُ عائدٌ على اللهِ تعالى أو على الوعدِ أو على البعثِ[٥] الدالِّ عليه جملةُ الجزاءِ المحذوفة. وقرأ علي بن أبي طالب، وزيد بن علي، والكسائي: «لِنَسوء» بالنون التي للعظَمة، وفيها ضميرٌ يعودُ على الله. وقرأ أُبيٌّ: «لَنَسوءَنْ» بلام الأمر والنون التي للعظمة ونون التوكيد الخفيفة آخراً. وعن عليٍّ أيضاً: «لَنَسوءَنَّ» و«ليسوءَنَّ» بالنون والياء ونون التوكيد الشديدة، وهي لامُ القسم، ودخلَت لامُ الأمر في قراءة أُبيٍّ على المتكلِّم، كقوله: ﴿وَلْنَحْمِلْ خَطَـٰيَـٰكُمْ﴾ [العنكبوت: ١٢] وجوابُ «إذا» هو الجملة الأمرية على تقدير الفاء. وفي مصحف أبيٍّ: «لِيُسيء» بياء مضمومة بغير واو. وفي مصحف أنس: «لِيَسوءَ وجهُكُم» على الإفراد[٦].

---

(١) المحرر الوجيز ٣/ ٤٣٨.
(٢) تفسير القرطبي ١٣/ ٢٥.
(٣) زاد المسير ٥/ ٨-٩.
(٤) زاد في الدر المصون ٧/ ٣١٧: أو على النفير.
(٥) زاد بعدها في الدر المصون الزيادة السابقة.
(٦) ينظر المحرر الوجيز ٣/ ٤٤٠، وزاد المسير ٥/ ١١، والكشاف ٢/ ٤٣٩، والكلام من هذه المصادر بمعناه. وقراءة الجمهور والكسائي في التيسير ص١٣٩، وقراءة الباقين من العشرة في النشر ٢/ ٣٠٦. وأما بقية القراءات فهي شاذة، وينظر الشاذة ص٧٥، والمحتسب ٢/ ١٥.

والظاهر أنَّه أُريد بالوجوه الحقيقة؛ لأنَّ آثارَ الأعراض النفسانية في القلب تظهر على الوجه، ففي الفرح يظهر الإسفارُ والإشراق، وفي الحزن يظهر الكلوحُ والغَبَرةُ، ويَحتَمِل أنْ يُعبِّر عن الجملة بالوجه[١]، فإنَّهم ساؤوهم بالقتل والنهب والسبي، فحصلتِ الإساءةُ للذَّواتِ كلِّها، أو عن ساداتهم وكُبرائهم بالوجوه، ومنه قولهم في الخطاب: يا وجهَ العرب.

واللامُ في «وليدخلوا» لامُ «كي»، معطوفاً على ما قبلها من لام «كي»، ومن قرأ بلام الأمر أو بلام القسم جازَ أن يكون «وليدخلوا» وما بعدها لامَ أمرٍ، وجاز أن تكون لامَ «كي»، أي: وبعثناهم ليدخلوا.

والمسجدُ مسجدُ بيت المقدس، ومعنى «كما دخلوه أول مرة» أي: بالسيف والقهر والغَلَبة والإذلال[٢]. وهذا يُبعِدُ قولَ مَنْ ذهبَ إلى أنَّ أُولى المرتين لم يكن فيها قتلٌ ولا قتالٌ ولا نهب، وتقدَّم الكلام في «أول مرة» في سورة التوبة[٣].

و«لِيُتَبِّروا»: يُهلِكوا. وقال قطرب: يَهدِموا، قال الشاعر:

فما الناسُ إلَّا عاملانِ فعاملٌ يُتَبِّرُ ما يبني وآخرُ رافِعُ[٤]

والظاهرُ أنَّ «ما» مفعولةٌ بـ «يُتبِّروا» أي: يُهلِكوا ما غلَبوا عليه من الأقطار. ويَحْتَمِل أن تكون «ما» ظرفية، أي: مدة استيلائهم[٥].

﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ﴾ بعد المرة الثانية إنْ تُبتُم وانزجَرْتُم عن المعاصي، وهذه الترجئة ليست لرجوع دولة، وإنَّما هي بأن يرحمَ المُطيعَ منهم[٦]، وكان من الطاعة أن يتَّبعوا عيسى ومحمداً عليهما السلام، فلم يفعلوا.

---

(١) تفسير الرازي ٢٠/ ١٥٩.
(٢) تفسير الطبري ١٤/ ٥٠٤.
(٣) عند تفسير الآية (١٣) منها.
(٤) قائله لبيد، وهو في ديوانه ص٨٩. والكلام في النكت والعيون ٣/ ٢٣١، وتفسير القرطبي ٣/ ٣٢.
(٥) المحرر الوجيز ٣/ ٤٤٠ بمعناه.
(٦) المثبت من (ز١) و(يه)، وهو الموافق لما في المحرر الوجيز، وجاءت العبارة في باقي النسخ: وإنما هي من باب ترحُّم المطيع منهم.

﴿وَإِنْ عُدتُّمْ﴾ إلى المعصية مرةً ثالثةً ﴿عُدْنَا﴾ إلى العقوبة، وقد عادوا، فأعادَ اللهُ عليهم النِّقمة بتسليط الأكاسرةِ وضربِ الأتاوةِ عليهم. وعن الحسن: عادوا، فبعثَ اللهُ محمداً ﷺ، فهم يُعطون الجزيةَ عن يدٍ وهم صاغرون. وعن قتادة: ثُمَّ كان آخر ذلك أنْ بعثَ اللهُ عليهم هذا الحيَّ من العرب، فهم منه في عذابٍ إلى يوم القيامة. انتهى[١].

ومعنى «عُدْنا» أي: في الدنيا إلى العقوبة. وقال تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ﴾[٢] [الأعراف: ١٦٧].

ثمَّ ذكر ما أعدَّ لهم في الآخرة، وهو جَعْلُ جهنَّم لهم حصيراً، والحصيرُ: السجن والمَحْبِس[٣]. قال لبيد:

ومَقامةٍ غُلْبِ الرِّجالِ كأنَّهُمْ جِنٌّ لدى بابِ الحصيرِ قيامُ[٤]

وقال الحسن: يعني فراشاً[٥]. وعنه أيضاً: هو مأخوذٌ من الحَصْرِ[٦].

والذي يظهر أنَّها حاصرةٌ لهم محيطةٌ بهم من جميع جهاتهم، فحصيرٌ معناه: ذاتُ حَصْرٍ، إذ لو كان للمبالغة لزِمَتْه التاء لجريانه على مؤنث، كما تقول: رحيمة وعليمة، ولكنَّه على معنى النسب، كقوله: ﴿ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرٌۢ بِهِۦ﴾ [المزمل: ١٨] أي: ذات انفطار[٧].

---

(١) الكشاف ٢/ ٤٣٩ دون قوله: وهذه الترجئة. . . إلى قوله: فلم يفعلوا، فهو في المحرر الوجيز ٣/ ٤٤٠. وقول قتادة في زاد المسير ٥/ ١٢.

(٢) تفسير الرازي ٢٠/ ١٦٠.

(٣) كلمة: والمحبس، من (ز١) و(يه) و(أ) و(د١). وهذا قول ابن عباس وقتادة ومجاهد وغيرهم، وأخرجه عنهم الطبري ١٤/ ٥٠٧-٥٠٨، وينظر تفسير أبي الليث ٢/ ٢٦١، والنكت والعيون ٣/ ٢٣١، والمحرر الوجيز ٣/ ٤٤٠، وزاد المسير ٥/ ١٢ وغيرها من المصادر.

(٤) ديوان لبيد ص١٦١. والمَقامة: الجماعة يجتمعون في المجلس. وغُلْب الرجال: غِلاظها.

(٥) أخرجه عنه عبد الرزاق في تفسيره ١/ ٣٧٤، والطبري ١٤/ ٥٠٨. وذكره ابن الجوزي في زاد المسير ٥/ ١٢.

(٦) لم أقف عليه من قول الحسن، وإنما من قول قتادة كما في النكت والعيون ٣/ ٢٣١.

(٧) قال صاحب روح المعاني ١٤/ ٤٠٢: وقيل: التذكير على تأويل جهنم بمذكَّر. وقيل: لأن تأنيثها ليس بحقيقي، نقل ذلك أبو البقاء. قلت: وهو في الإملاء ٣/ ٤٧٢.

﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٠﴾ وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلْخَيْرِ ۖ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا ﴿١١﴾ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ ۖ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ وَكُلَّ شَىْءٍ فَصَّلْنَٰهُ تَفْصِيلًا ﴿١٢﴾ وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾ مَّنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾﴾.

لمَّا ذكرَ تعالى مَنِ اختَصَّه بالإسراء وهو محمدٌ رسولُ الله ﷺ ومَنْ آتاه التوراة وهو موسى عليه السلام، وأنَّها هُدًى لبني إسرائيل، وذكَرَ ما قضى عليهم فيها من التَّسليطِ عليهم بذنوبِهم، كان ذلكَ رادعاً من عقلٍ عن معاصي الله، فذكرَ ما شرَّفَ اللهُ به رسولَه من القرآن الناسخ لحكم التوراةِ وكلِّ كتابٍ إلهيٍّ، وأنَّه يهدي للطريقة أو الحالة التي هي أقوم(١).

وقال الضحاك والكلبي والفرَّاء: «التي هي أقوم»: هي شهادة التوحيد. وقال مقاتل: للأوامر والنواهي(٢).

و«أقوَمُ» هنا أفعل التفضيل على قول الزجَّاج(٣)، إذ قدَّر: أقوَمُ الحالات، وقدَّره غيرُه: أقوَمُ ممَّا عداها، أو من كلِّ حالٍ.

والذي يظهر من حيثُ المعنى أنَّ «أقوم» هُنا لا يُراد بها التفضيل؛ إذ لا مشاركة بين الطريقة التي يُرشد إليها القرآنُ وطريقةِ غيرِها، وفُضِّلَتْ هذه عليها، وإنَّما المعنى: التي هي قيِّمة، أي: مستقيمة، وغيرها من الطرق ليست مستقيمة(٤)، كما قال [تعالى]: ﴿وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ﴾، و: ﴿فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ﴾ [البينة: ٣ و٥] أي: مستقيمةُ الطريقة، قائمةٌ بما يُحتاج إليه من أمر الدين. وقال الزمخشري(٥): «للَّتي

---

(١) ينظر تفسير الرازي ٢٠/ ١٦١.
(٢) النكت والعيون ٣/ ٢٣٢، دون ذكر الضحاك، وقول الفراء في معانيه ٢/ ١١٧.
(٣) في معاني القرآن ٣/ ٢٢٩.
(٤) عبارة: «وغيرها من الطرق ليست مستقيمة» من (ز١) و(يه) و(د١).
(٥) في الكشاف ٢/ ٤٣٩.

هي أقومُ» للحالةِ التي هي أقومُ الحالاتِ وأشدُّها، أو للملَّة، أو للطريقةِ، وأيّما قدَّرتَ لم تجِدْ مع الإثبات ذوقَ البلاغة الذي تجِدُه مع الحذف؛ لما في إبهام الموصوفِ بحذفِه من فخامةٍ تُفْقَدُ مع إيضاحه. انتهى.

﴿وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ العمل في الصالحات[1] قيدٌ في الإيمان الكامل؛ إذِ العملُ هو كمالُ الإيمان، نبَّه على الحالةِ الكاملةِ ليتحلَّى بها المؤمن، والمؤمنُ المُفَرِّطُ في عملِه له بإيمانه حظٌّ في عمل الصالحات. والأجرُ الكبير: الجنَّة[2].

وقال الزمخشريُّ[3]: فإن قُلتَ: كيفَ ذكَرَ المؤمنينَ الأبرارَ والكفارَ ولم يذكُرِ الفَسَقة؟. قلت: كان الناسُ حينئذٍ إمَّا مؤمنٌ تقيٌّ، وإمَّا مشرك، وإنَّما حدَثَ أصحابُ المنزلةِ بين المنزلتين بعد ذلك. انتهى.

وهذا مكابرةٌ، بل قد وَقَع في زمانِ الرسول ﷺ من بعض المؤمنين هَنَاتٌ[4] وسقَطاتٌ بعضُها مذكورٌ في القرآن، وبعضُها مَذكورٌ في الحديث الصحيح الثابت.

﴿وَأَنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ﴾ عَطْفٌ على قوله: ﴿أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ بُشِّروا بفوزهم بالجنة وبكينونةِ العذابِ الأليم لأعدائهم الكفار، إذ في علمِ المؤمنين بذلك وتبشيرِهم به مسرَّةٌ لهم، فهما بشارتان، وفيه وعيد للكفار[5].

وقال الزمخشري[6]: ويجوز أن يُراد: ويُخبِرُ بأنَّ الذين لا يؤمنون. انتهى. فلا يكون إذ ذاك داخلاً تحت البشارة.

وفي قوله: ﴿وَأَنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ﴾ دليلٌ على أنَّ من آمنَ بالآخرة لا يُعَدُّ له عذابٌ أليمٌ، وأنَّه ليس عملُ الصالحاتِ شرطاً في نجاته من العذاب.

---

(١) عبارة: «العمل في الصالحات» من (ز١) و(د١).
(٢) المحرر الوجيز ٣/ ٤٤١.
(٣) في الكشاف ٢/ ٤٣٩-٤٤٠.
(٤) في (ح) وحدها: هفوات، وكذا في روح المعاني ١٤/ ٤٠٥.
(٥) المحرر الوجيز ٣/ ٤٤١ بمعناه.
(٦) في الكشاف ٢/ ٤٤٠.

وقرأ الجمهور: «ويُبَشِّرُ» مُشدَّداً، مضارع بَشَّر المُشدَّد. وقرأ عبد الله، وطلحة، وابنُ وَثَّاب، والأخوان: «ويَبْشُرُ» مضارع بشَرَ المُخفَّف، ومعنى «أعتَدْنا»: أعدَدْنا وهَيَّأنا[١]. وهذه الآيةُ جاءت عقِبَ ذِكْرِ أحوالِ اليهود، واندرجوا فيمَنْ لا يؤمن بالآخرة؛ لأنَّ أكثرهم لا يقول بالثواب والعقاب الجسماني، وبعضهم قال: ﴿لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً﴾ [البقرة: ٨] فلم يؤمنوا بالآخرة حقيقةَ الإيمان بها[٢].

﴿وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ﴾ قال ابن عباس ومجاهد وقتادة: نزلَتْ ذامَّةً لما يفعلُهُ الناس من الدعاء على أموالهم وأبنائهم في أوقات الغضب والضجر[٣].

ومناسبتها لِما قبلها أنَّ بعضَ مَنْ لا يؤمن بالآخرة كان يدعو على نفسه بتعجيل ما وُعِدَ به من الشرِّ في الآخرة، كقول النَّضْر: ﴿فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً﴾[٤] الآية [الأنفال: ٣٢].

وكتبَ «ويَدْعُ» بغير واو على حَسبِ السمع، والإنسان هنا ليس واحداً مُعيَّناً، والمعنى: أنَّ في طباع الإنسان أنَّه إذا ضجر وغضب دعا على نفسه وأهله وماله بالشرِّ أنْ يُصيبَه كما يدعو بالخير أن يصيبه[٥].

ثمَّ ذكر تعالى أنَّ ذلك من عدم تثبُّتِه وقِلَّةِ صبره، وكونِه خُلِقَ كثيرَ التسرُّع لِما يَرِدُ على قلبه، لا يتأنَّى ولا يستبصر[٦].

وعن سلمان الفارسي وابن عباس: أشارَ به إلى آدم لمَّا نفخَ الرُّوحَ في رأسه عطسَ وأبصر، فلمَّا مشى الرُّوحُ في بدَنِه قَبْلَ ساقِه أعجبَتْه نفسُه، فذهب يمشي مستعجلاً فلم يقدِرْ. والمعنى: ذو عَجَلةٍ موروثةٍ من أبيكم. انتهى.

وهذا القول تنبو عنه ألفاظ الآية.

---

(١) المحرر الوجيز ٣/ ٤٤١، وقراءة الأخوين حمزة والكسائي في السبعة ص٢٠٥، والتيسير ص٨٧.
(٢) تفسير الرازي ٢٠/ ١٦٢ باختصار.
(٣) المحرر الوجيز ٣/ ٤٤١.
(٤) ينظر زاد المسير ٥/ ١٣.
(٥) ينظر المحرر الوجيز ٣/ ٤٤١.
(٦) من قوله: «وكونه خُلِق».. إلى هنا من (ز١) و(يه) و(د١).

وقالت فرقة: هذه الآية ذَمٌّ لقريش الذين قالوا: ﴿ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ﴾ الآية [الأنفال: ٣٢]، وكان الأولى أن يقولوا: فاهدِنا إليه وارْحَمْنا.

وقالت فرقة: هي معاتبةٌ للناس على أنَّهم إذا نالَهم شرٌّ وضُرٌّ دَعَوا وألَحُّوا في الدعاء، واستعجلوا الفرجَ، مثلَ الدعاء الذي كان يُحِبُّ أن يدعوه في حالة الخير. انتهى[(١)].

والباء في «بالشر» و«بالخير» على هذا بمعنى «في»، والمدعوُّ به ليس الشرَّ ولا الخيرَ، ويُراد على هذا أن تكون حالتاه في الشرِّ والخيرِ متساويَتين في الدعاء والتضرُّعِ لله والرغبةِ والذِّكرِ. وينبو عن هذا المعنى قوله: «دُعاءَه» إذ هو مصدرٌ تشبيهي يقتضي وجودَه، وفي هذا القولِ شبَّهَ دعاءَه في حالة الشرِّ بدعاءٍ مفقودٍ كان ينبغي أنْ يُوجدَ في حالة الخير[(٢)].

وقيل: المعنى: ويَدْعُ الإنسانُ في طلب المُحرَّم كما يدعو في طلب المباح[(٣)].

﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ﴾ لمَّا ذكر تعالى القرآنَ وأنَّه هادٍ إلى الطريقة المستقيمة ذكر ما أنعمَ به ممَّا لم يكمُلِ الانتفاعُ إلَّا به وما دَلَّ على توحيده من عجائب العالم العُلويِّ، وأيضاً لمَّا ذكر عَجَلةَ الإنسان وانتقالَهُ من حالٍ إلى حال ذكر أنَّ كلَّ هذا العالم كذلك في الانتقال لا يثبُتُ على حال، فنورٌ عَقِبَ ظُلمةٍ وبالعكس، وازديادُ نورٍ وانتقاصٌ[(٤)].

والظاهر أنَّ الليلَ والنهارَ مفعولٌ أولُ لِـ «جعَل»، بمعنى: صَيَّر، و«آيتين» ثاني المفعولين، ويكونان في أنفسهما آيتين؛ لأنهما علامتان للنظر والعبرة[(٥)]،

(١) ذكر هذه الأقوال الثلاثة ابنُ عطية في المحرر الوجيز ٣/ ٤٤١. وقولا سلمان وابن عباس أخرجهما بنحوهما الطبري في تفسيره ١٤/ ٥١٤.
(٢) ذكره في الدر المصون ٧/ ٣٢١ واستبعده. وذكر العكبري في الإملاء ٢/ ٨٩ وجهين آخرين للباء، فقال: فالباء للحال، ويجوز أن تكون للسبب.
(٣) مجمع البيان ١٥/ ٢٠، وتفسير القرطبي ١٣/ ٣٥.
(٤) تفسير الرازي ٢٠/ ١٦٣-١٦٤ بمعناه.
(٥) العبارة الأخيرة في المحرر الوجيز ٣/ ٤٤٢ بمعناها.

وتكون الإضافةُ في آية الليل وآية النهار للتبيين؛ كإضافة العدد إلى المعدود، أي: فمحونا الآية التي هي الليل، وجعلنا الآية التي هي النَّهارُ مُبْصِرةً. وقيل: هو على حذف مضافٍ، فقدَّرَه بعضُهم: وجعلنا نَيِّري الليلِ والنهارِ آيتين[١]. وقدَّره بعضهم: وجعلنا ذوي الليل والنهار، أي: صاحبي الليل والنهار، وعلى كلا التقديرين يُراد به الشمس والقمر. ويظهر أنَّ «آيتين» هو المفعول الأول، والليل والنهار ظرفان في موضع المفعول الثاني، أي: وجعلنا في الليل والنهار آيتين.

وقال الكرماني: ليس «جَعَلَ» هنا بمعنى «صَيَّرَ»؛ لأنَّ ذلك يقتضي حالةً تقدَّمت نقلَ الشيء عنها إلى حالةٍ أخرى، ولا بمعنى سَمَّى وحَكَم.

والآيةُ فيها إقبالُ كلٍّ واحدٍ منهما وإدبارُه من حيث لا يعلَم، ونقصانُ أحدِهما بزيادةِ الآخر، و[كذلك] ضوءُ النهار وظلمةُ الليل[٢].

﴿فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ﴾ إذا قلنا: إنَّ الليلَ والنهارَ هما المجعولان آيتين، فَمَحْوُ آيةِ الليل عبارةٌ عن السَّواد الذي فيه، بل خُلِقَ أسودَ من أولِ حالِه، ولا تقتضي الفاء تعقيباً، وهذا كما يقول: بنَيتُ داري فبدأتُ بالأُسِّ[٣].

وإذا قلنا: إنَّ الآيتين هما الشمس والقمر، فقيل: مَحْوُ القمرِ كونُه لم يجعَلْ له نوراً.

وقيل: مَحْوُه: طلوعُه صغيراً، ثم ينمو، ثم ينقص، حتى يستسِرَّ[٤]. وقيل: مَحْوُه: نقصُه عمَّا كان خُلِقَ عليه من الإضاءة، وأنَّه جعلَ نورَ الشمسِ سبعين جزءاً، ونورَ القمر كذلك، فمحا من نور القمر حتى صارَ على جزءٍ واحد، وجعَلَ ما مُحيَ منه زائداً في نورِ الشمس. وهذا مرويٌّ عن عليٍّ وابنِ عباس[٥].

---

(١) الكشاف ٢/ ٤٤٠.
(٢) تفسير القرطبي ١٣/ ٣٧، وما بين حاصرتين منه.
(٣) المحرر الوجيز ٣/ ٤٤٢ بمعناه وباختصار.
(٤) في (ح) و(د١): يستتر، وفي المطبوع: يستر.
(٥) تفسير القرطبي ١٣/ ٣٧ بمعناه عن ابن عباس.

وقال ابن عيسى: جعلناها لا تُبصَرُ المرئيَّاتُ فيها كما لا يُبْصَرُ ما مُحِيَ من الكتاب. قال: وهذا من البلاغةِ الحسنةِ جدًّا[١].

وقال الزمخشري[٢]: ﴿فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ﴾ أي: جعلنا الليلَ مَمْحوَّ الضوءِ مطموسَه مُظلِماً لا يُسْتَبانُ منه شيءٌ كما لا يُستبانُ ما في اللوح الممحوِّ، ﴿وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾ أي: تُبصَرُ فيه الأشياءُ وتُستبانُ، أو: فمحَوْنا آيةَ الليل التي هي القمر حيث لم يخلُقْ له شُعاعاً كشعاعِ الشمس فتُرى به الأشياءُ رؤيةً بيِّنةً، وجعلنا الشمس ذاتَ شعاعٍ يُبْصَرُ في ضوئها كلُّ شيء. انتهى.

ونسَبَ الإبصار إلى آية النهار على سبيل المجاز، كما تقول: ليلٌ قائم ونائم، أي: يُقام فيه ويُنام فيه، فالمعنى: يُبصَرُ فيها[٣]. وقيل: معنى مُبْصِرة: مضيئة[٤]. وقيل: هو من باب أفعل، المرادُ به غير من أسند أفعل إليه، كقولهم: أجْبَنَ الرجلُ، إذا كان أهلُه جبناءَ، وأضعَفَ، إذا كان دوابُّه ضِعافاً، فأبصَرتِ الآيةُ، إذا كان أصحابُها بُصراءَ[٥].

وقرأ قَتادة وعلي بن الحسين: «مَبْصَرة» بفتح الميم والصاد[٦]، وهو مصدرٌ أُقيم مقام الاسم، وكثُرَ مثلُ ذلك في صفات الأمكنة، كقولهم: أرضٌ مَسْبَعة، ومكانٌ مَضَبَّة.

وعُلِّل المَحْوُ والإبصارُ بابتغاءِ الفضلِ وعلمِ عددِ السنينَ والحسابِ، ووَلِيَ التعليلَ بالابتغاء ما وَلِيَه من آية النهار، وتأخَّر التعليلُ بالعلم عن آية الليل، وجاء في قوله: ﴿وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُواْ فِيهِ وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِۦ﴾ [القصص: ٧٣] البداءةُ بتعليلِ المتقدِّم ثمَّ تعليلِ المتأخِّر بالعلَّة المتأخرة، وهما طريقان تقدَّم الكلام عليهما.

---

(١) النكت والعيون ٣/ ٢٣٢ بمعناه، وتحرف فيه ابن عيسى إلى ابن عباس، وابن عيسى: هو علي بن عيسى الرُّمَّاني، وقد تقدَّم مراراً.
(٢) في الكشاف ٢/ ٤٤٠.
(٣) المحرر الوجيز ٣/ ٤٤٢.
(٤) الطبري ١٤/ ٥١٨.
(٥) هو قول الكسائي فيما ذكر القرطبي ١٣/ ٣٨، وقول أبي عبيدة فيما ذكر الرازي ٢٠/ ١٦٥-١٦٦.
(٦) القراءات الشاذة ص٧٥ عن قتادة.

ومعنى «لتبتغوا»: لتتوصَّلوا إلى استبانةِ أعمالِكم وتصرُّفِكم في معايشِكم[١].

والحساب للشهور والأيام والساعات، ومعرفةُ ذلك في الشرع إنَّما هو من جهة آية الليل لا من جهة آية النهار.

﴿وَكُلَّ شَيْءٍ﴾ مما تفتقرون إليه في دينكم ودنياكم ﴿فَصَّلْنَـٰهُ﴾ بيَّنَّاه تبييناً غيرَ ملتبس[٢].

والظاهرُ أنَّ نَصْبَ «وكلَّ شيء» على الاشتغال، وكان ذلك أرجحَ من الرَّفعِ، لسَبْقِ الجملة الفعلية في قوله: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ﴾، وأبعَدَ مَنْ ذهَبَ إلى أنَّ «وكلَّ شيء» معطوف على قوله: ﴿وَٱلْحِسَابَ﴾.

والطائر؛ قال ابن عباس: ما قُدِّرَ له وعليه. وخاطب اللهُ العربَ في هذه الآية بما تعرِفُ، إذ كان من عادتِها التيمُّنُ والتشاؤمُ بالطَّيرِ في كونها سانحةً وبارحةً، وكثُرَ ذلك حتى فعَلَتْه بالظِّباء وحيوان الفلاة، وسُمِّي ذلك كلُّه تطيُّراً، وكانت تعتقد أنَّ تِلكَ الطِّيرةَ قاضيةٌ بما يَلقى الإنسانُ من خيرٍ وشرٍّ، فأخبرهم الله تعالى في أوجزِ لفظٍ وأبلَغِ إشارةٍ أنَّ جميعَ ما يَلقى الإنسانُ من خيرٍ وَشرٌّ فقد سبق به القضاء، وألزِمَ حظَّه وعملَه ومكسبَه في عنقه، فعبَّرَ عن الحظِّ والعمل إذ هما متلازمان بالطائر. قاله مجاهد وقتادة بحسبِ مُعتقدِ العرب في التطيُّر وقولِهم في الأمور: على الطائر الميمون، وبأسعد طائر، ومنه ما طار في المُحاصَّة والسَّهم، ومنه: فطَار لنا من القادمين عثمانُ بن مظعون، أي: كان ذلك حَظَّنا[٣].

وعن ابن عباس: طائِرُه: عملُه[٤].

وعن السُّدِّي: كتابُه الذي يطير إليه.

(١) الكشاف ٢/ ٤٤٠.
(٢) المصدر السابق.
(٣) المحرر الوجيز ٣/ ٤٤٢، وقول ابن عباس أخرجه الطبري ١٤/ ٥١٩. والسانحة؛ جمع سوانِح: وهو ما ولَّاك ميامنه. والبارحة؛ جمع بوارِح: وهو ما ولَّاك مياسره، والسوانح يتبرَّك بها، والبوارح يتشاءم بها. تاج العروس (سنح) و(برح).
(٤) أخرجه الطبري ١٤/ ٥١٩.

وعن أبي عبيدة: الطائر عند العرب: الحظُّ، وهو الذي تُسمِّيه: البَخْت[١].
وعن الحسن: يا ابن آدم، بُسِطَتْ لكَ صحيفةٌ إذا بُعِثْتَ قُلِّدْتَها في عنقك[٢].

وخَصَّ العنُقَ لأنَّه محلُّ الزينة والشَّين، فإنْ كان خيراً زانَه كما يزينُ الطوقُ والحلي، وإنْ كان شرًّا شانَه كالغُلِّ في الرقبة[٣].

وقرأ مجاهد والحسن وأبو رجاء: «طيرَه»[٤].

وقُرئ: «في عُنْقِه» بسكون النون[٥].

وقرأ الجمهور ومنهم أبو جعفر: «ونُخْرِجُ» بنون مضارع أخرج «كتاباً» بالنصب. وعن أبي جعفر أيضاً: «ويُخرَجُ» بالياء مبنياً للمفعول «كتاباً» أي: ويُخرَجُ الطائرُ كتاباً[٦]. وعنه أيضاً: «كتابٌ» بالرفع على أنه مفعولُ ما لم يُسمَّ فاعِلُه[٧].

وقرأ الحسن، وابن مُحَيصن، ومجاهد: «ويَخْرُج» بفتح الياء وضمِّ الراء ـ أي: طائرُه كتاباً ـ إلَّا الحسن، فقرأ: «كتابٌ» على أنَّه فاعلُ «يَخْرُج»[٨].

وقرأت فرقةٌ: «ويُخْرِج» بضمِّ الياء وكسر الراء، أي: ويُخرِجُ اللهُ[٩].

---

(١) تفسير الرازي ٢٠/ ١٦٧.
(٢) الكشاف ٢/ ٤٤١. قلت: وأخرجه عبد الرزاق في تفسيره ٢/ ٢٣٧، والطبري ٢١/ ٤٢٥-٤٢٦ عند تفسير الآية (١٨) من سورة (ق)، عند قوله: ﴿ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ﴾.
(٣) تفسير البغوي ٣/ ١٠٨، وتفسير الرازي ٢٠/ ١٦٨، ومجمع البيان ١٥/ ٢٥.
(٤) القراءات الشاذة ص٧٥، والمحرر الوجيز ٣/ ٤٤٢، وزاد المسير ٥/ ١٦.
(٥) القراءات الشاذة ص٧٥، والكشاف ٢/ ٤٤١.
(٦) المحرر الوجيز ٣/ ٤٤٣، وزاد المسير ٥/ ١٦، ومجمع البيان ١٥/ ٢٢، وهي في النشر ٢/ ٣٠٦، وهي من القراءات العشر.
(٧) قراءة «كتابٌ» بالرفع عن أبي جعفر في الشاذة ص٧٥، فالقراءات العشر على أنها «كتاباً» بالنصب. ينظر النشر ٢/ ٣٠٦.
(٨) المحرر الوجيز ٣/ ٤٤٣. وقراءة «يَخْرُج» في معاني القرآن للفراء ٢/ ١١٨، ومعاني القرآن للنحاس ٤/ ١٣١، وتفسير الطبري ١٤/ ٥٢٢، وزاد المسير ٥/ ١٦، والنشر ٢/ ٣٠٦، وهي قراءة يعقوب من العشرة.
(٩) المحرر الوجيز ٣/ ٤٤٣، ونسبها في زاد المسير ١٥/ ١٦ لقتادة وأبي المتوكل، ونسبها في تفسير القرطبي إلى مجاهد.

وقرأ الجمهور «يَلْقاه» بفتح الياء وسكون اللام. وقرأ ابنُ عَامر، وأبو جعفر، والجَحْدَري، والحسن بخلافٍ عنه: «يُلَقَّاه» بضَمِّ الياء وفتح اللام وتشديد القاف[١].

﴿مَنشُورًا﴾ غيرَ مطوِيٍّ لتُمكِنَهُ قراءتُه، و«يلقاه» و«منشوراً» صفتان لكتاب[٢]، ويجوز أن يكون «منشوراً» حالاً من مفعول «يلقاه».

﴿اقْرَأْ كِتَابَكَ﴾ معمولٌ لقولٍ محذوفٍ، أي: يقال له: اقرأ كتابك.

وقال قَتادة: يقرأ ذلك اليوم مَنْ لم يكن في الدنيا قارئاً.

وقال الزمخشريُّ[٣] وغيره: و«بنفسك» فاعل «كفى». انتهى. وهذا مذهب الجمهور، والباء زائدةٌ على سبيل الجواز، لا اللزوم، ويدلُّ عليه أنَّه إذا حُذِفَت ارتفعَ ذلك الاسمُ بـ «كفى»؛ قال الشاعر:

كفى الشَّيبُ والإسلامُ للمرءِ ناهيا[٤]

وقال آخر:

ويُخبرني عن غائبِ المرءِ هديُهُ   كفى الهَدْيُ عمَّا غيَّبَ المرءُ مُخْبِرا[٥]

وقيل: فاعل «كفى» ضمير يعود على الاكتفاء، أي: كفى هو، أي: الاكتفاء بنفسك.

وقيل: «كفى» اسم فعل بمعنى: اكتَفِ، والفاعل مُضْمَرٌ يعود على المخاطَب.

---

(١) القراءة الثانية في السبعة ص٣٧٨، والتيسير ص١٣٩ عن ابن عامر، وفي النشر ٢/ ٣٠٦ عن أبي جعفر وابن عامر، وفي المحرر الوجيز ٣/ ٤٤٣ عن ابن عامر والحسن.

(٢) وإليه ذهب الزمخشري في كشافه ٢/ ٤٤١، والعكبري في الإملاء ٢/ ٨٩. وتعقَّبهم صاحب الدر المصون ٧/ ٣٢٣ فقال: وفيه نظر، حيث إنه يلزم تقدُّم الصفة غير الصريحة على الصفة الصريحة.

(٣) في الكشاف ٢/ ٤٤١، وما قبله - يعني قول قتادة - منه.

(٤) قائله سُحيم عبدٌ لبني الحسحاس، وهو في ديوانه ص١٦، والبيان والتبيين ١/ ٧١، والخزانة ١/ ٢٦٧، وهو من شواهد الكتاب لسيبويه ٤/ ٢٢٥، وصدره:

عُميرةَ وَدِّعْ إنْ تجهَّزتَ غازياً

(٥) قائله زيادة بن زياد العدوي كما في البيان والتبيين ٣/ ٢٤٤، والخزانة ١١/ ١٧٤.

وعلى هذين القولين لا تكونُ الباءُ زائدةً، وإذا فرَّعْنا على قول الجمهور أنَّ «بنفسك» هو فاعل «كفى» فكان القياسُ أن تدخُلَ تاءُ التأنيث لتأنيث الفاعل، فكان يكون التركيب: «كفَتْ بنفسك»، كما تلحق مع زيادة «من» في الفاعل إذا كان مؤنثاً، كقوله تعالى: ﴿مَآ ءَامَنَتْ قَبْلَهُم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَآ﴾ [الأنبياء: ٦]، وقوله: ﴿وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ﴾ [الأنعام: ٤] ولا نحفظه جاء التأنيث في «كفى» إذا كان الفاعل مؤنثاً مجروراً بالباء، والظاهرُ أنَّ المُرادَ «بنفسك» ذاتُك، أي: كفى بك. وقال مقاتل: يُريد بنفسه جوارحَه تشهدُ عليه إذا أنكر[١].

وقال أبو عبيدة: أي: ما أشدَّ كفايةَ ما علمتَ بما عملتَ.

و«اليومَ» منصوبٌ بـ «كفى»، و«عليك» متعلِّقٌ بـ «حسيباً».

ومعنى «حسيباً»: حاكماً عليك بعملك. قاله الحسن؛ قال: يا ابنَ آدم، لقد أنصفَكَ اللهُ وجعلَكَ حسيبَ نفسِك[٢].

وقال الكلبي: محاسباً[٣]، يعني: فعيلاً بمعنى مفاعل، كجليس وخليط.

وقيل: حاسباً، كضريب القداح، أي: ضاربها، وصريم بمعنى صارم - يعني أنَّه بناءُ مبالغة، كرحيم وحفيظ - وذكر «حسيباً» لأنَّه بمنزلة الشهيد والقاضي والأمير؛ لأنَّ الغالبَ أنَّ هذه الأمور يتولَّاها الرجل، فكأنَّه قيل: كفى بنفسك رجلاً حسيباً[٤].

وقال ابن الأنباري: وإنَّما قال: حسيباً، والنفسُ مؤنَّثة؛ لأنَّه يعني بالنفس الشخصَ، أو لأنَّه لا علامةَ للتأنيث في لفظ النفس، فشُبِّهت بالسماء والأرض؛ قال تعالى: ﴿ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرٌۢ بِهِۦ﴾ [المزمل: ١٨]. وقال الشاعر:

ولا أرضَ أبقَلَ إبقالَها[٥]

---

(١) تفسير أبي الليث ٢/ ٢٦٧.

(٢) النكت والعيون ٣/ ٢٣٣، والكشاف ٢/ ٤٤١، والمحرر الوجيز ٣/ ٤٤٣، ومجمع البيان ١٥/ ٢٦، وتفسير الرازي ٢٠/ ١٦٩.

(٣) تفسير أبي الليث ٢/ ١٦٢، وزاد المسير ٥/ ١٦، وتفسير القرطبي ١٣/ ٤١ من دون نسبة.

(٤) الكشاف ٢/ ٤٤١.

(٥) زاد المسير ٥/ ١٦-١٧، وهذا عجز بيت صدره:

فلا مُزْنَةَ ودَقَتْ وَدْقَها

=

﴿مَّنِ ٱهْتَدَىٰ﴾ الآية، قالت فرقةٌ: نزلتِ الإشارةُ في الهدى إلى أبي سلمة بن عبد الأسود، وفي الضلال إلى الوليد بن المغيرة. وقيل: نزلت في الوليد هذا، قال: يا أهل مكة، اكفروا بمحمد وإثمُكم عليَّ[(١)].

وتقدَّم تفسير ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ في آخر «الأنعام».

﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ غيَّا انتفاءَ التعذيب ببعثة الرسول عليه السلام، والمعنى: حتى نبعثَ رسولاً فيُكَذَّبُ ولا يؤمَنُ بما جاء به من عند الله. وانتفاءُ التعذيب أعمُّ من أن يكون في الدنيا بالهلاك وغيرِه من العذاب، أو في الآخرة بالنار، فهو يشملهما، ويدلُّ على الشمول قولُه في الهلاك في الدنيا بعد هذه الآية: ﴿وَإِذَآ أَرَدْنَآ﴾ وفي آخره: ﴿فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا﴾ وآيٌ كثيرةٌ نُصَّ فيها على الهلاك في الدنيا بأنواعٍ من العذاب حين كُذِّبتِ الرُّسل، وقوله في عذاب الآخرة: ﴿كُلَّمَآ أُلْقِىَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ * قَالُوا۟ بَلَىٰ قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ﴾ [الملك: ٨-٩]. و«كُلَّما» تدلُّ على عموم أزمان الإلقاء، فتَعُمُّ المُلْقَين. وقوله: ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ [فاطر: ٢٤].

وذهب الجمهور إلى أنَّ هذا في حكم الدنيا، أي: إنَّ الله لا يُهلك أمَّةً بعذاب إلَّا من بعد الرسالة إليهم والإنذار[(٢)].

قال الزمخشري[(٣)]: فإن قُلتَ: الحجةُ لازمةٌ لهم قبل بعثة الرسول؛ لأنَّ معهم أدلَّةَ العقل التي بها يُعرَفُ الله، وقد أغفلوا النظرَ وهم متمكِّنون منه، واستيجابهم العذاب لإغفالهم النظرَ فيما معهم وكُفرِهم[(٤)] لذلك، [لا] لإغفالِ الشرائع التي لا سبيلَ إليها إلَّا بالتوقيف، والعمل بها لا يصحُّ إلَّا بعد الإيمان. قلت: بعثةُ

= وقائله عامر بن جُوين الطائي، وهو في مجاز القرآن ٢/ ٦٧، والخزانة ١/ ٤٥، وهو من شواهد سيبويه في الكتاب ٢/ ٤٦.

والمُزْنة: واحدة المُزْن، وهي السحابة البيضاء. والوَدْق: المطر. وأبقَلَ: نبتَ بقلُه.

(١) المحرر الوجيز ٣/ ٤٤٣، والقول الثاني في زاد المسير ٥/ ١٦ بمعناه.

(٢) المحرر الوجيز ٣/ ٤٤٤، وتفسير القرطبي ١٣/ ٤٣.

(٣) في الكشاف ٢/ ٤٤١-٤٤٢، وما بين حاصرتين الآتي منه.

(٤) في المطبوع و(أ) و(د٢) و(ع): ركونهم، والمثبت من (ز١) و(يه) و(د١)، وهو الموافق لما في الكشاف.

الرسول ﷺ من جملة التنبيه على النظرِ والإيقاظِ من رقدة الغفلة، لئلّا يقولوا: كُنَّا غافلين، فلولا بعثتَ إلينا رسولاً يُنبِّهنا على النظر في أدلة العقل. انتهى.

وقال مقاتل: المعنى: وما كُنَّا مستأصِلين في الدنيا[١]؛ لما اقتضَتْه الحكمةُ الإلهيةُ حتى يبعثَ رسولاً؛ إقامةً للحجَّةِ عليهم، وقَطْعاً للعذرِ عنهم[٢]، كما فعَلْنا بعادٍ وثمود والمؤتفكات وغيرِها.

﴿وَإِذَآ أَرَدۡنَآ أَن نُّهۡلِكَ قَرۡيَةً أَمَرۡنَا مُتۡرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيۡهَا ٱلۡقَوۡلُ فَدَمَّرۡنَٰهَا تَدۡمِيرٗا ١٦ وَكَمۡ أَهۡلَكۡنَا مِنَ ٱلۡقُرُونِ مِنۢ بَعۡدِ نُوحٖۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرَۢا بَصِيرٗا ١٧ مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡعَاجِلَةَ عَجَّلۡنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلۡنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصۡلَىٰهَا مَذۡمُومٗا مَّدۡحُورٗا ١٨ وَمَنۡ أَرَادَ ٱلۡأٓخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعۡيَهَا وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ كَانَ سَعۡيُهُم مَّشۡكُورٗا ١٩ كُلّٗا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنۡ عَطَآءِ رَبِّكَۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحۡظُورًا ٢٠ ٱنظُرۡ كَيۡفَ فَضَّلۡنَا بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ وَلَلۡأٓخِرَةُ أَكۡبَرُ دَرَجَٰتٖ وَأَكۡبَرُ تَفۡضِيلٗا ٢١ لَّا تَجۡعَلۡ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقۡعُدَ مَذۡمُومٗا مَّخۡذُولٗا ٢٢﴾.

لمَّا ذكر تعالى أنَّه لا يُعذِّب أحداً حتى يبعثَ إليه رسولاً، بَيَّنَ بعد ذلك علَّةَ إهلاكِهم وهي مخالفةُ أمرِ الرسول ﷺ، والتمادي على الفساد [٣]والفسق. و«أراد» هنا على حقيقته، و«أن نُهلِكَ» يعني في الدنيا[٣].

وقال الزمخشري[٤]: ﴿وَإِذَآ أَرَدۡنَآ﴾: وإذا دنا[٥] وقتُ إهلاكِ قومٍ ولم يبقَ من زمانِ إهلاكِهم[٦] إلا قليل. انتهى. فتأوَّل «أردنا» على معنى «دنا» وقتُ إهلاكهم، وذلك على مذهب الاعتزال.

وقرأ الجمهور: ﴿أَمَرۡنَا﴾ وفي هذه القراءة قولان: الأول[٧] وهو الظاهر: أنَّه

(١) النكت والعيون ٣/ ٢٣٤.
(٢) تفسير البغوي ٣/ ١٠٨.
(٣-٣) زيادة من (ز١) و(يه).
(٤) في الكشاف ٢/ ٤٤٢.
(٥) عبارة: «وإذا دنا» من (ز١) و(يه)، وهي في الكشاف.
(٦) في الكشاف: إمهالهم.
(٧) في (أ) و(د٢): أحدهما، والمثبت من باقي النسخ.

من الأمر الذي هو ضِدُّ النَّهي، واختُلِفَ في مُتعلَّقِه، فذهب الأكثرون منهم ابن عباس وابن جُبير إلى أنَّ التقدير: أمرناهم بالطاعة فعصَوا وفسقوا. وذهب الزمخشريُّ[١] إلى أنَّ التقدير: أمرناهم بالفسق ففسقوا، وردَّ على من قال: أمرناهم بالطاعة، فقال: أي: أمرناهم بالفسق ففعلوا، والأمرُ مَجازٌ؛ لأنَّ حقيقةَ أمرهم بالفسق أن يقول لهم: افسُقوا، وهذا لا يكون، فبقي أن يكون مَجازاً، ووجهُ المَجاز أنَّه صبَّ عليهم النعمةَ صبًّا، فجعلوها ذريعةً إلى المعاصي واتِّباعِ الشهواتِ، فكأنَّهم مأمورون بذلك لتسبُّبِ إيلاءِ النعمةِ فيه، وإنَّما خوَّلهم إيَّاها ليشكروا ويعملوا فيها الخيرَ ويتمكَّنوا من الإحسان والبرِّ كما خلقهم أصِحَّاء أقوياء، وأقدرَهم على الخير والشرِّ، وطلبَ منهم إيثارَ الطاعة على المعصية، فآثروا الفسوق، فلمَّا فسقوا حقَّ عليها[٢] القولُ، وهو[٣] كلمةُ العذاب، فدمَّرهم.

فإنْ قلتَ: هلَّا زعمتَ أنَّ معناه: أمَرْناهم بالطاعة ففسقوا؟ قلت: لأنَّ حَذْفَ ما لا دليلَ عليه غيرُ جائزٍ، فكيف يُحذَفُ ما الدليلُ قائمٌ على نقيضِه، وذلك أنَّ المأمورَ به إنَّما حُذِفَ؛ لأنَّ «فسقوا» يدلُّ عليه، وهو كلام مستفيض، يُقال: أمرتُه فقام، وأمرتُه فقرأ، لا يُفْهَم منه إلَّا أنَّ المأمورَ به قيامٌ أو قراءةٌ، ولو ذهبتَ تُقدِّر غيرَه فقد رُمْتَ من مُخاطِبك علمَ الغيبِ، ولا يلزم هذا قولهم: أمرتُه فعصاني، أو فلم يمتثِلْ أمري؛ لأنَّ ذلك مُنافٍ للأمرِ، مُناقضٌ له، ولا يكون ما يناقِضُ الأمرَ مأموراً به، فكان مُحالاً أن يُقصَدَ أصلاً حتى يُجعَلَ دالًّا على المأمور به، فكان المأمورُ به في هذا الكلام غيرَ مدلولٍ عليه ولا مَنْوِيٍّ؛ لأنَّ من يتكلَّم بهذا الكلام فإنَّه لا ينوي لأمره مأموراً به، وكأنَّه يقول: كان منِّي أمرٌ فلم يكُنْ منه طاعة، كما أنَّ من يقول: فلانٌ يُعطي ويمنع، ويأمر وينهى، غيرُ قاصدٍ إلى مفعول.

فإنْ قلتَ: هلَّا كان ثبوتُ العلم بأنَّ الله لا يأمرُ بالفحشاءِ وإنما يأمرُ بالقسطِ والخيرِ دليلاً على أنَّ المرادَ: أمَرْناهم بالخير ففسقوا؟ قلت: لا يصِحُّ ذلك؛ لأنَّ قوله: «ففسقوا» يدافعه، فكأنَّكَ أظهرتَ شيئاً وأنتَ تدَّعي إضمارَ خلافِه، فكانَ صرفُ

(١) في الكشاف ٢/ ٤٤٢.
(٢) هكذا في جميع النسخ الخطية، وفي المطبوع والكشاف: عليهم.
(٣) المثبت من (ز١) و(د١) والكشاف. وفي باقي النسخ: وهي.

الأمرِ إلى المَجازِ هو الوجه، ونظيرُ «أمَرَ» «شاء» في أنَّ مفعولَه استفاض فيه الحذفُ؛ لدلالة ما بعده عليه، تقول: لو شاء لأحسن إليك، ولو شاء لأساء إليك، تريد: لو شاء الإحسان، ولو شاء الإساءة، فلو ذهبتَ تُضمِرُ خلافَ ما أظهرتَ وقلتَ: قد دلَّتْ حالُ من أُسنِدَتْ إليه المشيئةُ أنَّه من أهلِ الإحسان أو من أهل الإساءة، فأترُكُ الظاهرَ المنطوقَ به، وأضمِرُ ما دلَّتْ عليه حالُ صاحبِ المشيئة، لم يكن على سداد. انتهى.

أمَّا ما ارتكبَه من المَجاز وهو أنَّ «أمَرْنا مُترفيها»: صبَبْنا عليهم النعمةَ صبًّا؛ فيَبعُد جدًّا. وأمَّا قوله: وأقدَرهم على الخير والشرِّ إلى آخره؛ فمذهَبُ الاعتزالِ. وقوله: لأنَّ حذْفَ ما لا دليلَ عليه غيرُ جائز؛ تعليلٌ لا يصِحُّ فيما نحن بسبيله، بل ثَمَّ ما يدلُّ على حَذْفِه. وقوله: فكيفَ يُحذَفُ ما الدليلُ قائمٌ على نقيضه، إلى قوله: علم الغيب؛ فنقول: حَذْفُ الشيء تارةً يكون لدلالةِ موافقةٍ عليه، ومنه ما مَثَّلَ به في قوله: أمَرْتُه فقام، وأمَرْتُه فقرأ. وتارةً يكون لدلالةِ خلافِه أو ضِدِّه أو نقيضِه، فمن ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَهُۥ مَا سَكَنَ فِي ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِۚ﴾ [الأنعام: ١٣]. قالوا: تقديرُه: ما سكَنَ وما تحرَّك. وقوله تعالى: ﴿سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلۡحَرَّ﴾ [النحل: ٨١] قالوا: الحرّ والبرد. وقول الشاعر:

وما أدري إذا يَمَّمتُ أرضاً ... أُريدُ الخيرَ أيُّهما يَليني
أألخيرُ الذي أنا أبتغيهِ ... أم الشَّرُّ الذي هو يَبتغيني[1]

تقديرُه: أُريدُ الخيرَ وأجتنبُ الشرَّ، وتقول: أمَرْتُه فلم يُحسِنْ، فليس المعنى: أمَرْتُه بعدم الإحسان فلم يُحْسِنْ، بل المعنى: أمَرْتُه بالإحسان فلم يُحْسِنْ، وهذه الآية من هذا القبيل يُسْتَدَلُّ على حذف النقيض بإثبات نقيضِه، ودلالةُ النقيضِ على النقيضِ كدلالةِ النظيرِ على النظير، وكذلك: أمَرْتُه فأساء إليَّ، ليس المعنى: أمَرْتُه بالإساءة فأساء إليَّ، إنَّما يُفْهَمُ منه: أمَرْتُه بالإحسان فأساء إليَّ. وقوله: ولا يلزم هذا قولهم: أمَرْتُه فعصاني. نقول: بل يلزم. وقوله: لأنَّ ذلك مُنافٍ، أي: لأنَّ العصيان مُنافٍ، وهو كلام صحيح. وقوله: فكان المأمورُ به غيرَ مدلولٍ عليه

(١) قائلهما المثقب العبدي، وهما في ديوانه ص٢١٢-٢١٣، وذكرهما أبو هلال العسكري في جمهرة الأمثال ٢/ ٤٠٢، والصناعتين ص١٩١.

ولا مَنْوِيٌّ. هذا لا يَسلم، بل هو مدلولٌ عليه ومَنْوِيٌّ لا دلالة الموافق بل دلالة المناقض كما بيَّنَّا. وأمَّا قوله: لأنَّ من يتكلَّم بهذا الكلام فإنَّه لا ينوي لأمره مأموراً به. هذا أيضاً لا يَسْلَم. وقوله في جواب السؤال: لأنَّ قوله: «ففسقوا» يدافعه، فكأنَّك أظهرتَ شيئاً وأنتَ تدَّعي إضمارَ خلافه. قلنا: نعم يُدَّعى إضمارُ خلافه، ودلَّ على ذلك نقيضُه. وقوله: ونظيرُ «أمَرَ» «شاء» في أنَّ مفعوله استفاض فيه الحذف. قلت: ليس نظيرَه؛ لأنَّ مفعول «أمر» لم يستفِضْ فيه الحذفُ؛ لدلالة ما بعدَه عليه، بل لا يكاد يُستعمَلُ مثلَ «شاء» محذوفاً مفعولُه؛ لدلالة ما بعدَه عليه، وأكثَرُ استعماله مُثبَتُ المفعول؛ لانتفاء الدلالة على حذفه، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ﴾ [الأعراف: ٢٨]، ﴿أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [يوسف: ٤٠]، ﴿تَأْمُرُهُمْ أَحْلَٰمُهُم بِهَٰذَآ﴾ [الطور: ٣٢]، ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّى بِٱلْقِسْطِ﴾ [الأعراف: ٢٩]، ﴿أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا﴾ [الفرقان: ٦٠] أي: به. ﴿وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُواْ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ﴾ [آل عمران: ٨٠]. وقال الشاعر:

أمرتُكَ الخيرَ فافعَلْ ما أُمِرْتَ بهِ[1]

وقال أبو عبد الله الرازي[2]: ولِقائلٍ أن يقول: كما أنَّ قولَه: أمَرْتُه فعصاني، يدلُّ على أنَّ المأمورَ به شيءٌ غيرُ الفِسقِ؛ لأنَّ الفِسقَ عبارةٌ عن الإتيان بضدِّ المأمور به، فكونُه فسقاً يُنافي كونَه مأموراً به، كما أنَّ كونَه معصيةً يُنافي كونَها مأموراً بها، فوجَبَ أنْ يدُلَّ هذا اللفظُ على أنَّ المأمورَ به ليس بفِسق. هذا الكلام في غاية الظهور، فلا أدري لِمَ أصرَّ صاحبُ «الكشاف» على قوله مع ظهور فساده،

---

(١) صدر بيت عجزه:

فقد تركتُكَ ذا مالٍ وذا نَشَبِ

واختُلف في نسبته، فنسبه سيبويه في الكتاب ١/ ٣٧، وابن الشجري في أماليه ٢/ ٥٥٩ لعمرو بن معد يكرب، وهو في ديوانه ص٣٥.
ونسبه الآمدي في المؤتلف والمختلف ص١٧ لأعشى طرود، وعنده: الرشد، بدل: الخير.
وذكر البغدادي في الخزانة ١/ ٣٤٤ أن اسم أعشى طرود إياس بن موسى، وذكر - أيضاً - أن هذا البيت نُسب للعباس بن مرداس، ولخفاف بن ندبة، ولزرعة بن السائب.
وهو في الكامل للمبرد ١/ ٤٨، وفي المقتضب ٢/ ٣٢ من غير نسبة.

(٢) في تفسيره ٢٠/ ١٧٤-١٧٥.

فثبتَ أنَّ الحقَّ ما ذكروه، وهو أنَّ المعنى: أمرناهم بالأعمالِ الصالحةِ وهي الإيمانُ والطاعةُ، والقومُ خالفوا ذلك عناداً، وأقدموا على الفِسق. انتهى.

القول الثاني: أنَّ معنى «أمَرْنا»: كثَّرْنا، أي: كثَّرْنا مُترفيها، يقال: أمرَ اللهُ القومَ، أي: كثَّرَهم. حكاه أبو حاتم عن أبي زيد. وقال الواحدي: العرب تقول: أمِرَ القومُ؛ إذا كثُروا، وأمرَهُم اللهُ: إذا كثَّرهم. انتهى.

وقال أبو علي الفارسي: الجيِّد في «أمَرْنا» أن يكون بمعنى: كثَّرنا[١]. واستدلَّ أبو عبيدة على صحَّة هذه اللغة بما جاء في الحديث: «خيرُ المالِ سِكَّةٌ مأبورة، ومُهْرةٌ مأمورة» أي: كثيرة النسل؛ يقال: أمرَ اللهُ المُهْرةَ، أي: كثَّرَ ولدَها[٢]. ومَنْ أنكرَ: أمرَ اللهُ القومَ، بمعنى: كثَّرَهم، لم يُلْتَفَتْ إليه؛ لثبوتِ ذلك لغةً، ويكون من باب ما لزم، وعدِّي بالحركة المختلفة إذ يقال: أمِرَ القومُ: كثُروا، وأمرَهُم اللهُ: كثَّرَهم، وهو من باب المطاوعة؛ أمرَهُم اللهُ فأُمِروا، كقولك: شتَرَ اللهُ عينَه فشتِرَتْ، وجدَعَ أنفَه فَجَدِع، وثَلَمَ سِنَّهُ فثَلِمَت[٣].

وقرأ الحسن، ويحيى بن يَعْمَر، وعكرمة: «أمِرْنا» بكسر الميم، وحكاها النحاس[٤] وصاحب «اللوامح» عن ابن عباس. ورَدُّ الفرَّاء[٥] هذه القراءة لا يُلتفَتُ إليه؛ إذ نُقِلَ أنَّها لغةٌ كفتح الميم، ومعناها: كثَّرْنا. حكى أبو حاتم عن أبي زيد: يُقال: أمَرَ الله مالَه وأمِرَه، أي: كثَّره، بكسرِ الميم وفتحِها.

وقرأ عليُّ بن أبي طالب، وابن أبي إسحاق، وأبو رجاء، وعيسى بن عمر، وسلَّام، وعبد الله بن أبي يزيد، والكلبي: «آمَرْنا» بالمَدِّ[٦]، وجاء كذلك عن ابن

---

(١) المحرر الوجيز ٣/ ٤٤٤. وينظر الحجة للقراء السبعة ٥/ ٩٣.

(٢) الحجة ٥/ ٩٢، وتفسير الرازي ٢٠/ ١٧٥، وزاد المسير ٥/ ١٩ وزاد نسبته إلى ابن قتيبة، وهو في غريب القرآن ص٢٥٣، والمفردات ص٨٩. وقول أبي عبيدة بمعناه في مجاز القرآن ١/ ٣٧٣. والحديث أخرجه أحمد (١٥٨٤٥)، والطبراني في الكبير (٦٤٧٠) و(٦٤٧١) عن سُويد بن هُبيرة. و«السِّكَّة»: الطريقة المصطفَّة من النخل. و«مأبورة» ملقَّمة. و«المُهْرة»: ولد الفرس.

(٣) ينظر المحرر الوجيز ٣/ ٤٤٤، وتفسير الرازي ٢٠/ ١٧٥.

(٤) في معاني القرآن ٤/ ١٣٣، وهي في القراءات الشاذة ص٧٥، والمحتسب ٢/ ١٦.

(٥) في معاني القرآن له ٢/ ١١٩.

(٦) تفسير البغوي ٣/ ١٠٩، والمحرر الوجيز ٣/ ٤٤٤، وزاد المسير ٥/ ١٩، وقراءة يعقوب من

عباس، والحسنِ، وقتادة، وأبي العالية، وابنِ هُرْمُز، وعاصم، وابن كثير، وأبي عمرو، ونافع، وهو اختيار يعقوب، ومعناه: كثَّرْنا؛ يقال: أمرَ اللهُ القومَ وآمرَهم، فتعدَّى بالهمزة.

وقرأ ابن عباس، وأبو عثمان النَّهدي، والسُّدِّي، وزيد بن عليّ، وأبو العالية: «أمَّرْنا» بتشديد الميم. ورُويَ ذلك عن عليٍّ، والحسن، والباقر، وعاصم، وأبي عمرو[١]، وعدَّى «أمِرَ» بالتضعيف، والمعنى أيضاً: كثَّرْنا. وقد يكون «أمَّرْنا» بالتشديد بمعنى: ولَّيناهم وصيَّرناهم أمراءَ، واللازم من ذلك: أُمِّرَ فلانٌ: إذا صار أميراً[٢]، أي: وَلِيَ الأمرَ.

وقال أبو عليّ الفارسي[٣]: لا وجه لكونِ «أمَّرْنا» من الإمارة؛ لأنَّ رياستهم لا تكون إلَّا لواحدٍ بعد واحدٍ، والإهلاكُ إنَّما يكون في مدَّةٍ واحدٍ منهم. انتهى. وما قاله أبو علي لا يلزم؛ لأنَّا لا نُسَلِّم أنَّ الأميرَ هو الملِكُ، بل كونُه ممَّن يأمرُ ويُؤتَمرُ به، والعربُ تسمِّي أميراً مَنْ يؤتَمَرُ به وإنْ لم يكن مِلِكاً، ولئِنْ سَلَّمنا أنَّه أُرِيدَ به المِلِكُ فلا يلزَمُ ما قال؛ لأنَّ القريةَ إذا ملَكَ عليها مُتْرَفٌ فَفسَقَ[٤]، ثم آخرُ ففسَقَ، ثم كذلك كثُرَ الفسادُ، وتوالى الكفرُ، ونزل بهم على الأخير[٥] من ملوكهم، ورأيتُ في النَّومِ أنِّي قرأتُ وقُرِئ بحضرتي: «وإذا أردنا أن نُهلِكَ قريةً أمَّرْنا مُتْرَفيها» الآية بتشديد الميم، فأقول في النوم: ما أفصَحَ هذه القراءة!

والقولُ الذي حقَّ عليهم: هو وعيدُ الله الذي قالَه رسولُهم[٦]. وقيل: القول: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ﴾ [السجدة: ١٣]، «وهؤلاء في النار ولا أُبالي»[٧].

= العشرة في النشر ٢/ ٣٠٦. قلت: والقراءة المشهورة عن عاصم وابن كثير وأبي عمرو ونافع: «أَمَرْنا»، وهي قراءة السبعة باتِّفاق.

(١) معاني القرآن للنحاس ٤/ ١٣٣، والمحتسب ٢/ ١٦، والمحرر الوجيز ٣/ ٤٤٤، وزاد المسير ٥/ ١٩، وهي قراءة شاذة.

(٢) الصحاح (أمر)، ومعجم مقاييس اللغة ١/ ١٣٩، وينظر النكت والعيون ٣/ ٢٣٥.

(٣) في الحجة ٥/ ٩٣ بمعناه.

(٤) المثبت من (ز١) و(يه)، وفي باقي النسخ: ثم فسق.

(٥) المثبت من (ز١) و(د١)، وفي باقي النسخ: الآخِر.

(٦) المحرر الوجيز ٣/ ٤٤٥.

(٧) تفسير البغوي ٤/ ٧٥. والحديث أخرجه أحمد في مسنده (٣١١) و(١٧٥٩٣) و(١٧٦٦٠) =

والتدميرُ: الإهلاكُ مع طَمْسِ الأثرِ وهدمِ البناء[١].

و«كم» في موضع نَصْبٍ على المفعول بـ «أهلكنا» أي: كثيراً من القرون أهلكنا. و«من القرون» بيانٌ لـ«كم» وتمييزٌ له كما يُميَّزُ العددُ بالجنس، و«القرون» عادٌ وثمودُ وغيرُهم[٢].

ويعني بالإهلاكِ هنا الإهلاكَ بالعذابِ، وفي ذلك تهديدٌ ووعيدٌ لمشركي مكة. وقال: «من بعد نوح» ولم يقُلْ: «من بعد آدم»؛ لأنَّ نوحاً أولُ نبيٍّ بالَغَ قومُه في تكذيبِه، وقومُه أوَّلُ مَنْ حَلَّتْ بهم العقوبةُ العظمى وهي الاستئصال بالطُّوفان. وتقدَّم القولُ في عُمر القرن[٣].

و«من» الأولى للتَّبيين، والثانية لابتداءِ الغاية، وتعلَّقا بـ «أهلكنا» لاختلاف معنَيَيْهما. وقال الحوفي: «مِنْ بعدِ نوح» «من» الثانية بدل من الأولى. انتهى. وهذا ليس بجيِّد. وقال ابن عطية[٤]: هذه الباء - يعني في «وكفى بربِّك» - إنَّما تجيء في الأغلب في مدحٍ أو ذَمٍّ. انتهى.

و«بذنوب عباده» تنبيهٌ على أنَّ الذنوبَ هي أسباب الهَلَكة، و«خبيراً بصيراً» تنبيهٌ على أنَّه عالِمٌ بها، فيُعاقِبُ عليها، ويتعلَّق «بذنوب» بـ «خبيراً» أو بـ «بصيراً»[٥].

وقال الحَوْفي: يتعلق بـ «كفى». انتهى. وهذا وهمٌ.

و«العاجلة»: هي الدنيا، ومعنى إرادتها: إيثارُها على الآخرة، ولا بُدَّ من تقدير حَذْفٍ دلَّ عليه المقابِلُ في قوله: ﴿وَمَنْ أَرَادَ ٱلْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ فالتقدير: مَنْ كان يريد العاجلة وسعى لها سَعْيَها وهو كافر.

وقيل: المرادُ: مَنْ كان يُريد العاجلةَ بعملِ الآخرة، كالمنافق والمرائي

= و(٢٢٠٧٧) و(٢٧٤٨٨) عن عمر بن الخطاب، وأبي عبد الله رجل من الصحابة، وعبد الرحمن بن قتادة السلمي، ومعاذ بن جبل، وأبي الدرداء، ﷺ.

(١) المحرر الوجيز ٣/ ٤٤٥.

(٢) الكشاف ٢/ ٤٤٣.

(٣) عند تفسير الآية (٦) من سورة الأنعام.

(٤) في المحرر الوجيز ٣/ ٤٤٥.

(٥) الكشاف ٢/ ٤٤٣ بمعناه.

والمهاجر للدنيا والمجاهد للغنيمة والذِّكر، كما قال عليه السلام: «ومَنْ كانَتْ هِجْرَتُه إلى دنيا يُصيبُها أو امرأةٍ ينْكِحُها فهِجْرَتُه إلى ما هاجر إليه»، وقال عليه الصلاة والسلام: «مَنْ طلَبَ[1] الدُّنيا. بعمل الآخرة فما له في الآخرة من نصيب». وقيل: نزلَتْ في المنافقين، وكانوا يغزون مع المسلمين للغنيمة لا للثواب.

و«مَنْ» شرطٌ، وجوابه: «عجَّلْنا له فيها ما نشاء» فقيَّد المُعَجَّلَ بمشيئته، أي: ما نشاء تعجيلَه، و«لمن نُريد» بدل من قوله: «له» بدلُ بعضٍ من كلّ؛ لأنَّ الضمير في «له» عائدٌ على «من» الشرطية، وهي في معنى الجمع، ولكن جاءت الضمائر هنا على اللفظ لا على المعنى، فقيَّدَ المُعجَّلَ بإرادته، فليسَ مَنْ يُريدُ العاجلة يحصلُ له ما يريدُه، ألا ترى أنَّ كثيراً من الناس يختارون الدنيا ولا يحصل لهم منها إلَّا ما قسمَه اللهُ لهم، وكثيراً منهم يتمنَّون النَّزْرَ اليسيرَ فلا يحصل لهم، ويُجمَعُ لهم شقاوةُ الدنيا وشقاوةُ الآخرة[2]؟!.

وقرأ الجمهور: «ما نشاء» بالنون، ورُويَ عن نافع «ما يشاء» بالياء[3]. فقيل: الضمير في «يشاء» يعودُ على الله، وهو من باب الالتفات، فقراءة النون والياء سواء. وقيل: يجوز أن يعود على «مَنْ» العائدِ عليها الضميرُ في «له»، وليس ذلك عامًّا، بل لا يكون له ما يشاء، إلَّا آحادٌ أرادَ اللهُ لهم ذلك.

والظاهر أنَّ الضمير في «لمن نُريد» يُقدَّر مع تقديره مضافٌ محذوف يدلُّ عليه ما قبلَه، أي: لمن نُريد تعجيلَه له، أي: تعجيل ما نشاء.

وقال أبو إسحاق الفَزاري[4]: المعنى: لِمَن نُريد هلَكَته. وما قاله لا يدلُّ عليه لفظٌ في الآية.

(١) بعدها في (ز١) و(يه) و(د١) زيادة كلمة: عمل.
(٢) إلى هنا من الكشاف بمعناه ٢/ ٤٤٣. وحديث «ومن كانت هجرته..» أخرجه البخاري (٥٤)، ومسلم (١٩٠٧)، وأحمد (١٦٨) من حديث عمر بن الخطاب ﷺ وأوله: «إنَّما الأعمال بالنِّيَّات». وحديث «من طلب الدنيا...» أخرجه أحمد (٢١٢٢٠)، والحاكم ٤/ ٣١١ و٣١٨ من حديث أبي بن كعب ﷺ.
(٣) المحرر الوجيز ٣/ ٤٤٦. وهي قراءة شاذة، والمشهور عنه «نشاء» بالنون، كسائر القرَّاء العشرة.
(٤) هو إبراهيم بن محمد بن الحارث الفزاري الشامي، من أئمة الحديث، إمام في السير، روى عن أبي إسحاق السَّبيعي، وعطاء بن السائب، والأعمش، وهشام بن عروة، وغيرهم=

و«جعَلْنا» بمعنى صَيَّرنا، والمفعول الأول «جهنَّم» والثاني «له»؛ لأنَّه ينعقد منهما مبتدأ وخبر، فنقول: جهنم للكافر، كما قال: هؤلاء للنار وهؤلاء للجنة.

و«يَصْلاها» حالٌ من جهنم. وقال أبو البقاء[(١)]: أو من الضمير الذي في «له».

وقال صاحب «الغنيان»: مفعول «جعلنا» الثاني محذوف، تقديره: مصيراً، أو: جزاءً. انتهى.

﴿مَذْمُومًا﴾ إشارةٌ إلى الإهانة، ﴿مَّدْحُورًا﴾ إشارةٌ إلى البُعدِ والطَّرْدِ من رحمة الله[(٢)].

﴿وَمَنْ أَرَادَ ٱلْآخِرَةَ﴾ أي: ثواب الآخرة، بأن يؤثِرَها على الدنيا، ويعقِدَ إرادتَه بها، وسعى فيما كُلِّف من الأعمال والأقوال ﴿سَعْيَهَا﴾ أي: السعي المُعَدّ للنَّجاة فيها ﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ هو الشرط الأعظم في النجاة، فلا تنفَعُ إرادةٌ ولا سعيٌ إلا بحصوله، وفي الحقيقة هو الناشئ عنه إرادةُ الآخرة والسعيُ للنَّجاة فيها، وحصولُ الثواب.

وعن بعض المتقدِّمين: مَنْ لم يكُنْ معه ثلاثٌ لم ينفَعْه عملُه؛ إيمانٌ ثابت، ونيَّةٌ صادقة، وعملٌ مصيب، وتلا هذه الآية[(٣)].

﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ﴾ إشارةٌ إلى من اتَّصف بهذه الأوصاف، وراعى معنى «مَنْ»؛ فلذلك كان بلفظ الجمع، واللهُ تعالى يشكرُهم على طاعتهم، وهو تعالى المشكورُ على ما أعطى من العقلِ، وإنزالِ الكتب، وإيضاحِ الدلائلِ، وهو المستحِقُّ للشُّكر حقيقةً، ومعنى شُكْرِه تعالى المطيعَ: الإثناءُ عليه وثوابُه على طاعته[(٤)].

= وروى عنه الأوزاعي، وسفيان الثوري، وابن المبارك، وغيرهم. مات سنة (١٨٥ أو ١٨٦ أو ١٨٨هـ). السير ٨/ ٥٣٩، وتهذيب الكمال ٢/ ١٦٧. وقوله الآتي في المحرر الوجيز ٣/ ٤٤٦، وزاد المسير ٥/ ٢٠. وأخرجه الطبري في تفسيره ١٤/ ٥٣٦.

(١) في الإملاء ٣/ ٤٧٥، وما قبله منه.

(٢) تفسير الرازي ٢٠/ ١٧٨.

(٣) الكشاف ٢/ ٤٤٣.

(٤) زاد المسير ٥/ ٢٠ بمعناه.

وانتصب «كُلًّا» بـ «نُمِدُّ»، والإمدادُ: المواصلةُ بالشيء، والمعنى: كلَّ واحدٍ من الفريقين نُمِدُّ. كذا قَدَّره الزمخشري، وأعربوا «هؤلاء» بدلاً من «كُلًّا» ولا يصِحُّ أن يكون بدلاً من «كلٍّ» على تقدير: كلَّ واحد؛ لأنَّه يكون إذ ذاك بدل كلٍّ من بعضٍ، فينبغي أن يكون التقدير: كلَّ الفريقين، فيكون بدل كلٍّ من كلٍّ على جهة التفصيل.

والظاهرُ أنَّ هذا الإمدادَ هو في الرزق في الدنيا، وهو تأويل الحسن وقتادة، أي: إنَّ الله يرزق في الدنيا مُريدي العاجلةَ الكافرين ومُريدي الآخرةَ المؤمنين، ويمدُّ الجميع بالرزق، وإنَّما يقع التفاوتُ في الآخرة، ويدلُّ على هذا التأويل: ﴿وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾ أي: إنَّ رِزْقَه لا يضيق عن مؤمنٍ ولا كافر. وعن ابن عباس: إنَّ معنى ﴿مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ﴾: من الطاعات لِمُريد الآخرة، والمعاصي لِمُريد العاجلة[1]، فيكون العطاءُ عبارةً عمَّا قسم اللهُ للعبد من خيرٍ أو شرٍّ، وينبو لفظ العطاء على الإمداد بالمعاصي.

والظاهرُ أنَّ «انْظُرْ» بصريَّة؛ لأنَّ التفاوتَ في الدنيا مُشاهَدٌ.

و«كيف» في موضع نصب بعد حذف حرف الجرِّ؛ لأنَّ «نظر» يتعدَّى به، «فانظُرْ» هنا مُعلَّقة، ولمَّا كان النظرُ مُفضياً وسبباً إلى العلم جاز أنْ يُعلَّق.

ويجوز أن يكون «انظُرْ» من نظرِ الفكر، فلا كلامَ في تعليقه؛ إذ هو فِعْلٌ قلبيٌّ، والتفضيل هنا هو التفضيل في الرزق ورُتَبِ الدنيا، ويجوز أن يكون التفضيل[2] عبارةً عن الطاعات المؤدِّية إلى الجنَّة المُفضَّل عليهم الكفار، كأنَّه قيل: انظُرْ في تفضيل فريقٍ على فريقٍ، وعلى التأويل الأول كأنَّه قيل: في تفضيل شخصٍ على شخصٍ من المؤمنين والكافرين، والمفضول في قوله: ﴿أَكْبَرُ دَرَجَٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا﴾ محذوف، تقديره: من درجات الدنيا، ومن تفضيل الدنيا.

ورُوِيَ أنَّ قوماً من الأشراف وممَّنْ دونَهم اجتمعوا بباب عمر ﷺ، فخرج الإذنُ لبلالٍ وصُهيبٍ، فشقَّ على أبي سفيان، فقال سهيل بن عمرو: إنَّما أُتِينا مِنْ قِبَلِنَا، إنَّهم دُعوا ودُعينا ـ يعني إلى الإسلام ـ فأسرعوا وأبطأنا، وهذا بابُ عمر،

(١) إلى هنا من المحرر الوجيز ٣/ ٤٤٦.
(٢) من قوله: هو التفضيل.. إلى هنا من (ز١) و(يه) و(د١).

فكيف التفاوتُ في الآخرة؟ ولئن حسدتُموهم على باب عمر لما أعدَّ اللهُ لهم في الجنة أكثر[١].

وقُرئ: «أكثَرُ» بالثاء المثلثة[٢].

وقال ابن عطية[٣]: وقوله: ﴿أَكْبَرُ دَرَجَٰتٍ﴾ ليس في اللفظ: من أيِّ شيء، لكنَّه في المعنى، ولا بُدَّ أكبرُ درجاتٍ من كلِّ ما يُضاف بالوجود أو بالفرض. ورأى بعضُ العلماء أنَّ هذه الدرجات والتفضيلَ إنَّما هو فيما بين المؤمنين، وأسند الطبريُّ في ذلك حديثاً نصُّه: «إنَّ أعلى[٤] أهلِ الجنة وأسفَلَها درجةً كالنَّجم يُرى في مشارقِ الأرضِ ومغاربِها». وقد رضَّى اللهُ الجميعَ، فما يغبِطُ أحدٌ أحداً.

والخطاب في «لا تجعل» للسَامع غيرِ الرسول. وقال الطبريُّ وغيرُه: الخطاب لمحمدٍ ﷺ، والمراد لجميع الخلق.

﴿فَتَقْعُدَ﴾ قال الزمخشريُّ[٥]: من قولِهم: شحذَ الشَّفرةَ حتى قعدَتْ كأنَّها حَرْبَة، بمعنى: صارت، يعني: فتصيرَ جامعاً على نفسِكَ الذمَّ وما يتبَعُه من الهلاك من الذلِّ والخِذلان والعجزِ عن النُّصرةِ ممَّن جعَلْتَه شريكاً له. انتهى. وما ذهب إليه من استعمالِ «فتقعد» بمعنى: فتصير، لا يجوز عند أصحابنا، و«قَعَدَ» عندَهم بمعنى «صارَ»، مقصورةً على المثل، وذهب الفرَّاء[٦] إلى أنَّه يطَّرِد؛ جعل «قَعَدَ» بمعنى «صار»، وجعَلَ من ذلك قولَ الراجز:

لا يُقْنِعُ الجاريةَ الخِضابُ ... ولا الوِشاحانِ ولا الجِلْبابُ
مِنْ دونِ أن تَلْتقي الأركابُ ... ويَقْعُدَ الأيرُ لهُ لُعابُ

---

(١) الكشاف ٢/ ٤٤٤، والقصة أخرجها أحمد في الزهد ص١٤٢، والطبراني في الكبير (٦٠٣٨)، وابن عبد البر في الاستيعاب ص٣١٥-٣١٦ عن الحسن البصري، وهو لم يدرك عمر.

(٢) القراءات الشاذة ص٧٦، والكشاف ٢/ ٤٤٤.

(٣) في المحرر الوجيز ٣/ ٤٤٦-٤٤٧، والحديث الآتي أخرجه الطبري في تفسيره ١٤/ ٥٤٠ عن قتادة مرفوعاً، وإسناده منقطع.

(٤) تحرفت في جميع النسخ إلى: أنزل، والمثبت من المحرر الوجيز وتفسير الطبري.

(٥) في الكشاف ٢/ ٤٤٤.

(٦) في معاني القرآن ٢/ ٢٧٤.

وحكى الكسائيُّ: قعَدَ لا يسألُ حاجةً إلَّا قضاها، بمعنى: صار، فالزمخشريُّ أخذ في الآية بقول الفرَّاء.

والقعودُ هنا عبارةٌ عن المُكْثِ، أي: فيمكث في الناس مذموماً مخذولاً، كما تقول لمَنْ سأل عن حال شخص: هو قاعدٌ في أسوأ حال. ومعناه: ماكثٌ ومقيمٌ، وسواءٌ كان قائماً أم جالساً. وقد يُرادُ القعودُ حقيقةً؛ لأنَّ من شأن المذمومِ المخذولِ أن يقعد حائراً متفكراً وعبَّر بغالب حاله وهي القعود.

وقيل: معنى «فتقعد»: فتعجز، العرب تقول: ما أقعدَكَ عن المكارم.

والذمُّ هنا لاحقٌ من الله تعالى ومن ذوي العقول في أن يكون الإنسانُ يجعلُ عوداً أو حجراً أفضلَ من نفسِه، ويخصُّه بالكرامة، وينسب إليه الألوهية، ويُشرِكُه مع اللهِ الذي خلقَه ورزقَه وأنعَمَ عليه، والخِذْلانُ في هذا يكون بإسلام الله ولا يكفلُ له بنصر، والمخذول: الذي لا ينصرُه مَنْ يجبُ أنْ ينصُرَه[1].

وانتصبَ «مذموماً مخذولاً» على الحال، وعند الفرّاء والزّمخشريّ على أنَّهُ خبرٌ لـ «تقعد».

* * *

﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ
أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ
لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِى
نُفُوسِكُمْ ۚ إِن تَكُونُوا۟ صَٰلِحِينَ فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلْأَوَّٰبِينَ غَفُورًا ﴿٢٥﴾ وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ
وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓا۟ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ ۖ وَكَانَ
ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴿٢٧﴾ وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ٱبْتِغَآءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا
مَّيْسُورًا ﴿٢٨﴾ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا
﴿٢٩﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿٣٠﴾ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟
أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا ﴿٣١﴾ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ
إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَمَن قُتِلَ

---

(١) المحرر الوجيز ٣/ ٤٤٧.

مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّى ٱلْقَتْلِ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا ﴿٣٣﴾ وَلَا تَقْرَبُوا۟
مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۚ وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا ﴿٣٤﴾
وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٣٥﴾ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ
لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ
مَرَحًا ۖ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا ﴿٣٧﴾ كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ
مَكْرُوهًا ﴿٣٨﴾ ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوْحَىٰٓ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلْحِكْمَةِ ۗ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتُلْقَىٰ فِى
جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا ﴿٣٩﴾ أَفَأَصْفَىٰكُمْ رَبُّكُم بِٱلْبَنِينَ وَٱتَّخَذَ مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنَٰثًا ۚ إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا
عَظِيمًا ﴿٤٠﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِيَذَّكَّرُوا۟ وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤١﴾ قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ
كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّٱبْتَغَوْا۟ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤٣﴾ تُسَبِّحُ
لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ
كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾ وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ حِجَابًا
مَّسْتُورًا ﴿٤٥﴾ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۚ وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِى ٱلْقُرْءَانِ
وَحْدَهُۥ وَلَّوْا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِمْ نُفُورًا ﴿٤٦﴾ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِۦٓ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰٓ إِذْ
يَقُولُ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٤٧﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا۟ لَكَ ٱلْأَمْثَالَ فَضَلُّوا۟ فَلَا
يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴿٤٨﴾ وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٤٩﴾﴾.

المفردات

«كِلَا» لمُذَكَّرين، مثنًى معنًى اتفاقاً، مفرداً لفظاً عند البصريين على وزن «فِعَل» كـ«مِعًى» فلامُه ألفٌ منقلبةٌ عن واوٍ عند الأكثر، مثنًى لفظاً عند الكوفيين، وتَبِعَهُم السُّهيلي، فألِفُه للتثنية لا أصلٌ، ولامُه لامٌ محذوفةٌ عند السُّهيلي، ولا نَصَّ عن الكوفيين فيها، ويَحتَمِل أن تكون موضوعةً على حرفين على أصلِ مذهبهم، ولا تنفكُّ عن الإضافة، وإنْ أُضيفَ إلى مُظهَرٍ فألِفُه ثابتةٌ مطلقاً في مشهور اللغات، وكِنانة تجعلُه كمشهور المثنّى، أو إلى مُضمَرٍ، فالمشهور قَلْبُ ألِفِه ياءً نصباً وجرًّا، والذي يُضاف إليه مثنًّى أو ما في معناه، وجاء التفريقُ في الشِّعر مضافاً لظاهرٍ، وحفِظَ الكوفيون: كِلايَ وكِلاكَ قاما، ويُستعمل تابعاً توكيداً ومبتدأً، ومنصوباً ومجروراً، ويُخبَرُ عنه إخبارَ المفرد فصيحاً وربَّما وجب، وإخبارَ المثنَّى قليلاً وربَّما وجب.

«أُفٍّ» اسمُ فِعْلٍ بمعنى: أتضجَّر، ولم يأتِ اسمُ فعل بمعنى المضارع إلَّا قليلاً، نحو: أُفٍّ، وأوَّه بمعنى: أتوجَّع، وكان قياسُه أن لا يُبنى؛ لأنَّه لم يقَعْ موقعَ المبنيِّ.

وذَكر الزَّنَاتي في كتاب «الحُلَل» له: إنَّ في «أفّ» لغات تقارب الأربعين ونحن نسردها مضبوطة كما رأيناها، وهي: أُفَ، أُفِ، أُفُ، أفَّ، أُفّ، أفٌ، أُفًّا، أُفٌّ، أُفّ، أفاً، أفٌ، أفٌ، أفْ، أفٌ، أُفٌ، أُفَّى بغير إمالة، أُفّى بالإمالة المحضة، أُفّى بالإمالة بين بين، أُفّي، أُفّوْ، أُفّه، أُفّهْ، أُفّه، فهذا اثنان وعشرون مع الهمزة المضمومة، إفْ، إفٌ، إفِ، إفِ، إفٌ، إفاً، إفٌ، إفُ، إفًّا، إفَّى بالإمالة، إفّيْ، فهذه إحدى عشرة مع الهمزة المكسورة، أفْ أفٌ آفٌ أفٌ آفٌ أَفّي[1]. وذكر ابن عطية[2]: أُفَّاهْ بهاء السكت، وهي تمام الأربعين[3].

النَّهْر: الزَّجر بصياح وإغلاظ. قال العسكري: وأصله الظهور، ومنه النَّهْر والانْتِهار، وأنهَرَ الدَّمَ: أظهرَه وأسالَه. وانتَهَرَ الرجلَ: أظهرَ له الإهانة بقُبحِ الزَّجر والطَّرد. وقال ابنُ عطية: الانتهارُ: إظهار الغضب في الصوت واللفظ. وقال الزمخشري[4]: النَّهْيُ والنَّهْرُ والنَّهْمُ أخوات.

التبذير: الإسراف. قاله أبو عبيدة. يعني في النفقة، وأصلُه التفريق، ومنه سُمِّيَ البذرُ بذراً؛ لأنَّه يُفرَّقُ في المزرعة.

وقال الشاعر:

تَرائبَ يَستضيءُ الحَلْيُ فيها كجَمْرِ النَّارِ بُذِّرَ بالظَّلامِ[5]

ويُروى: بُدِّد، أي: فُرِّقَ.

«المحسور»؛ قال الفرَّاء: تقول العرب: بعيرٌ محسورٌ؛ إذا انقطعَ سَيْرُه، وحسَرَتِ الدابة: سيَّرتها حتى انقطعَ سَيْرُها. ويُقال: حَسير فَعيل بمعنى مفعول، ويُجمَعُ على حَسْرى[6]؛ قال الشاعر:

---

(١) يعني بالإمالة. وقد وقع اختلاف في ضبط هذه اللغات في المصادر. ينظر الدر المصون ٧/ ٣٤١، والصحاح للجوهري وتاج العروس (أفف) وتهذيب اللغة، وغيرها.

(٢) في المحرر الوجيز ٣/ ٤٤٨.

(٣) وثمَّة لغاتٌ أخرى استدركها صاحب «التاج» فأوصل عدد لغاتها إلى الخميسن.

(٤) في الكشاف ٢/ ٤٤٤.

(٥) قائله النابغة الذبياني، وهو في ديوانه ص١١١، والتَّرائب، جمع تريبة: وهي موضع القلادة من الصدر.

(٦) تفسير الرازي ٢٠/ ١٩٥، وقول الفراء في معانيه ٢/ ١٢٢.

بِها جِيَفُ الحَسْرى فأمَّا عِظامُها فَبِيضٌ وأمَّا جِلْدُها فصَليبُ[1]

«القُسطاس» بضم القاف وكسْرِها وبالسين - الأولى - والصاد. قال مؤرِّج السَّدوسي: هي الميزان بلغة الروم[2]، وتأتي أقوالُ المفسِّرين فيه.

«المرَح»: شدَّة الفرح؛ يُقال: مَرِح يمرَحُ مَرَحاً[3].

«الطُّول» ضدُّ القِصَر[4]، ومنه الطُّول خلاف العَرْض[5].

«الحجاب»: ما سترَ الشيء عن الوصول إليه[6].

«الرُّفات»؛ قال الفرَّاء: التُّراب. وقيل: الذي بُولِغَ في دَقِّه حتى تفتَّتَ. ويُقال: رفَتَ الشيء كسرَه يَرفِتُه بالكسر. والرُّفات: الأجزاء المُتفتِّتة من كلِّ شيء مُكَسَّرٍ[7]، وفُعال بناءٌ لهذا المعنى كالحُطام والفُتات والرُّضاض والدُّقاق[8].

* * *

التفسير ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًاۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِى نُفُوسِكُمْۚ إِن تَكُونُواْ صَٰلِحِينَ فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلْأَوَّٰبِينَ غَفُورًا ﴿٢٥﴾﴾.

قرأ الجمهور: «وقضى» فعلاً ماضياً من القضاء.

وقرأ بعضُ ولد معاذ بن جبل: «وقضاءُ ربِّك»[9] مصدر قَضَى مرفوعاً على

---

(١) قائله علقمة الفحل، وهو في ديوانه ص٤٠، وفي الكتاب لسيبويه ١/ ٢٠٩.
(٢) تفسير القرطبي ١٣/ ٧٦.
(٣) تفسير الرازي ٢٠/ ٢١١.
(٤) تفسير القرطبي ٦/ ٢٥٥.
(٥) الصحاح (طول).
(٦) تفسير أبي الليث ٢/ ٢٧٠.
(٧) تفسير الرازي ٢٠/ ٢٢٤، وقول الفراء في معانيه ٢/ ١٢٥.
(٨) تفسير الطبري ١٤/ ٦١٥.
(٩) الكشاف ٢/ ٤٤٢، وهي في زاد المسير ٥/ ٢٢ ونسبها إلى أبي عمران وعاصم الجحدري ومعاذ القارئ.

الابتداء، و«أن لا تعبدوا» الخبر.

وفي مصحف ابن مسعود وأُبيٍّ: «ووصَّى ربُّك»، وهي قراءة ابن مسعود وأصحابِه، وابن عباس، وابن جُبير، والنَّخَعي، وميمون بن مِهْران، من التوصية[١].

وقرأ بعضهم: «وأوصى» من الإيصاء، وينبغي أن يُحمَلَ ذلك على التفسير؛ لأنها قراءةٌ مخالفةٌ لسَواد المصحف[٢]، والمتواتر هو «وقضى» وهو المستفيض عن ابن مسعود وابن عباس وغيرهم في أسانيد القرَّاء السبعة.

«وقضى» هنا قال ابن عباس والحسن وقَتادة: بمعنى أمَرَ[٣]. وقال ابن مسعود وأصحابُه: بمعنى وصَّى. وقيل: أوجب وألزَمَ وحَكَمَ[٤]. وقيل: بمعنى أحْكَمَ[٥].

وقال ابن عطية: وأقول: إنَّ المعنى: وقضى ربُّك أمرَه أن لا تعبدوا إلَّا إيَّاه، وليس في هذه الألفاظ إلا أمرٌ بالاقتصار على عبادة الله، فذلك هو المقضيُّ، لا نَفْسُ العبادة، والمقضيُّ هنا هو الأمر. انتهى. كأنَّه رام أن يترك «قضى» على مشهورِ موضوعِها بمعنى «قدَّر»؛ فجعل مُتعلّقه الأمرَ بالعبادة لا العبادة؛ لأنَّه لا يستقيم أن يقضي شيئاً بمعنى أن يُقدِّر إلَّا ويقع. والذي فهِمَ المفسِّرون غيرَه أنَّ مُتعلَّقَ «قضى» هو «أن لا تعبدوا» وسواء أكانت «أن» تفسيرية أم مصدرية.

وقال أبو البقاء[٦]: ويجوز أن تكون في موضع نصب، أي: ألزمَ ربُّكَ عبادتَه، و«لا» زائدة. انتهى. وهذا وهمٌ؛ لدخول «ألَّا» على مفعول «تعبُدوا» فلزم أن يكون منفيّاً أو منهيّاً، والخطاب بقوله: «لا تعبدوا» عامٌّ للخلق.

وقال ابن عطية: ويَحتَمِل أن يكون «قضى» على مشهورها في الكلام، ويكون

(١) المحرر الوجيز ٣/ ٤٤٧، ورواها الطبري في تفسيره ١٤/ ٥٤٢-٥٤٣ عن ابن مسعود وأبي بن كعب.
(٢) في (ز١) و(يه) و(د١): مخالفة للسواد. والمثبت من باقي النسخ.
(٣) النكت والعيون ٣/ ٢٣٧، وتفسير القرطبي ١٣/ ٥٠، وأخرجه عنهم الطبري ١٤/ ٥٤٢.
(٤) المحرر الوجيز ٣/ ٤٤٧.
(٥) ينظر معجم مقاييس اللغة ٥/ ٩٩.
(٦) في الإملاء ٣/ ٤٧٦.

الضميرُ في «تعبدوا» للمؤمنين من الناس إلى يوم القيامة. انتهى.

قال الحَوْفي: الباء متعلِّقةٌ بـ «قضى»، ويجوز أن تكون متعلِّقةً بفعلٍ محذوفٍ تقديره: «وأوصى بالوالدين إحساناً»، و«إحساناً» مصدر، أي: تُحسِنوا إحساناً.

وقال ابن عطية: قوله: ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ عطفٌ على «أن» الأولى، أي: أمرَ اللهُ أن لا تعبدوا إلَّا إيَّاه، وأن تُحسِنوا بالوالدين إحساناً، وعلى هذا الاحتمال الذي ذكرناه يكون قولُه: ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ مقطوعاً من الأول، كأنَّه أخبرهم بقضاء الله، ثمَّ أمرَهم بالإحسان إلى الوالدين.

وقال الزمخشري: ولا يجوز أن تتعلَّق الباء في «بالوالدين» بالإحسان، لأنَّ المصدر لا تتقدَّم عليه صلتُه.

وقال الواحدي في «البسيط»: الباء في قوله: «بالوالدين» من صلة الإحسان وقُدِّمَتْ عليه، كما تقول: بِزَيدٍ فامْرُرْ. انتهى[1].

و«أحسَنَ» و«أساءَ» يتعدَّى بـ«إلى» وبالباء؛ قال تعالى: ﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِيٓ﴾ [يوسف: ١٠٠]، وقال الشاعر:

أَسِيئِي بنا أو أَحْسِنِي لا ملومةٌ[2]

وكأنه تضمَّن «أحسَنَ» معنى «لَطُفَ» فعُدِّي بالباء[3].

و«إحساناً» إن كان مصدراً ينحَلُّ لِـ«أنْ» والفِعل، فلا يجوز تقديمُ مُتعلِّقه به، وإن كان بمعنى «أحسِنوا» فيكون بدلاً من اللفظ بالفعل، نحو: ضرباً زيداً، فيجوزُ تقديمُ معمولِه عليه، والذي نختاره أن تكون «أنْ» حرفَ تفسيرٍ، و«لا تعبدوا» نهيٌ، و«إحساناً» مصدرٌ بمعنى الأمر، عُطِفَ ما معناه أمرٌ على نهيٍ كما عُطِفَ في:

---

(١) تفسير الرازي ٢٠/ ١٨٦، وما بعده منه، وكلام الزمخشري في الكشاف ٢/ ٤٤٤.

(٢) في (ز١): ملولة. وهي رواية. وقائله كُثيِّر عزَّة، وهو في ديوانه ص٨٠، وإعراب القرآن للنحاس ٢/ ٢٢٠، وهو صدر بيت عجزه:

لدَيْنا ولا مَقْلِيَّةٌ إنْ تقَلَّتِ

(٣) ينظر مغني اللبيب ص١٤٣ و١٤٤.

يـقـولـونَ لا تـهـلِـكْ أسًـى وتَـجَـمَّـلِ[(١)]

وقد اعتُني بالأمر بالإحسان إلى الوالدين حيث قرنَ بقوله: «لا تعبدوا» وبتقديمهما ـ اعتناءً بهما ـ على قوله: «إحساناً»، ومناسبةُ اقترانِ برِّ الوالدين بإفراد اللهِ بالعبادة من حيثُ إنَّه تعالى هو المُوجدُ حقيقةً والوالدانِ وساطةٌ في إنشائه، وهو تعالى المنعم بإيجادِه ورزقه، وهما ساعيان في مصالحه.

وقال الزمخشري[(٢)]: «إمَّا» هي الشرطية، زِيدَتْ عليها «ما» توكيداً لها؛ ولذلك دخلتِ النونُ المؤكِّدةُ في الفعل، ولو أُفرِدَتْ [إنْ] لم يصِحَّ دخولُها، لا تقولُ: إنْ تُكرِمَنَّ زيداً يُكْرِمْكَ، ولكن: إمَّا تُكرِمَنَّه. انتهى.

وهذا الذي ذكره مُخالِفٌ لمذهب سيبويه؛ لأنَّ مذهبَه أنَّه يجوز أن يجمع بين «إمَّا» ونون التوكيد، وأن يأتيَ بـ «أن» وحدَها ونون التوكيد، وأن يأتي بـ «إمَّا» وحدَها دون نون التوكيد. وقال سيبويه[(٣)] في هذه المسألة: وإن شئتَ لم تُقحمِ النونَ كما أنَّك إنْ شئتَ لم تَجِئْ بـ «ما» يعني مع النون وعدمها.

و«عندَك» ظرفٌ معمولٌ لـ «يبلُغَنَّ»، ومعنى العِندية هنا أنَّهما يكونان عنده في بيته وفي كَنَفِه لا كافلَ لهما غيرُه؛ لكِبَرِهما وعجزِهما وكونِهما كَلًّا عليه.

و«أحدهما» فاعل «يبلُغَنَّ»، و«أو كِلاهما» معطوفٌ على «أحدهما»[(٤)].

وقرأ الجمهور: «يبلُغَنَّ» بنون التوكيد الشديدة والفعل مسنَدٌ إلى أحدهما، ورُوي عن ابن ذكوان بالنون الخفيفة. وقرأ الأخوان: «إمَّا يبْلُغانِّ» بألف التثنية ونون التوكيد المشدَّدة، وهي قراءة السُّلمي وابن وَثَّاب وطلحة والأعمش والجَحْدري[(٥)].

---

(١) قائله امرؤ القيس، وهو في ديوانه ص٩، وقد تقدم عند تفسير الآية (١٥١) من سورة الأنعام، وهو عجز بيت صدره:

وُقـوفـاً بـهـا صَـحْـبـي عَـلَـيَّ مَـطِـيَّـهُـمْ

(٢) في الكشاف ٢/ ٤٤٤، وما بين حاصرتين الآتي منه.

(٣) في الكتاب ٣/ ٥١٥.

(٤) الكشاف ٢/ ٤٤٤.

(٥) المحرر الوجيز ٣/ ٤٤٨، وقراءة ابن ذكوان المشهورة عنه «يَبْلُغَنَّ» كقراءة الجمهور، وأما قراءة الأخوين حمزة والكسائي فهي في السبعة ص٣٧٩، والتيسير ص١٣٩، وهي قراءة خلف من العشرة كما في النشر ٢/ ٣٠٦.

فقيل: الألف علامةُ تثنية لا ضميرٌ على لغة: أكلوني البراغيث، و«أحدهما» فاعل، و«أو كلاهما» عطفٌ عليه، وهذا لا يجوز؛ لأنَّ شرطَ الفاعل في الفعل الذي لحِقَتْه علامةُ التثنية أن يكون مسنداً لِمُثنّى أو مُفَرَّقاً بالعطف بالواو، نحو: قاما أخواك، أو قاما زيدٌ وعمرٌو، على خلافٍ في هذا الأخير هل يجوز أو لا يجوز، والصحيحُ جوازُه، و«أحدهما» ليس مثنًّى ولا هو مُفرَّقٌ بالعطف بالواو مع مفرد.

وقيل: الألف ضميرُ «الوالدين» و«أحدهما» بدلٌ من الضمير، و«كلاهما» عطفٌ على «أحدهما» والمعطوف على البدل بدل[1].

وقال الزمخشريّ[2]: فإنْ قلتَ: لو قيل: «إمَّا يبلُغانِّ كلاهما» كان «كلاهما» توكيداً لا بدلاً، فمالَكَ زعمتَ أنَّه بدل؟ قلت: لأنَّه معطوفٌ على ما لا يصِحُّ أن يكون توكيداً للاثنين، فانتظم في حكمه، فوجب أن يكونَ مثلَه.

فإنْ قلتَ: ما ضرَّكَ لو جعلتَه توكيداً مع كونِ المعطوف عليه بدلاً وعطفتَ التوكيدَ على البدل؟ قلت: لو أُريد توكيدُ التثنية لقيل: «كلاهما» فحَسْب، فلمَّا قيل: «أحدهما أو كلاهما» عُلِمَ أنَّ التوكيدَ غيرُ مُرادٍ، فكان بدلاً مثلَ الأول.

وقال ابن عطية: وعلى هذه القراءة الثالثة ـ يعني: «يبلغانِّ» ـ يكون قوله: «أحدهما» بدلاً من الضمير في «يبلغانّ» وهو بدلٌ مُقَسَّم، كقول الشاعر:

وكنتُ كَذي رِجْلَينِ رِجْلٍ صحيحةٍ ورِجْلٍ رَمى فيها الزَّمانُ فشَلَّتِ[3]

انتهى.

ويلزم من قوله أن يكون «كلاهما» معطوفاً على «أحدهما» وهو بدل، والمعطوف على البدل بدل، والبدلُ مُشكِلٌ؛ لأنَّه يلزم منه أن يكون المعطوفُ عليه بدلاً، وإذا جعلتَ «أحدهما» بدلاً من الضمير فلا يكونُ إلَّا بدلَ بعضٍ من كلٍّ، وإذا

(١) ينظر مغني اللبيب ص٤٨١.
(٢) في الكشاف ٢/ ٤٤٤.
(٣) البيت لكُثيِّر عزَّة، وهو في ديوانه ص٧٨، والكتاب لسيبويه ١/ ٤٣٣، والكلام في المحرر الوجيز ٣/ ٤٤٨.

عطفتَ عليه «كلاهما» فلا جائز أن يكون بدلَ بعضٍ من كلٍّ؛ لأنَّ «كلاهما» مرادفٌ للضمير من حيث التثنية، فلا يكون بدلَ بعضٍ من كلٍّ، ولا جائز أن يكون بدلَ كلٍّ من كلٍّ؛ لأنَّ المستفادَ من الضمير التثنية، وهو المستفاد من «كلاهما» فلم يُفِدِ البدلُ زيادةً على المُبدَلِ منه، وأمَّا قولُ ابنِ عطية: وهو بدلٌ مُقسِّم، كقول الشاعر: وكنتُ كذي رجلين. . . البيت، فليس من بدل التقسيم؛ لأنَّ شرطَ ذلك العطفُ بالواو، وأيضاً فالبدلُ المُقسِّم لا يَصدُقُ المُبدَلُ فيه على أحدِ قِسميه، و«كلاهما» يَصدُقُ عليه الضمير وهو المُبدَلُ منه، فليس من البدلِ المُقسِّم. ونُقل عن أبي علي أنَّ «كلاهما» توكيد[١]، وهذا لا يتمُّ إلَّا بأن يُعرَبَ «أحدهما» بدلَ بعضٍ من كلٍّ، ويُضمَرَ بعدَه فعلٌ رافعٌ الضمير، ويكون «كلاهما» توكيداً لذلك الضمير، والتقدير: أو يبلغا كلاهما، وفيه حذفُ المؤكَّد، وقد أجازه سيبويه والخليل؛ قال: مررتُ بزيدٍ وإيَّايَ أخوهُ أنفسهما، بالرفع والنصب؛ الرفع على تقدير: هما صاحباي أنفسُهما، والنصب على تقدير: أعينَهما أنفسَهما، إلَّا أن المنقول عن أبي علي وابن جِنِّي والأخفش قبلَهما أنَّه لا يجوزُ حذفُ المؤكَّد وإقامةُ المؤكِّد مقامَه[٢]. والذي نختاره أن يكون: «أحدهما» بدلاً من الضمير، و«كلاهما» مرفوع بفعلٍ محذوفٍ تقديره: أو يبلغ «كلاهما» فيكون من عطف الجُمل لا من عطف المفردات، وصار المعنى: أن يبلغَ أحدُ الوالدين، أو يبلغَ كلاهما عندَكَ الكِبَرَ، وجواب الشرط: «فلا تقُلْ لهما أُفٍّ».

وتقدَّم مدلولُ لفظِ «أُفٍّ» في المفردات واللغات التي فيها، وإذا كان قد نُهي أن يستقبِلهما بهذه اللفظة الدالَّةِ على الضجر والتبرُّم بهما، فالنهيُ عمَّا هو أشدُّ - كالشَّتم والضربِ - هو بجهةِ الأولى، وليست دِلالةُ «أُفٍّ» على أنواع الإيذاء دلالةً لفظيَّةً خلافاً لمن ذهب إلى ذلك[٣].

وقال ابن عباس: «أُفٍّ» كلمةُ كراهةٍ[٤].

(١) إملاء ما منَّ به الرحمن ص٩٠.
(٢) ينظر الكتاب لسيبويه ٢/ ٦٠، والخصائص لابن جني ٢/ ٣٧٩.
(٣) ينظر تفسير الرازي ٢٠/ ١٨٩.
(٤) مجمع البيان ٢٥/ ٣٧.

بالَغَ تعالى في الوصية بالوالدين واستعمال وَطاءَةِ الخُلُقِ ولِينِ الجانبِ والاحتمالِ حتى لا نقول لهما عند الضجر هذه الكلمة فضلاً عما يزيد عليها[١].

قال القرطبي[٢]: قال علماؤنا: وإنَّما صار قولُ «أُفّ» للوالدين أردأ شيءٍ؛ لأنَّه رفضَهما رفْضَ كُفرِ النِّعمة، وجحدِ التربية، وردِّ وصيةِ الله. و«أفّ» كلمةٌ مقولةٌ[٣] لكلِّ شيءٍ مرفوضٍ؛ ولذلك قال إبراهيم عليه السلام: ﴿أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ [الأنبياء: ٦٧] أي: رَفْضٌ لكم ولهذه الأصنام معكم. انتهى.

وقرأ الحسن، والأعرج، وأبو جعفر، وشيبة، وعيسى، ونافع، وحفص[٤]: «أُفٍّ» بالكسر والتشديد والتنوين. وقرأ أبو عمرو، وحمزة، والكسائي، وأبو بكر كذلك بغير تنوين. وقرأ ابن كثير وابن عامر بفتحها مشدَّدةً من غير تنوين. وحكى هارون قراءةً بالرفع والتنوين. وقرأ أبو السَّمَّال: «أُفُّ» بضم الفاء من غير تنوين. وقرأ زيد بن علي: «أُفًّا» بالنَّصب والتَّشديد والتَّنوين. وقرأ ابن عباس: «أُفْ» خفيفة، فهذه سبع قراءات من اللغات التي حُكيت في «أُف»[٥].

وقال مجاهد: إنَّ معناه: إذا رأيتَ منهما في حال الشَّيخ الغائطَ والبولَ اللَّذين رَأَيا منكَ في حال الصِّغر فلا تَقْذَرْهُما وتقول: أُف. انتهى. والآية أعَمُّ من ذلك[٦].

ولمَّا نهاه تعالى أن يقولَ لهما ما مدلولُه: أتضَجَّرُ منكما، ارتقى إلى النهي عمَّا هو من حيثُ الوضعُ أشدُّ من «أُف» وهو نهرُهما، وإنْ كان النهيُ عن نهرِهما يدلُّ عليه النهيُ عن قول: «أُف»، لأنَّه إذا نهى عن الأدنى كان ذلك نهياً عن الأعلى

(١) الكشاف ٢/ ٤٤٤.
(٢) في تفسيره ١٣/ ٥٩.
(٣) المثبت من (ز١) و(يه) و(د١)، وتحرفت في باقي النسخ والمطبوع إلى: منقولة.
(٤) في المحرر الوجيز ٣/ ٤٤٨: وعيسى، وهذا الكلام وما بعده منه.
(٥) هذه القراءات الثلاثُ الأولى منها متواترة، وقراءة ابن كثير وابن عامر «أُفَّ» هي قراءة يعقوب من العشرة. ينظر السبعة ص٣٧٩، والتيسير ص١٣٩، والنشر ٢/ ٣٠٦-٣٠٧. وأما بقية القراءات فهي شاذة. ينظر القراءات الشاذة ص٧٦، والمحتسب ٢/ ١٨، وزاد المسير ٥/ ٢٣.
(٦) المحرر الوجيز ٣/ ٤٤٨، وتفسير القرطبي ١٣/ ٥٧، وأخرجه الطبري ١٤/ ٥٤٥.

بجهة الأولى. والمعنى: ولا تزجُرْهما عمَّا يتعاطيانه ممَّا لا يعجبك، وقل لهما بدلَ قول «أُف» ونهرِهما «قولاً كريماً»[١]. أي: جامعاً للمحاسن من البِرِّ وجودة اللفظ.

قال ابن المسيّب: قولُ العبدِ المذنبِ للسيِّد الفظِّ[٢]. وقيل: «قولاً كريماً» أي: جميلاً كما يقتضيه حسنُ الأدب. وقال عمر: أن تقول: يا أبتاه يا أمَّاه. انتهى. كما خاطب إبراهيمُ لأبيه: «يا أبتِ» مع كفرِه، ولا تدعوهُما بأسمائهما؛ لأنَّه من الجفاء وسوء الأدب، ولا بأس به في غير وجهه كما قالت عائشة: نحَلني أبو بكر كذا[٣].

ولمَّا نهاه تعالى عن القول المؤذي ـ وكان لا يستلزم ذلك الأمر بالقول الطيب ـ أمرَه تعالى بأنْ يقول لهما القولَ الطيِّبَ السارَّ الحسنَ، وأن يكون قولُه دالًّا على التعظيم لهما والتبجيل. وقال عطاء: تتكلَّم معهما بشرط أن لا ترفع إليهما بصَرَك، ولا تشدَّ إليهما نظَرَك؛ لأنَّ ذلك يُنافي القول الكريم[٤]. وقال الزجَّاج: قولاً سهلاً سلِساً لا شراسةَ فيه.

ثم أمرَه تعالى بالمبالغة في التواضع معهما بقوله: ﴿وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ﴾ وقال القَفّال: في تقريره وجهان: أحدهما: أنَّ الطائرَ إذا ضَمَّ فرخَه إليه للتربية خفضَ له جناحَه، فخَفْضُ الجناحِ كنايةٌ عن حُسن التربية[٥]، وكأنَّه قيل للولد: اكفلْ والدَيكَ بأنْ تضُمَّهما إلى نفسك كما فعلا ذلك بكَ حالَ صِغَرِك. الثاني: أنَّ الطائر إذا أراد الطيرانَ والارتفاعَ نشرَ جناحَه، وإذا أراد تَرْكَ الطيرانِ وتَرْكَ الارتفاعِ خفَضَ جناحَه، فصار خَفْضُ الجناحِ كنايةً عن فعلِ التواضع من هذا الوجه.

(١) من قوله: والمعنى... إلى هنا من الكشاف ٢/ ٤٤٤-٤٤٥.

(٢) أخرجه الطبري ١٤/٥٤٩، وهو في تفسير البغوي ٣/ ١١٠، والكشاف ٢/ ٤٤٥، والمحرر الوجيز ٣/ ٤٤٨، وتفسير الرازي ٢٠/ ١٩٠.

(٣) الكشاف ٢/ ٤٤٥. وقول عمر في تفسير الرازي ٢٠/ ١٩٠، لكن عزاه البغوي ٣/ ١١٠ إلى مجاهد. وقول عائشة عزاه الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف ٢/ ٢٦٣ إلى موطأ مالك. قلت: هو في الموطأ ٢/ ٧٥٢ بغير هذا اللفظ.

(٤) تفسير الرازي ٢٠/ ١٩٠.

(٥) تصحفت في جميع النسخ والمطبوع إلى: التدبير، والمثبت من تفسير الرازي ٢٠/ ١٩١ ـ والكلام منه ـ ومن اللباب لابن عادل ١٢/ ٢٥٩.

وقال ابن عطية(١): استعارة، أي: أقطِعْهما جانبَ الذُّلِّ منك، ودمِّثْ لهما نفسَكَ وخُلقَكَ. وبُولِغَ بذكر الذُّلِّ هنا، ولم يُذكَرْ في قوله: ﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٥] وذلك بسبب عِظَمِ الحقِّ. انتهى. وبسبب شرف المأمور فإنه لا تناسِبُ نسبةُ الذلِّ إليه.

وقال الزمخشري(٢): فإنْ قلتَ: ما معنى «جناح الذُّلّ»؟ قلت: فيه وجهان: أحدهما: أن يكون المعنى: واخفِضْ لهما جناحَك، كما قال: ﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ فأضافه إلى الذُّلِّ أو الذِّلِّ، كما أُضيف حاتمٌ إلى الجود على معنى: واخفِضْ لهما جناحَكَ الذَّليلَ أو الذَّلولَ. والثاني: أن يجعل لذُلِّه أو لذِلِّه جناحاً خفيضاً، كما جعل لبيدٌ(٣) للشِّمال يداً وللقَرَّةِ زماماً مبالغةً في التذلُّل والتواضع لهما. انتهى.

والمعنى: أنَّه جعل اللِّين ذلّاً، واستعارَ له جناحاً، ثم رُشِّحَ هذا المجازُ بأن أمرَ بخَفْضِه، وحُكِي أنَّ أبا تمَّام لمَّا نظَمَ قولَه:

لا تَسْقِني ماءَ المَلامِ فإنَّني ... صَبٌّ قَدِ استعذَبْتُ ماءَ بُكائيا

جاءه رجلٌ بقَصعةٍ وقال له: أعطِني شيئاً من ماءِ المَلام، فقال له: حتَّى تأتيَني بريشةٍ من جناح الذُّلِّ(٤).

وجناحا الإنسان: جانباه، فالمعنى: واخفِضْ لهما جانِبَك ولا ترفَعْه فِعْلَ المتكبِّر عليهما.

وقال بعض المتأخِّرين فأحسَنَ:

أَراشوا جناحِي ثم بَلُّوه بالنَّدى ... فلم أستطِعْ مِنْ أرضِهِمْ طَيَرانا(٥)

---

(١) في المحرر الوجيز ٣/ ٤٤٩.
(٢) في الكشاف ٢/ ٤٤٥.
(٣) البيت في ديوانه ص٣١٥:
وغَداةِ ريحٍ قَدْ كَشَفْتُ وقَرَّةٍ ... إذ أصبحَتْ بيد الشَّمالِ زِمامُها
(٤) المثل السائر ١/ ٤١٨، والبيت في ديوان أبي تمام ١/ ٢٢.
(٥) نسبه صاحب نفح الطيب ٣/ ١٩٩، وصاحب خزانة الأدب وغاية الأرب ص٢١٥ لابن اللبانة.

وقرأ الجمهور: «من الذُّلِّ» بضمِّ الذال. وقرأ ابنُ عباس، وعروة، وابنُ جُبير، والجَحْدري، وابن وثَّاب بكسر الذال، وذلك على الاستعارة في الناس؛ لأنَّ ذلك يُستعمل في الدوابِّ في ضدِّ الصُّعوبة[1]، كما أنَّ الذُّلَّ بالضمِّ في ضِدِّ العِزِّ من الناس[2].

و«من» الظاهرُ أنَّها للسَّبب، أي: الحاملُ لك على خفْضِ الجناح هو رحمتُك لهما؛ إذ صارا مفتقِرَينِ لكَ حالةَ الكِبَرِ كما كنتَ مفتقراً إليهما حالةَ الصِّغَر.

قال أبو البقاء: «من الرحمة» أي: من أجلِ رفقِكَ بهما فـ «من» متعلِّقة بـ «اخفِضْ»، ويجوز أن تكون حالاً من «جناح».

وقال ابن عطية: «من الرحمة» هنا لبيان الجنس، أي: إنَّ هذا الخَفْضَ يكون من الرحمة المستكنَّة في النفس، لا بأن يكون ذلك استعمالاً، ويصحُّ أن يكون ذلك لابتداءِ الغاية. انتهى.

ثم أمره تعالى بأن يدعوَ الله لهما بأن يرحمَهما رحمتَه الباقية، إذ رحمتُه عليهما لا بقاءَ لها.

ثم نبَّه على العلَّةِ الموجبةِ للإحسانِ إليهما والبِرِّ بهما واسترحامِ اللهَ لهما، وهي تربيتُهما له صغيراً، وتلك الحالة ممَّا تزيدُه إشفاقاً ورحمةً لهما، إذ هي تذكيرٌ بحالة إحسانِهما إليه وقتَ أن لا يقدر على الإحسان لنفسه.

وقال قتادة: نسخَ اللهُ من هذه الآيةِ هذا اللفظَ، يعني: ﴿وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا﴾ بقوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ﴾ [التوبة: ١١٣]. وقيل: هي مخصوصةٌ في حقِّ المشركين. وقيل: لا نسخَ ولا تخصيصَ؛ لأنَّ له أنْ يدعوَ الله لوالديه الكافِرَين بالهداية والإرشاد، وأن يطلبَ الرحمةَ لهما بعد حصول الإيمان[3].

---

(١) المحرر الوجيز ٣/ ٤٤٩، وقراءة «الذِّلّ» ـ بكسر الذال ـ في الشاذة ص٧٦.

(٢) إملاء ما منَّ به الرحمن ص٩٠.

(٣) تفسير الرازي ٢٠/ ١٩١، وقول قتادة أخرجه أبو جعفر النحاس في الناسخ والمنسوخ (٦٤٤)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٤/ ١٧١ إليه وإلى ابن المنذر، وابن الأنباري في المصاحف.

والظاهر أنَّ الكاف في «كما» للتعليل، أي: ربِّ ارحَمْهما لتربيتِهما لي وجزاءً على إحسانهما إليَّ حالةَ الصِّغَر والافتقار.

وقال الحَوْفي: الكاف في موضع نصب نعت لمصدرٍ محذوفٍ تقديره: رحمةً مثلَ تربيتي صغيراً.

وقال أبو البقاء[(١)]: «كما» نعتٌ لمصدرٍ محذوفٍ، أي: رحمةً مثلَ رحمتِهما.

وسرَدَ الزمخشريُّ[(٢)] وغيرُه[(٣)] أحاديثَ وآثاراً كثيرةً في برِّ الوالدين يُوقَفُ عليها في كتبهم.

ولمَّا نهى تعالى عن عبادةِ غيرِه وأمرَ بالإحسان إلى الوالدين ولاسيَّما عند الكِبَر، وكأنَّ الإنسانَ ربما تظاهرَ بعبادةٍ وإحسانٍ إلى والديه دون عقدِ ضميرٍ على ذلك رياءً وسمعةً = أخبر تعالى أنَّه أعلمُ بما انطوَتْ عليه الضمائرُ من دون قصدِ عبادةِ اللهِ والبرِّ بالوالدين، ثم قال: ﴿إِن تَكُونُوا۟ صَٰلِحِينَ﴾ أي: ذوي صلاح، ثم فرَطَ منكم تقصيرٌ في عبادةٍ أو برٍّ، وأُبْتُم إلى الخير، فإنَّه غفورٌ لما فَرَط من هَنَاتكم. والظاهرُ أنَّ هذا عامٌّ لكلِّ مَنْ فَرَطَتْ منه جنايةٌ ثم تاب منها، ويندرج فيه مَنْ جنى على أبويه ثم تاب من جنايته. وقال ابنُ جُبير: هي في البادرة[(٤)] تكون من الرجل إلى أبيه لا يريد بذلك إلَّا الخير[(٥)].

﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓا۟ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴿٢٧﴾ وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ٱبْتِغَآءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا ﴿٢٨﴾ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ

(١) في الإملاء ص٩٠.
(٢) في الكشاف ٢/ ٤٤٥.
(٣) وينظر تفسير القرطبي ١٣/ ٦٠-٦٢.
(٤) المثبت من (ز١) و(يه) و(د١)، وهو الموافق لما في المصادر، وتحرفت في باقي النسخ إلى: المبارزة.
(٥) الكشاف ٢/٤٤٦ بنحوه مع تقديم وتأخير. وقول سعيد بن جبير أخرجه الطبري ٤/٥٥٦، وهو في تفسير القرطبي ١٣/ ٦٣.

﴿فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿٣٠﴾﴾.

لمَّا أمر تعالى ببرِّ الوالدين أمر بصلة القرابة؛ قال الحسن: نزلت في قرابة الرسول ﷺ، والظاهر أنَّه خطابٌ لمن خُوطِبَ بقوله: ﴿إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ﴾ والحقَ هنا ما يتعيَّن له من صلة الرَّحِم وسَدِّ الخَلَّةِ والمواساةِ عند الحاجة بالمال والمعونة بكلِّ وجه. قال نحوه ابنُ عباس وعكرمةُ والحسنُ وغيرُهم. وقال عليُّ بن الحسين فيها: هم قرابة الرسول عليه السلام؛ أمر بإعطائهم حقوقَهم من بيت المال[١].

والظاهرُ أنَّ «الحقَّ» هنا مُجمَلٌ، وأنَّ «ذا القربى» عامٌّ في ذي القرابة، فيرجع في تعيين الحقِّ وفي تخصيص ذي القرابة إلى السُّنَّة.

وعن أبي حنيفة أنَّ القَرابة إذا كانوا محارِمَ فقراءَ عاجزينَ عن التكسُّب وهو مُوسِرٌ حقُّهم أن يُنفِقَ عليهم، وعند الشافعيِّ يُنفِقُ على الولد والوالدين فحسب على ما تقرَّر في كتب الفقه.

ونهى تعالى عن التبذير، وكانت الجاهليةُ تنحرُ إبِلَها وتتياسرُ عليها وتُبذِّرُ أموالَها في الفخر والسُّمعة، وتذكر ذلك في أشعارها، فنهى اللهُ تعالى عن النفقةِ في غير وجوه البرِّ وما يُقَرِّب منه تعالى[٢]. وعن ابن مسعود وابن عباس: التبذيرُ: إنفاقُ المالِ في غير حقٍّ[٣]. وقال مجاهد: لو أنفقَ مالَه كلَّه في حقٍّ ما كان مُبذِّراً. وذكر الماوردي أنَّه الإسرافُ المُتلِفُ للمال[٤].

---

(١) المحرر الوجيز ٣/ ٤٤٩-٤٥٠. وقول علي بن الحسين أخرجه بمعناه الطبري في تفسيره ١٤/ ٥٦٣.

(٢) الكشاف ٢/ ٤٤٦، وما قبله وما بعده منه.

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة ٩/ ٩٥، والبخاري في الأدب المفرد (٤٤٤)، والطبري ١٤/ ٥٦٥-٥٦٧ عن ابن مسعود ﷺ، وأخرجه البخاري في الأدب المفرد (٤٤٥)، والطبري ١٤/ ٥٦٧ عن ابن عباس ﷺ.

(٤) زاد المسير ٥/ ٢٨، وقول مجاهد منه أيضاً، وهو ـ أيضاً ـ في مجمع البيان ١٥/ ٤٠.

وقد احتُجَّ بهذه الآية على الحَجْر على المبذِّر، فيجب على الإمام منعُه منه بالحَجْر والحيلولة بينه وبين ماله إلَّا بمقدارِ نفقةِ مثلِهِ، وأبو حنيفة لا يرى الحَجْرَ للتبذير وإن كان منهيًّا عنه[1]. وقال القرطبي[2]: يُحجَر عليه إنْ بذَلَه في الشهوات وخِيفَ عليه النَّفاد، فإنْ أنفقَ وحفِظَ الأصلَ فليس بمبذِّرٍ.

وأُخوَّةُ الشياطين كونُهم قرناءهم في الدنيا وفي النار في الآخرة[3]. وتدلُّ هذه الأخوَّة على أنَّ التبذير هو في معصية الله أو كونهم يطيعونهم فيما يأمرونهم به من الإسراف في الدنيا[4].

وقرأ الحسن، والضحاك: «إخوان الشيطان» على الإفراد، وكذا ثبت في مصحف أنس، وذكرَ كفرَ الشيطان لربِّه ليُحذَرَ ولا يُطاع[5]؛ لأنَّه لا يدعو إلى خير، كما قال: ﴿إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [فاطر: ٦].

﴿وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ﴾ قيل: نزلت في ناسٍ من مُزَينة استحملوا الرسولَ فقال: لا أجدُ ما أحمِلُكم عليه، فبَكَوا. وقيل: في بلالٍ وصهيبٍ وسالمٍ وخبَّابٍ سألوه ما لا يجِدُ، فأعرضَ عنهم[6].

ورُوِيَ أنَّه عليه السلام كان بعد نزولِ هذه الآية إذا لم يكن عنده ما يُعطي وسُئِلَ قال: «يرزقُنا اللهُ وإيَّاكم من فضله»، فالرحمةُ على هذا: الرِزقُ المُنتَظَر. وهو قول ابن عباس ومجاهد وعكرمة. وقال ابن زيد: الرحمةُ: الأجرُ والثواب. وإنَّما نزلَتِ الآيةُ في قومٍ كانوا يسألون رسول الله ﷺ فيأبى أن يُعطيَهم؛ لأنَّه كان يعلم منهم نفقةَ المال في فساد، فكان يُعرِضُ عنهم رغبةً في الأجر في مَنْعِهم لئلَّا يُعينَهم على

(١) أحكام القرآن للجصاص ٣/ ١٩٨.
(٢) في تفسيره ١٣/ ٦٥.
(٣) تفسير الرازي ٢٠/ ١٩٤ بنحوه.
(٤) زاد المسير ٥/ ٢٨ بنحوه.
(٥) المحرر الوجيز ٣/ ٤٥٠، والقراءة عن الحسن ذكرها الزمخشري في كشافه ٢/ ٤٤٦، وهي في الشاذة ص٧٦.
(٦) زاد المسير ٥/ ٢٨-٢٩، ونسب القول الأول إلى عطاء الخراساني، والقول الثاني إلى مقاتل.

فسادهم، فأمره الله تعالى أن يقول لهم قولاً ميسوراً يتضمَّنُ الدعاءَ في الفتح لهم والإصلاح. انتهى من كلام ابن عطية[١].

وقال الزمخشري[٢]: وإنْ أعرضتَ عن ذي القربى والمسكينِ وابنِ السبيل حياءً من الردِّ فقل لهم قولاً ميسوراً، ولا تترُكْهم غيرَ مُجابينَ إذا سألوك، وكان رسولُ الله ﷺ إذا سُئِلَ شيئاً وليس عنده أعرَضَ عن السائل وسكت حياءً. ويجوزُ أن يكون معنى «وإمَّا تعرضَنَّ عنهم»: وإن لم تنفَعْهم وترفَعْ خصاصتَهم لعدم الاستطاعة، ولا يُريد الإعراضَ بالوجه؛ كنايةً بالإعراض عن ذلك؛ لأنَّ مَنْ أبى أن يُعطيَ أعرضَ بوجهه. انتهى.

والذي يظهر أنَّه تعالى لمَّا أمرَ بإيتاءِ ذي القُربى حقَّه، ومَنْ ذُكِرَ معه، ونهاه عن التبذير، قال: وإن يكُنْ منك إعراضٌ عنهم، فالضميرُ عائدٌ عليهم، وعلَّل الإعراض بطلب الرحمة، وهي كنايةٌ عن الرزق والتوسعة، وطلَبُ ذلك ناشئٌ عن فقدان ما يجود به ويؤتيه من سأله، وكأنَّ المعنى: وإنْ تُعرِضْ عنهم لإعسارك، فوضع المُسبَّب ـ وهو ابتغاء الرحمة ـ موضعَ السَّبب وهو الإعسار.

وأجاز الزمخشري أن يكون «ابتغاء رحمةٍ من ربك» علةً لجواب الشرط، فهو يتعلَّق به وقُدِّم عليه، أي: فقُلْ لهم قولاً سهلاً ليِّناً، وعِدْهم وعداً جميلاً، رحمةً لهم، وتطييباً لقلوبهم ابتغاءَ رحمةٍ من ربِّك، أي: ابتغِ رحمةَ الله التي ترجوها برحمتِك عليهم. انتهى.

وما أجازه لا يجوز؛ لأنَّ ما بعد فاء الجواب لا يعمل فيما قبله، لا يجوز في قولك: إنْ يقُمْ فاضرِبْ خالداً، أن تقول: إنْ يقُمْ خالداً فاضرِبْ. وهذا منصوصٌ عليه، فإنْ حذفتَ الفاء في مِثل: إنْ يقُمْ يضرِبْ خالداً، فمذهب سيبويه والكسائي الجواز، فتقول: إنْ يقُمْ خالداً نضرِبْ. ومذهبُ الفرَّاء المنعُ، فإن كان معمولُ

---

(١) في المحرر الوجيز ٣/ ٤٥٠، والحديث أورده الديلمي في مسنده الفردوس ١/ ٣٢٢ من حديث عائشة ﵂، و٥/ ٢٦ من حديث أنس ﵁.

(٢) في الكشاف ٢/ ٤٤٧، والحديث الآتي أخرجه أحمد (١٣٩٧٥)، وابن حبان (٤٨٣٦)، والحاكم ٣/ ٣٥٣ من حديث أنس بن مالك ﵁، بلفظ: كان رسول الله ﷺ لا يُسألُ شيئاً إلا أعطاه أو سكت.

الفعل مرفوعاً نحوَ: إنْ تفعَلْ يفعَلْ زيدٌ، فلا يجوز تقديمُ زيدٍ على أن يكون مرفوعاً بـ «يفعل» هذا، وأجاز سيبويه أن يكون مرفوعاً بفعلٍ يُفسِّره «يفعل» كأنَّك قلت: إنْ تفعَلْ يفعَلْ زيدٌ يفعل، ومنع ذلك الكسائي والفرَّاء.

وقال ابن جُبير: الضميرُ في «عنهم» عائدٌ على المشركين، والمعنى: وإمَّا تُعرِضَنَّ عنهم لتكذيبهم إيَّاك ابتغاءَ رحمةٍ، أي: نصرٍ لك عليهم أو هدايةٍ من الله لهم، وعلى هذا القول «الميسور»: المداراة لهم باللسان. قاله أبو سليمان الدمشقي[١].

ويَسَرَ يكون لازماً ومتعدِّياً، فميسور من المتعدِّي، تقول: يسَّرْتُ لك كذا: إذا أعدَدْتُه[٢].

قال الزمخشري[٣]: يُقال: يُسِرَ الأمرُ وعُسِرَ، مثل: سُعِدَ ونُحِسَ، فهو مفعول. انتهى.

ولمعنى هذه الآية أشار الشاعر في القصيدة التي تُسمَّى باليتيمة في قوله:

لـيـكُـنْ لـديـكَ لـسـائـلٍ فـرَجٌ إنْ لـم يـكُـنْ فـلْـيَـحْـسُـنِ الـرَّدُّ[٤]

وقال آخر:

إنْ لـم يـكُـنْ وَرِقٌ يـومـاً أجـودُ بـهِ لـلـسـائـلـيـن فـإنِّـي لَـيِّـنُ الـعُـودِ
لا يَعْدَمُ السائلونَ الخيرَ من خُلُقي إمَّـا نـوالـي وإمَّـا حُـسْـنُ مَـردودي[٥]

﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ﴾ الآية. قيل: نزلَتْ في إعطائه ﷺ قميصَه ولم يكن له غيرُه، وبقي عُرياناً. وقيل: أعطى الأقرع بن حابس مئةً من الإبل وعُيينةَ مثلَ ذلك، والعباسَ بنَ مِرْداس خمسين، ثم كمَّلها مئة، فنزلت[٦].

---

(١) زاد المسير ٥/ ٢٨-٢٩.
(٢) المحرر الوجيز ٣/ ٤٥٠.
(٣) في الكشاف ٢/ ٤٤٧.
(٤) قائله أبو الشِّيص الخزاعي، وهو في ديوانه ص٨٩.
(٥) ذكرهما القرطبي في تفسيره ١٣/ ٦٧، وهما في الكامل للمبرِّد ٣/ ١٠٧٢ من دون نسبة.
(٦) الكشاف ٢/ ٤٤٧ بنحوه، والقول الأول أخرجه الواحدي في أسباب النزول ص٢٩٤ من حديثي ابن مسعود وجابر بن عبد الله، وأوردهما ابن الجوزي في زاد المسير ٥/ ٢٩-٣٠.

وهذه استعارةٌ استُعير فيها المحسوس للمعقول، وذلك أنَّ البُخلَ معنًى قائمٌ بالإنسان يمنعُه من التصرُّف في ماله، فاستُعيرَ له الغِلُّ الذي هو[١] ضمُّ اليدِ إلى العنق، فامتنع من تصرُّف يدِه وإجالتِها حيث تريد، وذكَرَ اليَد لأنَّ بها الأخذَ والإعطاء.

واستُعير بسطُ اليد لإذهاب المال، وذلك أنَّ قبضَ اليدِ يحبسُ ما فيها، وبَسْطَها يُذهِبُ ما فيها[٢]. وطابقَ في الاستعارة بين بَسْطِ اليد وقَبْضِها من حيثُ المعنى؛ لأنَّ جَعْلَ اليدِ مغلولةً هو قبضُها، وغَلُّها أبلَغُ في القبض، وقد طابقَ بينهما أبو تمام[٣] فقال في المعتصم:

تَعوَّدَ بَسْطَ الكفِّ حتَّى لَوَ انَّهُ ثَناها لِقَبْضٍ لم تُجِبْهُ أنامِلُهْ

وقال الزمخشريُّ[٤]: هذا تمثِيلٌ لمنعِ الشحيحِ وإعطاءِ المسرفِ، [و] أمرٌ بالاقتصاد الذي هو بين الإسراف والإقتار. انتهى.

والظاهر أنَّه مُرادٌ بالخطاب أُمةُ الرسولِ ﷺ، وإلَّا فهو ﷺ كان لا يدَّخر شيئاً لِغَدٍ، وكذلك مَنْ كان واثقاً بالله حقَّ الوُثوقِ كأبي بكر حين تصدَّق بجميع ماله[٥].

وقال ابن جُريج وغيرُه: المعنى: لا تُمسِكْ عن النفقةِ فيما أمرتُكَ به من الحقِّ، ولا تَبْسُطْها فيما نهيتُكَ عنه[٦].

ورُويَ عن قالون: «كلَّ البَصْط» بالصَّاد[٧].

«فتقعُدَ» جواب للهيئتين باعتبار الحالين، فالمَلوم راجعٌ لقوله: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ﴾، كما قال الشاعر:

---

(١) كلمة «هو» من (ح) و(أ) و(ع)، وهي ليست في باقي النسخ.
(٢) أحكام القرآن لابن العربي ٣/ ١١٩٦.
(٣) في ديوانه ٣/ ٢٩، وتقدم عند تفسير الآية (٢٤٥) من سورة البقرة.
(٤) في الكشاف ٢/ ٤٤٧، وما بين حاصرتين الآتي منه.
(٥) أحكام القرآن للجصاص ٣/ ١٩٩، وأحكام القرآن للكيا الطبري ٣/ ٢٥٧.
(٦) المحرر الوجيز ٣/ ٤٥١، وقول ابن جريج أخرجه الطبري في تفسيره ١٤/ ٥٧٦.
(٧) المحرر الوجيز ٣/ ٤٥٠، والمشهور عنه بالسِّين كقراءة الجمهور.

إنَّ البخيلَ مَلومٌ حيثُ كانَ ولَـ كِنَّ الجوادَ على عِلَّاتِهِ هَرِمُ[(١)]

و«المحسور» راجعٌ لقوله: ﴿وَلَا تَبْسُطْهَا﴾. وكأنَّه قيل: فتُلام وتُحسَر.

ثم سلّاه تعالى عمَّا كان يلحقُه من الإضافة بأنَّ ذلك ليس بِهَوانٍ منكَ عليه، ولا لِبُخلٍ به عليك، ولكن لأنَّ بَسْطَ الرزقِ وتَضْييقَه إنَّما ذلك بمشيئتِه وإرادتِه لِما يعلم في ذلك من المصلحة لعباده، أو يكون المعنى: القَبْضُ والبَسْطُ من مشيئةِ الله، وأمَّا أنتم فعليكم الاقتصاد[(٢)].

وختمَ ذلك بقوله: ﴿خَبِيرًا﴾: وهو العِلْمُ بخفيَّاتِ الأمور، و﴿بَصِيرًا﴾ أي: بمصالحِ عبادِه، حيثُ يبسطُ لقومٍ ويُضيِّقُ على قوم.

﴿وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا ﴿٣١﴾﴾

لمَّا بيَّن تعالى أنَّه هو المُتكفِّل بأرزاق العباد حيثُ قال: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ﴾ أتبعَه بالنهي عن قتل الأولاد[(٣)].

وتقدَّم تفسيرُ نظير هذه الآية، والفرقُ بين «خشية إملاق» و«من إملاق» وبين قوله: «نرزقهم» و«نرزقكم»[(٤)].

وقرأ الأعمش وابنُ وثَّاب: «ولا تُقَتِّلوا» بالتضعيف[(٥)].

وقُرِئ: «خِشية» بكسر الخاء[(٦)].

وقرأ الجمهور: «خِطْئاً» بكسر الخاء وسكون الطاء. وقرأ ابنُ كثير بكسرها وفتحِ الطَّاءِ والمدِّ، وهي قراءةُ طلحة، وشِبْل، والأعمش، ويحيى، وخالد بن إلياس، وقتادة، والحسن، والأعرج بخلافٍ عنهما[(٧)]. وقال النحاس: لا أعرف

(١) قائله زهير بن أبي سلمى، وهو في ديوانه ص١٥٢، وذكره أبو هلال العسكري في جمهرة الأمثال ١/٣٣٨، وفي الصناعتين ص٤١٥. على عِلَّاته: على يُسْره وعُسْره.
(٢) الكشاف ٢/٤٤٧.
(٣) تفسير الرازي ٢٠/١٩٦.
(٤) تقدم عند تفسير الآية (١٥١) من سورة الأنعام.
(٥) المحرر الوجيز ٣/٤٥١.
(٦) الكشاف ٢/٤٤٧.
(٧) المحرر الوجيز ٣/٤٥١-٤٥٢، وما بعده ـ حتى نهاية ذكر الاختلاف على القراءة ـ منه. وينظر السبعة ص٣٧٩، والتيسير ص١٣٩.

لهذه القراءة وجهاً[١]. ولذلك جعلها أبو حاتم غلطاً. وقال الفارسي: هي مصدر من خاطأ يُخاطئ، وإن كنا لم نجد خاطأ ولكن وجدنا تخاطأ وهو مطاوع خاطأ، فدلَّنا عليه، فمنه قول الشاعر:

تـخـاطَـأَتِ الـنَّـبـلُ أحْـشـاءَهُ وأُخِّـرَ يـومـي فـلـمْ يَـعْـجَـلِ[٢]

وقول الآخر في كَمْأة:

تـخـاطَـأَهُ الـقـنَّـاصُ حـتَّـى وجـدْتُـهُ وخرطومُهُ في مَنْقَعِ الماءِ راسِبُ[٣]

فكأنَّ هؤلاءِ الذين يقتلون أولادهم يُخاطِئون الحقَّ والعدل.

وقرأ ابنُ ذكوان: «خَطَأً» على وزن «نَبَأً»[٤].

وقرأ الحسن: «خَطَاءً» بفتحهما والمدّ، جعله اسمَ مصدرٍ من أخطأ، كالعطاء من أعطى. قاله ابن جنِّي[٥]. وقال أبو حاتم: هي غلطٌ غيرُ جائزٍ، ولا يُعرَفُ هذا في اللغة. وعنه أيضاً: «خَطًى» كـ«هَوًى» خفَّفَ الهمزة فانقلبت ألفاً وذهبَتْ لالتقائهما. وقرأ أبو رجاء، والزُّهري كذلك، إلَّا أنَّهما كسرا الخاء فصار مثلَ «رِبًا» وكلاهما من خَطِئ في الدين، وأخطأ في الرأي، لكنَّه قد يُقام كلُّ واحدٍ منهما مقامَ الآخر. وجاء عن ابن عامر «خَطْأً» بالفتح والقصر مع إسكان الطاء[٦]، وهو مصدر ثالث من «خَطِئ» بالكسر.

﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّي الْقَتْلِ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا ﴿٣٣﴾ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ

---

(١) معاني القرآن للنحاس ٤/١٤٧ بمعناه.

(٢) قائله أوفى بن مطر كما في الصحاح (خطأ)، وتفسير القرطبي ١٣/٧١.

(٣) قائله رجل من بني بكر كما نسبه الراغب الأصبهاني في محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء ٢/٦١٢.

والكلام بمعناه في الحجة للقراء السبع ٥/٩٦-٩٧.

(٤) وهي قراءة أبي جعفر من العشرة. ينظر النشر ٢/٣٠٧.

(٥) في المحتسب ٢/١٩، وهذه القراءة وقراءة أبي رجاء والزهري الآتية في الشاذة ص٧٦.

(٦) المشهور عن ابن عامر «خِطأً» مثل قراءة الجمهور.

مَسْئُولًا ﴿٣٤﴾ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٣٥﴾﴾.

لمَّا نهى تعالى عن قتل الأولاد نهى عن التسبُّبِ في إيجاده من الطريق غيرِ المشروعة، فنهى عن قُربان الزِّنى، واستلزمَ ذلك النهيَ عن الزِّنى.

والزِّنا الأكثرُ فيه القصر، ويُمَدُّ لغةً لا ضرورةً، هكذا نقل اللغويُّون، ومن المدِّ قولُ الشاعر وهو الفرزدق:

أبا حاضرٍ مَنْ يَزْنِ يُعرَفْ زِنَاؤُهُ ... ومَنْ يشربِ الخرطومَ يُصْبِحْ مُسكَّرا

ويُروى: أبا خالد[1]. وقال آخر:

كانَتْ فريضةَ ما تقولُ كما ... كانَ الزِّناءُ فريضةَ الرَّجْمِ[2]

وكان المعنى: لم يزَلْ، أي: لم يزَلْ فاحشةً، أي: معصيةً فاحشةً، أي: قبيحةً زائدةً في القُبح. ﴿وَسَآءَ سَبِيلًا﴾ أي: وبئس طريقاً طريقُه[3]؛ لأنَّها سبيلٌ تؤدِّي إلى النار.

وقال ابن عطية[4]: و«سبيلاً» نصبٌ على التمييز، التقدير: وساء سبيلُه سبيلاً. انتهى.

وإذا كان «سبيلاً» نصباً على التميز فإنَّما هو تمييزٌ للمُضمَرِ المُستكِنِّ في «ساء»، وهو من المُضمَرِ الذي يُفسِّره ما بعده، والمخصوصُ بالذمِّ محذوفٌ، وإذا كان كذلك فلا يكون تقديرُه: وساء سبيلُه سبيلاً؛ لأنَّه إذ ذاك لا يكونُ فاعلُه ضميراً يُرادُ به الجنسُ مُفسَّراً بالتميز، ويبقى التقديرُ أيضاً عارياً عن المخصوص بالذمِّ.

---

(١) المحرر الوجيز ٣/ ٤٥٢. والبيت لم أجده في ديوان الفرزدق، وهو في جمهرة اللغة ٣/ ٢٥٥، وأساس البلاغة ص٢٧٧، والصحاح (زنى)، وهو - أيضاً - في مجمع الأمثال للميداني ٢/ ٢١، وعنده: يظهر، بدل: يعرف، والصهباء، بدل: الخرطوم، وقال بعد أن نسبه للفرزدق: وبعضهم يرويه لزياد الأعجم، وكان أبو حاضر أحد المشهورين بالزِّنى.

(٢) مجاز القرآن لأبي عبيدة ١/ ٣٧٧-٣٧٨، والبيت قائله النابغة الجعدي، وهو في ديوانه ص٢٣٥.

(٣) الكشاف ٢/ ٤٤٨.

(٤) في المحرر الوجيز ٣/ ٤٥٢، وما قبله منه.

وتقدَّم تفسيرُ قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ في أواخر «الأنعام»[١]. قال الضحَّاك: هذه أول ما نزل من القرآن في شأن القتل[٢]. انتهى.

ولمَّا نهى عن قتلِ الأولاد وعن إيجادِهم من الطريقِ غيرِ المشروعة نهى عن قتلِ النَّفسِ، فانتقل من الخاصِّ إلى العامِّ، والظاهر أنَّ هذه كلَّها منهياتٌ مستقِلَّةٌ ليست مندرجةً تحت قوله: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ﴾ كاندراجِ «أن لا تعبدوا».

وانتصبَ «مظلوماً» على الحال من الضميرِ المُستكِنِّ في «قُتِلَ»، والمعنى: إنَّه قُتِلَ بغير حقٍّ فقد جعلنا لوليِّه وهو الطالب بدمه شرعاً.

وعند أبي حنيفةَ وأصحابِه اندراجُ مَنْ يرِثُ من الرجال والنساء والصبيان في الوليِّ على قَدْرِ مواريثهم؛ لأنَّ الوليَّ عندهم هو الوارثُ هنا. وقال مالك: ليسَ للنساء شيءٌ من القصاص، وإنَّما القصاص للرجال. وعن ابن المسيّب والحسن وقَتادة والحكم: ليس إلى النساء شيءٌ من العفو والدم[٣].

والسلطان: التسلُّط على القاتل في الاقتصاص منه أو حُجَّةٌ يُثبِتُ بها عليه. قاله الزمخشري[٤]. وقال ابن عطية: والسلطان: الحُجَّة والملك الذي جعل إليه من التخيير في قبول الدم أو العفو. قاله ابن عباس والضحاك. وقال قتادة: السلطان: القَوَد[٥]. وفي كتاب «التحرير»[٦]: السلطان: القوة والولاية. وقال ابن عباس: البيِّنة في طلبِ القَود. وقال الحسن: القود[٧]. وقال مجاهد: الحجة[٨]. وقال ابن زيد: الوالي، أي: والياً يُنصِفُه في حقِّه[٩].

(١) عند تفسير الآية (١٥١) منها.
(٢) المحرر الوجيز ٣/ ٤٥٣، وأخرجه الطبري ١٤/ ٥٨٦.
(٣) أحكام القرآن للجصاص ٣/ ٢٠١.
(٤) في كشافه ٢/ ٤٤٨.
(٥) المحرر الوجيز ٣/ ٤٥٣، وهما في النكت والعيون ٣/ ٢٤٠، وأخرجهما الطبري ١٤/ ٥٨٣-٥٨٤.
(٦) هو كتاب «التحرير والتحبير» للعلامة الأديب المفسر ابن النقيب، وقد تقدم ذِكره مراراً.
(٧) تقدم آنفاً بأن هذا قول قتادة.
(٨) معاني القرآن للنحاس ٤/ ١٤٩، وتفسير أبي الليث ٢/ ٢٦٧، ونسبه ابن الجوزي في زاد المسير ٥/ ٣٢، والقرطبي ١٣/ ٧٤ إلى ابن عباس.
(٩) زاد المسير ٥/ ٣٢.

والظاهرُ عَوْدُ الضمير في «فلا يُسرِفْ» على الولي[(١)].

والإسراف المنهيُّ عنه أن يقتل غيرَ القاتل. قاله ابن عباس والحسن، أو يقتل اثنين بواحد. قاله ابن جُبير. أو أشرَفَ مِن الذي قُتِلَ. قاله ابن زيد. أو يُمثِّل. قاله قَتادة. أو يتولَّى هو قتلَ القاتل دون السلطان. ذكره الزجّاج[(٢)].

وقال أبو عبد الله الرازي[(٣)]: السَّلطنة مُجملةٌ يفسِّرها ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ﴾ الآية [البقرة: ١٧٨]، ويدلُّ عليه أنَّه مُخيَّرٌ بين القصاص والدِّية، وقولُه عليه السلام يوم الفتح: «مَنْ قتلَ قتيلاً فأهلُه بين خِيرَتَين؛ إنْ أحبُّوا قَتلوا، وإنْ أحبُّوا أخذوا الدِّية» فمعنى ﴿فَلَا يُسْرِف فِّي ٱلْقَتْلِ﴾: لا يُقدِم على استيفاء القتل، ويكتفي بأخذ الدية، أو يميل إلى العفو، ولفظةُ «في» محمولةٌ على الباء، أي: فلا يصيرُ مُسرِفاً بسبب إقدامه على القتل، ويكون معناه: الترغيب في العفو كما قال: ﴿وَأَن تَعْفُوٓا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [البقرة: ٢٣٧]. انتهى ملخَّصاً.

ولو سَلِمَ أنَّ «في» بمعنى الباء لم يكُن صحيحَ المعنى؛ لأنَّ مَنْ قتَلَ بحقٍّ قاتِلَ موليه لا يصيرُ مسرفاً بقتله، وإنَّما الظاهرُ ـ والله أعلم ـ النهيُّ عمَّا كانتِ الجاهليةُ تفعلُه من قَتْلِ الجماعةِ بالواحد، وقتلِ غيرِ القاتل، والمُثلةِ، ومكافأةِ الذي يُقتلُ لمن قَتله. وقال مُهَلْهَل حين قتل بُجَير بن الحارس بن عُبَادٍ: «بُؤْ بِشِسْعِ نعلِ كُلَيبٍ»[(٤)].

وأبعَدَ مَنْ ذهبَ إلى أنَّ الضميرَ في «فلا يُسرِفْ» ليس عائداً على الولي،

---

(١) الكشاف ٢/ ٤٤٧.

(٢) زاد المسير ٥/ ٣٣، والقول الأول أخرجه الطبري ١٤/ ٥٨٧ بمعناه عن الحسن، وأما القول الثاني والرابع فأخرجهما عبد الرزاق في تفسيره ١/ ٣٧٧، والطبري ١٤/ ٥٨٦-٥٨٧، وأما القول الثالث فأخرجه الطبري ١٤/ ٥٨٧-٥٨٨، والبيهقي ٨/ ٢٥، وأما القول الخامس الذي ذكره الزجاج فهو في معانيه ٣/ ٢٣٧.

(٣) في تفسيره ٢٠/ ٢٠١-٢٠٢، والحديث الآتي أخرجه أبو داود (٤٥٠٤) من حديث أبي شريح الخزاعي ﷺ، وله شاهد من حديث أبي هريرة ﷺ عند البخاري (٦٨٨٠)، ومسلم (١٣٥٥)، بلفظ: «من قُتِلَ له قتيلٌ فهو بخير النظرين؛ إمَّا أن يُودى أو يُقاد».

(٤) الكشاف ٢/ ٤٤٧، وقول مهلهل في المستقصى ٢/ ١، والكامل للمبرِّد ٢/ ٧٧٥، وجمهرة الأمثال ١/ ٢٦٦.

وإنَّما يعود على القاتل[١] الدالّ عليه، «ومَن قُتِلَ» أي: لا يُسرِفْ في القتل تعدِّياً وظلماً فيقتلَ مَنْ ليس له قَتْلُه.

وقرأ الجمهور: «فلا يُسرِفْ» بياء الغَيبة. وقرأ الأخَوان، وزيد بن علي، وحذيفة، وابن وَثَّاب، والأعمش، ومجاهد بخلاف، وجماعة ـ وفي نسخةٍ من «تفسير ابن عطية»: وابن عامر؛ وهو وَهَمٌ ـ: بتاء الخطاب، والظاهر أنَّه على خطابِ الوليِّ، فالضميرُ له. وقال الطبري: الخطابُ للرسولِ ﷺ والأئمةِ من بعدِه، أي: فلا تقتلوا غيرَ القاتل. انتهى[٢]. قال ابن عطية: وقرأ أبو مسلم السرَّاج صاحب الدعوة العباسية ـ وقال الزمخشري[٣]: قرأ أبو مسلم صاحب الدولة. وقال صاحب كتاب «اللوامح»: أبو مسلم العِجْلي مولى صاحب الدولة ـ: «فلا يُسْرِفُ» بضمِّ الفاء على الخبر، ومعناه النهيُ، وقد يأتي الأمرُ والنَّهيُ بلفظ الخبر.

وقال ابن عطية: في الاحتجاج بأبي مسلم في القراءة نَظَرٌ، وفي قراءة أُبيٍّ: «فلا تُسرِفوا في القتل إنَّ وليَّ المقتولِ كان منصوراً». انتهى[٤]. رَدَّه على «ولا تقتلوا»، والأولى حملُ قولِه: «إنَّ وليَّ المقتولِ» على التفسير لا على القراءة؛ لمخالفَتِه السواد، ولأنَّ المستفيضَ عنه «إنَّه كان منصوراً» كقراءة الجماعة.

والضمير في «إنَّه» عائدٌ على الوليِّ لتناسقِ الضمائر، ونَصْرُه إيَّاه بأن أوجبَ له القصاصَ فلا يَستزِد على ذلك، أو نصرُه بمعونة السلطان، وبإظهار المؤمنين على

(١) تصحفت في (أ) و(ح) و(د٢) و(ع) والمطبوع إلى: العامل، والمثبت من باقي النسخ، والنكت والعيون ٣/ ٢٤٠، وزاد المسير ٥/ ٣٣، فالكلام فيهما بنحوه ونسباه إلى مجاهد.

(٢) ينظر المحرر الوجيز ٣/ ٤٥٣، وينظر السبعة ص٣٨٠ وفيه أن قراءة ابن عامر مثل قراءة الأخوين حمزة والكسائي ـ يعني بالتاء ـ بخلاف ما جاء في التيسير ص١٤٠ والنشر ٢/ ٣٠٧ أنها مثل قراءة الجمهور، وجاء في النشر أنَّ قراءة التاء هي قراءة خلف من العشرة. وينظر كلام الطبري في تفسيره ١٤/ ٥٨٥-٥٨٦.

(٣) في الكشاف ٢/ ٤٤٨.

(٤) قراءة أُبيٍّ هذه في معاني القرآن للنحاس ٤/ ١٥١، ومعاني القرآن للفراء ٢/ ١٢٣، والكشاف ٢/ ٤٤٨.

استيفاء الحق. وقيل: يعود الضميرُ على المقتول نصَرَه اللهُ حيثُ أوجَبَ القصاصَ بقتلِه في الدنيا ونصَرَه بالثواب في الآخرة[١].

قال ابن عطية[٢]: وهو أرجح أبداً؛ لأنَّه المظلومُ، ولفظة النصر تُقارنُ الظلمَ، كقوله عليه السلام: «ونصرُ المظلوم، وإبرارُ القَسَم»، وكقوله: «انصُرْ أخاكَ ظالماً أو مظلوماً» إلى كثيرٍ من الأمثلة. وقيل: على القتل. وقال أبو عبيد: على القاتل؛ لأنَّه إذا قتَلَ في الدنيا وخلَصَ بذلك من عذاب الآخرة فقد نُصِرَ. وهذا ضعيفٌ بعيدُ القصد.

وقال الزمخشري[٣]: وإمَّا ـ يعني أن يكون الضميرُ في «إنَّه» ـ للذي يقتلُه الوليُّ بغير حقٍّ ويُسرِف في قتله، فإنَّه منصورٌ بإيجاب القصاصِ على المسرف. انتهى. وهذا بعيدٌ جداً.

﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ﴾ لـمَّـا نـهـى عـن إتـلاف النفوس نهى عن أخذ الأموال كما قال: «فإنَّ دماءَكم وأموالَكم وأعراضَكم حرامٌ عليكم»[٤]، ولمَّا كان اليتيمُ ضعيفاً عن أن يدفعَ عن مالِه لصِغَره نصَّ على النهي عن قُربان مالِه، وتقدَّم تفسيرُ هذه الآية في أواخر «الأنعام»[٥].

﴿وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ﴾ عامٌّ فيما عقده الإنسان بينَه وبين ربِّه أو بينَه وبين آدميٍّ في طاعة[٦].

﴿إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا﴾ ظاهره أنَّ العهدَ هو المسؤول من المعاهد أنْ يفيَ به ولا يُضيِّعَه، أو يكون من باب التخييل، كأنه يُقال للعهد: لِمَ نكثتَ؟ فمُثِّلَ كأنَّه

---

(١) الكشاف ٢/٤٤٨ بمعناه.
(٢) في المحرر الوجيز ٣/٤٥٣، والحديث الأول الآتي هو جزء من حديث أوله: أمرنا رسول الله ﷺ بسبع ونهانا عن سبع، وأخرجه البخاري (٢٤٤٥)، ومسلم (٢٠٦٦) من حديث البراء بن عازب ﷺ. والحديث الثاني أخرجه البخاري (٢٤٤٣) من حديث أنس بن مالك ﷺ، وأخرجه مسلم (٢٥٨٤) بنحوه مطولاً من حديث جابر بن عبد الله ﷺ.
(٣) في الكشاف ٢/٤٤٨.
(٤) أخرجه البخاري (٦٧)، ومسلم (١٦٧٩) من حديث أبي بكرة ﷺ.
(٥) عند تفسير الآية (١٥٢) منها.
(٦) زاد المسير ٥/٣٤.

ذاتٌ من الذَّواتِ تسأل: لِمَ نَكَثْتَ؟ دلالةٌ على المطالبةِ بنكثِه وإلزامِ ما يترتَّبُ على نكثِه، كما جاء: ﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ۝٨ بِأَيِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ﴾ [التكوير: ٨-٩] فيمن قرأ بسكون اللام وكسر التاء التي للخطاب[١]. وقيل: هو على حذف مضاف، أي: إنَّ ذا العهدِ كان مسؤولاً عنه إنْ لم يَفِ به[٢].

ثمَّ أمَر تعالى بإيفاء الكيل وبالوزن المستقيم، وذلك ممَّا يرجع إلى المعاملة بالأموال.

وفي قوله: ﴿وَأَوْفُوا ٱلْكَيْلَ﴾ دلالةٌ على أنَّ الكيل هو على البائع؛ لأنَّه لا يُقال ذلك للمشتري[٣].

وقال الحسن: القسطاس: القبَّان[٤]، وهو القَلَسْطون، ويقال: القَرَسْطُون[٥]. وقال مجاهد: القسطاس: العدل[٦]، لا أنَّه آلة.

وقرأ الأخَوان وحفص بكسر القاف، وباقي السبعة بضمِّها، وهما لغتان[٧]. وقرأت فرقةٌ بالإبدال من السين الأولى صاداً. قال ابن عطية[٨]: واللفظة للمبالغة من القسط. انتهى. ولا يجوز أن يكون من القِسط لاختلاف المادَّتين؛ لأن القسط مادَّته (ق س ط) وذلك مادَّته (ق س ط س)، إلَّا إنِ اعتُقِدَ زيادةُ السين أخيراً كسين قُدموس وضُغْبُوس وعرفاس فيُمكن، لكنَّه ليس من مواضع زيادة السين المَقيسة. والتقييد بقوله: ﴿إِذَا كِلْتُمْ﴾ أي: وقت كيلكم، على سبيل التأكيد، وأن لا يتأخَّر الإيفاءُ بأن يكيل به بنقصانٍ ما ثمَّ يُوفيه بعدُ، فلا يتأخَّر الإيفاء عن وقت الكيل.

---

(١) الكشاف ٢/ ٢٤٨-٢٤٩، وتفسير الرازي ٢٠/ ٢٠٦ بنحوه.
(٢) ينظر مغني اللبيب ص٢٦٣، وهكذا فسَّرها ابن قتيبة كما في زاد المسير ٥/ ٣٤.
(٣) المحرر الوجيز ٣/ ٤٠٥، وما بعده منه.
(٤) أخرجه الطبري ١٤/ ٥٩١.
(٥) قال الصفدي في تصحيح التصحيف وتحرير التحريف ص٨٧: يقولون للميزان العظيم: القَلَسْطون، والصواب: قَرَسْطون، وهي شامية.
(٦) أخرجه ابن أبي شيبة ١٠/ ٤٧١-٤٧٢، والطبري ١٤/ ٥٩٢.
(٧) ينظر السبعة ص٣٨٠، والتيسير ص١٤٠.
(٨) في المحرر الوجيز ٣/ ٤٥٤، وما قبله منه.

﴿ذَٰلِكَ خَيۡرٞ﴾ أي: الإيفاء والوزن؛ لأنَّ فيه تطييبَ النّفوس بالاتِّسام بالعدل والإيصال للحقّ. ﴿وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلٗا﴾ أي: عاقبة، إذْ لا يبقى على الموفي والوازن تَبعةٌ لا في الدنيا ولا في الآخرة، وهو من المآل: وهو المرجع، كما قال: ﴿وَخَيۡرٞ مَّرَدًّا﴾ [مريم: ٧٦]، ﴿وَخَيۡرٌ عُقۡبٗا﴾ [الكهف: ٤٤]، ﴿وَخَيۡرٌ أَمَلٗا﴾ [الكهف: ٤٦]، وإنَّما كانت عاقبتُه أحسنَ؛ لأنَّه اشتهر بالاحتراز عن التطفيف، فعُوِّل عليه في المعاملات، ومالت القلوب إليه[١].

﴿وَلَا تَقۡفُ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡبَصَرَ وَٱلۡفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنۡهُ مَسۡـُٔولٗا ﴿٣٦﴾ وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًاۖ إِنَّكَ لَن تَخۡرِقَ ٱلۡأَرۡضَ وَلَن تَبۡلُغَ ٱلۡجِبَالَ طُولٗا ﴿٣٧﴾ كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكۡرُوهٗا ﴿٣٨﴾ ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوۡحَىٰٓ إِلَيۡكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلۡحِكۡمَةِۗ وَلَا تَجۡعَلۡ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتُلۡقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومٗا مَّدۡحُورًا ﴿٣٩﴾﴾.

لمَّا أمرَ تعالى بثلاثة أشياء؛ الإيفاء بالعهد، والإيفاء للكيل، والوزن بالقسطاس، أتبعَ ذلكَ بثلاثةِ مناهٍ، ﴿وَلَا تَقۡفُ﴾، ﴿وَلَا تَمۡشِ﴾، ﴿وَلَا تَجۡعَلۡ﴾.

ومعنى «ولا تَقْفُ»: لا تتَّبِعْ ما لا عِلْمَ لكَ به من قَولٍ أو فِعلٍ؛ نُهيَ أن يقول ما لا يعلم، وأن يعمل بما لا يعلم، ويدخل فيه النهيُ عن اتِّباع التقليد؛ لأنه اتِّباعٌ بما لا يعلَمُ صِحَّته[٢]. وقال ابن عباس: معناه: لا تَرْمِ أحداً بما لا تعلم[٣]. وقال قتادة: لا تقُلْ رأيتُ ولم تَرَه، وسمعتُ ولم تسمَعْه، وعلمتُ ولم تعلَمْه[٤]. وقال محمد ابن الحنفية: لا تشهد بالزُّور[٥]. وقال ابن عطية[٦]: ولا تقُلْ، لكنَّها كلمةٌ تُستعمل في القذف والعَضْهِ[٧]. انتهى.

(١) تفسير الرازي ٢٠/ ٢٠٦ بنحوه.
(٢) الكشاف ٢/ ٤٤٩ بنحوه.
(٣) النكت والعيون ٣/ ٢٤٣، وزاد المسير ٥/ ٣٥، وأخرجه الطبري ١٤/ ٥٩٤.
(٤) النكت والعيون ٣/ ٢٤٣، وزاد المسير ٥/ ٣٥، ومجمع البيان ١٥/ ٤٩، وأخرجه الطبري ١٤/ ٥٩٤.
(٥) معاني القرآن للنحاس ٤/ ١٥٥، وزاد المسير ٥/ ٣٥، ومجمع البيان ١٥/ ٤٩، وأخرجه ابن أبي شيبة ٧/ ٢٥٨، والطبري ١٤/ ٥٩٤.
(٦) في المحرر الوجيز ٣/ ٤٥٥.
(٧) العَضْهُ: القالةُ القبيحة. اللسان (عضه).

وفي الحديث: «مَنْ قَفا مؤمناً بما ليس فيه حبسَه اللهُ في رَدْغةِ الخبالِ حتَّى يأتيَ بالمخرج»[١]. وقال في الحديث أيضاً: «نحنُ بنو النَّضر بنِ كنانة لا نقفو أُمَّنا، ولا نَنتفي من أبينا»[٢]. ومنه قول النابغة الجَعْدي:

وِمِثْلُ الدُّمى شُمُّ العَرانينِ ساكِنٌ ... بهِنَّ الحياءُ لا يُشِعْنَ التَّقافيا[٣]

وقال الكُمَيت:

فلا أرمي البريءَ بغيرِ ذَنْبٍ ... ولا أقفُو الحواصِنَ إنْ قُفينا[٤]

وحاصلُ هذا أنَّه نهى عن اتِّباع ما لا يكون معلوماً، وهذه قضيةٌ كُلِّية تندرجُ تحتَها أنواع، فكلٌّ من القائلين حمل على واحدٍ من تلك الأنواع.

قال الزمخشري[٥]: وقد استدلَّ به مُبطِلُ الاجتهاد، ولم يصحَّ؛ لأنَّ ذلك نوعٌ من العلم، فقد أقام الشرعُ غالبَ الظنِّ مقامَ العلم وأمرَ بالعمل به. انتهى.

وقرأ الجمهور: «ولا تَقْفُ» بحذف الواو للجزم مضارع قفا.

وقرأ زيد بن عليّ: «ولا تقفو» بإثبات الواو، كما قال الشاعر:

هجَوْتَ زَبَّانَ ثمَّ جئتَ مُعتذِراً ... مِنْ هَجْوِ زَبَّانَ لم تهجو ولم تَدَعِ[٦]

---

(١) أخرجه أبو الشيخ في التوبيخ والتنبيه (٢١١)، والبيهقي في الشعب (٦٣١٠)، والخطيب في تاريخ بغداد ٣/ ٣٩٢ من حديث ابن عمر ﷺ، وفي رواية أبي الشيخ: بهت، بدل: قفا، وفي رواية البيهقي والخطيب: قذف.
لكن أخرجه - بلفظة المصنف - أبو عبيد في غريب الحديث ٤/ ٤٠٧ من كلام حسان بن عطية، ونقله عنه هكذا ابن الأنباري في الزاهر ١/ ٣٦٦. وكذلك أخرجه ابن أبي شيبة ١٩/ ٤٤٠-٤٤١ (طبعة الشيخ عوامة).

(٢) أخرجه أحمد (٢١٨٣٩)، وابن ماجه (٢٦١٢) من حديث الأشعث بن قيس ﷺ.

(٣) ديوان النابغة الجعدي ص١٨٠، وشُمّ جمع أشم: وهو الذي في قصبة أنفه علوٌّ مع استواء أعلاه، والعرانين جمع عرنين: وهو الأنف.

(٤) ذيل ديوان الكميت ص٤٦٦. والحواصن جمع حَصان: وهي المرأة العفيفة. وينظر ما تقدم في الكشاف ٢/ ٤٤٩، والمحرر الوجيز ٣/ ٤٥٥-٤٥٦، وتفسير الطبري ١٤/ ٥٩٥.

(٥) في الكشاف ٢/ ٤٤٩.

(٦) قائله أبو عمرو بن العلاء، خاطب به الفرزدق، وقد كان هجاه ثم جاءه معتذراً، والبيت في معاني القرآن للفراء ٢/ ١٨٧، ومعجم الأدباء ١١/ ١٥٨.

وإثبات الواو والياء والألف مع الجازم لغةٌ لبعض العرب وضرورةٌ لغيرهم.

وقرأ معاذ القارئ: «ولا تَقُفْ» مثل «تقُلْ» من قاف يقوف، تقول العرب: قُفْتُ أثَرَه، وقَفَوتُ أثرَه، وهما لغتان؛ لوجود التصاريف فيهما، كجبَذ وجذَبَ، وقاعَ الجملُ الناقةَ وقعاها: إذا ركبها[١]، وليس قافَ مقلوباً من قفا كما جوَّزه صاحب «اللوامح».

وقرأ الجرَّاح العُقيلي: «والفَوَادَ» بفتح الفاء والواو، قُلبتِ الهمزةُ واواً بعد الضمة في الفؤاد، ثم استُصحِبَ القلبُ مع الفتح، وهي لغةٌ في الفؤاد، وأنكرها أبو حاتم وغيره[٢].

و«به» لا تتعلَّق بـ «عِلْم»؛ لأنَّه مصدرٌ ولا يتقدَّم معمولُه عليه. وقال الحَوْفي: يتعلَّق بما تعلَّق به «لك» وهو الاستقرار، وهو لا يظهر.

وفي قوله: ﴿إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ﴾ دليلٌ على أنَّ العلومَ مستفادةٌ من الحواسِّ ومن العقول[٣]، وجاء هذا على الترتيب القرآني في البَداءة بالسمع، ثم يليه البصر، ثم يليه الفؤاد، و«أولئك» إشارةٌ إلى السمع والبصر والفؤاد، وهو اسم إشارة للجمع المذكَّر والمؤنَّث العاقل وغيره. وتخيَّل ابنُ عطية أنَّه يختصُّ بالعاقل، فقال: وعبَّر عن السمع والبصر والفؤاد بـ «أولئك»؛ لأنَّها حواسُّ لها إدراكٌ، وجعلها في هذه الآية مسؤولةً، فهي حالة مَنْ يعقِل؛ ولذلك عبَّر عنها بـ «أولئك»، وقد قال سيبويه رحمه الله في قوله تعالى: ﴿رَأَيْتُهُمْ لِي سَٰجِدِينَ﴾ [يوسف: ٤] إنَّما قال: «رأيتُهم» في نجوم؛ لأنَّه إنَّما وصفَها بالسجود وهو من فِعْلِ مَنْ يعقِلُ عبَّرَ عنها بكناية مَنْ يعقل. وحكى الزجَّاج أنَّ العربَ تعبِّر عمَّن يعقل وعمَّا لا يعقل بـ «أولئك»، وأنشد هو والطبري:

ذُمَّ المنازلَ بعدَ منزلةِ اللِّوى ... والعيشَ بعدَ أولئكَ الأيَّامِ

(١) زاد المسير ٥/ ٣٤-٣٥.
(٢) المحرر الوجيز ٣/ ٤٥٦. وينظر القراءات الشاذة ص٧٦، والمحتسب ٢/ ٢١.
(٣) تفسير الرازي ٢٠/ ٢١٠.

وأمَّا حكاية أبي إسحاق عن اللغة فأمرٌ يُوقَفُ عنده، وأمَّا البيتُ فالرواية فيه «الأقوام». انتهى[(١)].

وليس ما تخيَّله صحيحاً، والنُّحاةُ ينشدونه «بعدَ أولئكَ الأيامِ» ولم يكونوا ليُنشدوا إلَّا ما رُوي.

وإطلاق «أولاء» و«أولاك» و«أولئك» و«أولالك» على ما لا يعقل لا نعلم خلافاً فيه، و«كلٌّ» مبتدأ، والجملة خبرُه، واسم «كان» عائدٌ على «كل»، وكذا الضمير في «مسؤولاً». والضمير في «عنه» عائدٌ على «ما» من قوله: ﴿مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾ فيكون المعنى: إنَّ كلَّ واحدٍ من السمع والبصر والفؤاد يُسألُ عمَّا لا عِلْمَ له به، أي: عن انتفاءِ ما لا عِلْمَ له به، وهذا الظاهر.

وقال الزجَّاج[(٢)]: يُستشهد بها، كما قال: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم﴾ [النور: ٢٤].

وقال القرطبي في «أحكامه»[(٣)]: يُسأل الفؤادُ عمَّا اعتقده، والسمعُ عمَّا سمع، والبصرُ عمَّا رأى.

وقال ابن عطية[(٤)]: إنَّ الله تعالى يسألُ سَمْعَ الإنسان وبصَرَه وفؤادَه عمَّا قال ممَّا لا عِلْمَ له به، فيقَعُ تكذيبُه من جوارحه، وتلك غايةُ الخِزي. وقيل: الضميرُ في «كان» و«مسؤولاً» عائدان على القائف ما ليس له به علم، والضميرُ في «عنه» عائدٌ على «كل» فيكون ذلك من الالتفات؛ إذ لو كان على الخطاب لكانَ التركيبُ: «كلُّ أولئك كنتَ عنه مسؤولاً».

وقال الزمخشري[(٥)]: و«عنه» في موضع الرفع بالفاعلية، أي: كلُّ واحدٍ منها

(١) المحرر الوجيز ٣/ ٤٥٦، وكلام سيبويه الآتي في الكتاب ٢/ ٤٧ بمعناه، وكلام الزجاج في معاني القرآن له ٣/ ٢٣٩، وكلام الطبري في تفسيره ١٤/ ٥٩٦، والبيت قائله جرير، وهو في شرح ديوانه ٢/ ٩٩٠.
(٢) في معاني القرآن له ٣/ ٢٣٩.
(٣) ١٣/ ٨٠.
(٤) في المحرر الوجيز ٣/ ٤٥٦.
(٥) في الكشاف ٢/ ٤٤٩.

كان مسؤولاً عنه، فمسؤولٌ مسنَدٌ إلى الجارِّ والمجرور كـ «المغضوب» في قوله: ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ يُقال للإنسان: لِمَ سمعْتَ ما لا يحِلُّ لك سماعُه؟ ولِمَ نظرْتَ ما لم يحِلَّ لك النظرُ إليه؟ ولِمَ عزَمْتَ على ما لم يحِلَّ لك العزمُ عليه؟ انتهى.

وهذا الذي ذهب إليه من أنَّ «عنه» في موضع الرفع بالفاعلية، ويعني به أنَّه مفعولٌ لم يُسَمَّ فاعلُه، لا يجوز؛ لأنَّ الجارَّ والمجرورَ وما يُقامُ مقامَ الفاعل من مفعولٍ به ومصدرٍ وظرفٍ بشروطِهما جارٍ مجرى الفاعل، فكما أنَّ الفاعلَ لا يجوزُ تقديمُه، وكذلك ما جرى مجراه وأُقيم مقامَه، فإذا قلْتَ: غضبَ على زيد، فلا يجوز: على زيدٍ غضِبَ، بخلاف: غضبتُ على زيد، فيجوز: على زيدٍ غضبتُ. وقد حكى الاتفاقَ من النَّحْويين على أنَّه لا يجوز تقديمُ الجارِّ والمجرور الذي يُقام مقامَ الفاعل على الفعل أبو جعفر النحاس ذكر ذلك في «المقنع» من تأليفه، فليس «عنه مسؤولاً» كـ «المغضوب عليهم»؛ لتَقَدُّمِ الجارِّ والمجرور في «عنه مسؤولاً» وتأخيرِه في «المغضوب عليهم».

وقولُ الزمخشري: ولِمَ نظرْتَ ما لم يحِلَّ لك؛ أسقط «إلى» وهو لا يجوز إلَّا إن جاء في ضرورةِ شعرٍ؛ لأنَّ نظرَ يتعدَّى بـ«إلى»، فكان التركيب: ولِمَ نظرْتَ إلى ما لم يحِلَّ لك، كما قال: النظر إليه، فعدَّاه بـ«إلى».

وانتصب «مَرَحاً» على الحال، أي: مَرِحاً، كما تقول: جاء زيدٌ ركضاً، أي: راكضاً، أو على حذف مضاف، أي: ذا مرحٍ، وأجاز بعضُهم أن يكون مفعولاً من أجله، أي: ولا تمشِ في الأرض للمرح، ولا يظهر ذلك، وتقدَّم أنَّ المرح هو السرورُ والاغتباطُ بالراحةِ والفرح[1]، وكأنَّه ضمّن معنى الاختيال؛ لأنَّ غلبَةَ السرورِ والفرحِ يصحبُها التكبُّرُ والاختيالُ، ولذلك علّلَ بقوله: ﴿إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ﴾.

وقرأت فرقةٌ فيما حكى يعقوب: «مَرِحاً» بكسر الراء[2]، وهو حال، أي:

(١) الذي تقدم قريباً أن المرح هو شدة الفرح، لكن سيأتي عند تفسير الآية (٧٥) من سورة غافر، من قول الضحاك بأنه الفرح والسرور.

(٢) المحرر الوجيز ٣/ ٤٥٧، وعزاها ابن الجوزي في زاد المسير ٥/ ٣٦ إلى الضحاك وابن يعمر.

لا تمشِ متكبِّراً مختالاً[١]. قال مجاهد: لن تخرقَ بمشيكَ على عقبيك كِبراً وتنعُّماً، ولن تبلُغَ الجبالَ بالمشي على صدور قدميك تفاخراً وطولاً[٢]، والتأويل: أنَّ قدرتَكَ لا تبلغُ هذا المبلغَ فيكون ذلك وصلةً إلى الاختيال.

وقال الزجَّاج: لا تمش في الأرض مختالاً فخوراً، ونظيره ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا﴾ [الفرقان: ٦٣]، ﴿وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ﴾ [لقمان: ١٩]، ﴿وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾[٣] [لقمان: ١٨].

وقال الزمخشري[٤]: ﴿لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ﴾: لن تجعل فيها خَرْقاً بدَوْسِكَ لها وشدَّة وطئِكَ، ﴿وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا﴾ بتطاولك، وهو تهكُّمٌ بالمختال.

وقرأ الجرَّاح الأعرابي: «لن تخرُقَ» بضمِّ الراء. قال أبو حاتم: لا تُعرف هذه اللغة[٥].

وقيل: أُشير بذلك إلى أنَّ الإنسان محصورٌ بين جمادين، ضعيفٌ عن التأثير فيهما بالخرق وبلوغ الطول، ومَنْ كان بهذه المثابة لا يليق به التكبُّر. وقال الشاعر:

ولا تمشِ فوقَ الأرضِ إلَّا تواضعاً ... فكم تحتَها قومٌ همُ منكَ أرْفَعُ[٦]

والأجوَدُ انتصابُ قوله: «طَوْلاً» على التمييز، أي: لن يبلُغ طَوْلُكَ الجبالَ.

وقال الحَوْفي: «طولاً» نُصِبَ على الحال، والعامل في الحال «تبلغ»، ويجوز أن يكون العاملُ «تخرق»، و«طولاً» بمعنى متطاولاً. انتهى.

وقال أبو البقاء[٧]: «طولاً» مصدر في موضع الحال من الفاعل أو المفعول، ويجوز أن يكون تمييزاً ومفعولاً له ومصدراً من معنى: «تبلغ». انتهى.

---

(١) تفسير الطبري ١٤/ ٥٩٧.
(٢) تفسير البغوي ٣/ ١١٥ بنحوه من دون نسبة.
(٣) تفسير الرازي ٢٠/ ٢١١.
(٤) في الكشاف ٢/ ٤٤٩.
(٥) المحرر الوجيز ٣/ ٤٥٧.
(٦) ذكره ابن حبان في روضة العقلاء ونزهة الفضلاء ص٦١، وذكر أن الكريزي أنشده إياه، وهو في التمثيل والمحاضرة ص٢٥٢.
(٧) في الإملاء ٢/ ٩٣.

وقرأ الحِرْمِيَّان، وأبو عمرو، وأبو جعفر، والأعرج: «سيئةً» بالنصب والتأنيث. وقرأ باقي السبعة، والحسن، ومسروق: «سيِّئُه» بضمِّ الهمزة مضافاً لهاء المذكَّر الغائب. وقرأ عبد الله: «سيِّئاته» بالجمع مضافاً للهاء، وعنه أيضاً: «سيئات» بغير هاء. وعنه أيضاً: «كان خبيثُه»[١]. فأمَّا القراءة الأولى فالظاهر أنَّ ذلك إشارةٌ إلى مصدَرَي النَّهيين السابقين، وهما قَفْوُ ما ليس له به علم، والمشيُ في الأرض مرحاً. وقيل: إشارةٌ إلى جميع المناهي المذكورة فيما تقدَّم في هذه السورة، و«سيئةً» خبر «كان»، وأنَّثَ ثم قال: «مكروهاً» فذكَّر.

قال الزمخشري[٢]: السيئةُ في حُكم الأسماءِ بمنزلةِ الذَّنْبِ والإثم زالَ عنه حكمُ الصفات، فلا اعتبارَ بتأنيثه، ولا فرقَ بين مَنْ قرأ: «سيئةً» ومن قرأ: «سيئاً»، ألا تراك تقول: الزِّنى سيئة، كما تقول: السرقة سيئة، فلا تُفرِّقُ بين إسنادها إلى مذكَّرٍ ومؤنَّث. انتهى. وهو تخريج حسن. وقيل: ذكَّرَ «مكروهاً» على لفظ «كل».

وجوَّزوا في «مكروهاً» أن يكون خبراً ثانياً لـ «كان» على مذهب مَنْ يُجيز تعداد الأخبار لـ «كان»، وأن يكون بدلاً من «سيئة»، والبدل بالمشتقِّ ضعيفٌ، وأن يكون حالاً من الضمير المستكِنِّ في الظرف قبله، والظرفُ في موضع الصفة. قيل: ويجوز أن يكون نعتاً لـ «سيئةً» لمَّا كان تأنيثُها مجازياً جازَ أن تُوصف بمُذكَّر، وضُعِّف هذا[٣] بأنَّ جواز ذلك إنَّما هو في الإسناد إلى المؤنَّث المجازي إذا تقدَّم، أمَّا إذا تأخَّر وأُسند إلى ضميرها فهو قبيحٌ؛ تقول: «أبقلَ الأرضَ إبقالَها»[٤] فصيحاً، والأرض أبقَلَ قبيحٌ، وأمَّا من قرأ «سيِّئُه» بالتذكير والإضافة، فـ «سيِّئُه» اسم «كان» و«مكروهاً» الخبر، ولمَّا تقدَّم من الخصال ما هو سيِّئٌ وما هو حسنٌ أُشيرَ

(١) المحرر الوجيز ٣/ ٤٥٧-٤٥٨. وتنظر القراءة الأولى والثانية في السبعة ص٣٨٠، والتيسير ص١٤٠.
(٢) في الكشاف ٢/ ٤٥٠.
(٣) ضعَّفه أبو علي الفارسي في الحجة في القراءات ٥/ ١٠٢.
(٤) وقد جاء في شعر عامر بن جوين الطائي كما في كتاب سيبويه ٢/ ٤٦، والكامل ٢/ ٨٤١، وذكره أيضاً أبو علي في الحجة:

فلا مُزنةٌ ودَقَتْ وَدْقَها ... ولا أرضَ أبقلَ إبقالَها

ثم قال أبو علي: هو مستقبحٌ عندهم.

بذلك إلى المجموع، وأفردَ «سيئةً» وهو المنهيُّ عنه، فالحكم عليه بالكراهة من قوله: ﴿لَّا تَجْعَلْ﴾ إلى آخر المنهيات. وأما قراءة عبد الله فتتخرَّج على أن يكون ممَّا أخبر فيه عن الجمع إخبارَ الواحد المذكَّر، وهو قليل، نحو قوله:

فـــإنَّ الـــحـــوادثَ أودى بـــهـــا[1]

لصلاحية «الحدثان» مكان «الحوادث» وكذلك هذا أيضاً كان ما يسوء مكان «سيئاته».

«ذلك» إشارةٌ إلى جميع أنواع التكاليف من قوله: ﴿لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾ إلى قوله: ﴿وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا﴾ وهي أربعة وعشرون[2] نوعاً من التكاليف بعضُها أمْرٌ وبعضُها نَهْيٌ، بدأها بقوله: ﴿لَّا تَجْعَلْ﴾ واختتم الآيات بقوله: ﴿وَلَا تَجْعَلْ﴾.

وقال: ﴿مِمَّآ أَوْحَىٰٓ﴾؛ لأنَّ ذلك بعضٌ ممَّا أوحى إليه، إذ أوحى بتكاليفَ أُخَر، و«ممَّا أوحى» خبرٌ عن ذلك، و«من الحكمة» يجوز أن يكون متعلِّقاً بـ «أوحى»، وأن يكون بدلاً من «ما»، وأن يكون حالاً من الضمير المنصوب المحذوف العائد على «ما»[3].

وكانت هذه التكاليفُ حكمةً؛ لأنَّ حاصلَها يرجعُ إلى الأمر بالتوحيدِ وأنواعِ الطاعات، والإعراضِ عن الدنيا والإقبالِ على الآخرة، والعقولُ تدلُّ على صِحَّتها، وهي شرائعُ في جميع الأديان لا تقبلُ النَّسْخ. وعن ابن عباس: إنَّ هذه الآياتِ كانت في ألواح موسى عليه السلام، أوَّلُها: ﴿لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾؛ قال تعالى: ﴿وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِي ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف: ١٤٥].

وكرَّر تعالى النَّهي عن الشرك، ففي النَّهي الأول ﴿فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا﴾، وفي الثاني ﴿فَتُلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا﴾، والفرقُ بين مذموم وملوم أنَّ كونَه مذموماً أنْ يذكرَ أنَّ الفعل الذي أقدمَ عليه قبيحٌ منكرٌ، وكونَه ملَوماً أنْ يُقال له بعد الفعل

(١) قائله الأعشى ميمون بن قيس، وهو في ديوانه ص٢٢١، والكتاب ٢/ ٤٦، وصدره: فإنْ تعهديني ولي لمَّةٌ.

(٢) في تفسير الرازي ٢٠/ ٢١٣ والكلام منه: خمسة وعشرون.

(٣) من قوله: «ومن الحكمة» إلى هنا من إملاء ما منَّ به الرحمن ٢/ ٩٣.

وذمُّه: لِمَ فعلتَ كذا؟ وما حملكَ عليه؟ وما استفدتَ منه إلَّا إلحاقَ الضرر بنفسك؟ فأوّلُ الأمرِ الذَّمُّ وآخرُه اللَّوم. والفرقُ بين مخذولٍ ومدحورٍ أنَّ المخذول هو المتروكُ إعانتُه ونصرُه، والمفوَّضُ إلى نفسه، والمدحورُ: المطرودُ المُبعَدُ على سبيل الإهانةِ له والاستخفافِ به، فأوّلُ الأمرِ الخِذْلانُ، وآخِرُه الطَّردُ مُهاناً، وكان وصفُ الذمِّ والخِذْلان يكون في الدنيا، ووصفُ اللَّوم والدُّحور يكون في الآخرة؛ ولذلك جاء ﴿فَتُلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ﴾(١).

والخِطابُ بالنهيِ في هذه الآيات للسامع غير الرسول(٢).

وقال الزمخشري(٣): ولقد جعلَ اللهُ عزَّ وعلا فاتحتَها وخاتمتَها النَّهيَ عن الشرك؛ لأنَّ التوحيدَ هو رأسُ كلِّ حكمة ومَلاكُها، ومَنْ عَدِمَه لم تنفَعْه حِكَمُه وعلومُه، وإنْ بذَّ فيها الحُكماءَ، وحكَّ بيافوخه السماء، وما أغنَتْ عن الفلاسفة أسفارُ الحِكَم، وهم عن دينِ الله أضَلُّ من النَّعَم.

﴿أَفَأَصْفَىٰكُمْ رَبُّكُم بِٱلْبَنِينَ وَٱتَّخَذَ مِنَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ إِنَـٰثًا ۚ إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِيَذَّكَّرُوا۟ وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤١﴾ قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّٱبْتَغَوْا۟ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾ سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤٣﴾ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَـٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَـٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾﴾.

لمَّا نبَّه تعالى على فساد طريقة مَنْ أثبتَ للهِ شريكاً ونظيراً أتبعَه بفساد طريقةِ مَنْ أثبتَ لله ولداً(٤).

والاستفهامُ معناه الإنكار والتوبيخ، والخطاب لمن اعتقدَ أنَّ الملائكةَ بناتُ الله، ومعنى «أفأصفاكم»: آثرَكم وخصَّكم، وهذا كما قال: ﴿أَمْ لَهُ ٱلْبَنَـٰتُ وَلَكُمُ ٱلْبَنُونَ﴾ [الطور: ٣٩]، ﴿أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ﴾ [النجم: ٢١] وهذا خلافُ الحكمة وما عليه

(١) تفسير الرازي ٢٠/ ٢١٣-٢١٤ بمعناه مع تقديم وتأخير، وما بعده منه، وكلام ابن عباس في الكشاف ٢/ ٤٥٠.
(٢) المحرر الوجيز ٣/ ٤٥٨، ومجمع البيان ١٥/ ٥٠.
(٣) في الكشاف ٢/ ٤٥٠.
(٤) تفسير الرازي ٢٠/ ٢١٥.

معقولُكم وعادتُكم، فإنَّ العبيدَ لا يُؤثِرون بأجوَدِ الأشياء وأصفاها من الشَّوب، ويكون أردؤُها وأدوَنُها للسادات[(١)]. ومعنى «عظيماً»: مبالغاً في المنكر والقبح[(٢)]، حيث أضفتُم إليه الأولاد، ثم حيث فضَّلتُم عليه تعالى أنفُسَكم فجعلتُم له ما تكرهون، ثم نسبةُ الملائكة الذين هم من شريف ما خَلَقَ إلى الأنوثة[(٣)].

ومعنى: «صرَّفنا»: نوَّعنا من جهةٍ إلى جهةٍ، ومن مِثالٍ إلى مثال. والتصريفُ لغةً: صرفُ الشيء من جهةٍ إلى جهةٍ، ثمَّ صار كنايةً عن التبيين[(٤)].

وقرأ الجمهور: «صرَّفنا» بتشديد الراء. وقيل: لم نجعَلْه نوعاً واحداً، بل وعداً ووعيداً، ومُحكماً ومُتشابهاً، وأمراً ونَهياً، وناسخاً ومنسوخاً، وأخباراً وأمثالاً، مِثلُ تصريف الرياح من صبًا ودَبُور، وجنوب وشَمال، ومفعول «صرَّفنا» على هذا المعنى محذوف، وهي هذه الأشياء، أي: صرَّفنا الأمثالَ والعِبَرَ والحِكَمَ والأحكامَ والإعلامَ. وقيل: المعنى: لم نُنزِلْه مرةً واحدةً، بل نجوماً، ومعناه: أكثَرْنا صَرْفَ جبريل إليك، والمفعول محذوفٌ، أي: صرَّفْنا جبريلَ[(٥)].

وقيل: «في» زائدة، أي: صرَّفْنا هذا القرآن، كما قال: ﴿وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِيٓ﴾[(٦)] [الأحقاف: ١٥] وهذا ضعيفٌ؛ لأنَّ «في» لا تُزاد.

وقال الزمخشري[(٧)]: يجوز أن يُريد بهذا القرآن إبطالَ إضافتهم إلى الله البنات؛ لأنَّه ممَّا صرَّفه وكرَّرَ ذِكْرَه، والمعنى: ولقد صرَّفْنا القولَ في هذا المعنى وأوقعنا التصريفَ فيه، وجعلناه مكاناً للتكرير، ويجوز أن يُشير بهذا القرآن إلى التنزيل ويريد: ولقد صرَّفناه ـ يعني هذا المعنيَّ ـ في مواضعَ من التنزيل، فتركَ الضمير؛ لأنَّه معلومٌ. انتهى. فجعلَ التصريفَ خاصًّا بما دلَّتْ عليه الآيةُ قبلَه، وجعلَ مفعولَ

(١) الكشاف ٢/ ٤٥٠ بنحوه.
(٢) المحرر الوجيز٣/ ٤٥٨ بنحوه.
(٣) الكشاف ٢/ ٤٥٠ بنحوه.
(٤) تفسير الرازي ٢٠/ ٢١٦ بنحوه.
(٥) تفسير القرطبي ١٣/ ٨٧، وعزاه للثعلبي.
(٦) تفسير الرازي ٢٠/ ٢١٧.
(٧) في الكشاف ٢/ ٤٥٠.

«صرَّفْنا» إمَّا القولَ في هذا المعنى، أو المعنى وهو الضمير الذي قدَّرَه في «صرَّفناه»، وغيرُه جعلَ التَّصريفَ عامًّا في أشياءَ، فقدَّرَ ما يشمل ما سيقَ له ما قبلَه وغيره.

وقرأ الحسن بتخفيف الراء، فقال صاحب «اللوامح»: هو بمعنى العامَّة ـ يعني بالعامة قراءةَ الجمهور ـ قال: لأنَّ «فعَلَ» و«فعَّلَ» ربما تعاقبا على معنًى واحد. وقال ابن عطية[١]: على معنى: صَرَفنا فيه الناسَ إلى الهدى بالدعاء إلى الله.

وقرأ الجمهور: «ليذَّكَّروا» أي: ليتذكَّروا، مِنَ التَّذكير؛ أُدغمتِ التاءُ في الذال. وقرأ الأخوان، وطلحة، وابن وَثَّاب، والأعمش: «لِيَذْكُروا» بسكون الذال وضمِّ الكاف، من الذِّكرِ أو الذُّكر، أي: ليتَّعِظوا ويعتَبِروا وينظروا فيما يُحتَجُّ به عليهم ويطمئِنُّوا إليه[٢].

﴿وَمَا يَزِيدُهُمْ﴾أي: التصريف[٣]﴿إِلَّا نُفُورًا﴾أي: بُعداً وفراراً عن الحقِّ، كما قال: ﴿فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ﴾[٤] [التوبة: ١٢٥]، وقال: ﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ ﴿٤٩﴾ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ﴾ [المدثر: ٤٩-٥٠] والنُّفور مِن أوصاف الدوابِّ الشديدة الشِّماس.

ولـمَّا ذكرَ تعالى نِسبةَ الولدِ إليهم وردَّ عليهم في ذلك، ذكَرَ قولهم: إنه تعالى معه آلهة، وردَّ عليهم.

وقرأ ابن كثير، وحفص: «كما يقولون» بالياء من تحت، والجمهور بالتاء[٥].

ومعنى ﴿لَّٱبْتَغَوْاْ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا﴾إلى مغالبتِه وإفساد ملكِه؛ لأنَّهم شركاؤه، كما يفعل الملوك بعضُهم مع بعض[٦]، وقال هذا المعنى أو مثلَه ابنُ جُبَير،

(١) في المحرر الوجيز ٣/٤٥٨، وقراءة الحسن الآنفة الذكر منها، وهي في القراءات الشاذة ص٧٧.
(٢) ينظر الكشاف ٢/٤٥٠، والمحرر الوجيز ٣/٤٥٨، وينظر السبعة ص٣٨٠، والتيسير ص١٤٠.
(٣) تفسير القرطبي ١٣/٨٨.
(٤) تفسير الرازي ٢٠/٢١٦.
(٥) السبعة ص٣٨١، والتيسير ص١٤٠.
(٦) الكشاف ٢/٤٥١.

وأبو عليٍّ الفارسي، والنَّقَّاش والمتكلِّمون أبو منصور وغيره، وعلى هذا تكون الآية بياناً للتمانع كما في قوله: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾[١] [الأنبياء: ٢٢]. ويأتي تفسيرها إن شاء الله تعالى. وقال قتادة ما معناه: لابتغوا إلى التقرُّبِ إلى ذي العرش والزُّلفى لديه، وكانوا يقولون: إنَّ الأصنام تُقرِّبهم إلى الله، فإذا علموا أنها تحتاج إلى الله فقد بطل كونُها آلهة[٢]، ويكون كقوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ﴾[٣] [الإسراء: ٥٧].

والكاف من «كما» في موضع نصب، فقال الحَوْفي: متعلِّقةٌ بما تعلَّقتْ به «مع» وهو الاستقرار، و«معه» خبر «كان». وقال أبو البقاء[٤]: كَوناً كقولهم.

وقال الزمخشري[٥]: و«إذا» دالَّةٌ على أنَّ ما بعدها وهو «لابتَغوا» جوابٌ عن مقالةِ المشركين وجزاءٌ لـ «لَوْ». انتهى.

وعطف «وتعالى» على قوله: «سبحانه»؛ لأنَّه اسمٌ قامَ مقامَ المصدر الذي هو في معنى الفعل، أي: براءة الله، وقدَّر «تنزَّه»، «وتعالى» يتعلَّق به «عن» على سبيل الإعمال، إذ يصحُّ لـ «سبحان» أن يتعلَّق به «عن» كما في قوله: ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الصافات: ١٨٠].

والتعالي في حقِّه تعالى هو بالمكانة لا بالمكان.

وقرأ الأخوان: «عمَّا تقولون» بالتاء من فوق، وباقي السبعة بالياء[٦].

وانتصبَ «علوًّا» على أنَّه مصدرٌ على غير الصدر، أي: تعالياً[٧]، ووُصِفَ بـ «كبيراً» مبالغةً في معنى البراءة والبُعدِ عمَّا وصفوه به[٨]؛ لأنَّ المنافاةَ بين

---

(١) المحرر الوجيز ٣/ ٤٥٨-٤٥٩.
(٢) تفسير القرطبي ١٣/ ٨٨.
(٣) الكشاف ٢/ ٤٥١.
(٤) في الإملاء ٢/ ٩٢، وما قبل كلام الحوفي منه.
(٥) في الكشاف ٢/ ٤٥٠.
(٦) السبعة ص٣٨١، والتيسير ص١٤٠.
(٧) ينظر إملاء ما من به الرحمن ٢/ ٩٢.
(٨) الكشاف ٢/ ٤٥١.

الواجبِ لذاتِه والممكنِ لذاتِه، وبين القديم والمُحدَثِ وبين الغنيِّ والمحتاجِ منافاةٌ لا تقبل الزيادة[١].

ونسبة التسبيح للسماوات والأرض ومن فيهنَّ من مَلَكٍ وإنسٍ وجِنٍّ حملَه بعضُهم على النُّطقِ بالتسبيح حقيقةً[٢]، وأنَّ ما لا حياةَ فيه ولا نموَّ يُحدِثُ اللهُ له نُطقاً، وهذا هو ظاهر اللفظ؛ ولذلك جاء: ﴿وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾.

وقال بعضهم: ما كان من نامٍ حيوانٍ وغيرِه يُسبِّحُ حقيقةً. وبه قال عكرمة؛ قال: الشجرةُ تُسبِّحُ، والأسطوانة لا تُسَبِّحُ. وسُئِلَ الحسن عن الخُِوان: أيُسبِّحُ؟ فقال: قد كان يُسبِّحُ مرةً. يشير إلى أنَّه حين كان شجرةً كان يُسبِّحُ، وحين صار خِواناً مدهوناً صار جماداً لا يُسبِّح[٣].

وقيل: التسبيح المنسوبُ لما لا يعقِلُ مجاز، ومعناه: أنَّها تُسبِّح بلسان الحال حيث تدلُّ على الصانع وعلى قدرته وحكمته وكماله، فكأنَّها تنطق بذلك، وكأنَّها تُنزِّهُ اللهَ ممَّا لا يجوز عليه من الشركاءِ وغيرِها، ويكون قولُه: ﴿وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ خطاباً للمشركين، وهم وإن كانوا معترفين بالخالق أنَّه الله، لكنَّهم لمَّا جعلوا معه آلهةً لم ينظروا ولم يُقِرُّوا؛ لأنَّ نتيجةَ النَّظرِ الصحيحِ والإقرارِ الثابتِ خلافُ ما كانوا عليه، فإذن لم يفقَهوا التسبيحَ ولم يستوضحوا الدلالة على الخالق، فيكونُ التسبيحُ المسندُ إلى السماواتِ والأرضِ ومن فيهنَّ على سبيل المجاز قَدْراً مشتركاً بين الجميع، وإن كان يصدرُ التسبيحُ حقيقةً ممَّن فيهنَّ من مَلَكٍ وإنسٍ وجانٍّ ولا تُحمَلُ نسبتُه إلى السماوات والأرض على المجاز، ونسبتُه إلى الملائكة والثَّقَلين على الحقيقة؛ لئلا يكون جمعاً بين المجاز والحقيقة بلفظٍ واحد[٤].

---

(١) تفسير الرازي ٢/ ، وفيه: لا تعقل الزيادة.
(٢) إلى هنا من المحرر الوجيز ٣/ ٤٥٩.
(٣) المحرر الوجيز ٣/ ٤٥٩، وزاد المسير ٥/ ٣٩، وأثر عكرمة أخرجه الطبري ١٤/ ٦٠٥، وأثر الحسن أخرجه الطبري أيضاً ١٤/ ٦٠٦.
(٤) الكشاف ٢/ ٤٥١ بنحوه.

وقال ابن عطية[١]: ثمَّ أعاد على السماوات والأرض ضميرَ مَنْ يعقِلُ لمَّا أسندَ إليها فِعْلَ العاقل وهو التَّسبيح. انتهى.

ويعني بالضمير في قوله: ﴿وَمَن فِيهِنَّ﴾ وكأنَّه تخيَّل أنَّ «هُنَّ» لا يكون إلَّا لمن يعقل من المؤنَّثات، وليس كما تخيَّل، بل «هُنَّ» يكون ضميراً لجمع المؤنَّثِ مطلقاً.

وقرأ النَّحْويان، وحمزة، وحفص: «تُسَبِّح» بالتاء من فوق، وباقي السبعة بالياء، وفي بعض المصاحف: «سبَّحَتْ له السماوات» بلفظ الماضي وتاء التأنيث، وهي قراءة عبد الله، والأعمش، وطلحة بن مُصرِّف[٢].

﴿إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا﴾ حيثُ لا يُعاجِلُكم بالعقوبة على سوء نظركم[٣]. ﴿غَفُورًا﴾ إن رجعتُم ووحَّدْتُم اللهَ تعالى.

﴿وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴿٤٥﴾ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۚ وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِى ٱلْقُرْءَانِ وَحْدَهُۥ وَلَّوْا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَـٰرِهِمْ نُفُورًا ﴿٤٦﴾ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِۦٓ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰٓ إِذْ يَقُولُ ٱلظَّـٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٤٧﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا۟ لَكَ ٱلْأَمْثَالَ فَضَلُّوا۟ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴿٤٨﴾ وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا كُنَّا عِظَـٰمًا وَرُفَـٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٤٩﴾﴾.

نزلت ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ في أبي سفيان والنَّضر وأبي جهل وأمِّ جميل امرأةِ أبي لهبٍ؛ كانوا يؤذون الرسولَ إذا قرأ القرآنَ، فحجبَ اللهُ أبصارهم إذا قرأ، فكانوا يمرُّون به ولا يَرَونه. قاله الكلبي[٤].

وعن ابن عباس: نزلَتْ في امرأة أبي لهب؛ دخلَتْ منزلَ أبي بكر وبيدِها فِهْرٌ والرسولُ ﷺ عنده، فقالت: هجاني صاحبُكَ. قال: ما هو بشاعر. قالت: قال:

---

(١) في المحرر الوجيز ٣/ ٤٥٩.

(٢) المحرر الوجيز ٣/ ٤٥٩-٤٦٠، وتنظر قراءات السبعة في السبعة ص٣٨١، والتيسير ص١٤٠، وأما قراءة «سبَّحت» فقد ذكرها الفراء في معاني القرآن ٢/ ١٢٤ عن عبد الله بن مسعود، وهي قراءة شاذة.

(٣) الكشاف ٢/ ٤٥١.

(٤) زاد المسير ٥/ ٤١، ومجمع البيان ١٥/ ٥٥، وتفسير القرطبي ١٣/ ٩٤-٩٥.

في جيدها حبلٌ من مسد، وما يُدريه ما في جِيدي؟ فقال لأبي بكر: «سَلْها هل ترى غيرَك، فإنَّ مَلَكاً لم يزَلْ يسترني عنها» فسألها فقالت: أتهزأ بي؟ ما أرى غيرَك. فانصرفَتْ ولم ترَ الرسولَ ﷺ(١).

وقيل: نزلَتْ في قومٍ من بني عبد الدار كانوا يؤذونَه في الليل إذا صلَّى وجهرَ بالقراءة، فحال اللهُ بينهم وبين أذاه(٢).

ولمَّا تقدَّم الكلامُ في تقرير الإلهية جاء بعده تقريرُ النبوة وذِكْرُ شيءٍ من أحوال الكفَرة في إنكارها وإنكار المعاد، والمعنى: وإذا شرَعْتَ في القراءة، وليس المعنى على الفراغ من القراءة، بل المعنى: على أنَّك إذا التَبَسْتَ بقراءة القرآن، ولا يُرادُ بالقرآن جميعُه، بل ما ينطلِقُ عليه الاسم، فإنَّك تقول لمن يقرأ شيئاً من القرآن: هذا يقرأ القرآن، ولا يُرادُ بالقرآن جميعُه، بل ما ينطلِقُ عليه الاسم، فإنَّك تقول لمن يقرأُ شيئاً من القرآن: هذا يقرأ القرآن. والظاهر أنَّ القرآن هنا هو ما قُرئ من القرآن أيُّ شيءٍ كان منه. وقيل: ثلاثُ آيات منه مُعيَّنة، وهي في النحل [١٠٨] ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ﴾ إلى ﴿ٱلْغَٰفِلُونَ﴾، وفي الكهف [٥٧] ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ﴾ إلى ﴿إِذًا أَبَدًا﴾، وفي الجاثية [٢٣]: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾ إلى ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾. وعن كعب أنَّ الرسول كان يستترُ بهذه الآيات. وعن ابن سيرين: أنَّه عيَّنها له هاتفٌ من جانب البيت. وعن بعضِهم: أنَّه أسرَّ فمكث زماناً ثم اهتدى إلى قراءَتِها، فخرج لا يُبصره الكفار وهم يطلبونه تمسُّ ثيابُهم ثيابَه.

قال القرطبي(٣): ويُزاد إلى هذه الآي أولُ «يس» إلى ﴿فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ الآية: ٩]، ففي السيرة أنَّ الرسولَ ﷺ حينَ نام عليٌّ على فراشِه خرج ينثرُ التراب على رؤوس الكفار فلا يرونه، وهو يتلو هذه الآيات من «يس»، ولم يبقَ أحدٌ منهم إلَّا وضعَ على رأسه تراباً.

---

(١) تفسير أبي الليث ٢/ ٢٧٠. وأخرجه البزار (١٥)، وأبو يعلى (٢٥)، وابن حبان (٦٥١١). وله طرق أخرى ينظر تخريجها في تفسير القرطبي ١٣/ ٩٣.

(٢) النكت والعيون ٣/ ٢٤٦.

(٣) في تفسيره ١٣/ ٩٣-٩٤، وما قبله منه دون قول ابن سيرين، وينظر الكلام الآتي في السيرة النبوية لابن هشام ١/ ٤٨٣.

والظاهر أنَّ المعنى: جعلنا بين رؤيتك وبين أبصار الذين لا يؤمنون بالآخرة، كما ورد في سبب النزول.

وقال قَتادة والزجّاج وجماعةٌ ما معناه: جعلنا بين فهم ما تقرأ وبينهم حجاباً فلا يُقِرُّون بنبوتك ولا بالبعث[١]. فالمعنى قريبٌ من الآية بعدها.

والظاهرُ إقرار «مستوراً» على موضوعه من كونه اسم مفعول، أي: مستوراً عن أعيُن الكفار فلا يرونه، أو مستوراً به الرسولُ عن رؤيتهم، ونُسبَ السترُ إليه لمَّا كان مستوراً به. قاله المبرِّد.

ويَؤُولُ معناه إلى أنَّه ذو ستر، كما جاء في صيغة لابنٍ وتامرٍ، أي: ذو لبَنٍ وذو تمرٍ، وقالوا: رجلٌ مرطوب، أي: ذو رطَبَة، ولا يُقال: رطبتُه، ومكان مَهُولٌ، أي: ذو هَول، وجاريةٌ مَغْنُوجَة، ولا يُقال: هُلْتُ المكانَ، ولا غنَجتُ الجاريةَ. وقال الأخفش وجماعة: «مستوراً»: ساتراً، واسم الفاعل قد يجيء بلفظ المفعول، كما قالوا: مشؤوم وميمون، يريدون: شائم ويامن[٢].

وقيل: «مستور» وُصِفَ على جهة المبالغة، كما قالوا: شِعْر شاعر. ورُدَّ بأنَّ المُبالغة إنَّما تكون باسم الفاعل ومن لفظ الأول[٣].

﴿وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا﴾ تقدَّم تفسيره في أوائل «الأنعام»[٤].

﴿وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِى ٱلْقُرْءَانِ وَحْدَهُۥ﴾ قيل: دخلَ ملأُ قريشٍ على أبي طالب يزورونه، فدخل عليهم رسولُ الله ﷺ فقرأ ومرَّ بالتوحيد، ثم قال: «يا معشر قريش، قولوا: لا إله إلَّا الله، تملكون بها العربَ، وتدينُ لكم العجم»، فولَّوا ونفَروا، فنزلت هذه الآية. والظاهر أنَّ الآية في حال الفارِّين عند وقت قراءته القرآن ومرورِه بتوحيد الله، والمعنى: إذا جاءت في قراءته مواضعُ التوحيد فرَّ

(١) ينظر النكت والعيون ٣/ ٢٤٦، وقول قتادة أخرجه الطبري ١٤/ ٦٠٨.
(٢) تفسير الرازي ٢٠/ ٢٢١-٢٢٢، وكلام الأخفش في معاني القرآن له ٢/ ٦١٣.
(٣) المحرر الوجيز ٣/ ٤٦٠.
(٤) عند تفسير الآية (٢٥) منها.

الكفارُ إنكاراً له واستبشاعاً لرفض آلهتهم واطِّراحها[١].

وقال الزمخشري[٢]: وَحَدَ يَحِدُ وَحْداً وَحِدَةً، نحو: وعدَ يَعِدُ وَعْداً وعِدَةً، و«وَحْدَه» من باب رجعَ عودَه على بَدْئه، وافعَلْه جَهْدَك وطاقَتَك، في أنَّه مصدرٌ سادٌّ مَسَدَّ الحال، أصلُه: يَحِدُ وحدَه، بمعنى «واحداً». انتهى.

وما ذهَبَ إليه من أنَّ «وَحْدَه» مصدرٌ سادٌّ مَسَدَّ الحال، خلافُ مذهب سيبويه، و«وحدَه» عند سيبويه ليس مصدراً، بل هو اسمٌ وُضِعَ موضعَ المصدرِ الموضوعِ موضعَ الحال، فـ «وحدَه» عنده موضوعٌ موضعَ «إيحادٍ»، و«إيحادٌ» موضوعٌ موضعَ «مُوْحِد»[٣]. وذهب يونس إلى أنَّ «وَحْدَه» منصوبٌ على الظرف. وذهبَ قومٌ إلى أنَّه مصدرٌ لا فِعْلَ له. وقومٌ إلى أنَّه مصدرٌ لـ «أَوْحَد» على حذف الزيادة. وقومٌ إلى أنَّه مصدرٌ لـ «وَحَدَ» كما ذهب إليه الزمخشري، وحُجَجُ هذه الأقوال مذكورةٌ في كتب النحو.

﴿وَإِذَا ذَكَرْتَ﴾ «وحدَه» بعد فاعل ومفعول نحو: ضربتُ زيداً؛ فذهب سيبويه أنَّه حالٌ من الفاعل، أي: مُوحِداً له بالضرب، ومذهب المبرِّد أنه يجوز أن يكون حالاً من المفعول، فعلى مذهب سيبويه يكون التقدير: وإذا ذكرتَ ربَّكَ مُوحِداً له بالذِّكر. وعلى مذهب أبي العباس يجوز أن يكون التقدير: مُوحِداً بالذِّكر.

و«نُفوراً» حالٌ، جمع نافر، كقاعد وقُعود، أو مصدر على غير الصدر؛ لأنَّ معنى وَلَّوا: نفروا[٤]، والظاهر عَوْدُ الضمير في «ولَّوا» على الكفار المتقدِّم ذِكْرُهم. وقالت فرقة: هو ضمير الشياطين[٥]؛ لأنَّهم يفِرُّون من القرآن، دلَّ على ذلك المعنى

(١) المحرر الوجيز ٣/ ٤٦٠، وينظر تفسير القرطبي ١٣/ ٩٦، وزاد المسير ٥/ ٤٢.
(٢) في الكشاف ٢/ ٤٥٢.
(٣) ينظر الكتاب لسيبويه ١/ ٣٧٦-٣٧٨.
(٤) تفسير القرطبي ١٣/ ٩٥-٩٦، وينظر تفسير الطبري ١٤/ ٦١١، ومعاني القرآن للزجاج ٣/ ٢٤٣، وإعراب القرآن للنحاس ٢/ ٤٢٦، والكشاف ٢/ ٤٥٢. وقول النصب على الحال قاله مكي بن أبي طالب في مشكل إعراب القرآن ١/ ٤٣٢.
(٥) تفسير القرطبي ١٣/ ٩٥، وذكرهما ابن الجوزي في زاد المسير ٥/ ٤١، ونسب القول الأول لابن زيد، والثاني لابن عباس.

وإن لم يَجْرِ لهم ذِكْرٌ»[١].

وقال أبو الجَوْزاء أوس بن عبد الله: ليس شيءٌ أطردَ للشيطان من القلبِ من لا إله إلا الله، ثم تلا: ﴿وَإِذَا ذَكَرْتَ﴾ الآية. وقال علي بن الحسين: هو البسملة[٢].

﴿نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِۦٓ﴾ أي: بالاستخفاف الذي يستمعون به والهُزْءِ بك وبالقرآن.

و«اللّغو» كان إذا قرأ ﷺ قام رجلان من بني عبد الدار[٣] عن يمينه ورجلان منهم عن يساره فيُصفِّقون ويُصفِّرون ويخلطون عليه بالأشعار.

و«بما» متعلِّقٌ بـ «أعلم» وما كان في معنى العلم والجهل وإن كان متعدِّياً لمفعول بنفسه فإنَّه إذا كان في باب أفعل في التعجُّب وفي أفعل التفضيل تعدَّى بالباء؛ تقول: ما أعلمَ زيداً بكذا، وما أجهلَه بكذا، وهو أعلَمُ بكذا، وأجهَلُ بكذا، بخلاف سائر الأفعال المتعدِّية لمفعول بنفسه، فإنَّه يتعدَّى في أفعل في التعجُّب وأفعل التفضيل باللام؛ تقول: ما أضرَبَ زيداً لعمرو، وزيدٌ أضرَبُ لعمرٍو من بكر.

و«به» قال الزمخشري[٤]: في موضع الحال، كما تقول: يستمعون بالهُزء، أي: هازئين. «وإذ يستمعون» نَصْبٌ بـ «أعْلَمُ» أي: أعلَمُ وقتَ استماعهم بما به يستمعون وبما يتناجون به إذ هم ذوو نجوى، ﴿إِذْ يَقُولُ﴾ بدل من «إذْ هُمْ». انتهى.

وقال الحَوْفي: لم يقُلْ: يستمعونه ولا يستمعونك، لمَّا كان الغرضُ ليس الإخبار عن الاستماع فقط، وكان مُضَمَّناً أنَّ الاستماعَ كان على طريق الهُزء بأن يقولوا: مجنون أو مسحور، جاء الاستماع بالباء و«إلى»؛ ليُعلَمَ أنَّ الاستماعَ ليس المرادُ به تفهُّمَ المسموع دون هذا المقصد. ﴿إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰٓ﴾ فـ «إذْ» الأولى تتعلَّق

(١) المحرر الوجيز ٣/ ٤٦١.
(٢) تفسير القرطبي ١٣/ ٩٥. وقول أبي الجوزاء ذكره النحاس في معاني القرآن ٤/ ١٦٠ بمعناه مختصراً. وقول علي بن الحسين في المحرر الوجيز ١/ ١٦٠.
(٣) تحرفت في جميع النسخ والمطبوع إلى: عبد الله، والمثبت من الكشاف ٢/ ٤٥٢ والكلام منه. وينظر روح المعاني ١٤/ ٥٤١.
(٤) في الكشاف ٢/ ٤٥٢.

بـ «يستمعون به»، وكذا «وإذ هم نجوى»؛ لأنَّ المعنى: نحن أعلم بالذي يستمعون به إليك وإلى قراءتك وكلامك إنَّما يستمعون لسَقَطِك وتتبُّع عيبك والتماسِ ما يطعنون به عليك، يعني: في زعمهم؛ ولهذا ذكر تعديته بالباء و«إلى». انتهى.

وقال أبو البقاء[١]: «يستمعون به» قيل: الباء بمعنى اللام، و«إذ» ظرفٌ لـ «يستمعون» الأولى، والنجوى مصدر، ويجوز أن يكون جمعَ نَجِيٍّ، كقتيلٍ وقَتلى، و«إذ» بدلٌ من «إذ» الأولى. وقيل: التقدير: اذكُرْ إذْ يقول.

وقال ابن عطية[٢]: الضمير في «به» عائدٌ على «ما» وهو بمعنى «الذي»، والمرادُ الاستخفافُ والإعراضُ، فكأنَّه قال: نحن أعلم بالاستخفاف والاستهزاء الذي يستمعون به، أي: هو ملازِمُهم، ففضحَ اللهُ بهذه الآية سِرَّهم، والعامل في «إذ» الأولى وفي المعطوف «يستمعون» الأولى. انتهى.

تناجوا فقال النضر: ما أفهَمُ ما يقول. وقال أبو سفيان: أرى بعضَه حقًّا. وقال أبو جهل: مجنون. وقال أبو لهب: كاهن. وقال حُوَيطب: شاعر[٣]. وقال بعضُهم: أساطير الأولين. وبعضُهم: إنَّما يعلِّمُه بشر.

ورُوِيَ أنَّ تناجيهم كان عند عُتْبَة، دعا أشرافَ قريش إلى طعام فدخلَ عليهمُ النبيُّ ﷺ وقرأ عليهم القرآن، ودعاهم إلى الله، فتناجوا، يقولون: ساحرٌ مجنون.

والظاهر أنَّ «مسحوراً» من «السِّحر» أي: خبَّلَ عقلَه السِّحرُ[٤]. وقال مجاهد: مخدوعاً، نحو: ﴿فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ﴾ [المؤمنون: ٨٩]. أي: تُخدَعون[٥]. وقال أبو عبيدة[٦]: «مسحوراً» معناه أنَّ له سَحْراً، أي: رِئَةً، فهو لا يستغني عن الطعام

---

(١) في الإملاء ٢/ ٩٢.
(٢) في المحرر الوجيز ٣/ ٤٦١.
(٣) تفسير أبي الليث ٢/ ٢٧١، وتفسير الرازي ٢٠/ ٢٢١.
(٤) تفسير القرطبي ١٣/ ٩٦-٩٧، وما بعده إلى ذكر شعر لبيد منه.
(٥) وذكره النحاس في معاني القرآن ٤/ ١٦١، والبغوي في تفسيره ٤/ ١٦١، وابن الجوزي في زاد المسير ٥/ ٤٢.
(٦) في مجاز القرآن ١/ ٣٨١-٣٨٢، ونقله عنه ابن عطية في المحرر الوجيز ٣/ ٤٦١، وابن الجوزي في زاد المسير ٥/ ٤٢-٤٣.

والشراب، فهو مِثْلُكم وليس بمَلَك، وتقول العرب للجبان: قد انتفخَ سَحْرُه. ولكلٍّ مَنْ أكلَ أو شربَ من آدميٍّ وغيرِه: مسحور؛ قال:

أرانا مُوْضِعِينَ لأمرِ غَيْبٍ ونُسْحَرُ بالطعامِ وبالشَّرابِ[١]

أي: نُغَذَّى ونُعَلَّل ونُسَحَّر؛ قال لبيد[٢]:

فإنْ تسألينا فيمَ نحنُ فإنَّنا عصافيرُ مِنْ هذا الأنامِ المُسحَّرِ

قال ابن قتيبة[٣]: لا أدري ما الذي حمل أبا عبيدة على هذا التفسير المُستَكْرَه، مع أنَّ السَّلفَ فسَّروه بالوجوه الواضحة.

وقال ابن عطية[٤]: الآية التي بعد هذا تُقَوِّي أنَّ اللَّفظةَ من السِّحْر - بكسر السين - لأنَّ [حينئذٍ] في قولهم ضَربَ مَثَلٍ له، وأمَّا على أنَّها من السَّحْر الذي هو الرِّئة ومن التغذِّي وأن تكون الإشارةُ إلى أنَّه بشرٌ، فلم يُضرَبْ له في ذلك مَثَلٌ، بل هي صفةٌ حقيقةٌ له؛ والأمثال تَقَدُّمُ ما قالوه في تناجيهم، وكان ذلك منهم على جهة التسلية والتلبيس، ثم رأى الوليدُ بنُ المغيرة أنَّ أقربَها لتخييل الطارئين عليهم هو أنَّه ساحرٌ ﴿فَضَلُّوا﴾ في جميع ذلك ضلالَ مَنْ يطلُبُ في التِّيْهِ[٥] طريقاً يسلُكُه فلا يقدِرُ عليه، فهو متحيِّرٌ في أمره، ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا﴾ إلى الهدى والنظر المؤدِّي إلى الإيمان، أو سبيلاً إلى إفساد أمرك وإطفاء نور الله بضربهم الأمثال واتِّباعهم كلَّ حيلةٍ في جهتك.

وحكى الطبري أنَّها نزلَتْ في الوليد بن المغيرة وأصحابه.

﴿وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا﴾ هذا استفهام تعجُّبٍ وإنكارٍ واستبعادٍ[٦].

---

(١) قائله امرؤ القيس، وهو في ديوانه ص٩٧. قال شارحه: «مُوضِعين» أي: مُسْرِعين. «لأمر غيبٍ» أي: للموت المُغيَّب. أي: نسرع في آجالنا وقد غيِّب عنا وقت انقضائها.

(٢) في ديوانه ص٥٦.

(٣) في غريب القرآن ص٢٥٦، ونقله عنه الرازي ٢٠/ ٢٢٣.

(٤) في المحرر الوجيز ٣/ ٤٦١-٤٦٢، وما بين حاصرتين منه، ووقع مكانه بياض في جميع النسخ الخطية، وكلام الطبري الآتي في تفسيره ١٤/ ٦١٣.

(٥) المثبت من (ز١) و(يه) و(د١)، وجاء في باقي النسخ والمطبوع: من يطلب فيه.

(٦) المحرر الوجيز ٣/ ٤٦٢.

لمَّا ضربوا له الأمثالَ وقالوا عنه: إنَّه مسحور، ذكروا ما استدلُّوا به على زعمهم على اتِّصافه بما نسبوا إليه، واستبعدوا أنَّه بعد ما يصيرُ الإنسان رُفاتاً يُحْييه اللهُ ويُعيدُه، وقد ردَّ عليهم ذلك بأنَّه تعالى هو الذي فطرَهم بعد العَدمِ الصِّرْفِ على ما يأتي شَرْحُه في الآية بعد هذا.

ومن قرأ من القُرَّاء «إذا» و«إنَّا» معاً أو أحدَهُما على صورة الخبر، فلا يُريد الخبرَ حقيقةً؛ لأنَّ ذلك كان يكون تصديقاً بالبعث والنشأة الآخرة، ولكنَّه حذفَ همزة الاستفهام لدلالة المعنى، وفي الكلام حذفٌ تقديره: إذا كنَّا تراباً وعظاماً نُبعَثُ أو نُعادُ، وحُذِف لدلالة ما بعده عليه، وهذا المحذوف هو جواب الشرط عند سيبويه، والذي تعلَّق به الاستفهامُ وانصبَّ عليه عند يونس[١].

و«خلقاً» حال، وهو في الأصل مصدرٌ أُطلِقَ على المفعول، أي: مخلوقاً[٢].

❁ ❁ ❁

﴿قُل كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ﴿٥٠﴾ أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ قُلْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ قَرِيبًا ﴿٥١﴾ يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٥٢﴾ وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿٥٣﴾ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ إِن يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ أَوْ إِن يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴿٥٤﴾ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَىٰ بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا ﴿٥٥﴾ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴿٥٦﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴿٥٧﴾ وَإِن مِّن قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا كَانَ ذَٰلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا ﴿٥٨﴾ وَمَا مَنَعَنَا أَن نُّرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَن كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا ﴿٥٩﴾ وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ

(١) تقدم الكلام على هذه المسألة عند تفسيره الآية (٥) من سورة الرعد.
(٢) إملاء ما من به الرحمن ٢/ ٩٢.

وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا (٦٠) وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ
اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا (٦١) قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَٰذَا الَّذِي
كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا (٦٢) قَالَ اذْهَبْ
فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ جَزَاءً مَّوْفُورًا (٦٣) وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ
وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعِدْهُمْ ۚ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ
إِلَّا غُرُورًا (٦٤) إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ ۚ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا (٦٥) رَّبُّكُمُ
الَّذِي يُزْجِي لَكُمُ الْفُلْكَ فِي الْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ ۚ إِنَّهُ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا (٦٦) وَإِذَا
مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ ۖ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ ۚ وَكَانَ الْإِنسَانُ كَفُورًا
(٦٧) أَفَأَمِنتُمْ أَن يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ
وَكِيلًا (٦٨) أَمْ أَمِنتُمْ أَن يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَىٰ فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِّنَ الرِّيحِ فَيُغْرِقَكُم
بِمَا كَفَرْتُمْ ۙ ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا (٦٩) ۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ
وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا (٧٠) يَوْمَ نَدْعُوا
كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ ۖ فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولَٰئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ
فَتِيلًا (٧١) وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا (٧٢) وَإِن كَادُوا
لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ ۖ وَإِذًا لَّاتَّخَذُوكَ خَلِيلًا (٧٣) وَلَوْلَا أَن
ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا (٧٤) إِذًا لَّأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ
الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا (٧٥) وَإِن كَادُوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ
مِنْهَا ۖ وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ خِلَافَكَ إِلَّا قَلِيلًا (٧٦) سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا ۖ وَلَا
تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا (٧٧) ﴾.

المفردات الحديد معروف.

نغضَتْ سِنُّه: تحرَّكت؛ قال:

ونَغَضَتْ من هَرَمٍ أسنانُها

يَنْغُضُ ويَنْغِضُ نَغْضاً ونُغوضاً، وأنغَضَ رأسَه: حرَّكه برفع وخفض. قال:

لمَّا رأتني أنغضَتْ ليَ الرأسا

وقال الآخر:

أنغضَ نحوي رأسَه وأقْنَعا كأنَّهُ يطلبُ شيئاً أطمَعَا[١]

وقال الفرَّاء: أنغَضَ رأسَه: حرَّكه إلى فوق وإلى أسفل. وقال أبو الهيثم: إذا أخبر بشيء فحرَّك رأسَه إنكاراً له فقد أنغَضَ رأسَه[٢].

وقال ذو الرمَّة[٣]:

ظعائِنُ لم يَسْكُنَّ أكنافَ قريةٍ بسِيفٍ ولم تَنْغُضْ بهنَّ القناطِرُ

حنكَ الدابَّةَ واحتنَكَها: جعلَ في حنكِها الأسفلِ حبلاً يقودها به، واحتنكَ الجرادُ الأرضَ: أكلَتْ نباتَها[٤]؛ قال:

نشكو إليكَ سَنَةً قد أجحَفَتْ جَهْداً إلى جَهْدٍ بنا فأضعَفَتْ

واحتَنَكَتْ أموالَنا وجَلَّفَتْ[٥]

ومنه ما ذكر سيبويه من قولهم: أحنَكُ الشاتين، أي: آكَلُهما[٦].

استفزَّ الرجلَ: استخفَّه، والفَزُّ: الخفيف، وأصله القطع، ومنه تفزَّز الثوبُ: انقطع[٧]، واستفزَّني فلانٌ: خدعني حتى وقعتُ في أمرٍ أراده.

وقيل لولد البقرة: فَزٌّ؛ لخِفَّتِه، قال الشاعر:

كما استغاثَ بِسَيْءٍ فَزُّ غَيطلةٍ خافَ العيونَ فلم يُنْظَرْ بهِ الحشَكُ[٨]

---

(١) من قوله: «نغضَت سنُّه» إلى هنا من تفسير القرطبي ١٣/ ١٠٠-١٠١، وينظر الصحاح (نغض)، ومجاز القرآن ١/ ٣٤٤ و٣٨٢، وتفسير الطبري ١٣/ ٧٠٨ و١٤/ ٦٢٠.

(٢) تهذيب اللغة ٨/ ١١، وتفسير الرازي ٢٠/ ٢٢٦، وقول الفراء في معاني القرآن له ٢/ ١٢٥.

(٣) في ديوانه ٢/ ١٠١٩، وأورده ابن عطية في المحرر الوجيز ٣/ ٤٦٢.

(٤) إصلاح المنطق ص٨٢، ونقله عنه النحاس في معاني القرآن ٤/ ١٧١.

(٥) المثبت من (ز١) و(د١)، وهو الموافق لما في مجاز القرآن ١/ ٣٨٤، وتفسير الطبري ١٤/ ٦٥٤، والمحرر الوجيز ٣/ ٤٧٠. وجاءت في باقي النسخ والمطبوع: جنفَتْ - بالنون -، وفي تفسير القرطبي ١٣/ ١١٧: واجتلفَتْ، وفي روح المعاني ١٤/ ٥٨٣: وأجلفت. ومعنى «وجَلَّفَتْ»: ذهبت السنون بأمواله.

(٦) الكشاف ٢/ ٤٥٦، وينظر الكتاب لسيبويه ٤/ ١٠٠.

(٧) ذكر هذا المعنى الأخير القرطبي في تفسيره ١٣/ ١١٨، إلا أنني لم أجده في معاجم اللغة في مادة (فزز) بزايين، وإنما وجدته في مادة (فزر) بزاي بعدها راء. وينظر الصحاح (فزر).

(٨) معجم مقاييس اللغة ٤/ ٤٣٩-٤٤٠، والبيت قائله زهير، وهو في ديوانه ص١٧٧. والسَّيءُ:

الجَلَبة: الصِّياح. قاله أبو عبيدة والفرَّاء. وقال أبو عبيدة: جلَبَ وأجلَبَ. وقال الزجَّاج: أجلَبَ على العدوِّ: جمع عليه الخيلَ. وقال ابن السِّكِّيت: جلَبَ عليه: أعانَ عليه. وقال ابن الأعرابي: أجلبَ على الرجل: إذا[1] توعَّده الشرَّ وجمع عليه الجمع[2].

الصوت معروف.

الحاصبُ: الريحُ ترمي بالحصباء. قاله الفرَّاء[3]. والحَصْبُ: الرميُ بالحصباء، وهي الحجارة الصغار. وقال الفرزدق[4]:

مستقبلينَ شَمالَ الشَّامِ تَضْرِبُهُمْ ... بحاصبٍ كنَديفِ القطنِ منثورِ

والحاصبُ: العارضُ الرامي بالبَرَد والحجارة[5].

«تارةً»: مرَّةً، وتُجمع على تِيَرٍ وتاراتٍ[6]؛ قال:

وإنسانُ عَيني يَحْسِرُ الماءَ تارةً ... فيَبدو وتاراتٍ يَجُمُّ فَيَغْرَقُ[7]

القاصف: الذي يكسر كلَّ ما يَلقى[8]. ويُقال: قصفَ الشجرَ يقصِفُه قصفاً: كَسَرَهُ[9]. وقال أبو تمام:

= اللبن يكون في الضَّرع قبل نزول الدِّرَّة. والغَيطلة: شجر مُلْتَف. وقال أبو عبيدة وغيره: البقرة الوحشية. والحشك: الاجتهاد والدفع باللبن.

(١) كلمة «إذا» ليست في (ز١) و(د١).

(٢) تفسير الرازي ٢١/٦.

(٣) النكت والعيون ٣/ ٢٥٧. وهو قول أبي عبيدة في مجاز القرآن ١/ ٣٨٥، وابن قتيبة في غريب القرآن ص٢٥٩. قلت: وما بعده من قولهما.

(٤) في ديوانه ١/ ٢١٣.

(٥) المحرر الوجيز ٣/ ٤٧٢.

(٦) مجاز القرآن ١/ ٣٨٥، والصحاح (تير).

(٧) قائله ذو الرمة، وهو في ديوانه ١/ ٤٦٠.

(٨) المحرر الوجيز ٣/ ٤٧٢.

(٩) تفسير الرازي ٢١/ ١١.

إنَّ الرِّياحَ إذا ما أعصفَتْ قصَفَتْ عَيْدانَ نجدٍ ولا يَعْبَأْنَ بالرَّتَمِ[١]

وقيل: القاصف: الريح التي لها قصيفٌ، وهو الصوتُ الشديد؛ كأنَّها تتقصَّف، أي: تتكسَّر[٢].

* * *

التفسير ﴿قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ﴿٥٠﴾ أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ قُلْ عَسَى أَن يَكُونَ قَرِيبًا ﴿٥١﴾ يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٥٢﴾﴾.

قال الزمخشري[٣]: لما قالوا: ﴿أَءِذَا كُنَّا عِظَامًا﴾ قيل لهم: ﴿كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا﴾ فردُّ قوله: «كونوا» على قولهم: «كنا»، كأنَّه قيل: كونوا حجارةً أو حديداً، ولا تكونوا عظاماً، فإنه يقدِرُ على إحيائكم. والمعنى: إنَّكم تستبعِدون أن يُجدِّد الله خلقَكم ويرُدَّه إلى حال الحياة وإلى رطوبة الحيِّ وغضاضتِه بعد ما كنتم عظاماً يابسةً، مع أنَّ العظامَ بعضُ أجزاءِ الحيّ، بل هي عمودُ خلقِه الذي يُبنى عليه سائرُه، فليس بِبِدْعٍ أن يَرُدَّها اللهُ بقدرتِه إلى حالتها الأولى، ولكن لو كنتم أبعدَ شيءٍ من الحياة ورطوبةِ الحيّ ومن جنسِ ما رُكِّبَ به البشر، وهو أن تكونوا حجارةً يابسةً أو حديداً، مع أنَّ طِباعَها الجساوة[٤] والصلابة، لكان قادراً على أن يَرُدَّكم إلى حال الحياة أو خلقاً مما يكبُر عندكم عن قبول الحياة ويعظُمُ في زعمكم على الخالق إحياؤه فإنَّه يُحييه.

وقال ابن عطية[٥]: كونوا إن استطعتم هذه الأشياءَ الصعبةَ الممتنعةَ التأتِّي، لا بُدَّ من بعثِكم. وقوله: «كونوا» هو الذي يسمِّيه المتكلِّمون التعجيزَ من أنواع

(١) ديوان أبي تمام ٣/ ٢٨٠، و«العَيْدان» جمع عَيْدانة: وهي النخلة الطويلة. و«الرَّتَم» ضربٌ من الشجر.
(٢) الكشاف ٢/ ٤٥٨.
(٣) في الكشاف ٢/ ٤٥٢.
(٤) المثبت من (ز١) و(به) و(د١)، وفي باقي النسخ: القساوة، والمعنى متقارب.
(٥) في المحرر الوجيز ٣/ ٤٦٢.

افْعَلْ، وبهذه الآية مثَّلَ بعضُهم، وفي هذا عندي نَظَر، وإنَّما التعجيزُ حيث يقتضي بالأمرِ فعلَ ما لا يقدرُ عليه المخاطب، كقوله تعالى: ﴿فَادْرَءُوا عَنْ أَنفُسِكُمُ الْمَوْتَ﴾ [آل عمران: ١٦٨] ونحوه، وأمَّا هذه الآية فمعناها: كونوا بالتوهُّم والتقديرِ كذا وكذا، الذي فطركم كذلك هو يُعيدكم. انتهى.

وقال مجاهد: المعنى: كونوا ما شئتم فستُعادون. وقال النحَّاس: هذا قولٌ حسن؛ لأنَّهم لا يستطيعون أن يكونوا حجارةً، وإنَّما المعنى أنَّهم قد أقرُّوا بخالقهم وأنكروا البعث، فقيل لهم: استشعروا أن تكونوا ما شئتم، فلو كنتم حجارةً أو حديداً لبُعِثْتُم كما خُلِقْتُم أوَّلَ مَرَّةٍ[١]. انتهى.

﴿أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ﴾ أي: صلابتُه وزيادتُه على قوةِ الحديد وصلابتِه، ولم يُعَيِّنْهُ تَرَكَ ذلك إلى أفكارهم وجولانها فيما هو أصلب من الحديد، فبدأ أولاً بالصُّلب، ثم ذكر على سبيل الترقِّي الأصلبَ منه، ثم الأصلبَ من الحديد، أي: افرضوا ذواتِكم شيئاً من هذه فإنَّه لا بُدَّ لكم من البعث على أيِّ حالٍ كنتم.

وقال ابن عمر، وابن عباس، وعبد الله بن عمرو، والحسن، وابن جُبير، والضحَّاك: الذي يكبُر: الموت[٢]. أي: لو كنتمُ الموتَ لأماتكم ثم أحياكم[٣].

وهذا التفسير لا يتمُّ إلَّا إذا أُريد المبالغةُ لا نفسُ الأمر؛ لأنَّ البدنَ جسمٌ والموتَ عَرَضٌ، ولا ينقلبُ الجسمُ عَرَضاً، ولو فُرِضَ انقلابُه عَرَضاً لم يكُنْ ليقبلَ الحياةَ لأجل الضِّدِّية. وقال مجاهد: الذي يكبُر: السماواتُ والأرضُ والجبال[٤].

---

(١) تفسير القرطبي ١٣/٩٩، وقول مجاهد في تفسيره ١/٣٦٣، وأخرجه عنه الطبري ١٤/٦١٨. وقول النحاس في معاني القرآن له ٤/١٦٣.

(٢) تفسير القرطبي ١٣/٩٩ دون ذكر الحسن. ونُقلت أقوالهم متفرقة في معاني القرآن للنحاس ٤/١٦٣-١٦٤، وتفسير أبي الليث ٢/٢٧٢، والنكت والعيون ٣/٢٤٨، ومجمع البيان ١٥/٥٨، وزاد المسير ٥/٤٤. وأخرجه عبد الرزاق في تفسيره ١/٣٧٩ عن سعيد بن جبير. وأخرجه الطبري ١٤/٦١٦-٦١٧ عنهم جميعاً.

(٣) تفسير أبي الليث ١٥/٥٨ ونسبه للكلبي، وأخرجه عنه عبد الرزاق ١/٣٧٩.

(٤) تفسير الرازي ٢٠/٢٢٦. وقول مجاهد ذكره القرطبي ١٣/٩٩، وأخرجه عبد الرزاق ١/٣٧٩.

ولمَّا ذكر أنَّهم لو كانوا أصلبَ شيءٍ وأبعدَه من حُلول الحياة به كان خلقُ الحياةِ فيه ممكناً، قالوا: مَن الذي هو قادرٌ على صيرورةِ الحياةِ فينا وإعادتِنا؟ فنبَّههم على ما يقتضي الإعادة، وهو أنَّ الذي أنشأكم واخترعكم أوَّل مرَّةٍ هو الذي يُعيدكم.

و«الذي» مبتدأ، وخبره محذوف، التقدير: الذي فطرَكُم أولَ مرَّةٍ يُعيدكم، فيُطابق الجوابُ السؤالَ. ويجوز أن يكون فاعلاً، أي: يُعيدكم الذي فطَركم. ويجوز أن يكون خبرَ مبتدإٍ، أي: مُعيدكم الذي فطرَكم، و«أولَ مرَّة» ظرف العامل فيه «فطَركم». قاله الحَوْفي.

﴿فَسَيُنْغِضُونَ﴾ أي: يُحرِّكونها على سبيل التكذيب والاستبعاد، ويقولون: متى هو؟ أي: متى العَوْد؟ ولم يقولوا ذلك على سبيل التسليم للعَوْد، ولكِنْ حَيدَةٌ وانتقالٌ لِما لا يُسألُ عنه؛ لأنَّ ما يثبتُ إمكانُه بالدليل العقلي لا يُسأل عن تعيينِ وقوعِه، ولكِنْ أجابَهم عن سؤالهم بقُربِ وقوعِه لا بتعيينِ زمانِه؛ لأنَّ ذلك ممَّا استأثرَ اللهُ تعالى بعلمِه.

واحتمَلَ أن يكونَ في «عسى» إضمارٌ، أي: عسى هو، أي العَوْد. واحتمَلَ أن يكون مرفوعُها «أن يكون» فتكون تامَّة. و«قريباً» يحتمل أن يكون خبرَ «كان» على أنَّه يكون العَوْدُ متَّصفاً بالقرب. ويحتمل أن يكون ظرفاً، أي: زماناً قريباً، وعلى هذا التقدير يكون «يومَ يدعوكم» بدلاً من «قريباً».

وقال أبو البقاء[1]: «يومَ يدعوكم» ظرفٌ لـ «يكون»، ولا يجوز أن يكون ظرفاً لاسم «كان» وإنْ كان ضميرَ المصدر؛ لأنَّ الضمير لا يعمل. انتهى.

أمَّا كونُه ظرفاً لـ«يكون» فهذا مبنيٌّ على جواز عمل «كان» الناقصة في الظرف، وفيه خلاف. وأمَّا قوله: لأن الضمير لا يعمل، فهو مذهب البصريين، وأما الكوفيون فيُجيزون أن يعمل، نحو: مروري بزيدٍ حسنٌ، وهو بعمرٍو قبيحٌ[2]، يُعلِّقون «بعمرو» بلفظ «هو» أي: ومروري بعمرٍو قبيحٌ.

(١) في الإملاء ٢/ ٩٣.
(٢) ينظر مغني اللبيب ص١٤٤.

والظاهر أنَّ الدعاءَ حقيقةٌ، أي: يدعوكم بالنداء الذي يُسمعكم وهو النفخة الأخيرة، كما قال: ﴿يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾ الآية [ق: ٤١].

ويقال: إنَّ إسرافيل عليه السلام يُنادي: أيتها الأجسامُ الباليةُ والعظامُ النَّخِرة والأجزاءُ المتفرِّقةُ عودي كما كنتِ[١]. ورُوي في الحديث أنَّه قال ﷺ: «إنَّكم تُدعَون يومَ القيامة بأسمائِكم وأسماءِ آبائكم، فأحسنوا أسماءَكم»[٢].

ومعنى: «فتستجيبون»: توافقون الداعي فيما دعاكم إليه.

وقال الزمخشري[٣]: الدعاء والاستجابة كلاهما مجاز، والمعنى: يوم يبعثكم فتنبعثون مطاوعين منقادين لا تمتنعون. انتهى.

والظاهر أنَّ الخطاب للكفار؛ إذِ الكلامُ قبلَ ذلك معهم، فالضميرُ لهم، و«بحمده» حالٌ منهم. قال الزمخشري: وهي مبالغةٌ في انقيادهم للبعث، كقولك لمن تأمرُه بركوب ما يشقُّ عليه فيتأبَّى ويمتنع: ستركبُه وأنتَ حامدٌ شاكر. يعني: أنَّكَ تُحمَلُ عليه وتُقسَرُ قسراً، حتى إنَّك تلينُ لِينَ المُسْمِحِ الراغبِ فيه الحامدِ عليه. وعن سعيد بن جُبير: ينفضون التراب عن رؤوسهم ويقولون: سبحانك اللَّهم وبحمدك. انتهى. وذلك لِما ظهر لهم من قدرته[٤].

وقيل: معنى «بحمده» أنَّ الرسولَ قائلٌ ذلك، لا أنَّهم يكون «بحمده» حالاً منهم، فكأنَّه قال: عسى أن تكون الساعةُ قريبةً يومَ يدعوكم، فتقومون بخلاف ما تعتقدون الآن، وذلك بحمد الله على صدق خبري، كما تقول لرجلٍ خصَمْتَه أو حاوَرْتَه في علم: قد أخطأتَ بحمد الله[٥]. فبحمدِ الله ليس حالاً من فاعل أخطأتُ، بل المعنى: أخطأتُ والحمد لله، وهذا معنًى مُتكلَّفٌ نحا إليه الطبري[٦]،

(١) تفسير الرازي ٢٠/ ٢٢٧.

(٢) أخرجه أحمد (٢١٦٩٣)، وأبو داود (٤٩٤٨) من طريق عبد الله بن أبي زكريا الخزاعي، عن أبي الدرداء مرفوعاً. عبد الله بن أبي زكريا لم يسمع من أبي الدرداء. ينظر المراسيل ص٩٨.

(٣) في الكشاف ٢/ ٤٥٢.

(٤) المحرر الوجيز ٣/ ٤٦٣، وما بعده منه أيضاً مع تقديم وتأخير.

(٥) إلى هنا من المحرر الوجيز.

(٦) في تفسيره ١٤/ ٦٢٢-٦٢٣.

وكأنَّ «بحمده» يكونُ اعتراضاً؛ إذ معناه: والحمد لله[١]، ونظيرُه قول الشاعر:

فإنِّي بحمدِ اللهِ لا ثوبَ فاجرٍ لبِسْتُ ولا مِنْ غَدْرَةٍ أتقَنَّعُ[٢]

أي: فإنِّي والحمدُ لله، فهذا اعتراضٌ بين اسم «إنَّ» وخبرها، كما أنَّ «بحمده» اعتراضٌ بين المتعاطفين، ووقع في لفظ ابن عطية حين قرَّر هذا المعنى قوله: عسى أنَّ الساعةَ قريبةٌ، وهو تركيبٌ لا يجوز، لا تقول: عسى أنَّ زيداً قائمٌ، بخلاف: عسى أن يقوم زيدٌ.

وعلى أن يكون «بحمده» حالاً من ضمير «فتستجيبون»، قال المفسِّرون: حَمِدوا حين لا ينفعهم الحمد. وقال قتادة: معناه: بمعرفته وطاعته. ﴿وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا﴾ قال ابن عباس: بين النفختين الأولى والثانية، فإنَّه يُزالُ عنهم العذاب في ذلك الوقت، ويدلُّ عليه ﴿مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ هَٰذَا﴾ [يس: ٥٢] فهذا عائدٌ إلى لُبثِهم فيما بين النفختين. وقال الحسن: تقريبُ وقت البعث، فكأنَّك بالدنيا لم تكن، وبالآخرة لم تزَلْ. فهذا يرجع إلى استقلال مدة اللبث في الدنيا[٣]. وقال الزمخشري[٤]: وتظنُّون وترون الهولَ، فعنده تستقصرون مدةَ لُبثِكم في الدنيا وتحسبونها يوماً أو بعض يوم. وعن قَتادة: تحاقَرَتِ الدُّنيا في أنفسهم حين عاينوا الآخرة. انتهى.

وقيل: استقَلُّوا لُبْثَهم في عَرْصة القيامة؛ لأنَّه لمَّا كانت عاقبةُ أمرِهم الدخولَ إلى النار استقصروا مدَّة لُبْثِهم في برزخ القيامة. وقيل: تَمَّ الكلامُ عند قوله: ﴿قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبًا﴾.

و﴿يَوْمَ يَدْعُوكُمْ﴾ خطابٌ مع المؤمنين لا مع الكافرين؛ لأنَّهم يستجيبون لله بحمده يحمدونه على إحسانه إليهم، فلا يليق هذا إلَّا بهم[٥].

---

(١) نقل هذا المعنى القرطبيُّ ١٣/ ١٠١ عن أبي سهل.

(٢) قائله غيلان بن سلمة الثقفي كما في غريب القرآن لابن قتيبة ص٤٩٥، وتفسير الطبري ٢٣/ ٤٠٦، والنكت والعيون ٦/ ١٣٦، وتفسير البغوي ٤/ ٤١٣، وزاد المسير ٨/ ٤٠٠. قلت: ونسبه المرزباني ص٤٣٦ لأوفى بن مطر، ونسبه صاحب الأغاني ١٦/ ٢٣٥ لبرذع بن عدي.

(٣) تفسير الرازي ٢٠/ ٢٢٧، وقول قتادة أخرجه الطبري ١٤/ ٦٢٢.

(٤) في الكشاف ٢/ ٤٥٢، وقول قتادة الآتي أخرجه الطبري ١٤/ ٦٢٣.

(٥) تفسير الرازي ٢٠/ ٢٢٨، وما قبله منه.

وقيل: يحمده المؤمنُ اختياراً والكافرُ اضطراراً، وهذا يدلُّ على أنَّ الخطاب للكافر والمؤمن، وهو الذي يدلُّ عليه ما رُوي عن ابن جُبير، وإذا كان الخطابُ للكفار ـ وهو الظاهر ـ فيحتمِلُ أن يكون الظَّنُّ على بابه، فيكون لمَّا رجعوا إلى حالة الحياة وقعَ لهم ظَنٌّ أنَّهم لم ينفصلوا عن الدنيا إلَّا في زمنٍ قليل، إذ كانوا في ظنِّهم نائمين. ويَحْتَمِلُ أن يكون بمعنى اليقين من حيث علموا أنَّ ذلك مُنْقَضٍ مُنْصَرِمٌ.

والظاهرُ أنَّ «وتظنُّون» معطوفٌ على «تستجيبون» وقاله الحَوْفي. وقال أبو البقاء[1]: أي: وأنتم تظنُّون، والجملة حال. انتهى.

و«إن» هنا نافية، و«تظنُّون» مُعلَّقٌ عن العمل، فالجملة بعده في موضع نصب، وقلَّما ذكر النَّحْويون في أدوات التعليق «إن» النافية، ويظهر أنَّ انتصابَ «قليلاً» على أنه نعتٌ لزمانٍ محذوف، أي: إلَّا زماناً قليلاً، كقوله: ﴿قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ [الكهف: ١٩]. ويجوز أن يكون نعتاً لمصدرٍ محذوف، أي: لبثاً قليلاً. ودِلالةُ الفعل على مصدره دلالةٌ قوية.

﴿وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿٥٣﴾ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ ۖ إِن يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ أَوْ إِن يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ ۚ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴿٥٤﴾ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعْضٍ ۖ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿٥٥﴾﴾.

قيل: سبب نزولها أنَّ عمر بن الخطاب ﷺ شتَمه بعضُ الكفَرة، فسبَّه عمرُ وهَمَّ بقتلِه، فكاد يثيرُ فتنةً، فنزلت الآية[2]. وهي منسوخةٌ بآية السيف.

وارتباطُها بما قبلَها أنَّه لمَّا تقدَّم ما نسَبَ الكفارُ لله تعالى من الولد ونفورُهم عن كتاب الله إذا سمعوه وإيذاء الرسول ﷺ ونسبتِه إلى أنَّه مسحور وإنكار البعث، كان ذلك مَدْعاةً لإيذاء المؤمنين، ومجلبةً لبُغضِ المؤمنين إيَّاهم ومعاملتِهم

(١) في الإملاء ٢/ ٩٣.
(٢) تفسير القرطبي ١٣/ ١٠٣، ونقله عن النكت والعيون ٣/ ٢٤٩، والمحرر الوجيز ٣/ ٤٦٤، وأسباب النزول للواحدي ص٢٩٥. وما بعده من المحرر الوجيز وحده.

بما عاملوهم، فأمر اللهُ تعالى نبيَّه أن يوصي المؤمنين بالرفق بالكفار واللُّطف بهم في القول، وأن لا يعاملوهم بمثل أفعالهم وأقوالهم، فعلى هذا يكون المعنى: قل لعبادي المؤمنين يقولوا للمشركين الكَلِمَ التي هي أحسن. وقيل: المعنى: يقولوا؛ أي: يقول بعض المؤمنين لبعضِ الكَلِمَ التي هي أحسن، أي: يُجِلُّ بعضُهم بعضاً ويُعظِّمه، ولا يصدر له منه إلا الكلامُ الطيِّبُ والقولُ الجميل، فيكونوا مثلَ المشركين في معاملة بعضهم بعضاً بالتهاجي والسِّبابِ والحروبِ والنهبِ للأموالِ والسبيِ لِلنساءِ والذَّراري.

وقيل: «عبادي» هنا: المشركون؛ إذ المقصود الدعاء إلى الإسلام، فخوطبوا بالخطاب الحسن ليكون ذلك سبباً إلى قبول الدين، فكأنَّه قيل: قُلْ للذين أقرُّوا أنَّهم عبادٌ لي يقولوا التي هي أحسن، وهو توحيدُ الله تعالى وتنزيهُه عن الولدِ واتخاذِ الملائكة بناتٍ، فإنَّ ذلك من نَزْغِ الشيطانِ ووسوستِه وتحسينِه. وقيل: «عبادي» شاملٌ للفريقين المؤمنين والكافرين على ما يأتي تفسير «التي هي أحسن».

والذي يظهر أنَّ لفظةَ «عبادي» مضافةً إليه تعالى كثُرَ استعمالُها في المؤمنين في القرآن، كقوله: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ ۝١٧ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ﴾ [الزمر: ١٧-١٨]، ﴿فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى﴾ [الفجر: ٢٩]، ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ﴾[1] [الإنسان: ٦].

و«قُلْ» خطابٌ للرسول ﷺ، وهو أمر، ومعمول القول محذوفٌ تقديره: قولوا التي هي أحسن. وانجزَمَ «يقولوا» على أنَّه جوابٌ للأمر الذي هو «قُلْ». قاله الأخفش. وهو صحيح المعنى على تقدير أن يكون: «عبادي» يُراد به المؤمنون؛ لأنَّهم لمسارعتهم لامتثال أمر الله تعالى بنفس ما يقول لهم ذلك قالوا التي هي أحسن. وعن سيبويه أنَّه انجزَمَ على جوابٍ لشرطٍ محذوفٍ، أي: إنْ تَقُلْ لهم يقولوا، فيكون في قوله حذفُ معمولِ القول وحذفُ الشرط الذي «يقولوا» جوابُه. وقال المُبرِّد: انجزَمَ جواباً للأمر الذي هو معمول «قُلْ» أي: قولوا التي هي أحسن يقولوا. وقيل: معمول «قُلْ» مذكورٌ لا محذوفٌ، وهو «يقولوا» على تقدير لام الأمر، وهو مجزومٌ بها. قاله الزجَّاج. وقيل: «يقولوا»

(١) تفسير الرازي ٢٠/٢٢٨-٢٢٩ بنحوه مع تقديم وتأخير.

مبنيٌّ وهو مضارعٌ حَلَّ محلَّ المبني الذي هو فعل الأمر، فبُنيَ، والمعنى: قُلْ لعبادي: قولوا. قاله المازني[١]. وهذه الأقوال جرَتْ في قوله: ﴿قُل لِّعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [إبراهيم: ٣١] وترجيح ما ينبغي أن يُرجَّحَ مذكورٌ في علم النحو.

و«التي هي أحسن» قالت فرقة منهم ابن عباس: هي قولُ لا إله إلا الله[٢]. قال ابن عطية: ويلزم على هذا أن يكون قولُه: «لعبادي» يريدُ به جميعَ الخلق؛ لأنَّ جميعَهم مدعوٌّ إلى لا إله إلا الله، ويجيء قولُه بعد ذلك: ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ﴾ غيرَ مناسب للمعنى إلَّا على تكَرُّهٍ بأن يجعل «بينَهم» بمعنى: خلالهم وأثناءهم، ويجعل النزغ بمعنى: الوسوسة والإضلال. وقال الحسن: يرحمُكَ الله، يغفرُ اللهُ لك[٣]. وعنه أيضاً: الأمر بامتثال الأوامر واجتناب المناهي[٤]. وقيل: القول للمؤمن: يرحمك الله، وللكافر: هداك الله[٥]. وقال الجمهور: وهي المحاورة الحسنى بحسب معنًى معنًى[٦].

وقال الزمخشري[٧]: فسّر «التي هي أحسن» بقوله: ﴿رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ إِن يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ أَوْ إِن يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ﴾ يعني: يقول لهم هذه الكلمة ونحوَها، ولا يقولوا لهم: إنَّكم من أهل النار وإنَّكم مُعذَّبون وما أشبه ذلك مما يغيظهم ويهيجهم على الشَّرِّ. وقوله: ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ﴾ اعتراض بمعنى: يُلقي بينهم الفساد ويُغري بعضُهم على بعض ليقعَ بينهم المشارَّةُ والمشاقَّةُ.

---

(١) ينظر المحرر الوجيز ٣/ ٤٦٣-٤٦٤، وكلام الأخفش في معاني القرآن له ٢/ ٦١٤، ومذهب سيبويه في الكتاب ٣/ ٩٩، وكلام المبرد في المقتضب ٢/ ٨٤.

(٢) النكت والعيون ٤/ ٢٨٦، والمحرر الوجيز ٣/ ٤٦٤.

(٣) المحرر الوجيز ٣/ ٤٦٤، وزاد المسير ٥/ ٤٧. وأخرجه الطبري ١٤/ ٦٢٣-٦٢٤.

(٤) النكت والعيون ٣/ ٢٤٩، ومجمع البيان ١٥/ ٦١.

(٥) العبارة في تفسير القرطبي ١٣/ ١٠٣: هو أن يقول للكافر إذا تشطَّط: هداك الله! يرحمك الله!. ونسبها للحسن.

(٦) المحرر الوجيز ٣/ ٤٦٤، وينظر تفسير الطبري ١٤/ ٦٢٣، وتفسير القرطبي ١٣/ ١٠٣، وزاد المسير ٥/ ٤٧.

(٧) في الكشاف ٢/ ٤٥٣.

وقال أبو عبد الله الرازي[١] ما ملَخَّصه: إذا أردتم الحجَّة على المخالف فاذكروها بالطريق الأحسن، وهو أن لا يخلط بالسبِّ، كقوله: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَـٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥]، ﴿وَلَا تُجَـٰدِلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [العنكبوت: ٤٦]. وخلطُ الحجَّةِ بالسبِّ سببٌ للمقابلة بمثله، وتنفيرٌ عن حصول المقصود من إظهارِ الحجَّة وتأثيرِها، ثم نبَّه على هذا الطريق بقوله: ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ﴾ جامعاً للفريقين، أي: متى امتزجَتِ الحجَّةُ بالإيذاء كانت الفتنة. انتهى.

وقرأ طلحة: «ينزِغ» بكسر الزاي. قال أبو حاتم: لعلَّها لغةٌ، والقراءة بالفتح[٢]. وقال صاحب «اللوامح»: هي لغة. وقال الزمخشري[٣]: هما لغتان، نحو «يعرُشون» و«يعرِشون». انتهى. ولو مثَّل بـ «ينْطَح» و«ينْطِح» كان أنسب.

وبيَّن تعالى سببَ النَّزْغ وهي العداوة القديمة لأبيهم آدم قبلهم.

وقوله: ﴿ثُمَّ لَـَٔاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ﴾ الآية وغيرها من الآيات الدالَّة على تسلُّطه على الإنسان وابتغاء الغوائل المهلكة له.

والخطابُ بقوله: ﴿رَّبُّكُمْ﴾ إن كان للمؤمنين؛ فالرحمة الإنجاء من كفار مكة وأذاهم، والتعذيبُ تسليطُهم عليهم.

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ۝٥٤﴾ أي: على الكفار، حافظاً وكفيلاً، فاشتغِلْ أنتَ بالدَّعوة، وإنَّما هدايتُهم إلى الله. وقيل: يرحمكم بالهداية إلى التوفيق والأعمال الصالحة، وإن شاء عذَّبكم بالخِذْلان[٤].

وإنْ كان الخطابُ للكفار، فقال مقاتل: يرحمكم الله بالهداية إلى الإيمان، ويُعذِّبكم: يميتكم على الكفر. وذكر أبو سليمان الدمشقي: لمَّا نزلَ القحطُ بالمشركين قالوا: ﴿رَّبَّنَا ٱكْشِفْ عَنَّا ٱلْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ﴾ [الدخان: ١٢] فقال الله:

---

(١) في تفسيره ٢٠/ ٢٢٨-٢٢٩.

(٢) المحرر الوجيز ٣/ ٤٦٤، وقراءة الكسر في الشاذة ص٧٧.

(٣) في الكشاف ٢/ ٤٥٣.

(٤) تفسير الرازي ٢٠/ ٢٢٩، وما قبله منه. وينظر النكت والعيون ٣/ ٢٥٠ وقد نسب فيه الكلام الأول للكلبي.

﴿رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ﴾ بالذي يؤمن من الذي لا يؤمن، ﴿إِن يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ﴾ فيكشف القحطَ عنكم ﴿أَوْ إِن يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ﴾ فيتركه عليكم[١].

وقال ابن عطية[٢]: هذه الآية تُقوّي أنَّ الآية التي قبلَها هي ما بين العباد المؤمنين وكفار مكة، وذلك أنَّ قولَه: ﴿رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ﴾ مخاطبةٌ لكفار مكة، بدليل قوله: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا﴾ فكأنَّه أمرَ المؤمنين أن لا يخاشنوا الكفار في الدين، ثم قال أنَّه أعلم بهم، ورجَّاهم وخوَّفهم، ومعنى «يرحمكم»: بالتوبة عليكم. قاله ابن جُريج وغيره. انتهى. وتقدَّم من قول الزمخشري أنَّ قولَه: ﴿رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ﴾ هي من قول المؤمنين للكفار، وأنَّه تفسيرٌ لقوله: ﴿بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾.

وقال ابن الأنباري: «أو» دخلت هنا لسَعة الأمرين عند الله، ولا يُرَدُّ عنهما فكانت ملحقةً بـ «أو» المبيحة في قولهم: جالسِ الحسنَ أوِ ابنَ سيرين، يعنون: قد وسَّعنا لك الأمر[٣].

وقال الكرماني: «أو» للإضراب؛ ولهذا كرَّر «إن».

ولمَّا ذكر تعالى أنَّه أعلَمُ بمَنْ خاطبَهم بقوله: ﴿رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ﴾ انتقل من الخصوص إلى العموم، فقال مخاطباً لرسوله ﷺ: ﴿وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ ليبين أنَّ عِلْمَه غيرُ مقصورٍ عليكم[٤]، بل عِلْمُه متعلِّقٌ بجميع مَنْ في السماوات والأرض بأحوالِهم ومقاديرِهم وما يستأهل كلُّ واحدٍ منهم[٥].

و«بِمَنْ» متعلِّقٌ بـ «أعلم» كما تعلَّق «بكم» قبلَه بـ «أعلم»، ولا يدلُّ تعلُّقُه به على اختصاص أعلميَّته تعالى بما تعلَّق به، كقولك: زيدٌ أعلَمُ بالنَّحو، لا يدلُّ هذا على أنَّه ليس أعلمَ بغير النَّحْوِ من العلوم. وقال أبو علي: الباء تتعلَّق بفعلٍ تقديره: عَلِمَ بِمَنْ قال؛ لأنَّه لو علَّقها بـ «أعلم» لاقتضى أنَّه ليس بأعلمَ بغيرِ ذلك[٦]. وهذا

(١) زاد المسير ٥/ ٤٨.
(٢) في المحرر الوجيز ٣/ ٤٦٤.
(٣) زاد المسير ٥/ ٤٨.
(٤) تفسير الرازي ٢٠/ ٢٣٠.
(٥) الكشاف ٢/ ٤٥٣.
(٦) المحرر الوجيز ٣/ ٤٦٥.

لا يلزم، وأيضاً فإنَّ «عَلِمَ» لا يتعدَّى بالباء، إنَّما يتعدَّى لواحدٍ بنفسه لا بواسطة حرف الجرِّ، أو لاثنين على ما تقرَّر في علم النَّحو.

ولمَّا كان الكفارُ قد استبعدوا تنبئة البشر إذ فيه تفضيل الأنبياء على غيرهم، أخبر تعالى بتفضيل بعض الأنبياء على بعضٍ، إشارةً إلى أنَّه لا يُستبعَدُ تفضيلُ الأنبياء على غيرهم؛ إذ قد وقع التفضيلُ في هذا الجنس المُفَضَّل على الناس، والله تعالى أعلم بما خصَّ كلَّ واحدٍ من المزايا، فهو يُفضِّل مَنْ شاء منهم على من شاء، إذ هو الحكيم، فلا يصدُرُ شيءٌ إلَّا عن حكمته. وفيه إشارةٌ إلى أنَّه لا يُستنكَرُ تفضيلُ محمدٍ ﷺ على سائر الأنبياء.

وخصَّ داودَ بالذِّكر هنا؛ لأنَّه ذكر تعالى في الزبور أنَّ محمداً خاتمُ الأنبياء، وأنَّ أُمَّته خيرُ الأمم، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّـٰلِحُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠٥] وهم محمد وأمَّته[١]. وكانت قريشٌ ترجع إلى اليهود كثيراً فيما يُخبرون به ممَّا في كتبهم، فنبَّه على أنَّ زبور داود تضمَّن البشارة بمحمد ﷺ، وفي ذلك ردٌّ على مُكابري اليهود حيث قالوا: لا نبيَّ بعد موسى، ولا كتابَ بعد التوراة. ونصَّ تعالى هنا على إيتاء داود الزَّبورَ وإن كان قد آتاه مع ذلك المُلكَ إشارةً إلى أنَّ التفضيلَ المحضَ هو بالعلم الذي آتاه والكتاب الذي أنزل عليه، كما فُضِّلَ محمد ﷺ بما آتاه من العلم والقرآن الذي خَصَّه به[٢].

وتقدَّم تفسير ﴿وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا﴾ في أواخر «النساء»[٣]، وذكر الخلاف في ضمِّ الزاي وفتحِها.

وقال الزمخشري[٤] هنا: فإنْ قلتَ: هلَّا عرَّفَ الزَّبورُ كما عرَّف في قوله: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي ٱلزَّبُورِ﴾؟ قلت: يجوزُ أن يكون الزَّبورُ وزَبور، كالعباس وعباس، والفضل وفضل، وأن يُريد «وآتينا داود» بعضَ الزُّبُر وهي الكتب، وأن يُريد ما ذُكِرَ

---

(١) الكشاف ٢/ ٤٥٣.
(٢) تفسير الرازي ٢٠/ ٢٣٠ بنحوه مختصراً.
(٣) عند تفسير الآية (١٦٣) منها.
(٤) في الكشاف ٢/ ٤٥٣-٤٥٤.

فيه رسولُ الله ﷺ من الزَّبور، فسُمِّي ذلك زَبوراً؛ لأنَّه بعضُ الزَّبور، كما سُمِّي بعضُ القرآن قرآناً.

﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴿٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴿٥٧﴾ وَإِن مِّن قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا كَانَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَسْطُورًا ﴿٥٨﴾ وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِٱلْءَايَٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلْأَوَّلُونَ وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُواْ بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِٱلْءَايَٰتِ إِلَّا تَخْوِيفًا ﴿٥٩﴾﴾.

قال ابن مسعود: نزلت في عبَدَةِ الشياطين وهم خُزاعة، أسلمت الشياطينُ وبقُوا يعبدونهم. وقال ابن عباس: في عُزيرٍ والمسيح وأمِّه. وعنه أيضاً، وعن ابن مسعود، وابن زيد، والحسن: في عَبَدة الملائكة. وعن ابن عباس: في عَبَدة الشمس والقمر والكواكب وعزير والمسيح وأمِّه. انتهى[١]. ويكون «الذين زعمتم من دونه» عامًّا غلَّب فيه مَنْ يعقل على ما لا يعقل. والمعنى: ادعوهم فلا يستطيعون أن يكشفوا عنكم الضُّرَّ من مرض أو فقر أو عذاب، ولا أن يحوِّلوه من واحد إلى واحد إلى آخر أو يبدِّلوه[٢].

وقرأ الجمهور: «يَدْعُونَ» بياء الغيبة. وابنُ مسعود وقَتادة بتاء الخطاب[٣]، وزيد بن علي بياء الغَيبة مبنياً للمفعول. والمعنى: يدعونهم آلهةً، أو يدعونَهم لكشف ما حلَّ بكم من الضُّرِّ، كما حذف من قوله: «قل ادعوا» أي: ادعوهم لكشف الضُّرِّ.

وفي قوله: «زعمتُم» ضميرٌ محذوفٌ عائدٌ على «الذين» وهو المفعول الأول، والثاني محذوفٌ تقديره: زعمتموهم آلهةً من دون الله. و«أولئك» مبتدأ، و«الذين» صفته، والخبر «يبتغون». و«الوسيلة»: القرب إلى الله تعالى، والظاهر أنَّ «أولئك»

---

(١) المحرر الوجيز ٣/ ٤٦٥. وينظر النكت والعيون ٣/ ٢٥٠-٢٥١، وتفسير أبي الليث ٢/ ٢٧٣، وزاد المسير ٥/ ٤٩-٥٠، ومجمع البيان ١٥/ ٦٢. وقول ابن مسعود أخرجه البخاري (٤٧١٥)، ومسلم (٣٠٣٠). والأقوال كلها أخرجها الطبري ١٤/ ٦٢٧-٦٣١.

(٢) الكشاف ٢/ ٤٥٤.

(٣) المحرر الوجيز ٢/ ٤٦٥.

إشارةٌ إلى المعبودين، والواو في «يدعون» للعابدين، والعائد على «الذين» منصوبٌ محذوف، أي: تدعونهم. وقال ابن فُوْرَك: الإشارة بـ «أولئك» إلى النبيين الذين تقدَّم ذِكْرُهم، والضميرُ المرفوعُ في «يدعون» و«يبتغون» عائدٌ عليهم[١]، والمعنى: يدعون الناس إلى دين الله، والمعنى على هذا: إنَّ الذين عظُمَتْ منزلتُهم وهم الأنبياء لا يعبدون إلَّا الله، ولا يبتغون الوسيلة إلَّا إليه، فهم أحقُّ بالاقتداء بهم، فلا تعبدوا غير الله[٢].

وقرأ الجمهور: «إلى ربِّهم» بضمير الجمع الغائب. وقرأ ابنُ مسعود: «إلى ربِّكَ» بالكاف خطاباً للرسول[٣].

واختلفوا في إعراب «أيُّهم أقرب» وتقديره، فقال الحَوْفي: «أيُّهم أقرب» ابتداء وخبر، والمعنى: ينظرون أيُّهم أقرب، فيتوسَّلون به. ويجوز أن يكون «أيُّهم أقرب» بدلاً من الواو في «يبتغون» انتهى[٤]. ففي الوجه الأول أُضمِرَ فِعْلُ التعليق و«أيُّهم أقرب» في موضع نصب على إسقاط حرف الجر؛ لأنَّ «نظَرَ» إن كان بمعنى الفكر تعدَّى بـ «في»، وإن كانت بصرية تعدَّت بـ «إلى»، فالجملة المعلَّق عنها الفعل على كلا التقديرين تكون في موضع نصبٍ على إسقاط حرف الجر، كقوله: ﴿فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ أَزْكَىٰ طَعَامًا﴾ [الكهف: ١٩]. وفي إضمار الفعل المعلَّق نظر. الوجه الثاني قاله الزمخشري[٥]، قال: وتكون «أي» موصولة، أي: يبتغي مَنْ هو أقرَبُ منهم، وأزلَفُ الوسيلةِ إلى الله، فكيف بغير الأقرب؟ انتهى. فعلى هذا الوجه يكون «أقرب» خبرَ مبتدإٍ محذوف، واحتمل «أيُّهم» أن يكون مُعرَباً وهو الوجه، وأن يكون مبنيًّا لوجود مُسوِّغ البناء. قال الزمخشري: أو ضمّن «يبتغون الوسيلة» معنى يَحرِصون، فكأنَّه قيل: يَحرِصون أيُّهم يكون أقربَ إلى الله، وذلك بالطاعةِ وازديادِ الخيرِ والصلاح[٦]،

(١) المحرر الوجيز ٣/ ٤٤٦ بنحوه.
(٢) تفسير الرازي ٢٠/ ٢٣٢.
(٣) المحرر الوجيز ٣/ ٤٦٦، وهي قراءة شاذة.
(٤) ينظر معاني القرآن للزجاج ٣/ ٢٤٥، وإعراب القرآن للنحاس ٢/ ٤٢٨، ومشكل إعراب القرآن ١/ ٤٣٢، وتفسير القرطبي ١٣/ ١٠٧.
(٥) في الكشاف ٢/ ٤٥٤.
(٦) إلى هنا ينتهي كلام الزمخشري.

فيكون قد ضمّنَ «يبتغون» معنى فعلٍ قلبيٍّ وهو «يَحْرِصون» حتى يصحَّ التعليقُ، وتكون الجملةُ الابتدائيةُ في موضع نصب على إسقاط حرف الجرِّ؛ لأنَّ «حَرَصَ» يتعدَّى بـ «على» كقوله: ﴿إِن تَحْرِصْ عَلَىٰ هُدَىٰهُمْ﴾ [النحل: ٣٧].

وقال ابن عطية: «وأيُّهم» ابتداء، و«أقرب» خبرُه[١]، والتقدير: نظَرُهم ووَكْدُهم[٢] أيُّهم أقربُ، وهذا كما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: فباتَ الناسُ يدوكون أيُّهم يُعطاها، أي: يتبارَون في طلب القُرب[٣]. فجعل المحذوف: نظرُهم ووَكْدُهم، وهذا مبتدأ، فإن جعلتَ «أيُّهم أقرَبُ» في موضع نصب بـ «نَظَرُهم» المحذوف بقي المبتدأ الذي هو «نَظَرُهم» بغير خبرٍ فَيَحتاجُ إلى إضمار الخبر، وإن جعلتَ «أيُّهم أقربُ» هو الخبر، فلا يصحُّ؛ لأنَّ نظرَهم ليس هو أيُّهم أقرب، وإنْ جعلتَ التقديرَ: نظرُهم في أيِّهم أقرب، أي: كائنٌ أو حاصلٌ، فلا يصحُّ ذلك؛ لأنَّ كائناً وحاصلاً ليس ممَّا يُعَلِّق.

وقال أبو البقاء[٤]: «أيُّهم» مبتدأ، و«أقربُ» خبرُه، وهو استفهامٌ في موضع نصب بـ «يدعون»، ويجوز أن يكون «أيُّهم» بمعنى «الذي»، وهو بدلٌ من الضمير في «يدعون»، والتقدير: الذي هو أقرب. انتهى. ففي الوجه الأول علَّق «يدعون» وهو ليس فعلاً قلبياً، وفي الثاني فصَلَ بين الصِّلة ومعمولِها بالجملة الحاليَّة، ولا يضرُّ ذلك؛ لأنَّها معمولةٌ للصِّلة.

﴿وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ﴾ كغيرهم من عباد الله، فكيف يزعمون أنَّهم آلهة؟ ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾ يحذره كلُّ أحد[٥].

﴿وَإِن مِّن قَرْيَةٍ﴾ «إنْ» نافية، و«من» زائدة في المبتدأ، تدلُّ على استغراق الجنس، والجملة بعد «إلَّا» خبر المبتدأ.

---

(١) المحرر الوجيز ٣/ ٤٦٦.
(٢) تحرفت هنا وفي الموضع الآتي في (ح) و(أ) و(د٢) و(ع) والمطبوع إلى: ووَذْكُهم. والوَكْدُ: المرادُ والهَمُّ. ينظر اللسان (وكد).
(٣) إلى هنا من المحرر الوجيز ٣/ ٤٦٦.
(٤) في الإملاء ٢/ ٩٣.
(٥) الكشاف ٢/ ٤٥٤.

وقيل: المراد الخصوص، والتقدير: وإن من قريةٍ ظالمةٍ. وقال ابن عطية[١]: و«مِنْ» لبيان الجنس. انتهى. والتي لبيان الجنس على قول من يُثبت لها هذا المعنى هو أن يتقدَّم قبل ذلك ما يُفْهَم منه إبهامٌ ما، فتأتي «من» لبيان ما أُريد بذلك الذي فيه إبهامٌ ما، كقوله: ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ﴾ [فاطر: ٢]، وهنا لم يتقدَّم شيءٌ مُبهَمٌ تكون «من» فيه بياناً له، ولعلَّ قولَه: لبيان الجنس، من الناسخ، ويكون هو قد قال: لاستغراق الجنس، ألا ترى أنَّه قال بعد ذلك: وقيل: المراد الخصوص. انتهى. والظاهر أنَّ جميعَ القرى تهلك قبل يوم القيامة، وإهلاكُها تخريبُها وفناؤُها، ويتضمَّن تخريبُها هلاكَ أهلِها بالاستئصال أو شيئاً فشيئاً، أو تُعذَّبَ، والمعنيُّ أهلُها بالقتل وأنواع العذاب. وقيل: الهلاك للصالحة، والعذاب للطالحة. وقال مقاتل: وجدتُ في كتب الضحَّاك بن مُزاحِم في تفسيرها: أمَّا مكةُ فتخربُها الحبشة، وتهلِكُ المدينةُ بالجوع، والبصرةُ بالغرَق، والكوفةُ بالتُّرك، والجبالُ بالصواعقِ والرواجفِ، وأمَّا خراسان فعذابها ضروب، ثم ذكرها بلداً بلداً[٢]. ونحو ذلك عن وهب بن مُنبِّه فذكر فيه أنَّ هلاك الأندلس وخرابها يكون بسَنَابِك الخيل واختلاف الجيوش[٣].

﴿كَانَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَسْطُورًا﴾ أي: في سابق القضاء، أو في اللوح المحفوظ، أي: مكتوباً أسطاراً.

﴿وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِٱلْءَايَٰتِ﴾ عن ابن عباس: أنَّ أهلَ مكة سألوا أن يجعلَ لهم الصَّفا ذهباً، وأنْ يُنَحِّيَ عنهم الجبلَ فيزرعوا[٤]، اقترحوا ذلك على الرسول ﷺ، فأوحى اللهُ إليه: إن شئتَ أنْ أفعلَ ذلك لهم، فإنْ تأخَّروا عاجَلْتُهم بالعقوبة، وإنْ شئتَ استأنيتُ بهم عسى أنْ أجتبيَ منهم مؤمنين. فقال: «بل نَسْتَأْنِي بهم يا ربِّ» فنزلَتْ[٥].

---

(١) في المحرر الوجيز ٣/ ٤٦٦، وما قبله منه.
(٢) الكشاف ٢/ ٤٥٤.
(٣) المحرر الوجيز ٣/ ٤٦٦، وما بعده منه، والسَّنابك جمع سُنْبُك، وهو طرف الحافر وجانباه. اللسان (سنبك).
(٤) في النسخ الخطية: فيزرعون، والمثبت ـ على الجادة ـ من المصادر.
(٥) المحرر الوجيز ٣/ ٤٦٦، وتفسير الرازي ٢٠/ ٢٣٤، وزاد المسير ٥/ ٥١. وأخرجه أحمد (٢٣٣٣)، والنسائي ٢٠/ ٢٣٤، وفي الكبرى (١١٢٢٦)، والطبري في تفسيره ١٤/ ٦٣٥، والحاكم ٢/ ٣٦٢، والواحدي في أسباب النزول ص٢٩٥-٢٩٦، وغيرهم.

واستُعيرَ المنعُ للترك، أي: ما تركنا إرسالَ الآياتِ المقترحةِ إلَّا لتكذيبِ الأوَّلين بها، وتكذيبُ الأولين ليس علَّةً في إرسال الآيات لقريش، فالمعنى: إلَّا اتباعَهم طريقةَ تكذيبِ الأولين بها، فتكذيبُ الأولين فاعل على حذف المضاف، فإذا كذَّبوا بها كما كذَّب الأولون عاجَلْتُهم بعذاب الاستئصال، وقد اقتضَتِ الحكمةُ أن لا أستأصِلَهم. وقال الزمخشري[1]: فالمعنى: وما صَرَفْنا عن إرسال ما تقترحونه من الآياتِ إلَّا أنْ كذَّبَ بها الذين هم أمثالهم من المطبوعِ على قلوبِهم، كعادٍ وثمودَ، وأنَّها لو أُرسِلَتْ لكذَّبوا بها تكذيبَ أولئك، وقالوا: هذا سحرٌ مبين، كما يقولونَ في غيرها، واستوجبوا العذابَ المُستأصلَ وقد عزَمْنا أن نُؤخِّر أمرَ مَنْ بعثت إليهم إلى يوم القيامة، ثم ذكر من تلك الآيات ـ التي اقترَحَها الأولون، ثم كذَّبوا بها لمَّا أُرسِلَت فأُهلِكوا ـ واحدةً، وهي ناقةُ صالح؛ لأنَّ آثارَ هلاكِهم في بلاد العرب قريبةٌ من حدودِهم يبصِرُها صادرُهم وواردُهم. انتهى.

وقرأ الجمهور: «ثمود» ممنوعَ الصرف. وقال هارون: أهل الكوفة ينوِّنون ثمود في كلِّ وجه. وقال أبو حاتم: لا تُنوِّن العامَّةُ والعلماءُ بالقرآن «ثمود» في وجهٍ من الوجوه، وفي أربعة مواطنَ أَلِفٌ مكتوبةٌ ونحن نقرأها بغيرِ أَلِف[2]. انتهى.

وانتصبَ «مبصرةً» على الحال[3]، وهي قراءة الجمهور. وقرأ زيدُ بن علي: «مبصرةٌ» بالرفع على إضمار مبتدإٍ، أي: هي مُبصرةٌ، وأضاف الإبصارَ إليها على سبيل المجاز لمَّا كانت يُبصِرُها الناس، والتقدير: آيةٌ مبصرةٌ. وقرأ قومٌ بفتح الصَّاد[4] اسم مفعول، أي: يُبصِرُها الناسُ ويشاهدونها. وقرأ قَتادةُ بفتح الميم والصاد، مَفْعَلَة؛ من البصر، أي: محَلُّ إبصار، كقوله:

والكفرُ مَخْبَثَةٌ لنفسِ المُنْعِمِ[5]

(١) في الكشاف ٢/ ٤٥٤، وما قبله منه بنحوه.
(٢) المحرر الوجيز ٣/ ٤٦٦-٤٦٧.
(٣) مشكل إعراب القرآن ١/ ٤٣٢، ومجمع البيان ١٥/ ٦٤.
(٤) يعني: وضمِّ الميم «مُبْصَرَة»، ذكرها الزجاج في معانيه ٣/ ٢٤٧، ونقلها عنه ابن عطية في المحرر الوجيز ٣/ ٤٦٧.
(٥) المحرر الوجيز ٣/ ٤٦٧، وقراءة قتادة في الشاذة ص٧٧، والبيت لعنترة، وهو في ديوانه =

أجراها مجرى صفاتِ الأمكنة، نحو: أرضٌ مَسْبَعة، ومكانٌ مَضبَّة، وقالوا: «الولدُ مَبْخَلةٌ مَجْبَنة»(١).

﴿فَظَلَمُوا بِهَا﴾ أي: بعَقْرِها بعد قوله: ﴿فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ ٱللَّهِ﴾ الآية [الأعراف: ٧٣] وقيل: المعنى أنَّهم جحدوا كونَها من عند الله(٢). وقيل: جعلوا التكذيب بها موضع التصديق، وهو معنى القول قبلَه.

والظاهر أنَّ الآياتِ الأخيرة غير الآياتِ الأولى، لوحِظَ في ذلك وصفُ الاقتراح، وفي هذه وصفُ غيرِ المقترَحة، وهي آيات معها إمهالٌ لا مُعاجلة كالكسوف والرعد والزلزلة. وقال الحسن: والموت الذَّريع(٣). وفي حديث الكسوف: «فافزعوا إلى الصلاة»(٤). قال ابنُ عطية: وآياتُ الله المعتبرُ بها ثلاثةُ أقسام: قسمٌ عامٌّ في كلِّ شيء، إذ حيثُ ما وضعتَ نظرَكَ وجدتَ آيةً، وهنا فكرةُ العلماء. وقسمٌ مُعتادٌ كالرعد والكسوف ونحوه، وهنا فكرة الجَهَلَة فقط. وقسمٌ خارقٌ للعادة وقد انقضى بانقضاء النبوة، وإنَّما يعتبرُ به توهُّماً لما سلف منه. انتهى. وهذا القسم الأخير قال فيه: وقد انقضى بانقضاء النبوة، وكثيرٌ من الناس يُثبِتُ هذا القسم لغير الأنبياء ويُسمِّيه كرامة.

وقال الزمخشري(٥): إنْ أرادَ بالآياتِ المقترحةَ فالمعنى: لا نُرسلها إلَّا تخويفاً من نزول العذاب العاجل كالطليعة والمقدّمة له، فإنْ لم يخافوا وقع عليهم، وإنْ أراد غيرَها فالمعنى: وما نُرسِلُ ما نُرسِلُ من الآيات كآياتِ القرآنِ وغيرِها إلَّا

= ص٢٨، وخزانة الأدب ١/٣٣٦، وصدره:

نُبِّئْتُ عَمْراً غيرَ شاكِرِ نعمتي

قال صاحب الخزانة: الكفر هنا: الجَحْد. ومَخْبَثة ـ بفتح الميم ـ من الخُبْث.

(١) هو حديث عن النبي ﷺ، أخرجه أحمد (١٧٥٦٢)، وابن ماجه (٣٦٦٦) من حديث يعلى العامري ﷺ.

(٢) هو قول ابن قتيبة في تأويل مشكل القرآن ص٣٥٩، ونقله عنه الرازي في تفسيره ٢٠/ ٢٣٥.

(٣) الذَّريع: السريع. الصحاح (ذرع). والقول أخرجه أحمد في الزهد ص٣٢٨، والطبري ١٤/ ٦٣٩. والكلام من المحرر الوجيز ٣/ ٤٦٧.

(٤) أخرجه البخاري (١٠٤٦)، ومسلم (٩٠١) (٣) من حديث عائشة ﵂.

(٥) في الكشاف ٢/ ٤٥٤.

تخويفاً وإنذاراً بعذاب الآخرة. وقيل: الآيات التي جعلها اللهُ تخويفاً لعباده سماويَّة؛ كسوفُ الشمس، وخسوفُ القمر، والرعدُ، والبرقُ، والصواعقُ، والرُّجومُ، وما يجري مجرى ذلك. وأرضية؛ زلازلُ، وخسفٌ ومُحولٌ ونيرانٌ تظهر في بعض البلاد، وغَوْرُ ماء العيون وزيادتُها على الحدِّ حتى تغرق بعضُ الأرضين. ولا سماويَّة ولا أرضيَّة؛ الرياح العواصف وما يحدثُ عنها من قلع الأشجارِ، وتدميرِ الديار، وما تسوقُه من السواقي، والرياح السَّموم.

﴿وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ وَمَا جَعَلْنَا الرُّءْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْءَانِ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا ﴿٦٠﴾﴾.

لمَّا طالبوا الرسولَ بالآيات المقترحة وأخبرَ اللهُ بالمصلحة في عدم المجيء بها طعنَ الكفارُ فيه، وقالوا: لو كان رسولاً حقًّا لأتى بالآيات المقترحة، فبيَّنَ اللهُ أنَّه ينصرُه ويؤيِّدُه وأنَّه أحاطَ بالناس[1]، فقيل: بعلمِه، فلا يخرج شيءٌ عن علمِه. وقيل: بقدرته، فقدرتُه غالبةٌ كلَّ شيء[2]. وقيل: الإحاطة هنا: الإهلاك، كقوله: ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ﴾[3] [الكهف: ٤٢].

والظاهر أنَّ الناس عامٌّ. وقيل: أهل مكة؛ بشَّره الله تعالى أنَّه يغلبُهم ويظهرُ عليهم[4]. و«أحاط» بمعنى يُحيط، عبَّر عن المستقبل بالماضي؛ لأنَّه واقعٌ لا مَحالة.

والوقت الذي وقعَتْ فيه الإحاطة بهم؛ قيل: يوم بدر. وقال العسكري: هذا خبرُ غَيْبٍ قدَّمه قبل وقتِه، ويجوز أن يكون ذلك في أمر الخندق ومجيء الأحزاب يطلبون ثأرهم ببدر، فصرفَهم اللهُ بغيظهم لم ينالوا خيراً. وقيل: يوم بدر، ويوم الفتح. وقيل: الأشبَهُ أنَّه يومُ الفتح؛ فإنَّه اليومُ الذي أحاط أمرُ الله بإهلاك أهل مكة فيه وأمكَنَ منهم. وقال الطبري: «أحاطَ بالناس» في منعِكَ يا محمدُ وحياطتِكَ وحفظِكَ، فالآيةُ إخبارٌ له أنَّه محفوظٌ من الكَفَرة آمِنٌ أن يُقتَلَ ويُنالَ

---

(١) تفسير الرازي ٢٠/ ٢٣٥ بنحوه.
(٢) ينظر النكت والعيون ٣/ ٢٥٣، وتفسير القرطبي ١٣/ ١١٠.
(٣) زاد المسير ١/ ٤٤.
(٤) تفسير الرازي ٢٠/ ٢٣٥.

بمكروهٍ عظيم، أي: فلتُبلِّغ رسالةَ ربِّكَ ولا تتهيَّبْ أحداً من المخلوقين.

قال ابن عطية[١]: وهذا تأويلٌ بَيِّنٌ جارٍ مع اللفظ، وقد رُوي نحوُهُ عن الحسن والسُّدِّيِّ، إلَّا أنَّه لا يُناسِبُ ما بعدَه مناسبةً شديدةً، ويَحتمِلُ أن يُجعلَ الكلامُ مناسباً لما بعده توطئةً له، فأقول: اختلف الناسُ في الرؤيا؛ فقال الجمهور: هي رؤيا عَينٍ وَيَقظةٍ، وهي ما رأى في ليلة الإسراء من العجائب، قال الكفار: إنَّ هذا لعَجَبٌ، تحثُّ الحُدَاةُ إلى بيت المقدس شهرين إقبالاً وإدباراً، ويقول محمدٌ: جاءه من ليلتِه وانصرفَ منه؟! فافتتَنَ بهذا التلبيس قومٌ من ضُعفاء المسلمين فارتَدُّوا، وشَقَّ ذلك على رسول الله ﷺ، فنزلت هذه الآية. فعلى هذا يَحْسُنُ أن يكون معنى قوله: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ﴾ أي: في إضلالِهم وهدايتِهم، وأنَّ كلَّ واحدٍ مُيسَّرٌ لِما خُلِقَ له، أي: فلا تهتَمَّ أنتَ بكُفرِ مَنْ كفَرَ، ولا تحزَنْ عليهم، فقد قيل لك: إنَّ اللهَ محيطٌ بهم، مالِكٌ لأمرِهم، وهو جعل رؤياك هذه فتنةً ليكفُرَ مَنْ سبقَ عليه الكفرُ. وسُمِّيَتِ الرؤيةُ في هذا التأويل رؤيا؛ إذْ هُما مصدران من «رأى». وقال النقَّاش: جاء ذلك من اعتقادِ مَنِ اعتقدَ أنَّها مناميَّةٌ، وإنْ كانتِ الحقيقةُ غيرَ ذلك. انتهى.

وعن ابن عباس، والحسن، ومجاهد، وغيرهم: هو قصة الإسراء والمعراج عِياناً[٢]، آمَنَ به الموفَّقون وكفرَ به المخذولون، وسمَّاه رؤيا لوقوعِه في الليل وسرعةِ تَقَضِّيه كأنَّه منام. وعن ابن عباس أيضاً: هو رؤياه أنَّه يدخل مكة، فعجَّل في سَنَةِ الحُدَيبيَّةِ ورُدَّ، فافتتن الناسُ[٣]. وهذا مُناسِبٌ لصدر الآية، فإنَّ الإحاطة بمكة أكثرُ ما كانت.

وعن سهل بن سعد: هي رؤياه بني أمية يَنْزون على منبره نَزْوَ القِرَدةِ، فاهتمَّ

---

(١) في المحرر الوجيز ٣/ ٤٦٧-٤٦٨، وكلام الطبري المتقدم منه، وما بين حاصرتين الآتي منه أيضاً، ومن تفسير الطبري ١٤/ ٦٤٤، وتهذيب السنن والآثار برقم (٢٧٨٥).

(٢) النكت والعيون ٣/ ٢٥٣، وزاد المسير ٥/ ٥٣. وأخرجه من قول ابن عباس: البخاري (٤٧١٦)، والترمذي (٣٤١٣)، والنسائي في الكبرى (١١٢٩٢)، وأحمد (١٩١٦)، والطبري ١٤/ ٦٤١. وأخرجه من قول الحسن: الطبري ١٤/ ٦٤٢.

(٣) النكت والعيون ٣/ ٢٥٣، والمحرر الوجيز ٣/ ٤٦٨، وزاد المسير ٥/ ٥٣-٥٤، وأخرجه الطبري ١٤/ ٦٤٦.

لذلك، وما استجمعَ ضاحكاً من يومئذٍ حتى مات، فنزلت الآية مخبرةً أنَّ ذلك من ملكِهم وصعودِهم المنابرَ إنَّما يجعلُها الله فتنةً للناس، ويجيء قوله: ﴿أَحَاطَ بِٱلنَّاسِۚ﴾ أي: بأقداره، وإن كان ما قدَّره الله نافذاً، فلا تهتمَّ بما يكون بعدَك من ذلك. وقال الحسن بن عليّ في خطبته في شأن بيعتِه لمعاوية: ﴿وَإِنْ أَدْرِى لَعَلَّهُۥ فِتْنَةٌ لَّكُمْ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾ [الأنبياء: ١١١]. وقالت عائشة: الرؤيا رؤيا منام.

قال ابن عطية[١]: وهذه الآية تقضي بفساده، وذلك أنَّ رؤيا المنام لا فتنةَ فيها، وما كان أحدٌ ليُنكِرَها. انتهى.

وليس كما قال ابن عطية؛ فإنَّ رؤيا الأنبياء حقٌّ، ويخبر النبيُّ بوقوع ذلك لا مَحالة، فيصيرُ إخبارُه بذلك فتنةً لِمَنْ يريد الله به ذلك.

وقال صاحب «التحرير»: سألتُ أبا العباس القرطبي عن هذه الآية، فقال: ذهب المُفسِّرون فيها إلى أمرٍ غيرِ ملائم في سياق أول الآية، والصحيح أنَّها رؤيةُ عينٍ يقظةً، لمَّا أتى بدراً أراه جبريلُ عليه السلام مصارعَ القوم، فأراها الناسَ، وكانت فتنةً لقريش، فإنَّهم لمَّا سمعوا أخذوا في الهُزْء والسُّخرية بالرسول ﷺ، والشجرةُ الملعونة هنا هي أبو جهل. انتهى.

قال الزمخشري[٢]: ولعلَّ اللهَ تعالى أراه مصارِعَهم في منامه، فقد كان يقول حين وردَ ماءَ بدرٍ: «واللهِ لكأنِّي أنظرُ إلى مصارع القوم» وهو يومئ إلى الأرض ويقول: «هذا مصرَعُ فلانٍ، هذا مصرَعُ فلانٍ» فتسامعَتْ قريشٌ بما أُوحيَ إلى رسول الله ﷺ من أمرِ بدرٍ وما أُريَ في منامه من مصارعِهم، فكانوا يضحكون ويستسخِرون به استهزاءً. وقيل: رأى في المنام أنَّ وَلَدَ الحَكَمِ يتداولون منبرَه كما يتداول الصبيانُ الكُرَةَ. انتهى.

والظاهر أنَّه أُريد بالشجرةِ حقيقتُها، فقال ابنُ عباس: هي الكَشُوث المذكورة في قوله: ﴿كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ﴾ [إبراهيم: ٢٦].

---

(١) في المحرر الوجيز ٣/ ٤٦٨، وما قبله منه، وقول سهل بن سعد في النكت والعيون ٣/ ٢٥٣، وأخرجه الطبري ١٤/ ٦٤٦.

(٢) في الكشاف ٢/ ٤٥٥، والحديث الآتي أخرجه بنحوه مسلم (٢٨٧٣)، وأحمد (١٨٢) من حديث عمر بن الخطاب ﷺ.

وعنه أيضاً: هي الشجرة التي تلتوي على الشجرة فتفسدها. قال: والفتنةُ قولُهم: ما بال الحشائش تُذكَرُ في القرآن[١]؟!

وقال الجمهور: هي شَجرة الزَّقُّوم، لمَّا نزلَ أمرُها في «الصافات» [الآية: ٦٢] وغيرِها [الدخان: ٤٣] قال أبو جهلٍ وغيرُه: هذا محمدٌ يتوعَّدُكم بنارٍ تحرق الحجارة، ثم يزعم أنَّها تُنبِتُ الشجرَ، والنارُ تأكلُ الشجرَ، وما نعرِفُ الزَّقُّوم إلَّا التمرَ بالزُّبْدِ. ثم أمرَ أبو جهل جاريةً له فأحضرت تمراً وزُبْداً، وقال لأصحابه: تزقَّموا. فافتتَنَ أيضاً بهذه المقالة بعض الضعفاء[٢].

قال الزمخشريّ: وما أنكروا أن يجعلَ اللهُ الشجرةَ من جنسٍ لا تأكلُه النار، فهذا وَبَرُ السَّمَنْدل: وهو دُوَيْبَّةٌ ببلاد الترك يُتَّخذُ منها مناديلُ إذا اتَّسخَتْ طُرِحَتْ في النار، فيذهبُ الوسخُ ويبقي المنديل سالماً لا تعمَلُ فيه النار، وترى النَّعامةَ تبتلعُ الجمرَ وقِطَعَ الحديد الحُمْرَ كالجمر بإحماء النار فلا يضرُّها، ثم أقرَبُ من ذلك أنَّه خلقَ في كلِّ شجرةٍ ناراً فلا تحرِقها، فما أنكروا أن يخلُقَ في النار شجرةً لا تحرِقُها؟! والمعنى: أنَّ الآياتِ إنَّما نُرسِلُ بها تخويفاً للعباد، وهؤلاء قد خُوِّفوا بعذاب الدنيا وهو القتلُ يومَ بدر، فما كان ما أريناك منه في منامك بعد الوحي إليك إلَّا فتنةً لهم، حيث اتَّخذوه سُخْريًا، وخُوِّفوا بعذاب الآخرة وبشجرة الزَّقُّوم، فما أثَّرَ فيهم. ثم قال: ﴿وَنُخَوِّفُهُمْ﴾ أي: بمخاوف الدنيا والآخرة، فما يزيدُهم التخويفُ «إلَّا طغياناً كبيراً»، فكيف يخافُ قومٌ هذه حالُهم بإرسال ما يقترحون من الآيات[٣]؟! انتهى.

وقولُه: «بعد الوحي إليك» هو قوله: ﴿سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ﴾ [القمر: ٤٥]، وقوله: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَتُغْلَبُونَ﴾ [آل عمران: ١٢٠].

---

(١) النكت والعيون ٣/ ٢٥٤، وزاد المسير ٥/ ٥٦، وتفسير القرطبي ١٣/ ١١٥. وأخرجه الطبري ١٤/ ٦٥٢، وهما في الحقيقة قول واحد.

(٢) المحرر الوجيز ٣/ ٤٦٨. قلت: قوله: «وما نعرف الزَّقُّوم إلا التَّمرَ بالزُّبد» ذكره الواحدي في الوسيط ٣/ ١١٤، والرازي في تفسيره ٢٠/ ٢٣٦ عن ابن الزِّبَعْرى. وبقية القصة أخرجها أحمد (٣٥٤٦)، وأبو يعلى (٢٧٢٠)، وغيرهما.

(٣) الكشاف ٢/ ٤٥٥.

والظاهرُ إسنادُ اللَّعنةِ إلى الشجرة، واللَّعنُ: الإبعادُ من الرحمةِ، وهي في أصل الجحيم في أبعد مكانٍ من الرحمةِ. وقيل: تقول العرب لكلِّ طعامٍ مكروهٍ ضارٍّ: ملعون[١]. قال الزمخشري: وسألتُ بعضَهم، فقال: نعَمْ، الطعامُ الملعونُ: القِشْبُ[٢] الممحوق. وقال ابن عباس: «الملعونة» يريد آكلها[٣]. ونمَّقَه الزمخشري فقال: لُعِنَتْ حيثُ لُعِنَ طاعموها من الكَفَرة والظَّلَمة؛ لأنَّ الشجرة لا ذَنْبَ لها حتى تُلعَنَ على الحقيقة، وإنَّما وُصِفَتْ بلَعْنِ أصحابِها على المجاز[٤]. انتهى.

وقيل: لمَّا شُبِّه طَلْعُها برؤوس الشياطين ـ والشيطانُ ملعونٌ ـ نُسِبَتِ اللعنةُ إليها. وقال قومٌ: الشجرةُ هنا مَجازٌ، واختلفوا؛ فقيل: مَجازٌ عن واحد، وهو أبو جهل. وقيل: هو الشيطان. وقيل: مَجازٌ عن جماعةٍ وهم اليهود الذين تظاهروا على رسول الله ﷺ[٥]. ولَعَنَهم اللهُ تعالى، وفتنَتُهم أنَّهم كانوا ينتظرون بعثةَ الرسول عليه السلام، فلمَّا بعثَه اللهُ كفروا به وقالوا: ليس هو الذي كنَّا ننتظره. فثبَّطوا كثيراً من الناس بمقالتِهم عن الإسلام. وقيل: بنو أميَّة، حتى إنَّ من المفسِّرين مَنْ لا يُعَبِّرُ عنهم إلَّا بالشجرة الملعونة؛ لِما صدرَ منهم من استباحة الدماءِ المعصومة، وأخْذِ الأموالِ من غيرِ حِلِّها، وتغيير قواعدِ الدِّين، وتبديلِ الأحكام. ولَعْنُها في القرآن ﴿أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [هود: ١٨]، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ﴾ [الأحزاب: ٦٤].

وقرأ الجمهور: «والشجرةَ الملعونةَ» بالنصب عطفاً على الرؤيا[٦]، فهي مندرجةٌ في الحصر، أي: وما جعلنا الرؤيا التي أريناكَ والشجرةَ الملعونةَ في القرآن إلَّا فتنةً للناس[٧].

(١) معاني القرآن للزجاج ٣/ ٢٤٨.
(٢) القِشْبُ من الطعام: ما يُلقى منه ممَّا لا خير فيه. تاج العروس (قشب).
(٣) المحرر الوجيز ٣/ ٤٦٨.
(٤) الكشاف ٢/ ٤٥٦، وما بعده منه بنحوه.
(٥) هذا القول في النكت والعيون ٣/ ٢٥٤ ونسبه إلى ابن بحر.
(٦) إملاء ما منَّ به الرحمن ٢/ ٩٣.
(٧) ذكر هذا المعنى الواحدي في الوسيط ٣/ ١١٤، والرازي في تفسيره ٢٠/ ٢٣٦.

وقرأ زيد بنُ عليٍّ برفع «والشجرةُ الملعونةُ» على الابتداء، والخبر محذوف تقديره: كذلك[1]، أي: فتنة[2].

والضمير في «ونُخوِّفهم» لكفار مكة. وقيل: لملوك بني أمية بعد الخلافة التي قال النبي ﷺ: «الخلافةُ بعدي ثلاثون، ثم تكونُ مُلكاً عَضوضاً» والأول أصوب[3].

وقرأ الأعمش: «ويُخوِّفُهم» بياء الغَيبة، والجمهور بنون العظمة.

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴿٦١﴾ قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٢﴾ قَالَ ٱذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ جَزَآءً مَّوْفُورًا ﴿٦٣﴾ وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ وَعِدْهُمْ ۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٦٤﴾ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ ۚ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴿٦٥﴾﴾.

مناسبةُ هذه الآية لِما قبلها من وجهين أحدهما: أنَّه لمَّا نازعوا الرسولَ عليه السلام في النبوَّة واقترحوا عليه الآيات كان ذلك لكِبْرِهم وحسَدِهم للرسول ﷺ على ما آتاه الله من النبوَّة والدرجة الرفيعة، فناسبَ ذِكْرَ قصة آدم عليه السلام وإبليس حيث حمَلَه الكِبْرُ والحسَدُ على الامتناع من السجود.

والثاني: أنَّه لمَّا قال: ﴿فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَٰنًا كَبِيرًا﴾ بيَّنَ ما سبب هذا الطغيان، وهو قول إبليس: ﴿لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا﴾[4].

---

(١) الكشاف ٢/ ٤٥٦ دون نسبة القراءة إلى أحد.

(٢) إملاء ما منَّ به الرحمن ٢/ ٩٣.

(٣) المحرر الوجيز ٣/ ٤٦٨، وما بعده منه، والحديث أخرجه أحمد (٢١٩١٩)، وأبو داود (٤٦٤٦)، والترمذي (٢٢٢٦)، والنسائي في الكبرى (٨٠٩٩)، وابن حبان (٦٩٤٣)، وغيرهم من حديث سفينة مولى رسول الله ﷺ، دون كلمة «عضوضاً»، فهي قد أتت في حديث آخر، والمُلْكُ العَضُوض: هو أنه يصيب الرعية فيه عسْفٌ وظلمٌ، كأنهم يُعَضُّون فيه عضًّا. النهاية (عضض).

(٤) تفسير الرازي ٢١/ ٢ بنحوه.

وانتصب «طيناً» على الحال. قاله الزَّجَّاج[١]، وتبِعَه الحَوْفيُّ فقال: من الهاء في «خلَقْتَه» المحذوفة، والعامل «خلَقْتَ»، والزمخشريُّ[٢]. فقال: «طيناً» إمَّا من الموصول، والعامل فيه: «أأسجدُ» على: أأسجُدُ له وهو طين، أي: أصله طين، أو من الراجع إليه من الصِّلة على: أأسجُدُ لمن كان في وقت خلقه طيناً. انتهى. وهذا تفسير معنى. وقال أبو البقاء[٣]: والعامل فيه «خلقْتَ» يعني إذا كان حالاً من العائد المحذوف. وأجاز الحَوْفي أن يكون نصباً على حذفِ «من» التقدير: من طينٍ، كما صرَّحَ به في قوله: «وخَلَقْتَهُ مِن طينٍ»، وأجاز الزَّجَّاج أيضاً[٤]، وتبعَه ابنُ عطية[٥] أن يكون تمييزاً، ولا يظهر كونه تمييزاً.

وقوله: ﴿ءَأَسْجُدُ﴾ استفهام إنكار وتعجُّب، وبين قوله: «أأسجد» وما قبلَه كلامٌ محذوف، وكأنَّ تقديرَه: قال: لِمَ لَمْ تسجُدْ لآدم؟ قال: أأسجد؟ وبَيْنَ قوله: «أرأيتَكَ» و«قال أأسجُدُ» جُمَلٌ قد ذُكِرَتْ حيث طُوِّلَتْ قصتُه[٦].

والكاف في «أرأيتَكَ» للخطاب، وتقدَّم الكلامُ عليها في سورة الأنعام[٧]، ولا تلحق كاف الخطاب هذه إلَّا إذا كانت بمعنى «أخبِرْني» وبهذا المعنى قدَّرها الحَوْفي وتبِعَه الزمخشري[٨] وهو قول سيبويه[٩] فيها والزَّجَّاج[١٠]. قال الحَوْفي: و«أرأيتَكَ» بمعنى: عَرِّفْني وأخبِرْني، وهذا منصوب بـ «أرأيتَكَ»، والمعنى: أخبِرْني

---

(١) في معاني القرآن له ٣/ ٢٤٩، ونقله عنه ابن الجوزي في زاد المسير ٥/ ٥٦-٥٧.
(٢) في الكشاف ٢/ ٤٥٦.
(٣) في الإملاء ٢/ ٩٣.
(٤) كما في معاني القرآن له ٣/ ٢٤٩، ونقله عنه ابن الجوزي في زاد المسير ٥/ ٥٦-٥٧.
(٥) في المحرر الوجيز ٣/ ٤٦٩.
(٦) في سورة البقرة الآية (٣٤) فما بعدها، وفي سورة الأعراف الآية (١١) فما بعدها، وفي سورة الحجر الآية (٢٨) فما بعدها، وفي سورة طه الآية (١١٦) فما بعدها، وفي سورة (ص) الآية (٧١) فما بعدها.
(٧) عند تفسير الآية (٤٠) منها.
(٨) في الكشاف ٢/ ٤٥٦.
(٩) في الكتاب ١/ ٢٣٩.
(١٠) في معاني القرآن له ٣/ ٢٤٩، والكلام الآتي بعد كلام الحوفي منه.

عن هذا الذي كرَّمْتَهُ عليَّ، لِمَ كرَّمْتَه عليَّ وقد خلقتني من نار وخلقْتَه من طين. وحذف هذا لما في الكلام من الدليل عليه.

وقال الزمخشري[١]: الكاف للخطاب و«هذا» مفعول به، والمعنى: أخبِرْني عن هذا الذي كرَّمْتَه عليَّ ـ أي: فضَّلْتَه ـ لِمَ كرَّمْتَه عليَّ وأنا خيرٌ منه؟ فاختصر الكلام بحذف ذلك، ثم ابتدأ فقال: «لئِنْ أخَّرتني».

وقال ابن عطية[٢]: والكاف في «أرأيتَكَ» حرفُ خطابٍ ومبالغةٌ في التنبيه، لا موضعَ لها من الإعراب، فهي زائدة، ومعنى: «أرأيت»: أتأمَّلْتَ ونحوه، كأنَّ المخاطِبَ بها يُنبِّه المخاطَبَ ليستجمعَ لما ينصُّه عليه بعدُ. وقال سيبويه: هي بمعنى «أخبِرْني» ومثَّلَ بقوله: أرأيتَكَ زيداً أيؤمن هو؟ وقاله الزجاج ولم يُمثِّلْ، وقول سيبويه صحيح، حيث يكون بعدها استفهامٌ كمثاله، وأمَّا في هذه الآية فهي كما قلت، وليست التي ذكر سيبويه رحمه الله. انتهى.

وما ذهب إليه الحَوْفي والزمخشري في «أرأيتَكَ» هنا هو الصحيح؛ ولذلك قدَّرا الاستفهام وهو: لِمَ كرَّمْتَه عليَّ؟ فقد انعقد من قوله: هذا الذي كرَّمْتَه عليَّ، لِمَ كرَّمْتَه عليَّ؟ جملةٌ من مبتدأٍ وخبر، وصار مثلَ: زيدٌ أيؤمِنُ هو؟ دخلَتْ عليه «أرأيتَكَ» فعمِلَتْ في الأول، والجملةُ الاستفهامية في موضع الثاني، والمستقرُّ في «أرأيتَ» ـ بمعنى: أخبِرْني ـ أن تدخل على جملةٍ ابتدائيةٍ يكون الخبرُ استفهاماً، فإنْ صرِّحَ به فذلك واضح، وإلَّا قدِّرَ، وقد أشبَعْنا الكلام في «الأنعام» وفي شرح التسهيل.

وقال الفرَّاء هنا[٣]: للكاف محَلٌّ من الإعراب وهو النصب، أي: أرأيتَ نفسَك. قال: وهذا كما تقول: أتدبَّرْتَ آخِرَ أمرك، فإنِّي صانعٌ فيه كذا، ثم ابتدأ: «هذا الذي كرَّمْتَ عليَّ». انتهى. والردُّ عليه مذكورٌ في علم النحو، ولو ذهب ذاهبٌ إلى أنَّ هذا مفعولٌ أول لقوله: «أرأيتَكَ» بمعنى: أخبِرْني. والثاني: الجملة

---

(١) في الكشاف ٢/ ٤٥٦.

(٢) في المحرر الوجيز ٣/ ٤٦٩، وكلام الزجاج الآتي في معاني القرآن له ٣/ ٢٤٩، وكلام سيبويه في الكتاب ١/ ٢٣٩.

(٣) في معاني القرآن له ١/ ٣٣٣ بنحوه عند تفسير آية الأنعام.

القسَمية بعده؛ لانعقادهما مبتدأً وخبراً قبل دخول «أرأيتَكَ» لذهب مذهباً حسناً؛ إذْ لا يكون في الكلام إضمارٌ، وتلخَّص من هذا كلِّه أنَّ الكاف إمَّا في موضع نصب، و«هذا» مبتدأ، وإمَّا حرف خطاب، و«هذا» مفعول بـ «أرأيت» بمعنى أتأملتَ، و«لئِن أخَّرتني» ابتداءٌ، أو بمعنى: أَخبِرني، وهو أوَّلُ، والثاني محذوف، وهو الجملة الاستفهامية، أو مذكور وهو الجملة القسَمية.

ومعنى ﴿لَئِنْ أَخَّرْتَنِ﴾ أي: أخَّرتَ مماتي وأبقيتني حيًّا.

وقال ابن عباس: ﴿لَأَحْتَنِكَنَّ﴾: لأستوليَنَّ عليهم[١]. وقاله الفرَّاء[٢]، وقال ابن زيد: لأُضِلَّنَّهم[٣]. وقال الطبري[٤]: لأستأصِلَنَّ.

وكفَرَ إبليسُ بجهله صفةَ العدل من الله حين لحِقَتْه الأنَفَةُ والكِبْرُ، وظهر ذلك من قوله: ﴿أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ﴾[٥]؛ إذ نصَّ على أنَّه لا ينبغي أن يُكرم بالسجود منِّي مَنْ أنا خيرٌ منه. وأقسَمَ إبليسُ على أنَّه يحتنِكُ ذرِّيَّة آدم.

وعلِمَ ذلك إمَّا بسماعه من الملائكة وقد أخبرهم الله به، أو استدلَّ على ذلك بقولهم: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ﴾ [البقرة: ٣٠]، أو نظرَ إليه فتوسَّم في مخايله أنَّه ذو شهوةٍ[٦] وعوارضَ كالغضب ونحوه، ورأى خلقتَه مجوَّفَةً مختلفةَ الأجزاء[٧]. وقال الحسن: ظَنَّ ذلك لأنَّه وسوسَ إلى آدم فلم يجِدْ له عزماً[٨]، فظنَّ ذلك بذريَّتِه، وهذا ليس بظاهر؛ لأنَّ قولَ ذلك كان قبل وسوسته لآدم في أكل الشجرة[٩]. واستثنى القليل لأنَّه عَلِمَ أنَّه يكون في ذرية آدم من لا يتسلَّط عليه، كما قال: ﴿لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾[١٠] [ص: ٨٢-٨٣].

---

(١) إعراب القرآن للنحاس ٢/ ٤٣٢، وأخرجه الطبري ١٤/ ٦٥٥.
(٢) في معاني القرآن له ٢/ ١٢٧.
(٣) أخرجه الطبري ١٤/ ٦٥٥.
(٤) في تفسيره ١٤/ ٦٥٤.
(٥) المحرر الوجيز ٣/ ٤٦٩.
(٦) الكشاف ٢/ ٤٥٦.
(٧) المحرر الوجيز ٣/ ٤٧٠.
(٨) مجمع البيان ١٥/ ٧٠، وتفسير القرطبي ١٣/ ١١٧.
(٩) الكشاف ٢/ ٤٥٦.
(١٠) المحرر الوجيز ٣/ ٤٧٠.

والأمر بالذهاب ليس على حقيقته من نقيض المجيء، ولكن المعنى: اذهَبْ لشأنك الذي اختَرْتَه، وعقَّبَه بذِكر ما جرَّه سوءُ فعله من جزائِه وجزاءِ تُبَّاعِهِ جهنم. ولمَّا تقدَّم اسمٌ غائبٌ وضميرُ خِطاب غُلِّبَ الخِطاب، فقال: ﴿جَزَآؤُكُمْ﴾. ويجوز أن يكون ضميرَ «مَن» على سبيل الالتفات[1].

والموفور: المُكمَّل[2]. و«وفَرَ» مُتَعَدٍّ، كقوله:

ومَنْ يجعَلِ المعروفَ مِنْ دونِ عرضِهِ يَفِرْهُ ومَنْ لا يتَّقِ الشَّتْمَ يُشْتَمِ

ولازم، تقول: وفَرَ المالُ يَفِرُ وُفوراً[3].

وانتصب «جزاءً» على المصدر، والعامل فيه: «جزاؤكم»، أو: تُجازون، مضمرةً، أو على الحال الموطِّئة. وقيل: تمييز[4]، ولا يُتعَقَّل.

«واستفزِزْ» معطوفٌ على «اذهَبْ» وعُطِفَ عليه ما بعده من الأمر، وكلُّها بمعنى التهديد، كقوله: ﴿ٱعْمَلُوا۟ مَا شِئْتُمْ﴾[5] [فصلت: ٤٠]. و«مَنْ» في «منِ استطَعْتَ» موصولة مفعولة بـ «استفزِزْ». وقال أبو البقاء[6]: «من استطعتَ» «من» استفهام في موضع نصبٍ بـ «استطعتَ». وهذا ليس بظاهر؛ لأنَّ «استفْزِزْ» ليس بفعل قلبي فيعلَّق عن العمل، بل «مَن» مفعول «استَفزز»، ومفعول «استطَعْتَ» محذوفٌ تقديره: من استطعت أن تستفِزَّه.

والصوت هنا: الدعاء إلى معصية الله. وقال مجاهد: الغناء والمزامير واللهو. وقال الضحَّاك: صوت المزمار. وذكر الغزنوي أنَّ آدم أسكنَ ولدَ هابيل أعلى الجبل وولدَ قابيل أسفلَه، وفيهم بناتٌ حِسان، فزمَرَ الشيطانُ فلم يتمالكوا أنِ انحدروا واقترنوا. وقيل: الصوت هنا: الوسوسة[7].

(١) الكشاف ٢/ ٤٥٦.
(٢) المحرر الوجيز ٣/ ٤٧٠.
(٣) تفسير الرازي ٢١/ ٥، والبيت قائله زهير، وهو في ديوانه ص٣٠.
(٤) إملاء ما منَّ به الرحمن ٢/ ٩٤.
(٥) المحرر الوجيز ٣/ ٤٧٠.
(٦) في الإملاء ٢/ ٩٤.
(٧) تفسير القرطبي ١٣/ ١١٨، والأقوال الثلاثة الأولى في النكت والعيون ٣/ ٢٥٥، والقولان =

وقرأ الحسن: «واجلُبْ عليهم» بوصل الألف وضمِّ اللام[١]، من «جلَبَ» ثلاثياً.

والظاهر أنَّ إبليس له خيلٌ ورجَّالةٌ من الجنِّ جنسه. قاله قتادة. والخيلُ تُطلَقُ على الأفراس حقيقةً، وعلى أصحابها ـ وهم الفرسان ـ مجازاً، ومنه: «يا خيل الله اركبي». والباء في «بِخَيلِكَ» قِيلَ: زائدة[٢].

وقيل: من الآدميين أضيفوا إليه لانخراطهم في طاعته، وكونهم أعوانهم على غيرهم. قاله مجاهد. وقال ابن عطية[٣]: وقوله: ﴿بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ﴾ قيل: هذا مجازٌ واستعارةٌ بمعنى: اسْعَ سعيَكَ وابلُغْ جهدك. انتهى.

وقال أبو علي: ليس للشيطان خيلٌ ولا رَجِلٌ ولا هو مأمور، إنما هذا زجرٌ واستخفافٌ به، كما تقول لمن تُهدِّده: اذهَبْ فاصنَعْ ما شئتَ واستعِنْ بمن شئتَ.

وقال الزمخشري[٤]: فإن قلتَ: ما معنى استفزاز إبليس بصوته وإجلابه بخيلِه ورَجِلِه؟ قلت: هو كلامٌ واردٌ موردَ التمثيل، مُثِّلتْ حالُه في تسلُّطِه على مَنْ يُغويه بمغوار أوقعَ على قومٍ فصَوَّتَ بهم صوتاً يستفِزُّهم من أماكنهم ويُقلِقُهم عن مراكزهم، وأجلَبَ عليهم بجنده من خيَّالةٍ ورَجَّالةٍ حتى استأصَلَهم. انتهى.

وقرأ الجمهور: «ورَجْلِكَ» بفتح الراء وسكون الجيم، وهو اسمُ جمعٍ واحدُه راجل، كرَكْبٍ وراكِب. وقرأ الحسن، وأبو عمرو في رواية، وحفص: بكسر الجيم[٥]. قال صاحب «اللوامح»: بمعنى: الرّجال. وقال ابن عطية: هي صفة،

= الأول والثاني في المحرر الوجيز ٣/ ٤٧٠، وزاد المسير ٥/ ٥٨، وأخرجهما الطبري ١٤/ ٦٥٧، والجميع نسبوا القول الأول لابن عباس. وأما القول الأخير فهو في تفسير أبي الليث ٢/ ٢٧٥.

(١) المحرر الوجيز ٣/ ٤٧٠، وقول قتادة الآتي منه.

(٢) تفسير الرازي ٢١/ ٦؛ قال ابن الأثير في النهاية ٢/ ٩٤ في قوله: «يا خيل الله اركبي»: هذا على حذف المضاف، أراد: يا فرسان خيل الله اركبي. وهذا من أحسن المجازات وألطفها.

(٣) في المحرر الوجيز ٣/ ٤٧٠، وما قبله منه بنحوه.

(٤) في الكشاف ٢/ ٤٥٦.

(٥) المحرر الوجيز ٣/ ٤٧٠، وينظر السبعة ص٣٨٣، والتيسير ص١٤٠.

يقال: فلانٌ يمشي رَجِلاً، أي: غير راكب، ومنه قول الشاعر:

رَجِـــــلاً إلَّا بــــــأصـــــحــــابِ[١]

وقال الزمخشري[٢]: وقُرِئ: «ورَجِلِكَ» على أنَّ «فَعِلاً» بمعنى «فاعل» نحو: تَعِب وتاعِب، ومعناه: وجَمْعِكَ الرَّجِلَ، وتُضَمُّ جيمُه أيضاً فيكون مثل: حَدُثٍ وحَدِثٍ، ونَدُسٍ ونَدِسٍ، وأخواتٍ لهما. انتهى.

وقرأ قَتادة وعكرمة: «ورِجالك»[٣].

وقُرِئ: «ورُجَّالِكَ» بضمِّ الرَّاء وتشديد الجيم[٤].

والمشاركة في الأموال؛ قال الضحَّاك: ما يذبحون لآلهتهم. وقَتادة: البحيرة والسائبة. وقيل: ما أصيبَ من مالٍ حرام. وقيل: ما جعلوا من أموالهم لغير الله[٥]. وقيل: ما صُرِفَ في الزِّنا. والأولى: ما أُخِذَ من غير حقِّه وما وُضِعَ في غير حقِّه[٦].

والمشاركةُ في الأولاد؛ قال ابن عباس: تسميتُهم عبد العُزَّى وعبد اللَّات وعبد الشمس وعبد الحارث. وعنه أيضاً: ترغيبهم في الأديان الباطلة كاليهودية والنصرانية. وعنه أيضاً: إقدامهم على قتل الأولاد. قال الحسن وقتادة: ما مجَّسوه وهوَّدوه ونصَّروه وصبغوهم غيرَ صبغة الإسلام. وقال مجاهد: عدم التسمية عند الجماع، فالجانُّ ينطوي إذْ ذاكَ على إحليله فيُجامعُ معه. وقيل: ترغيبُهم في القتال

(١) البيت بتمامه:

أمـا أُقـاتِـلُ عـن ديـنـي عـلـى فـرسٍ ... ولا كـــذا رَجِــلاً إلَّا بــأصــحـــابــي

وقائله حيي بن وائل كما في اللسان (رجل)، وهو في ديوان الحماسة للمرزوقي ١/ ٤٦٤.
وتحرف اسم «حيي» في اللسان إلى «يحيى».

(٢) في الكشاف ٢/ ٤٥٦.

(٣) المحرر الوجيز ٣/ ٤٧٠، وهذه القراءة في الشاذة ص٧٧، والمحتسب ٢/ ٢٢.

(٤) الكشاف ٢/ ٤٥٦، وهي قراءة شاذة أيضاً.

(٥) تفسير القرطبي ١٣/ ١١٩-١٢٠، وينظر النكت والعيون ٢/ ٢٥٥، وتفسير البغوي ٣/ ١٢٣، وزاد المسير ٥/ ٥٩، وتفسير الرازي ٢١/ ٦، وهذه الأقوال أخرجها الطبري ١٤/ ٦٦٠-٦٦٢.

(٦) تفسير الرازي ٢١/ ٦ بنحوه.

والقتلِ وحفظ الشِّعرِ المشتملِ على الفُحش[١]، والأَولى أنَّه كلُّ تصرُّفٍ في الولد يؤدِّي إلى ارتكابِ منكرٍ وقبيحٍ[٢].

وأما وعدُه فهو الوعدُ الكاذب، كوعدِهم أنْ لا بَعْثَ، وهذه مشاركةٌ في النفوس[٣].

وقال الزمخشري[٤]: وعدَهُم المواعيدَ الكاذبةَ من شفاعةِ الآلهةِ، والكرامةِ على الله بالأنساب الشريفة، وتسويفِ التوبة، ومغفرةِ الذنوب بدونها، والاتِّكالِ على الرحمةِ، وشفاعةِ الرسول ﷺ في الكبائر، والخروج من النارِ بعد أن يصيروا حميماً، وإيثارِ العاجل على الآجل. انتهى. وهو جارٍ على مذهب المعتزلة في أنَّه لا تُغفَرُ الذنوبُ بدون التوبة، وبأنَّه لا شفاعةَ في الكبائر، وبأنَّه لا يخرجُ من النار أبداً مَنْ دخلها من فاسقٍ مؤمن.

وانتصبَ «غروراً» وهو مصدرٌ على أنَّه وصفٌ لمصدرٍ محذوف، أي: وعداً غروراً؛ على الوجوه التي في «رَجُلٌ صَوْمٌ». ويَحتمِلُ أن يكون مفعولاً من أجله، أي: وما يَعِدُكم ويُمنِّيكم ما لا يتِمُّ ولا يقعُ إلَّا لأَنْ يَغُرَّكم[٥].

والإضافةُ إليه تعالى في «إنَّ عبادي» إضافةُ تشريف، والمعنى: المختصِّين بكونهم عبادي لا يُضافون إلى غيري، كما قال في مُقابلهم: ﴿أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ﴾ [البقرة: ٢٥٧]، و﴿أَوْلِيَآءَ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ [النساء: ٧٦]. وقيل: ثَمَّ صفةٌ محذوفةٌ، أي: إنَّ عبادي الصالحينَ. ونفى السلطانَ وهو الحجَّةُ والاقتدارُ على إغوائهم عن الإيمان، ويدلُّ على لَحْظِ الصفة قولُه: ﴿إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ﴾ [النحل: ١٠٠].

(١) تفسير البغوي ٣/ ١٢٣، وتفسير القرطبي ١٣/ ١٢٠ دون القولين الثاني والسادس، ونسب البغوي القول الخامس إلى جعفر بن محمد. وتفسير الرازي ٢١/ ٧ دون القولين الرابع والخامس. والنكت والعيون ٣/ ٢٥٥، وزاد المسير ٥/ ٥٩ بالأقوال الأول والثالث والرابع، وهي الأقوال التي أخرجها الطبري ١٤/ ٦٦٤-٦٦٦.
(٢) تفسير الرازي ٢١/ ٧.
(٣) المحرر الوجيز ٣/ ٤٧١.
(٤) الكشاف ٢/ ٤٥٧.
(٥) زاد في الدر المصون ٧/ ٣٨٤ وجهاً ثالثاً فقال: الثالث أنه مفعول به على الاتِّساع، أي: ما يعدهم إلا الغرور نفسه.

وقال الجُبَّائي: «عبادي» عامٌّ في المُكلَّفين، ولذلك استثنى منه في آيٍ مَنِ اتَّبعه في قوله: ﴿إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ﴾ [الحجر: ٤٢]، واستدلَّ بهذا على أنَّه لا سبيلَ له ولا قدرةَ على تخليط العقل، وإنَّما قدرتُه على الوسوسة، ولو كان له قدرةٌ على ذلك لخَبَّط العلماءَ ليكون ضررُه أتمَّ[1].

ومعنى «وكيلاً»: حافظاً لعباده الذين ليس له عليهم سلطان من إغواء الشيطان، أو «وكيلاً»: يَكِلون أمورَهم إليه، فهو حافظُهم بتوكُّلِهم عليه.

﴿رَّبُّكُمُ ٱلَّذِى يُزْجِى لَكُمُ ٱلْفُلْكَ فِى ٱلْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٦٦﴾ وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ ۖ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَـٰنُ كَفُورًا ﴿٦٧﴾ أَفَأَمِنتُمْ أَن يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ ٱلْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا۟ لَكُمْ وَكِيلًا ﴿٦٨﴾ أَمْ أَمِنتُمْ أَن يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَىٰ فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِّنَ ٱلرِّيحِ فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ ۙ ثُمَّ لَا تَجِدُوا۟ لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِۦ تَبِيعًا ﴿٦٩﴾﴾.

لمَّا ذكرَ تعالى وصْفَ المشركين في اعتقادِهم آلهتَهم وأنَّها تضرُّ وتنفع، وأتبع ذلك بقصة إبليس مع آدم وتمكينهِ من وسوسة ذرِّيتهِ وتسويلِه = ذكَرَ ما يدلُّ من أفعاله على وحدانيته، وأنَّه هو النافعُ الضارُّ المتصرِّفُ في خلقه بما يشاء، فذكر إحسانه إليهم بحراً وبرًّا، وأنَّه تعالى مُتمكِّنٌ بقدرته ممَّا يُريده.

وإزجاء الفُلكِ: سَوْقُها من مكان إلى مكان بالريح اللَّيِّنة والمجاديف، وذلك من رحمته بعباده. وابتغاءُ الفضل طَلبُ التجارة أو الحجّ فيه أو الغزو. والضرُّ في البحر: الخوفُ من الغرق باضطرابِهِ وعصفِ الريح[2].

ومعنى «ضَلَّ»: ذهبَ عن أوهامكم مَنْ تدعونه إلهاً فيشفع أو ينفع، أو ضَلَّ مَنْ تعبدونه إلَّا الله وحده فتُفردونه إذ ذاكَ بالالتجاءِ إليه والاعتقادِ أنَّه لا يكشفُ الضُّرَّ إلا هو، ولا ترجون لكشفِ الضُّرِّ غيرَه[3].

---

(١) تفسير الرازي ٢١/٨ بنحوه.
(٢) المحرر الوجيز ٣/ ٤٧١ بنحوه، وينظر تفسير الرازي ٢١/ ١٠، وينظر الكلام الأخير في إعراب القرآن للنحاس ٢/ ٤٣٣.
(٣) الكشاف ٢/ ٤٥٧ بنحوه.

ثم ذكر حالَهم إذ كشف عنهم من إعراضهم عنه وكفرانهم نعمةَ إنجائِهم من الغرق، وجاءت صفةُ «كفور» دلالةً على المبالغة، ثم لم يخاطبهم بذلك، بل أسند ذلك إلى الإنسان لُطفاً بهم وإحالةً على الجنس، إذ كلُّ أحدٍ لا يكاد يؤدِّي شُكْرَ نِعَم الله.

وقال الزجَّاج[1]: المراد بالإنسان الكفار.

والظاهر أنَّ «إلَّا إيَّاه» استثناءٌ منقطع؛ لأنَّه لم يندرجْ في قوله: «مَنْ تدعون»؛ إذِ المعنى: ضلَّتْ آلهتُهم، أي: معبوداتُهم وهم لا يعبدون الله. وقيل: هو استثناءٌ متَّصل[2]، وهذا على معنى: ضَلَّ من يلجؤون إليه، وهم كانوا يلجؤون في بعض أمورهم إلى معبوداتهم، وفي هذه الحالة لا يلجؤون إلَّا إلى الله.

والهمزة في «أفأمِنْتُم» للإنكار. قال الزمخشري[3]: والفاء للعطف على محذوفٍ تقديره: أنَجَوْتُم فأمِنتُم. انتهى. وتقدَّم لنا الكلامُ معه[4] في دعواه أنَّ الفاءَ والواو في مثل هذا التركيب للعطف على محذوف بين الهمزة وحرف العطف، وأنَّ مذهبَ الجماعة أنْ لا محذوفَ هناك، وأنَّ الفاءَ والواوَ للعطفِ على ما قبلها، وأنَّه اعتُني بهمزة الاستفهام لكونها لها صدرُ الكلام فُقدِّمَتْ والنيةُ التأخير، وأنَّ التقديرَ: «فأمنتُم». وقد رجع الزمخشريُّ إلى مذهب الجماعة.

والخطابُ للسابق ذِكْرُهم، أي: أفأمنتم أيها النَّاجون المُعرِضون عن صنع الله الذي نجَّاكم.

وانتصبَ «جانب» على المفعول به بـ«نخسف»، كقوله: ﴿فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ﴾[5] [القصص: ٨١]. والمعنى: أن نُغيِّره[6] بكم فتهلِكون بذلك. وقال

---

(١) في معاني القرآن له ٣/ ٢٥١، ونقله عنه ابن عطية في المحرر الوجيز ٣/ ٤٧٢، وما قبله بعضه منه.

(٢) إملاء ما منَّ به الرحمن ٢/ ٩٤ دون ذكر التعليل.

(٣) في الكشاف ٢/ ٤٥٧، وما قبله منه.

(٤) عند تفسير الآية (٩٧) من سورة الأعراف.

(٥) الكشاف ٢/ ٤٥٧.

(٦) هكذا في جميع النسخ الخطية، وفي تفسير أبي الليث ٢/ ٢٧٦، وتفسير البغوي ٣/ ١٢٤: يُغَوِّر.

الزمخشري: أن نقلِبَه وأنتم عليه. وقال الحَوْفي: «جانبَ البرّ» منصوبٌ على الظرف.

ولمَّا كان الخسفُ تغييباً في التراب قال: «جانبَ البرّ» و«بِكُم» حال[1]، أي: نخسفَ جانبَ البرِّ مصحوباً بكم. وقيل: الباء للسبب، أي: بسببكم[2]، ويكون المعنى: جانبَ البرِّ الذي أنتم فيه، فيحصل بخسفِه إهلاكُهم، وإلَّا فلا يلزَمُ من خَسْفِ جانبِ البَرِّ بسببِهم إهلاكُهم.

قال قَتادة: الحاصب: الحجارة. وقال السُّدِّي: رامٍ يرميكم بحجارة من سِجِّيل[3]، والمعنى: أنَّ قدرتَه تعالى بالغةٌ، فإن كان نجَّاكم من الغرق وكفرتم نعمتَه فلا تأمنوا إهلاكَه إياكم وأنتم في البر، إمَّا بأمر يكون من تحتكم وهو تغوير الأرض بكم، أو من فوقكم بإرسال حاصبٍ عليكم، وهذه الغاية في تمَكُّنِ القدرة، ثم لا تجدوا عند حلول أحد هذين بكم مَنْ تكِلون أمورَكم إليه، فيتوكَّلُ في صرفِ ذلك عنكم.

و«أم» في «أم أمنتم» منقطعةٌ تُقدَّرُ بـ «بَلْ» والهمزة، أي: بل أمنتم، والضمير في «فيه» عائدٌ على البحر، وانتصبَ «تارةً» على الظرف، أي: وقتاً غيرَ الوقت الأول، والباء في «بما كفرتم» سببية، و«ما» مصدرية، أي: بسبب كفركم السابق منكم الوقتَ الأول الذي نجَّاكم فيه، أو بسبب كفركم الذي هو دأبُكم دائماً، والضمير في «به» عائدٌ على المصدر الدالِّ عليه. «فنُغرِقَكُم»[4] إذ هو أقربُ مذكورٍ، وهو نتيجة الإرسال. وقيل: عائدٌ على الإرسال. وقيل: عليهما، فيكون كاسم الإشارة، والمعنى: بما وقع من الإرسال والإغراق.

والتَّبيع؛ قال ابن عباس: النَّصير[5]. وقال الفرَّاء[6]: طالب الثأر.

---

(١) الكشاف ٢/ ٤٥٧.

(٢) إملاء ما منَّ به الرحمن ٢/ ٩٤.

(٣) ذكرهما ابن حجر في فتح الباري ٨/ ٣٩١، وعزاهما لابن أبي حاتم. وقول قتادة في النكت والعيون ٥/ ٦١، وزاد المسير ٥/ ٦١، وأخرجه الطبري ١٤/ ٦٦٩.

(٤) هكذا في النسخ ـ بالنون على التعظيم ـ سوى (يه) ـ فهي بالياء ـ وقراءة النون لابن كثير وأبي عمرو كما سيأتي.

(٥) أخرجه الطبري ١٤/ ٦٧١-٦٧٢.

(٦) في معاني القرآن له ٢/ ١٢٧ بنحوه.

وقال أبو عبيدة[١]: المُطالِب. وقال الزَّجاج[٢]: مَنْ يتبع بالإنكار ما نزلَ بكم. ونظيرُه قولُه تعالى: ﴿فَسَوَّنٰهَا ۝ وَلَا يَخَافُ عُقْبَٰهَا﴾[٣] [الشمس: ١٤-١٥]، وفي الحديث: «إذا أُتبِعَ أحدُكم على مليءٍ فَلْيَتْبَعْ»[٤]، وقال الشمَّاخ:

كما لاذَ الغريمُ من التَّبيعِ

ويقال: فلانٌ على فلانٍ تبيعٌ، أي: مسيطرٌ بحقِّه مطالبٌ به[٥].

وأنشد ابن عطية[٦]:

غَدَوا وغَدَتْ غِزلانُهُم فكأنَّها ضوامنُ غُرمٍ لَزَّهنَّ تَبيعُ

أي: مطالبٌ بحقِّه.

وقرأ ابن كثير، وأبو عمرو: «نَخْسِفَ» و«أو نُرْسِلَ» و«أنْ نُعيدَكُم» و«فنُرْسِلَ» و«فنُغْرِقَكُم» خمستها بالنون، وباقي السبعة بياء الغيبة[٧]. ومجاهد، وأبو جعفر: «فتُغرِقَكم» بتاء الخطاب[٨] مسنداً إلى الريح. والحسن، وأبو رجاء: «فَيُغَرِّقَكُم» بياء الغَيبة وفتح الغَين وشدِّ الرَّاء، عدَّاه بالتضعيف، والمقرئ لأبي جعفر كذلك إلَّا أنَّه بتاء الخطاب[٩]. وحُميدٌ بالنون وإسكان الغَين وإدغام القاف في الكاف. ورُويت

(١) في مجاز القرآن ١/ ٣٨٥ بنحوه.
(٢) في معاني القرآن له ٣/ ٢٥٢.
(٣) الكشاف ٢/ ٤٥٨.
(٤) المحرر الوجيز ٣/ ٤٧٢. والحديث أخرجه البخاري (٢٢٨٧)، ومسلم (١٥٦٤) من حديث أبي هريرة ﷺ.
(٥) الكشاف ٢/ ٤٥٨، والبيت في ديوان الشمَّاخ ص٢٢٧، واللسان (تبع)، وصدر البيت: تلوذُ ثعالب الشَّرفينِ منها.
(٦) في المحرر الوجيز ٣/ ٤٧٢.
(٧) ينظر السبعة ص٣٨٣، والتيسير ص١٤٠.
(٨) الصواب أن يُقال: بتاء التأنيث، وينظر التعليق التالي. وقراءة أبي جعفر من العشرة في النشر ٢/ ٣٠٨.
(٩) قال في الدر المصون ٧/ ٣٨٧: وهذا إمَّا سهوٌ وإمَّا تصحيف من النُّسَّاخ عليه؛ كيف يستقيم أن يقول: بتاء الخطاب، وهو مسندٌ إلى ضمير الريح؟! وكأنَّه أراد بالتأنيث فسبقه قلمُه أو صحَّف عليه غيرُه.

عن أبي عمرو، وابن مُحَيْصِن. وقرأ الجمهور من الريح بالإفراد، وأبو جعفر من الرياح جمعاً[١].

﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾ يَوْمَ نَدْعُوا۟ كُلَّ أُنَاسٍۭ بِإِمَٰمِهِمْ ۖ فَمَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَٰبَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧١﴾ وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلْءَاخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٧٢﴾﴾.

لمَّا ذكر تعالى ما امتنَّ به عليهم من إزجاءِ الفُلكِ في البحر ومِنْ تنجِيَتِهم من الغرق تمَّمَ ذِكْرَ المِنَّةِ بذكر تكريمِهم ورزقِهم وتفضيلِهم، أوْ لمَّا هدَّدهم بما هدَّد من الخسف والغرق وأنَّهم كافِرو نعمتِه ذكر ما أنعمَ به عليهم ليتذكَّروا فيشكروا نِعَمَه، ويُقْلِعوا عمَّا كانوا فيه من الكفر، ويُطيعوه تعالى، وفي ذِكْرِ النِّعم وتعدادها هَزٌّ لِشُكرها.

و«كرَّمَ» مُعدًّى بالتضعيف من «كَرُمَ» أي: جعلناهم ذوي كرم، بمعنى الشرفِ والمحاسن الجمَّة، كما تقول: ثوبٌ كريمٌ، وفرَسٌ كريمٌ، أي: جامعٌ للمحاسن، وليس من كرم المال[٢]. وما جاء عن أهل التفسير من تكريمهم وتفضيلهم بأشياء ذكروها هو على سبيل التمثيل لا على الحصر في ذلك، كما رُوي عن ابن عباس أنَّ التفضيلَ بالعقل. وعن الضحَّاك: بالنطق. وعن عطاء: بتعديلِ القامة وامتدادِها. وعن زيد بن أسلم: بالمطاعم واللذَّات. وعن يمان: بحسن الصورة. وعن محمد بن كعب: بجَعْلِ محمدٍ عليه الصلاة والسلام منهم. وعن ابن جرير: بالتسليط على غيره من الخلق وتسخيره له[٣]. وقيل: بالخط[٤]، وقيل: باللِّحية

---

(١) من قوله: «وقرأ ابن كثير» إلى هنا من المحرر الوجيز ٣/ ٤٧٢ سوى قوله: والمقرئ لأبي جعفر كذلك إلا أنه بتاء الخطاب.

(٢) المحرر الوجيز ٣/ ٤٧٢ باختصار.

(٣) ذكر هذه الأقوال السبعة ابن الجوزي في زاد المسير ٥/ ٦٣، وذكرها ـ دون القول الرابع ـ الثعلبي في تفسيره ٤/ ٦٢-٦٣، وذكرها ـ دون الرابع والخامس ـ الطبرسي في مجمع البيان ١٥/ ٧٦، والأقوال الثلاثة الأولى مع الخامس ذكرها البغوي ٣/ ١٢٥، والقول الثاني ذكره أبو الليث ٢/ ٢٧٧، وأما قول الطبري فهو في تفسيره ١٥/ ٥.

(٤) النكت والعيون ٣/ ٢٥٧.

للرجل، والذُّؤابة للمرأة[١]. وعن ابن عباس: بأكلِه بيده، وغيرُه بفمه[٢]. وقيل: بتدبير المعاش والمعاد[٣]. وقيل: بخلقِ اللهِ آدمَ بيده[٤].

قال ابن عطية[٥]: وقد ذُكِرَ أنَّ من الحيوان ما يفضل بنوعٍ مّا ابنَ آدم، كجَرْيِ الفرس وسمعِه وإبصارِه، وقُوَّةِ الفيل، وشجاعةِ الأسد، وكرمِ الديك. قال: وإنما التكريمُ والتفضيلُ بالعقل الذي يُملَكُ به الحيوانُ كلُّه، وبه يُعرَفُ اللهُ، ويُفهَمُ كلامُه، ويُوصَلُ إلى نعيمه. انتهى.

﴿وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ وهذا أيضاً من تكريمهم؛ قال ابن عباس: في البرِّ: على الخيل والبغال والحمير والإبل، وفي البحر: على السفن[٦]. وقال غيرُه: على أكبادٍ رَطْبةٍ، وأعوادٍ يابسة[٧].

والطيباتُ كما تقدَّم: الحلالُ أو المستلَذُّ، ولا يتَّسِعُ غيرُه من الحيوان في الرزق اتِّساعَه؛ لأنَّه يكسبُ المالَ، ويلبَسُ الثيابَ، ويأكلُ المُرَكَّبَ من الأطعمة، بخلاف الحيوان، فإنَّه لا يكسبُ ولا يلبَس، ولا يأكلُ غالباً إلَّا لحماً نيئاً وطعاماً غيرَ مركَّبٍ[٨].

والظاهرُ أنَّ كثيراً باقٍ على حقيقته، فقالت طائفة: فُضِّلوا على الخلائق كلِّهم غيرَ جبريل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل وأشباهِهم. وهذا عن ابن عباس[٩]. وعنه: أنَّ الإنسان ليس أفضلَ من المَلَك، وهو اختيار الزجَّاج[١٠].

---

(١) تفسير الثعلبي ٤/ ٦٢، وتفسير البغوي ٣/ ١٢٥، وزاد المسير ٥/ ٦٣.
(٢) معاني القرآن للنحاس ٤/١٧٦، وزاد المسير ٥/٦٣، ومجمع البيان ١٥/ ٧٦.
(٣) الكشاف ٢/٤٥٨، مع ذكر بعض الأقوال السابقة.
(٤) تفسير الرازي ٢١/ ١٥، مع ذكر بعض الأقوال السابقة.
(٥) في المحرر الوجيز ٣/ ٤٧٣.
(٦) تفسير الرازي ٢١/ ١٥.
(٧) زاد المسير ٥/ ٦٣.
(٨) المحرر الوجيز ٣/ ٤٧٣.
(٩) تفسير أبي الليث ٢/ ٢٧٧، وزاد المسير ٥/ ٦٢. وذكره الثعلبي ٤/ ٦٣، والبغوي ٣/ ١٢٥ عن الكلبي.
(١٠) في معاني القرآن له ٢/ ١٣٦، وقال: والملائكة ـ والله أعلم ـ أكرم من النبيين، ألا ترى أن نوحاً =

وقال ابن عطية[١]: والحيوانُ والجنُّ هو الكثيرُ المفضولُ، والملائكةُ هم الخارجون عن الكثير المفضول. وقالت فرقة: الآية تقضي تفضيلَ الملائكة على الإنس مِنْ حيثُ هم المُستثْنَون، وقد قال تعالى: ﴿وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَۚ﴾ [النساء: ١٧٢] وهذا غيرُ لازمٍ من الآية، بل التفضيلُ بين الإنس والجنِّ لم تَعْنِ الآيةُ، بل يَحتمِلُ أنَّ الملائكةَ أفضلُ، ويَحتَمِلُ التساوي، وإنَّما يصِحُّ تفضيلُ الملائكة من مواضعَ أُخَر من الشرع. انتهى.

وقال الزمخشري[٢]: ﴿عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا﴾ هو ما سوى الملائكة عليهم الصلاة والسلام، وحَسْبُ بني آدمَ تفضيلاً أنْ تُرفع عليهم الملائكة وهُم هُم، ومنزلتُهم عند الله منزلتُهم، والعجَبُ من المُجْبِرة كيف عكسوا في كلِّ شيء وكابروا، حتى جسّرَتْهُم المُكابرةُ على العظيمة التي هي تفضيلُ الإنسان على المَلَك. ثم ذكر تشنيعاً أقذَعَ فيه[٣]، يُوقَفُ عليه من كتابه.

وقيل: وفضَّلناهم على كثير بالغلبة والاستيلاء. وقيل: بالثواب والجزاء يوم القيامة[٤]. وعلى هذين القولين لم تتعرَّضِ الآيةُ للتفضيل المختَلَفِ فيه بين الإنس والملائكة. وقيل: المرادُ بـ «كثير» مَجازُه، وهو إطلاقُه على الجميع، والعربُ تفعَلُ ذلك، وهذا القول لا ينبغي أن يُقال هنا؛ لأنَّكَ لو جعلتَ «جميعاً» مكان «كثير» فقلتَ: على جميعٍ ممَّن خلقنا، لكان نائياً عن الفصاحة، ولا يليقُ أن يُحمَلَ كلامُ الله تعالى الذي هو أفصحُ الكلام عليه[٥].

ولأبي عبد الله الرازي كلامٌ في تكريم ابنِ آدم وتفضيلِه مستمَدٌّ من كلام الذين يُسمِّيهم حُكماءَ يُوقَفُ عليه في «تفسيره»[٦]؛ إذ هو جارٍ على غير طريقَة العرب في كلامها.

= عليه السلام قال: ﴿وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ إِنِّى مَلَكٌ﴾ [هود: ٣١].

(١) في المحرر الوجيز ٣/ ٤٧٣.

(٢) في الكشاف ٢/ ٤٥٨-٤٥٩.

(٣) أي: أساء القول فيه. ينظر اللسان (قذع).

(٤) النكت والعيون ٣/ ٢٥٨.

(٥) ينظر الكشاف ٢/ ٤٥٩.

(٦) تفسير الرازي ٢١/ ١٢-١٦.

ولمَّا ذكر تعالى أنواعاً من كرامات الإنسان في الدنيا ذكرَ شيئاً من أحوال الآخرة، فقال: ﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَٰمِهِمْ﴾[(١)].

واختلفوا في العامل في «يومَ» فقيل: العامل فيه ما دلَّ عليه قولُه: «متى هو». وقيل: «فتستجيبون». وقيل: هو بدل من «يوم يدعوكم»[(٢)]. وهذه أقوالٌ في غاية الضعف، ولولا أنَّهم ذكروها لضرَبْتُ عن ذِكْرِها صَفْحاً، وهو في هذه الأقوال ظرف. وقال الحَوْفي وابنُ عطية[(٣)]: انتصبَ على الظرف، والعاملُ فيه «اذكُرْ»، وعلى تقدير «اذكُرْ» لا يكون ظرفاً بل هو مفعولٌ به. وقال ابنُ عطية أيضاً بعد قوله: هو ظرفٌ والعامل فيه «اذكُرْ»: أو فعلٌ يدلُّ عليه قوله: «ولا يُظلمون»، وحكاه أبو البقاء[(٤)] وقدَّره: ولا يُظلَمون يومَ ندعو. وقال ابنُ عطية أيضاً: ويصِحُّ أن يعملَ فيه «وفضَّلناهم»، وذلك أنَّ فَضْلَ البشر يومَ القيامة على سائر الحيوان بَيِّنٌ؛ لأنَّهم المُنَعَّمون المُكَلَّفون المُحاسَبون الذين لهم القَدْر، إلَّا أنَّ هذا يَرُدُّه أنَّ الكفارَ يومئذٍ أخسَرُ من كلِّ حيوان، إذ يقول الكافر: يا ليتني كنتُ تراباً. وقال ابنُ عطية أيضاً: ويصِحُّ أن يكون «يومَ» منصوباً على البناء لمَّا أُضيفَ إلى غيرِ مُتمكِّنٍ، ويكونُ موضعُه رفعاً بالابتداء، والخبرُ في التقسيم الذي أتى بَعْدُ في قوله: «فمن أوتي كتابه» إلى قوله: «ومن كان». انتهى.

وقوله: منصوباً على البناء، كان ينبغي أن يقول: مبنياً على الفتح. وقوله: لمَّا أُضيف إلى غير مُتمَكِّن، ليس بجيِّدٍ؛ لأنَّ الذي ينقسم إلى متمَكِّنٍ وغيرِ مُتمَكِّنٍ هو الاسم لا الفعل، وهذا أُضيفَ إلى فعلٍ مضارع، ومذهبُ البصريين أنَّه إذا أُضيفَ إلى فعلٍ مضارعٍ مُعْرَبٍ لا يجوز بناؤه، فهذا الوجه الذي ذكرَه هو على رأي الكوفيين. وأمَّا قولُه: والخبر في التقسيم، فالتقسيمُ عارٍ من رابطٍ لهذه الجملة التقسيمية بالمبتدأ إلَّا إن قدَّرَ محذوفاً فقد يُمكن، أي: ممَّن أُوتيَ كتابَه فيه بيمينه، وهو بَعْدَ ذلك تخريجٌ مُتَكَلَّف. وقال بعضُ النُّحاة: العامل فيه «وفضَّلناهم» على

(١) تفسير الرازي ٢١/ ١٧.
(٢) إملاء ما منَّ به الرحمن ٢/ ٩٤.
(٣) في المحرر الوجيز ٣/ ٤٧٣.
(٤) في الإملاء ٢/ ٩٤.

تقدير: وفضَّلناهم بالثواب. وهذا القول قريبٌ من قول ابن عطية الذي ذكرناه عنه قبلُ. وقال الزجَّاج: هو ظرفٌ لقوله: «ثم لا تجد لك». وقال الفرَّاء: هو معمولٌ لقوله: «نُعيدكم» مُضمَرة، أي: نُعيدكم يومَ ندعو. والأقربُ من هذه الأقوال أن يكون منصوباً على المفعول به بـ «اذْكُرْ» مُضمَرة.

وقرأ الجمهور: «ندعو» بنون العظَمة. ومجاهد: «يدعو» بياء الغَيبة، أي: يدعو الله. والحسن فيما ذكر أبو عمرو الداني: «يُدْعى» مبنياً للمفعول، «كلٌّ» مرفوعٌ به، وفيما ذكر غيرُه «يُدْعَو» بالواو[1]، وخُرِّجَ على إبدالِ الألفِ واواً على لغة من يقول: «أفعَو» في الوقف على «أفعَى» وإجراءِ الوصلِ مُجْرى الوقف، و«كلٌّ» مرفوعٌ به[2]، وعلى أن تكون الواوُ ضميراً مفعولاً لم يُسَمَّ فاعلُه، وأصله: يُدعَوْنَ، فحُذِفتِ النُّونُ كما حُذِفَتْ في قوله:

أبيتُ أسْري وتَبيتي تَدْلُكي ... وجهَكِ بالعنبرِ والمِسْكِ الذَّكي[3]

أي: تبيتين تدلكين.

و«كلٌّ» بدل من واو الضمير[4]، وأُناس: اسمُ جمعٍ لا واحدَ له من لفظه[5]. والباء في «بإمامهم» الظاهرُ أنَّها تتعلَّق بـ «ندعو» أي: باسم إمامهم. وقيل: هي باء الحال، أي: مَصْحوبين بإمامهم[6].

والإمام هنا؛ قال ابن عباس والحسن وأبو العالية والربيع: كتابُهم الذي فيه أعمالُهم. وقال الضحَّاك، وابن زيد: كتابهم الذي نزل عليهم. وقال مجاهد وقتادة: نبيُّهم[7]. قال ابنُ عطية: والإمام يعمُّ هذا كلَّه؛ لأنَّه ممَّا يؤتَمُّ به.

---

(١) المحرر الوجيز ٣/ ٤٧٣، وقراءة مجاهد والحسن في الشاذة ص٧٧.
(٢) المحتسب ٢/ ٢٢، وذكر أنه مذهب سيبويه، وينظر الكتاب ٤/ ٢٤١.
(٣) الخصائص ١/ ٣٨٨، والمحكم (دَلَك)، وذكره صاحب خزانة الأدب ٨/ ٣٣٩ وقال: لم أقف على قائله.
(٤) إملاء ما منَّ به الرحمن ٢/ ٩٤.
(٥) المحرر الوجيز ٣/ ٤٧٣.
(٦) مشكل إعراب القرآن ١/ ٤٣٣ بنحوه.
(٧) المحرر الوجيز ٣/ ٤٧٣، وتنظر هذه الأقوال في تفسير الثعلبي ٤/ ٦٥، والنكت والعيون ٣/ ٢٥٨، وزاد المسير ٥/ ٦٥، ومجمع البيان ١٥/ ٧٧. وأخرجها الطبري ١٥/ ٦-٨.

وقال الزمخشري[(١)]: بإمامهم: من ائتمُّوا به من نبيٍّ، أو مُقدَّمٍ في الدين، أو كتابٍ، أو دينٍ، فيُقال: يا أتباعَ فلان، يا أهلَ دينِ كذا، أو كتابِ كذا. وقيل: بكتاب أعمالهم، يا أصحابَ كتاب الخير، ويا أصحابَ كتاب الشر. وفي قراءة الحسن: «بكتابهم». ومن بِدَعِ التفاسير أنَّ الإمامَ جمعُ أُمّ، وأنَّ الناس يُدْعَون يومَ القيامة بأُمَّهاتِهم، وأنَّ الحِكمة في الدعاء بالأمَّهاتِ دون الآباء رعايةُ حقِّ عيسى وشرفِ الحسن والحسين، وأن لا يُفتضحَ أولادُ الزِّنى، وليتَ شِعْري أيُّهما أبدَعُ: أصِحَّةُ لفْظِه أم بهاءُ حِكمته؟! انتهى.

وإيتاءُ الكتاب دليلٌ على ما تقرَّر في الشريعة من الصُّحف التي يُؤتاها المؤمنُ والكافر، وإيتاؤه باليمين دليلٌ على نجاةِ الطائع وخلاصِ الفاسق من النار إنْ دخلَها، وبشارتهِ أنَّه لا يخلدُ فيها، فـ «أولئك» جاء جَمْعاً على معنى «مَنْ» إذ قد حُمِلَ على اللفظ أولاً فأُفرِدَ في قوله: ﴿أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ﴾ وقراءتُهم كتُبَهم هو على سبيل التّلذّذ بالاطّلاع على ما تضمَّنَتْها من البشارة، وإلَّا فقد علموا من حيث إيتاؤهم إيَّاها باليمين أنَّهم من أهل السعادة، ومن فرَحِهم بذلك يقول القارئ[(٢)] لأهل المحشر: ﴿هَآؤُمُ ٱقْرَءُواْ كِتَٰبِيَهْ﴾ [الحاقة: ١٩] ولم يأتِ هنا قسيمُ مَنْ أوتيَ كتابَه بيمينه وهو مَنْ يُؤتى كتابَه بشماله، وإن كان قد أتى في غير هذه الآية، بل جاء قسيمُه قولُه: ﴿وَمَن كَانَ فِى هَٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ﴾ وذلك من حيثُ المعنى مُقابله؛ لأنَّ مَنْ أوتي كتابه بيمينه هم أهل السعادة، ومَنْ كان في هذه أعمى هم أهل الشقاوة.

﴿وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ أي: لا يُنقَصون [من ثوابهم] أدنى شيء[(٣)]. وتقدَّم شرحُ الفَتيل في سورة النساء[(٤)].

والظاهر أنَّ الإشارة بقوله: «في هذه» إلى الدنيا. وقاله ابن عباس، ومجاهد، وقتادة، وابن زيد، أي: مَنْ كان في هذه الدار أعمى عن النظر في آياتِ الله وعِبَرِه

(١) في الكشاف ٢/ ٤٥٩، وقراءة الحسن الآتية في القراءات الشاذة ص٧٧.
(٢) تحرفت في (أ) و(ح) و(د٢) و(ع): الباري، والمثبت من باقي النسخ، والكشاف ٢/ ٤٥٩، وتفسير الرازي ٢١/ ١٨، والكلام فيهما بنحوه وباختصار.
(٣) الكشاف ٢/ ٤٥٩، وما بين حاصرتين منه ومن غيره من المصادر.
(٤) عند تفسير الآية (٤٩) منها.

والإيمانِ بأنبيائه، فهو في الآخرة أعمى؛ إمَّا أن يكون على حذف مضاف، أي: في شأن الآخرة، وإمَّا أن يكون: فهو يومَ القيامة أعمى، على معنى أنَّه حَيْرانُ لا يتوجَّه له صوابٌ ولا يلوح له نُجْحٌ. وقال مجاهد: هو أعمى في الآخرة عن حُجَجه[(١)].
وقال ابن عباس أيضاً: ومَنْ كان في هذه النِّعم يشير إلى نِعَم التكريم والتفضيل، فهو في الآخرة التي لم يرَ ولم يُعايِنْ أعمى. وقيل: ومن كان في الدنيا ضالاً كافراً فهو في الآخرة أعمى وأضلُّ سبيلاً؛ لأنَّه في الدنيا تُقبَلُ توبتُه، وفي الآخرة لا تُقبَلُ، وفي الدنيا يهتدي إلى التخلُّص من الآفات، وفي الآخرة لا يهتدي إلى ذلك البتَّة. وقيل: فهو في الآخرة أعمى عن طريق الجنة. وقيل: أعمى البصر، كما قال: ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا﴾ [الإسراء: ٩٧]. وقوله: ﴿وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا﴾[(٢)] [طه: ١٢٤-١٢٥]. وقيل: مَنْ كان في الدنيا أعمى عن إبصار الحقِّ والاعتبارِ فهو في الآخرة أعمى عن الاعتذار[(٣)].

وقال ابن عطية[(٤)]: والظاهر عندي أنَّ الإشارة بـ «هذه» إلى الدنيا، أي: مَنْ كان في دنياه هذه وقتَ إدراكِه وفهمِه أعمى عن النظر في آيات الله فهو في يوم القيامةِ أشدُّ حَيْرةً وعمًى؛ لأنَّه قد باشر الخَيبةَ ورأى مخايلَ العذاب، وبهذا التأويل تكون معادلةَ التي قبلَها مِنْ ذِكرِ مَنْ يُؤتى كتابَه بيمينه، وإذا جعلنا قوله: «في الآخرة» بمعنى: في شأن الآخرة، لم تَطَّرِدِ المعادلةُ بين الآيتين.

وقال الزمخشري[(٥)]: والأعمى مستعار ممَّن لا يُدرِكُ المُبْصَرات؛ لفساد حاسَّته لمن لا يهتدي إلى طريق النجاة، أمَّا في الدنيا؛ فلِفَقْدِ النَّظرِ، وأمَّا في الآخرة؛ فلأنَّه لا ينفَعُه الاهتداءُ إليه، وقد جوَّزوا أن يكون الثاني بمعنى التفضيل، ومن ثَمَّ

---

(١) المحرر الوجيز ٣/ ٤٧٤.
(٢) تفسير الرازي ٢١/ ١٨-١٩، وأورد البغوي في تفسيره ٣/ ١٢٦ القول الثاني إلى قوله: وفي الآخرة لا تُقبل، وعزياه للحسن البصري.
(٣) النكت والعيون ٣/ ٢٥٩، وتفسير البغوي ٣/ ١٢٦.
(٤) في المحرر الوجيز ٣/ ٤٧٤.
(٥) في الكشاف ٢/ ٤٥٩-٤٦٠، وقراءة أبي عمرو الآتية في السبعة ص٣٨٣، والتيسير ص١٤٠.

قرأ أبو عمرو الأولَ مُمالاً والثاني مُفخَّماً؛ لأنَّ أفعلَ التفضيلِ تمامُه بـ «مِنْ»، فكانت أَلِفُه في حُكْمِ الواقعةِ في وسط الكلام، كقوله: أعمالكم، وأمَّا الأولُ فلم يتعلَّقْ به شيء، فكانت أَلِفُه واقعةً في الطرف مُعَرَّضةً للإمالة. انتهى. وتعليلُه تركَ إمالةِ «أعمى» الثاني أخذَه الزمخشريّ من أبي عليٍّ؛ قال أبو علي[١]: لأنَّ الإمالة إنَّما تَحْسُنُ في الأواخر، و«أعمى» ليس كذلك؛ لأنَّ تقديرَه: أعمى من كذا، فليس يتِمُّ إلَّا في قولنا: مِنْ كذا، فهو إذن ليس بآخر، ويُقوِّي هذا التأويلَ عطفُ «وأَضلُّ سبيلاً»؛ لأن الإنسانَ في الدنيا يُمكِنُ أن يُؤمِنَ فينجو وهو في الآخرة لا يُمكِنُه ذلك، فهو أَضَلُّ سبيلاً، وأشدُّ حَيْرةً، وأقرَبُ إلى العذاب[٢].

وأعمى هنا من عمى القلب لا مِنْ عمى البصر؛ لأنَّ ذلك يقَعُ فيه التفاضلُ لا هذا.

﴿وَإِن كَادُواْ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ لِتَفْتَرِىَ عَلَيْنَا غَيْرَهُۥ وَإِذًا لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلًا ﴿٧٣﴾ وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾ إِذًا لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴿٧٥﴾ وَإِن كَادُواْ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا ۖ وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ خِلَٰفَكَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٧٦﴾ سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا ۖ وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا ﴿٧٧﴾﴾.

الضمير في «وإن كادوا» قيل: لقريش. وقيل: لثقيف[٣].

ذكروا أسبابَ نزولٍ مختلفةً، وفي بعضها ما لا يصِحُّ نسبتُه إلى الرسول ﷺ ويُوقَفُ على ذلك في تفسير ابن عطية والزمخشري والتحرير وغير ذلك.

ومناسبةُ هذه الآيةِ لِما قبلَها أنَّه تعالى لمَّا عدَّدَ نِعَمَه على بني آدم، ثمَّ ذكرَ حالَهم في الآخرة من إيتاء الكتاب باليمين لأهل السعادة، ومن عمى أهل الشقاوة، أَتبَعَ ذلك بما يهمُّ به الأشقياء في الدنيا من المكر والخداع والتلبيس على سيِّد أهلِ السعادة المقطوعِ له بالعصمة.

(١) المحرر الوجيز ٣/ ٤٧٤، وما بعده منه. وينظر الحجة في القراءات لأبي علي الفارسي ٥/ ١١٢-١١٣.
(٢) المحرر الوجيز ٣/ ٤٧٤.
(٣) تفسير الرازي ٢١/ ٢٠ بنحوه.

ومعنى «ليفتنونك»: ليخدعونك، وذلك في ظنِّهم، لا أنَّهم قاربوا ذلك؛ إذ هو معصومٌ عليه السلام أن يُقاربوا فتنتَه عمَّا أوحى اللهُ إليه، وتلك المقاربة في زَعْمِهم سببُها رجاؤهم أن يفتريَ على اللهِ غيرَ ما أوحى اللهُ إليه من تبديل الوعدِ وعيداً والوعيدِ وعداً، وما اقترحته ثقيفٌ من أن يُضيفَ إلى الله ما لم يُنَزِّله عليه، و«إنْ» هذه هي المُخفَّفة من الثقيلة[1]، وَلِيَتْها الجملة الفعلية، وهي «كادوا»؛ لأنَّها من أفعال المقاربة، وإنَّما تدخل على مذهب البصريين من الأفعال على النواسخ التي للإثبات على ما تقرَّر في علم النحو.

واللَّام في «ليفتِنونَكَ» هي الفارقة بين «إنْ» هذه و«إنْ» النافية[2]، و«إذاً» حرفُ جواب وجزاء، ويُقدَّر قَسَمٌ هنا يكون «لاتَّخذوك» جواباً له، والتقدير: واللهِ إذاً، أي: إن افتتنتَ وافتريتَ لاتَّخذوك، و«لاتَّخذوكَ» في معنى «ليتَّخذونك»، كقوله: ﴿وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَّظَلُّوا﴾ [الروم: ٥١] أي: ليَظَلُّنَّ؛ لأن «إذاً» تقتضي الاستقبال؛ لأنَّها من حيثُ المعنى جزاءٌ، فيُقَدَّرُ موضِعُها بأداةِ الشرط.

وقال الزمخشري: «وإذاً لاتَّخذوك» أي: ولو اتَّبعتَ مُرادَهم لاتَّخذوك خليلاً، ولكنتَ لهم وليًّا، ولخَرَجْتَ من ولايتي. انتهى. وهو تفسيرُ معنى، لا أنَّ «لَاتَّخذوكَ» جوابُ «لو» محذوفةً.

قال الزمخشري[3]: ﴿وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ﴾ولولا تثبيتُنا لكَ وعصمتُنا ﴿لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ﴾: لقارَبْتَ أن تميلَ إلى خدعِهم ومَكْرِهم، وهذا تهييجٌ من اللهِ له وفضلُ تثبيتٍ، وفي ذلك لطفٌ للمؤمنين، إذَنْ لو قاربْتَ تركَنُ إليهم أدنى رَكْنةٍ لأذقناكَ ضِعْفَ الحياةِ وضِعْفَ المماتِ، أي: لأذقناك عذابَ الآخرة وعذابَ القبر مضاعَفَين. فإنْ قلتَ: كيفَ حقيقةُ هذا الكلام؟ قلت: أصلُه لأذقناكَ عذابَ الحياة وعذابَ الممات؛ لأنَّ العذابَ عذابان؛ عذابٌ في الممات وهو عذاب القبر، وعذابٌ في حياة الآخرة وهو عذاب النار، والضِّعفُ يوصَفُ به نحوُ قوله تعالى: ﴿فَـَٔاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ ٱلنَّارِ﴾ [الأعراف: ٣٨]. يعني: مضاعفاً، فكأنَّ أصلَ الكلام:

---

(١) الكشاف ٢/ ٤٦٠ بنحوه.
(٢) المصدر السابق، وتفسير الرازي ٢١/ ٢٠.
(٣) في الكشاف ٢/ ٤٦٠-٤٦١.

لأذقناكَ عذاباً ضِعْفاً في الحياة وعذاباً ضِعْفاً في الممات، ثم حُذِفَ الموصوفُ، وأُقيمتِ الصِّفةُ مقامَه وهو الضِّعف، ثمَّ أُضيفَتِ الصِّفةُ إضافةَ الموصوف، فقيل: ضعف الحياة وضعف الممات، كما لو قيل: لأذقناك أليمَ الحياة وأليمَ الممات. ويجوز أن يُرادَ بضِعْفِ الحياة عذابُ الحياة الدنيا، وبضِعْفِ المماتِ ما يعقبُ الموتَ من عذاب القبر وعذاب النار، والمعنى: لضاعَفْنا لكَ العذابَ المُعجَّلَ للعُصاةِ في الحياة الدنيا وما نُؤخِّره لِما بعد الموت. انتهى.

وجواب «لولا» يقتضي إذا كان مُثبَتاً امتناعُه؛ لوجودِ ما قبلَه، فمُقاربةُ الرُّكون لم تقَعْ منه عليه السلام فضلاً عن الرُّكون، والمانعُ من ذلك هو وجودُ تثبيت الله.

وقرأ قتادة، وابنُ أبي إسحاق، وابنُ مُصَرِّف: «تَرْكُنُ» بضَمِّ الكاف، مضارع «رَكَنَ» بفتحها[(١)].

وانتصب «شيئاً» على المصدر[(٢)].

وقال ابن عباس، ومجاهد، وقَتادة، والضَّحَّاك: يريدُ: ضِعْفَ عذابِ الحياة وضِعْفَ عذابِ الممات، على معنى: أنَّ ما يستحِقُّه مَنْ أذنَبَ من عقوبتِنا في الدنيا والآخرة، كُنَّا نضعفُه. وذهبَ ابنُ الأنباري إلى أنَّ المعنى: لقد كاد أن يُخبروا عنك أنَّك ركَنْتَ إلى قولهم[(٣)]. نسَبَ فِعْلَهم إليه مجازاً واتِّساعاً، كما تقول للرَّجل: كِدْتَ تقْتُلُ نفسَكَ، أي: كادَ الناسُ يقتلونك بسبب بما فعلتَ. وقال ابن عباس: كان الرسولُ ﷺ معصوماً، ولكن هذا تعريفٌ للأمة، لئلَّا يركُنَ أحدٌ منهم إلى المشركين في شيء من أحكام الله تعالى وشرائعه[(٤)]. انتهى.

واللام في «لأذقناكَ» جوابُ قَسَم محذوفٍ قبل «إذاً» أي: واللهِ إنْ حصَلَ رُكونٌ ليكونَنَّ كذا، والقول في «لأذقناك» كالقول في «لاتَّخذوكَ» من وقوع الماضي موقع

(١) المحرر الوجيز ٤/ ٤٧٥، وهي قراءة شاذة.
(٢) تفسير الرازي ٢١/ ٢١.
(٣) المحرر الوجيز ٤/ ٤٧٥.
(٤) تفسير القرطبي ١٣/ ١٣٥، وكلام ابن عباس في الوسيط للواحدي ٣/ ١٢٠، وزاد المسير ٥/ ٦٩، ومجمع البيان ١٥/ ٨٢.

المضارع الداخل عليه اللامُ والنون، وممَّن نصَّ على أنَّ اللام في «لاتَّخذوك» و«لأذقناك» هي لام القسم الحَوْفيُّ.

وقال الزمخشري(١): وفي ذِكْرِ الكَيدودةِ وتقليلِها مع إتباعِها الوعيدَ الشديدَ بالعذاب المُضاعَفِ في الدارين دليلٌ بيِّنٌ على أنَّ القبيحَ يعظُمُ قُبْحُه بمقدار عِظَمِ شأنِ فاعلِه وارتفاعِ منزلَتِه. انتهى. ومن ذلك: ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ﴾الآية [الأحزاب: ٣٠]. قال الزمخشري: وفيه أنَّ أدنى مداهنةٍ للغُواةِ مضادَّةٌ للهِ وخروجٌ عن ولايتِه، وسبَبٌ مُوجِبٌ لغضبه ونكاله. انتهى. ورُوِيَ أنَّه لمَّا نزلَتْ قال رسول الله ﷺ: «اللهمَّ لا تَكِلْني إلى نفسي طَرْفةَ عين»(٢).

قال حَضْرمي: الضميرُ في «وإنْ كادوا» ليهود المدينة وناحيتِها، كحُيَيِّ بنِ أخطبَ وغيرِه وذلك أنَّهم ذهبوا إلى المكرِ برسولِ الله ﷺ، فقالوا له: إنَّ هذه الأرض ليسَتْ بأرضِ الأنبياء، وإنَّما أرض الأنبياء الشام، ولكنَّك تخافُ الرُّوم، فإنْ كنتَ نبيًّا فاخرُجْ إليها، فإنَّ اللهَ سيحميك كما حمى غيرَك من الأنبياء، فنزلت. وأخبر تعالى أنَّه لو خرجَ لم يُلبِثْهم بَعْدُ إلَّا قليلاً. وحكى النقَّاش أنه خرجَ بسببِ قولِهم، وعسكَرَ بذي الحُلَيفةِ، وأقام ينتظر أصحابه، فنزلت، فرجع. قال ابن عطية(٣): وهذا ضعيفٌ لم يقع في سيرةٍ ولا في كتابٍ يُعتَمدُ عليه، وذو الحُلَيفة ليس في طريق الشام من المدينة. انتهى.

وقالت فرقة: الضمير لقريش. قاله ابن عباس، وقَتادة. واستفزازُهم هو ما ذهبوا إليه من إخراجه من مكة، كما ذهبوا إلى حصره في الشِّعب، ووقعَ استفزازُهم هذا بعد نزول الآية، وضيَّقوا عليه حتى خرج واتَّبعوه إلى الغار، ونفذَ عليهم الوعيد في أنْ لم يَلْبَثوا خلفَه إلَّا قليلاً يوم بدر. وقال الزجَّاج حاكياً أنَّ استفزازَهم ما أجمعوا

---

(١) في الكشاف ٢/ ٤٦١.

(٢) المحرر الوجيز ٣/ ٤٧٥. وذكره الثعلبي في تفسيره ٤/ ٦٦، والماوردي في النكت والعيون ٣/ ٢٦٠، والبغوي في تفسيره ٣/ ١٢٧، والطبرسي في مجمع البيان ١٥/ ٨٢ عن قتادة عن النبي ﷺ مرسلاً. قلت: والحديث - ضمن سياق مطوَّل ودون ذكر نزول الآية - أخرجه أحمد (٢٠٤٣٠)، والبخاري في الأدب المفرد (٧٠١)، وأبو داود (٥٠٩٠)، والنسائي في الكبرى (٩٧٦٦) عن أبي بكرة ﷺ.

(٣) المحرر الوجيز ٣/ ٤٧٦، وما قبله وما بعده بتمامه منه.

عليه في دار النَّدوة مِنْ قتلِه، والأرضُ على هذا: الدنيا. وقال مجاهد: ذهبَتْ قريشٌ إلى هذا، ولكنَّه لم يقَعْ منها؛ لأنَّه لمَّا أراد تعالى استبقاءَ قُريشٍ وأن لا يستأصِلَها أذِنَ لرسوله في الهجرة، فخرجَ بإذنه لا بِقَهرِ قريش، واستُبقِيَتْ قريشٌ ليُسْلِمَ منها ومِنْ أعقابها مَنْ أسلَمَ. قال: ولو أخرجَتْه قريشٌ لعُذِّبوا، ذهبَ مجاهدٌ إلى أنَّ الضمير في «يَلْبَثون» لجميعهم.

وقال الحسن: «لَيَسْتفِزُّونك»: لَيَفْتِنونك عن رأيك[1]. وقال ابن عيسى: لَيُزعجونك ويَستخِفُّونك. وأنشد:

يُطيعُ سفيهَ القوم إذْ يَستَفِزُّهُ ... ويَعصي حليماً شيَّبَتْهُ الهزاهِزُ[2]

والظاهرُ أنَّ الآيَةَ تدُلُّ على مقاربة استفزازِه لأنْ يخرجوه، فما وقع الاستفزازُ ولا إخراجُهم إيَّاه المُعلَّل به الاستفزاز. ثمَّ جاء في القرآن ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ هِىَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَتْكَ﴾ [محمد: ١٣] أي: أخرجَكَ أهلُها. وفي الحديث: يا ليتني كنتُ فيها جَذَعاً إذْ يُخرجُك قومُكَ. قال: «أوَمُخْرِجِيَّ هُمْ؟» الحديث[3]، فدلَّ ذلك على أنَّهم أخرجوه، لكنَّ الإخراجَ الذي هو عِلَّةٌ للاستفزاز لم يقَع، فلا تعارُضَ بين الآيتين والحديث. وقال أبو عبد الله الرازي[4]: ما خرجَ بسببِ إخراجِهم، وإنَّما خرجَ بأمر الله، فزال التناقضُ. انتهى.

و«لا يَلْبَثون» جوابُ قسم محذوفٍ، أي: واللهِ إن استفَزُّوكَ فخرجتَ لا يَلْبَثون، ولذلك لم تعمَلْ «إذاً»؛ لأنَّها توسَّطَتْ بين قَسَمٍ مُقَدَّرٍ والفعل، فـ «لا يَلْبَثون» ليست مُنْصَبَّةً عليه من جهة الإعراب، ويَحْتَمِل أن تكون «لا يَلْبَثون» خبراً لمبتدأٍ محذوفٍ يدلُّ عليه المعنى، تقديره: وهم إذاً لا يَلْبَثون، فوقعت «إذاً» بين المبتدأ وخبره فأُلغِيَتْ.

---

(١) الذي نُقل عن الحسن في معنى «لَيستفِزُّونك»: لَيقتلونك، كما في النكت والعيون ٣/ ٢٦١، ومجمع البيان ١٥/ ٨٣. وينظر زاد المسير ٥/ ٧٠.
(٢) النكت والعيون ٣/ ٢٦١. والبيت لم أقف على قائله. والهزاهز: الفتن التي يهتزُّ فيها الناس. ينظر الصحاح (هزهز).
(٣) أخرجه البخاري (٣)، ومسلم (١٦٠) من حديث عائشة ﵂. وقوله: «جَذَعاً» أي: شابًّا.
(٤) في تفسيره ٢١/ ٢٣.

وقرأ أُبيٌّ: «وإذاً لا يلبثوا» بحذف النون، أعملَ «إذاً» فنصَبَ بها على قول الجمهور[(١)]، وبـ «أنْ» مُضمَرة بعدها على قول بعضهم[(٢)]، وكذا هي في مصحف عبد الله محذوفة النون[(٣)]. قال الزمخشري: فإنْ قلتَ: ما وجهُ القراءتين؟ قلت: أمَّا الشائعةُ فقد عطفَ فيها الفعل على الفعلِ، وهو مرفوعٌ لوقوعِه خبرَ كاد، والفعل في خبرِ كاد واقعٌ موقعَ الاسم. وأمَّا قراءةُ أُبيٍّ ففيها الجملةُ برأسها التي هي «وإذاً لا يلبثوا» عطفَ على جملة قوله: «وإن كادوا لَيَسْتفِزُّونك»[(٤)]. انتهى.

وقرأ عطاء: «لا يُلَبَّثون» بضمِّ الياء وفتح اللام والباء مشدَّدة[(٥)]. وقرأ يعقوب كذلك إلَّا أنَّه كسَرَ الباء[(٦)]. وقرأ الأخوان وابنُ عامر وحفص: «خِلافَكَ» وباقي السبعةِ: «خَلْفَكَ» والمعنى واحد[(٧)]، قال الشاعر:

عَفَتِ الدِّيارُ خلافَهُمْ فكأنَّما بَسَطَ الشَّواطِبُ بينهُنَّ حَصيرا[(٨)]

وهذا كقولِه: ﴿فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٨١]. أي: خلفَ رسولِ الله، في أحدِ التأويلات.

وقرأ عطاء بن أبي رباح: «بعدَكَ» مكان «خَلْفَكَ»[(٩)].

والأحسنُ أن يُجعَلَ تفسيراً لـ «خلفك» لا قراءةً؛ لأنَّها تُخالف سواد المصحف، فأراد أن يُبيِّنَ أنَّ «خَلْفَكَ» هنا ليست ظرفَ مكان، وإنَّما تجوِّز فيها، فاستُعمِلَتْ ظرفَ زمان بمعنى: بعدك، وهذه الظروف التي هي «قَبْلُ» و«بَعْدُ»

---

(١) الكشاف ٢/ ٤٦٢، وهذه القراءة في الشاذة ص٧٧.
(٢) وهو قول الخليل كما في تفسير القرطبي ٦/ ٤١٥.
(٣) المحرر الوجيز ٣/ ٤٧٦.
(٤) الكشاف ٢/ ٤٦٢. وعبارة: «والفعل في خبر كاد» سقطت من (ز١) و(يه) و(أ) و(د١)، وأثبتت من باقي النسخ والكشاف.
(٥) القراءات الشاذة ص٧٧.
(٦) المشهور عن يعقوب مثل قراءة باقي العشرة. ينظر النشر ٢/ ٣٠٨.
(٧) ينظر السبعة ص٣٨٤، والتيسير ص١٤١.
(٨) قائله الحارث بن خالد المخزومي كما في العين ٤/ ٢٦٦، واللسان (خلف). والشواطب: النساء اللاتي تشطب الجريد، أي: تشقِّقه لتعمل منه الحصر. الصحاح (شطب).
(٩) وهذه قراءة شاذة. ومن قوله: وقرأ عطاء: «يُلَبَّثون» إلى هنا من المحرر الوجيز ٣/ ٤٧٦.

ونحوُهما اطَّردَ إضافتُها إلى أسماء الأعيان على حَذْفِ مُضافٍ يدلُّ عليه ما قبلَه في نحو «خلفك» أي: خلفَ إخراجِكَ، وجاء زيدٌ قبلَ عمرو، أي: قبلَ مجيء عمرو، وضحِكَ بكرٌ بعدَ خالد، أي: بعدَ ضحِكِ خالد.

وانتصب «سُنَّةَ» على المصدر المؤكَّد، أي: سَنَّ الله ذلك سنةً، والمعنى: أنَّ كلَّ قوم أخرجوا رسولَهم من بين أظهُرِهم، فسُنَّةُ الله أن يُهلِكَهم بعد إخراجه ويستأصِلَهم ولا يُقيمون بعده إلَّا قليلاً[١].

وقال الفرَّاء: انتصب «سُنَّةَ» على إسقاط الخافض؛ لأنَّ المعنى: كسُنَّةِ، فنُصِبَ بعد حذف الكاف، وعلى هذا لا يقِفُ على قوله: «إلا قليلاً»[٢].

وقال أبو البقاء[٣]: «سُنَّةَ» منصوبٌ على المصدر، أي: سنَنَّا بِكَ سنَّةَ مَنْ تقدَّم من الأنبياء، ويجوز أن يكون مفعولاً به، أي: اتَّبِعْ سُنَّةَ مَنْ قد أرسلنا، كما قال تعالى: ﴿فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ﴾ [الأنعام: ٩٠]. انتهى.

وهذا معنى غير الأول، والمفسِّرون على الأول، وهو المناسب لمعنى الآية قبلَها، ولن تجدَ لما أجرَيْنا به العادة تحويلاً منه إلى غيرِه؛ إذ كلُّ حادثٍ له وقتٌ مُعيَّنٌ وصفةٌ مُعيَّنة، ونفيُ الوُجدانِ هنا وفيما أشبهه معناه نفيُ الوجود.

❁ ❁ ❁

﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ
مَشْهُودًا ﴿٧٨﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴿٧٩﴾ وَقُل
رَّبِّ أَدْخِلْنِى مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِى مُخْرَجَ صِدْقٍ وَٱجْعَل لِّى مِن لَّدُنكَ سُلْطَٰنًا نَّصِيرًا ﴿٨٠﴾ وَقُلْ
جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ
لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾ وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ وَإِذَا
مَسَّهُ ٱلشَّرُّ كَانَ يَـُٔوسًا ﴿٨٣﴾ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا

(١) الكشاف ٢/ ٤٦٢.
(٢) المحرر الوجيز ٣/ ٤٧٧، وتفسير القرطبي ١٣/ ١٣٧-١٣٨. وينظر قول الفراء بمعناه في معاني القرآن له ٢/ ١٢٩.
(٣) في الإملاء ٢/ ٩٥.

﴿٨٤﴾ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ وَلَئِن
شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِٱلَّذِيٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِۦ عَلَيْنَا وَكِيلًا ﴿٨٦﴾ إِلَّا رَحْمَةً مِّن
رَّبِّكَۚ إِنَّ فَضْلَهُۥ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا ﴿٨٧﴾ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ
هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا
ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٨٩﴾ وَقَالُواْ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا
مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا ﴿٩٠﴾ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ ٱلْأَنْهَٰرَ خِلَٰلَهَا تَفْجِيرًا
﴿٩١﴾ أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ﴿٩٢﴾ أَوْ يَكُونَ
لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَٰبًا نَّقْرَؤُهُۥۗ قُلْ
سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٣﴾ وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓاْ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰٓ إِلَّآ
أَن قَالُوٓاْ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٤﴾ قُل لَّوْ كَانَ فِي ٱلْأَرْضِ مَلَٰٓئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ
لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكًا رَّسُولًا ﴿٩٥﴾ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْۚ إِنَّهُۥ
كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿٩٦﴾ وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَآءَ مِن
دُونِهِۦۖ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّاۖ مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُۖ كُلَّمَا خَبَتْ
زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا ﴿٩٧﴾ ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُم بِأَنَّهُمْ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا
لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٩٨﴾ ۞ أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن
يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَّا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى ٱلظَّٰلِمُونَ إِلَّا كُفُورًا ﴿٩٩﴾ قُل لَّوْ أَنتُمْ
تَمْلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحْمَةِ رَبِّيٓ إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ ٱلْإِنفَاقِۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ قَتُورًا ﴿١٠٠﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا
مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍۖ فَسْـَٔلْ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِذْ جَآءَهُمْ فَقَالَ لَهُۥ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ
مَسْحُورًا ﴿١٠١﴾ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ
يَٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ﴿١٠٢﴾ فَأَرَادَ أَن يَسْتَفِزَّهُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ جَمِيعًا ﴿١٠٣﴾ وَقُلْنَا مِنۢ
بَعْدِهِۦ لِبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱسْكُنُواْ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْأٓخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ﴿١٠٤﴾ وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَٰهُ
وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَۗ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿١٠٥﴾ وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ
تَنزِيلًا ﴿١٠٦﴾ قُلْ ءَامِنُواْ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓاْۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ
لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ
يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا۩ ﴿١٠٩﴾ قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَٰنَۖ أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ
ٱلْحُسْنَىٰۚ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١١٠﴾ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي لَمْ
يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِي ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِيٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّۖ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا ﴿١١١﴾ ۞.

المفردات الدُّلوك: الغروب. قاله الفرَّاء[1] وابن قُتيبة[2]، واستدلَّ الفرَّاء بقول الشاعر:

هــذا مُــقــامُ قَــدَمَــيْ ربــاحِ غــدوةَ حــتَّــى دَلــكَــتْ بَــراحِ[3]

أي: حتى غابتِ الشمسُ، وبَراحُ: اسمُ الشمس، وأنشد ابن قُتيبة لذي الرُّمَّة[4]:

مَصابيحُ ليسَتْ باللَّواتي تقودُها نـجـومٌ ولا بـالآفـلاتِ الـدوالـكِ[5]

وقيل: الدلوك: زوال الشمس نصف النهار[6]. قيل: واشتقاقُه من الدَّلْكِ؛ لأنَّ الإنسانَ يدلُكُ عينه عند النظر إليها[7]. وقيل: الدُّلوك: من وقت الزَّوالِ إلى الغروب[8].

الغَسَق: سواد الليل وظلمتُه. قال الكِسائي: غَسَقَ الليلُ غُسوقاً، والغَسقُ الاسمُ بفتح السين. وقال النَّضر بن شُمَيل: غَسَقُ الليل: دخولُ أوَّله؛ قال الشاعر:

إنَّ هــذا الــلــيــلَ قــد غَــسَــقــا واشــتــكــيــتُ الــهَــمَّ والأرَقــا

وأصلُه من السيلان، غسَقَتِ العينُ تغْسِقُ: هَمَلَتْ بالماء، والغاسِقُ: السائلُ؛ وذلك أنَّ الظُّلمةَ تنْصَبُّ على العالم[9]؛ قال الشاعر:

ظَـلَّـتْ تـجـودُ يـداهـا وهـي لاهـيـةٌ حتَّى إذا جنَحَ الإظلامُ والغَسَقُ[10]

---

(١) في معاني القرآن له ٢/ ١٢٩.
(٢) في غريب القرآن ص٢٥٩.
(٣) لم أقف على قائله، وهو في مجاز القرآن ١/ ٣٨٧، والمحرر الوجيز ٣/ ٤٧٧ بمثل رواية المصنف، وفي معاني القرآن للفراء ٢/ ١٢٩، وتفسير القرطبي ١٣/ ١٣٩ برواية: ذبَّبَ، بدل: غدوةَ. يقال: ذبَّبَ النهار: إذا لم يبقَ منه إلا بقيَّة. ورباح: اسم ساقٍ. اللسان (ذبب) و(ربح).
(٤) في ديوانه ٤/ ١٧٣٤.
(٥) إلى هنا من تفسير الرازي ٢١/ ٢٦.
(٦) زاد المسير ٥/ ٧٢.
(٧) الكشاف ٢/ ٤٦٢.
(٨) المحرر الوجيز ٣/ ٤٧٧.
(٩) تفسير الرازي ٢١/ ٢٦-٢٧ دون ذكر البيت، وهو عنده ٣٢/ ١٩٤، وقائله ابن قيس الرُّقَيَّات، وهو في ديوانه ص١٨١، ومجاز القرآن ١/ ٣٨٨، وتفسير القرطبي ١٣/ ١٤٠.
(١٠) قائله زهير، كما في النكت والعيون ٣/ ٢٦٢، وإيضاح الوقف والابتداء لابن الأنباري ١/ ٨٩، وتفسير القرطبي ١٣/ ١٤٠.

وسأل نافع بن الأزرق ابنَ عباس: ما الغسق؟ قال: الليلُ بظلمتِه. ويقال: غَسَقتِ العينُ: امتلأتْ دمعاً[١]. وحكى الفرَّاء: غسَقَ الليلُ وأغسَقَ، وظَلَم وأظْلَم، ودجا وأدجى، وغَبِشَ وأغْبَشَ[٢]. وأبو عبيدة: الهاجد: النائم والمُصلِّي. وقال ابن الأعرابي: هجَدَ الرجلُ: صلَّى من اللَّيل، وهجد: نامَ باللَّيل[٣]. وقال الليث: تهجَّدَ: استيقظ للصلاة. وقال ابن بُزْرَجَ: هجَّدْتَه: أيقَظْته[٤]. فعلى ما ذكروا يكون من الأضداد، والمعروف في كلام العرب أنَّ الهاجدَ النائمُ، وقد هجَدَ هجوداً: نامَ[٥]، قال الشاعر:

أَلَا زارَتْ وأهلُ مِنًى هُجودُ ... وليتَ خيالَها بمنًى[٦] يعودُ

وقال آخر:

أَلَا طَرَقَتْنا والرِّفاقُ هُجودُ[٧]

وقال آخر:

وبَرْكٌ هُجودٌ قد أثارَتْ مخافتي[٨]

(١) تفسير الرازي ٢١/ ٢٦-٢٧ و٣٢/ ١٩٤، وتحرفت كلمة «دمعاً» في (أ) و(ح) و(د٢) و(ع) إلى: دماً.

(٢) تفسير القرطبي ١٣/ ١٤٠.

(٣) تفسير الرازي ٢١/ ٣٠.

(٤) تهذيب اللغة ٦/ ٣٦ (هجد). وابن بُزُرج: هو عبد الرحمن بن بُزُرج، كان حافظاً للغريب والنوادر، قال الأزهري في تهذيب اللغة ١/ ١٩: قرأتُ له كتاباً بخطِّ أبي الهيثم الرازي في النوادر فاستَحسنْتُهُ.

(٥) تفسير الرازي ٢١/ ٣٠.

(٦) في (يه): منِّي، وفي باقي النسخ: منَّا، والمثبت موافق لما في المصادر؛ تفسير القرطبي ١٣/ ١٤٥ وغيره، والبيت قائله جرير، وهو في ديوانه ١/ ٣١٨. ووقع في بعض النسخ: خيالنا.

(٧) قائله خارجة بن فليح كما في أمالي أبي علي القالي ١/ ١٤، وعجزه:

فباتَتْ بِعُلَّات النَّوالِ تجودُ

قوله: «بِعُلَّات» من التَّعِلَّة والعُلالة: وهو ما يُتَعلَّل به. اللسان (علل).

(٨) قائله طرفة بن العبد، وهو في ديوانه ص٣٧، ومعاني القرآن للنحاس ٦/ ٢٢٠. وعجزه:

بواديها أمشي بعَضْبٍ مُجَرَّدِ

=

زَهَقَتْ نفسُه تزهَقُ زُهوقاً: ذهبَتْ[١]، وزَهَقَ الباطلُ: زالَ واضمَحَلَّ ولم يثبُتْ[٢]، قال الشاعر:

ولقد شفى نفسي وأبْرَأَ سُقْمَها إقدامُهُ مُهْراً[٣] له لم يَزْهَقِ

نَاءَ يَنُوءُ: نهض[٤].

الشَّاكلة: الطريقةُ والمذهَبُ الذي جُبِلَ عليه. قاله الفرَّاء[٥]. وهو مأخوذٌ من الشَّكْل: يُقال: لستَ على شكلي ولا شاكلتي[٦]. والشَّكْل: المِثْلُ والنَّظيرُ، والشِّكْلُ بكسر الشين: الهيئة؛ يُقال: جاريةٌ حسنةُ الشِّكل[٧].

اليَنْبوع: يَفْعول[٨] من النَّبع، وهو عينٌ تفور بالماء.

الكِسَف: القِطَع، واحِدُها كِسْفَة؛ تقول العرب: كسفتُ الثوبَ ونحوَه: قطعتُه. وما زعَمَ الزجَّاجُ من أنَّ كسَفَ بمعنى غطَّى، ليس بمعروف في دواوين اللغة[٩].

الرَّقيُ والرُّقِيُّ: الصُّعودُ، يُقال: رَقيتُ في السُّلَّمِ أرقى[١٠]؛ قال الشاعر:

أنتَ الذي كلَّفتني رَقْيَ الدَّرَجْ على الكَلالِ والمَشيبِ والعَرَجْ[١١]

= وقوله: «بَرْك» أي: جماعة الإبل الباركة. والعَضب: السيف القاطع. اللسان (برك) و(عضب).

(١) العين للخليل ٣/ ٣٦٣.

(٢) تفسير الرازي ٢١/ ٣٣.

(٣) في جميع النسخ: مُرًّا، والمثبت من الزاهر لابن الأنباري ٢/ ١٤٢، والأضداد له ص١٥٤. ووقعت في النكت والعيون: ٣/ ٢٦٧: قهراً!

(٤) المحرر الوجيز ٣/ ٤٨٠، وتفسير الرازي ٢١/ ٣٥.

(٥) معاني القرآن للنحاس ٤/ ١٨٨، والمحرر الوجيز ٣/ ٤٨١.

(٦) غريب القرآن لابن قتيبة ص٢٦٠، ونقله عنه ابن الجوزي في زاد المسير ٥/ ٨٠.

(٧) تفسير القرطبي ١٣/ ١٦٤-١٦٥.

(٨) في النسخ سوى (ز١): مفعول، والمثبت موافق لما في المصادر؛ الكشاف ٢/ ٤٦٥، وتفسير الطبري ١٥/ ٧٨، وزاد المسير ٥/ ٨٧.

(٩) المحرر الوجيز ٣/ ٤٨٥.

(١٠) الصحاح (رقي).

(١١) لم أقف على قائله، وهو في تفسير الطبري ١٥/ ٨٥، وتفسير الرازي ٢١/ ٥٨.

خَبَتِ النَّارُ تخبو: سكَنَ لَهَبُها، وخمدَتْ: سكَنَ جمرُها وضعف، وهمدَتْ: طفِئَتْ جُملةً؛ قال الشاعر:

أمِنْ زينبَ ذي النَّارُ قُبيلَ الصُّبحِ ما تَخْبو
إذا ما خمَدَتْ يُلقى عليها المَنْدَلُ الرَّطْبُ[1]

وقال آخر:

وَسْطُهُ كاليَراعِ أو سُرُجِ المَجْـ ـدَلِ طَوراً تخْبُو وطَوراً تُنِيْرُ[2]

الثُّبور: الهلاك، يُقال: ثَبَرَ اللهُ العَدوَّ ثُبوراً؛ أهلَكَه[3].

وقال ابنُ الزِّبَعْرى:

إذْ أُجاري الشَّيطانَ في سَنَنِ الغَـ ـيِّ ومَنْ مالَ مَيْلَهُ مَثْبورُ[4]

اللَّفيف: الجماعات من قبائل شتَّى مختلطةً[5]، قد لُفَّ بعضُها ببعض[6]. وقال بعض اللُّغويين[7]: هو من أسماء الجموع لا واحدَ له من لفظه. وقال الطبريُّ[8]: هو بمعنى المصدر، كقول القائل: لفَفْتُه لفًّا ولفيفاً.

المُكْثُ: التَّطاولُ في المدَّة[9]. يُقال: مَكُثَ ومَكَثَ؛ أطالَ الإقامة[10].

---

(١) المحرر الوجيز ٣/ ٤٨٧، وما بعده منه أيضاً. والبيتان قائلهما عمر بن أبي ربيعة، وهما في ديوانه ص٤٨٦، ووقع في النسخ «ألقى» بدل «يُلقى»، والمثبت من المصدرين السابقين والكامل للمبرِّد ٢/ ١٠٢١. والمَنْدل: العود.

(٢) البيت لعدي بن زيد، وهو في ديوانه ص٢٣٣، واللسان (وسط). ورواية الديوان: حيناً يخبو وحيناً يُنيرُ. والكلام إلى هنا من المحرر الوجيز ٣/ ٤٨٧، والمَجْدل: القَصْرُ.

(٣) تاج العروس (ثبر).

(٤) تفسير القرطبي ١٣/ ١٨٥، والبيت في ديوان ابن الزبعرى ص٣٦.

(٥) الصحاح (لفف).

(٦) مفردات ألفاظ القرآن ص٧٤٣، وتفسير الطبري ١٥/ ١١١.

(٧) وهو الأصمعي فيما نقله عنه النحاس في معاني القرآن ٤/ ٢٠٤.

(٨) في تفسيره ١٥/ ١١٣.

(٩) المحرر الوجيز ٣/ ٤٩١.

(١٠) تهذيب اللغة ١٠/ ١٨٧ بنحوه.

الذَّقَن: مُجتَمعُ اللَّحْيَين[١]، قال الشاعر:

فخَرُّوا لأذقانِ الوجوهِ تنوشُهُمْ سِباعٌ من الطَّيرِ العوادي وتَنْتِفُ[٢]

خافَتَ بالكلام: أسَرَّه بحيث لا يكاد يسمعُه المُتكلِّمُ، وضَرَبَه حتى خَفَتَ، أي: لا يُسمَعُ له حِسٌّ.

* * *

التفسير ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِۖ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴿٧٨﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴿٧٩﴾ وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِى مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِى مُخْرَجَ صِدْقٍ وَٱجْعَل لِّى مِن لَّدُنكَ سُلْطَٰنًا نَّصِيرًا ﴿٨٠﴾ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَۙ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾﴾.

ومناسبة «أقم الصلاة» لما قبلها أنَّه تعالى لمَّا ذكرَ كيدَهم للرسول وما كانوا يرومون به، أمَرَه تعالى أن يُقبِلَ على شأنه من عبادة ربِّه، وأن لا يشغَلَ قلبَه بهم، وكان قد تقدَّم القولُ في الإلهيَّاتِ والمعادِ والنُّبوَّاتِ، فأردف ذلك بالأمر بأشرفِ العباداتِ والطاعاتِ بعد الإيمان، وهي الصلاة، وتقدَّم الكلامُ في إقامة الصلاة، والمواجَهُ بالأمر الرسولُ عليه الصلاة والسلام.

واللَّام في «الدلوك» قالوا بمعنى «بَعْدَ» أي: بعد دلوك الشمس، كما قالوا ذلك في قول مُتَمِّم بن نُويرة يرثي أخاه مالكاً:

فلمَّا تفرَّقنا كأني ومالكاً لطولِ اجتماعٍ لم نَبِتْ ليلةً معا[٣]

أي: بعد طول اجتماعٍ[٤]، ومنه: كتَبْتُه لثلاثٍ خَلَوْنَ من شهر كذا.

---

(١) النكت والعيون ٣/ ٢٨٠، والكشاف ٣/ ٤٧٠، وزاد المسير ٥/ ٩٧.
(٢) لم أقف على قائله، وهو في المحرر الوجيز ٣/ ٤٩١.
(٣) ينظر مغني اللبيب ص٢٨١.
(٤) استدلَّ ابن قتيبة في أدب الكاتب ص٥١٩، وابن سيده في المخصص ١٤/ ٦٨ بالبيت على أنَّ اللام بمعنى «مع»، ثم استدلَّا بما بعده على أنها بمعنى «بعد».

وقال الواحدي: اللام للسبب؛ لأنَّها إنَّما تجب بزوال الشمس، فيجب على المُصلِّي إقامتُها لأجل دلوك الشمس(١).

قال ابن عطية(٢): ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ الآية هذه بإجماعٍ من المُفسِّرين إشارةٌ إلى الصلوات المفروضة؛ فقال ابن عمر، وابن عباس، وأبو بُرْدة، والحسن، والجمهور: «دلوكُ الشمس»: زوالُها، والإشارةُ إلى الظهر والعصر، و«غَسَقُ الليل» إشارةٌ إلى المغرب والعشاء، و«قرآن الفجر» أُريد به صلاة الصبح، فالآيةُ على هذا تَعُمُّ جميعَ الصلوات. وروى أبو مسعود(٣) أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «أتاني جبريلُ عليه السلام لدلوكِ الشمسِ حين زالَتْ، فصلَّى بيَ الظهر». وروى جابرٌ أنَّ النبي ﷺ خرجَ من عندِه وقد طَعِمَ وزالتِ الشمسُ، فقال: «اخرُجْ يا أبا بكر، فهذا حين دلَكَتِ الشمس»(٤). وقال ابن مسعود، وابن عباس، وزيد بن أسلم: «دلوكُ الشمس»: غروبُها، والإشارةُ بذلك إلى المغرب، و«غسَقُ الليل» [اجتماعُ](٥) ظلمتِه، فالإشارةُ إلى العتمة، و«قرآن الفجر» صلاة الصبح، ولم تقَعْ إشارةٌ على هذا التأويل إلى الظهر والعصر. انتهى.

وعن عليٍّ أنَّه الغروب(٦).

وتتعلَّقُ اللام و«إلى» بـ «أَقِمْ» فتكون «إلى» غايةً للإقامة، وأجاز أبو البقاء(٧) أن تكون حالاً من الصلاة. قال: أي ممدودةً.

---

(١) تفسير الرازي ٢١/٢٦.
(٢) في المحرر الوجيز ٣/٤٧٧.
(٣) تحرف في جميع النسخ والمحرر الوجيز إلى: «ابن مسعود»، والمثبت من المصادر، وأبو مسعود: هو الأنصاري، واسمه عقبة بن عمرو كما جاء مصرَّحاً به في بعض المصادر، والحديث أخرجه الطبري ١٥/٢٩، والبيهقي ١/٣٦١-٣٦٢. وأخرجه - أيضاً - إسحاق بن راهويه فيما عزاه إليه ابن حجر في المطالب العالية ٥/١٤٦، والزيلعي في نصب الراية ١/٢٢٣، والبوصيري في إتحاف الخيرة الحديث (٧٨١).
(٤) أخرجه الطبري ١٥/ ٣٠.
(٥) ما بين حاصرتين من المحرر الوجيز، وأحكام القرآن لابن العربي ٣/١٢٠٧.
(٦) تفسير الرازي ٢١/٢٥.
(٧) في الإملاء ٢/٩٥، وما قبله منه.

ويعني بقرآن الفجر صلاةَ الصبح، وخُصَّت بالقرآن وهو القراءة؛ لأنَّه عُظْمُها، إذْ قراءتُها طويلةٌ مجهورٌ بها.

وانتصبَ «وقرآنَ» عطفاً على الصلاة[١].

وقال الأخفش: انتصبَ بإضمار فعل تقديره: وآثِرْ قرآن الفجر، أو: عليكَ قرآنَ الفجر[٢]. انتهى.

وسُمِّيتْ صلاةَ الصُّبح ببعض ما يقع فيها. وقال الزمخشري[٣]: سُمِّيَتْ صلاةُ الفجرِ قُرآناً وهي القراءة؛ لأنَّها ركنٌ، كما سُمِّيَتْ ركوعاً وسجوداً وقنوتاً، وهي حُجَّةٌ على ابن عُليَّة والأصمِّ في زعمِهما أنَّ القراءةَ ليست برُكْنٍ. انتهى.

وقيل: إذا فسَّرنا الدلوك بزوال الشمس كان الوقتُ مشتركاً بين الظهر والعصر إذا غُيِّيَتِ الإقامةُ بغسق الليل، ويكون الغسقُ وقتاً مشتركاً بين المغرب والعشاء، ويكون المذكورُ ثلاثةَ أوقات؛ أول وقتِ الزَّوال، وأول وقتِ المغرب، وأول وقت الفجر[٤]. انتهى. والذي يدلُّ عليه ظاهرُ اللفظ أنَّه أمرٌ بإقامة الصلاة، إمَّا من أول الزوال إلى الغسق وبقرآن الفجر، وإمَّا من الغروب إلى الغسق وبقرآن الفجر، فيكون المأمورُ به الصلاةَ في وقتين، ولا تُؤخَذ أوقاتُ الصلوات الخمس من هذا اللفظ بوجهٍ.

وقال أبو عبد الله الرازي: في قوله: ﴿وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ﴾ دلالةٌ على أنَّ الصلاةَ لا تتِمُّ إلَّا بالقراءة[٥]؛ لأنَّ الأمرَ على الوجوبِ، ولا قراءةَ في ذلك الوقت واجبةٌ إلَّا في الصلاة، ومن قال: معنى ﴿وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ﴾ صلاةُ الفجر، غلِطَ؛ لأنَّه صرفَ الكلامَ عن حقيقته إلى المجاز بغير دليل، ولأنَّ في نسق التلاوة ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ﴾، ويستحيل التهجُّدُ بصلاة الفجر ليلاً، والهاءُ في «به» كنايةٌ عن قرآن

(١) المحرر الوجيز ٣/ ٤٧٨، وما قبله منه.
(٢) ينظر إعراب القرآن للنحاس ٢/ ٤٣٦، ومشكل إعراب القرآن ١/ ٤٣٤، وكلام الأخفش في معاني القرآن له ٢/ ٦١٥ باختصار.
(٣) في الكشاف ٢/ ٤٦٢.
(٤) تفسير الرازي ٢١/ ٢٧ بنحوه.
(٥) المصدر السابق.

الفجر المذكور قبلَه، فثبتَ أنَّ المرادَ حقيقةُ القرآن؛ لإمكانِ التهجُّدِ بالقرآن المقروءِ في صلاة الفجر، واستحالةِ التهجُّدِ في الليل بصلاة الفجر، وعلى أنَّه لو صحَّ أن يكون المرادُ ما ذكروا لكانت دلالتُه قائمةً على وجوب القراءة في الصلاة؛ لأنَّه لم تُجعلِ القراءةُ عبارةً عن الصلاة إلَّا وهي من أركانها[1]. انتهى. وفيه بعض تلخيص.

والظاهر نَدبيَّةُ إيقاع صلاة الصُّبح في أول الوقت؛ لأنَّه مأمورٌ بإيقاع قرآن الفجر، فكان يقتضي الوجوبَ أولَ طلوع الفجر، لكنِ الإجماعُ مَنعَ من ذلك، فبقي النَّدْبُ لوجود المطلوبيَّة، فإذا انتفى وجوبُها بقي نَدْبُها، وأعاد «قُرآن الفَجر» في قوله: ﴿إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ﴾ولم يأتِ مُضمَراً، فيكونُ «إنَّه» على سبيل التعظيم والتنويه بقرآن الفجر، ومعنى «مشهوداً»: تشهده الملائكةُ حَفَظةُ الليل وحفظةُ النهار، كما جاء في الحديث: «إنَّهم يتعاقَبون ويجتمعون في صلاة الصُّبح وصلاة العصر»[2]. وهذا قول الجمهور. وقيل: يشهده الكثيرُ من المُصلِّين في العادة. وقيل: من حقِّه أن تشهده الجماعةُ الكثيرة. قال الزمخشري[3]: ويجوز أن يكون «وقرآن الفجر» حثًّا على طول القراءة في صلاة الفجر؛ لكونها مكثوراً عليها ليسمعَ الناسُ القرآن، فيكثُرَ الثواب؛ ولذلك كانت الفجرُ أطولَ الصلواتِ قراءةً. انتهى. ويعني بقوله: حثًّا، أن يكون التقدير: وعليكَ قرآنَ الفجرِ، أو: والزم[4].

وقال محمد بن سهل بن عسكر: مشهوداً: يشهدُه الله وملائكتُه. وذكر حديثَ أبي الدرداء أنه تعالى ينزل في آخر الليل[5].

ولأبي عبد الله الرازي[6] كلامٌ في قوله: «مشهوداً» على عادته في تفسير كتاب الله على ما لا تفهمه العرب، والذي ينبغي بَلْ لا يُعدَلُ عنه ما فسَّره به

---

(١) أحكام القرآن للجصاص ٣/ ٢٠٦-٢٠٧.

(٢) أخرجه البخاري (٥٥٥)، ومسلم (٦٣٢)، وأحمد (٧٤٩١) من حديث أبي هريرة ﷺ، ولفظه: «إن لله ملائكةً يتعاقبون...».

(٣) في الكشاف ٢/ ٤٦٢، والقولان السابقان قبله منه.

(٤) إملاء ما منَّ به الرحمن ٢/ ٩٥.

(٥) المحرر الوجيز ٣/ ٤٧٨، وحديث أبي الدرداء أخرجه الطبري في تفسيره ١٥/ ٣٤.

(٦) في تفسيره ٢١/ ٢٨-٢٩.

الرسولُ ﷺ من قوله فيه: «يشهدُه ملائكةُ الليل وملائكةُ النَّهار» وقال فيه الترمذيُّ: حديث حسن صحيح[١].

ولمَّا أمره تعالى بإقامة الصلاة للوقت المذكور ولم يدُلَّ أمرُه تعالى إيَّاه على اختصاصه بذلك دون أمَّته ذكرَ ما اختصَّه به تعالى وأوجبَه عليه من قيام الليل وهو في أُمَّته تطوُّع، فقال: ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ﴾ أي: بالقرآن في الصلاة نافلةً زيادةً مخصوصاً بها أنت.

و«تهجَّد» هنا «تَفَعَّل»[٢]، بمعنى الإزالة والترك، كقولهم: تأثَّمَ وتحنَّثَ: ترَكَ التأثُّمَ والتَّحنُّثَ ومنه: «يتحنَّثُ بغار حراء» أي: يترك التحنُّثَ، وشُرِحَ بلازمه وهو التعبُّد[٣].

و«مِن» للتبعيض.

وقال الحَوْفي: «من» متعلِّقةٌ بفعلٍ دلَّ عليه معنى الكلام، تقديره: واسهَرْ من الليل بالقرآن. قال: ويجوز أن يكون التقدير: وقُمْ بعدَ نومةٍ من الليل.

وقال ابن عطية[٤]: و«مِن» للتبعيض، التقدير: وقتاً من الليل، أي: وقُمْ وقتاً من اللَّيل.

وقال الزمخشري[٥]: «ومن الليل»: وعليكَ بعضَ الليل فتهجَّدْ به، والتهجُّدُ: تَرْكُ الهُجُودِ للصلاة. انتهى. فإنْ كان تفسيرُه «وعليكَ بعضَ الليل» تفسيرَ معنًى فيَقْرُب، وإن كان أرادَ صناعةَ النَّحْو والإعرابِ فلا يصِحُّ؛ لأنَّ المُغْرى به لا يكون حرفاً، وتقديرُ «من» و«بعض» فيه مسامحةٌ؛ لأنَّه ليس بمرادِفِه البتَّة؛ إذ لو كان مرادفَه لَلَزِمَ أن يكون اسماً، ولا قائل بذلك، ألا ترى إجماع النَّحْويين على أنَّ واوَ «مع» حرفٌ وإن قُدِّرَتْ بـ «مع».

---

(١) سنن الترمذي (٣١٣٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وأخرجه ـ أيضاً ـ أحمد (١٠١٣٣). وينظر تفسير القرطبي ١٣/ ١٤٤.

(٢) الزاهر لابن الأنباري ٢/ ٦٦.

(٣) غريب الحديث لابن قتيبة ١/ ١٤٣ بنحوه. والحديث أخرجه البخاري (٤٩٥٣)، ومسلم (١٦١)، وأحمد (٢٥٩٥٩) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٤) في المحرر الوجيز ٣/ ٤٧٨.

(٥) في الكشاف ٢/ ٤٦١.

والظاهر أنَّ الضمير في «به» يعودُ على القرآن لتقدُّمه في الذِّكْر، ولا تُلْحَظُ الإضافة فيه، والتقدير: فتهجَّد بالقرآن في الصلاة.

وقال ابن عطية[١]: والضمير في «به» عائدٌ على وقت المُقدَّر في: وقُمْ وقتاً من الليل. انتهى. فتكون الباء ظرفية، أي: فتهجَّد فيه.

وانتصبَ «نافلةً»؛ قال الحَوْفي: على المصدر، أي: نفَّلناك نافلةً. قال: ويجوز أن ينتصب «نافلةً» بـ «تَهَجَّدْ» إذا ذهبْتَ بذلك إلى معنى: صَلِّ به نافلةً، أي: صَلِّ نافلةً لك.

وقال أبو البقاء[٢]: فيه وجهان؛ أحدهما: هو مصدر بمعنى: «تهجَّد»، أي: تنفَّلْ نفلاً، و«نافلةً» هنا مصدر كالعاقبة. والثاني: هو حال، أي: صلاةً نافلةً. انتهى. وهو حالٌ من الضمير في «به»، ويكون عائداً على القرآن لا على وقتٍ الذي قدَّره ابنُ عطية.

وقال الأسود، وعلقمة، وعبد الرحمن بن الأسود، والحجَّاج بن عمرو: التهجُّد بعد نومة. وقال الحسن: ما كان بعد العشاء الآخرة. وقال ابن عباس: نافلةً زيادةً لك في الفرض، وكان قيامُ الليل فرضاً عليه. وقال ابن عطية[٣]: ويَحتَملُ أن يكون على جهة النَّدْب في التنفُّل، والخطاب له، والمراد هو وأمَّتُه، كخطابه في «أقم الصلاة». وقال مجاهد والسُّدِّي: إنَّما هي نافلةٌ له قد غفر له ما تقدَّم من ذنبه وما تأخَّر عامَ الحُديبية، فإنَّما كانت نوافِلُه واستغفارُه فضائلَ من العمل وقُرَباً أشرفَ من نوافلِ أمَّتِه؛ لأنَّ هذه ـ أعني نوافلَ أمَّتِه ـ إمَّا أن يُجبرَ بها فرائضُهم، وإمَّا أن يُحطَّ بها خطيئاتهم. وضَعَّف الطبريُّ[٤] قول مجاهد، واستحسنَه أبو عبد الله الرازي[٥]. وقال مقاتل: نافلةً: كرامةً وعطاءً لك[٦]. وقيل: كانت

---

(١) في المحرر الوجيز ٣/ ٤٧٨.
(٢) في الإملاء ٢/ ٩٥.
(٣) في المحرر الوجيز ٣/ ٤٧٨، والأقوال السابقة قبله منه، وأخرجها الطبري ١٥/ ٣٩-٤٠.
(٤) في تفسير ١٥/ ٤١.
(٥) في تفسيره ٢١/ ٣٠.
(٦) تفسير القرطبي ١٣/ ١٤٦.

فرضاً ثم رُخِّص في تَرْكِها[١]. ومن حديث زيد بن خالد الجُهَني أَنَّهُ رمَقَ صلاتَه عليه الصلاة والسلام ليلةً، فصلّى بالوتر[٢] ثلاثَ عشرة ركعة[٣]. وعن عائشة أنَّهُ ما كان يزيدُ في رمضان ولا في غيرِه على إحدى عشرة ركعة[٤].

و«عسى» مدلولُها في المحبوبات الترجِّي[٥]. فقيل: هي على بابها في الترجّي، تقديره: لِتَكُنْ على رجاءٍ من أن يبعثكَ. وقيل: هي بمعنى «كي»، وينبغي أن يكون هذا تفسير معنى. والأَجْوَدُ أنَّ هذه الترجيةَ والإطماعَ بمعنى الوجوب من الله تعالى، وهو مُتعلِّقٌ من حيثُ المعنى بقوله: «فتهجَّدْ»، و«عسى» هنا تامَّة، وفاعِلُها «أن يبعثكَ» و«ربُّكَ» فاعلٌ بـ«يبعثك» و«مقاماً» الظاهرُ أنَّه معمولٌ لـ «يبعثَكَ» هو مصدرٌ من غير لفظ الفعل؛ لأنَّ «يبعثَكَ» بمعنى: يُقيمك؛ تقول: أُقِيمَ من قبره وبُعِثَ من قبره.

وقال ابن عطية: منصوبٌ على الظرف، أي: في مقام محمود[٦]. وقيل: منصوبٌ على الحال، أي: ذا مقام محمودٍ. وقيل: هو مصدر لفعلٍ محذوفٍ[٧]، التقدير: فتقوم مقاماً، ولا يجوز أن تكون «عسى» هنا ناقصةً وتقدُّم الخبرُ على الاسم، فيكون «ربُّكَ» مرفوعاً اسمَ «عسى»، و«أنْ يبعثَكَ» الخبرَ في موضع نصبٍ بها، إلَّا في هذا الإعراب الأخير، وأمَّا في مَا[٨] قبلَه فلا يجوز؛ لأنَّ «مقاماً» منصوبٌ بـ «يبعثَكَ» و«ربُّكَ» مرفوعٌ بـ «عسى» فيلزمُ الفصلُ بأجنبيٍّ بين ما هو موصولٌ وبين معمولِه، وهو لا يجوز.

---

(١) زاد المسير ٥/ ٧٥.
(٢) قبلها في (ز١) وحدها زيادة: به، وضُبِّب فوقها. وفيها أيضاً: بوتر، والمثبت من باقي النسخ.
(٣) أخرجه مسلم (٧٦٥)، وأحمد (٢١٦٨٠).
(٤) أخرجه البخاري (١١٤٧)، ومسلم (٧٣٨)، وأحمد (٢٤٠٧٣).
(٥) ينظر مغني اللبيب ص٢٠١.
(٦) المحرر الوجيز ٣/ ٤٧٩.
(٧) إملاء ما منَّ به الرحمن ٢/ ٩٥، وقوله: محمود، من (يه) و(د١)، والكشاف ٢/ ٤٦٢، والقول فيه.
(٨) المثبت من (ز١) و(يه) و(د١)، وفي باقي النسخ: في.

وفي تفسير المقام المحمود أقوال:

أحدها: أنَّه في أمر الشفاعة التي يتدافعها الأنبياء حتى تنتهي إليه ﷺ، والحديث في الصحيح، وهي عِدَةٌ من الله تعالى له عليه الصلاة والسلام، وفي هذه الشفاعة يحمدُه أهل الجمع كلُّهم(١)، وفي دعائه المشهور: «وابعَثْه المقامَ المحمود الذي وعَدْتَه» واتَّفقوا على أنَّ المُرادَ منه الشفاعة(٢).

الثاني: أنَّه في أمر شفاعته لأمته في إخراجه لمذنبهم من النار، وهذه الشفاعة لا تكون إلَّا بعد الحساب ودخول الجنة ودخول النار، وهذه لا يتدافعها الأنبياء، بل يشفعون ويشفع العلماء(٣). وقد رُويَ حديثُ هذه الشفاعة وفي آخره: «حتَّى لا يبقى في النار إلَّا مَنْ حَبَسه القرآن» أي: وجَبَ عليه الخلود. قال: ثم تلا [قتادة] هذه الآية: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا﴾(٤). وعن أبي هريرة أنَّه عليه السلام قال: «المقام المحمود هو المقام الذي أشفَعُ فيه لأمَّتي»(٥).

فظاهرُ هذا الكلام تخصيصُ شفاعته لأمَّته، وقد تأوَّله مَنْ حمل ذلك على الشفاعة العظمى التي يحمده بسببها الخلق كلُّهم، على أنَّ المرادَ لأمَّتِه وغيرِهم، أو يقال: إنَّ كلَّ مقامٍ منهما محمود.

الثالث: عن حذيفة: يَجمَعُ اللهُ الناسَ في صعيدٍ فلا تتكلَّم نفسٌ، فأوَّلُ مدعوٍّ محمدٌ ﷺ فيقول: «لبَّيكَ وسعدَيك والشرُّ ليس إليك، والمَهدي مَنْ هَديت، وعبدُك بين يديك، وبكَ وإليك، لا منجا ولا ملجأ إلَّا إليك، تبارَكْتَ وتعالَيت، سبحانك ربَّ البيت». قال: فهذا قولُه: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا﴾(٦).

---

(١) أخرجه البخاري (١٤٧٥) من حديث عبد الله بن عمر ﵄.
(٢) تفسير الرازي ٢١/ ٣١، والحديث أخرجه البخاري (٦١٤)، وأحمد (١٤٨١٧) من حديث جابر بن عبد الله ﵄.
(٣) المحرر الوجيز ٣/ ٤٧٩.
(٤) أخرجه أحمد (١٣٥٦٢) من حديث أنس بن مالك ﵁، وعلَّقه البخاري (٧٤٤٠) بصيغة الجزم، وما بين حاصرتين منهما.
(٥) أخرجه أحمد (٩٦٨٤)، والطبري ١٥/ ٤٧-٤٨. وهو في الكشاف ٢/ ٤٦٢-٤٦٣.
(٦) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره ١/ ٣٨٧، والطبري ١٥/ ٤٦. وهو في تفسير الرازي ٢١/ ٣٢.

الرابع: قال الزمخشري(١): معنى المقام المحمود: المقام الذي يحمده القائم فيه وكلُّ مَنْ رآه وعَرَفه، وهو مطلَقٌ في كلِّ ما يجلب الحمد من أنواع الكرامات. انتهى. وهذا قولٌ حسن؛ ولذلك نَكَّرَ «مقاماً محموداً» فلم يتناول مقاماً مخصوصاً، بل كلَّ مقامٍ محمودٍ صدَقَ عليه إطلاقُ اللَّفظ.

الخامس: ما قالت فرقةٌ منها مجاهد، وقد روي أيضاً عن ابن عباس: أنَّ المقام المحمود هو أن يُجلِسَه الله معه على العرش. وذكر الطبريُّ في ذلك حديثاً، وذكر النقَّاش عن أبي داود السِّجِسْتاني أنه قال: مَنْ أنكرَ هذا الحديث فهو عندنا مُتَّهم، مازال أهل العلم يُحدِّثون بهذا(٢). قال ابن عطية: يعني مَنْ أنكر جوازه على تأويله.

وقال أبو عمر(٣): ومجاهد وإن كان أحدَ الأئمة بتأويل القرآن، فإنَّ له قولين مهجورَين(٤) عند أهل العلم، أحدهما هذا، والثاني في تأويل: ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٣] قال: تنتظرُ الثوابَ، ليس من النظر، وقد تُؤُوِّلَ قولُه معه على رفع محلِّه وتشريفه على خلقه كقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ﴾ [الأعراف: ٢٠٦]، وقوله: ﴿ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا﴾ [التحريم: ١١]، و﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩]، كلُّ ذلك كنايةٌ عن المكانة لا عن المكان(٥).

وقال الواحدي: هذا القول مرويٌّ عن ابن عباس، وهو قولٌ رَذِلٌ مُوحِشٌ فظيعٌ لا يصِحُّ مثلُه عن ابن عباس(٦)، ونَصُّ الكتاب يُنادي بفساده من وجوه:

الأول: أنَّ البعثَ ضِدُّ الإجلاس، بعثتُ الباركَ، وبعثَ اللهُ الميتَ أقامَه من قبره، فتفسيرُه البعثةَ بالإجلاس تفسيرُ الضِّدِّ بالضِّد.

(١) في الكشاف ٢/ ٤٦٢.
(٢) المحرر الوجيز ٣/ ٤٧٩. وينظر كلام الطبري في تفسيره ١٥/ ٥١-٥٤.
(٣) هو ابن عبد البر، وكلامه في التمهيد ٧/ ١٥٧-١٥٨.
(٤) تحرفت في (يه) و(دا) إلى: مشهورين.
(٥) تفسير القرطبي ١٣/ ١٥١.
(٦) أخرجه ابن النجار في ذيل تاريخ بغداد ٤/ ١٣٥، والذهبي في ميزان الاعتدال ٤/ ٣٧٦ من طريق علي بن محمد القادسي، عن مقاتل بن سليمان، عن الضحاك بن مزاحم، عن ابن عباس. وقال: فهذا لعله وضعه أحد هؤلاء أصحاب مقاتل أو القادسي.

الثاني: لو كان جالساً تعالى على العرش لكان محدوداً متناهياً، فكان يكون مُحْدَثاً.

الثالث: أنَّه قال: مَقاماً، ولم يقُلْ: مَقعداً محموداً، والمَقام: موضعُ القيام لا موضعُ القعود.

الرابع: أنَّ الحمقى والجُهَّالَ يقولون: إنَّ أهل الجنة يجلسون كلُّهم معه تعالى، ويسألهم عن أحوالهم الدنيوية، فلا مزيَّة له بإجلاسه معه.

الخامس: أنَّه إذا قيل: بعثَ السلطانُ فلاناً، لا يُفهَمُ منه أجلَسَه مع نفسه[1]. انتهى. وفيه بعضُ تلخيص.

ولمَّا أمره تعالى بإقامة الصلاة بالتهجُّدِ ووعدَه بَعْثَه مقاماً محموداً ـ وذلك في الآخرة ـ أمره بأن يدعوَه بما يشمل أمورَه الدنيوية والأُخروية، فقال: ﴿وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِى مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِى مُخْرَجَ صِدْقٍ﴾ والظاهر أنَّه عامٌّ في جميع موارده ومصادره دنيويَّة وأُخرويَّة.

والصِّدقُ هنا لفظٌ يقتضي رفعَ المذامِّ واستيعابَ المدح، كما تقول: رجلُ صِدْقٍ، إذ هو مقابل: رجلُ سُوءٍ. وقال ابن عباس، والحسن، وقَتادة: هو إدخالٌ خاصٌّ وهو في المدينة، وإخراجٌ خاصٌّ وهو من مكة، فيكونُ المُقدَّمُ في الذِّكر هو المؤخَّرَ في الوقوع، ومكانُ القرار هو الأهمُّ فبُدِئ به. وقال مجاهد، وأبو صالح[2] ما معناه: إدخالُه فيما حملَه من أعباء النبوة وأداء الشرع، وإخراجُه منه مؤدِّياً لما كلَّفه من غير تفريط.

وقال الزمخشري: أدخلني القبرَ مُدخَلَ صدقٍ إدخالاً مَرْضِيًّا عن طهارةٍ وطيبٍ من السيئات، وأخرجني منه عند البعث إخراجاً مرضيًّا مُلقًّى بالكرامة آمناً من السخط، يدلُّ عليه ذِكْرُه على ذكر البعث[3]. وقيل: إدخاله مكة ظاهراً عليها

---

(١) من قوله: وقال الواحدي... إلى هنا من تفسير الرازي ٢١/ ٣٢.

(٢) المحرر الوجيز ٣/ ٤٧٩-٤٨٠ بنحوه مع تقديم وتأخير. والمعنى الآتي من الكشاف ٢/ ٤٦٣. وأقوال ابن عباس والحسن وقتادة في تفسير البغوي ٣/ ١٣٢، وزاد المسير ٥/ ٧٧. وأخرجها الطبري ١٥/ ٥٤-٥٥.

(٣) روي بمعناه مختصراً عن ابن عباس كما في النكت والعيون ٣/ ٢٦٧، وزاد المسير ٥/ ٧٧، ومجمع البيان ١٥/ ٨٩.

بالفتح، وإخراجُه منها آمناً من المشركين[١]. وقال محمد بن المنكدر: إدخالُه الغارَ وإخراجُه منه سالماً[٢]. وقيل: الإخراج من المدينة، والإدخال مكة بالفتح[٣]. وقيل: الإدخال في الصلاة والإخراج منها. وقيل: الإدخال في الجنة والإخراج من مكة[٤]. وقيل: الإدخال فيما أُمِرَ به، والإخراج ممَّا نهاه عنه. وقيل: أدخِلْني في بحار دلائل التوحيد والتنزيه، وأخرِجْني من الاشتغال بالدليل إلى معرفة المدلول والتأمُّل في آثار مُحدثاته إلى الاستغراق في معرفة الأحد الفرد[٥].

وقال أبو سهل حين رجع من تبوكَ وقد قال المنافقون: ليُخْرِجَنَّ الأعزُّ منها الأذلَّ، يعني: إدخال عزٍّ وإخراج نصرٍ إلى مكة[٦]. والأحسنُ في هذه الأقوال أن تكون على سبيل التمثيل لا التعيين، ويكون اللفظُ كما ذكرناه يتناول جميعَ الموارد والمصادر.

وقرأ الجمهور: «مُدْخَلَ» و«مُخْرَجَ» بضم ميمهما، وهو جارٍ قياساً على «أفعَلَ» مصدراً، نحو أكرَمْتُهُ مُكْرَماً، أي: إكراماً. وقرأ قَتادة، وأبو حَيْوة، وحُميد، وإبراهيم بن أبي عبلة بفتحهما[٧].

وقال صاحب «اللوامح»: وهما مصدران من دخل وخرج، لكنَّه جاء من معنى: أدخِلْني وأخرِجْني المتَقدِّمَين دون لفظهما، ومثلُهما: ﴿أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا﴾ [نوح: ١٧]. ويجوز أن يكونا اسمَ المكان وانتصابهما على الظرف.

وقال غيره: منصوبان مصدرين على تقدير فِعْلٍ، أي: أدخِلْني فأدخُلَ مُدْخَلَ صِدْقٍ، وأخرِجْني فأخرُجَ مُخرَجَ صِدْقٍ[٨].

---

(١) ينظر معاني القرآن للنحاس ٤/ ١٨٥، والنكت والعيون ٣/ ٢٦٦، وتفسير البغوي ٣/ ١٣٢، وزاد المسير ٥/ ٧٧، وأخرجه الطبري ١٥/ ٥٧ عن الضحاك.
(٢) تفسير الثعلبي ٤/ ٧٤، وزاد المسير ٥/ ٧٨.
(٣) إلى هنا ينتهي كلام الزمخشري وهو في الكشاف ٢/ ٤٦٣.
(٤) النكت والعيون ٣/ ٢٦٦، وتفسير البغوي ٣/ ١٣٢، وزاد المسير ٥/ ٧٧ عن الحسن.
(٥) تفسير الرازي ٢١/ ٣٣.
(٦) تفسير القرطبي ١٣/ ١٥٢.
(٧) المحرر الوجيز ٣/ ٤٧٩-٤٨٠، وقراءة فتح الميم في الشاذة ص٧٧.
(٨) المحرر الوجيز ٣/ ٤٨٠.

والسلطان هنا؛ قال الحسن: التسليط على الكافرين بالسيف، وعلى المنافقين بإقامة الحدود. وقال قَتادة: ملكاً عزيزاً تنصرني به على كلِّ من ناوأني. وقال مجاهد: حُجَّة بيِّنة[١]. وقيل: كتاباً يحوي الحدود والأحكام[٢]. وقيل: فتح مكة[٣]. وقيل: في كلِّ عصر سلطاناً ينصرُ دينك.

و«نصيراً» مبالغة في ناصر. وقيل: فَعيل بمعنى مفعول، أي: منصوراً.

وهذه الأقوالُ كلُّها مُحتمِلَةٌ لقوله: ﴿سُلْطَـٰنًا نَّصِيرًا﴾ ورُوِيَ أنَّه تعالى وعدَه ذلك وأنجزه له في حياته، وتمَّمه بعد وفاته[٤].

قال قَتادة: والحقُّ: القرآن، والباطل: الشيطان. وقال ابن جُريج: الجهاد، والباطل: الشِّرك. وقيل: الإيمان والكفر. وقال مقاتل: جاءَتْ عبادةُ الله، وذهبَتْ عبادةُ الشيطان[٥].

وهذه الآية نزلَتْ بمكَّة، ثم إنَّ رسولَ الله ﷺ كان يستشهدُ بها يومَ فتح مكة وَقْتَ طَعْنِه الأصنامَ وسقوطِها لِطعْنِه إيَّاها بمِخْصَرة، حسبما ذُكِرَ في السِّير[٦].

و«زَهوقاً»: صفةُ مبالغة في اضمحلاله وعدم ثبوته في وقتٍ مّا[٧].

و«مِن» في «من القرآن» لابتداء الغاية[٨]، وقيل: للتبعيض. قاله الحَوْفي، وأُنكِرَ ذلك؛ لاستلزامه أنَّ بعضَه لا شفاء فيه، ورُدَّ هذا الإنكار؛ لأنَّ إنزالَه إنَّما هو

(١) هذه الأقوال الثلاثة في النكت والعيون ٣/ ٢٦٧، وزاد المسير ٥/ ٧٨، وقول مجاهد ذكره البغوي ٣/ ١٣٢، وأخرجه الطبري ١٥/ ٥٩.
(٢) تفسير الثعلبي ٤/ ٧٥، وتفسير البغوي ٣/ ١٣٢، ونسباه إلى قتادة، وكذلك أخرجه الطبري ١٥/ ٥٩.
(٣) تفسير الثعلبي ٤/ ٧٥.
(٤) المحرر الوجيز ٣/ ٤٨٠.
(٥) النكت والعيون ٣/ ٢٦٧، وزاد المسير ٥/ ٧٨، وفيهما: عبادة الأصنام، بدل: عبادة الشيطان. وقول قتادة أخرجه الطبري ١٥/ ٦١.
(٦) المحرر الوجيز ٣/ ٤٨٠، وحديث طعن النبي ﷺ للأصنام أخرجه البخاري (٢٤٧٨)، ومسلم (١٧٨١)، وأحمد (٣٥٨٤) عن ابن مسعود ﷺ. وينظر الخصائص الكبرى للسيوطي ١/ ٤٤٢.
(٧) ينظر إعراب القرآن للنحاس ٢/ ٤٣٧.
(٨) المحرر الوجيز ٣/ ٤٨٠.

مُبَعِّضٌ. وقيل: لبيان الجنس. قاله الزمخشري[١]، وابنُ عطية[٢]، وأبو البقاء[٣]، وقد ذكرنا أنَّ «مِنْ» التي لبيان الجنس لا تتقدَّم على المُبهم الذي تُبيِّنه، وإنَّما تكون متأخرةً عنه[٤].

وقرأ الجمهور: «ونُنزِّلُ» بالنون، ومجاهد بالياء خفيفةً، ورواها المَرْوَزيُّ عن حفص[٥].

وقرأ زيدُ بنُ عليٍّ: «شفاءً ورحمةً» بنصبهما، ويتخرَّجُ النَّصبُ على الحال، وخبر «هو» قولُه: «للمؤمنين»، والعاملُ فيه ما في الجارِّ والمجرور من الفعل، ونظيرُه قراءةُ مَنْ قرأ: ﴿وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ﴾ [الزمر: ٦٧] بنصب «مطويَّات»[٦]، وقول الشاعر:

رَهْطُ ابنِ كُوزٍ مُحقِبي أدراعِهِمْ فيهم ورَهْطُ ربيعةَ بنِ حُذارِ[٧]

وتقديمُ الحالِ على العامل فيه من الظرف أو المجرور لا يجوز إلَّا عند الأخفش، ومَنْ منعَ جعلَه منصوباً على إضمارِ «أعني».

وشفاؤه كونُه مزيلاً للرَّيبِ كاشفاً عن غطاء القلب بفهم المعجزات والأمور الدالَّة على الله المقرِّرة لدينه، فصار لعِلَّات القلوبِ كالشفاء لعِلَّات الأجسام. وقيل: شفاء بالرُّقى والعُوَذ، كما جاء في حديث الذي رقى بالفاتحة من لَسْعةِ العقرب[٨].

---

(١) في الكشاف ٢/ ٤٦٣.
(٢) في المحرر الوجيز ٣/ ٤٨٠.
(٣) في الإملاء ٢/ ٩٥.
(٤) تقدم ذلك عند تفسير الآية (٣٢) من سورة إبراهيم.
(٥) المحرر الوجيز ٣/ ٤٨٠، وقراءة الياء شاذة، والمشهور عن حفص مثل قراءة الجمهور، يعني بالنون والزاي المشددَّة «ونُنَزِّلُ»، وقرأها بالزاي المخفَّفة «ونُنْزِلُ» أبو عمرو ويعقوب. ينظر النشر ٢/ ٣٠٨.
(٦) وهي قراءة عيسى بن عمر كما في القراءات الشاذة ص١٣١. وينظر إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٢٢.
(٧) قائله النابغة الذبياني، وهو في ديوانه ص٥٩.
(٨) المحرر الوجيز ٣/ ٤٨٠ بنحوه، وحديث الرقية بالفاتحة أخرجه البخاري (٢٢٧٦)، ومسلم (٢٢٠١)، وأحمد (١١٠٧٠) من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ.

واختلفوا في النُّشرة، وهو أن يُكتَبَ شيءٌ من أسماء الله تعالى أو من القرآن ثم يُغسَلَ بالماء، ثم يُمسَحَ به المريض، أو يُسقاه، فأجاز ذلك ابنُ المسيِّب(١). ولم يرَهُ مجاهد، وعن عائشة كانت تقرأ بالمُعوِّذتين في إناءٍ، ثمَّ تأمرُ أنْ يُصَبَّ على المريض(٢).

وقال أبو عبد الله المازَري(٣): النُّشْرةُ أمرٌ معروفٌ عند أهل التعزيم، سُمِّيت بذلك لأنَّها تنشر عن صاحبها، أي: تَحُلُّ. ومنعها الحسن والنَّخَعي(٤).

وروى أبو داود من حديث جابر، أنَّ الرسولَ ﷺ قال وقد سُئِلَ عن النُّشْرة: «هي من عمل الشيطان»(٥). ويُحمَلُ ذلك على ما إذا كانت خارجةً عمَّا في كتاب الله وسنة الرسول، و«النُّشْرةُ» من جنس الطِّبِّ، فهي غُسالةُ شيء له فَضْل(٦).

وقال مالك: لا بأسَ بتعليق الكُتُبِ التي فيها أسماءُ الله تعالى على أعناق المرضى على وجه التبرُّك بها إذا لم يُرِدْ مُعلِّقُها بذلك مُدافعةَ العين. وهذا معناه قبل أن ينزل به شيءٌ من العين، أمَّا بعد نزول البلاء فيجوز رجاءَ الفَرَج والبُرْءِ من المرضِ، كالرُّقَى المباحة التي وردَتِ السُّنَّةُ بها من العين وغيرها(٧).

وقال ابن المسيِّب: يجوز تعليقُ العُوذةِ في قصبةٍ أو رقعةٍ من كتاب الله، ويضعه عند الجماع وعند الغائط. ورخَّص الباقرُ في العُوذة تُعلَّقُ على الصبيان. وكان ابنُ

---

(١) المفهم ٥/ ٥٩٠.
(٢) تفسير القرطبي ١٣/ ١٦٠، والقولان أخرجهما ابن أبي شيبة في مصنفه ٨/ ٢٨.
(٣) المثبت من (ز١) و(يه) و(دا)، وهو الموافق لما في المصادر، وتحرفت في باقي النسخ إلى: المازني؛ والمازَريُّ: هو الإمام أبو عبد الله محمد بن علي بن عمر التميمي المالكي. كان بصيراً بعلم الحديث، حدَّث عنه القاضي عياض، صنَّف كتاب «المُعْلِم»، و«إيضاح المحصول»، و«شرح كتاب التلقين» للقاضي عبد الوهاب، وله تأليف في الرّدّ على كتاب «الإحياء» أنصف فيه رحمه الله، مات بإفريقية سنة (٥٣٦هـ). السير ٢٠/ ١٠٤.
(٤) المفهم ٥/ ٥٩٠.
(٥) سنن أبي داود (٣٨٦٨)، وهو في مسند أحمد (١٤١٣٥).
(٦) المفهم ٥/ ٥٩٠ دون قوله: «فهي غسالة شيء له فضل» فهو في تفسير القرطبي ١٣/ ١٦٠.
(٧) التمهيد ١٧/ ١٦٠-١٦١.

سيرين لا يرى بأساً بالشيء من القرآن يُعلِّقه الإنسان[١].

وخَسارُ الظالمين وهم الذين يضعون الشيء في غير موضعِه هو بإعراضهم عنه، وعدمِ تدَبُّره، بخلاف المؤمن فإنَّه يزداد بالنظر فيه وتدَبُّرِ معانيه إيماناً.

﴿وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ ۖ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ كَانَ يَـُٔوسًا ﴿٨٣﴾ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا ﴿٨٤﴾ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِۦ عَلَيْنَا وَكِيلًا ﴿٨٦﴾ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ إِنَّ فَضْلَهُۥ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا ﴿٨٧﴾﴾.

لمَّا ذكر تعالى تنويعَ ما أنزل من القرآن شفاءً ورحمةً للمؤمن وبزيادة خَسار للظالم، عَرَّضَ بما أنعمَ به وما حواه من لطائف الشرائع على الإنسان، ومع ذلك أعرضَ عنه وبَعُدَ بجانبه عنه؛ اشمئزازاً له، وتكبُّراً عن قُرْبِ سماعِه، وتبديلاً مكانَ شُكرِ الإنعامِ كُفرَه.

وقرأ الجمهور: «ونأى» من النَّأي: وهو البُعد. وقرأ ابن عامر: «وناء» فقيل: هو مقلوبُ «نأى» فمعناه: بَعُدَ. وقيل: معناه: نهضَ بجانبِه. وقال الشاعر:

حتى إذا ما التأمَتْ مفاصِلُهْ وناءَ في شِقِّ الشِّمالِ كاهِلُهْ

أي: نهضَ متوكِّئاً على شماله[٢].

ومعنى «يؤساً»: قنوطاً من أن يُنعِمَ اللهُ عليه، والظاهرُ أنَّ المراد بالإنسان هنا ليس واحداً بعينه، بل المرادُ به الجنس، كقوله: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ﴾ [العاديات: ٦]، ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا﴾ الآية [المعارج: ١٩] وهو راجعٌ لمعنى الكافر.

والإعراض يكون بالوجه، والنأيُ بالجانب يكون بتولية العِطْفِ، أو يُراد بنأي الجانب الاستكبار؛ لأنَّ ذلك من عادة المستكبرين[٣].

(١) المنهاج في شعب الإيمان ٢/ ٣٩. قلت: ومن قوله: «واختلفوا في النُّشرة» إلى هنا في تفسير القرطبي ١٣/ ١٦٠-١٦٣، مع اختلاف في بعض ألفاظه.

(٢) المحرر الوجيز ٣/ ٤٨٠-٤٨١، وتنظر القراءة في السبعة ص٣٨٤، والتيسير ص١٤١، والرجز لم أهتدِ إلى قائله، وهو في تهذيب اللغة ١٥/ ٥٤٠.

(٣) الكشاف ٢/ ٤٦٤.

والشَّاكلة؛ قال ابن عباس: ناحيته. وقال مجاهد: طبيعتُه. وقال الضحَّاك: حِدَته. وقال قَتادة والحسن: نيَّتُه. وقال ابن زيد: دِينه. وقال مقاتل: خُلّته[١]. وهذه أقوال متقاربة. وقال الزمخشري[٢]: على مذهب الذي يُشاكِلُ حالَه في الهدى والضلالة، من قولهم: طريق ذو شَواكِلَ، وهي الطُّرقُ التي تشعَّبَتْ منه، والدليل عليه قوله تعالى: ﴿فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا﴾ أي: أشدُّ مذهباً وطريقةً.

وعن أبي بكر الصِّدِّيق ﷺ: لم أرَ في القرآن آيةً أرجى من هذه، لا يُشاكل بالعبد إلَّا العصيان، ولا يُشاكل بالربِّ إلا الغفران. وعن عمر ﷺ: لم أرَ آيةً أرجى من التي فيها ﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ﴾ [غافر: ٣]. قدَّمَ الغفران قبل قبول التوبة. وعن عثمان ﷺ: لم أرَ آيةً أرجى من: ﴿نَبِّئۡ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الحجر: ٤٩]. وعن عليٍّ كرَّمَ الله وجهه ورضي عنه: لم أرَ آيةً أرجى من قوله تعالى: ﴿يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ﴾ الآية [الزمر: ٥٣]. قالوا ذلك حين تذاكروا القرآن. وعن القرطبي[٣]: لم أرَ آيةً أرجى من قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ﴾ الآية [الأنعام: ٨٢].

وقال أبو عبد الله الرازي[٤]: الأرواح والنفوس مختلفةٌ بماهيتِها، فبعضُها مشرقةٌ صافية، يظهر فيها من القرآن نورٌ على نور، وبعضها كَدِرَةٌ ظلمانية، يظهر فيها من القرآن ضلالٌ ونكالٌ. انتهى.

وثبت في الصحيح[٥] من حديث ابن مسعود أنَّه قال: إنِّي مع رسول الله ﷺ في حَرْثٍ[٦] بالمدينة وهو مُتَّكِئٌ على عَسِيبٍ، فمرَّ بنا ناسٌ من اليهود، فقال [بعضهم

(١) معاني القرآن للنحاس ١٨٨/٤، وتفسير الثعلبي ٧٦/٤-٧٧، والنكت والعيون ٢٦٩/٣، وتفسير البغوي ١٣٤/٣، وزاد المسير ٨٠/٥. على اختلاف في نسبتها إلى أصحابها. وأقوال ابن عباس ومجاهد وقتادة وابن زيد أخرجها الطبري ٦٥/١٥-٦٦.

(٢) في الكشاف ٤٦٤/٢.

(٣) في تفسيره ١٦٦/١٣. وما قبله من الآثار منه.

(٤) في تفسيره ٣٦/٢١.

(٥) صحيح البخاري (١٢٥)، وصحيح مسلم (٢٧٩٤)، وهو في مسند أحمد (٣٦٨٨)، وما بين حاصرتين الآتي من هذه المصادر.

(٦) هكذا في النسخ؛ قال النووي في شرح مسلم ١٣٧/١٧: اتفقت نسخ صحيح مسلم على أنه =

لبعض]: سَلُوه عن الرُّوح. فقال بعضهم: لا تسألوه فيَسْتَقْبِلَكم بما تكرهون. فأتاه نفرٌ منهم فقالوا: يا أبا القاسم، ما تقولُ في الروح؟ فسكتَ، ثم ماجَ، فأمسكتُ بيدي على جبهته، فعرَفْتُ أنَّه ينزلُ عليه، فأنزل عليه ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ﴾ الآية.

وروي أنَّ يهودَ قالوا لقريشٍ: سَلُوه عن الروح، وعن فتيةٍ فُقِدوا في أول الزمان، وعن رجلٍ بلَغَ شرقَ الأرضِ وغربَها، فإن أجاب في ذلك كلِّه أو لم يُجِبْ في شيء فهو كذاب، وإن أجابَ في بعض ذلك وسكتَ عن بعض فهو نبيٌّ. وفي بعض طرق هذا: إن فَسَّر الثلاثةَ فهو كذَّاب، وإن سكتَ عن الرُّوح فهو نبيٌّ. فنزلَ في شأن الفتية: ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ﴾ [الكهف: ٩]. ونزل في شأن الذي بلغَ الشرقَ والغربَ: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ﴾ [الكهف: ٨٣] ونزلَ في الرُّوح: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ﴾(١).

والظاهرُ من حديث ابن مسعود أنَّ الآيةَ مدنيةٌ، ومن سؤال قريشٍ أنَّها مكية. والرُّوح على قول الجمهور هنا الرُّوح التي في الحيوان، وهو اسم جنس وهو الظاهر. وقال قَتادة: هو جبريل عليه السلام؛ قال: وكان ابن عباس يكتمُه. وقيل: عيسى ابن مريم عليه السلام. وعن عليٍّ أنَّه مَلَكٌ، وذُكِرَ من وصفِه ما اللهُ أعلم به. ولا يصِحُّ عن عليٍّ. وقيل: الرُّوح: القرآن. ويدلُّ عليه الآيةُ قبلَهُ والآيةُ بعده(٢).

= «حرث» بالثاء المثلثة، وكذا رواه البخاري في مواضع، ورواه في أول الكتاب: «خرب» بالباء الموحدة والخاء المعجمة، جمع «خراب». قال العلماء: الأول أصوب، وللآخر وجه، ويجوز أن يكون الموضع فيه الوصفان.

(١) أخرجه أحمد (٢٣٠٩)، والترمذي (٣١٤٠)، والنسائي في الكبرى (١١٢٥٢)، وابن حبان (٩٩)، والحاكم ٢/ ٥١٣، والواحدي في أسباب النزول ص٣٠٠ ـ واللفظ له ـ من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) المحرر الوجيز ٣/ ٤٨١-٤٨٢.
وقول قتادة أخرجه عبد الرزاق في تفسيره ١/ ٣٨٨، والطبري ١٥/ ٦٨-٦٩، والقولان بأنه عيسى ابن مريم وبأنه القرآن ذكرهما الماوردي في النكت والعيون ٣/ ٢٧١، وابن الجوزي في زاد المسير ٣/ ٨٢.
وقول علي رضي الله عنه ذكره النحاس في معاني القرآن، والثعلبي في تفسيره ٤/ ٢٧٨، والماوردي في النكت والعيون ٣/ ٢٦٩. وأخرجه الطبري في تفسيره ١٥/ ٧١، والبيهقي في الأسماء والصفات (٧٨١)، وفيه رجل مبهم. وأخرجه البيهقي ـ أيضاً ـ (٧٨٠) وفي إسناده انقطاع. وهذا القول قال فيه ابن كثير في تفسيره: هذا أثر عجيب غريب.

وقيل: خَلْقٌ عظيمٌ روحانيٌّ أعظمُ من الملَك[١]. وقيل: الرُّوح: جندٌ من جنود الله، لهم أيدٍ وأرجُلٌ يأكلون الطعام. ذكره الغزنوي[٢]. وقال أبو صالح: خَلْقٌ كخَلْقِ بني آدم، وليسوا بني آدم، لهم أيدٍ وأرجُلٌ، ولا ينزِلُ مَلَكٌ من السماء إلَّا ومعه واحدٌ منهم.

والصحيح من هذه الأقوال القول الأول، والظاهرُ أنهم سألوا عن ماهيَّتِها وحقيقَتِها. وقيل: عن كيفية مُداخلَتِها الجسدَ الحيوانيَّ وانبِعاثِها فيه، وصورةِ ملابستِها له، وكلاهما مُشكِلٌ لا يعلمه قبلُ إلَّا الله. وقد رأيتُ كتاباً يترجم بكتاب: «النفخ والتسوية» لبعض الفقهاء المتصوِّفة[٣] يذكر فيها أنَّ الجواب في قوله: ﴿قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ إنما هو للعوامِّ، وأمَّا الخواصُّ فهم عندَه يعرفون الروح، وأجمعَ علماءُ الإسلام على أنَّ الرُّوحَ مخلوقةٌ، وذهَبَ كفَرَةُ الفلاسفة وكثيرٌ ممَّن ينتمي إلى الإسلام إلى أنَّها قديمةٌ، واختلافُ الناس في الرُّوح بلَغَ إلى سبعين قولاً، وكذلك اختلفوا: هل الرُّوحُ النفسُ أم شيءٌ غيرُها؟

ومعنى ﴿مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ أي: فِعْلِ ربي، كونها بأمره، وفي ذلك دِلالةٌ على حدوثِها، والأمرُ بمعنى الفعلِ واردٌ، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ﴾ [هود: ٩٧] أي: فِعْلُه[٤]. ويَحْتَمِلُ أن يكون أمراً واحدَ الأمور، وهو اسمُ جنسٍ لها، أي من جملة أمورِ الله التي استأثرَ بعلمِها[٥]. وقيل: من وحي ربِّي، وكلامُه ليسَ من كلام البشر، ويتخرَّج على قول من قال: إنَّ الرُّوحَ هنا القرآن[٦]. وقيل: مِنْ عِلْم ربِّي[٧].

---

(١) الكشاف ٢/ ٤٦٤.

(٢) تحرفت في (ز١) ومطبوع البحر إلى: العزيزي، وتصحفت في سائر النسخ سوى (ح) إلى: العريوني! والمثبت من (ح)، وهو الموافق لما في تفسير القرطبي ١٣/ ١٦٧، فهذا القول وما بعده منه.

(٣) وهو علي بن خليل المُسْفِر السَّبْتي، المتوفَّى سنة (٦٠٠هـ)، وهو من القائلين بوحدة الوجود، ورآه محيي الدين بن عربي في سبتة قبل سنة (٥٩٨هـ)، له كتاب «النفخ والتسوية»، يُعزى لأبي حامد ـ يعني الغزالي ـ أيضاً، ويُسمِّيه الناس «المضنون الصغير». الأعلام ٤/ ٢٨٥.

(٤) تفسير الرازي ٢١/ ٣٨.

(٥) المحرر الوجيز ٣/ ٤٨٢.

(٦) الكشاف ٢/ ٤٦٤.

(٧) معاني القرآن للفراء ٢/ ١٣٠، والوسيط للواحدي ٣/ ١٢٦.

والظاهرُ أنَّ الخطاب في «وما أوتيتم» هو للذين سألوا عن الروح، وهم طائفة من اليهود. وقيل: اليهود بجملتهم. وقيل: للناسِ كُلِّهم[١]. قال ابن عطية[٢]: وهذا هو الصحيح؛ لأنَّ قوله: «قل الروح» إنَّما هو أمرٌ بالقول لجميع العالم؛ إذ جميعُ علومِهم محصورةٌ، وعلمُه تعالى لا يتناهى.

وقرأ عبد الله بن مسعود، والأعمش: «وما أوتوا» بضمير الغَيْبةِ عائداً على السائلين.

ولمَّا ذكرَ تعالى ما أنعمَ به من تنزيلِ القرآن على رسوله ﷺ شفاءً ورحمةً وقدرتِه على ذلك، ذكَرَ قدرتَه على أنَّه لو شاء لذهبَ بما أوحى، ولكنَّه تعالى لم يَشأ ذلك، والمعنى: إنَّا كما نحن قادرون على إنزاله نحن قادرون على إذهابه.

وقال أبو سهل: هذا تهديدٌ لغير الرسول ﷺ بإذهاب ما أوتوا ليصُدَّهم عن سؤال ما لم يُؤتَوا، كعلم الرُّوح وعلم الساعة.

ورُوي: لا تقومُ الساعةُ حتى يرتفعَ القرآن. الحديث[٣].

وفي حديث ابن مسعود: يُسرى به في ليلةٍ فيُذهَبُ بما في المصاحف وبما في القلوب. ثم قرأ عبد الله: ﴿وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾[٤].

وقال صاحب «التحرير»: ويَحتَمِلُ عندي في تأويل الآية وجهٌ غيرُ ما ذُكِرَ، وهو أنَّه ﷺ لمَّا أبطأ عليه الوحيُ لمَّا سُئِلَ عن الروح، شَقَّ ذلك عليه، وبلغ منه الغاية، فأنزلَ اللهُ تعالى تهذيباً له هذه الآية، ويكون التقدير: أيعزُّ عليكَ تأخُّرُ الوحي، فإنَّا لو شِئنا ذهبنا بما أوحينا إليك جميعِه. فسكتَ النبيُّ ﷺ وطابَ قلبُه ولزِمَ الأدب. انتهى.

(١) تفسير القرطبي ١٣/ ١٦٨ بنحوه.
(٢) في المحرر الوجيز ٣/ ٤٨٢.
(٣) تفسير الثعلبي ٤/ ٧٩، وتفسير البغوي ٣/ ١٣٥ عن عبد الله بن عمرو بن العاص ﵄ موقوفاً عليه بنحوه. وكذا أخرجه المروزي في مختصر قيام الليل (٢٢٢)، والديلمي في الفردوس (٧٥١٣).
(٤) تفسير الثعلبي ٤/ ٧٩، وزاد المسير ٥/ ٨٣. وأخرجه عبد الرزاق في مصنفه (٥٩٨٠)، والطبراني في الكبير (٨٦٩٨).

والباء في «لنذهبَنَّ بالذي» للتعدية كالهمزة، وتقدَّم الكلامُ على ذلك في قوله: ﴿لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ﴾ في أوائل «البقرة»[١].

و«الوكيل»[٢] هنا قيل: مَنْ يحفظُ ما أوحينا إليك. وقيل: «وكيلاً» بإعادته إلى الصدور. وقيل: «وكيلاً» يضمن لكَ أن يُؤتيك ما أُخِذَ منك.

وقال الزمخشري[٣]: والمعنى: إنْ شِئْنا ذهبنا بالقرآن ومَحَوْناه عن الصُّدور والمصاحف، ولم نترُكْ له أثراً، وبقيتَ كما كنت لا تدري ما الكتاب، ثم لا تجد لك بهذا الذهاب من يتوكَّلُ علينا باستردادِه وإعادتِه محفوظاً مسطوراً[٤]، ﴿إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾ إلَّا أن يرحمكَ ربُّكَ فيرُدَّه عليك، كأنَّ رحمَته تتوكَّل عليه بالردِّ، أو يكون على الاستثناء المنقطع، بمعنى: ولكِنْ رحمةً من ربِّك تَرَكْتُه غيرَ مَذْهوبٍ به، وهذا امتنانٌ من الله تعالى ببقاء القرآن محفوظاً بعد المِنَّة في تنزيلِه وتحفيظِه. انتهى.

وعلى الاستثناء المنقطع خرَّجه ابنُ الأنباري[٥] وابن عطية[٦]؛ قال ابن الأنباري: لكِنْ رحمةً من ربِّكَ تمنع مِن أن تُسْلَبَ القرآن. وقال في «زاد المسير»: المعنى: لكن اللهُ يرحمُكَ، فأثبت ذلك في قلبك. وقال ابن عطية: لكِنْ رحمةٌ من ربِّكَ تُمسِكُ ذلك عليك. انتهى. وتخريجُ الزمخشريِّ الأول جعلَه استثناءً متصلاً، جعل رحمتَه تعالى مندرجةً تحت قوله: ﴿وَكِيلًا﴾.

﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٨٩﴾ وَقَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا ﴿٩٠﴾ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ ٱلْأَنْهَٰرَ خِلَٰلَهَا تَفْجِيرًا ﴿٩١﴾ أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا

(١) عند تفسير الآية (٢٠) منها.

(٢) المثبت من (ز١) و(يه) و(دا)، وتحرفت في باقي النسخ إلى: والكفيل. وكذلك في الموضعين الآتيين.

(٣) في الكشاف ٢/ ٤٦٤.

(٤) في الكشاف: مستوراً، بالتاء.

(٥) فيما نقله عنه ابن الجوزي في زاد المسير ٥/ ٨٣.

(٦) في المحرر الوجيز ٣/ ٤٨٢.

كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ﴿٩٢﴾ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّى هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٣﴾﴾.

ولمَّا ذكرَ تعالى إنعامَه على نبيِّه ﷺ بالنبوَّة وبإنزال وحيِهِ عليه، وباهِرَ قُدرتِه بأنَّه تعالى لو شاءَ لذهب بالقرآن[1]، ذكَرَ ما منحَه تعالى من الدليل على نبوَّته الباقي بقاءَ الدهر، وهو القرآن الذي عجزَ العالمُ عن الإتيان بمثله، وأنَّه من أكبرِ النِّعَم عليه، والفضلِ الذي أبقى له ذِكْراً إلى آخر الدهر، ورفعَ له قدراً به في الدنيا والآخرة، وإذا كان فُصحاءُ اللسان الذي نزل به وبلغاؤُهم عجزوا عن الإتيان بسورةٍ واحدةٍ مثلِه، فلأَنْ يكونوا أعجزَ عن أن يأتوا بمثلِ جميعِه ولو تعاونَ الثَّقلانِ عليه لا يأتون بمثله. ولمَّا كان الجِنُّ تفعل أفعالاً مستغربةً ـ كما حكى اللهُ عنهم في قصة سليمان عليه السلام ـ أُدرِجوا مع الإنس في التعجيز؛ ليكون ذلك أبلغَ في العَجْزِ، ويَحتَمِلُ أن تكونَ الملائكةُ مُندَرِجين تحت لفظ الجِنِّ؛ لأنَّه قد يُطلَقُ عليهم هذا الاسمُ، كقوله: ﴿وَجَعَلُوا۟ بَيْنَهُۥ وَبَيْنَ ٱلْجِنَّةِ نَسَبًا﴾ [الصافات: ١٥٨]، وإنْ كان الأكثرُ استعمالَه في غير الملائكة من الأشكال الجِنيَّة[2] المُستَتِرين عن أبصار الإنس، ويَحتَمِلُ أن يكون ذِكْرُ الجِنِّ هنا لأنه عليه السلام بُعِثَ إلى الإنس والجنِّ، فوقع التعجيزُ للثقلين معاً لذلك. ورُويَ أنَّ جماعةً من قريش قالوا لرسول الله ﷺ: جئنا بآيةٍ غريبةٍ غيرِ هذا القرآن، فإنَّا نحن نقدر على المجيء بمثل هذا، فنزلت[3].

و«لا يأتون» جواب القسم المحذوفِ قبل اللام الموطِّئة في «لئِنْ»[4] وهي الداخلة على الشرط، كقوله: ﴿لَئِنْ أُخْرِجُوا۟ لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُوا۟ لَا يَنصُرُونَهُمْ﴾ [الحشر: ١٢] فالجواب في نحو هذا للقسم المحذوف لا للشرط؛ ولذلك جاء مرفوعاً، فأمَّا قولُ الأعشى[5]:

لئِنْ مُنِيتَ بِنا عن غِبِّ معركةٍ لاتُلْفِنا عن دماءِ القومِ نَنْتَفِلُ

(١) العبارة في (ز١) و(يه) و(د١): بأنه تعالى لذهب بالقرآن! والمثبت من باقي النسخ.
(٢) في (ز١): الحية، وفي (د٢): الجنة. والمثبت من باقي النسخ.
(٣) المحرر الوجيز ٣/ ٤٨٣.
(٤) إملاء ما منَّ به الرحمن ٢/ ٩٦.
(٥) في ديوانه ص١١٣.

فاللامُ في «لئِنْ» زائدة، وليسَت مُوطِّئةً لقسمٍ قبلَها؛ فلذلك جزم في قوله: «لا تُلْفِنا» وقد احتجَّ بهذا ونحوه الفرَّاء[1] في زَعْمِه أنَّه إذا اجتمع القسمُ والشَّرطُ وتقدَّم القسَمُ ولم يسبِقْهما ذو خبرٍ أنَّه يجوز أن يكون الجوابُ للقسم ـ وهو الأكثر ـ وللشرط، ومذهبُ البصريين تحتُّم الجواب للقسم خاصةً.

وذكر ابنُ عطية[2] هنا فصلاً حسناً في ذكرِ الإعجاز نقلنا بعضه؛ قال: وفَهِمَتِ العربُ بخُلوصِ فهمِها في مَيْزِ الكلام ودربتها به ما لا نفهمُه نحنُ ولا كلُّ مَنْ خالطَتْه حضارةٌ، ففهموا العجزَ عنه ضرورةً ومشاهدةً، وعلِمَه الناسُ بعدَهم استدلالاً ونظراً، ولكلٍّ حصلَ علمٌ قَطعيٌّ لكن ليس في مرتبةٍ واحدةٍ، وهذا كما علمتِ الصحابةُ شَرْعَ النبيِّ ﷺ وأعمالَه ومشاهِدَه عِلْمَ ضرورةٍ، وعلِمْنا نحنُ المتواترَ من ذلك بنقل التواتر، فحصلَ للجميع القطعُ لكن في مرتبتين، وفَهِمَ إعجازَ القرآن أربابُ الفصاحة الذين لهم غرائبُ في مَيْزِ الكلام، ألا ترى إلى فَهْم الفرزدق شعرَ جريرٍ في شعرِ ذي الرمَّة[3] في قوله:

يَعُدُّ النَّاسِبونَ إلى تميمٍ بُيوتَ المَجْدِ أربعةً كِبارا

الأبيات كلَّها. وألا ترى قصة جريرٍ في نوادزه مع الفرزدق[4]:

علامَ تلفَّتِينَ وأنتِ تحتي[5]

وفي قول جرير:

تَلَفَّتُ أنَّها تحتَ ابنِ قَيْنٍ[6]

(١) في معاني القرآن له ٢/ ١٣٠-١٣١.
(٢) في المحرر الوجيز ٢/ ٤٨٣.
(٣) العبارة في (أ) و(ح) و(د٢) و(ع): شعر جرير وذي الرمة، والمثبت من باقي النسخ.
(٤) من قوله: في قوله... إلى هنا من (ز١) و(د١) والمحرر الوجيز، والشطر الثاني من البيت ليس فيه، والبيت في ديوان ذي الرمة ٢/ ١٣٧٧، وفيه: العز، بدل: المجد.
(٥) ديوان الفرزدق ٢/ ٢٩٢، وعجز البيت: وخيرُ الناس كلِّهِمُ أمامي. وفيه: إلامَ، بدل: علامَ.
(٦) ديوان جرير ١/ ٢٠٧، وعجز البيت: إلى الكِيْرَينِ والفأسِ الكَهامِ.
والقَيْن هنا: الصانع، والكَهام: الكَليل الذي لا يقطع.

وألا ترى قولَ الأعرابي: عزَّ فحكَمَ فقطَعَ. وألا ترى إلى الاستدلال الآخر على البَعث بقوله: ﴿حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ﴾ [التكاثر: ٢]. فقال: إنَّ الزيارةَ تقتضي الانصرافَ، ومنه عِلْمُ بشَّار بقول أبي عمرو بن العلاء في شعر الأعشى:

وأنكـرَتْنـي وما كـان الـذي نَكِـرَتْ[١]

ومنه قول الأعرابي للأصمعي: مَنْ أحوَجَ الكريمَ إلى أن يُقسِمَ؟ فَهُم مع هذه الأفهام أقرُّوا بالعجز، ولجأ النَّجَّادُ[٢] منهم إلى السيف، ورضي بالقتلِ والسِّباءِ وكشفِ الحُرَم، وهو كان يجد المندوحةَ عن ذلك بالمعارضة. انتهى ما أشعرنا[٣] عليه من كلامه، وكان قد قدَّم قبلَ ذلك قوله: والعجزُ في معارضةِ القرآن إنَّما وقع في النظم، وعِلَّةُ ذلك الإحاطة التي لا يتَّصف بها إلَّا اللهُ عزَّ وجلَّ، والبشرُ مُقصِّرٌ ضرورةً بالجهلِ والنسيانِ والغفلةِ وأنواعِ النقص، فإذا نظم كلمةً خفيَ عنه العلل التي ذكرنا.

وقال الزمخشري[٤]: و«لا يأتون» جوابُ قَسَمٍ محذوفٍ، ولولا اللامُ الموطِّئةُ لجاز أن تكون جواباً للشرط، كقوله:

يـقـولُ لا غـائـبٌ مـالـي ولا حَـرِمُ

لأنَّ الشرطَ وقع ماضياً. انتهى. يعني بالشرطِ قولَه وهو صدرُ البيت:

وإنْ أتـاهُ خـلـيـلٌ يـومَ مـسـألـةٍ

ف «أتاه» فعلٌ ماضٍ دخلَتْ عليه أداةُ الشرط فخلصته للاستقبال، وأفهم كلام الزمخشري أنَّ «يقولُ» وإن كان مرفوعاً هو جواب الشرط الذي هو «وإن أتاه» وهذا الذي ذهب إليه هو مخالف لمذهب سيبويه[٥] ولمذهب الكوفيين والمبرِّد[٦]؛ لأن

(١) ديوان الأعشى ص١٥١، وعجز البيت: من الحوادثِ إلَّا الشَّيبَ والصَّلَعا.
(٢) هكذا في النسخ، وفي المحرر الوجيز: المحاد.
(٣) المثبت من (ز١) و(د١)، وفي باقي النسخ: اقتصرنا.
(٤) في الكشاف ٢/ ٤٦٥، والبيت الآتي قائله زهير، وهو في ديوانه ص١٥٣.
(٥) في الكتاب ٣/ ٦٦.
(٦) في المقتضب ٢/ ٧٠.

مذهبَ سيبويه في مثل هذا التركيب وهو أن يكون فعلُ الشرط ماضياً وبعده مضارعٌ مرفوعٌ أنَّ ذلكَ المضارعَ هو على نيَّة التقديم، وجواب الشرط محذوفٌ. ومذهبُ الكوفيين والمبرِّد أنَّه هو الجواب، لكنَّه على حذف الفاء. ومذهب ثالث: وهو أنَّه هو جواب الشرط، وهو الذي قال به الزمخشري، والكلام على هذه المذاهب مذكورٌ في علم النحو.

وقال الزمخشري[1]: والعجبُ من المذاهب ومِنْ زعمهم أنَّ القرآنَ قديمٌ مع اعترافهم بأنَّه مُعجِزٌ، وإنَّما يكون العَجْزُ حيثُ تكون القدرةُ، فيقال: اللهُ قادرٌ على خلقِ الأجسام، والعبادُ عاجزون عنه. والمُحال الذي لا مجالَ للقدرة فيه ولا مُدخل لها فيه كثاني القديم، فلا يُقال للفاعل: قد عجزَ عنه، ولا هو مُعجِزٌ، ولو قيل ذلك لجازَ وَصْفُ اللهِ بالعجزِ؛ لأنَّه لا يُوصَفُ بالقدرة على المُحالِ إلَّا أن يُكابِروا فيقولوا: هو قادرٌ على المُحال، فإنَّ رأسَ مالهم المكابرةُ وقَلْبُ الحقائق. انتهى.

وتكرَّر لفظُ «مِثْل» في قوله: «لا يأتونَ بمثلِه» على سبيل التأكيد والتوضيح، وأنَّ المرادَ منهم أنْ يأتوا بمثلِه، إذْ قد يُرادُ بمِثْلِ الشيء في موضع الشيء نفسِه، فبيَّن بتكرار «بمثله» ولم يكُنِ التركيبُ «لا يأتون به» رفعاً لهذا الاحتمال، وأنَّ المطلوبَ منهم أن يأتوا بالمِثْلِ لا أن يأتوا بالقرآن.

ولمَّا ذكر تعالى عَجْزَ الإنسِ والجنِّ عن أن يأتوا بمثلِ هذا القرآن نبَّه على فضلِه تعالى بما ردَّد فيه وضرَبَ من الأمثالِ والعِبَرِ التي تدلُّ على توحيدِه تعالى ومع كثرةِ ما ردَّد من الأمثلة وأسبغَ من النِّعَم لم يكونوا إلَّا كافرين به وبنِعَمِه.

وقرأ الجمهور: «صَرَّفنا» بتشديد الراء، والحسنُ بتخفيفها، والظَّاهرُ أنَّ مفعول «صَرَّفْنا» محذوفٌ، تقديره: البيِّناتِ والعِبَرَ. و«من» لابتداء الغاية. وقال ابن عطية[2]: ويجوز أن تكون مؤكِّدةً زائدةً، التقدير: ولقد صرَّفنا كلَّ مَثَلٍ. انتهى. يعني: فيكون مفعول «صَرَّفْنا» «كلَّ مثل» وهذا التخريج هو على مذهب الكوفيين والأخفش لا على مذهب جمهور البصريين.

---

(١) في الكشاف ٢/ ٤٦٥.

(٢) في المحرر الوجيز ٣/ ٤٨٤، وما قبله منه، وقراءة الحسن شاذة.

والظاهرُ أنَّ المُرادَ بالمَثَلِ هو القولُ الغريبُ السائرُ في الآفاق، والقرآنُ مَلآنُ من الأمثال التي ضربها الله تعالى.

وقال الزمخشري[١]: «من كلِّ مثل»: من كلِّ معنًى هو كالمثل في غرابتِه وحُسْنِه.

وقال أبو عبد الله الرازي[٢]: «من كلِّ مثل» إشارةٌ إلى التحدِّي به بالجهات المختلفة، كالتحدِّي بكلِّ القرآن كالذي هنا، وبسورةٍ مثلِه، وبكلام من سورةٍ كقوله: ﴿فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ﴾ [الطور: ٣٤]. ومع ظهورِ عَجْزِهم أبَوا إلَّا كفوراً. انتهى ملخَّصاً. وقيل: «من كلِّ مثل» من الترغيب والترهيب وأنباء الأوَّلين والآخرين، وذِكْرِ الجنة والنار.

﴿أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ﴾ قيل: مَنْ كان في عهد الرسول من المشركين وأهل الكتاب. وقيل: أهل مكة[٣]. وهو الظاهر بدليل ما أتى بعدَه من قوله: ﴿وَقَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ﴾.

وتقدَّم القولُ في دخول «إلَّا» بعد «أبى» في سورة «براءة»[٤].

ورُوي في مقالتهم هذه أخبارٌ مطوَّلة هي في كتُبِ الحديثِ والسِّيَرِ مُلَخَّصُها أنَّ صناديدَ قريش اجتمعوا وسَيَّروا للنبيِّ ﷺ، فلمَّا جاءَ إليهم جَرَتْ بينهم محاوراتٌ في ترك دينهم وطلبه منهم أن يُوحِّدوا ويعبدوا الله، فأرغبوه بالمال والرئاسة والملك، فأبى، فقال: «لستُ أطلبُ ذلك»، فاقترحوا عليه الستَّ الآياتِ التي ذكرَها الله هنا.

ومناسبةُ هذه الآية لما قبلَها أنَّه تعالى لمَّا تحدَّاهم بأن يأتوا بمثل هذا القرآن فتبيَّنَ عجزُهم عن ذلك وإعجازُه، وانضمَّت إليه معجزاتٌ أُخرُ وبيِّناتٌ واضحة، فلزِمَتْهم الحجَّة وغُلِبُوا، أخذوا يتعلَّلون باقتراح آياتٍ فعلَ الحائرِ المبهوتِ المحجوجِ، فقالوا ما حكاه اللهُ عنهم[٥].

(١) في الكشاف ٢/ ٤٦٥.
(٢) في تفسيره ٢١/ ٥٥.
(٣) تفسير القرطبي ١٣/ ١٧٠.
(٤) عند تفسير الآية (٣٢) منها.
(٥) الكشاف ٢/ ٤٦٥ باختصار.

وقرأ الكوفيون: «تَفْجُرَ» من فَجَرَ مُخففاً، وباقي السبعة من «فَجَّرَ» مشدَّداً[١]، والتضعيف للمبالغة لا للتَّعدية[٢]. والأعمش وعبد الله بن مسلم بن يسار من «أفجر» رباعياً[٣]، وهي لغةٌ في «فجَرَ».

الأرضُ هنا أرض مكة، وهي الأرض التي فيها تصرُّفُ العالمين ومعاشُهم، رُويَ عنهم أنَّهم قالوا له: أزِلْ جبال مكة، وفجِّرْ لنا يَنبوعاً حتى يسهُلَ علينا الحرثُ والزرعُ، وأحيِي لنا قُصيًّا فإنه كان صدوقاً يُخبِرُنا عن صِدْقِكَ، اقترحوا لهم أولاً هذه الآية، ثم اقترحوا أخرى له عليه السلام أن تكون له جنةٌ من نخيلٍ وعنبٍ، وهما كانا الغالبَ على بلادهم، ومن أعظم ما يَقتَنُون[٤].

ومعنى «خلالها» أي: وسطَ تلكَ الجنة وأثناءَها، فتسقي ذلك النخلَ وتلكَ الكروم.

وانتصبَ «خلالَها» على الظرف.

وقرأ الجمهور: «تُسقِطَ» بتاء الخطاب مضارع «أسقط» «السماءَ» نصباً، ومجاهد بتاء الغَيبة مضارع «سقط» «السماءُ» رفعاً. وابنُ كثير، وأبو عمرو، وحمزة، والكِسائي: «كِسْفاً» بسكون السين [إلا في الروم]، وباقي السبعة بفتحِها[٥].

وقولهم: «كما زعمتَ» إشارةٌ إلى قوله تعالى: ﴿إِن نَّشَأۡ نَخۡسِفۡ بِهِمُ ٱلۡأَرۡضَ أَوۡ نُسۡقِطۡ عَلَيۡهِمۡ كِسَفٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِۚ﴾[٦] [سبأ: ٩]. وقيل: كما زعمتَ أنَّ ربَّكَ إنْ شاءَ فَعَلَ[٧]. وقيل: هو ما في هذه السورة من قوله: ﴿أَفَأَمِنتُمۡ أَن يَخۡسِفَ بِكُمۡ جَانِبَ ٱلۡبَرِّ أَوۡ يُرۡسِلَ عَلَيۡكُمۡ حَاصِبٗا﴾[٨].

---

(١) السبعة ص٣٨٤-٣٨٥، والتيسير ص١٤١.
(٢) المحرر الوجيز ٣/ ٤٨٤.
(٣) يعني: «تُفْجِرَ»، وهي قراءة شاذة. وعبد الله بن مسلم بن يسار: هو مولى طلحة بن عبيد الله ﷺ. طبقات ابن سعد ٧/ ٢٣٩.
(٤) ينظر سيرة ابن هشام ١/ ٢٩٥-٢٩٨، وتفسير الطبري ١٥/ ٨٧-٩٠.
(٥) المحرر الوجيز ٣/ ٤٨٥، وما بين حاصرتين منه. وينظر السبعة ص٣٨٥، والتيسير ص١٤١. وقراءة مجاهد في الشاذة ص٧٧، وآية الروم هي برقم (٤٨).
(٦) الكشاف ٢/ ٤٦٥-٤٦٦.
(٧) الوسيط ٣/ ١٢٧، وتفسير الرازي ٢١/ ٥٧.
(٨) تفسير الرازي ٢١/ ٥٧.

قال أبو علي: «قبيلاً»: معاينةً، كقوله: ﴿لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا﴾[١] [الفرقان: ٢١]. وقال غيرُه: «قبيلاً»: كفيلاً[٢]، من تقبَّلَه بكذا، إذا كفِلَه. والقَبيلُ والزَّعيمُ والكَفيلُ بمعنًى واحد[٣]. وقال الزمخشري[٤]: «قبيلاً»: كفيلاً بما تقول، شاهداً لصحَّتِه، والمعنى: أو تأتيَ بالله قبيلاً والملائكةِ قبيلاً، كقوله:

.... كنتُ منه ووالدي بريئاً[٥] ....

وإنِّي وقَيَّارٌ بها لَغريبُ[٦]

أو[٧]: مقابلاً، كالعشير بمعنى المعاشِر، ونحوه: ﴿لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا﴾ [الفرقان: ٢١]. أو جماعةً؛ حالاً من الملائكة.

وقرأ الأعرج: «قِبَلاً» من المقابلة.

وقرأ الجمهور: «من زُخْرُفٍ». وعبد الله: «من ذَهبٍ»، ولا تُحمَلُ على أنَّها قراءة؛ لمخالفة السَّواد، وإنَّما هي تفسير. وقال مجاهد: كنَّا لا ندري ما الزُّخرُفُ حتى رأيتُ في قراءة عبد الله: «من ذهب»[٨].

---

(١) تفسير الرازي ٢١/ ٥٨. وهذا ـ أيضاً ـ قول قتادة وابن جريج كما في تفسير الطبري ١٥/ ٨٣، والنكت والعيون ٣/ ٣٧٣، وزاد المسير ٥/ ٨٧.

(٢) ذكره القرطبي ١٣/ ١٧٦ عن ابن عباس والضحاك.

(٣) ينظر تفسير القرطبي ١١/ ٤٠٧.

(٤) في الكشاف ٢/ ٤٦٥.

(٥) البيت بتمامه هكذا:

رماني بأمرٍ كنتُ منه ووالدي بَريئاً ومن أجل الطويِّ رماني

وقائله عمرو بن أحمر الباهلي، وهو من شواهد سيبويه ١/ ٧٥، وهو في شرح الحماسة للمرزوقي ٢/ ٩٣٦. والطويُّ: البئر المطوية بالحجارة.

(٦) هذا عجز بيت صدره:

فمَنْ يكُ أمسى بالمدينةِ رَحْلُهُ

وقائله ضابئ بن الحارث البرجمي، وهو من شواهد سيبويه ١/ ٧٥، وهو في الأصمعيات ص١٨٤، وخزانة الأدب ١٠/ ٣١٢. وقيَّارٌ هنا: اسم جمل ضابئ.

(٧) المثبت من (ز١) و(د١)، وهو الموافق لما في الكشاف. وفي باقي النسخ: أي.

(٨) المحرر الوجيز ٣/ ٤٨٥. وقول مجاهد في معاني القرآن للنحاس ٤/ ١٩٥، وتفسير الرازي ٢١/ ٥٨، وأخرجه الطبري ١٥/ ٨٥، وهي قراءة شاذة.

وقال الزجّاج: الزُّخْرُف: الزينة[١]. وتقدَّم شرح الزُّخْرُف[٢].

و«في السماء» على حذف مضاف، أي: في معارج السماء[٣]، والظاهر أنَّ السماء هنا هي المِظَلَّة. وقيل: المرادُ إلى مكانٍ عالٍ، وكلّ ما علا وارتفعَ يُسمَّى سماءً؛ وقال الشاعر:

وقد يُسمَّى سماءً كلُّ مُرْتَفِعٍ وإنَّما الفضلُ حيثُ الشمسُ والقمرُ[٤]

قيل: وقائل هذه هو ابنُ أبي أميَّة، قال: لن نؤمنَ حتى تضعَ على السماء سُلَّماً، ثمَّ ترقى فيه وأنا أنظرُ حتى تأتيها، ثمَّ تأتي معك بصَكٍّ منشورٍ معه أربعةٌ من الملائكة يشهدون لكَ أنَّ الأمرَ كما تقول[٥]. ويَحْتَمِلُ أن يكون مجموعُ أولئك الصناديد قالوا ذلك، وغَيَّوا إيمانهم بحصول واحدٍ من هذه المقترحات. ويَحْتَمِلُ أن يكون كلُّ واحدٍ اقترح واحداً منها، ونُسِبَ ذلك للجميع؛ لرضاهم به. أو تكون «أو» فيها للتفصيل، أي: قال كلُّ واحدٍ منهم مقالةً مخصوصةً منها، وما اكتفَوا بالتَّغيية بالرُّقيّ في السماء حتى غَيُّوا ذلك بأن يُنزِّلَ عليهم كتاباً يقرؤونه.

ولمَّا تضمَّنَ اقتراحُهم ما هو مستحيلٌ في حقِّ الله تعالى وهو أن يأتي بالله والملائكة قَبيلاً، أمَرَه تعالى بالتسبيح والتنزيه عمَّا لا يليقُ به، ومن أن يقترح عليه ما ذكرتم، فقال: ﴿قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا﴾ أي: ما كنتُ إلَّا بشراً رسولاً، أي: من الله إليكم، لا مُقْتَرِحاً عليه ما ذكرتُم من الآيات.

وقال الزمخشري: وما كانوا يقصدون بهذه الاقتراحات إلَّا العنادَ واللَّجاج، ولو جاءتْهم كلُّ آية لقالوا: هذا سحر، كما قال عزَّ وعلا: ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَٰبًا فِى قِرْطَاسٍ﴾ [الأنعام: ٧]، ﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّواْ فِيهِ يَعْرُجُونَ﴾ [الحجر: ١٤]. وحين أنكروا الآيةَ الباقيةَ الَّتي هي القرآن وسائر الآيات وليست بدون

---

(١) معاني القرآن للزجاج ٣/ ٢٦٠، ونقله عنه الرازي في تفسيره ٢١/ ٥٨.

(٢) عند تفسير الآية (٢٤) من سورة يونس.

(٣) الكشاف ٢/ ٤٦٦.

(٤) ذكره صاحب زهر الأكم ٢/ ٩٠ من غير نسبة، ونسبه العماد الكاتب في خريدة القصر (٢/ ١١٧ قسم شعراء المغرب) إلى ابن اللبانة الداني الأندلسي.

(٥) الكشاف ٢/ ٤٦٦.

ما اقترحوه، بل هي أعظم لم يكن [إلى تبصرتهم سَبيلٌ][(١)]. انتهى.

وشَقُّ القمر أعظمُ من شقِّ الأرض، ونَبْعُ الماء من بين أصابعه أعظمُ من نبْعِ الماء من الحجر.

وقرأ ابن كثير، وابن عامر: «قال سبحان ربي» على الخبر[(٢)]، تعجَّبَ عليه الصلاة والسلام من اقتراحاتهم عليه، ونزَّه ربَّه عمَّا جوَّزوا عليه من الإتيان والانتقال، وذلك في حقِّ الله مستحيل.

«هل كنتُ إلَّا بشراً» مثلهم «رسولاً». والرسل لا تأتي إلَّا بما يُظهره اللهُ عليهم من الآيات، وليس أمرُها إليهم، إنَّما ذلك إلى الله[(٣)].

﴿وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓاْ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٤﴾ قُل لَّوْ كَانَ فِى ٱلْأَرْضِ مَلَٰٓئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكًا رَّسُولًا ﴿٩٥﴾ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿٩٦﴾ وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِهِۦ ۖ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا ۖ مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا ﴿٩٧﴾ ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُم بِأَنَّهُمْ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٩٨﴾ ۞ أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَّا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى ٱلظَّٰلِمُونَ إِلَّا كُفُورًا ﴿٩٩﴾﴾.

الظاهر أنَّ قولَه: «وما منع الناس» إخبارٌ من الله تعالى عن السبب الضعيف الذي منعهم من الإيمان إذْ ظهرَ لهم المُعجِزُ وهو استبعاد أن يبعثَ اللهُ رسولاً إلى الخلق واحداً منهم، ولم يكن مَلَكاً، وبعد أن ظهرَ المُعجِزُ فيجب الإقرار والاعتراف برسالته، فقولُهم: لا بُدَّ أن يكون من الملائكة، تحكُّمٌ فاسدٌ، ويظهر من كلام ابن عطيَّة[(٤)] أنَّ قوله: «وما منع الناس» هو من قول الرسول ﷺ؛ قال هذه الآية على معنى التوبيخ والتلهُّف من النبيِّ عليه الصلاة والسلام والبشرِ، كأنَّه

(١) ما بين حاصرتين من (ح) وحدها، وهو في الكشاف، وقد ترك مكانه فراغ في بعض النسخ.
(٢) المحرر الوجيز ٣/ ٤٨٥. وينظر السبعة ص٣٨٥، والتيسير ص١٤١.
(٣) الكشاف ٢/ ٤٦٦ بنحوه.
(٤) في المحرر الوجيز ٣/ ٤٨٦.

يقول متعجِّباً منهم: ما شاء الله كان، ما منعَ الناسَ أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى إلَّا هذه العلةُ النَّزِرة، والاستبعادُ الذي لا يستند إلى حُجَّةٍ، وبعثةُ البشرِ رسلاً غيرُ بِدْعٍ ولا غريبٍ، فبها يقعُ الإفهام والتمكُّن من النظر، كما لو كان في الأرض ملائكةٌ يسكنونها مطمئنين، أي: وَادِعِين فيها مقيمين[١]، لكان الرسولُ إليهم من الملائكة ليقع الإفهام، وأمَّا البشر فلو بُعِثَ إليهم مَلَكٌ لنفرَتْ طبائعُهم من رؤيته، ولم تحتمِلْه أبصارُهم، ولا تجلَّدتْ[٢] له قلوبُهم، وإنَّما اللهُ أجرى أحوالَهم على معتادها. انتهى.

و«أن يؤمنوا» في موضع نصب، و«أن قالوا» في موضع رفع[٣]، و«إذ» ظرف، العاملُ فيه «منع»[٤].

و«الناس»: كفارُ قريش القائلونَ تلك المقالات السابقة، و«الهدى»: هو القرآن ومَنْ جاء به، وليس المرادُ مجرَّدَ القول، بل قولُهم الناشئ عن اعتقادهم.

والهمزة في «أبعَثَ» للإنكار[٥]. و«رسولاً» ظاهرُه أنَّهُ نعت، ويجوز أن يكون «رسولاً» مفعولَ «بعَثَ»، و«بشراً» حالٌ متقدِّمة عليه، أي: أبعَثَ اللهُ رسولاً في حال كونِه بشراً، وكذلك يجوز في قوله: «ملكاً رسولاً» أي: لنزَّلنا عليهم من السماء رسولاً في حالِ كونهِ ملَكاً.

وقوله: «يمشون» يتصرَّفون فيها بالمشي، وليس لهم صعودٌ إلى السماء فيسمعوا من أهلها ويعلمون ما يجب عِلْمُهُ، بل هم مقيمون في الأرض يلزمهم ما يلزم المُكَلَّفين من عباداتٍ مخصوصةٍ وأحكامٍ لا يُدرَكُ تفصيلُها بالعقل، «لنزَّلنا عليهم» من جنسهم من يُعلمُهم ذلك ويُلقيه إليهم.

ولمَّا دعاهم ﷺ إلى الإيمان وتحدَّى على صِدْقِ نبوَّتِه بالمُعجِز الموافِق لدعواه، أمرَه تعالى أن يُعْلِمَهم بأنَّه تعالى هو الشهيدُ بينه وبينهم على تبليغه وما قام

(١) عبارة «أي: وادعين فيها مقيمين» من (ز١) و(يه) و(د١)، والمحرر الوجيز.
(٢) تحرفت في (يه) إلى: ولا تجتذب.
(٣) معاني القرآن للفراء ٢/ ١٣٢، ومشكل إعراب القرآن ١/ ٤٣٤-٤٣٥.
(٤) إملاء ما منَّ به الرحمن ٢/ ٩٧.
(٥) الكشاف ٢/ ٤٦٦.

به من أعباء الرسالة وعدم قبولهم وكفرهم وما اقترحوا عليه من الآيات على سبيل العناد، وأردف ذلك بما فيه تهديدٌ، وهو قوله: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًا﴾ بخفيَّات أسرارهم ﴿بَصِيرًا﴾ مطلقاً على ما يظهر من أفعالهم وأقوالهم.

والظاهر أن قولَه: ﴿وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ﴾ إخبارٌ من الله تعالى وليس مندرجاً تحت «قل» لقوله: «ونحشرهم»، ويَحتمِلُ أن يكون مندرجاً، لمجيء «وَمَنْ» بالواو، ويكون «ونحشرهم» إخباراً من الله تعالى، وعلى القول الأوّل يكون التفاتاً؛ إذ خرج من الغَيْبةِ للتكلُّم. ولمَّا تقدَّم دعوةُ الرسول إلى الإيمان وتحدَّى بالمعجز الذي آتاه الله، ولَجُّوا في كفرهم وعنادهم، ولم يجِدْ فيهم ما جاء به من الهدى، أخبرَ بأنَّ ذلك كلَّه راجعٌ إلى مشيئته تعالى، وأنَّه هو الهادي، وهو المُفضّل، فسلَّاهُ تعالى بذلك، وأخبر تعالى على سبيل التهديدِ لهم والوعيدِ الصِّدقِ بحالهم وقتَ حشْرِهم يوم القيامة.

وقال الزمخشريُّ: ﴿وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ﴾: ومن يُوفِّقه ويلطف به فهو المهتدي؛ لأنَّه لا يلطف إلَّا بمن عرفَ أنَّ اللُّطفَ ينفَعُ فيه، ﴿وَمَن يُضْلِلْ﴾: ومَن يخذل ﴿فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَآءَ﴾ أنصاراً. انتهى. وهو على طريقة الاعتزال.

«ومَنْ» مفعول بـ «يَهْدِ» وبـ «يُضْلِلْ»، وحُمِلَ على اللفظ في قوله: ﴿فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ﴾، فأفردَ ملاحظةً لسبيل الهدى وهي واحدة، فناسب التوحيدُ التوحيدَ، وحُمِلَ على المعنى في قوله: ﴿فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَآءَ﴾ لا على اللفظ ملاحظةً لسبيل الضلال، فإنَّها مُتشعِّبة متعدِّدة، فناسب التشعيبُ والتعديدُ الجمعَ، وهذا من المواضع التي جاء فيها الحمل على المعنى ابتداءً من غير أن يتقدَّم الحمل على اللفظ وهي قليلة في القرآن.

والظاهر أنَّ قولَه: «على وجوههم» حقيقةٌ، كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِى ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ﴾ [القمر: ٤٨]، ﴿ٱلَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ﴾ [الفرقان: ٣٤]، وفي هذا حديثٌ؛ قيل: يا رسول الله، كيف يمشي الكافرُ على وجهه؟ قال: «أليس الذي أمشاه في الدنيا على رِجْلَيْن قادراً أن يُمشيَه في الآخرة على وجهه؟» قال قَتادة: بلى وعِزَّةِ ربِّنا[1].

---

(١) الكشاف ٢/٤٦٧، وتفسير الرازي ٢١/ ٦٠-٦١ دون قول قتادة، ونقله القرطبي بنحوه =

وقيل: «على وجوههم» مَجازٌ، يُقال للمنصرف عن أمرٍ خائباً مهموماً: انصرفَ على وجهِه، ويُقال للبعير: كأنَّما يمشي على وجهه[١]. وقيل: هو مَجازٌ عن تَسَحُّبِهم على وجوهِهم على سرعةٍ، من قول العرب: قدم القومُ على وجوههم؛ إذا أسرعوا[٢].

والظاهرُ أنَّ قوله: ﴿عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا﴾ هو حقيقة، وذلك عند قيامهم من قبورهم، ثمَّ يَرُدُّ اللهُ إليهم أبصارَهم وسمعَهم ونُطْقَهم، فيَرَون النار، ويسمعون زفيرَها، وينطقون بما حكى الله عنهم.

وقيل: هي استعارات إمَّا لأنَّهم من الحَيْرةِ والذُّهول يُشبهون أصحابَ هذه الصفات، وإمَّا من حيث لا يرون ما يسرُّهم ولا يسمعونه ولا ينطقون بحُجَّة[٣].

وقال الزمخشري[٤]: كما كانوا في الدنيا لا يستبصرون ولا ينطقون بالحقِّ ويتصامُّون عن سماعه، فهم في الآخرة كذلك لا يُبصرون ما يُقِرُّ أعيُنَهم، ولا يسمعون ما يُلِذُّ أسماعَهم، ولا ينطقون بما يُقبَلُ منهم ﴿وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلْأَخِرَةِ أَعْمَىٰ﴾. انتهى. وهذا قول ابن عباس والحسن؛ قالا بالمعنى: عُمياً عمَّا يسرُّهم، بُكماً عن التكلُّم بحُجَّةٍ، صُمًّا عمَّا ينفعهم[٥]. وقيل: عُمياً عن النظر إلى ما جعل اللهُ لأوليائه، بُكماً عن مخاطبة الله، صُمًّا عمَّا مدحَ اللهُ به أولياءه[٦].

وانتصبَ «عُمياً» وما بعده على الحال، والعامل فيها «نحشرهم»[٧].

= ١٣/ ١٧٨-١٧٩ مع قول قتادة. والحديث أخرجه البخاري (٤٧٦٠)، ومسلم (٢٨٠٦)، وأحمد (١٣٣٩٢) من حديث أنس ﷺ، وأخرجه أحمد (٨٦٤٧) من حديث أبي هريرة ﷺ.

(١) المحرر الوجيز ٣/ ٤٨٦.
(٢) النكت والعيون ٣/ ٢٧٤-٢٧٥.
(٣) المحرر الوجيز ٣/ ٤٨٦.
(٤) في الكشاف ٢/ ٤٦٧.
(٥) تفسير القرطبي ١٣/ ١٧٩.
(٦) تفسير الرازي ٢١/ ٦١.
(٧) إملاء ما منَّ به الرحمن ٢/ ٩٦.

وقيل: يحصل لهم ذلك حقيقةً عند قوله: ﴿قَالَ ٱخۡسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾[١] [المؤمنون: ١٠٨] فعلى هذا تكون حالاً مُقدَّرةً؛ لأنَّ ذلك لم يكن مُقارناً لهم وقتَ الحشر.

﴿كُلَّمَا خَبَتۡ﴾ قال ابن عباس: كلَّما فرَغَتْ من إحراقهم فيسكنُ اللهيبُ القائمُ عليهم قَدْر ما يُعادُونَ، ثم يثور، فتلك زيادة السعير، فالزيادة في حيِّزهم، وأمَّا جهنم فعلى حالها من الشدَّة لا يُصيبها فُتور[٢]. فعلى هذا يكون «خَبَتْ» مجازاً عن سكون لهَبِها مقدارَ ما تكون إعادتهم، كأنَّهم لمَّا كذبوا بالإعادةِ بعد الإفناءِ جعلَ الله جزاءَهم أنْ سلَّطَ النَّارَ على أجزائهم تأكلُها وتُفنيها ثمَّ يُعيدها، لا يزالون على الإفناء والإعادة؛ ليَزيدَ ذلك في تحسيرهم على تكذيبهم، ولأنَّه أدخل في الانتقام من الجاحد، وقد دلَّ على ذلك بقوله: ﴿ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُم﴾[٣].

والإشارة بـ«ذلك» إلى ما تقدَّم من حَشْرِهم على تلك الحال وصَيرورتهم إلى جهنَّمَ والعذابِ فيها.

والآياتُ تعمُّ القرآنَ والحُجَجَ التي جاء بها الرسولُ ﷺ، ونَصَّ على إنكار البعث، إذ هو طعنٌ في القدرة الإلهية، وهذا مع اعترافهم بأنَّه تعالى مُنشئُ العالم ومُخترِعُه، ثمَّ إنَّهم يُنكرون الإعادة، فصار ذلك تعجيزاً لقدرته، وتقدَّم الكلامُ على قوله: ﴿وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمٗا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ خَلۡقٗا جَدِيدٗا ﴿٤٩﴾﴾ في هذه السورة[٤]، فأغنى عن إعادته.

ولمَّا أنكروا البعثَ نبَّههم تعالى على عظيم قُدرتِه وباهرِ حكمتِه، فقال: ﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ﴾ وهو استفهام إنكارٍ وتوبيخٍ لهم على ما كانوا يستبعدونه من الإعادة، واحتجاجٌ عليهم بأنَّهم قد رأوا قدرةَ الله على خلق هذه الأجرام العظيمة التي بعضُ ما تحويه البَشَرُ، فكيف يُقِرُّون بخلق هذا المخلوق العظيم، ثم يُنكِرون إعادةَ بعضٍ

---

(١) تفسير الثعلبي ٤/ ٨٣-٨٤، والنكت والعيون ٣/ ٢٧٥، وتفسير الرازي ٢١/ ٦١ عن مقاتل بن سليمان.
(٢) المحرر الوجيز ٣/ ٤٨٧.
(٣) الكشاف ٢/ ٤٦٧.
(٤) عند تفسير الآية (٤٩).

ممَّا حَلَّهُ وذلك ممَّا لا يُحيله العقل، بل هو ممَّا يُجوِّزه، ثمَّ أخبر الصادقُ بوقوعِه، فوجَبَ قبولُه.

والرؤيةُ هنا رؤية القلب[١]، وهي العلم. ومعنى «مِثْلَهم» من الإنس؛ لأنَّهم ليسوا أشدَّ خلقاً منهنَّ، كما قال: ﴿ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ﴾ [النازعات: ٢٧]، وإذا كان قادراً على إنشاء أمثالِهم من الإنس من العدَم الصِّرْفِ فهو قادرٌ على أن يُعيدَهم كما قال: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ [الروم: ٢٧]، وعطف قولَه: ﴿وَجَعَلَ لَهُمْ﴾ على قوله: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟﴾؛ لأنَّه استفهامٌ تضمَّنَ التقريرَ والمعنى: قد علِموا بدليل العقل كَيْتَ وكَيْتَ، و«جعل لهم» أي: للعالمين ذلك «أجلاً لا ريبَ فيه» وهو الموت أو القيامة[٢]. وليس هذا الجَعْلُ داخلاً[٣] في الاستفهام المتضمِّن التقرير إن كان الأجَلُ القيامةَ؛ لأنَّهم مُنكِروها، وإذا كان الأجلُ الموتَ فهو اسمُ جنسٍ واقعٌ موقعَ آجال[٤].

﴿فَأَبَى ٱلظَّـٰلِمُونَ﴾ وهم الواضعون الشيء غير موضعه على سبيل الاعتداء ﴿إِلَّا كُفُورًا﴾: جحوداً لِما أتى به الصادقُ من توحيد الله وإفراده بالعبادة، وبَعْثِهم يوم القيامة للجزاء.

﴿قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحْمَةِ رَبِّىٓ إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ ٱلْإِنفَاقِ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَـٰنُ قَتُورًا ﴿١٠٠﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَـٰتٍۭ بَيِّنَـٰتٍ ۖ فَسْـَٔلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِذْ جَآءَهُمْ فَقَالَ لَهُۥ فِرْعَوْنُ إِنِّى لَأَظُنُّكَ يَـٰمُوسَىٰ مَسْحُورًا ﴿١٠١﴾ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَـٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّى لَأَظُنُّكَ يَـٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ﴿١٠٢﴾ فَأَرَادَ أَن يَسْتَفِزَّهُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَـٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ جَمِيعًا ﴿١٠٣﴾ وَقُلْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ لِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱسْكُنُوا۟ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْـَٔاخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ﴿١٠٤﴾﴾.

مناسبة قوله: ﴿قُل لَّوْ أَنتُمْ﴾ الآية، أنَّ المشركين قالوا: ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا﴾ فطلبوا إجراء الأنهار والعيون في بلدهم، لتكثُرَ أقواتُهم،

---

(١) المحرر الوجيز ٣/ ٤٨٧.
(٢) الكشاف ٢/ ٤٦٧ باختصار.
(٣) في (أ) و(ح) و(د٢) و(ع): واحداً، والمثبت من باقي النسخ.
(٤) المحرر الوجيز ٣/ ٤٨٧.

وتَتَّسعَ عليهم، فبيَّن تعالى أنَّهم لو ملكوا خزائنَ رحمةِ الله لبَقُوا على بُخلِهم وشُحِّهم، ولَما قَدِموا على إيصال النفع لأحد، وعلى هذا فلا فائدةَ في إسعافهم بما طلبوا. هذا ما قيل في ارتباط هذه الآية. وقاله العسكري.

والذي يظهرُ لي أنَّ المناسبَ هو أنَّه عليه السلام قد منحه اللهُ ما لم يمنَحْه لأحدٍ من النبوة والرسالة إلى الإنسِ والجنِّ، فهو أحرَصُ الناس على إيصال الخير إليهم[1] وإنقاذِهم من الضلال، يُثابر على ذلك ويُخاطر بنفسه في دعائهم إلى الله، ويعرض ذلك على القبائل وأحياء العرب سمحاً بذلك، لا يطلب منهم أجراً، وهؤلاء أقرباؤه لا يكادُ يجيبُ منهم أحدٌ إلَّا الواحد بعد الواحد قد لَجُّوا في عناده وبغضائه فلا يصِلُ منهم إليه إلَّا الأذى، فنبَّه تعالى بهذه الآية على سماحتِه عليه السلام وبذلِه ما آتاه اللهُ، وعلى امتناع هؤلاء أن يصلَ منهم شيءٌ من الخير إليه، فقال: لو ملكوا التصرُّفَ في خزائن رحمة الله التي هي وسِعَتْ كلَّ شيء كانوا أبخلَ من كلِّ أحدٍ بما أُوتوه من ذلك بحيث لا يصِلُ منهم لأحدٍ شيءٌ من النفع؛ إذ طبيعتُهم الإقتار وهو الإمساك عن التوسُّع في النفقة، هذا مع ما أُوتوه من الخزائن، فهذه الآيةُ جاءت مبيِّنةً تُبيِّنُ ما بينَهم وبينَه عليه الصلاة والسلام من حرصِه على نفعِهم، وعدم إيصال شيءٍ من الخير منهم إليه.

والمُسْتَقْرَأ في «لو» التي هي حرفٌ لِما كان سَيَقَعُ لوقوعِ غيرِه أن يليها الفِعْلُ إمَّا ماضياً وإمَّا مُضارعاً، كقوله: ﴿لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَـٰهُ حُطَـٰمًا﴾ [الواقعة: ٦٥]، أو منفياً بـ «لم» أو «إنْ»[2]. وهنا في قوله: ﴿قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ﴾ وَلِيَها الاسمُ، فاختلفوا في تخريجه؛ فذهب الحَوْفيُّ، والزمخشريُّ[3]، وابنُ عطية[4]، وأبو البقاء[5]، وغيرُهم[6] إلى أنَّه مرفوعٌ بفِعْلٍ محذوفٍ يُفَسِّره الفعلُ بعده، ولمَّا حُذِفَ ذلك الفِعلُ وهو «تَملِكُ» انفصلَ الضميرُ وهو الفاعلُ بـ «تَمْلِكُ»، كقوله:

---

(١) كلمة «إليهم» من (ز١) و(د١).

(٢) ينظر ما تقدم عند تفسير الآية (٢٠) من سورة البقرة، والآية (١٠٠) من سورة الأعراف.

(٣) في الكشاف ٢/ ٤٦٨.

(٤) في المحرر الوجيز ٣/ ٤٨٨.

(٥) في الإملاء ٢/ ٩٧.

(٦) منهم مكي بن أبي طالب في مشكل إعراب القرآن ١/ ٤٣٥.

وإنْ هو لم يحمِلْ على النَّفْسِ ضَيْمَها[١]

التقدير: وإن لم يحمِلْ، فحُذِفَ «لم يحمل» وانفصل الضميرُ المستكِنُّ في «يحمل» فصار «هو»، وهنا انفصلَ الضميرُ المتصلُ البارزُ وهو الواو، فصار «أنتم»، وهذا التخريج بناءً على أنَّ «لو» يليها الفعلُ ظاهراً ومُضمَراً في فصيح الكلام، وهذا ليس بمذهب البصريين. قال الأستاذ أبو الحسن بن عصفور: لا تلي «لو» إلَّا الفعلَ ظاهراً، ولا يليها مُضمَراً إلَّا في ضرورةٍ أو في نادرِ كلامٍ، مثل ما جاء في المَثَلِ من قولهم: لو ذاتُ سوارٍ لطمَتْني[٢].

وقال شيخنا الأستاذ أبو الحسن بن الضائع: البصريُّون يُصرِّحون بامتناع: لو زيدٌ قامَ لأكرمتُه؛ على الفصيح، ويُجيزونه شاذًا، كقولهم: لو ذاتُ سِوارٍ لَطَمَتْني، وهو عندهم على فعلٍ مُضْمَرٍ كقوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ﴾ [التوبة: ٦] فهو من باب الاشتغال. انتهى. وخرَّجَ ذلك أبو الحسن عليُّ بنُ فضَّالٍ المُجاشعي[٣] على إضمار «كان»، والتقدير: قُلْ لو كنتم أنتم تملكون، فظاهر هذا التخريج أنَّه حذفَ «كنتم» برُمَّته، وبقي «أنتم» توكيداً لذلك الضمير المحذوف مع الفعل، وذهب شيخنا الأستاذ أبو الحسن ابن الصائغ إلى حذف «كان»، فانفصلَ اسمُها الذي كان متَّصلاً بها، التقدير: قُلْ لو كنتم تملكون، فلمَّا حذف الفعل انفصل المرفوع. وهذا التخريج أحسن؛ لأنَّ حذْفَ «كان» بعد «لو» معهودٌ في لسان العرب.

و«الرحمةُ» هنا الرزقُ وسائرُ نِعَمِه على خلقِه[٤].

---

(١) قائله السموءل، وسلف عند تفسير الآية (٨٦) من سورة البقرة، وعجزه: فليسَ إلى حُسْنِ الثَّناءِ سبيلُ.

(٢) قائله حاتم الطائي كما في الكشاف ٢/ ٤٦٧، والمَثَلُ في الأمثال لأبي عبيد ص٢٦٨، وجمهرة الأمثال ٢/ ١٩٣، والمستقصى ٢/ ٢٩٧، وذكره المبرد في الكامل ١/ ٣٦٣، والمقتضب ٣/ ٧٧ وقال فيه: والصحيح في روايتهم - يعني العرب -: لو غيرُ ذاتِ سوارٍ لطمتني.

(٣) القيرواني، التميمي، إمام في النحو، مفسِّر، له مصنفات منها كتاب «الإكسير في التفسير»، و«البرهان» في التفسير أيضاً، توفي سنة (٤٧٩هـ). ينظر السير ١٨/ ٥٢٨-٥٢٩.

(٤) الكشاف ٢/ ٤٦٨.

والكلام على ﴿إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ﴾ تقدَّم نظيرُه في قوله: ﴿إِذًا لَّأَذَقْنَٰكَ﴾ [الإسراء: ٧٥].

و«خشيةَ» مفعول من أجله، والظاهرُ أنَّ الإنفاق على مشهورِ مدلوله، فيكون على حذف مضاف، أي: خشيةَ عاقبةِ الإنفاق، وهو النَّفاد[١].

وقال أبو عبيدة: أنفقَ وأملقَ وأعدمَ وأصرمَ بمعنًى واحد[٢]، فيكون المعنى: خشيةَ الافتقار.

والقَتور: المُمْسِك البخيل[٣]، و«الإنسان» هنا للجنس.

ولمَّا حكى اللهُ تعالى عن قريشٍ ما حكى من تعنُّتِهم في اقتراحِهم وعِنادِهم للرسول ﷺ سلَّاه تعالى بما جرى لموسى مع فرعون ومع قومه من قولهم: ﴿نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً﴾ [البقرة: ٥٥] إذ قالت قريش: ﴿أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ﴾ [الإسراء: ٩٢]، وقالت: ﴿أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا﴾ [الفرقان: ٢١]، وسكَّنَ قلبَه، ونبَّه على أنَّ عاقبتَهم للدمار والهلاك، كما جرى لفرعون إذ أهلكَه اللهُ ومَنْ معه.

و«تسع آيات»: قال ابن عباس وجماعةٌ من الصحابة: هي اليد البيضاء، والعصا، والطُّوفان، والجراد، والقُمَّل، والضفادِع، والدم. هذه سبعٌ باتفاق، وأمَّا الثِّنتان فعن ابن عباس: لسانه كان به عُقْدةٌ فحلَّها الله، والبحر الذي فلقَ له. وعنه أيضاً: البحر والجبل الذي نتَقَ عليهم. وعنه أيضاً: السِّنون ونقص من الثمرات. وقاله مجاهد، والشَّعبي، وعكرمة، وقَتادة. وقال الحسن: السِّنون ونقصُ الثمرات آيةٌ واحدة. وعن الحسن ووهب: البحر والموت أُرسِلَ عليهم. وعن ابن جُبير: الحجر والبحر. وعن محمد بن كعب: البحر والسِّنون[٤].

---

(١) المحرر الوجيز ٣/ ٤٨٨.

(٢) ينظر معاني القرآن للنحاس ٤/١٩٨.

(٣) تفسير أبي الليث ٢/ ٢٨٥، وتفسير البغوي ٣/ ١٣٩، وزاد المسير ٥/ ٩١. وأخرجه الطبري ١٥/ ٩٩ عن قتادة.

(٤) زاد المسير ٥/ ٩٢. وقول ابن عباس في تفسير الثعلبي ٤/ ٨٥، والنكت والعيون ٤/ ٨٥، وتفسير أبي الليث ٢/ ٢٨٥، وتفسير البغوي ٣/ ١٣٩، وهو فيه: عن مجاهد والشعبي وعكرمة وقتادة، ومثله في تفسير البغوي دون ذكر الشعبي. وأخرجه عن ابن عباس =

وقيل: «تسع آياتٍ» هي من الكتاب، وذلك أن يهودياً قال لصاحبه: تعالَ حتى نسألَ هذا النبيَّ. فقال الآخر: لا تقُلْ: إنَّه نبيٌّ، فإنَّه لو سمع كلامَكَ صارَتْ له أربعةُ أعْيُنٍ. فأتَيَاه وسألاه عن تسعِ آياتٍ بيِّناتٍ، فقال: «لا تُشركوا بالله شيئاً، ولا تأكلوا الرِّبا، ولا تمشوا ببريءٍ إلى سلطانٍ ليقتُلَه، ولا تسخروا، ولا تقذِفوا المحصنات، ولا تفِرُّوا من الزَّحف، وعليكم خاصةً يهودَ أنَّ لا تعتدوا في السبت». قال: فقبَّلا يدَه وقالا: نشهدُ أنَّكَ نبيٌّ. فقال: «ما منعَكُما أن تُسْلِما؟» قالا: إنَّ داود دعا الله أن لا يزالَ في ذرِّيته نبيٌّ، وإنَّا نخافُ إنْ أسلَمْنا أن تقتُلَنا اليهود. قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح[(١)].

وقرأ الجمهور: [«فاسأَلْ بني إسرائيل». وقرأ الكسائي:] «فَسَلْ» وبنو إسرائيل معاصروه، و«فَسَلْ» معمولٌ لقولٍ محذوفٍ، أي: فقلنا: سَلْ، والظاهر أنَّه خطابٌ للرسول محمد ﷺ؛ أمرَه أن يسألهم عمَّا أعلَمَه به من غيبِ القصة، ثم قال: «إذ جاءهم» يريد آباءهم، وأدخلهم في الضمير إذ هم منهم[(٢)].

وقال الزمخشري[(٣)]: سَلْهم عن إيمانهم، وعن حال دينهم، أو سَلْهم أن يُعاضدوك وتكونَ قلوبُهم وأيديهم معك، ويدلُّ عليه قراءةُ رسول الله ﷺ: «فسَالَ بني

= عبد الرزاق في تفسيره ١/ ٣٩٠، والطبري ١٥/ ١٠١-١٠٢. وأخرجه عن الشعبي الطبري ١٥/ ١٠١. وقول الحسن الأول أخرجه عبد الرزاق ١/ ٣٩١، والطبري ١٥/ ١٠٢. وقول محمد بن كعب في تفسير البغوي، وتفسير الثعلبي وفيه: الطمس، بدل: السنون، والنكت والعيون، وفيه: الطمس، بدل: البحر. وتنظر هذه الأقوال في المحرر الوجيز ٣/ ٤٨٨ على اختلاف في نسبتها إلى أصحابها.

(١) ينظر الحديث في المصادر السابقة، وهو في سنن الترمذي (٢٧٣٣) من طريق عبد الله بن سَلِمة، عن صفوان بن عسَّال ﷺ، وتتمة كلام الترمذي: وهو حديث مشكل، وعبد الله بن سَلِمة في حفظه شيء، وقد تكلَّموا فيه، ولعله اشتبه عليه التسع آيات بالعشر الكلمات؛ فإنها وصايا في التوراة، لا تعلُّق لها بقيام الحجة على فرعون، والله أعلم. قلت: والحديث أخرجه أحمد (١٨٠٩٢)، والنسائي ٧/ ١١١، وفي الكبرى (٣٥٢٧)، وابن ماجه (٣٧٠٥).

(٢) المحرر الوجيز ٣/ ٤٨٨، وما بين حاصرتين منه. قلت: وقراءة ابن كثير من السبعة بمثل قراءة الكسائي: «فَسَلْ»، وكذا قرأها خلف من العشرة. وينظر السبعة ص٢٣٢، والتيسير ص٩٥، والنشر ١/ ٤١٤.

(٣) في الكشاف ٢/ ٤٦٨.

إسرائيل» على لفظ الماضي بغير همز، وهي لغة قريش. وقيل: فسَلْ يا رسولَ اللهِ المؤمنينَ من بني إسرائيل - وهم عبدُ الله بن سلام وأصحابُه - عن الآيات؛ لتزدادَ يقيناً وطمأنينَةَ قلْبٍ؛ لأنَّ الدّلالةَ إذا تظافرت كان ذلك أقوى وأثبت، كقول إبراهيم عليه السلام: ﴿وَلَٰكِن لِّيَطۡمَئِنَّ قَلۡبِيۖ﴾ [البقرة: ٢٦٠]. انتهى.

وهذا القول هو الأول، وهو ما أعلَمُه به من غيب القصة، ولمَّا كان مُتعلَّقُ السؤال محذوفاً احتملَ هذه التقديرات.

والظاهر أنَّ الأمر بالسؤال لبني إسرائيل هو حقيقة.

وقال ابن عطية[١] ما معناه: يَحتمِلُ أن يكون السؤالُ عبارةً عن تَطَلُّبِ أخبارهم، والنظرِ في أحوالهم وما في كتبهم، نحو قوله: ﴿وَسۡـَٔلۡ مَنۡ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رُّسُلِنَآ﴾ [الزخرف: ٤٥] جعل النظرَ والتطلُّبَ مُعبَّراً عنه بالسؤال؛ ولذلك قال الحسن: سؤالُكَ إيَّاهم نظَرُكَ في القرآن.

والظاهرُ أنَّ «إذ» معمولةٌ لـ «آتينا» أي: آتينا حين جاء آباءَهم.

وقال الزمخشري[٢]: فإنْ قلتَ: بِمَ تعلَّق «إذ جاءهم»؟ قلتُ: أمَّا على الوجه الأول فبالقول المحذوف، أي: فقلنا له: سَلْهم حين جاءهم، وأمَّا على الآخر فبـ «آتينا» أو بإضمار «اذكُرْ» أو «يُخبرونك». انتهى.

ولا يتأتَّى تعلُّقُه بـ «اذكُرْ» ولا بـ «يُخبرونك»؛ لأنه ظرفٌ ماضٍ.

وقراءة «فسال» مرويَّةٌ عن ابن عباس، قال ابن عباس: كلامٌ محذوفٌ، وتقديره: فسال موسى فرعونَ بني إسرائيل، أي: طلبَهم ليُنجِيَهم من العذاب[٣]. انتهى. وعلى قراءة «فسَلْ» يكون التقدير: فقلنا له: سَلْ بني إسرائيل: أي: سَلْ فرعونَ إطلاقَ بني إسرائيل.

وقال أبو عبد الله الرازي[٤]: «فسَلْ بني إسرائيل» اعتراضٌ في الكلام،

(١) في المحرر الوجيز ٣/ ٤٨٨-٤٨٩.
(٢) في الكشاف ٢/ ٤٦٨.
(٣) المحرر الوجيز ٣/ ٤٨٩، وقراءة ابن عباس ذكرها الطبري ١٥/ ١٠٥، وهي في الشاذة ص٧٧.
(٤) في تفسيره ٢١/ ٦٤-٦٥.

والتقدير: ولقد آتينا موسى تسعَ آيات بيناتٍ إذ جاء بني إسرائيل فسألهم. وليس المطلوبُ من سؤال بني إسرائيل أن يستفيد هذا العِلْمَ منهم، بل المقصودُ أن يظهرَ لعامَّةِ اليهودِ صِدْق ما ذكَرَه الرسولُ عليه السلام، فيكون هذا السؤالُ سؤالَ استشهاد. انتهى.

وعلى قراءة «فسالَ» ماضياً، وقدَّره: فسالَ فرعونَ بني إسرائيل، يكون المفعولُ الأولُ لـ«سَالَ» محذوفاً، والثاني هو بني إسرائيل، وجاز أن يكون من الإعمال؛ لأنَّه توارَدَ على فرعون «سال». ويُقال: فأعمَلَ الثانيَ على ما هو أرجح.

والظاهر أنَّ قوله: ﴿مَسْحُورًا﴾ اسم مفعول، أي: قد سُحِرتَ، فكلامُك هذا مُختَلٌّ، وما تأتي به غيرُ مستقيم، وهذا خطابُ تنقيصٍ[(١)]. وقال الفرَّاء والطبريُّ: مفعول بمعنى فاعل، أي: ساحراً، فهذه العجائب التي تأتي بها من أمر السحر. وقالوا: مفعول بمعنى فاعل كـ: مشؤوم وميمون، وإنَّما هو شائمٌ ويامِنٌ[(٢)].

وقرأ الجمهور: «لقد علمتَ» بفتح التاء على خطاب موسى لفرعون[(٣)] وتبكيتِهِ في قوله عنه أنَّه مسحور، أي: قد علمتَ أنَّ ما جئتُ به ليس من باب السحر، ولا أنِّي خُدِعْتُ في عقلي، بل علمتَ أنَّه ما أنزلها إلَّا الله، وما أحسنَ ما جاء به من إسناد إنزالها إلى لفظ «ربّ السماوات والأرض» إذ هو لمَّا سأله فرعونُ في أول محاورتِه فقال له: ﴿وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الشعراء: ٢٣-٢٤] يُنبِّهه على نقصِه وأنَّه لا تصرُّفَ له في الوجود، فدَعواهُ الربوبيةَ دعوى استحالة، فبكَّتَه وأعلَمَه أنَّه يعلمُ آياتِ الله ومَنْ أنزلها، ولكنَّه مكابرٌ مُعانِد، كقوله: ﴿وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ [النمل: ١٤]. وخاطبه بذلك على سبيل التوبيخ؛ أي: أنتَ بحالِ مَنْ يعلمُ هذا، وهي من الوضوح بحيثُ تعلَمُها، وليس خطابُه على جهةِ إخبارِه عن عِلْمِه[(٤)].

(١) المحرر الوجيز ٣/ ٤٨٩.

(٢) الكلام بنحوه في تفسير القرطبي ١٣/ ١٨٣، وببعضه في تفسير البغوي ٣/ ١٤٠، والمحرر الوجيز ٣/ ٤٨٩، وتفسير الرازي ٢١/ ٦٥. وينظر كلام الطبري في تفسيره ١٥/ ١٠٦.

(٣) الوسيط للواحدي ٣/ ١٣١، وتفسير البغوي ٣/ ١٤٠، والمحرر الوجيز ٣/ ٤٨٩، وزاد المسير ٥/ ٩٤. وينظر السبعة ص٣٨٥-٣٨٦، والتيسير ص١٤١.

(٤) من ذكر الآية التي في النمل إلى هنا من المحرر الوجيز ٣/ ٤٨٩.

وقرأ عليٌّ بن أبي طالب، وزيد بن عليٍّ، والكِسائي: «عَلِمْتُ» بضمِّ التاء؛ أخبر موسى عن نفسه أنَّه ليس بمسحور كما وصفه فرعونُ، بل هو يعلم أنَّ ما أنزل هؤلاء الآيات إلا الله. ورُوي عن عليٍّ أنَّه قال: ما عَلِمَ عدوُّ الله قطُّ وإنَّما عَلِمَ موسى(١). وهذا القولُ عن عليٍّ لا يصحُّ؛ لأنَّه رواه كُلثوم المُرادي وهو مجهول، وكيف يصحُّ هذا القول وقراءةُ الجمهور(٢) بالفتح على خطاب فرعون؟

و«ما أنزل» جملة في موضع نصبٍ علَّقَ عنها «علِمْتَ»، ومعنى «بصائر»: دِلالات على وحدانية الله وصدق رسوله، والإشارة بهؤلاء إلى الآيات التسع(٣).

وانتصب «بصائرَ» على الحال في قول ابن عطية(٤)، والحَوْفيّ وأبي البقاء(٥)، وقالا: حالٌ من «هؤلاء»، وهذا لا يصحُّ إلَّا على مذهب الكسائي والأخفش؛ لأنَّهما يُجيزان: ما ضرَبَ هنداً إلَّا زيدٌ ضاحكةً، ومذهب الجمهور أنَّه لا يجوز، فإن وردَ ما ظاهِرُه ذلك أُوِّلَ على إضمار فِعْلٍ يدلُّ عليه ما قبله، التقدير: ضربَها ضاحكةً، وكذلك يُقدِّرون هُنا: أنزلَها بصائِرَ، وعند هؤلاء لا يعمل ما قبلَ «إلَّا» فيما بعدَها، إلَّا أن يكون مستثنًى منه أو تابعاً له.

وقابل موسى ظنَّه بظنِّ فرعون، فقال: ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَٰفِرۡعَوۡنُ مَثۡبُورٗا﴾ وشتَّان ما بين الظنَّين، ظنُّ فرعون ظنٌّ باطل، وظنُّ موسى ظنٌّ صدق؛ ولذلك آلَ أمرُ فرعونَ إلى الهلاك، كان أولاً موسى عليه السلام يتوقَّع مِن فرعون أذًى كما قال: ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَٰفِرۡعَوۡنُ مَثۡبُورٗا﴾ [طه: ٤٥] فأُمِرَ أن يقولَ له قولاً ليِّناً، فلمَّا قال له الله: لا تخَفْ، وَثِقَ بحماية الله، فصالَ على فرعونَ صولةَ المحميِّ، وقابَلَه من الكلام بما لم يكُنْ ليقابله به قبل ذلك.

---

(١) المحرر الوجيز ٣/ ٤٨٩ دون نسبة القراءة إلى زيد بن علي، وهذه القراءة أسندها الفراء في معاني القرآن ٢/ ١٣٢ إلى علي ﷺ، وقراءة الكسائي في السبعة ص٣٨٥، والتيسير ص١٤١.
(٢) في (أ) و(ح) و(د٢) و(ع): الجماعة، والكلام في معاني القرآن للنحاس ٤/ ٢٠١-٢٠٢، وتفسير القرطبي ١٣/ ١٨٣ بنحوه.
(٣) تفسير القرطبي ١٣/ ١٨٣.
(٤) في المحرر الوجيز ٣/ ٤٨٩.
(٥) في الإملاء ٢/ ٩٧.

ومثبور: مُهْلَك في قول الحسن ومجاهد. وملعون في قول ابن عباس. وناقص العقل فيما روى ميمون بن مِهْران [عن ابن عباس]، ومسحور في قول الضحاك. قال: ردَّ عليه مثلَ ما قال له فرعون مع اختلاف اللفظ(١). وعن الفرَّاء: مثبور: مصروفٌ عن الخير، مطبوعٌ على قلبك، من قولهم: ما ثَبَرَكَ عن هذا؟ أي: ما منعكَ وصرفَكَ(٢)؟

وقرأ أُبيٌّ: «وإنْ أخالُكَ يا فرعونُ لمثبوراً» وهي «إنْ» الخفيفة، واللام الفارقة، واستفزازُه إيَّاهم هو استخفافه لموسى ولقومه بأن يقلعهم من أرض مصر بقتلٍ أو جلاء، فحاقَ به مَكْرُهُ، وأغرقَه اللهُ وقِبْطَه(٣). أراد أن تخلو أرضُ مصر منهم، فأخلاها اللهُ منه ومن قومه.

والضمير في «من بعده» عائدٌ على «فرعون» أي: من بعد إغراقه، والأرضُ المأمورُ بسُكناها أرض الشام(٤). والظاهر أن يكون الأمرُ بذلك حقيقةً على لسان موسى عليه السلام، ووعد الآخرة: قيام الساعة.

﴿وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَٰهُ وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿١٠٥﴾ وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴿١٠٦﴾ قُلْ ءَامِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓا۟ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا۩ ﴿١٠٩﴾﴾.

﴿وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَٰهُ﴾ هو مردودٌ على قوله: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ﴾ الآية [الإسراء: ٨٨] وهكذا طريقةُ كلام العرب وأسلوبُها، تأخذ في شيء وتستطرد منه إلى شيء آخر، ثم إلى آخر، ثم تعود إلى ما ذكَرَتْه أولاً، وأبعَدَ مَنْ ذهبَ إلى أنَّ

(١) تفسير القرطبي ١٣/ ١٨٤-١٨٥ وما بين حاصرتين منه. وقول ابن عباس في تفسير البغوي ٣/ ١٤٠، وأخرجه الطبري ١٥/ ١٠٨-١٠٩. وقول ابن عباس من رواية ميمون بن مهران في تفسير الثعلبي ٤/ ٨٧، وزاد المسير ٥/ ٩٤-٩٥.

(٢) الكشاف ٢/ ٤٦٩، وتفسير الثعلبي ٤/ ٨٧، وتفسير البغوي ٣/ ١٤٠، وزاد المسير ٥/ ٩٥. وهو في معاني القرآن للفراء ٢/ ١٣٢ بنحوه.

(٣) الكشاف ٢/ ٤٦٩، وقراءة أُبيٍّ هذه شاذة.

(٤) تفسير القرطبي ١٣/ ١٨٥ بنحوه.

الضمير في «أنزلناه» عائدٌ على موسى عليه السلام وجُعلَ مُنزلاً، كما قال: ﴿وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ﴾ [الحديد: ٢٥]، أو عائدٌ على الآيات التسع وذكّر على المعنى، أو عائدٌ على الوعد المذكور قبله. وقال أبو سليمان الدمشقي: ﴿وَبِالْحَقِّ أَنزَلْنَاهُ﴾ أي: بالتوحيد، ﴿وَبِالْحَقِّ نَزَلَ﴾ أي: بالوعد والوعيد، والأمر والنهي[١]. وقال الزهراوي: بالواجب الذي هو المصلحة والسَّداد للناس. ﴿وَبِالْحَقِّ نَزَلَ﴾ أي: بالحقِّ في أوامره ونواهيه وأخباره[٢].

وقال الزمخشري[٣]: وما أنزلنا القرآنَ إلَّا بالحكمة المقتضية لإنزالِه، وما نزل إلَّا ملتبساً بالحقِّ والحكمة، لاشتماله على الهداية إلى كلِّ خير، وما أنزلناه من السماء إلَّا بالحقِّ محفوظاً بالرَّصَد من الملائكة، وما نزلَ على الرسول إلَّا محفوظاً بهم من تخليط الشياطين. انتهى.

وقد يكون ﴿وَبِالْحَقِّ نَزَلَ﴾ توكيداً من حيث المعنى؛ لما كان يُقال: أنزلتُه فنزَل، وأنزلتُه فلم ينزِلْ، إذا عرَضَ له مانعٌ من نزوله، جاء ﴿وَبِالْحَقِّ نَزَلَ﴾ مزيلاً لهذا الاحتمال، ومؤكّداً حقيقةَ ﴿وَبِالْحَقِّ أَنزَلْنَاهُ﴾ وإلى معنى التأكيد نحا الطبريُّ.

وانتصب «مبشراً ونذيراً» على الحال، أي: مبشّراً لهم بالجنة، ومنذراً من النار، ليس لك شيء من إكراههم على الدين.

وقرأ الجمهور: «فَرَقْناه» بتخفيف الراء، أي: بيَّنَّا حلالَه وحرامَه. قاله ابن عباس. وعن الحسن: فرَقْنا فيه بين الحقِّ والباطل. وقال الفرَّاء: أحكمناه وفصَّلْناه، كقوله: ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾[٤] [الدخان: ٤].

وقرأ أبيٌّ، وعبد الله، وعليٌّ، وابنُ عباس، وأبو رجاء، وقَتادة، والشَّعبي، وحُميد، وعمرو بن فائد، وزيد بن عليّ، وعمرو بن ذَرّ، وعكرمة، والحسن بخلاف عنه: بشَدِّ الراء[٥]، أي: نزَّلْناه نجماً بعد نجمٍ وفصَّلناه في النجوم. وقال

(١) زاد المسير ٥/ ٩٦.
(٢) المحرر الوجيز ٣/ ٤٩٠.
(٣) الكشاف ٢/ ٤٦٩.
(٤) زاد المسير ٥/ ٩٧، وقول الفراء في معاني القرآن له ٢/ ١٣٣.
(٥) المحرر الوجيز ٣/ ٤٩٠-٤٩١، وزاد المسير ٥/ ٩٧، وهذه القراءة في الشاذة ص٧٧.

بعضُ مَن اختارَ ذلك: لم ينزِلْ في يومٍ ولا يومين، ولا شهرٍ ولا شهرين، ولا سنةٍ ولا سنتين[١]. قال ابن عباس: كانَ بينَ أوله وآخره عشرون سنةً. هكذا قال الزمخشري عن ابن عباس[٢]. وحُكِيَ عن ابن عباس: في ثلاثٍ وعشرين سنة. وقيل: في خمسٍ وعشرين. وهذا الاختلاف مبنيٌّ على الاختلاف في سِنِّه عليه السلام. وعن الحسن: نزل في ثماني عشرة سنة. قال ابن عطية[٣]: وهذا قولٌ مُختَلٌّ لا يصِحُّ عن الحسن.

وقيل: معنى «فرَّقناه» بالتشديد: فرَّقْنا آياتِه بينَ أمرٍ ونهيٍ؛ وحِكَمٍ وأحكام، ومواعظَ وأمثالٍ، وقصصٍ وأخبارٍ مُغيَّباتٍ أتَتْ وتأتي.

وانتصب «قرآناً» على إضمار فِعْلٍ يُفسِّره «فرقناه» أي: وفَرَقْنا قرآناً فَرَقْناه[٤]، فهو من باب الاشتغال، وحسَّن النَّصبَ ورجَّحه على الرفع كونُه عطفَ على جملةٍ فعليّةٍ وهي قوله: «وما أرسلناك»، ولا بُدَّ من تقدير صفةٍ لقوله: «وقرآناً» حتى يصحَّ كونُه كان يجوز فيه الابتداء؛ لأنَّه نكرةٌ لا مُسَوِّغ لها في الظاهر للابتداء بها، والتقدير: وقرآناً أيَّ قرآنٍ، أي: عظيماً جليلاً، وعلى أنَّه منصوبٌ بإضمار فِعْلٍ يُفسِّره الظاهرُ بعدَه. خرَّجه الحَوْفي والزمخشري[٥]، وقال ابن عطية: هو مذهب سيبويه. وقال الفرَّاء: هو منصوب بـ «أرسلناك» أي: ما أرسلناك إلَّا مبشِّراً ونذيراً و«قرآناً»، كما تقول: رحمةً؛ لأنَّ القرآنَ رحمة[٦]. وهذا إعرابٌ مُتكلَّفٌ، وأكثر تكلُّفاً منه قولُ ابن عطية: ويصحُّ أن يكون معطوفاً على الكاف في «أرسلناك» من حيثُ كان إرسالُ هذا وإنزالُ هذا، المعنى واحدٌ.

وقرأ أبيٌّ وعبد الله: «فرَّقناه عليك» بزيادة «عليك»[٧].

---

(١) وهو قول ابن عباس فيما ذكر الفراء في معانيه ٢/ ١٣٣.
(٢) الكشاف ٢/ ٤٦٩.
(٣) في المحرر الوجيز ٣/ ٤٩١، وما قبله منه.
(٤) مشكل إعراب القرآن ١/ ٤٣٥.
(٥) في الكشاف ٢/ ٤٦٩.
(٦) معاني القرآن للفراء ٢/ ١٣٣.
(٧) هذه القراءة في النكت والعيون ٣/ ٢٧٩، والمحرر الوجيز ٣/ ٤٩٠-٤٩١، وتفسير القرطبي ١٣/ ١٨٧، وهي قراءة شاذة.

و«لتقرأه» مُتعلِّقٌ بـ «فرقناه» والظاهر تعلُّقُ «على مُكْثٍ» بقوله: «لتقرأه»، ولا يُبالَى بكون الفعل يتعلَّق به حَرْفَا جرٍّ من جنسٍ واحد؛ لأنَّه اختلف معنى الحرفين؛ الأول في موضع المفعول به، والثاني في موضع الحال، أي: مُتمهِّلاً مُترسِّلاً.

قال ابن عباس، ومجاهد، وابن جُريج: «على مكث»: على ترسُّلٍ في التلاوة. وقيل: «على مُكْثٍ» أي: تطاولٍ في المدَّة شيئاً بعد شيء[1].

وقال الحَوْفي: «على مُكْثٍ» بدل من «على الناس»، وهذا لا يصحُّ؛ لأنَّ قولَه: «على مُكْث» هو من صفة الرسول ﷺ، وهو القارئ، أو من صفات المقروء في المعنى، وليس من صفات الناس فيكونُ بدلاً منهم. وقيل: يتعلَّق «على مُكْثٍ» بقوله: «فرَقْناه».

ويُقال: «مكْثٍ» بضمِّ الميم وفتحِها وكسْرِها. وقال ابن عطية[2]: وأجمع القُرَّاء على ضمِّ الميم من «مكثٍ». وقال الحَوْفي: والمكثُ بالضمِّ والفتح لغتان، وقد قُرئ بهما[3]، وفيه لغةٌ أخرى كَسْر الميم.

﴿وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا﴾ على حسب الحوادث من الأقوال والأفعال[4].

﴿قُلْ ءَامِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓا۟ۚ﴾ يتضمَّن الإعراضَ عنهم، والاحتقارَ لهم، والازدِراءَ بهم، وعدمَ الاكتراثِ بهم وبإيمانهم وبامتناعهم منه، وأنَّهم لم يدخلوا في الإيمان ولم يُصدِّقوا بالقرآن، وهم أهل جاهليةٍ وشرك، فإنَّ خيراً منهم وأفضلَ هم العلماءُ الذين قرؤوا الكتابَ وعلِموا ما الوحي وما الشرائع، قد آمنوا به وصدَّقوه، وثبتَ عندهم أنَّه النبيُّ العربيُّ الموعودُ في كتبهم، فإذا تُليَ عليهم خَرُّوا سُجَّداً وسبَّحوا اللهَ تعظيماً لوعدِه ولإنجازِه ما وعدَ في الكتب المُنزلة، وبَشَّرَ به من بعثة محمد ﷺ، وإنزالِ القرآن عليه، وهو المراد بالوعد في قوله: ﴿إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا﴾.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ﴾ يجوز أن يكون تعليلاً لقوله ﴿ءَامِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓا۟ۚ﴾

---

(١) تفسير القرطبي ١٣/ ١٨٧، والقول الأول في المحرر الوجيز ٣/ ٤٩١.
(٢) في المحرر الوجيز ٤/ ٤٩١، وما قبله منه.
(٣) قال ابن الجوزي في زاد المسير ٥/ ٩٧: قرأ أنس، والشعبي، والضحاك، وقتادة، وأبو رجاء، وأبان عن عاصم، وابن محيصن: بفتح الراء. قلت: وهي قراءة شاذة.
(٤) الكشاف ٢/ ٤٦٩.

أي: إنْ لم تؤمنوا به فقد آمنَ به مَنْ هو خيرٌ منكم، وأن يكون تعليلاً لـ«قُلْ» على سبيل التسلية؛ كأنَّه قيل: تَسَلَّ عن إيمان الجاهلية بإيمان العلماء. انتهى من كلام الزمخشري وفيه بعض تلخيص.

وقال غيره: ﴿قُلْ ءَامِنُوا۟﴾ الآية: تحقيرٌ للكفار، وفي ضِمْنِه ضَرْبٌ من التوعُّدِ، والمعنى: إنَّكم لستُم بحُجَّةٍ، فسواءٌ علينا آآمنتم أم كفرتم، وإنَّما ضررُ ذلك على أنفسكم، وإنَّما الحجَّةُ أهلُ العلم. انتهى.

والظاهر أنَّ الضمير في «قل آمنوا به» عائد على القرآن.

و«الذين أوتوا العلم»: هم مؤمنو أهل الكتاب. وقيل: ورقة بن نوفل وزيد بن عَمرو بن نُفَيل ومَنْ جرى مجراهما، فإنَّهما كانا ممَّن أُوتي العلمَ واطَّلعا على التوراة والإنجيل، ووجدا فيهما صفتَه عليه الصلاة والسلام. وقيل: هم جماعةٌ من أهل الكتاب جلسوا وهم على دينهم فتذكَّروا أمرَ النبي ﷺ وما أُنزِلَ عليه، وقُرِئ عليهم منه شيءٌ فخشعوا وسجدوا لله، وقالوا: هذا وقت نبوَّةِ المذكور في التوراة، وهذه صفتُه، ووعدُ الله به واقعٌ لا مَحالة، وجنحوا إلى الإسلام هذا الجنوح، فنزلت هذه الآية فيهم. وقيل: المُرادُ بالذين أوتوا العِلْمَ من قبلِه هو محمدٌ ﷺ، والظاهرُ أنَّ الضمير في «من قبلِه» عائدٌ على القرآن كما عاد عليه في قوله: «به»، ويدلُّ عليه ما قبله وما بعده. وقيل: الضميران في «به» وفي «من قبلِه» عائدان على الرسول عليه الصلاة والسلام، واستأنفَ ذكرَ القرآن في قوله: ﴿إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾[1].

والظاهر في قوله: «إذا يُتلى عليهم» أنَّ الضمير في «يُتلى» عائدٌ على القرآن. وقيل: هو عائدٌ على التوراة وما فيها من تصديق القرآن ومعرفةِ النبيِّ عليه الصلاة والسلام.

والخُرورُ: هو السقوط بسرعة، ومنه: ﴿فَخَرَّ عَلَيْهِمُ ٱلسَّقْفُ﴾ [النحل: ٢٦].

وانتصب «سُجَّداً» على الحال[2].

---

(١) المحرر الوجيز ٣/ ٤٩١، والكلام السابق منه أيضاً.

(٢) إملاء ما منَّ به الرحمن ٢/ ٩٨.

والسُّجود ـ وهو وضع الجبهة على الأرض ـ هو غاية الخُرور، ونهاية الخضوع، وأوَّل ما يلقى الأرضَ حالةَ السجود الذَّقَنُ، أو عبّر عن الوجوه بالأذقان كما يُعبَّر عن كلِّ الشيء ببعضِ ما يلاقيه، وقال الشاعر:

فخرُّوا لأذقانِ الوجوهِ تنوشُهم سباعٌ من الطَّيرِ العوادي وتَنتِفُ[(١)]

وقيل: أريد حقيقة الأذقان لأن ذلك غاية التواضع وكان سجودهم كذلك[(٢)]. وقال ابن عباس: المعنى: للوجوه[(٣)].

وقال الزمخشري: فإن قلتَ: حرف الاستعلاء ظاهرُ المعنى إذا قلتَ: خَرَّ على وجهِه وعلى ذَقَنه، فما معنى اللام في خَرَّ لذَقَنه؟ قال:

فخَرَّ صريعاً لليدينِ وللفَمِ

قلتُ: معناه: جعلَ ذقَنَه ووجهَه للخُرور، واختصَّه به؛ لأنَّ اللام للاختصاص[(٤)]. انتهى.

وقيل: اللام بمعنى «على»[(٥)].

و«سبحان ربِّنا»: نزَّهوا اللهَ عمَّا نسبه إليه كفارُ قريش وغيرُهم من أنَّه لا يُرسل البشر رسلاً، وأنَّه لا يُعيدهم للجزاء.

و«إنْ» هنا المُخفَّفة من الثقيلة، والمعنى: إنَّ ما وَعَدَ به من إرسال محمدٍ عليه الصلاة والسلام وإنزال القرآن عليه قد فعلَه وأنجزَه.

وتكرَّر الخُرورُ لاختلاف حالَي السجود والبكاء، وجاء التعبير عن الحالة الأولى بالاسم وعن الحالة الثانية بالفعل؛ لأنَّ الفعلَ مُشعِرٌ بالتجدُّد، وذلك أنَّ

---

(١) لم أقف على قائله، وهو في المحرر الوجيز ٣/ ٤٩١. وقد تقدَّم في شرح المفردات.
(٢) تفسير القرطبي ١٣/ ١٩٠ بنحوه.
(٣) النكت والعيون ٣/ ٢٨٠، والمحرر الوجيز ٣/ ٤٩١، وزاد المسير ٥/ ٩٧.
(٤) الكشاف ٢/ ٤٧٠، وتقدم البيت عند تفسير الآية (٧) من هذه السورة، وذُكِرَ هناك الاختلاف على قائله وصدره.
(٥) إملاء ما منَّ به الرحمن ٢/ ٩٨.

البكاء ناشئٌ عن التفكُّر، فهم دائماً في فكرةٍ وتذكُّرٍ، فناسبَ ذِكْرُ الفعل إذ هو مُشعِرٌ بالتجدُّد، ولمَّا كانت حالةُ السجودِ ليست تتجدَّد في كلِّ وقتٍ عبّرَ فيها بالاسم.

﴿وَيَزِيدُهُمْ﴾ أي: ما تُلي عليهم ﴿خُشُوعًا﴾ أي: تواضعاً[1].

وقال عبد الأعلى التَّيمي[2]: من أوتي من العلم ما لا يُبكيه خليقٌ أن لا يكون أُوتيَ عِلْماً ينفعُه؛ لأنَّه تعالى نعتَ العلماءَ فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ﴾ الآية.

وقال ابن عطية[3]: ويتوجَّه في هذه الآية معنًى آخر، وهو أن يكون قولُه: ﴿قُلْ ءَامِنُواْ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓاْ﴾ مخلصاً للوعيد دون التحقير، المعنى: فسَتَرَون ما تُجازَون به، ثمَّ ضربَ لهم المثلَ على جهة التقريع بمن تقدَّم من أهل الكتاب، أي: إنَّ الناس لم يكونوا كما أنتم في الكفر، بل كان الذين أوتوا التوراةَ والإنجيلَ والزَّبورَ والكتبَ المنزلةَ في الجملة إذا يُتلى عليهم ما نزل عليهم خشعوا وآمنوا. انتهى، وقد تقدَّمت الإشارة إلى طرفٍ من هذا.

﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١١٠﴾ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا ﴿١١١﴾﴾.

قال ابن عباس: تهجَّدَ الرسولُ ﷺ ذاتَ ليلةٍ بمكة، فجعل يقول في سجوده: «يا رحمن يا رحيم» فقال المشركون: كان محمدٌ يدعو إلهاً واحداً، فهو الآن يدعو إلهين اثنين؛ الله والرحمن، ما الرحمنُ إلَّا رحمنُ اليمامة. يعنون: مُسيلِمة. فنزلت.

---

(١) زاد المسير ٥/ ٩٨.

(٢) هو راوٍ للحديث غيرُ مشهور، قال عنه الإمام أحمد: رجل صالح. وقال أبو نعيم في وصفه: ذو الخشوع الغيبي، والدموع السَّيبي، عبد الأعلى التيمي، باطنه خاشع، وحاضره سامع، وناظره دامع. تنظر ترجمته في العلل ومعرفة الرجال ١/ ٣٠٧، والتاريخ الكبير ٦/ ٧٢، والجرح والتعديل ٦/ ٢٨، والثقات لابن حبان ٧/ ١٣١، والحلية ٥/ ٨٧. وقوله الآتي ذكره الثعلبي في تفسيره ٤/ ٨٨، وابن الجوزي في زاد المسير ٥/ ٩٨. وأخرجه الطبري ١٥/ ١٢٢، وأبو نعيم ٥/ ٨٨، وغيرهما.

(٣) في المحرر الوجيز ٣/ ٤٩١.

قاله في «التحرير»[(١)]. ونقل ابن عطية نحواً منه عن مكحول، وقال: عن ابن عباس: سمعَه المشركون يدعو: «يا الله يا رحمن» فقالوا: كان يدعو إلهاً واحداً، وهو يدعو إلهين. فنزلت[(٢)].

وقال ميمون بن مِهْران: كان عليه السلام يكتب: باسمِكَ اللهمَّ، حتى نزلت: ﴿إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ [النمل: ٣٠] فكتبَها فقال مشركو العرب: هذا الرحيمُ نعرِفُه فما الرحمن؟ فنزلت.

وقال الضحَّاك: قال أهل الكتاب للرسول ﷺ: إنَّكَ لَتُقِلُّ ذِكْرَ الرحمن وقد أكثرَ اللهُ في التوراة هذا الاسم. فنزلت[(٣)].

لمَّا لَجُّوا في إنكار القرآن أن يكون اللهُ نزَّلَه على رسوله عليه السلام، وعجزوا عن معارضته، وكان عليه الصلاة والسلام قد جاءهم بتوحيدِ الله والرفضِ لآلهتهم، عدَلُوا إلى رميِهِ عليه الصلاة والسلام بأنَّ ما نهاهم عنه رجعَ هو إليه، فردَّ اللهُ تعالى عليهم بقوله: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ﴾ الآية.

والظاهرُ من أسباب النزول أنَّ الدعاء هنا قوله: «يا رحمن يا رحيم» أو «يا الله يا رحمن» فهو من الدعاء بمعنى النداء، والمعنى: إنْ دَعَوْتُم اللهَ فهو اسمُه، وإنْ دَعَوْتُم الرحمن فهو صفته.

وقال الزمخشري[(٤)]: والدعاء بمعنى التسمية لا بمعنى النداء، وهو يتعدَّى إلى مفعولين؛ تقول: دعَوْتُه زيداً، ثم تتركُ أحدَهما استغناءً عنه، فتقول: دعوتُ زيداً. انتهى.

ودعوتُ هذه من الأفعال التي تتعدَّى إلى اثنين ثانيهما بحرف جرٍّ، تقول: دعوتُ ولدي بزيد، ثم تتَّسِعُ فتحذف الباء. وقال الشاعر في «دعا» هذه:

---

(١) وذكره الثعلبي في تفسيره ٤/ ٨٨، والماوردي في النكت والعيون ٣/ ٢٨١، وابن الجوزي في زاد المسير ٥/ ٩٨-٩٩.

(٢) المحرر الوجيز ٣/ ٤٩٢. والقولان أخرجهما الطبري ١٥/ ١٢٣-١٢٤.

(٣) تفسير الثعلبي ٤/ ٨٨، وزاد المسير ٥/ ٩٩. وقول الضحاك ذكره الزمخشري في الكشاف ٢/ ٤٧٠ من غير نسبة.

(٤) في الكشاف٢/ ٤٧٠.

دعَتْني أخاها أمُّ عمرٍو ولم أكُنْ أخاها ولم أرضَعْ لها بلِبانِ[١]

وهي أفعالٌ تتعدَّى إلى واحدٍ بنفسها، وإلى الآخر بحرف الجرّ، تُحفَظ ويُقتصر فيها على السماع. وعلى ما قال الزمخشريُّ يكون الثاني لقوله: «ادعوا» لفظ الجلالة ولفظ الرحمن، وهو الذي دخل عليه الباء ثم حُذِفَ، وكأنَّ التقدير: ادعوا معبودَكم بالله، أو ادعوه بالرحمن؛ ولهذا قال الزمخشري: المرادُ بهما اسمُ المسمَّى[٢]، و«أو» للتخيير، فمعنى ﴿ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَـٰنَ﴾: سمُّوا بهذا الاسم أو بهذا، واذكروا إمَّا هذا وإمَّا هذا. انتهى. وكذا قال ابن عطية[٣]: هما اسمان لمُسمًّى واحد، فإن دَعَوتُموه بالله فهو ذاك، وإن دعَوْتُموه بالرحمن فهو ذاك.

و«أيّ» هنا شرطية، والتنوين قيل: عِوَضٌ من المضاف، و«ما» زائدة مؤكِّدة. وقيل: «ما» شرط[٤]، ودخل شرط على شرط.

وقرأ طلحة بن مُصرِّف: «أيّاً مَنْ تدعو»[٥] فاحتمل أن تكون «من» زائدة على مذهب الكسائي، إذ قد ادَّعى زيادتَها في قوله:

يا شاةَ مَنْ قَنَصٍ لِمَنْ حَلَّتْ لَهُ[٦]

واحتمل أن يكون جمع بين أداتَي شرطٍ على وجه الشذوذ كما جمعَ بين حَرْفَي جرٍّ نحو قول الشاعر:

---

(١) نُسِبَ في أخبار النساء ص٣٩ إلى عبد الرحمن بن أم الحكم، وهو من غير نسبة في الكامل للمبرد ١/ ١٦١، وشرح المفصل ٦/ ٢٧، والمخصص ١٤/ ٢٤٣، والمقرب ص١٨٠.
(٢) كذا في النسخ، والذي في مطبوع الكشاف ٢/ ٤٧٠ ومخطوطه الورقة (١٩): الاسم لا المسمَّى.
(٣) المحرر الوجيز ٣/ ٤٩٢.
(٤) إملاء ما منَّ به الرحمن ٢/ ٩٨ دون قوله: والتنوين قيل: عوض من المضاف، فهو في الكشاف ٢/ ٤٧٠.
(٥) تفسير القرطبي ١٣/ ١٩١-١٩٢، وهي قراءة شاذة.
(٦) قائله عنترة، وهو في ديوانه ص٢٨، وعجزه:

حَرُمَتْ عليَّ ولَيْتَها لم تَحْرُمِ

وينظر مغني اللبيب ص٤٣٤. وورد في الديوان، وتفسير القرطبي ١٨/ ١٦٤، وشرح الزوزني ص٢٨١ وغيرها من المصادر: «ما» بدل «من».

فأصبَحْنَ لا يسألْنني عَنْ بما بِهِ[1]

وذلك لاختلاف اللفظ، والضمير في «فله» عائدٌ على مسمَّى الاسمين وهو واحد، أي: فلمُسمَّاهما الأسماء الحسنى، وتقدَّم الكلامُ على قوله: «الأسماء الحسنى» في «الأعراف»[2].

وقوله: ﴿فَلَهُ﴾ هو جواب الشرط. قيل: ومن وقف على «أيًّا» جعل معناه: أيَّ اللفظين دعوتُموه به جاز، ثم استأنف فقال: ما تَدعُوه فله الأسماءُ الحسنى. انتهى. وهذا لا يصِحُّ؛ لأنَّ «ما» لا تُطلَقُ على آحاد أولي العلم، ولأنَّ الشرط يقتضي عموماً، ولا يصِحُّ هنا.

والصلاةُ هنا الدعاء. قاله ابن عباس وعائشة وجماعة. وعن ابن عباس أيضاً: هي قراءة القرآن في الصلاة، فهو على حذف مضاف[3]، أي: بقراءة الصلاة، ولا يُلبس تقديرُ هذا المضاف؛ لأنَّه معلومٌ أنَّ الجهرَ والمخافتةَ مُعتقبانِ على الصوت لا غير، والصلاة أفعال وأذكار، وكان عليه الصلاة والسلام يرفع صوتَه بقراءته، فيسبُّ المشركون ويَلْغَون، فأُمِرَ بأن يخفِضَ من صوتِه حتى لا يُسمِعَ المشركين، وأن لا يُخافِتَ حتى يسمعه مَنْ وراءه من المؤمنين[4].

﴿وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾ أي: بين الجهر والمخافتة ﴿سَبِيلًا﴾ وسطاً.

وتقدَّم الكلام على ﴿بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾ في قوله: ﴿عَوَانٌ بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾ [البقرة: ٦٨].

وقال ابن عباس أيضاً والحسن: لا تُحسِّنْ علانيتَها وتُسيء سِرِّيَتها. وعن عائشة: الصلاة يُرادُ بها هنا التشهد. وقال ابن سيرين: كان الأعراب يجهرون

---

(١) لم أقف على قائله، وهو صدر بيت عجزه كما في الخزانة ٩/ ٥٢٧:

أَصَعَّدَ في عُلْوِ الهوى أم تصوَّبا

لكن نسبه العيني في شرح الشواهد الكبرى ٤/ ١٠٣ (على هامش الخزانة) إلى الأسود بن يعفر.

(٢) عند تفسير الآية (١٨٠) منها.

(٣) المحرر الوجيز ٣/ ٤٩٢. وقول عائشة في النكت والعيون ٣/ ٢٨١، وزاد المسير ٥/ ١٠١.

(٤) الكشاف ٢/ ٤٧٠، وما بعده منه.

بتشهُّدِهم، فنزلت الآية في ذلك، وكان أبو بكر يُسِرُّ قراءته، وعمرُ يجهرُ بها، فقيل لهما في ذلك، فقال أبو بكر: إنَّما أُناجي ربِّي وهو يعلم حاجتي. وقال عمر: أنا أطردُ الشيطان، وأُوقِظُ الوسنان. فلمَّا نزلت قيل لأبي بكر: ارفع أنت قليلاً. وقيل لعمر: اخفِضْ أنت قليلاً. وعن ابن عباس أيضاً: المعنى: ولا تجهر بصلاة النهار، ولا تُخافِتْ بصلاة الليل. وقال ابن زيد: معنى الآية: على ما يفعله أهل الإنجيل والتوراة من رفع الصوتِ أحياناً، فيرفعُ الناسُ معه ويخفض أحياناً، فيسكتُ الناس خلفَه. انتهى[1]، كما يفعلُ أهلُ زمانِنا من رفع الصوت بالتلحين وطرائق النَّغَمِ المتَّخذة للغناء.

ولمَّا ذكر تعالى أنَّه واحدٌ وإن تعدَّدتْ أسماؤه، أمره تعالى أن يحمدَه على ما أنعمَ به عليه ممَّا آتاه من شرف الرسالة والاصطفاء، ووصفَ نفسَه بأنَّه لم يتَّخِذْ ولداً فيُعتقدَ فيه تكثُّرٌ بالنوع، وكان ذلك ردًّا على اليهود والنصارى والعرب الذين عبدوا الأصنام وجعلوها شركاءَ لله، والعربُ الذين عبدوا الملائكة واعتقدوا أنَّهم بناتُ الله، ونفى أولاً الولدَ خُصوصاً، ثم نفى الشريكَ في ملكه وهو أعمُّ من أن يُنسَبَ إليه ولدٌ فيشْرُكَه أو غيرُه، ولمَّا نفى الولد ونفى الشريك نفى الوليَّ وهو الناصر، وهو أعَمُّ من أن يكون ولداً أو شريكاً أو غيرَ شريك، ولمَّا كان اتِّخاذُ الوليِّ قد يكون للانتصارِ والاعتزازِ به والاحتماءِ من الذُّلِّ، وقد يكون للتفضُّلِ والرحمةِ لمَنْ والى مِنْ صالحي عباده، كان النفيُ لمن يُنتصرُ به من أجلِ المذلَّةِ، إذ كان مَورِدُ الولاية يحتملُ هذين الوجهين، فنفى الجهةَ التي لأجل النقص، بخلاف الولد والشريك فإنَّهما نُفِيا على الإطلاق، وجاء الوصفُ الأولُ بقوله: ﴿ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا﴾ والمعنى: أنَّه تعالى لم يُسَمِّ ولم يُعدَّ أحداً ولداً، ولم ينفِه بجهة التوالد؛ لاستحالة ذلك في بَدائِهِ العقول، فلا يتعرَّض لنفيه بالمنقول؛ ولذلك جاء: ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ﴾ [المؤمنون: ٩١]، ﴿مَا ٱتَّخَذَ صَـٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا﴾ [الجن: ٣].

---

(١) المحرر الوجيز ٣/ ٤٩٢، وقول الحسن في النكت والعيون ٣/ ٢٨١، وزاد المسير ٥/ ١٠٠، وأخرجه الطبري ١٥/ ١٣٤-١٣٥. وقول عائشة في زاد المسير ٥/ ١٠٠، وأخرجه ابن خزيمة (٧٠٧)، والطبري ١٥/ ١٣٣، والحاكم ١/ ٢٣٠. وقول ابن سيرين أخرجه الطبري ١٥/ ١٣٢.

وقال مجاهد في قوله: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ﴾ المعنى: لم يُخالِفْ أحداً ولا ابتغى نصْرَ أحد[١].

وقال الزمخشري[٢]: ﴿وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ﴾: ناصرٌ من الذُّلِّ ومانعٌ له منه؛ لاعتزازه به، أو لم يُوالِ أحداً من أجلِ المذَلَّة به ليدفعها بموالاته. انتهى.

وقيل: ولم يكُنْ له وليٌّ من اليهود والنصارى؛ لأنَّهم أذَلُّ الناس[٣]. فيكونُ «من الذُّلِّ» صفةً لـ«وليّ». انتهى. أي: وليٌّ من أهل الذُّلِّ، فعلى هذا وما تقدَّم يكون «مِن» في معنى المفعول به، أو للسبب، أو للتبعيض.

وقال الزمخشري: فإنْ قلتَ: كيف لَاقَ وصفُه بنفي الولد والشريك والذُّلِّ بكلمة التحميد؟ قلت: لأنَّ مَنْ هذا وصفُه هو الذي يقدِرُ على إيلاءِ كلِّ نعمة، فهو الذي يستحقُّ جنس الحمد.

والذي تقرَّر أنَّ النَّفي تسلَّط من حيثُ المعنى على القيدِ، أي: لا ذُلَّ يوجد في حقِّه فيكون له وليٌّ ينتصِرُ به منه، فالذلُّ والوليُّ الذي يكونُ اتِّخاذُه بسببه منتفيان.

﴿وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًۢا﴾ التكبير أبلَغُ لفظةٍ للعرب في معنى التعظيم والإجلال، وأكّد بالمصدر تحقيقاً له وإبلاغاً في معناه، وابتُدِئَتْ هذه السورةُ بتنزيه الله تعالى واختُتِمتْ به. وكان رسولُ الله ﷺ إذا أفصحَ الغلامُ من بني عبد المطلب علَّمه هذه الآية: ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ إلى آخرها[٤]، والله أعلم.

---

(١) تفسير مجاهد ١/ ٣٧٢، والمحرر الوجيز ٣/ ٤٩٣، وزاد المسير ٥/ ١٠١، وتفسير القرطبي ١٣/ ١٩٤، وأخرجه الطبري ١٥/ ١٣٨.

(٢) في الكشاف ٢/ ٤٧٠-٤٧١.

(٣) النكت والعيون ٣٠/ ٢٨٢، وتفسير القرطبي ١٣/ ١٩٤.

(٤) تفسير القرطبي ١٣/ ١٩٤-١٩٥، والحديث أخرجه ابن السني في عمل اليوم والليلة (٤٢٤) من طريق عبد الكريم بن أبي أمية، عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده عبد الله بن عمرو بن العاص، عن النبي ﷺ، هكذا موصولاً.
وأخرجه ابن أبي شيبة ١/ ٣٤٨ و١٠/ ٥٥٦ من طريق عبد الكريم - أيضاً - عن عمرو بن شعيب، عن النبي ﷺ، معضلاً لم يذكر أباه ولا جده.
وأخرجه عبد الرزاق في مصنفه (٧٩٧٦) من طريق عبد الكريم، عن النبي ﷺ، معضلاً لم يذكر أحداً بينهما.

سورة الكهف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ﴿١﴾ قَيِّمًا لِيُنْذِرَ بَأْسًا
شَدِيدًا مِنْ لَدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴿٢﴾
مَاكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا ﴿٣﴾ وَيُنْذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ﴿٤﴾ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا
لِآبَائِهِمْ ۚ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ ۚ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴿٥﴾ فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ
عَلَىٰ آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَٰذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا ﴿٦﴾ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا
لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴿٧﴾ وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا ﴿٨﴾ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ
أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا ﴿٩﴾ إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا
آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴿١٠﴾ فَضَرَبْنَا عَلَىٰ آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ
سِنِينَ عَدَدًا ﴿١١﴾ ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا ﴿١٢﴾ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ
نَبَأَهُمْ بِالْحَقِّ ۚ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا
فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ إِلَٰهًا ۖ لَقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا ﴿١٤﴾ هَٰؤُلَاءِ
قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً ۖ لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ ۖ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ
عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴿١٥﴾ وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ
مِنْ رَحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرْفَقًا ﴿١٦﴾ ۞ وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَاوَرُ عَنْ
كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ ۚ ذَٰلِكَ مِنْ آيَاتِ

ٱللَّهِۗ مَن يَهۡدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلۡمُهۡتَدِۖ وَمَن يُضۡلِلۡ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيّٗا مُّرۡشِدٗا ﴿١٧﴾ وَتَحۡسَبُهُمۡ
أَيۡقَاظٗا وَهُمۡ رُقُودٞۚ وَنُقَلِّبُهُمۡ ذَاتَ ٱلۡيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِۖ وَكَلۡبُهُم بَٰسِطٞ ذِرَاعَيۡهِ بِٱلۡوَصِيدِۚ لَوِ
ٱطَّلَعۡتَ عَلَيۡهِمۡ لَوَلَّيۡتَ مِنۡهُمۡ فِرَارٗا وَلَمُلِئۡتَ مِنۡهُمۡ رُعۡبٗا ﴿١٨﴾ وَكَذَٰلِكَ بَعَثۡنَٰهُمۡ لِيَتَسَآءَلُواْ
بَيۡنَهُمۡۚ قَالَ قَآئِلٞ مِّنۡهُمۡ كَمۡ لَبِثۡتُمۡۖ قَالُواْ لَبِثۡنَا يَوۡمًا أَوۡ بَعۡضَ يَوۡمٖۚ قَالُواْ رَبُّكُمۡ أَعۡلَمُ بِمَا لَبِثۡتُمۡ
فَٱبۡعَثُوٓاْ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمۡ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلۡمَدِينَةِ فَلۡيَنظُرۡ أَيُّهَآ أَزۡكَىٰ طَعَامٗا فَلۡيَأۡتِكُم بِرِزۡقٖ مِّنۡهُ
وَلۡيَتَلَطَّفۡ وَلَا يُشۡعِرَنَّ بِكُمۡ أَحَدًا ﴿١٩﴾ إِنَّهُمۡ إِن يَظۡهَرُواْ عَلَيۡكُمۡ يَرۡجُمُوكُمۡ أَوۡ يُعِيدُوكُمۡ
فِي مِلَّتِهِمۡ وَلَن تُفۡلِحُوٓاْ إِذًا أَبَدٗا ﴿٢٠﴾ وَكَذَٰلِكَ أَعۡثَرۡنَا عَلَيۡهِمۡ لِيَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ وَأَنَّ
ٱلسَّاعَةَ لَا رَيۡبَ فِيهَآ إِذۡ يَتَنَٰزَعُونَ بَيۡنَهُمۡ أَمۡرَهُمۡۖ فَقَالُواْ ٱبۡنُواْ عَلَيۡهِم بُنۡيَٰنٗاۖ رَّبُّهُمۡ أَعۡلَمُ بِهِمۡۚ
قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُواْ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِمۡ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيۡهِم مَّسۡجِدٗا ﴿٢١﴾ سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٞ رَّابِعُهُمۡ كَلۡبُهُمۡ
وَيَقُولُونَ خَمۡسَةٞ سَادِسُهُمۡ كَلۡبُهُمۡ رَجۡمَۢا بِٱلۡغَيۡبِۖ وَيَقُولُونَ سَبۡعَةٞ وَثَامِنُهُمۡ كَلۡبُهُمۡۚ قُل رَّبِّيٓ
أَعۡلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعۡلَمُهُمۡ إِلَّا قَلِيلٞۗ فَلَا تُمَارِ فِيهِمۡ إِلَّا مِرَآءٗ ظَٰهِرٗا وَلَا تَسۡتَفۡتِ فِيهِم مِّنۡهُمۡ
أَحَدٗا ﴿٢٢﴾ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْيۡءٍ إِنِّي فَاعِلٞ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ وَٱذۡكُر رَّبَّكَ
إِذَا نَسِيتَۚ وَقُلۡ عَسَىٰٓ أَن يَهۡدِيَنِ رَبِّي لِأَقۡرَبَ مِنۡ هَٰذَا رَشَدٗا ﴿٢٤﴾ وَلَبِثُواْ فِي كَهۡفِهِمۡ ثَلَٰثَ
مِاْئَةٖ سِنِينَ وَٱزۡدَادُواْ تِسۡعٗا ﴿٢٥﴾ قُلِ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا لَبِثُواْۖ لَهُۥ غَيۡبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ أَبۡصِرۡ
بِهِۦ وَأَسۡمِعۡۚ مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيّٖ وَلَا يُشۡرِكُ فِي حُكۡمِهِۦٓ أَحَدٗا ﴿٢٦﴾ وَٱتۡلُ مَآ أُوحِيَ
إِلَيۡكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَۖ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلۡتَحَدٗا ﴿٢٧﴾ وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ
مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ
ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا ﴿٢٨﴾ وَقُلِ ٱلۡحَقُّ
مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡۚ إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمۡ سُرَادِقُهَاۚ وَإِن
يَسۡتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَآءٖ كَٱلۡمُهۡلِ يَشۡوِي ٱلۡوُجُوهَۚ بِئۡسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتۡ مُرۡتَفَقًا ﴿٢٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ
ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجۡرَ مَنۡ أَحۡسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ تَجۡرِي
مِن تَحۡتِهِمُ ٱلۡأَنۡهَٰرُ يُحَلَّوۡنَ فِيهَا مِنۡ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٖ وَيَلۡبَسُونَ ثِيَابًا خُضۡرٗا مِّن سُندُسٖ وَإِسۡتَبۡرَقٖ
مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِۚ نِعۡمَ ٱلثَّوَابُ وَحَسُنَتۡ مُرۡتَفَقًا ﴿٣١﴾ ﴾.

المفردات بخَعَ يَبْخَعُ بَخْعاً وبُخوعاً: أهلَكَ من شدَّة الوجد، وأصلُه الجَهْد. قاله الأخفش والفرَّاء. وفي حديث عائشة ذكرَتْ عمرَ فقالت: بَخَعَ الأرضَ، أي: جَهَدَها حتى أخذَ ما فيها من أموال الملوك. وقال الكسائي: بَخَعَ الأرضَ بالزراعة؛ جعلها

ضعيفةً بسبب متابعة الحراثة. وقال الليث: بَخَعَ الرجلُ نفسَه: قتلَها من شدَّةِ وَجْدِه[١]، وأنشد قول ذي الرُّمَّة[٢]:

ألا أيُّهذا الباخِعُ الوَجْدُ نفسَهُ لشيءٍ نَحَتْهُ عن يديهِ المقادِرُ

أي: نَحَّتْه ـ بشدّ الحاء ـ فخفّف. قال أبو عبيدة: كان ذو الرُّمَّة يُنشِد «الوَجْدُ» بالرفع. وقال الأصمعي: إنَّما هو «الوَجْدَ» بالفتح. انتهى. فيكون نَصْبُه على أنَّه مفعولٌ من أجله.

جُرِزَتِ الأرضُ بقحطٍ أو جرادٍ أو نحوِه: ذهب نباتُها وبقِيَتْ لا شيء فيها، وأَرَضونَ أَجْرَاز[٣]. ويُقال: سَنَةٌ جُرُز، وسِنونَ أجراز: لا مطرَ فيها[٤]. وجَرزَ الأرضَ الجرادُ: أكلَ ما فيها. وامرأةٌ جَروزٌ، أي: أكولٌ[٥]؛ قال الرَّاجز[٦]:

إنَّ العجوزَ خَبَّةٌ جَروزا تأكلُ كُلَّ ليلةٍ قَفيزا[٧]

الكهف: النَّقب المتَّسع في الجبل، فإن لم يَكُ واسعاً فهو غارٌ[٨]. وقال ابنُ الأنباري: حكى اللغويون أنه بمنزلة الغار في الجبل[٩].

الرَّقيم: فَعيل من رَقَم، إمَّا بمعنى مفعول، وإمَّا بمعنى فاعل، ويأتي إنْ شاءَ اللهُ الاختلافُ في المُراد به عن المفسِّرين.

فأمَّا قول أميَّة بن أبي الصلت:

---

(١) تفسير الرازي ٢١/ ٧٩.
(٢) المثبت من (ز١) و(يه) و(د١)، وتحرف في باقي النسخ والمطبوع إلى: الفرزدق، والبيت في ديوان ذي الرمة ٢/ ١٠٣٧، ومجاز القرآن ١/ ٣٩٣، وزاد المسير ٥/ ١٠٤.
(٣) المحرر الوجيز ٣/ ٤٩٧.
(٤) تفسير القرطبي ١٣/ ٢٠١.
(٥) تفسير الرازي ٢١/ ٨١.
(٦) المثبت من (ح)، وفي (أ) و(ع) و(د٢): الشاعر، وهي ليست في باقي النسخ.
(٧) لم أقف على قائله، وهو في كتاب العين ٦/ ٦٤، والنوادر لأبي زيد ص١٧٢.
(٨) المحرر الوجيز ٣/ ٤٩٧.
(٩) زاد المسير ٥/ ١٠٧.

وليسَ بها إلّا الرقيمُ مُجاوراً وَصِيْدَهُمْ والقومُ في الكهفِ هُمَّدُ

فعنى به كلبَهم[١].

أحصى الشيء: حفِظَه وضبَطَه.

الشَّطَطُ: الجَوْرُ وتعدِّي الحدِّ والغُلوُّ[٢]. وقال الفرَّاء: اشتطَّ في السَّوْم: جاوزَ القدر[٣]. وشَطَّ المنزلُ: بَعُدَ، شطوطاً، وشطَّ الرجلُ وأشَطَّ: جارَ، وشطَّتِ الجاريةُ شَطاطاً وشِطاطةً: طالت[٤].

«تَزاوَرُ»: تروغُ وتميل. وقال الأخفش: تَزْوَرُّ: تنقبض. انتهى. والزَّوَرُ: المَيَل، والأزْوَرُ: المائلُ بعينه إلى ناحية، ويكون في غير العين؛ قال ابنُ أبي ربيعة:

وجَنْبي خيفةَ القومِ أزْوَرُ[٥]

وقال عنترة:

فازْوَرَّ من وَقْعِ القَنا بِلَبانِهِ وشكا إليَّ بعَبْرَةٍ وتَحَمْحُمِ[٦]

وقالَ بشر بن أبي خازم:

تؤُمُّ بها الحداةُ مياهَ نخلٍ وفيها عن أبانَيْنِ ازْوِرارُ[٧]

ومنه: زَارَهُ؛ إذا مَالَ إليه، والزُّورُ: المَيْل عن الصدق[٨].

---

(١) الكشاف ٢/ ٤٧٣، والبيت في ديوان أمية ص٤٧.

(٢) المحرر الوجيز ٣/ ٥٠١.

(٣) تفسير الرازي ٢١/ ٩٨.

(٤) تفسير الطبري ١٥/ ١٨٠، دون قوله: «وشطَّ الرجلُ وأشطَّ: جارَ» فهو قول الزجاج في معانيه ٣/ ٢٧٢، ونقله عنه ابن الجوزي في زاد المسير ٥/ ١١٥.

(٥) ديوان ابن أبي ربيعة ص٩٦، والبيت بتمامه:

وخُفِّضَ عنِّي الصَّوتُ أقْبَلْتُ مِشيةَ الـ حُبابِ وشخصي خشيةَ الحيِّ أزْوَرُ

(٦) ديوان عنترة ص٣٠.

(٧) ديوان بشر بن أبي خازم ص١٠٢. وأبانان: جبلان في البادية. كذا في اللسان (أبن). قلت: ومن قوله: «تَزَوَّرُ» إلى هنا من المحرر الوجيز ٣/ ٥٠٢-٥٠٣.

(٨) الكشاف/ ٤٧٥.

قَرَضَ الشيءَ: قطَعَه؛ تقولُ العرب: قرضْتُ موضعَ كذا، أي: قطَعْتُه. وقال ذو الرُّمَّة:

إلى ظُعُنٍ يَقْرِضْنَ أجْوازَ مُشْرِفٍ شِمالاً وعن أيمانِهِنَّ الفَوارسُ

وقال الكوفيون: قرضْتُ موضعَ كذا: حاذَيْتُه. وحكوا عن العرب: قرضتُه قُبُلاً ودُبُراً[١].

الفَجْوة: المتَّسع من الفَجَا: وهو تباعدٌ ما بين الفخذين، رجلٌ أفْجى وامرأةٌ فَجواء، وجمع الفَجوة فِجاء.

اليَقُظ: المُنْتَبِه، وجمعه: أيقاظ، كعَضُد وأعضاد، و: يِقاظ كَرَجُل ورِجال، ورجلٌ يقظان، وامرأةٌ يَقظى.

الرُّقاد معروف، وسُمِّي به علَماً.

الوصيد: الفِنَاء. وقيل: العتَبة. وقيل: البابُ. قال الشاعر[٢]:

بأرضِ فَضاءٍ لا يُسَدُّ وَصِيدُها عليَّ ومعروفي بها غيرُ مُنكَرِ[٣]

الوَرِق: الفضَّة مضروبةً وغيرَ مضروبة.

السُّرادِق؛ قال أبو منصور الجواليقي: هو فارسيٌّ مُعرَّب، وأصلُه: سُرادَار، وهو الدِّهليز، قال الفرزدق:

تَمَنَّيْتَهُمْ حتَّى إذا ما لَقِيتَهُمْ تَرَكْتَ لَهُمْ قَبْلَ الضِّرابِ السُّرادِقا[٤]

وبيتٌ مُسَرْدَق، أي: ذو سُرادِق[٥].

---

(١) تفسير الطبري ١٥/ ١٨٦-١٨٧، والبيت في ديوان ذي الرمة ٢/ ١١٢٠. وذكر محققه بأنه يُروى «أقواز» بالقاف، وأشار إلى المصادر، ثم قال: والقَوْز: المستدير من الرمل والكثيب المشرف. و«مُشرف»: هو رملٌ بالدهناء.

(٢) كلمة «الشاعر» ليست في (ز١) و(يه) و(د١).

(٣) الكشاف ٢/ ٤٧٦، وما بعده منه. والبيت أورده أبو زيد القرشي في جمهرة أشعار العرب، ونسبه إلى زهير بن أبي سلمى، ولم أقف عليه في ديوانه.

(٤) زاد المسير ٥/ ١٣٤، والبيت في ديوان الفرزدق ٢/ ٤٧.

(٥) الكشاف ٢/ ٤٨٢، وما بعده منه أيضاً.

المُهْل: ما أُذِيبَ من جواهر الأرض. وقيل: دُرْدِيُّ الزيت.

شَوَى اللحمَ: أنضجَه من غير مَرَقٍ.

السِّوار: ما جُعِلَ في الذِّراع من ذهب أو فضة أو نحاس أو رصاص، ويُجمَعُ على أَسْوِرة في القِلَّة، كخمارٍ وأخمِرة، وعلى فُعُل في الكثرة كخمارٍ وخُمُرٍ إلَّا أنَّه تُسكَّنُ عينُه إلَّا في الشعر فتُحرَّك. وأساوِر جمعُ أَسْوِرَة. وقال أبو عبيدة: جمع إسوار[1]، ويقال لكلِّ ما في الذِّراع من الحُليِّ. وعنه وعن قطرب: هو على حذف الزيادة، وأصله أساوير، وأنشدَ ابنُ الأنباري[2]:

واللهِ لولا صِبْيَةٌ صِغارُ كأنَّما وجوهُهُمْ أقمارُ
يضمُّهُمْ من العَتيك دارُ أخافُ أن يُصيبَهُمْ إقتارُ
أو لاطِمٌ ليسَ له إسوارُ لما رآني مَلِكٌ جَبَّارُ
ببابِه ما وضَحَ النَّهارُ[3]

السُّندُس: رقيقُ الدِّيباج، والإستبرق: ما غَلُظَ منه، والإستبرَقُ: رُوميٌّ عُرِّبَ، وأصله: اسْتَبْرَه؛ أبدلوا الهاء قافاً. قاله ابن قتيبة. وقيل: مسمّى بالفعل، وهو استبرقَ من البريق، فقُطِعَتْ همزةُ وَصْلِه[4]. وقيل: الإستبرق: اسم الحرير. وقال المُرقِّش:

تراهُنَّ يَلْبَسْنَ المشاعِرَ مَرَّةً وإستبرَقُ الدِّيباجِ طَوْراً لِباسُها

وقال ابن بحر: الإِستبرَق: المنسوج بالذهب[5].

---

(١) مجاز القرآن ١/ ٤٠١.

(٢) فيما نقله عنه الزجاج في معاني القرآن ٣/ ٢٨٣.

(٣) الزاهر ٢/ ١٢٩، ونقله عنه ابن عطية في المحرر الوجيز ٣/ ٥١٤-٥١٥. والعَتيك من الأيام: الشديد الحر. والإقتار والقَتْر والتَّقْتير: الضيق في النفقة. تاج العروس (عتك) و(قتر).

(٤) المحرر الوجيز ٣/ ٥١٥، وقول ابن قتيبة في غريب القرآن ص٢٦٧.

(٥) تفسير القرطبي ١٣/ ٢٦٦، وبيت المرقش في تفسير الطبري ١٥/ ٢٥٥، والنكت والعيون ٣/ ٣٠٤-٣٠٥، وفيه - أيضاً - قول ابن بحر.

الأريكة: السرير في حَجَلَة، فإن كان وحدَه فلا يُسمَّى أريكةً[١].

وقال الزجَّاج[٢]: الأرائك: الفُرُش في الحِجال.

* * *

التفسير ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ۝١ قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ۝٢ مَّٰكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا ۝٣ وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ۝٤ مَّا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِءَابَآئِهِمْ ۚ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ ۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ۝٥ فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا ۝٦ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۝٧ وَإِنَّا لَجَٰعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا ۝٨﴾.

هي مكيَّة كلُّها في قول. وعن ابن عباس وقَتادة: إلَّا قولَه: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ﴾ الآية [٢٨] فمدنيَّة. وقال مقاتل: إلَّا من أوَّلها إلى ﴿جُرُزًا﴾ [١٨]. ومن قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ الآيتين [١٠٧ و١٠٨]. فمدنيٌّ[٣].

وسبَبُ نزولها أنَّ قريشاً بعثت النَّضرَ بنَ الحارث وعُقبةَ بنَ أبي مُعَيط إلى أحبار يهود بالمدينة فقالوا لهما: سَلَاهُم عن محمد وصِفَا لهم صفتَه فإنَّهم أهل الكتاب الأول، وعندهم ما ليس عندنا من علم الأنبياء. فخرجا حتى أتَيا المدينة فسألاهم، فقالت: سلوه، فإنْ أخبركم بهنَّ فهو نبيٌّ مرسل، وإنْ لم يفعَلْ فالرجلُ مُتقَوِّلٌ، فَرَوْا فيه رأيَكم، سَلوه عن فتيةٍ ذهبوا في الدهر الأول ما كان من أمرِهم، فإنَّه كان لهم حديثٌ عجيب، وسَلوه عن رجلٍ طوَّافٍ بلغَ مشارقَ الأرضِ ومغاربَها، ما كان بناؤه؟ وسَلوه عن الرُّوح. فأقبلَ النَّضرُ وعُقبةُ إلى مكة فسألوه، فقال: «غداً أُخبِركم» ولم يقُل: إن شاء الله. فاستمسَكَ الوحيُ خمسة عشرَ يوماً، فأرجفَ[٤] به كفارُ قريشٍ، وقالوا: إنَّ محمداً قد تركَه رَئِيُّه الذي كان يأتيه من الجنِّ. وقال بعضهم: قد عجَزَ

(١) تفسير الرازي ٢١/١٢٣.
(٢) في معاني القرآن له ٣/ ٢٨٤.
(٣) زاد المسير ٥/١٠٢.
(٤) أرجف القوم: إذا خاضوا في الأخبار السيئة وذكر الفتن. اللسان (رجف).

عن أكاذيبه. فشقَّ ذلك عليه، فلمَّا انقضى الأمدُ جاءه الوحيُ بجوابِ الأسئلةِ وغيرِها. ورُويَ في هذا السبب أنَّ اليهودَ قالت: إنْ أجابَكم عن الثلاثةِ فليس بنبيٍّ، وإن أجابَ عن اثنتين وأمسكَ عن الأخرى فهو نبيٌّ. فأنزلَ اللهُ سورةَ أهل الكهف، وأنزل بعد ذلك: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ﴾[1] [الإسراء: ٨٥].

ومناسبةُ أولِ هذه السورة لآخرِ ما قبلها أنَّه لمَّا قال: ﴿وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَٰهُ وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَۗ﴾ [الإسراء: ١٠٥]. وذكر المؤمنينَ به أهلَ العلم، وأنَّه يزيدهم خشوعاً، وأنَّه تعالى أمرَ بالحمدِ له، وأنَّه لم يتَّخِذْ ولداً، أمرَه تعالى بحمدِه على إنزالِ هذا الكتابِ السالمِ من العِوَجِ، القَيِّمِ على كلِّ الكُتبِ، المُنذِرِ من اتَّخذَ ولداً، المبشِّرِ المؤمنين بالأجرِ الحسن، ثمَّ استطردَ إلى حديثِ كفَّار قريشٍ والتفَتَ من الخطاب في قوله: ﴿وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًۢا﴾ [الإسراء: ١١١] إلى الغَيبة في قوله: ﴿عَلَىٰ عَبْدِهِ﴾ لِما في «عبده» من الإضافةِ المقتضيةِ تشريفَه، ولم يجئِ التركيبُ: أنزل عليك.

و«الكتاب»: القرآن.

والعِوَجُ في المعاني كالعوجِ في الأشخاص[2]، ونكّر «عِوَجاً» ليعُمَّ جميعَ أنواعِه؛ لأنَّها نكرةٌ في سياق النَّفي، والمعنى: إنَّه في غاية الاستقامة لا تناقض ولا اختلاف في معانيه ولا حواشيه، ولا عِيَّ في تراكيبه ومبانيه.

و«قيِّماً» تأكيدٌ لإثبات الاستقامة إنْ كان مدلُوله مستقيماً؛ وهو قول ابن عباس والضحَّاك[3]. وقيل: قَيِّماً بمصالح العباد وشرائع دينهم وأمور معاشهم ومعادهم. وقيل: قَيِّماً على سائر الكتب بتصديقها[4].

واختلفوا في هذه الجملة المنفِيَّة؛ فزعم الزمخشريُّ أنَّها معطوفةٌ على «أنزَلَ» فهي داخلةٌ في الصِّلة، ورتَّبَ على هذا أنَّ الأحسنَ في انتصاب «قَيِّماً» أن ينتصبَ

(١) السيرة النبوية لابن هشام ١/ ٣٠٠-٣٠٢، وذكر ابن عطية في المحرر الوجيز ٣/ ٤٩٤ شطراً منه من آخره.
(٢) الكشاف ٢/ ٤٧١.
(٣) ذكره عنهما الماوردي في النكت والعيون ٣/ ٢٨٤، وأخرجه الطبري ١٥/ ١٤٠-١٤١.
(٤) الكشاف ٢/ ٤٧١، والقول الأخير في النكت والعيون ٣/ ٢٨٤، وقاله الفراء في معانيه ٢/ ١٣٣.

بفعلٍ مُضْمَرٍ ولا يُجعَلَ حالاً من «الكتاب»؛ لما يلزم من ذلك وهو الفصل بين الحالِ وذي الحالِ ببعض الصلة، وقدَّره: جعلَه قَيِّماً.

وقال ابن عطية[١]: «قَيِّماً» نُصِبَ على الحال من «الكتاب»، فهو بمعنى التقديم مؤخَّرٌ في اللفظ، أي: أنزلَ الكتابَ قَيِّماً، واعترض بين الحال وذي الحال قوله: ﴿وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا﴾. ذكره الطبريُّ عن ابن عباس. ويجوز أن يكون منصوباً بفعلٍ مُضْمَرٍ تقديرُه: أنزله، أو جعله قَيِّماً. انتهى. أمَّا إذا قُلنا بأنَّ الجملةَ المنفيَّةَ اعتراضٌ فهو جائزٌ، ويُفصَلُ بجمل الاعتراض بين الحال وصاحبها.

وقال العسكريُّ: في الآية تقديمٌ وتأخيرٌ، كأنَّه قال: احمدوا اللهَ على إنزال القرآن قَيِّماً لا عِوَجَ فيه، ومن عادة البُلَغاء أن يُقدِّموا الأهمَّ.

وقال أبو عبد الله الرازي[٢]: ﴿وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا﴾ يدلُّ على كونهِ مُكمَّلاً في ذاتهِ، وقولُه: ﴿قَيِّمًا﴾ يدلُّ على كونِه مُكَمِّلاً لغيره، فثبت بالبرهان العقليِّ أنَّ الترتيبَ الصحيحَ هو الذي ذكرَه اللهُ، وأنَّ ما ذكروه من التقديم والتأخير فاسدٌ يمتنع العقلُ من الذهاب إليه.

وقال الكرماني: إذا جعلتَه حالاً ـ وهو الأظهر ـ فليس فيه تقديمٌ ولا تأخيرٌ، والصحيح أنَّهما حالان من «الكتاب»، الأولى جملة، والثانية مفرد. انتهى. وهذا على مذهب مَنْ يُجَوِّزُ وقوعَ حالين من ذي حالٍ واحدٍ بغير عطف، وكثيرٌ من أصحابنا على مَنْعِ ذلك. انتهى. واختاره الأصبهاني[٣]، وقال: هما حالان متواليان، والتقدير: غيرُ جاعلٍ له عِوَجاً قَيِّماً. وقال صاحب «حلّ العقد»[٤]: يمكن أن يكون قولُه: ﴿قَيِّمًا﴾ بدلاً من قوله: ﴿وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا﴾ أي: جعلَه مستقيماً قَيِّماً. انتهى. ويكون بدلَ مفردٍ من جملة، كما قالوا في: عرفْتَ زيداً أبو مَنْ، أنَّه بدلُ جملةٍ من مفردٍ، وفيه خلاف.

---

(١) في المحرر الوجيز ٣/ ٤٩٥، وقول الطبري الآتي في تفسيره ١٥/ ١٤٢.
(٢) في تفسيره ٢١/ ٧٥.
(٣) هو أبو مسلم محمد بن بحر، وقوله في تفسير الرازي ٢١/ ٧٥.
(٤) وهو الثعالبي، وقوله الآتي في تفسير الرازي ٢١/ ٧٥-٧٦.

وقيل: «قَيِّماً» حالٌ من الهاء المجرورة في «ولم يجعل له» مُؤكِّدة. وقيل: منتقلة[(١)].

والظاهر أَنَّ الضميرَ في «له» عائدٌ على «الكتاب»، وعليه التخاريج الإعرابية السابقة. وزعم قومٌ أنَّ الضمير في «له» عائدٌ على «عبده»، والتقديرُ: على عبده، وجعله قيِّماً ولم[(٢)] يجعلْ له عِوَجاً.

وقرأ الجمهور: «قيِّماً»، وقرأ أبان بن تغلب: «قِيَماً»، وحفص يسكتُ على[(٣)] قوله: ﴿عِوَجَا﴾ سكتةً خفيفةً، ثم يقول: ﴿قَيِّمًا﴾. وفي بعض مصاحف الصحابة: «ولم يجعَلْ له عِوَجاً لكِنْ جعلَه قَيِّماً»[(٤)]. ويُحمل ذلك على تفسير المعنى لا أنَّها قراءة.

و«أنذر» يتعدَّى لمفعولين، قال: ﴿إِنَّآ أَنذَرْنَٰكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا﴾[(٥)] [النبأ: ٤٠]، وحذف هنا المفعولَ الأولَ وصرّحَ بالمُنذَرِ به لأنَّه هو الغرض المسوق إليه، فاقتصر عليه، ثمَّ صرّح بالمُنذَرِ في قوله حين كرَّر الإنذار، فقال: ﴿وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ۝٤﴾ فحذَفَ المُنذَرَ أولاً لدلالة الثاني عليه، وحذف المُنذَرَ به لدلالة الأول عليه، وهذا من بديع الحذف وجليل الفصاحة. ولمَّا لم يكرّرِ البشارةَ أتى بالمُبَشَّر والمُبَشَّر به.

والظاهر أنَّ «ليُنذِرَ» متعلِّقةٌ بـ «أنزَلَ». وقال الحَوْفي: تتعلَّقُ بـ «قَيِّماً» ومفعول «ليُنذِرَ» المحذوف قدَّره ابنُ عطية[(٦)]: ليُنذِرَ العالَمَ، وأبو البقاء[(٧)]: ليُنذِرَ العباد، أو ليُنذِرَكم، والزمخشريُّ[(٨)] قدَّره خاصًّا؛ قال: وأصلُه: لِيُنذِرَ الذين كفروا بأساً

(١) إملاء ما منَّ به الرحمن ٢/ ٩٨.
(٢) من هنا إلى قوله: «قيِّماً» من (ز١) و(يه) و(د١).
(٣) في (يه) و(د١): عن، والمثبت من باقي النسخ.
(٤) المحرر الوجيز ٣/ ٤٩٤-٤٩٥ ببعضه، وينظر التيسير ص١٤٢، وقراءة أبان في الشاذة ص٧٨.
(٥) الكشاف ٢/ ٤٧٢.
(٦) في المحرر الوجيز ٣/ ٤٩٥.
(٧) في الإملاء ٢/ ٩٨.
(٨) في الكشاف ٢/ ٤٧٢.

شديداً، والبأسُ من قوله: ﴿بِعَذَابٍ بَئِيسٍ﴾ [الأعراف: ١٦٥]. وقد بَؤُسَ العذابُ وبَؤُسَ الرجلُ بأساً وبآسةً. انتهى. وكأنَّه راعى في تعيين المحذوف مُقابِلَه، وهو ﴿وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾.

والبأس الشديد: عذاب الآخرة، ويَحتمِلُ أن يندرجَ فيه ما يلحَقُهم من عذاب الدنيا[١].

ومعنى «مِن لَدُنْهُ»: صادرٌ مِن عنده[٢].

وقرأ أبو بكر بسكون الدَّال وإشمامِها الضمَّ وكسرِ النون[٣]. وتقدَّم الكلامُ عليها في أول «هود»[٤].

وقُرئ: «ويُبَشِّرُ» بالرفع، والجمهورُ بالنصب عطفاً على «لينذر»[٥].

والأجر الحسن: الجنة. ولمَّا كنى عن الجنة بقوله: ﴿أَجْرًا حَسَنًا﴾ قال: ﴿مَّٰكِثِينَ فِيهِ﴾ أي: مقيمين فيه، فجعله ظرفاً لإقامتهم، ولمَّا كان المُكْثُ لا يقتضي التأبيد قال: ﴿أَبَدًا﴾ وهو ظرفٌ دالٌّ على زمنٍ غيرِ متناهٍ[٦].

وانتصب «ماكثينَ» على الحال، وذو الحال هو الضمير في «لهم»[٧].

والذين نسبوا الولدَ إلى الله تعالى بعضُ اليهود في عزير، وبعضُ النصارى في المسيح، وبعضُ العرب في الملائكة، والضمير في «به» الظاهرُ أنَّه عائدٌ على الولد الذي ادَّعوه. قال المهدوي: فتكون الجملة صفةً للولد. قال ابن عطية: وهذا مُعترضٌ؛ لأنَّه لا يصِفُه إلَّا القائل وهم ليس قصدُهم أنْ يصِفوه، والصواب عندي أنَّه نفيٌ مؤتَنَفٌ أخبر الله تعالى به يُجهّلهم في ذلك، ولا موضعَ للجُملة من

---

(١) المحرر الوجيز ٣/ ٤٩٥.
(٢) الكشاف ٢/ ٤٧٢.
(٣) المحرر الوجيز ٣/ ٤٩٥، وينظر التيسير ص١٤٢.
(٤) يعني عند تفسير الآية الأولى منها.
(٥) قراءة الرفع قراءة شاذة.
(٦) المحرر الوجيز ٣/ ٤٩٥ باختصار.
(٧) إملاء ما منَّ به الرحمن ٢/ ٩٨، والمحرر الوجيز ٣/ ٤٩٥.

الإعراب، ويَحْتَملُ أن يعود على الله تعالى، وهذا التأويل أذمُّ لهم وأقضى في الجهل التامّ عليهم، وهو قول الطبري. انتهى[١].

قيل: والمعنى: ما لهم بالله من علم فينزِّهوه عمَّا لا يجوز عليه. ويَحتمِلُ أن يعود على القول المفهوم من «قالوا»، أي: ما لهم بقولهم هذا من علم، فالجملة في موضع الحال، أي: قالوا جاهلين من غير فكرٍ ولا روِيَّةٍ ولا نظرٍ فيما يجوز ويمتنع. وقيل: يعود على الاتِّخاذ المفهوم من «اتَّخذ» أي: ما لهم بحكمة الاتِّخاذ من علمٍ إذ لا يَتَّخذه إلَّا مَنْ هو عاجزٌ مقهورٌ يحتاج إلى مُعينٍ يشدُّ به عضُدَه، وهذا مستحيلٌ على الله.

قال الزمخشري[٢]: اتِّخاذ اللهِ ولداً في نفسه مُحالٌ، فكيف قيل: ﴿مَّا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ﴾ قلت: معناه: ما لهم به من علم لأنَّه ليس ممَّا يُعلَم؛ لاستحالته، وانتفاءُ العلم بالشيء؛ إمَّا للجهل بالطريق الموصل إليه، وإمَّا لأنَّه في نفسه مُحالٌ لا يستقيمُ تعلُّقُ العِلم به. انتهى.

«ولا لآبائهم» معطوفٌ على «لهم» وهم مَنْ تقدَّم من أسلافهم الذين ذهبوا إلى هذه المقالة السخيفَة، بل مَنْ قال ذلك إنَّما قاله عن جهلٍ وتقليدٍ، وذَكرَ الآباءَ؛ لأنَّ تلك المقالة قد أخذوها عنهم وتلقَّفوها منهم.

وقرأ الجمهور: «كلمةً» بالنصب، والظاهر انتصابُها على التمييز، وفاعل «كَبُرَتْ» مضمرٌ يعود على المقالة المفهومة من قوله: ﴿قَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا﴾ وفي ذلك معنى التعجُّب، أي: ما أكبَرَها كلمةً! والجملةُ بعدَها صفةٌ لها تُفيد استعظامَ اجترائهم على النُّطقِ بها وإخراجها من أفواههم، فإنَّ كثيراً ممَّا يوسوس به الشيطان في القلوب، ويُحدِّثُ به النفسَ، لا يُمكِنُ أن يتفوَّهَ به، بل يُصرَفُ عنه الفكرُ، فكيف بمثل هذا المنكَر؟!

وسُمِّيتْ «كلمةً» كما يُسمُّون القصيدةَ كلمةً. وقال ابن عطية[٣]: وهذه المقالة هي قائمةٌ في النفس معنًى واحداً، فيحسُن أن تُسمَّى كلمةً.

(١) المحرر الوجيز ٣/ ٤٩٥، وقول الطبري في تفسيره ١٥/ ١٤٦.
(٢) في الكشاف ٢/ ٤٧٢.
(٣) المحرر الوجيز ٣/ ٤٩٦، وما قبله منه.

وقال أيضاً: وقرأ الجمهور بنصب الكلمة، كما تقول: نِعْمَ رجلاً زيدٌ، وفسّر بالكلمة ووصفَها بالخروج من أفواههم، فقال بعضهم: نصبها على التفسير على حدِّ نصب قوله تعالى: ﴿وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا﴾ [الكهف: ٢٩]. وقالت فرقة: نصبَها على الحال، أي: كَبُرَتْ فِرْيَتُهم، ونحو هذا. انتهى. فعلى قوله: كما تقولُ: نِعْمَ رجلاً زيدٌ، يكون المخصوص بالذمِّ محذوفاً؛ لأنَّه جعل «تخرُجُ» صفةً لـ «كلمة» والتقديرُ: كَبُرَتْ كلمةً خارجةً من أفواههم تلك المقالة التي فاهوا بها، وهي مقالتُهم: اتخذ الله ولداً، والضمير في «كَبُرَتْ» ليس عائداً على ما قبله، بل هو مُضمَرٌ يُفسِّره ما بعدَه وهو التمييز على مذهب البصريين، ويجوز أن يكون المخصوصُ بالذمِّ محذوفاً، و«تخرجُ» صفةٌ له، أي: كَبُرَتْ كلمةٌ كلمةً تخرج من أفواههم.

وقال أبو عبيدة: نصب على التعجُّب، أي: أكْبِرْ بها كلمةً! أي: من كلمةٍ.

وقُرِئ: «كَبْرَتْ» بسكون الباء، وهي في لغة تميم[١].

وقرأ الحسن، وابن يَعْمَرَ، وابنُ مُحَيصِن، والقواسُ عن ابن كثير: «كلمَةٌ» بالرفع على الفاعلية[٢]، والنصبُ أبلَغُ في المعنى وأقوى[٣].

و«إنْ» نافية، أي: ما يقولون[٤]، و«كذباً» نعت لمصدر محذوف، أي: قولاً كذباً[٥].

﴿فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ﴾ «لعلَّ» للترجّي في المحبوب وللإشفاق في المحذور.

وقال العسكري فيها هنا: هي موضوعةٌ موضعَ النهي. يعني: إنَّ المعنى: لا تبخَعْ نفسَك. وقيل: وُضِعَتْ موضعَ الاستفهام، تقديره: هل أنتَ باخِعٌ نفسَك؟

---

(١) في الكشاف ٢/ ٤٧٢: وقرئ «كَبْرَتْ» بسكون الباء مع إشمام الضمَّة.

(٢) المحرر الوجيز ٣/ ٤٩٦، وزاد المسير ٥/ ١٠٤، والقراءة في المحتسب ٢/ ٢٤، والشاذة ص٧٨. والمشهور عن ابن كثير كقراءة الجمهور. والقواس: هو أبو الحسن أحمد بن محمد المكي النبَّال المقرئ، قرأ عليه قُنبل وغيره، توفي سنة (٢٤٠ أو ٢٤٥هـ). معرفة القراء الكبار ١/ ٣٧٠-٣٧١.

(٣) الكشاف ٢/ ٤٧٢.

(٤) مشكل إعراب القرآن ١/ ٤٣٧.

(٥) إملاء ما منَّ به الرحمن ٢/ ٩٨.

وقال ابن عطية[١]: تقريرٌ وتوقيفٌ بمعنى الإنكار عليه، أي: لا تكُنْ كذلك. وقال الزمخشريُّ[٢]: شبَّهه وإيَّاهم حين تولَّوا عنه ولم يؤمنوا به وما تداخله من الوجد والأسف على تولِّيهم برَجُلٍ فارقَتْه أحِبَّتُه وأعِزَّتُه، فهو يتساقط حسراتٍ على آثارهم، ويبخَعُ نفسَه وَجْداً عليهم وتلهُّفاً على فِراقهم. انتهى. وتكون «لعلَّ» للاستفهام قولٌ كوفيٌّ. والذي يظهر أنَّها للإشفاق، أشفقَ أن يَبْخَعَ الرسولُ ﷺ نفسَه؛ لكونهم لم يؤمنوا.

وقوله: ﴿عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِمْ﴾ استعارةٌ فصيحةٌ من حيث لهم إدبارٌ وتباعدٌ عن الإيمان وإعراضٌ عن الشرع، فكأنَّهم من فرط إدبارهم قد بَعُدوا، فهو في إدبارهم يحزن عليهم[٣].

ومعنى «على آثارهم»: من بَعْدِهم، أي: بَعْدَ يأسِك من إيمانهم، أو بَعْدَ موتهم على الكفر، ويقال: مات فلانٌ على أثر فلان، أي: بعدَه.

وقُرئ: «باخعُ نفسِكَ» بالإضافة، وقرأ الجمهور: «باخِعٌ» بالتنوين «نفسَك» بالنصب. قال الزمخشري: على الأصل[٤]. يعني أنَّ اسمَ الفاعل إذا استوفى شروط العمل فالأصل أن يعمل، وقد أشار إلى ذلك سيبويه في «كتابه»[٥]. وقال الكسائي: العمل والإضافة سواءٌ، وقد ذهَبْنا إلى أنَّ الإضافةَ أحسنُ من العمل بما قرَّرناه فيما وضعنا في علم النحو.

وقُرئ: «إنْ لم يؤمنوا» بكسرِ الهمزة وفتحِها[٦]، فمَنْ كسَرَ فقال الزمخشريُّ[٧]: هو يعني اسمَ الفاعل للاستقبال، ومَنْ فتحَ فللمُضيِّ يعني حالةَ الإضافةِ، أي: لأنْ لم يؤمنوا.

---

(١) في المحرر الوجيز ٣/ ٤٩٦.
(٢) في الكشاف ٢/ ٤٧٢-٤٧٣.
(٣) المحرر الوجيز ٣/ ٤٩٦.
(٤) الكشاف بنحوه ٢/ ٤٧٣، والقراءة ذكرها ابن الجوزي في زاد المسير ٥/ ١٠٤ عن سعيد بن جبير، وأبي الجوزاء، وقتادة. وهي قراءة شاذة.
(٥) الكتاب ١/ ١٨١ فما بعده.
(٦) قراءة الفتح ذكرها ابن خالويه في الشاذة ص٧٨ وقال: ذكره الفراء للأعشى، عن أبي بكر، عن عاصم.
(٧) في الكشاف ٣/ ٤٩٦.

والإشارةُ بهذا الحديث إلى القرآن؛ قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا﴾.

و«أَسَفاً» قال مجاهد: جَزَعاً. وقال قَتادة: غضباً. وعنه أيضاً: حَزَناً. وقال السُّدِّي: ندماً وتَحسُّراً. وقال الزجَّاج: الأسَف: المُبالغةُ في الحُزنِ والغضب. وقال منذر بن سعيد: الأَسَف هنا: الحُزْن؛ لأنَّه على من لا يملك ولا هو تحت يدِ الآسِف، ولو كان الأسَفُ من مُقْتدِرٍ على مَنْ هو في قبضتِه وملكِه كان غضباً، كقوله تعالى: ﴿فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡ﴾ [الزخرف: ٥٥] أي: أغضبونا. قال ابن عطية: وإذا تأمَّلتَ هذا في كلام العرب اطَّرَدَ. انتهى(١).

وانتصابُ «أسَفاً» على أنه مفعول من أجله، أو على أنَّه مصدر في موضع الحال، وارتباط قوله: ﴿إِنَّا جَعَلۡنَا﴾ الآية بما قبلَها هو على سبيل التسلية للرسول ﷺ؛ لأنَّه تعالى أخبر أنَّه خلقَ ما على الأرض من الزينة للابتلاء والاختبار: أيُّ الناسِ أحسنُ عملاً، فليسوا على نمطٍ واحدٍ في الاستقامةِ واتِّباع الرُّسلِ، بل لا بُدَّ أن يكون فيهم مَنْ هو أحسنُ عملاً ومَنْ هو أسوأُ عملاً، فلا تغتَمَّ وتحزَن على من قضيْتُ(٢) عليه بأنَّه يكون أسوأ عملاً، ومع كونِهم يكفرون بي لا أقطع عنهم موادَّ هذه النِّعم التي خلقتُها(٣).

و«جَعَلْنا» هنا بمعنى: خلَقْنا، والظاهرُ أنَّ «ما» يُرادُ بها غيرُ العاقل، وأنَّه يُراد به العموم فيما لا يعقل.

و«زينةً» كلُّ شيء بحسبه. وقيل: لا يدخل في ذلك ما كان فيه إيذاءٌ من حيوانٍ وحجرٍ ونباتٍ؛ لأنَّه لا زينةَ فيه. ومن قال بالعموم قال: فيه زينةٌ من جهة خَلْقِه وصَنْعتِه وإحكامه(٤). وقيل: المُرادُ بـ «ما» هنا خصوص ما لا يعقل، فقيل:

---

(١) المحرر الوجيز ٣/ ٤٩٦، والأقوال ـ دون قول قتادة الثاني وقول منذر بن سعيد ـ في زاد المسير ٥/ ١٠٥، وقول مجاهد وقول قتادة الأول في النكت والعيون ٣/ ٢٨٥، وقول الزجاج في معاني القرآن له ٣/ ٢٦٩.
(٢) المثبت من (ز١) و(د١)، وفي باقي النسخ والمطبوع: فضلت!.
(٣) تفسير الرازي ٢١/ ٨٠ بنحوه وباختصار.
(٤) المحرر الوجيز ٣/ ٤٩٦-٤٩٧ بنحوه.

الأشجار والأنهار. وقيل: النبات؛ لما فيه من الاختلاف والأزهار. وقيل: الحيوان المختلف الأشكال والمنافع والأفعال. وقيل: الذهب والفضة والنحاس والرصاص والياقوت والزَّبَرجد والجوهر والمَرجان وما يجري مجرى ذلك من نفائس الأحجار[١].

وقال الزمخشريُّ[٢]: «ما على الأرض» يعني: ما يصلح أن يكون زينةً لها ولأهلها من زخارف الدنيا وما يستحسن منها. وقال فرقة: أراد النعيم[٣] والملابس والثمار والخضرة والمياه.

وقيل: «ما» هنا لمن يعقل، فعن مجاهد: هو الرجال. وقاله ابن جُبير عن ابن عباس. وروى عكرمة أنَّ الزينةَ الخلفاء والعلماء والأمراء[٤].

وانتصب «زينةً» على الحال، أو على المفعول من أجله إن كان «جَعَلْنا» بمعنى: خَلَقْنا وأوجَدْنا، وإن كانت بمعنى: صَيَّرْنا، فانتصب على أنَّه مفعولٌ ثانٍ[٥]. واللَّام من «لنبلوهم» تتعلَّق بـ «جَعَلْنا».

والابتلاء: الاختبار، وهو مُتأوَّلٌ بالنسبة إلى الله تعالى، والضمير في «لنبلوهم» إنْ كانت «ما» لمن يعقِلُ فهو عائدٌ عليها على المعنى، وإنْ لا فيَعود على ما يُفهم من سياق الكلام وهو سكان الأرض المكلَّفون، و«أيُّهم» يَحتملُ أن تكون الضَّمَّةُ فيها إعراباً، فيكون «أيُّهم» مبتدأً و«أحسنُ» خَبَرَه، والجملة في موضع المفعول «لنبلوهم» ويكون قد علَّقَ «لنبلوهم» إجراءً لها مجرى العلم؛ لأنَّ الابتلاء والاختبار سببٌ للعلم، كما علَّقوا «سَلْ» و«انظُرْ» البصرية؛ لأنَّهما سببان للعلم. وإلى أنَّ الجملةَ استفهاميةٌ مبتدأٌ وخبرٌ ذهب الحَوْفي. ويَحتمِلُ أن تكون الضمَّةُ فيها بناءً على مذهب سيبويه؛ لوجود شرطِ جوازِ البناء في «أي»، وهو كونُها مضافةً قد حذفَ صدرُ صِلَتِها، فـ«أحْسَنُ» خبرُ مبتدأٍ محذوفٍ، فتقديره: هو أحسَنُ، ويكون «أيُّهم»

(١) تفسير الرازي ٢١/ ٨٠ بنحوه وباختصار.
(٢) في الكشاف ٢/ ٤٧٣.
(٣) في المحرر الوجيز ٣/ ٤٩٧، وتفسير القرطبي ١٣/ ٢٠٧: النِّعَم، والكلام فيهما.
(٤) المحرر الوجيز ٣/ ٤٩٦، وزاد المسير ٥/ ١٠٥-١٠٦.
(٥) إملاء ما من به الرحمن ٢/ ٩٩.

في موضع نصبٍ بدلاً من الضمير في «لنبلوهم» والمُفضَّل عليه محذوفٌ تقديره: ممَّن ليس أحسنَ عملاً.

وقال الثوري: «أحسنُهم عملاً»: أزهَدُهم فيها. وقال أبو عصام[1] العسقلاني: أتْرَكُ لها. وقال الزمخشري: حُسْنُ العملِ: الزهدُ فيها وتركُ الاغترارِ بها[2]. وقال أبو بكر غالب بن عطية: أحْسَنُ العملِ أخذٌ بحقٍّ مع الإيمان، وأداءُ الفرائض، واجتنابُ المحارم، والإكثارُ من المندوب إليه[3]. وقال الكلبي: أحسنُ طاعةً. وقال القاسم بن محمد: ما عليها من الأنبياء والعلماء، ليبلو المرسَلَ إليهم والمقلِّدين للعلماء أيُّهم أحسنُ قبولاً وإجابةً. وقال سهل: أحسنُ توكُّلاً علينا فيها. وقيل: أصفى قلباً، وأحسنُ سَمْتاً[4]. وقال ابن إسحاق: أيُّهم أتْبَعُ لأمري وأعمَلُ بطاعتي[5].

﴿وَإِنَّا لَجَٰعِلُونَ﴾ أي: مُصيِّرون ما عليها ممَّا كان زينةً لها أو ما عليها ممَّا هو أعَمُّ من الزينة وغيرِه صعيداً تراباً ﴿جُرُزًا﴾ لا نبات فيه. وهذا إشارةٌ إلى التزهيدِ في الدنيا والرغبةِ عنها، وتسليةٌ للرسول ﷺ عما تضمَّنَتْه أيدي المُتْرَفين من زينتها، إذ مآلُ ذلك كلِّه إلى الفناء والمحاق.

وقال الزمخشري[6]: ﴿مَا عَلَيْهَا﴾ من هذه الزينة ﴿صَعِيدًا جُرُزًا﴾ يعني: مثل أرضٍ بيضاءَ لا نباتَ فيها بعد أن كانت خضراءَ مُعشِبة في إزالة بهجتِه، وإماطةِ

(١) في النسخ الخطية والمطبوع والمحرر الوجيز ٣/ ٤٩: أبو عاصم، والتصويب من تفسير الطبري ١٥/ ١٥٢، وتفسير القرطبي ١٣/ ٢٠٩، وينظر تهذيب الكمال ٩/ ٢٢٧، وقول الثوري ليس في الطبري، وإنما عزاه السيوطي في الدر المنثور ٤/ ٢١١ إلى ابن أبي حاتم في تفسيره. وأبو عصام العسقلاني: هو روَّاد بن الجرَّاح، صدوق اختلط بأَخَرة فتُرك، وفي حديثه عن الثوري ضعف شديد، روى له ابن ماجه. تقريب التهذيب.

(٢) الكشاف ٢/ ٤٧٣.

(٣) المحرر الوجيز ٣/ ٤٩٧.

(٤) النكت والعيون ٣/ ٢٨٥، وقول الكلبي والقاسم بنحوهما.

(٥) تفسير القرطبي ١٣/ ٢٠٠-٢٠١، ونقله عن ابن إسحاق ابن هشام في السيرة ١/ ٣٠٣. وأخرجه الطبري ١٥/ ١٥٢-١٥٣.

(٦) في الكشاف ٢/ ٤٧٣.

حُسْنِه، وإبطالِ ما به كان زينةً من إماتة الحيوان، وتجفيف النبات والأشجار، ونحو ذلك. انتهى.

قيل: والصعيدُ: ما تصاعد على وجه الأرض. وقال مجاهد: الأرضُ التي لا نباتَ بها. وقال السُّدِّي: الأملس المستوي. وقيل: الطريق. وفي الحديث: «إيَّاكم والقعودَ على الصُّعُدات»[1].

﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ﴿٩﴾ إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ فَقَالُوا۟ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴿١٠﴾ فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِى ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴿١١﴾ ثُمَّ بَعَثْنَٰهُمْ لِنَعْلَمَ أَىُّ ٱلْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓا۟ أَمَدًا ﴿١٢﴾ نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا۟ فَقَالُوا۟ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَا۟ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًا لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا ﴿١٤﴾﴾.

«أم» هنا هي المنقطعة، فتُقدَّر بـ«بل» والهمزة. قيل: للإضراب عن الكلام الأول بمعنى الانتقال من كلام إلى آخر، لا بمعنى الإبطال، والهمزة للاستفهام. وزعم بعض النَّحْويين أنَّ «أم» هنا بمعنى الهمزة فقط.

والظاهر في «أم حسبت» أنَّه خطابٌ للرسول ﷺ، فقال مجاهد: لم يَنْهَه عن التعجُّب وإنَّما أراد كلَّ آياتنا كذلك. وقال قَتادة: لا يتعجَّبُ منها، فالعجائب في خلق السماوات والأرض أكثر. وقال ابن عباس: سألوك عن ذلك ليجعلوا جوابَك علامةً لصدقِكَ وكذبِكَ، وسائرُ آيات القرآن أبلَغُ وأعجَبُ وأدَلُّ على صدقِكَ.

وقال الطبري: تقريرٌ له عليه السلام على حسبانه أنَّ أصحابَ الكهف كانوا عجباً، بمعنى إنكار ذلك عليه أن لا يُعظِّم ذلك بحسب ما عَظَّمه عليك السائلون من الكفَرة، فإن سائرَ آياتِ الله أعظَمُ من قِصَّتهم؛ قال: وهو قولُ ابن عباس ومجاهد وقَتادة وابن إسحاق. وقال الزهراوي: يَحتمِلُ معنًى آخرَ وهو أن يكون استفهاماً

(١) أخرجه أحمد (٢٧١٦٣) من حديث أبي شريح الكعبي الخزاعي، وأخرجه - أيضاً - (١١٣٠٩)، والبخاري (٢٤٦٥)، ومسلم (٢١٢١) من حديث أبي سعيد الخدري، لكن بلفظ: «الطرقات» بدل «الصعدات».

له: هل عَلمَ أنَّ أصحاب الكهف كانوا عجباً، بمعنى إثباتِ أنَّهم عجَبٌ، ويكون فائدةُ تقريره جمعَ نفسِه للأمر؛ لأنَّ جوابَه أن يقول: لم أحسَبْ ولا علِمْتُه، فيُقال له وصفُهم عند ذلك، والتجوُّزُ في هذا التأويل هو في لفظة «حسِبْتَ». انتهى[١]. وقال غيره: معناه: أعَلِمْتَ: أي: لم تعلَمْه حتى أعلَمْتُكَ.

وقال الزمخشري[٢]: ذكَرَ من الآياتِ الكُلِّية تزيينَ الأرضِ بما خلق فوقَها من الأجناس التي لا حَصْرَ لها، وإزالةَ ذلكَ كلِّه كأَنْ لم يكُنْ، ثم قال: ﴿أَمْ حَسِبْتَ﴾ يعني أنَّ ذلك أعظم من قصةِ أهل الكهف وإبقاءِ حياتهم مدةً طويلةً. انتهى.

وقيل: أي: أم علِمْتَ، أي: فاعلَمْ أنهم كانوا عجباً، كما تقول: أعلِمْتَ أنَّ فلاناً فعَلَ كذا؟ أي: قد فعَلَ فاعْلَمْهُ.

وقيل: الخطاب للسامع، والمُرادُ المشركون، أي: قُلْ لهم[٣]. والظنُّ قد يُقام مقام العلم، فكذلك حسِبْتَ بمعنى علِمْتَ. والكهف تقدَّم تفسيرُه في المفردات. وعن أنس: الكهف: الجبل. قال القاضي[٤]: وهذا غيرُ مشهورٍ في اللغة. وقال مجاهد: تفريج بين الجبلين. والظاهر أنَّ أصحاب الكهف والرَّقيم هم الفتيةُ المذكورون هنا. وعن ابن المسيب أنَّهم قومٌ كان حالُهم كأصحاب الكهف[٥]. فقال الضحَّاك: الرَّقيم: بلدةٌ بالروم فيها غارٌ فيه أحدٌ وعشرون نفساً أمواتٌ كلُّهم نيامٌ على هيئة أصحاب الكهف. وقيل: هم أصحاب الغار[٦]، ففي الحديث عن النعمان بن بشير أنَّه سمعَ الرسولَ ﷺ يذكر الرَّقيم قال: «إنَّ ثلاثةَ نفرٍ أصابَتْهم السماءُ فأوَوا إلى الكهف، فانحطَّتْ صخرةٌ من الجبل فانطبقَتْ على باب الكهف»، وذكر الحديث[٧]،

(١) المحرر الوجيز ٣/ ٤٩٧.
(٢) في الكشاف ٢/ ٤٧٣.
(٣) بعدها في النسخ والمطبوع سوى (ز١) و(د١) زيادة: «أم حسبتم» الآية.
(٤) ابن عطية في المحرر الوجيز ٣/ ٤٩٧، وهذا التفسير عن أنس ذكره النحاس في معاني القرآن له ٤/ ٢١٧.
(٥) النكت والعيون ٣/ ٢٨٧ لكن عن سعيد بن جبير.
(٦) تفسير القرطبي ١٣/ ٢١٣.
(٧) أخرجه أحمد (١٨٤١٧)، والطبراني في الكبير في الأحاديث الطوال (٤١)، وفي الأوسط (٢٣٢٨)، وأبو نعيم في الحلية ٨/ ٧٩.

وهو حديث المُستأجِر والعفيف وبارِّ أبويه، وفيما أورده فيه زيادةُ ألفاظٍ على ما في الصحيح[١].

ومن قال: إنَّهم طائفتان، قال: أخبر اللهُ عن أصحاب الكهف ولم يُخبِرْ عن أصحاب الرقيم بشيء[٢]. ومن قال بأنَّهم طائفةٌ واحدةٌ اختلفوا في شرح الرَّقيم؛ فعن ابن عباس أنَّه لا يدري ما الرقيم أكتاب أم بنيان؟ وعنه أنَّه كتابٌ كان عندَهم، فيه الشرع الذي تمسَّكوا به من دين عيسى عليه السلام. وقيل: من دينٍ قبل عيسى[٣]. وعن ابن عباس ووهب[٤]: أنَّه اسمُ قريتهم[٥]. وقيل: لوحٌ من ذهبٍ تحت الجدار أقامه الخَضِر عليه السلام[٦]. وقيل: كُتِبَ فيه أسماؤهم وقصَّتُهم وسببُ خروجهم[٧]. وقيل: لوحٌ من رصاص كُتِبَ فيه شأنُ الفتية ووُضِعَ في تابوت من نحاس في فم الكهف[٨]. وقيل: صخرة كُتِبَ فيها أسماؤهم وجُعِلَتْ في سور المدينة[٩]. وقيل: اسمُ كلبهم ـ وتقدم بيت أمية[١٠] ـ قاله أنسٌ والشَّعبيُّ وابنُ جُبير[١١]. وعن الحسن: الجبل الذي به الكهف[١٢]. وعن عكرمة: اسم الدَّواة بالرُّومية[١٣]. وقيل: اسمٌ

---

(١) صحيح البخاري (٢٢٧٢)، وصحيح مسلم (٢٧٤٣) من حديث ابن عمر ﷺ، وهو في مسند أحمد (٥٩٧٣).

(٢) تفسير القرطبي ١٣/ ٢١٣.

(٣) المحرر الوجيز ٣/ ٤٩٧ و٤٩٨.

(٤) هكذا في النسخ والمطبوع، وفي زاد المسير ٥/ ١٠٨، وتفسير القرطبي ١٣/ ٢١١: وكعب.

(٥) النكت والعيون ٣/ ٢٨٦ عن ابن عباس، وكذا أخرجه عبد الرزاق في تفسيره ١/ ٣٩٧، والطبري ١٥/ ١٥٨.

(٦) تفسير القرطبي ١٣/ ٢١٢.

(٧) ذكره الفراء في معاني القرآن ٢/ ١٣٤ بنحوه.

(٨) تفسير القرطبي ١٣/ ٢١٢، ونسبه في زاد المسير ٥/ ١٠٨ إلى مقاتل.

(٩) زاد المسير ٥/ ١٠٨.

(١٠) تقدم في بداية السورة عند تفسير المفردات، والبيت هو:

وليسَ بها إلّا الرَّقيمُ مُجاوراً   وصيدهُمُ والقومُ في الكهف هُمَّدُ

(١١) النكت والعيون ٣/ ٢٨٧ عن ابن جبير، والمحرر الوجيز ٣/ ٤٩٨ عن أنس والشعبي.

(١٢) النكت والعيون ٣/ ٢٨٦، وزاد المسير ٥/ ١٠٨.

(١٣) المحرر الوجيز ٣/ ٤٩٨، وزاد المسير ٥/ ١٠٨، ونسبه في النكت والعيون ٣/ ٢٨٧ إلى أبي صالح.

للوادي الذي فيه الكهف[١]. وقيل: رقَمَ الناسُ حديثَهم نقراً في الجبل[٢].

و«عجباً» نُصِبَ على أنه صفةٌ لمحذوفٍ دلَّ عليه ما قبله، وتقديره: آيةً عجباً، وُصِفَتْ بالمصدر، أو على تقدير: ذات عَجَب. وأما أسماء فتية الكهف فأعجميَّةٌ لا تنضبط بشَكْلٍ ولا نَقْطٍ، والسند في معرفتها ضعيف[٣]، والرُّواة مختلفون في قصصهم وكيف كان اجتماعهم وخروجهم؟ ولم يأتِ في الحديث الصحيح كيفيةُ ذلك، ولا في القرآن، إلَّا ما قَصَّ تعالى علينا من قَصصِهم، ومن أراد تطلُّبَ ذلك فمِن كتب التفسير.

ورُوي أنَّ اسم الملك الكافر الذي خرجوا في أيامه عن مِلَّتِه اسمه دقيانوس[٤]، ورُوي أنَّهم كانوا في الروم. وقيل: في الشام، وأنَّ بالشام كهفاً فيه موتى، ويزعم مُجاوِره أنَّهم أصحابُ الكهف، وعليهم مسجدٌ وبناءٌ يُسمَّى الرَّقيم، ومعهم كلبٌ رِمَّة. وبالأندلس في جهة غَرناطة بِقُرب قريةٍ تُسمَّى «لَوْشة» كهفٌ فيه موتى، ومعهم كلبٌ رِمَّة، وأكثرُهم قد انجرد لحمُه، وبعضُهم متماسكٌ، وقد مضتِ القرون السالفة، ولم نجِدْ من علم شأنهم، ويزعم ناسٌ أنَّهم أصحابُ الكهف. قال ابن عطية: دخلتُ إليهم فرأيتُهم سنة[٥] أربعٍ وخمسٍ مئة وهم بهذه الحالة، وعليهم مسجدٌ، وقريبٌ منهم بناءٌ روميٌّ يُسمَّى الرَّقيم كأنَّه قصرٌ مُخْلِقٌ قد بقي بعضُ جدرانِه، وهو في فَلاةٍ من الأرض خَرِبة، وبأعلى حضرة غَرناطة ممَّا يلي القبلة آثارُ مدينةٍ قديمةٍ يُقال لها: مدينة دَقْيوس، وجدنا في آثارها غرائبَ من قبورٍ ونحوِها، وإنَّما استسهَلْتُ ذِكْرَ هذا مع بُعْدِه لأنَّه عجَبٌ يتخلَّد ذِكْرُه ما شاء الله عزَّ وجلَّ. انتهى[٦].

وحين كُنَّا بالأندلس كان الناس يزورون هذا الكهف، ويذكرون أنَّهم يغلطون

---

(١) النكت والعيون ٣/ ٢٨٦ ونسبه إلى الضحاك، وأخرجه عبد الرزاق ١/ ٣٩٦-٣٩٧، والطبري ١٥٨/١٥ عن مجاهد.
(٢) الكشاف ٢/ ٤٧٣، وما بعده منه.
(٣) المحرر الوجيز ٣/ ٤٩٨.
(٤) في المطبوع و(ز١) و(يه) و(أ) و(د١): دقيوس، والمثبت من باقي النسخ.
(٥) تصحفت في النسخ والمطبوع إلى: منذ، والمثبت من المحرر الوجيز ٣/ ٥١١، وتفسير القرطبي ١٣/ ٢١٣.
(٦) المحرر الوجيز ٣/ ٤٩٨ و٥١١.

في عِدَّتهم إذا عَدُّوهم، وأنَّ معهم كلباً، ويَرْحَلُ الناسُ إلى «لَوْشة» لزيارتهم، وأمَّا ما ذُكِرَ من مدينة دَقْيوس التي بقِبلي غَرْناطة فقد مررتُ عليها مِراراً لا تُحصى، وشاهدتُ فيها حجارةً كباراً، ويترجَّح كونُ أهلِ الكهف بالأندلس؛ لكثرة دينِ النصارى بها، حتى إنَّها هي بلادُ مملكتِهم العظمى، ولأنَّ الإخبارَ بما هو في أقصى مكان من أرض الحجاز أغرَبُ وأبْعَدُ أن يعرِفَه أحدٌ إلَّا بوحيٍ من الله تعالى.

والعامل في «إذ» قيل: «اذكُرْ» مضمرة. وقيل: «عجباً»[١].

ومعنى «أوى»: جعلوه مأوًى لهم ومكانَ اعتصامٍ[٢].

ثم دَعَوا اللهَ تعالى أن يُؤتيهم رحمةً من عنده، وفسَّرها المُفسِّرون بالرزق. وقال الزمخشري[٣]: هي المغفرة والرزق والأمن من الأعداء.

والفتية جمع فتًى، جمع تكسير جمع قِلَّة، وكذلك كانوا قليلين، وعند ابن السَّرَّاج أنَّه اسمُ جمعٍ لا جمعَ تكسير.

ولفظ الفتية يُشعِرُ بأنَّهم كانوا شباباً، وكذا رُوِيَ أنَّهم كانوا شباباً من أبناء الأشراف والعُظماء مُطوَّقين مُسوَّرين بالذهب ذَوي ذوائب، وهم من الروم، اتَّبعوا دينَ عيسى عليه السلام. وقيل: كانوا قبل عيسى[٤]. وأصحابُنا الأندلسيون يكثر في ألفاظهم تسميةُ نصارى الأندلس بالرُّوم في نَثْرِهم ونَظْمِهم ومخاطبةِ عامَّتِهم، فيقولون: غزَوْنا الروم، جاءنا الروم، وقَلَّ مَنْ ينطق بلفظ النصارى، ولمَّا دَعَوا بإيتاء الرحمة وهي تتضمَّن الرزقَ وغيرَه دَعَوا الله بأن يُهيِّئ لهم من أمرهم الذي صاروا إليه من مفارقة دين أهليهم وتوحيد الله رشداً، وهي الاهتداء والديمومة عليه. وقال الزمخشري[٥]: واجعل أمرنا رشَداً كلَّه، كقولك: رأيتُ منكَ أسداً.

---

(١) إملاء ما منَّ به الرحمن ٢/ ٩٩.
(٢) معاني القرآن للزجاج ٣/ ٢٧٠ بنحوه.
(٣) في الكشاف ٢/ ٤٧٣.
(٤) المحرر الوجيز ٣/ ٤٩٨.
(٥) في الكشاف ٢/ ٤٧٣.

وقرأ أبو جعفر، وشيبة، والزُّهري: «وهَيِّي» «ويُهَيِّي» بياءين من غير همز[(١)]، يعني أنَّه أبدل الهمزة الساكنة ياءً. وفي كتاب ابن خالويه[(٢)]: الأعشى، عن أبي بكر، عن عاصم: «وهيِّ لنا» و«يُهَيِّ لكم» لا يهمز. انتهى. فاحتَمَل أن يكون أبدل الهمزةَ ياءً، واحتَملَ أن يكون حذفَها، فالأول إبدالٌ قياسيٌّ، والثاني: مختلَفٌ فيه: أينقاس حذف الحرف المُبْدَل من الهمزة في الأمر أو المضارع إذا كان مجزوماً؟

وقرأ أبو رجاء: «رُشْداً» بضم الراء وإسكان الشين. وقرأ الجمهور: «رَشَداً» بفتحهما. قال ابن عطية: وهي أرجح؛ لشبَهِها بفواصل الآيات قبلُ وبعدُ. وهذا الدعاء منهم كان في أمر دنياهم، وألفاظه تقتضي ذلك، وقد كانوا على ثقةٍ من رشد الآخرة ورحمتها، وينبغي لكلِّ مؤمنٍ أن يجعل دعاءه في أمر دنياه هذه الآية فإنَّها كافيةٌ. ويحتمل ذكر الرحمة أن يُرادَ بها أمرُ الآخرة. انتهى[(٣)].

﴿فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ﴾ استعارة بديعة للإنامة المستثقلة التي لا يكاد يسمع معها، وعبَّر بالضرب ليدلَّ على قوة المباشرة واللصوق واللزوم، ومنه: ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ﴾ [آل عمران: ١١٢]، وضرب الجزية، وضرب البعث[(٤)]. وقال الفرزدق[(٥)]:

ضَرَبَتْ عليكَ العنكبوتُ بنَسْجِها ... وقضى عليكَ به الكتابُ المُنْزَلُ

وقال الأسود بن يَعْفُر:

ومن الحوادثِ لا أبا لَكَ أنَّني ... ضُرِبَتْ عليَّ الأرضُ بالأسدادِ[(٦)]

وقال آخر:

إنَّ المروءةَ والسَّماحةَ والنَّدى ... في قُبَّةٍ ضُرِبَتْ على ابنِ الحَشْرَجِ[(٧)]

---

(١) قراءة أبي جعفر من العشرة في النشر ١/ ٣٩٠-٣٩١.
(٢) القراءات الشاذة ص٧٨.
(٣) المحرر الوجيز ٣/ ٥٠٠.
(٤) أي: بعث الجند إلى الغزو. اللسان (بعث).
(٥) في ديوانه ص٧١٥.
(٦) البيت في المفضليات ص٢١٦، والاختيارين ص٥٥٩، ومنتهى الطلب ١/ ٤١٥. وضُربت عليه الأرضُ بالأسدادِ: سُدَّت عليه الطرق، وعميت عليه مذاهبه. القاموس (سدد).
(٧) قائله زياد الأعجم، وهو في ديوانه ص٧٧، وابن الحشرج: هو عبد الله بن الحشرج أحد سادات قيس. الأغاني ١٢/ ٢٣.

استعارةٌ للزوم هذه الأوصاف لهذا الممدوح، وذِكْرُ الجارحةِ التي هي الآذان إذ هي التي يكون منها السمع؛ لأنَّه لا يستَحْكمُ نومٌ إلَّا مع تعطُّلِ السمع. وفي الحديث: «ذاك رجلٌ بالَ الشيطان في أذنه» أي: استثقلَ نومُه جداً حتى لا يقوم بالليل[(١)].

ومفعول «ضربنا» محذوف، أي: حجاباً من أن يسمع، كما يُقال: بنى على امرأته، يريدون: بنى عليها القُبَّة.

وانتصب «سنينَ» على الظرف، والعامل فيه «فضربنا»، و«عدداً» مصدر وُصِفَ به، أو منتصبٌ بفعل مُضْمَر[(٢)]، أي: تُعَدُّ عدداً، وبمعنى اسم المفعول كالقبض والنَّقَض، ووصف به «سنين» أي: سنين معدودة، والظاهر في قوله: «عدداً» الدلالة على الكثرة؛ لأنَّه لا يحتاج أن يُعَدَّ إلَّا ما كَثُرَ لا ما قَلَّ. وقال الزمخشري[(٣)]: ويَحتمِلُ أن يُريد القِلَّة؛ لأنَّ الكثيرَ قليلٌ عنده، كقوله: ﴿لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ﴾ [الأحقاف: ٣٥]. انتهى. وهذا تحريفٌ في التشبيه؛ لأنَّ لفظ الآية: ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ﴾ فهذا تشبيهٌ لسرعة انقضاء ما عاشوا في الدنيا إذا رأوا العذاب، كما قال:

كأنَّ الفتى لم يَعْرَ يوماً إذا اكتسى ... ولم يَكُ صُعلوكاً إذا ما تَمَوَّلا[(٤)]

﴿ثُمَّ بَعَثْنَٰهُمْ﴾ أي: أيقظناهم من نومهم، والبعث: التحريك عن سكون إمَّا في الشخص، وإمَّا عن الأمر المبعوث فيه، وإن كان المبعوثُ متحرِّكاً[(٥)].

و ﴿لِنَعْلَمَ﴾ أي: لنُظهِرَ لهم ما علمناه من أمرهم، وتقدَّم الكلامُ في نظير هذا في قوله: ﴿لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ﴾ [البقرة: ١٤٣].

---

(١) المحرر الوجيز ٣/ ٥٠٠، والحديث أخرجه البخاري (٣٢٧٠)، ومسلم (٧٧٤)، وأحمد (٤٠٥٩) من حديث ابن مسعود ﷺ.
(٢) إملاء ما منَّ به الرحمن ٢/ ٩٩.
(٣) في الكشاف ٢/ ٤٧٣.
(٤) قائله جابر بن ثعلب الطائي كما في الكامل للمبرد ٢/ ٦٤٤، وشرح ديوان الحماسة للمرزوقي ١/ ٣٠٥.
(٥) لم ينته كلام ابن عطية بعد، فالقول الآتي -أيضاً- في المحرر الوجيز ٣/ ٥٠٠.

وفي «التحرير»: وقرأ الجمهور: «لنَعْلَم» بالنون. وقرأ الزهري: «ليعلم» بالياء. وفي كتاب ابن خالويه[١]: «ليُعْلَمَ أيُّ الحزبين» حكاه الأخفش.

وفي «الكشاف»[٢]: وقُرِئ: «لِيَعْلَم» وهو مُعلَّقٌ عنه؛ لأنَّ ارتفاعَه بالابتداء لا بإسنادِ يُعْلَم إليه. وفاعل «يُعْلَم» مضمونُ الجملة، كما أنَّه مفعول «نَعْلَم» انتهى.

فأمَّا قراءة «ليُعْلَم» فيظهَرُ أنَّ ذلك التفاتٌ خرجَ من ضمير المتكلِّم إلى ضمير الغَيْبة، فيكون معناها ومعنى «لِنَعلم» بالنون سواء، وأمَّا «لِيُعلَم» فيظهر أنَّ المفعول الأول محذوفٌ؛ لدلالة المعنى عليه، والتقدير: لِيُعلِمَ اللهُ الناسَ أيَّ الحزبين، والجملة من الابتداء والخبر في موضع مفعولَي «يعلم» الثاني والثالث، و«لِيُعلِمَ» مُعلَّقٌ، وأمَّا ما في «الكشاف» فلا يجوز ما ذكر على مذهب البصريين؛ لأنَّ الجملة إذْ ذاك تكون في موضع المفعول الذي لا يُسمَّى فاعلُهُ، وهو قائمٌ مقام الفاعل، فكما أنَّ تلك الجملة وغيرَها من الجمل لا تقوم مقام الفاعل فكذلك لا يقوم مقام ما ناب عنه، وللكوفيين مذهبان أحدهما: أنَّه يجوز الإسناد إلى الجملة اللفظية مطلقاً، والثاني: أنَّه لا يجوز إلَّا إن كان مما يصحُّ تعليقُه.

والظاهرُ أنَّ الحزبين هما منهم؛ لقوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَٰهُمْ لِيَتَسَآءَلُوا۟ بَيْنَهُمْ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ﴾ الآية، وكأنَّ الذين قالوا: ﴿رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ﴾ علموا أنَّ لُبْثهم تطاول، ويدلُّ على ذلك أنَّه تعالى بدأ بقِصَّتِهم أوَّلاً مختصرة من قوله: ﴿أَمْ حَسِبْتَ﴾ إلى قوله: ﴿أَمَدًا﴾ ثم قصَّها تعالى مطولةً مُسْهَبةً من قوله: ﴿نَّحْنُ نَقُصُّ﴾ إلى قوله: ﴿قُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا۟﴾.

وقال ابن عطية: والظاهر من الآية أنَّ الحزبَ الواحدَ هم الفتية، أي: ظنُّوا لُبثَهم قليلاً، والحزب الثاني: هم أهل المدينة الذين بُعِثَ الفتيةُ على عهدهم حين كان عندهم التاريخ بأمر الفتية، وهذا قول الجمهور من المفسِّرين. انتهى[٣]. وقالت فرقة: هما حزبان كافران اختلفا في مدَّة أهل الكهف. قال السُّدِّي: من اليهود والنصارى الذين علَّموا قريشاً السؤال عن أهل الكهف وعن الخَضِر وعن

(١) القراءات الشاذة ص٧٨. وقراءة الزهري في المحرر الوجيز ٣/ ٥٠٠، وهي شاذة.
(٢) ٢/ ٤٧٣.
(٣) لم ينته كلام ابن عطية بعد، فالقول الآتي - أيضاً - في المحرر الوجيز ٣/ ٥٠٠.

الرُّوح، وكانوا قد اختلفوا في مدة إقامة أهل الكهف في الكهف. وقال مجاهد: قوم أهل الكهف كان منهم مؤمنون وكافرون، واختلفوا في مدَّة إقامتهم. وقيل: حزبان من المؤمنين في زمن أصحاب الكهف اختلفوا في مدَّة لُبْثِهم. قاله الفرَّاء. وقال ابن عباس: الملوك الذين تداولوا ملك المدينة حزب، وأهل الكهف حزب[١]. وقال ابن بحر: الحزبان: الله والخَلْق، كقوله: ﴿ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ﴾[٢] [البقرة: ١٤٠]. وهذه كلُّها أقوال مضطربة. وقال قَتادة: لم يكن للفريقين عِلْمٌ بلُبْثِهم لا لمؤمن ولا لكافر بدليل قوله: ﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا۟﴾. وقال مقاتل: كما بُعِثوا زال الشكُّ وعُرِفت حقيقةُ اللُّبث[٣].

و«أحصى» جَوَّز الحَوْفي وأبو البقاء[٤] أن يكون فعلاً ماضياً، و«ما» مصدرية، و«أمداً» مفعول به، وأن يكون أفعلَ تفضيل، و«أمداً» تمييز، واختار الزجَّاج[٥] والتبريزي أن يكون أفعلَ للتفضيل، واختار الفارسيُّ والزمخشري[٦] وابن عطية[٧] أن تكون فعلاً ماضياً، ورجَّحوا هذا بأنَّ «أحصى» إذا كان للمبالغة كان بناءً من غير الثلاثي، وعندهم أنَّ ما أعطاه وما أولاه للمعروف وأعْدَى مِن الجَرَب شاذٌّ لا يُقاسُ. ويقول أبو إسحاق: إنَّه قد كَثُرَ من الرباعي فيجوز. وخلط ابنُ عطية فأورد فيما بُنيَ من الرباعيِّ: ما أعطاهُ للمال وآتاهُ للخير، و«هي أسوَدُ من القار»[٨]، و«ماؤه أبيضُ من اللَّبَن»[٩]، و«فهو لما سِواها أضيَع»[١٠]. قال: وهذه

(١) القولان في تفسير الرازي ٢١/ ٨٤، وقول الفراء في معاني القرآن له ٢/ ١٣٦.
(٢) النكت والعيون ٣/ ٢٨٩ من غير نسبة.
(٣) زاد المسير ٥/ ١١٤.
(٤) في الإملاء ٢/ ٩٩.
(٥) في معاني القرآن له ٣/ ٢٧١.
(٦) في الكشاف ٢/ ٤٧٤.
(٧) في المحرر الوجيز ٣/ ٥٠٠، وقول أبي إسحاق الآتي منه.
(٨) قطعة من كلام أبي هريرة ﷺ في وصف جهنم، أخرجه مالك في الموطأ ٢/ ٩٩٤. والقار: الزفت.
(٩) قطعة من حديث صفة حوضه ﷺ، وقد رُوي في أحاديث عدَّة، منها ما أخرجه البخاري (٦٥٧٩)، ومسلم (٢٢٩٢) عن عبد الله بن عمرو ﷺ.
(١٠) قطعة من كلام عمر ﷺ في تعظيم أمر الصلاة، أخرجه مالك في الموطأ ١/ ٦.

كلُّها «أفعل» من الرباعي. انتهى. وأسود وأبيض ليس بناؤُهما من الرباعي، وفي بناء «أفعل» للتعجُّب وللتفضيل ثلاثةُ مذاهب؛ يُبنى منه مطلقاً وهو ظاهر كلام سيبويه[١]، وقد جاءت منه ألفاظ. ولا يُبنى منه مطلقاً، وما ورَدَ حُمِلَ على الشُّذوذ، والتفصيل بين أن تكون الهمزةُ للنَّقل فلا يجوز، أو لغير النقل ك: أشكل الأمر وأظلم الليل، فيجوز أن تقول: ما أشكَلَ هذه المسألة، وما أظلَمَ هذا الليل. وهذا اختيار ابن عصفور من أصحابنا، ودلائلُ هذه المذاهب مذكورةٌ في كتب النحو، وإذا قُلنا بأنَّ «أحصى» اسمٌ للتفضيل جاز أن يكون «أيُّ الحزبين» موصولاً مبنياً على مذهب سيبويه[٢]؛ لوجود شرط جواز البناء فيه، وهو كونُ «أيّ» مضافةً حُذِفَ صَدْرُ صِلَتِها، والتقدير: ليعلَم الفريقُ الذي هو أحصى لما لَبِثوا أمداً من الذين لم يُحْصوا، وإذا كان فعلاً ماضياً امتنع ذلك؛ لأنَّه إذ ذاك لم يُحذَفْ صَدْرُ صِلَتِها؛ لوقوع الفعل صلةً بنفسه على تقدير جَعْل «أي» موصولةً، فلا يجوز بناؤها؛ لأنَّه فاتَ تمامُ شرطِها، وهو أنْ يكون حُذِفَ صَدْرُ صِلَتِها.

وقال الزمخشري[٣]: فإنْ قلتَ: فما تقولُ فيمن جعلَه من «أفعل» التفضيل؟ قلتُ: ليس بالوجه السديد؛ وذلك أنَّ بناءَه من غيرِ الثلاثيِّ المجرَّدِ ليس بقياس، ونحو: أعْدَى من الجَرَب[٤]، وأفلَسُ من ابنِ المُذَلَّق[٥]، شاذٌّ، والقياسُ على الشاذِّ في غير القرآن مُمتنِعٌ، فكيف به؟! ولأنَّ «أمداً» لا يخلو إمَّا أن يُنصَبَ بأفعل، فأفعل لا يعمل، وإمَّا أن يُنصَبَ بـ «لبِثوا» فلا يسدُّ عليه المعنى، فإن زعمْتَ أنِّي أنصِبُه بإضمار فعلٍ يدلُّ عليه «أحصى» كما أضمرَ في قوله:

وأضْرَبَ مِنَّا بالسيوفِ القوانِسا[٦]

---

(١) الكتاب ١/ ٧٣.

(٢) الكتاب ٢/ ٤٠٠.

(٣) في الكشاف ٢/ ٤٧٤.

(٤) هو مثل عربي، ينظر جمهرة الأمثال ٢/ ٦٦، ومجمع الأمثال ١/ ٣٣١.

(٥) هو مثل عربي أيضاً، ينظر جمهرة الأمثال ٢/ ١٠٧، ومجمع الأمثال ٢/ ٢٠. وابن المذلَّق: رجل من عبد شمس، كان لا يجد في أكثر أوقاته في بيته قوت ليلة واحدة.

(٦) هو عجز بيت صدره:

أكَرَّ وأحمى للحقيقةِ منهمُ

وقائله العباس بن مرداس، وسلف عند تفسير الآية (٢٩) من سورة البقرة.

على نضرب القوانس = فقد أبعَدْتَ المُتناولَ، وهو قريبٌ، حيث أَبيْتَ أن يكون «أحصى» فعلاً، ثم رجعتَ مضطرًّا إلى تقديره وإضمارِه. انتهى.

أمَّا دَعْواهُ الشُّذوذ فهو مذهبُ أبي عليٍّ، وقد ذكرنا أنَّ ظاهرَ مذهبِ سيبويه جوازُ بنائه من «أفعل» مطلقاً، وأنَّه مذهبُ أبي إسحاق، وأنَّ التفصيل اختيارُ ابنِ عصفور، وقولُ غيره: والهمزة في «أحصى» ليست للنقل.

وأمَّا قوله: فأفعل لا يعمل، ليس بصحيح؛ فإنَّه يعمل في التمييز، و«أمداً» تمييز، وهكذا أعرَبَه مَنْ زعم أنَّ «أحصى» أفعل للتفضيل، كما تقول: زيدٌ أقطَعُ الناسِ سيفاً، وزيدٌ أقطَعُ للهامِ سيفاً، ولم يُعرِبْه مفعولاً به.

وأمَّا قولُه: وإمَّا أن يُنصَبَ بـ «لبثوا» فلا يسدُّ عليه المعنى، أي: لا يكون سديداً، فقد ذهب الطبريُّ[1] إلى نصْبِ «أمداً» بـ «لبثوا». قال ابن عطية[2]: وهذا غيرُ متَّجِه. انتهى. وقد يتَّجه، وذلك أنَّ الأمدَ هو الغاية، ويكون عبارةً عن المدَّة من حيثُ إنَّ للمدَّة غايةً في أمدِ المدة على الحقيقة، و«ما» بمعنى «الذي»، و«أمداً» منتصبٌ على إسقاط الحرف، وتقديره: لِمَا لَبِثوا من أَمَدٍ: أي مدَّةٍ، ويصير من أمدٍ تفسيراً لما انبهم في لفظ «ما»، كقوله: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ﴾ [البقرة: ١٠٦]، ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ﴾ [فاطر: ٢]، ولمَّا سقطَ الحرفُ وصلَ إليه الفعل.

وأمَّا قولُه: فإن زعمتَ إلى آخره، فنقول: لا يحتاج إلى هذا الزعم؛ لأنَّه لِقائلِ ذلك أن يسلكَ مذهب الكوفيين في أنَّ أفعل التفضيل ينصب المفعولَ به، فالقوانِسُ عندهم منصوبٌ بأَضْرَبَ، نصبَ المفعول به، وإنَّما تأويلُه: نضرِبُ القوانسَ قولُ البصريين، ولذلك ذهب بعضُ النَّحْويِّين إلى أنَّ قوله: ﴿أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ﴾ [الأنعام: ١١٧]. «من» منصوبة بـ «أعْلَم» نصبَ المفعول به، ولو كثُرَ وجودُ مثلِ: وأَضْرَبَ مِنَّا بالسيوفِ القوانِسا، لكُنَّا نقيسُه، ويكون معناه صحيحاً؛ لأنَّ أفعل التفضيل مُضمَّنٌ معنى المصدر، فيعمل بذلك التضمين، ألا ترى أنَّ المعنى: يزيدُ ضَرْبُنا بالسيوفِ القوانِسا على ضربِ غيرِنا.

---

(١) في تفسيره ١٥/ ١٧٨.

(٢) في المحرر الوجيز ٣/ ٥٠٠.

ولمَّا ذكر تعالى قوله: ﴿لِنَعْلَمَ﴾ مُشعِراً باختلافٍ في أمرهم، عقَّبَ بأنَّه تعالى هو الذي يقصُّ شيئاً فشيئاً على رسوله ﷺ خبَرَهم بالحقِّ، أي: على وجه الصدق، وجاء لفظ: ﴿نَّحْنُ نَقُصُّ﴾ موازياً لقوله: ﴿لِنَعْلَمَ﴾. ثم قال: ﴿ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ﴾ ففيه إضافةُ الربِّ: وهو السيِّدُ والناظرُ في مصلحة عبيده، ولم يأتِ التركيبُ: آمنوا بنا، للإشعار بتلك الرتبة، وهي أنَّهم مربوبون له مملوكون، ثم قال: ﴿وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى﴾ ولم يأتِ التركيب «وزادهم» لما في لفظةِ «نا» من العظمة والجلال، وزيادتُه تعالى لهم هدًى هو تيسيرُهم للعمل الصالح والانقطاعُ إليه، ومباعدةُ الناس والزهدُ في الدنيا، وهذه زيادةٌ في الإيمان الذي حصل لهم.

وفي «التحرير»: زِدْناهم ثمراتِ هدًى أو يقيناً؛ قولان، وما حصلَتْ به الزيادةُ امتثالُ المأمورِ وتركُ المنهيِّ، أو إنطاقُ الكلبِ لهم بأنَّه هو على ما هم عليه من الإيمان، أو إنزالُ مَلَكٍ عليهم بالتبشير والتثبيت، وإخبارُهم بظهور نبيٍّ من العرب يكون الدِّينُ به كلُّه لله، فآمنوا به قبل بعثه. أقوال ثلاثة ملخَّصة من «التحرير».

﴿وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾: ثبَّتناها وقوَّيناها على الصبر على هجرة الوطن والنعيم، والفرارِ بالدين إلى غارٍ في مكان قفرٍ لا أنيسَ به ولا ماءَ ولا طعام.

ولمَّا كان الفزعُ وخوفُ(١) النَّفْسِ يُشبِهُ بالتناسب الانحلالَ، حَسُنَ في شدَّة النَّفْسِ وقوَّةِ التصميم أن يُشْبِهَ الرَّبْطَ، ومنه: فلانٌ رابطُ الجَأْشِ، إذا كانت نفسُه لا تَفْرَق(٢) عند الفزعِ والحربِ، وقال تعالى: ﴿إِن كَادَتْ لَتُبْدِى بِهِۦ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا﴾ [القصص: ١٠].

والعامل في «إن» «ربَطْنا» أي: ربَطْنا حين قاموا.

ويَحتمِلُ القيامُ أن يكون مقامهم بين يَدَي الملك الكافر دقيانوس، فإنَّه مقامٌ مُحتاجٌ إلى الربط على القلب حيث صُلبوا عليه، وخلعوا دينَه، ورفضوا في ذاتِ الله

---

(١) هكذا في جميع النسخ وفي المحرر الوجيز ٣/ ٥٠١، وتفسير القرطبي ١٣/ ٣٢٣ والكلام فيهما: وخَوَرُ.

(٢) المثبت من المصدرين السابقين، وهي في (ز١) و(ح) و(أ) و(ع): تنفرق، وفي (د١): تفزع، وفي (يه): تنفزع.

هيبتَه. ويَحتمِلُ أن يكون عبارةً عن انبعاثهم بالعزم إلى الهروب إلى الله ومنابذةِ الناس، كما يقال: قام فلانٌ إلى كذا، إذا اعتزَم عليه بغاية الجِدّ[١].

وقال الكرماني: قاموا على أرجلهم. وقيل: قاموا يدعون الناس سِرًّا. وقال عطاء: «قاموا» عند قيامهم من النوم قالوا[٢]. وقيل: قاموا على إيمانهم. وقال صاحب «الغُنْيان»: إذ قاموا بين يدَي الملك، فتحرَّكَتْ هِرَّة ـ وقيل فأرة ـ ففزع دقيانوس، فنظر بعضُهم إلى بعض فلم يتمالكوا أن قالوا: ربُّنَا ربُّ السماوات والأرض، وكان قومُهم عُبَّادَ أصنام.

وما أحسنَ ما وحَّدوا اللهَ، بأنَّ ربَّهم هو مُوجِدُ السماواتِ والأرضِ، المتصرِّفُ فيها على ما يشاء، ثم أكَّدوا هذا التوحيد بالبراءة من إلهٍ غيرِه بلفظِ النفي المستغرِقِ تأبيدَ الزمان على قول.

واللام في «لقد» لامُ توكيد، و«إذاً» حرف جواب وجزاء، أي: لقد قلنا إنْ دَعَوْنا[٣] من دونه إلهاً قولاً شططاً، أي: ذا شططٍ، وهو التعدِّي والجَوْر. فـ«شططاً» نعتٌ لمصدرٍ محذوفٍ إمَّا على الحذف كما قدَّرناه، وإمَّا على الوصف به على جهة المبالغة. وقيل: مفعول به بـ «قلنا»[٤].

وقال قتادة: «شططاً»: كذباً[٥]. وقال ابن زيد[٦]: خطأً.

﴿هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمُنَا ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَٰنٍۭ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴿١٥﴾ وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأْوُۥٓا۟ إِلَى ٱلْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا ﴿١٦﴾﴾.

(١) المحرر الوجيز ٣/ ٥٠١.
(٢) قول عطاء في تفسير الرازي ٢١/ ٩٨ واستبعده.
(٣) المثبت من (ز١) و(يه) و(د١)، وفي باقي النسخ: ندعو.
(٤) وذكر في الدر المصون ٧/ ٤٥٣ قولاً ثالثاً وهو النصب على الحال من ضمير مصدر «قلنا»، ونسبه إلى سيبويه.
(٥) معاني القرآن للنحاس ٤/ ٢٢٢، وأخرجه الطبري ١٥/ ١٨٠.
(٦) تحرف في (يه) إلى: ابن يزيد، وفي (أ) و(ح) و(ع) و(د٢) إلى: أبو زيد، والمثبت من (ز١) و(د١) وتفسير الطبري ١٥/ ١٨٠ والقول مخرَّجٌ فيه.

ولمَّا وحَّدوا اللهَ تعالى، ورفضوا ما دونه من الآلهة، أخذوا في ذمِّ قومِهم وسوءِ فعلهم، وأنَّهم لا حجَّةَ لهم في عبادةِ غير الله، ثم عظَّموا جُرْمَ مَنِ افترى على الله كذباً، وهذه المقالة يَحتمِلُ أنْ قالوها في مقامهم بين يَدَي الملك تقبيحاً لما هو وقومُهم عليه، وذلك أبلَغُ في التبرِّي من عبادة الأصنام، وأفَتُّ في عَضُدِ الملك إذ اجترؤوا عليه بذمِّ ما هو عليه. ويَحتَمِلُ أنْ قالوا ذلك عند قيامهم للأمر الذي عزموا عليه.

و«هؤلاء» مبتدأ، و«قومُنا» قال الحَوْفي: خبر، و«اتَّخذوا» في موضع الحال. وقال الزمخشري[1] وتبِعه أبو البقاء[2]: «قومُنا» عطف بيان، و«اتَّخذوا» في موضع الخبر.

والضمير في «من دونه» عائدٌ على الله، و«لولا» تحضيضٌ صَحِبَه الإنكار، إذ يستحيل وقوعُ سلطانٍ بيِّنٍ على ذلك، فلا يمكن فيه التحضيضُ الصِّرفُ، فحضُّوهم على ذلك على سبيل التعجيز لهم، ومعنى «عليهم»: على اتِّخاذهم آلهةً، و«اتَّخَذوا» هنا يحتمل أن تكون بمعنى عملوا؛ لأنَّها أصنامٌ هم نَحتوها، وأن تكون بمعنى صيَّروا، وفيما ذكروه دليلٌ على أنَّ الدِّين لا يؤخذ إلَّا بالحُجَّة، والدعوى إذا لم يكن عليها دليلٌ فاسدةٌ، وهي ظلمٌ وافتراءٌ على الله، وكذبٌ بنسبة شركاء لله.

﴿وَإِذِ ٱعۡتَزَلۡتُمُوهُمۡ﴾ خطابٌ من بعضِهم لبعض، والاعتزالُ يشمل مفارقةَ أوطانِ قومهم ومعتقداتِهم، فهو اعتزالٌ جسمانيٌّ وقلبيٌّ.

و«ما» معطوف على المفعول في «اعتزلتموهم» أي: واعتزلتُم معبوديهم، و«إلَّا الله» استثناء متصل إن كان قومهم يعبدون الله مع آلهتهم؛ لاندراج لفظ الجلالة في قوله: ﴿وَمَا يَعۡبُدُونَ﴾[3].

وذكر أبو نُعيم الحافظ[4] عن عطاء الخُراساني أنَّهم كانوا يعبدون اللهَ، ويعبدون

---

(١) في الكشاف ٢/ ٤٧٤.
(٢) في الإملاء ٢/ ٩٩.
(٣) الكشاف ٢/ ٤٧٥ بنحوه مختصراً.
(٤) في حلية الأولياء ٥/ ٢٠٠.

معه آلهةً، فاعتزلتِ الفتيةُ عبادةَ تلك الآلهة، ولم يعتزلوا عبادة الله. وقال هذا أيضاً الفرَّاء[١]. ومنقَطِعٌ إن كانوا لا يعرفون الله ولا يعبدونه؛ لعدم اندراجِه في معبوداتهم.

وفي مصحف عبد الله: «وما يعبدون من دون الله» قال قتادة: هذا تفسيرها. قال هارون: وفي[٢] بعض المصاحف: «ما يَعبدون من دوننا» انتهى[٣]. وما في مصحف عبد الله فيما ذكر هارون إنَّما أُريدَ به تفسير المعنى[٤]، وأنَّ هؤلاء الفتية اعتزلوا قومَهم وما يعبدون من دون الله، وليس ذلك قرآناً؛ لمخالفتها لسواد المصحف، ولأنَّ المستفيضَ عن عبد الله بل هو متواترٌ ما ثبت في السواد، وهو: ﴿وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾.

وقيل: ﴿وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ كلامٌ معترضٌ، إخبارٌ من الله تعالى على الفتية أنَّهم لم يعبدوا غيرَ الله تعالى[٥]، فعلى هذا «ما» نافية، و«إلَّا الله» استثناءٌ مُفرَّغٌ له العامل، «فأْوُوا إلى الكهف» أي: اجعلوه مأوى لكم تقيمون فيه وتأوون إليه. وقوله: ﴿يَنشُرْ﴾ فيه ما كانوا عليه من التوكُّل حيث أووا إلى كهفٍ ورتَّبوا على مأواهم إليه نشرَ رحمةِ الله عليهم، وتهيئةَ رِفْقِهِ تعالى بهم؛ لأنَّ مَنْ أخرجَه من ظُلمةِ الكفر إلى نور الإيمان لا يُضيِّعه، والمعنى: أنَّه تعالى سيبسطُ علينا رحمتَه، ويُهيِّئ لنا ما نرتفِقُ به في أمر عيشنا.

قال ابن عباس: «ويُهيِّئ لكم»: يُسَهِّل عليكم ما تخافون من المَلِكِ وظُلمِه، ويأتيكم باليُسر والرِّفق واللُّطف. وقال ابن الأنباري: المعنى: ويُهيِّئ لكم بدلاً من أمرِكم الصعبِ مرفقاً. قال الشاعر:

---

(١) في معاني القرآن له ٢/ ١٣٦.
(٢) من هنا إلى كلمة «هارون» الآتية سقط من (د١).
(٣) المحرر الوجيز ٣/ ٥٠٢. وسقط من المطبوع من قوله: «من دون الله» إلى قوله: «ما يعبدون».
(٤) وقع في (يه) في هذه الفقرة خلل في العبارات من تقديم وتأخير وتكرار.
(٥) الكشاف ٢/ ٤٧٥.

فليتَ لنا مِنْ ماءِ زمزمَ شَرْبةً مُبَرَّدةً باتَتْ على طَهَيانِ

أي: بدلاً من ماء زمزم[١].

وقال الزمخشري[٢]: إمَّا أن يقولوا ذلك ثقةً بفضل الله وقوةً في رجائهم لتوكُّلهم عليه ونُصوع يقينِهم، وإمَّا أن يُخبرهم به نبيٌّ في عصرهم، وإمَّا أن يكون بعضُهم نبيًّا.

وقرأ أبو جعفر، والأعرج، وشَيبة، وحُميد، وابن سعدان، ونافع، وابن عامر، وأبو بكر في رواية الأعشى، والبُرْجُمي، والجُعْفي عنه، وأبو عمرو في رواية هارون: بفتح الميم وكسرِ الفاء. وقرأ ابنُ أبي إسحاق، وطلحة، والأعمش، وباقي السبعة: بكسر الميم وفتحِ الفاء، ويُقالان جميعاً في الأمر الذي يُرتَفَقُ به وفي الجارحة. حكاه الزجَّاج وثعلب. وذكر مكيٌّ عن الفرَّاء أنَّه قال: لا أعرفُ في الأمر وفي اليد وفي كلِّ شيء إلَّا كسرَ الميم، وأنكرَ الكِسائيُّ أن يكون المَرْفِقُ من الجارحة إلَّا بفتح الميم وكسر الفاء، وخالفه أبو حاتم وقال: المَرْفِق بفتح الميم: الموضع كالمسجد. وقال أبو زيد: هو مصدرٌ كالرِّفق، جاء على مَفْعِل. وقيل: هما لغتان فيما يُرتَفَقُ به، وأمَّا من اليد فبكسر الميم وفتح الفاء لا غير[٣]. وعن الفرَّاء: أهلُ الحجاز يقولون: «مَرْفِقاً» بفتح الميم وكسر الفاء فيما ارتفقْتَ به، ويكسرون مرفق الإنسان، والعرب قد يكسِرون الميم منهما جميعاً. انتهى[٤]. وأجازَ معاذٌ فتحَ الميم والفاء[٥].

﴿وَتَرَى ٱلشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَهُمْ فِى فَجْوَةٍ مِّنْهُ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ

(١) القولان في زاد المسير ٥/ ١١٦-١١٧، والبيت ليعلى الأحول، وسلف عند تفسير الآية (٣٨) من سورة التوبة.
(٢) في الكشاف ٢/ ٤٧٥.
(٣) المحرر الوجيز ٣/ ٥٠٢، وقول الزجاج في معاني القرآن له ٣/ ٢٧٢، وتنظر القراءتان في السبعة ص٣٨٨، والتيسير ص١٤٢، والنشر ٢/ ٣١٠.
(٤) زاد المسير ٥/ ١١٦، والكلام في معاني القرآن للفراء ٢/ ١٣٦ بنحوه.
(٥) القراءات الشاذة ص٧٨.

لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴿١٧﴾ وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَكَلْبُهُم بَٰسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِٱلْوَصِيدِ لَوِ ٱطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا ﴿١٨﴾﴾.

هنا جُمَلٌ محذوفة دلَّ عليها ما تقدَّم، والتقدير: فأَووا إلى الكهف، فألقى اللهُ عليهم النومَ، واستجابَ دعاءَهم، وأرفَقَهم في الكهف بأشياء.

وقرأ الحِرْميَّان وأبو عمرو: «تزَّاور» بإدغام تاء تَتَزاور في الزاي. وقرأ الكوفيون، والأعمش، وطلحة، وابن أبي ليلى، وابن مُناذر، وخلف، وأبو عبيد، وابن سعدان، ومحمد بن عيسى الأصبهاني، وأحمد بن جُبير الأنطاكي بتخفيف الزاي إذ حذفوا التاء. وقرأ ابن أبي إسحاق، وابن عامر، وقَتادة، وحُميد، ويعقوب عن[1] العُمري: «تَزْوَرُّ»، على وزن تَحْمَرُّ. وقرأ الجَحْدَريُّ، وأبو رجاء، والسَّخْتياني أيوب، وابنُ أبي عبلة، وجابر، ووَرْدان عن أيوب: «تَزْوَارُّ» على وزن تَحْمارُّ[2]. وقرأ ابنُ مسعود، وأبو المتوكل: «تزوَئِرُّ» بهمزةٍ قبل الراء[3]، على قولهم: ادهأمَّ واشعألَّ بالهمزة؛ فراراً من التقاء الساكنين. والمعنى: تزوغُ وتميلُ.

و«ذاتَ اليمين» جهة يمين الكهف، وحقيقته: الجهة المسماة باليمين، يعني: يمين الداخل إلى الكهف، أو يمين الفتية.

و«تَقْرِضُهم»: لا تقربُهم، من معنى القطيعة، «وهم في فجوةٍ» أي: متَّسعٍ من الكَهف[4].

وقرأ الجمهور: «تقرِضُهم» بالتاء، وقرأت فرقة: بالياء، أي: يقرِضُهم الكهف. قال ابن عباس: المعنى: إنَّهم كانوا لا تُصيبهم شمسٌ البتة. وقالت فرقة: إنَّها كانت الشمس بالعشي تنالهم بما في مَسِّها صلاحٌ لأجسامهم، وهذه الصفة مع الشمس تقتضي أنَّه كان لهم حاجبٌ من جهة الجنوب وحاجبٌ من جهة الدَّبور،

(١) في (ز١): غير.
(٢) المحرر الوجيز ٣/ ٥٠٢، وزاد المسير ٥/ ١١٧، وتنظر القراءات الثلاث الأولى في السبعة ص٣٨٨، والتيسير ص١٤٢، والنشر ٢/ ٣١٠. وأما قراءة «تَزوارُّ» فهي في الشاذة ص٧٨ عن الجحدري وأيوب السختياني، وفي المحتسب ٢/ ٢٥ عن الجحدري وحده.
(٣) زاد المسير ٥/ ١١٧، وتنظر القراءات الشاذة ص٧٨.
(٤) الكشاف ٢/ ٤٧٥ باختصار.

وهم في زاوية. وقال عبد الله بن مسلم: كان بابُ الكهف ينظر إلى بنات نعش، وعلى هذا كان أعلى الكهف مستوراً من المطر[١].

قال ابن قتيبة[٢]: كان كهفُهم مستقبلَ بنات نعش لا تدخلُه الشمسُ عند الطلوع ولا عند الغروب، اختارَ اللهُ له مضجعاً متَّسعاً في مَقْنَأةٍ[٣]، لا تدخلُ عليهم الشمس فتؤذيهم، وتدفعُ عنهم كربة الغار وغمومه.

وقال الزمخشري[٤]: المعنى: إنَّهم في ظِلٍّ نهارَهم كلَّه لا تُصيبهم الشمسُ في طلوعِها ولا غروبِها، مع أنَّهم في مكانٍ واسعٍ منفتحٍ مُعرَّضٍ لإصابة الشمس، لولا أنَّ الله يحجُبُها عنهم. انتهى. وهو بسط قول الزجَّاج؛ قال الزجَّاج[٥]: فِعْلُ الشَّمس كان آيةً من آيات الله دونَ أن يكون بابُ الكهف إلى جهةٍ تُوجِبُ ذلك.

وقال أبو علي: معنى «تقرضهم»: تعطيهم من ضوئها شيئاً ثم تزول سريعاً كالقَرْضِ يُستَرَدُّ، والمعنى عنده: إنَّ الشمس تميلُ بالغداة[٦] عن كهفهم[٧] وتُصيبُه بالعشيِّ إصابةً خفيفة. انتهى. ولو كان من القَرْضِ الذي يُعطى ثم يُستَرَدُّ لكانَ الفعلُ رباعياً، فكان يكون «تُقْرِضُهم» بالتاء مضمومة، لكنَّه من القطع؛ وإنَّما التقدير: تَقْرِضُ لهم، أي: تقطع لهم من ضوئها شيئاً.

قيل: ولو كانتِ الشمسُ لا تصيبُ مكانَهم أصلاً لكان يفسدُ هواؤه ويتعفَّن ما فيه فيهلكوا، والمعنى: أنَّه تعالى دبَّرَ أمرَهم، فأسكنَهم مسكناً لا يكثُرُ سقوطُ الشمسِ فيه فيحمى، ولا تغيب عنه غيبوبةً دائمةً فيعفن.

والإشارةُ بذلك إلى ما صنعه تعالى بهم من ازورارِ الشمس وقرْضِها طالعةً

---

(١) المحرر الوجيز ٣/ ٥٠٣، وقراءة الياء قراءة شاذة.
(٢) تحرف في (أ) و(ح) و(ع) و(د٢) إلى: ابن عطية، والمثبت من باقي النسخ، والكلام الآتي في تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ص٧، ونقله عنه البغوي في تفسيره ٣/ ١٥٤.
(٣) المقْنَأة: الموضع الذي لا تصيبه شمس. اللسان (قنأ).
(٤) في الكشاف ٢/ ٤٧٥.
(٥) في معاني القرآن له ٣/ ٢٧٤.
(٦) المثبت من (ز١) و(د١)، وفي باقي النسخ: بالغدوة.
(٧) عبارة: «عن كهفهم» من (ز١) و(د١).

وغاربةً آيةٌ من آياته، يعني: أنَّ ما كان في ذلك السَّمْتِ تُصيبه الشمسُ ولا تُصيبهم؛ اختصاصاً لهم بالكرامة[١].

ومن قال: إنَّه كان مستقبلَ بنات نعش بحيث كان له حاجبٌ من الشمس، كانت الإشارةُ إلى أنَّ حديثَهم من آيات الله، وهو هدايتُهم إلى توحيده، وإخراجُهم من بين عبَدةِ الأوثان، وإيواؤُهم إلى ذلك الكهف، وحمايتُهم من عدوِّهم، وإلقاءُ الهيبة عليهم، وصرفُ الشمس عنهم يميناً وشمالاً؛ لئلَّا تفسُدَ أجسامُهم، وإنامتُهم هذه المدَّة الطويلة، وصونُهم من البِلى، وثيابِهم من التمزُّق. ويدلُّ على أنَّه إشارةٌ إلى الهداية قوله: ﴿مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ﴾ وهو لفظ عامٌّ يدخل فيه ما سبقَ نسبتُهم وهم أهل الكهف، ﴿وَمَن يُضْلِلْ﴾ عامٌّ أيضاً مثل دقيانوس الكافر وأصحابِه.

والخطاب في ﴿وَتَحْسَبُهُمْ﴾ وفي ﴿وَتَرَى ٱلشَّمْسَ﴾ لمن قُدِّرَ له أنَّه يطَّلع عليهم. قيل: كانوا مفتَّحةً أعينُهم وهم نيام، فيحسبهم الناظرُ منتبهين. قال أبو محمد بن عطية[٢]: ويَحتمِلُ أن يحسب الرائي ذلك لشدَّة الحفظ الذي كان عليهم، وقلَّةِ التغيير، وذلك أنَّ الغالبَ على النُّوَّام أن يكون لهم استرخاءٌ وهيئات تقتضي النومَ، فيحسبه الرائي يقظانَ وإنْ كان مسدودَ العينين، ولو صحَّ فتحُ أعيُنِهم بسندٍ يقطَعُ العُذرَ كان أبْيَنَ في أن يحسب عليهم التيقُّظ. انتهى.

والظاهر أنَّ قولَه: ﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا﴾ إخبارٌ مُستأنَفٌ، وليس على تقدير. وقيل: في الكلام حَذْفٌ تقديرُه: لو رأيتَهم لحسِبْتَهم أيقاظاً.

والظاهرُ أنَّ قولَه: ﴿وَنُقَلِّبُهُمْ﴾ خبرٌ مُستأنَفٌ. وقيل: إنَّما وقعَ الحِسْبانُ من جهة تقلُّبِهم، ولاسيَّما إذا كان من اليمين إلى الشمال ومن الشمال إلى اليمين.

وفي قراءة الجمهور: «ونُقَلِّبهم» ـ بالنون ـ مزيدُ اعتناءِ الله بهم، حيثُ أسندَ التقليبَ إليه تعالى، وأنَّه هو الفاعلُ ذلك.

وحكى الزمخشري أنَّه قُرِئ: «ويُقَلِّبُهم» بالياء مُشدَّداً، أي: يُقَلِّبُهم الله[٣].

(١) الكشاف ٢/ ٤٧٥.
(٢) في المحرر الوجيز ٣/ ٥٠٣.
(٣) الكشاف ٢/ ٤٧٥.

وقرأ الحسن فيما حكى الأهوازيُّ في «الإقناع»[١]: «ويَقْلِبهم» بياء مفتوحة ساكنة القاف مخففة اللام. وقرأ الحسن فيما حكى ابنُ جنّيّ: «وتقلُّبَهم» مصدر تقلَّب منصوباً، وقال: هذا نُصِبَ بفعلٍ مُقَدَّرٍ، كأنه قال: وترى أو تشاهد تَقَلُّبَهم. وعنه أيضاً أنه قرأ كذلك، إلَّا أنَّه ضَمَّ الباء، فهو مصدرٌ مرتفعٌ بالابتداء؛ قاله أبو حاتم[٢]. وذكر هذه القراءة ابن خالويه عن اليماني، وذكر أنَّ عكرمة قرأ: «وتَقْلِبُهم» بالتاء باثنتين من فوق مضارع قلَبَ مخفَّفاً[٣].

قيل: والفائدة في تقليبهم من الجهتين لئلَّا تُبلي الأرضُ ثيابَهم، وتأكلَ لحومهم، فيعتقدوا أنَّهم ماتوا. وهذا فيه بُعْدٌ؛ فإنَّ الله الذي قدَرَ على أن يُبقِيَهم أحياءً تلك المدة الطويلة هو قادرٌ على حِفْظِ أجسامِهم وثيابِهم. وعن ابن عباس: لو مسَّتْهُم الشمسُ لأحرقَتْهم، ولولا التقليبُ لأكلَتْهُم الأرض[٤]. انتهى.

و«ذاتَ» بمعنى صاحبة، أي: جهة ذات اليمين.

ونقل المفسِّرون الخلاف في أوقات تقليبهم وفي عدد التقليبات عن ابنِ عباس، وأبي هريرة، وقَتادة، ومجاهد، وابن عياض بأقوالٍ متعارضة متناقضة ضربنا عن نقلها صفحاً، وكذلك لم نتعرَّض لاسم كلبِهم ولا للونه[٥]، ولا لكونه كلبَ زرعٍ أو غيرِه؛ لأنَّ مِثْلَ العددِ والوصفِ والتسميةِ لا يُدْرَكُ بالعقل، وإنَّما يُدْرَكُ بالسمع، والسمع لا يكون في مثل هذا إلَّا عن الأنبياء أو الكتب الإلهية، ويستحيل ورودُ هذا الاختلاف عنها.

والظاهر أنَّ قولَه: ﴿وَكَلْبُهُم﴾ أُريدَ به الحيوان المعروف، وأبعَدَ مَنْ ذهبَ إلى

---

(١) اسمه الكامل «الإقناع في القراءات الشاذة»، ومصنفه الأهوازي: هو أبو علي الحسن بن علي بن إبراهيم بن يزداد، قارئ رأس في القراءات، وقد حدَّث لكنه ليس بالمتقن للحديث، توفي سنة (٤٤٦هـ). كشف الظنون ١/ ١٤٠، والسير ١٨/ ١٣.
(٢) المحرر الوجيز ٣/ ٥٠٣ دون ما ذكره الأهوازي، وينظر المحتسب لابن جني ٢/ ٢٦.
(٣) القراءات الشاذة ص٧٨ بنحوه، وفيه: «الحسن» بدل «اليماني».
(٤) تفسير الرازي ٢١/ ١٠١.
(٥) قوله: «ولا لونه» من (ز١) و(د١).

أنَّه أسدٌ، وأبعَدُ مِنْ ذلك قولُ مَنْ ذهبَ إلى أنَّه رجلٌ طبَّاخٌ لهم تَبِعَهم، أو أحدُهم قعَدَ عند الباب طليعةً لهم[١].

وحكى أبو عمر[٢] الزاهد غلام ثعلب أنَّه قُرِئ: «وكالئهم» اسمُ فاعل من كَلَأَ، إذا حَفِظَ، فينبغي أن يُحمَلَ على أنَّه الكلب لحفظه للإنسان. قيل: ويَحتمِلُ أن يُرادَ بالكالئ الرجل على ما رُوي؛ إذْ بَسْطُ الذراعين واللُّصوقُ بالأرض مع رَفْعِ الوجه للتطلُّع هي هيئة الرَّبيئة[٣] المستخفي بنفسه.

وقرأ جعفر الصادق: «وكالبهم» بالباء بواحدة، أي: صاحب كلبهم، كما تقول: لابِنٌ وتامِرٌ، أي: صاحب لبن وتمر.

وقال الزمخشري[٤]: «باسطٌ ذراعيه» حكايةُ حالٍ ماضيةٍ؛ لأنَّ اسمَ الفاعل لا يعمل إذا كان في معنى المُضيِّ، وإضافتُه إذا أُضيفَ حقيقيَّةٌ مُعَرِّفة، كغلام زيد، إلَّا إذا نويتَ حكايةَ الحالِ الماضية. انتهى.

وقوله: لأنَّ اسمَ الفاعل لا يعمل إذا كان في معنى المُضيِّ، ليس إجماعاً، بل ذهبَ الكسائيُّ وهشامٌ ومن أصحابنا أبو جعفر بن مَضاء[٥] إلى أنَّه يجوز أن يعمل، وحُجَجُ الفريقين مذكورةٌ في علم النَّحو.

والوَصيد؛ قال ابن عباس: الباب. وعنه وعن مجاهد وابن جُبير: الفِناء[٦].

---

(١) ينظر المحرر الوجيز ٣/ ٥٠٤.

(٢) المثبت من (ز١) و(ع)، وتحرف في باقي النسخ إلى: «أبو عمرو». وأبو عمر: هو محمد بن عبد الواحد، اللغوي، المحدث، لازم ثعلباً في العربية فأكثر عنه إلى الغاية، توفي سنة (٣٤٥هـ). ينظر السير ١٥/ ٥٠٨. قلت: وكلامه الآتي في المحرر الوجيز ٣/ ٥٠٤، وتفسير القرطبي ١٣/ ٢٣٣، وذكرا أنه من كتابه «اليواقيت».

(٣) الرَّبيئة: العين الذي ينظر للقوم لئلَّا يدهمهم عدو. اللسان (ربأ).

(٤) في الكشاف ٢/ ٤٧٥-٤٧٦، وما قبله منه.

(٥) هو أحمد بن عبد الرحمن بن محمد بن مضاء، اللَّخمي، قرطبيٌّ جيَّاني الأصل قديماً، مقرئ، مجوِّد، محدِّث، مجتهد في أحكام العربية. توفي سنة (٥٩٢هـ) في إشبيلية. الديباج المذهب ١/ ٢١٠.

(٦) تفسير الثعلبي ٤/ ١١٠، والمحرر الوجيز ٣/ ٥٠٤، وزاد المسير ٥/ ١١٩. وأخرجهما عنهم الطبري ١٥/ ١٩٢ و١٩٤.

وعن قَتادة: الصعيد والتراب. وقيل: العَتَبَة[١]. وعن ابن جُبير أيضاً: التراب[٢].

والخطاب في «لوِ اطَّلعتَ» لمن هُوَ له في قوله: ﴿وَتَرَى ٱلشَّمْسَ﴾ و﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا﴾.

وقرأ ابنُ وثّاب، والأعمش: «لوُ اطَّلعْتَ» بضمِّ الواو وصلاً. والجمهور بكسرها، وقد ذُكِرَ ضمُّها عن شيبة وأبي جعفر ونافع[٣].

وتَمْلِئَةُ الرُّعبِ لما ألقى الله عليهم من الهيبة والجلال، فمَنْ رام الاطِّلاعَ عليهم أدركَتْه تلك الهيبة.

ومعنى «لولَّيْتَ»: أعرضتَ بوجهك عنهم، وأوليتَهم كَشْحَك.

وانتصب «فراراً» على المصدر؛ إما «لفَرَرْتَ» محذوفة، وإمَّا «لوَلَّيْتَ»؛ لأنَّه بمعنى «لفَرَرْتَ»، وإمَّا مفعولاً من أجله. وانتصب «رعباً» على أنَّه مفعولٌ ثانٍ، وأبعَدَ من ذهب إلى أنه تمييزٌ منقولٌ من المفعول[٤]، كقوله: ﴿وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا﴾ [القمر: ١٢] على مذهب مَنْ أجاز نقلَ التمييز من المفعول؛ لأنَّك لو سلَّطتَ عليه الفعل ما تعدَّى إليه تعدِّيَ المفعول به، بخلاف ﴿وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا﴾.

وقيل: سبب الرُّعب طولُ شعورهم وأظفارهم وصُفرةُ وجوهِهم وتغييرُ أطمارهم. وقيل: لإظلام المكان وإيحاشِه. وليس هذان القولان بشيء؛ لأنَّهم لو كانوا بتلك الصفة أنكروا أحوالهم، ولم يقولوا: «لبثنا يوماً أو بعض يوم»، ولأنَّ الذي بُعِثَ إلى المدينة لم يُنكِرْ إلا المعالمَ والبناء، لا حالةً في نفسه، ولأنَّهم بحالةٍ حسنةٍ بحيث لا يُفرِّق الرائي بينهم وبين الأيقاظ، وهم في فجوةٍ تتخرَّقه الرياح، والمكان الذي بهذه الصورة لا يكون موحشاً.

---

(١) ذكره الثعلبي ٤/ ١١٠، وابن الجوزي في زاد المسير ٥/ ١١٩ عن عطاء. وذكره الماوردي في النكت والعيون ٣/ ٢٩٢، والبغوي في تفسيره ٣/ ١٥٤ عن قتادة.

(٢) تفسير الثعلبي ٤/ ١١٠، والنكت والعيون ٣/ ٢٩٢، والمحرر الوجيز ٣/ ٥٠٤، وزاد المسير ٥/ ١١٩.

(٣) المحرر الوجيز ٣/ ٥٠٤. والقراءة عن الأعمش وابن وثاب في إعراب القرآن للنحاس ٢/ ٤٥١، وهي في الشاذة ص٧٨.

(٤) ينظر إملاء ما منَّ به الرحمن ٢/ ١٠٠.

وقرأ ابن عباس، والحِرْميَّان، وأبو حَيْوة، وابن أبي عبلة: بتشديد اللام والهمز. وقرأ باقي السبعة بتخفيف اللّام والهمز. وقرأ أبو جعفر، وشيبة: بتشديد اللام، وإبدال الياء من الهمزة. وقرأ الزُّهري: بتخفيف اللام والإبدال[1].

وتقدَّم الخلافُ في «رُعباً» في «آل عمران»[2]، وقرأ هنا بضمِّ العين أبو جعفر وعيسى[3].

﴿وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَٰهُمْ لِيَتَسَآءَلُوا۟ بَيْنَهُمْ ۚ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ ۖ قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۚ قَالُوا۟ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَٱبْعَثُوٓا۟ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴿١٩﴾ إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا۟ عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِى مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوٓا۟ إِذًا أَبَدًا ﴿٢٠﴾﴾.

الكاف للتشبيه، والإشارة بذلك قيل: إلى المصدر المفهوم من ﴿فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ﴾ أي: مثلَ جَعْلِنا إنامتَهم هذه المدَّة الطويلة آيةً جعلنا بَعْثَهم آيةً. قاله الزجَّاج، وحسَّنه الزمخشري[4] فقال: وكما أنمناهم تلكَ النَّومة كذلك بعثناهم إذكاراً بقدرته على الإماتة والبعث جميعاً، ليسأل بعضُهم بعضاً ويتعرَّفوا حالَهم وما صنعَ اللهُ بهم، فيعتبِروا ويستدِلُّوا على عِظَمِ قدرة الله، ويزدادوا يقيناً، ويشكروا ما أنعمَ اللهُ به عليهم وكُرِّموا به. انتهى.

وناسَبَ هذا التشبيه قولَه تعالى حين أورد قصَّتهم أولاً مختصرة ﴿فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِى ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴿١١﴾ ثُمَّ بَعَثْنَٰهُمْ﴾.

وقال ابنُ عطية[5]: الإشارةُ بذلك إلى الأمر الذي ذكرَه اللهُ في جهتهم، والعبرةِ

(١) قراءة الحرميين نافع وابن كثير وباقي السبعة في السبعة ص٣٨٩، والتيسير ص١٤٣، وقراءة أبي جعفر في النشر ٢/ ٣١٠.
(٢) عند تفسير الآية (١٥١) منها.
(٣) وهي أيضاً قراءة ابن عامر والكسائي ويعقوب. ينظر السبعة ص٢١٧، والتيسير ص٩١، والنشر ٢/ ٢١٦.
(٤) في الكشاف ٢/ ٤٧٦.
(٥) في المحرر الوجيز ٣/ ٥٠٥.

التي فعلَها فيهم، واللامُ في «ليتساءلوا» لامُ الصَّيرورة؛ لأنَّ بَعْثَهم لم يكن لنفس تساؤلهم. انتهى.

والقائل قيل: كبيرهم مكسلمينا. وقيل: صاحب نفقتهم تمليخا[1]. و«كم» سؤالٌ عن العدد، والمعنى: كم يوماً أقمتُم نائمين؟ والظاهرُ صدورُ الشكِّ من المسؤولين. وقيل: «أو» للتفصيل. قال بعضهم: لبِثْنا يوماً. وقال بعضُهم: بعضَ يوم. والسائلُ أحَسَّ في خاطره طُولَ نَوْمِهم ولذلك سأل. قيل: ناموا أول النهار، واستيقظوا آخر النهار. وجوابهم هذا مبنيٌّ على غلبَة الظَّنِّ، والقول بالظنِّ الغالب لا يُعَدُّ كذباً.

ولمَّا عرَضَ لهم الشكُّ في الإخبار ردُّوا عِلْمَ لُبْثِهم إلى الله تعالى، وقال الزمخشري[2]: ﴿قَالُوا۟ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ﴾ إنكارٌ عليهم من بعضهم، وأنَّ الله تعالى أعلَمُ بمدَّة لُبْثِهم، كأنَّ هؤلاء قد علموا بالأدلة أو بإلهامٍ من الله أنَّ المدَّة متطاولةٌ، وأنَّ مقدارها مُبْهمٌ لا يعلمه إلا الله. انتهى.

ولمَّا انتبهوا من نومهم أخذَهم ما يأخذُ مَنْ نام طويلاً من الحاجة إلى الطعام، واتَّصل «فابعثوا» بحديث التساؤل، كأنَّهم قالوا: خُذوا فيما يهمُّكم، ودَعوا عِلْمَ ذلك إلى الله.

والمبعوث قيل: هو تمليخا[3]، وكانوا قد استصحبوا حين خرجوا فارِّين دراهمَ لنفقتهم وكانت حاضرةً عندهم، فلهذا أشاروا إليها بقولهم: «هذه».

وقرأ أبو عمرو، وحمزة، وأبو بكر، والحسن، والأعمش، واليزيدي، ويعقوب في رواية، وخلف، وأبو عبيد، وابن سعدان: «بِوَرْقِكم» بإسكان الراء. وقرأ باقي السبعة، وزيد بن علي: بكسرها[4].

وقرأ أبو رجاء: بكسر الواو وإسكان الراء وإدغام القاف في الكاف[5]، وكذا

---

(١) المحرر الوجيز ٣/ ٤٩٨، وزاد المسير ٥/ ١٢٠.
(٢) في الكشاف ٢/ ٤٧٦.
(٣) المحرر الوجيز ٣/ ٥٠٥، وتفسير القرطبي ١٣/ ٢٣٦.
(٤) ينظر السبعة ص٣٨٩، والتيسير ص١٤٣، والنشر ٢/ ٣١٠.
(٥) في المحرر الوجيز ٣/ ٥٠٥: وقرأ أبو رجاء: بكسر الواو والراء والإدغام.

إسماعيل عن ابن مُحَيْصن[١]. وعن ابن مُحَيصن أيضاً كذلك إلَّا أنَّه كسرَ الرَّاء ليصحَّ الإدغام.

وقال الزمخشري: وقرأ ابن كثير: «بوَرِقكم» بكسر الراء وإدغام القاف في الكاف[٢]. انتهى. وهو مخالفٌ لما نقل الناسُ عنه.

وحكى الزجاج[٣] قراءةً بكسر الواو وسكون الراء دون إدغام.

وقرأ علي بن أبي طالب: «بوارِقكم» على وزن فاعل، جعله اسمَ جمعٍ كباقر وجامل[٤].

والمدينة هي مدينتهم التي خرجوا منها، قيل: وتسمَّى الآن طَرَسُوس، وكان اسمُها عند خروجِهم رُفْسُوس[٥].

«فليَنْظُرْ» يجوز أن يكون من نظر العين، ويجوز أن يكون من نظر القلب. والجملة في موضع نصبٍ بـ «فليَنْظُرْ» مُعلَّقٌ عنها الفعل، و«أيُّها» استفهام مبتدأ، و«أَزْكَى» خبرُه، ويجوز أن يكون «أيُّها» موصولاً مبنياً مفعولاً لـ «يَنْظُرْ» على مذهب سيبويه، و«أَزْكَى» خبر مبتدأ محذوف.

و«أزكى» قال ابن عباس وعطاء: أَحَلُّ ذبيحةً وأطهرُ؛ لأنَّ عامةَ بلدتهم كانوا كفاراً يذبحون للطَّواغيت. وقال ابن جُبير: أَحَلُّ طعاماً. قال الضحَّاك: وكان أكثرُ أموالهم غصوباً. وقال مجاهد: قالوا له: لا تبْتَغْ طعاماً فيه ظلم. وقال عكرمة: أَكْثَرُ. وقال قَتادة: أجْوَد. وقال ابن السائب ومقاتل: أَطْيَب. وقال يمان بن رئاب: أَرْخَص[٦]. وقيل: أكْثَر بركةً ورَيْعاً. وقيل: هو الأرز.

(١) ينظر الشاذة ص٧٩.
(٢) الكشاف ٢/ ٤٧٦.
(٣) في معاني القرآن له ٣/ ٢٧٥.
(٤) المحرر الوجيز ٣/ ٥٠٥.
(٥) تفسير البغوي ٣/ ١٥٥، وزاد المسير ٥/ ١٢١، وتفسير القرطبي ١٣/ ٢٣٦. قلت: وذكرها ياقوت في معجم البلدان ١/ ٢٣١، ونصَّ على ضبطها: أُفْسُوس.
(٦) زاد المسير ٥/ ١٢١-١٢٢. وقول ابن جبير في تفسير الثعلبي ٤/ ١١١، والمحرر الوجيز ٣/ ٥٠٦، وأخرجه عبد الرزاق في تفسيره ١/ ٤٠٠، والطبري ١٥/ ٢١٣. وقول عكرمة في

وقيل: التمر. وقيل: الزَّبيب[1].

وقيل: في الكلام حذفٌ، أي: أيُّ أهلِها أزكى طعاماً، فيكون ضميرُ المؤنَّثِ عائداً على المدينة، وإذا لم يكن حذفٌ فيكون عائدُه على ما يُفهم من سياق الكلام، كأنَّه قيل: أيُّ المآكلِ؟

وفي قوله: ﴿فَٱبۡعَثُوٓاْ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمۡ﴾ دليلٌ على أنَّ حملَ النفقة وما يصلحُ للمسافر هو رأيُ المتوكِّلين على الله دون المتوكِّلين على الإنفاقات وعلى ما في أوعية الناس. وقال بعض العلماء: ما لهذا السفر ـ يعني سفرَ الحج ـ إلَّا شيئان؛ شدُّ الهِمْيان، والتوكُّلُ على الرحمن[2].

﴿وَلۡيَتَلَطَّفۡ﴾ في اختفائه وتحيُّله مدخلاً ومخرجاً[3].

وقال الزمخشري[4]: وليتكلَّفِ اللطفَ والنِّيقة فيما يباشره من أمر المبايعة حتى لا يُغبَنَ، أو في أمر التخفِّي حتى لا يُعرَف. انتهى. والوجه الثاني هو الظاهر.

وقرأ الحسن: «ولِيَتَلَطَّفْ» بكسر لام الأمر[5]. وعن قتيبة الميَّال[6]: «ولْيُتَلَطَّفْ» بضمِّ الياء مبنياً للمفعول.

﴿وَلَا يُشۡعِرَنَّ﴾ أي: لا يفعَلْ ما يؤدِّي من غير قصد منه إلى الشعور بنا، سمَّى ذلك إشعاراً منه بهم؛ لأنَّه سببٌ فيه[7].

= تفسير الثعلبي ٤/ ١١١، والنكت والعيون ٣/ ٢٩٤، والمحرر الوجيز ٣/ ٥٠٦، وأخرجه عبد الرزاق ١/ ٤٠٠، والطبري ١٥/ ٢١٣. وقول مقاتل في المحرر الوجيز ٣/ ٥٠٦. وقول قتادة أخرجه عبد الرزاق ١/ ٤٠٠، والطبري ١٥/ ٢١٣. وقول يمان بن رئاب في تفسير الثعلبي ٤/ ١١١.

(١) تفسير القرطبي ١٣/ ٢٣٧، والرَّيْعُ: النَّمَاءُ.

(٢) الكشاف ٢/ ٤٧٦. والهِمْيان: هو ما تُجعل فيه النفقة ويُشدُّ على الوسط. تهذيب اللغة ٦/ ٣٣٣.

(٣) المحرر الوجيز ٣/ ٥٠٦.

(٤) في الكشاف ٢/ ٤٧٧.

(٥) المحرر الوجيز ٣/ ٥٠٦، وهي وما بعدها قراءتان شاذتان.

(٦) هو قتيبة بن مهران الأزاذاني صاحب الإمالات المنكرة، صحب الكسائيَّ وغيره. معرفة القراء الكبار ١/ ٣٥٦.

(٧) الكشاف ٢/ ٤٧٧.

وقرأ أبو صالح، ويزيد بن القعقاع، وقتيبة: «ولا يَشْعُرَنَّ بكم أحدٌ» ببناء الفعل للفاعل، ورفع «أحد»[١].

والضمير في «إنَّهم» عائدٌ على ما دلَّ عليه المعنى من كفَّار تلك المدينة. قيل: ويجوز أن يعود على «أحداً»؛ لأنَّ لفظَه للعموم، فيجوز أن يُجمع الضميرُ، كقوله: ﴿فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَـٰجِزِينَ﴾ [الحاقة: ٤٧]. ففي «حاجزين» ضميرُ جمعٍ عائدٌ على «أحد». وقال الزمخشري[٢]: الضمير في «إنَّهم» راجعٌ إلى الأهل المُقدَّر في «أيُّها». والظهور هنا: الاطِّلاع عليهم والعلم بمكانهم[٣]. وقيل: العلوُّ والغلَبة[٤].

وقرأ زيد بن علي: «يُظْهَروا» بضمِّ الياء مبنيًّا للمفعول.

والظاهر الرجم بالحجارة، وكان الملكُ عازماً على قَتْلِهم لو ظَفرَ بهم، والرجمُ كان عادةً فيما سلف لمن خالف من الناس؛ إذ هي أشفى ولهم فيها مشاركة. وقال حجَّاج: معناه بالقول[٥]. يريد السَّبَّ. وقاله ابن جُبير[٦].

﴿أَوْ يُعِيدُوكُمْ﴾ يدخلوكم فيها مُكرَهين، ولا يلزَمُ من العَوْدِ إلى الشيء التلبُّسُ به قبْلُ؛ إذْ يُطلَقُ ويُرادُ به الصَّيرورة. ﴿وَلَن تُفْلِحُوٓاْ﴾ إنْ دخلتُم في دينهم[٧].

و«إذاً» حرف جزاء وجواب، وقد تقدَّم الكلام عليها[٨]، وكثيراً ما يتَّضحُ تقديرُ شرطٍ وجزاءٍ.

---

(١) القراءات الشاذة ص٧٩ عن أبي صالح ويزيد.
(٢) في الكشاف ٢/ ٤٧٧.
(٣) تفسير الثعلبي ٤/ ١١١.
(٤) المحرر الوجيز ٣/ ٥٠٦.
(٥) المحرر الوجيز ٣/ ٥٠٦، ونقل هو والرازي في تفسيره ٢١/ ١٠٣، وابن الجوزي في زاد المسير ٥/ ١٢٢ هذا التفسير عن الزجاج، وهو في معاني القرآن له ٣/ ٢٧٦.
(٦) هكذا في جميع النسخ: ابن جُبير، ولم أجد أحداً نقله عنه، ولعلَّه ابن جُريج كما في تفسير الثعلبي ٤/ ١١١، وتفسير الطبري ١٥/ ٢١٥، والنكت والعيون ٣/ ٢٩٥، وزاد المسير ٥/ ١٢٢.
(٧) الكشاف ٢/ ٤٧٧.
(٨) عند تفسير الآية (٦٧) من سورة النساء.

﴿وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوٓا أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَآ إِذْ يَتَنَٰزَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ ۖ فَقَالُوا ٱبْنُوا عَلَيْهِم بُنْيَٰنًا ۖ رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ ۚ قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ﴿٢١﴾ سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًۢا بِٱلْغَيْبِ ۖ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ ۚ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ ۗ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَآءً ظَٰهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا ﴿٢٢﴾ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّى فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ ۚ وَقُلْ عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّى لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا ﴿٢٤﴾﴾.

قبلَ هذا الكلام جُمَلٌ محذوفةٌ، التقدير: فبعثوا أحدَهم، ونظر أيّها أزكى طعاماً، وتلطَّفَ ولم يُشْعِرْ بهم أحداً، فأطلعَ اللهُ أهلَ المدينة على حالهم. وقصةُ ذهابه إلى المدينة وما جرى له مع أهلها، وحملِه إلى الملك وادعائهم عليه أنَّه أصاب كثيراً من كنوز الأقدمين، وحَمْلِ الملك ومَنْ ذَهَب معه إليهم = مذكورٌ في التفاسير ذلك بأطول ممَّا جرى، والله أعلم بتفاصيل ذلك.

ويقال: عثرتُ على الأمر: إذا اطَّلعتُ عليه، وأعثرني غيري: إذا أطلعني عليه[1]. وتقدَّم الكلام على هذه المادة في قوله: ﴿فَإِنْ عُثِرَ عَلَىٰٓ أَنَّهُمَا ٱسْتَحَقَّآ إِثْمًا﴾ [المائدة: ١٠٧].

ومفعول «أعثَرْنا» محذوف، تقديره: أعثرنا عليهم أهلَ مدينتهم، والكاف في «وكذلك» للتشبيه، والتقدير: وكما أنمناهم وبعثناهم؛ لِما في ذلك من الحكمة أَطْلَعنا عليهم. والضمير في «ليعلموا» عائدٌ على مفعول «أعثرنا» وإليه ذهب الطبري[2].

ووعدُ الله: هو البعث؛ لأنَّ حالتَهم في نومتهم وانتباههم بعد المدَّة المتطاولة كحال مَنْ يموت ثم يُبعَثُ، و«لا ريبَ فيها» أي: لا شكَّ ولا ارتيابَ في قيامها والمجازاةِ فيها.

وكان الذين أَعثروا على أهل الكهف قد دخلَتْهُم فتنةٌ في أمرِ الحشرِ وبعثِ الأجساد

(١) تفسير البغوي ٣/ ١٥٦.

(٢) فيما نقله عنه ابن عطية في المحرر الوجيز ٣/ ٥٠٧.

من القبورِ، فشكَّ في ذلك بعضُ الناس واستبعدوه، وقالوا: تُحشر الأرواح، فشَقَّ على ملكهم وبقيَ حيرانَ لا يدري كيف يُبيِّنُ أمرَه لهم، حتى لبس المسوح، وقعد على الرَّماد، وتضرَّعَ إلى الله في حجَّةٍ وبيان، فأعثرَ اللهُ على أهل الكهف، فلمَّا بعثَهم اللهُ تعالى وتبيَّنَ الناسُ أمرَهم سُرَّ الملكُ، ورجعَ مَنْ كان شَكَّ في أمر بعث الأجساد إلى اليقين، وإلى هذا وقعتِ الإشارةُ بقوله: ﴿إِذْ يَتَنَـٰزَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ﴾[1].

و«إذ» معمولةٌ لـ «أعْثَرْنا» أو «ليعلموا». وقيل: يَحتمِلُ أن يعود الضميرُ في «وليعلموا» على أصحاب الكهف، أي: جعلَ اللهُ أمرَهم آيةً لهم دالَّةً على بعثِ الأجساد من القبور، وقوله: ﴿إِذْ يَتَنَـٰزَعُونَ﴾ على هذا القول ابتداءُ خبرٍ عن القوم الذين بُعِثوا على عهدهم، والتنازع إذ ذاك في أمر البناء والمسجد لا في أمر القيامة. وقيل: التنازع إنَّما هو في أنِ اطَّلعوا عليهم، فقال بعض: هم أموات. وقال بعض: هم أحياء.

ورُويَ أنَّ المَلِكَ وأهلَ المدينة انطلقوا مع تمليخا إلى الكهف وأبصروهم، ثم قالت الفتية للملك: نستودِعُكَ اللهَ ونُعيذُكَ به من شرِّ الجنِّ والإنس. ثم رجعوا إلى مضاجعهم، وتوفَّى اللهُ أنفسَهم، وألقى الملِكُ عليهم ثيابَه، وأمرَ فجُعِلَ لكلِّ واحدٍ تابوتٌ من ذهب، فرآهم في المنام كارهين للذهب، فجعلها من السَّاج، وبنى على باب الكهف مسجداً.

والظاهر أنَّ قولَه: ﴿رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ﴾ من كلام المتنازعين داخلٌ تحت القول، أي: أُمِروا بالبناء، وأُخبِروا بمضمون هذه الجملة، كأنَّهم تذاكروا أمرَهم، وتناقلوا الكلامَ في أنسابهم وأحوالهم ومدَّةِ لُبْثِهم، فلمَّا لم يهتدوا إلى حقيقة ذلك قالوا: ﴿رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ﴾. وقيل: يَحتمِلُ أن يكون من كلام الله تعالى رَدًّا لقول الخائضين في حديثهم من أولئك المتنازعين، أو من الذين تنازعوا فيه على عهد رسول الله ﷺ من أهل الكتاب[2].

و«الذين غلبوا» قال قَتادة: هم الوُلاة؛ رُويَ أنَّ طائفةً ذهبَتْ إلى أن يُطْمَسَ الكهفُ عليهم ويُترَكوا فيه مُغَيَّبين، وقالت الطائفة الغالبة: لنتخذنَّ عليهم مسجداً،

(١) المحرر الوجيز ٣/ ٥٠٧، وما بعده منه.
(٢) الكشاف ٢/ ٤٧٨.

فاتَّخذوه. ورُويَ أنَّ التي دعَتْ إلى البنيان كانت كافرةً أرادت بناءَ بِيعةٍ أو مصنعٍ لكُفْرِهم، فمانَعَهم المؤمنون، وبنَوا عليهم مسجداً[١].

وقرأ الحسن، وعيسى الثَّقفي: «غُلِبوا» بضمِّ الغين وكسر اللام[٢]، والمعنى أنَّ الطائفة التي أرادت المسجد كانت تريد أوَّلاً[٣] أن لا يُبنى عليهم شيءٌ ولا يعرض لموضعهم. ورُويَ أنَّ طائفةً أخرى مؤمنةً أرادت أن لا يُطمَسَ الكهفُ، فلمَّا غَلبَتِ الأولى على أن يكون بنيانٌ ولا بُدَّ قالت: يكونُ مسجداً، فكان. وعن ابن عمر[٤]: أنَّ الله عمَّى على الناس أمرَهم، وحجبَهم عنه، فذلك دعاءٌ إلى بناء البنيان ليكون مَعْلَماً لهم.

والظاهر أنَّ الضمير في «سيقولون» عائدٌ على من تقدَّم ذِكْرُهم وهم المتنازعون في حديثهم قبل ظهورهم عليهم، فأخبر تعالى نبيَّه بما كان من اختلاف قومهم في عددهم. وكونُ الضميرِ عائداً على ما قلنا ذكره الماورديُّ[٥]. وقيل: يعودُ على نصارى نجران؛ تناظروا مع الرسول ﷺ في عَدَدِهم، فقالت المَلْكيَّةُ الجملةَ الأولى، واليعقوبيةُ الجملةَ الثانية، والنُّسْطُوريةُ الجملةَ الثالثة، وهذا يُروى عن ابن عباس.

وفي «الكشاف» أنَّ السيد قال الجملةَ الأولى وكان يعقوبياً، والعاقبَ قال الثانية وكان نُسْطوريّاً، والمسلمون قالوا الثالثةَ وأصابوا؛ وعرفوا ذلك بإخبار الرسولِ عن جبريل عليهما الصلاة والسلام، فتكون الضمائر في «سيقولون» و«يقولون» و«يقولون» عائداً بعضُها على نصارى نجران، وبعضُها على المؤمنين. وعن عليٍّ: هم سبعة نَفَرٍ، أسماؤهم: تمليخا، ومَكْشَلِينيا، ومشلبنيا، هؤلاء أصحابُ يمين الملك، وكان عن يساره مَرْنوش، ودَبَرنُوش، ومتاذَنوش، وكان يستشير هؤلاء

(١) المحرر الوجيز ٣/ ٥٠٧، وما بعده منه.
(٢) القراءات الشاذة ص٧٩ عن الحسن وحده.
(٣) كلمة «أولاً» من (ز١) و(يه) و(د١)، وهي في المحرر الوجيز.
(٤) كذا في جميع النسخ وفي نسختين خطيتين من تفسير القرطبي ١٣/ ٢٤٢: ابن عمر، وأما في نسختين أخريين وهما المثبتتان هناك، وفي المحرر الوجيز: عبيد بن عمير.
(٥) فيما نقله عنه ابن الجوزي في زاد المسير ٥/ ١٢٤، وما بعده منه.

الستة في أمره، والسابع الراعي الذي وافقهم، هربوا من مَلِكِهم دقيانوس، واسم مدينتهم أُفْسُوس، واسم كلبهم قِطْمير[١]. انتهى.

وقال ابن عطية[٢]: الضمير في قوله: «سيقولونَ» يُراد به أهل التوراة من معاصري محمد ﷺ، وذلك أنَّهم اختلفوا في عددِ أهل الكهف هذا الاختلافَ المنصوص. انتهى.

قيل: وجاء بسين الاستقبال؛ لأنَّه كان في الكلام طيٌّ وإدماجٌ، والتقدير: فإذا أجَبْتَهم عن سؤالهم وقصَصْتَ عليهم قصةَ أهل الكهف فسَلْهم عن عدَدِهم، فإنَّهم إذا سألْتَهم سيقولون.

وقرأ ابنُ مُحَيصِن: «ثلاثٌّ» بإدغام الثاء في التاء[٣]، وحَسُنَ ذلك؛ لقُربِ مخرجَيْهما، وكونِهما مهموسين؛ لأنَّ الساكنَ الذي قبل الثاء من حروف اللِّين، فحَسُنَ ذلك، ويقولون: لم يأتِ بالسين فيه ولا فيما بعده؛ لأنَّه معطوفٌ على المستقبل، فدخل في الاستقبال، أو لأنَّه أُريدَ به معنى الاستقبال الذي هو صالحٌ له.

وقرأ شبْل بن عبَّاد عن ابن كثير: بفتح ميم «خَمسة»، وهي لغة كعَشَرة. وقرأ ابن مُحَيصِن: بكسر الخاء والميم[٤]، وبإدغام التاء في السين[٥]. وعنه أيضاً: إدغام التنوين في السين بغير غُنَّة.

«رجماً بالغيب»: رمياً بالشيء المُغَيَّبِ عنهم، أو ظنًّا؛ استُعير من الرجم، كأنَّ الإنسان يرمي الموضعَ المجهولَ عنده بظنِّه المرَّةَ بعد المرَّة، يرجمه به عسى أن يُصيب، ومنه التَّرجُمان وترجمة الكتاب، وقولُ زهير:

وما الحربُ إلَّا ما علمتُمْ وذقتُمُ وما هو عَنْها بالحديثِ المُرَجَّمِ[٦]

---

(١) الكشاف ٢/٤٧٨.
(٢) في المحرر الوجيز ٣/٥٠٧.
(٣) القراءات الشاذة ص٧٩، والمحتسب ٢/٢٦.
(٤) المحرر الوجيز ٣/٥٠٧. وينظر المحتسب ٢/٢٧.
(٥) القراءات الشاذة ص٧٩، دون ذكر كسر الخاء والميم.
(٦) المحرر الوجيز ٣/٥٠٧-٥٠٨، والبيت في ديوان زهير ص١٨.

أي: المظنون، وأتَتْ هذه عقب ما تقدَّم لتدلَّ على أنَّ قائل[1] تلك المقالتين لم يقولوا ذلكَ عن علم، وإنَّما قالوا ذلك على سبيل التخمين والحَدْس، جاءت المقالةُ الثالثة خاليةً عن هذا القيد، مُشعِرَةً أنَّها هي المقالة الصادقة كما تقدَّم ذِكْرُ ذلك عن عليٍّ وعن رسول الله عن جبريل عليهما الصلاة والسلام.

وانتصبَ «رجماً» على أنَّه مصدرٌ لفعلٍ مُضمَرٍ، أي: يرجمون بذلك، أو لتضمين «سيقولون» و«يقولون» معنى يرجمون، أو لكونه مفعولاً من أجله، أي: قالوا ذلك لرميهم بالخبر الخفيِّ، أو لظنِّهم ذلك، أي: الحاملُ لهم على هذا القول هو الرَّجمُ بالغيب. و«ثلاثةٌ» خبرُ مبتدأٍ محذوف، والجملة بعدَه صفة، أي: هم ثلاثة أشخاص، وإنَّما قَدَّرْنا أشخاصاً لأنَّ «رابِعهم» اسمُ فاعل، أُضِيفَ إلى الضمير، والمعنى: إنَّه رَبَعَهم، أي: جعلَهم أربعةً، وصيَّرَهم إلى هذا العدد، فلو قدَّرَ ثلاثةَ رجالٍ استحالَ أن يُصيِّرَ ثلاثةَ رجالٍ أربعة؛ لاختلاف الجنسين.

والواو في «وثامنهم» للعطف على الجملة السابقة، أي: يقولون: هم سبعة وثامنهم كلبهم، فأخبروا أولاً بسبعة رجال جزماً، ثم أخبروا إخباراً ثانياً أنَّ ثامنَهم كلبُهم، بخلاف القولين السابقين، فإنَّ كلًّا منهما جملةٌ واحدةٌ وُصِفَ المُحدَّثُ عنه بصفة، ولم يعطفِ الجملةَ عليه.

وذُكِرَ عن أبي بكر بن عياش وابن خالويه أنَّها واو الثمانية، وأنَّ قريشاً إذا تحدَّثَتْ تقول: ستة سبعة وثمانية تسعة، فتُدْخِل الواوَ في الثمانية[2].

وكونُهما جملتين معطوف إحداهما على الأخرى مُؤْذِنٌ بالتثبيت في الإخبار، بخلاف ما تقدَّم فإنَّهم أخبروا بشيءٍ موصوفٍ بشيءٍ لم يتأخَّر عن الإخبار؛ ولذلك جاء فيه «رجماً بالغيب» ولم يجِئْ في هاتين الجملتين بشيءٍ يقدح فيهما.

وقُرِئ: «وثامنهم كالِبُهم»[3] أي: صاحب كلبهم[4]، وزعمَ بعضُهم أنَّهم ثمانيةٌ

---

(١) هكذا في النسخ، والأولى أن تكون: قائلي.
(٢) المحرر الوجيز ٣/٥٠٨، وزاد المسير ٥/١٢٥.
(٣) ينظر ما تقدم عند تفسير الآية (١٨) من هذه السورة، وهذه القراءة لجعفر الصادق.
(٤) وهذا قول ابن جريج ومحمد بن إسحاق فيما ذكر الماوردي في النكت والعيون ٣/٢٩٧، وابن الجوزي في زاد المسير ٥/١٢٥.

رجال، واستدَلَّ بهذه القراءة، وأَوَّلَ قولَه: «وكلبُهم» على حذفِ مضافٍ، أي: وصاحبُ كلبهم.

وذهب بعض المفسِّرين إلى أنَّ قوله: «وثامنهم» ليس داخلاً تحت قولهم، بل مقولهم، هو قوله: «ويقولون سبعة».

ثمَّ أخبر تعالى بهذا على سبيل الاستئناف، وإذا كان استئنافاً من الله دلَّ ذلك على أنَّهم ثمانية بالكلب، وأمَّا «رابعُهم كلبُهم» و«سادسُهم كلبُهم» فهو من جملة المحكيِّ من قولهم؛ لأنَّ كلًّا من الجملتين صفةٌ، وإلى أنَّ العِدَّةَ ثمانيةٌ بالكلب، ذهب الأكثرون من الصحابة والتابعين وأئمة التفسير.

وقال الزمخشري[1]: فإنْ قلتَ: فما هذه الواو الداخلة على الجملة الثالثة؟ ولِمَ دخَلَتْ عليها دون الأولَيين؟ قلت: هي الواو التي تدخل على الجملة الواقعة صفةً للنَّكِرة، كما تدخل على الواقعة حالاً عن المعرفة في نحو قولِك: جاءني رجلٌ ومعه آخر، ومررتُ بزيدٍ وفي يده سيف، ومنه قولُه عزَّ وعلا: ﴿وَمَآ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَّعْلُومٌ﴾ [الحجر: ٤]، وفائدتها توكيد لصوق الصفة بالموصوف، والدِّلالةُ على اتِّصافه بها أمرٌ ثابتٌ مستقِرٌّ، وهي الواو التي آذنَتْ بأنَّ الذين قالوا: سبعةٌ وثامنُهم كلبُهم، قالوه عن ثباتِ علمٍ وطمأنينةِ نفسٍ، ولم يرجموا بالظَّنِّ كما غيرهم. انتهى.

وكونُ الواوِ تدخلُ على الجملةِ الواقعةِ صفةً دالَّةً على لصوق الصفة بالموصوف، وعلى ثبوت اتِّصاله بها، شيءٌ لا يعرفه النَّحْويُّون، بل قرَّروا أنَّه لا تُعطَفُ الصِّفةُ التي ليست بجملة على صفةٍ أخرى، إلَّا إذا اختلفتِ المعاني، حتى يكون العطفُ دالًّا على المُغايرة، وأمَّا إذا لم يختلِفْ فلا يجوز العطفُ، هذا في الأسماء المفردة، وأمَّا الجُمَلُ التي تقع صفةً فهي أبعدُ من أن يجوز ذلك فيها، وقد رَدُّوا على مَنْ ذهبَ إلى أنَّ قولَ سيبويه: وأما ما جاء لمعنى وليس باسم ولا فعل[2]، هو على أنَّ: وليس باسم ولا فعل صفةٌ لقولِه: لمعنًى، وأنَّ الواوَ دخلَتْ في الجملة؛ بأنَّ ذلك ليس من كلام العرب، لا تقولُ العربُ: مررتُ برجلٍ

(١) في الكشاف ٢/ ٤٧٨-٤٧٩.
(٢) الكتاب لسيبويه ١/ ١٢.

ويأكل، على تقدير الصِّفة، وأما قولُه تعالى: ﴿إِلَّا وَلَهَا﴾ فالجملةُ حاليةٌ، ويكفي ردًّا لقول الزمخشريِّ أنَّا لا نعلم أحداً من علماء النَّحْو ذهبَ إلى ذلك.

ولمَّا أخبر تعالى عن مقالتِهم واضطرابِهم في عددهم أمرَه تعالى أن يقول: ﴿رَبِّيٓ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم﴾ أي: لا يَخْبُرُ بعددِهم إلَّا مَنْ يعلمُهم حقيقةً وهو الله تعالى.

﴿مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ والمثبتُ في حقِّ الله تعالى هو الأعلميَّة، وفي حقِّ القليل العالِميَّة، فلا تعارض، قيل: من الملائكة. وقيل: من العلماء، وعِلْمُ القليل لا يكون إلَّا بإعلام الله. وقال ابن عباس: أنا من القليل(١).

ثمَّ نهاه تعالى عن الجدال فيهم، أي: في عِدَّتِهم والمراء. وسمَّى مراجعتَه لهم مراءً على سبيل المقابلة لمُماراة أهل الكتاب له في ذلك، وقيَّده بقوله: ﴿ظَٰهِرًا﴾ أي: غير مُتعمِّقٍ فيه، وهو أن تقُصَّ عليهم ما أُوحي إليك فحسبُ، من غير تجهيلٍ ولا تعنيف، كما قال: ﴿وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾(٢) [النحل: ١٢٥].

وقال ابن زيد: «مراءً ظاهراً»: هو قولُك لهم: ليس كما تقولون. وحكى الماوردي: إلَّا بحجَّةٍ ظاهرة. وقال ابنُ الأنباري: إلَّا جدالَ مُتيَقِّنٍ عالمٍ بحقيقة الخبر، واللهُ تعالى ألقى إليك مالا يَشوبه باطل(٣). وقال ابن بحر: «ظاهراً»: يشهده الناس. وقال التَّبريزي: «ظاهراً»: ذاهباً بحُجَّة الخصم، وأنشد:

وتلكَ شَكاةٌ ظاهِرٌ عنكَ عارُها(٤)

أي: ذاهِبٌ.

---

(١) قول ابن عباس هذا مشهور في كتب التفسير وغيرها، وهو في معاني القرآن للزجاج ٣/ ٢٧٧، والنكت والعيون ٣/ ٢٩٧، والمحرر الوجيز ٣/ ٥٠٨، وزاد المسير ٥/ ١٢٦. وأخرجه عبد الرزاق في تفسيره ١/ ٤٠٠، وأحمد في فضائل الصحابة (١٥٥٧)، والطبري في تفسيره ١٥/ ٢١٩، والطبراني في الأوسط (٦١١٣).

(٢) الكلام الأخير من الكشاف ٢/ ٤٧٩.

(٣) زاد المسير ٥/ ١٢٧، وقول الماوردي في النكت والعيون ٣/ ٢٩٨ وذكره عن علي بن عيسى، وذكر القول الآتي من غير نسبة.

(٤) عجز بيت قائله أبو ذؤيب الهذلي كما في شرح أشعار الهذليين ١/ ٧٠، وصدره: وعيَّرها الواشونَ أنِّي أُحِبُّها. والكلام من المحرر الوجيز ٣/ ٥٠٨.

ثمَّ نهاه أن يسأل أحداً من أهل الكتاب عن قصَّتهم، لا سؤالَ متعنِّت؛ لأنَّه خلافُ ما أُمِرتَ به من الجدال بالتي هي أحسن، ولا سؤالَ مسترشِدٍ؛ لأنَّه تعالى قد أرشدَكَ بأنْ أوحى إليك قصَّتهم[١].

ثمَّ نهاه أن يُخبِرَ بأنَّه يفعل في الزمن المستقبَل شيئاً إلَّا ويَقْرِنُ ذلك بمشيئة الله تعالى، وتقدَّم في سببِ النزول أنَّه عليه السلام حين سألَتْه قريشٌ عن أهل الكهف والخضر والروح، قال: «غداً أُخبِرُكم»، ولم يقُلْ: إن شاء الله، فتأخَّر عنه الوحيُ مدَّةً؛ قيل: خمسة عشر يوماً. وقيل: أربعين[٢].

و ﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ﴾ استثناءٌ لا يُمكِنُ حَمْلُه على ظاهره؛ لأنَّه يكون داخلاً تحت القول، فيكون من المَقول، ولا ينهاه اللهُ أن يقول: إنِّي فاعلٌ ذلك غداً إلا أن يشاء الله؛ لأنَّه كلامٌ صحيحٌ في نفسه، لا يُمكن أن ينهى عنه، فاحتيج في تأويل هذا الظاهر إلى تقدير:

فقال ابن عطية[٣]: في الكلام حذفٌ يقتضيه الظاهر، ويُحَسِّنه الإيجاز، تقديره: إلَّا أن تقول: إلَّا أنْ يشاء الله، أو: إلَّا أن تقول: إن شاء الله، فالمعنى: إلَّا أنْ تذكُرَ مشيئةَ الله، فليس «إلَّا أن يشاء الله» من القول الذي نُهِيَ عنه.

وقال الزمخشري[٤]: «إلَّا أن يشاء الله» مُتعَلِّقٌ بالنهي لا بقوله: «إنِّي فاعلٌ»؛ لأنَّه لو قال: إنِّي فاعلٌ كذا إلَّا أن يشاء الله، كان معناه: إلَّا أن تَعترِضَ مشيئةُ الله دونَ فِعْلِه، وذلك ما لا مدخل فيه للنهي، وتعلُّقُه بالنهي على وجهين؛ أحدهما: ولا تقولَنَّ ذلك القولَ إلَّا أن يشاء الله أن تقولَه بأن يأذنَ لكَ فيه. والثاني: ولا تقولَنَّه إلَّا بأن يشاء الله، أي: إلَّا بمشيئته، وهو في موضع الحال، أي: إلَّا ملتبساً بمشيئة الله قائلاً: إن شاء الله. وفيه وجهٌ ثالث: وهو أن تكون «إلَّا أن يشاء الله» في معنى كلمة تأبيدٍ، كأنَّه قيل: ولا تقولَنَّه أبداً، ونحوُه: ﴿وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَاۚ﴾ [الأعراف: ٨٩]؛ لأنَّ عَوْدَهم في مِلَّتهم ممَّا لن

(١) الكشاف ٢/ ٤٧٩.
(٢) تفسير الرازي ٢١/ ١٠٨.
(٣) في المحرر الوجيز ٣/ ٥٠٨.
(٤) في الكشاف ٢/ ٤٧٩-٤٨٠.

يشاء الله، وهذا نهيُ تأديبٍ من الله لنبيِّه حين قال: «ائتوني غداً أُخبِرْكُمْ»، ولم يستَثْنِ[١]. انتهى.

قال ابن عطية: وقالت فرقة: هو استثناءٌ من قوله: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ﴾، وحكاه الطبريُّ وَرَدَّ عليه، وهو من الفساد من حيث كان الواجب أن لا يُحكى. انتهى. وتقدَّم تخريجُ الزمخشريِّ ذلك على أن يكون متعلِّقاً بالنهي.

وتكلَّم المفسِّرون في هذه الآية في الاستثناء في اليمين، وليست الآيةُ في الأيمان[٢].

والظاهر أمْرُه تعالى بذكر الله إذا عرضَ له نسيانٌ، ومُتعلَّق النسيان غير مُتعلَّق الذِّكر، فقيل: التقدير: واذكُرْ ربَّكَ إذا تركتَ بعضَ ما أمرَكَ به. وقيل: واذكُرْه إذا اعتراكَ النسيانُ ليُذكِّرَكَ المنسيَّ، وقد حمل قَتادة ذلك على أداء الصلاة المنسيَّة عند ذِكْرِها. وقيل: واذكُرْ ربَّكَ بالتسبيح والاستغفار إذا نسيت كلمةَ الاستثناء؛ تشديداً في البعث على الاهتمام بها. وقيل: واذكُرْ مشيئة ربِّكَ إذا فَرَطَ منكَ نسيانٌ لذلك، أي: إذا نسيتَ كلمةَ الاستثناء ثمَّ تنبَّهْتَ لها فتداركتها بالذِّكر. قاله ابنُ جُبير؛ قال: ولو بعدَ يومٍ أو شهرٍ أو سنة[٣]. وقال ابن الأنباري: بعد تَقَضِّي النِّسيان، كما تقول: اذكُرْ لعبدِ الله ـ إذا صلَّى ـ حاجتَك، أي: إذا قضى الصلاة[٤].

والإشارة بقوله: ﴿لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا﴾ إلى الشيء المنسيِّ، أي: اذكُرْ ربَّك عند نسيانه بأن تقول: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّي﴾ لشيء آخرَ بدلَ هذا المنسيِّ أقربَ منه رشَداً وأدنى خيراً أو منفعةً، ولعلَّ النِّسيان كان خيرةً، كقوله: ﴿أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ﴾ [البقرة: ١٠٦].

وقال الزمخشريُّ[٥]: و«هذا» إشارة إلى نبأ أهل الكهف، ومعناه: لعلَّ الله يؤتيني من البيناتِ والحُجَجِ على أنِّي نبيٌّ صادقٌ ما هو أعظمُ في الدِّلالة، وأقربُ

(١) في المحرر الوجيز ٣/٥٠٨-٥٠٩.
(٢) المحرر الوجيز ٣/٥٠٩.
(٣) الكشاف ٢/ ٤٨٠ مع تقديم وتأخير.
(٤) زاد المسير ٥/ ١٢٧.
(٥) في الكشاف ٢/ ٤٨٠-٤٨١، وما قبله.

رشداً من نبأ أصحابِ الكهف، وقد فعل ذلك، حيثُ آتاه من قَصص الأنبياء والإخبار بالغيوب ما هو أعظمُ من ذلك وأدَلُّ. انتهى.

وهذا تقدَّمه إليه الزجَّاج، قال: المعنى: عسى أن يُيَسِّرَ الله من الأدلَّة على نبوَّتي أقربَ من دليل أصحاب الكهف. وقال ابن الأنباري: عسى أن يُعَرِّفني جوابَ مسائلكم قبل الوقت الذي حَدَّدْتُه لكم، ويُعجِّلَ لي من جهته الرشاد[1].

وقال محمد الكوفي المفسِّر[2]: هي بألفاظها ممَّا أُمِرَ أن يقولَها كلُّ مَنْ لم يستثْنِ، وأنَّها كفارةٌ لنسيان الاستثناء.

﴿وَلَبِثُوا۟ فِى كَهْفِهِمْ ثَلَٰثَ مِا۟ئَةٍ سِنِينَ وَٱزْدَادُوا۟ تِسْعًا ﴿٢٥﴾ قُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا۟ لَهُۥ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِۦ وَأَسْمِعْ مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِى حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ وَٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٧﴾﴾.

الظاهر أنَّ قولَه: ﴿وَلَبِثُوا۟﴾ الآية، إخبارٌ من الله تعالى بمدَّة لُبْثِهم نياماً في الكهف إلى أن أطلعَ اللهُ عليهم. قال مجاهد: وهو بيانٌ لمُجْمَلِ قولِهِ تعالى: ﴿فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِى ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴿١١﴾﴾[3].

ولمَّا تحرَّر هذا العددُ بإخبارٍ من الله تعالى أمرَ نبيَّه أن يقول: ﴿قُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا۟﴾ فخبَرُه هذا هو الحقُّ والصِّدقُ الذي لا يدخلُه رَيبٌ؛ لأنَّه عالمُ غيب السماوات والأرض.

والظاهر أنَّ قولَه: ﴿بِمَا لَبِثُوا۟﴾ إشارة إلى المدَّةِ السابِقِ ذِكْرُها. وقال بعضُهم: ﴿بِمَا لَبِثُوا۟﴾ إشارةٌ إلى المدَّة التي بعد الاطِّلاع عليهم إلى مدَّة الرسول ﷺ. وقيل: لمَّا قال: ﴿وَٱزْدَادُوا۟ تِسْعًا﴾ كانتِ التسعةُ منبهمةً بين[4] الساعاتِ والأيامِ والشهور

---

(١) القولان في زاد المسير ٥/ ١٢٩، وقول الزجاج في معاني القرآن له ٣/ ٢٧٨، ونقله عنه ابن عطية في المحرر الوجيز ٣/ ٥٠٩.

(٢) هو محمد بن السائب الكلبي، النسَّابة المشهور، وقوله في المحرر الوجيز ٣/ ٥٠٩.

(٣) الكشاف ٢/ ٤٨١ بنحوه.

(٤) في (أ) و(ح) و(د٢) و(ع): هي.

والأعوام، واختلفَتْ بنو إسرائيل بحسب ذلك، فأمرَه تعالى بردِّ العلم إليه، يعني: في التسع، وهذا بعيدٌ؛ لأنَّه إذا سبقَ عددٌ مُفسَّر وعُطِفَ عليه ما لم يُفسَّر حُمِل تفسيرُه على السابق. وحكى النقَّاش أنَّها ثلاث مئةٍ شمسية، ولمَّا كان الخطابُ للعرب زِيدَتِ التسعُ؛ إذ حسابُ العرب هو بالقمر؛ لاتِّفاق الحسابين. وقال قَتادة ومطر الورَّاق: «ولبثوا» إخبارٌ من بني إسرائيل، واحتجُّوا بما في مصحف عبد الله: «وقالوا لبثوا»، وعلى غير قراءة عبد الله يكون معطوفاً على المحكيِّ بقوله: «سيقولون»، ثمَّ أمرَ اللهُ نبيَّه أن يردَّ العلمَ إليه بما لبثوا؛ ردًّا عليهم وتفنيداً لمقالتهم[١]. قيل: هو من قول المتنازعين في أمرهم، وهو الصحيح على مُقتضى سياق الآية، ويؤيِّده: ﴿قُلِ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا لَبِثُواْۖ﴾ جعلَ ذلك من الغيوب التي هو تعالى مختَصٌّ بها.

وقرأ الجمهور: «مئةٍ» بالتنوين؛ قال ابن عطية: على البدل أو عطف البيان. وقيل: على التفسير والتمييز[٢]. وقال الزمخشري: عطف بيان لـ «ثلاث مئة»[٣]. وحكى أبو البقاء أنَّ قوماً أجازوا أن يكون بدلاً من «مئة»؛ لأنَّ «مئة» في معنى مئات[٤]. فأمَّا عطف البيان فلا يجوز على مذهب البصريين، وأمَّا نصبُه على التمييز فالمحفوظ من لسان العرب المشهور أنَّ «مئة» لا تُفسَّر إلا بمفردٍ مجرورٍ، وأنَّ قولَه:

إذا عاشَ الفتى مئتينِ عاما[٥]

من الضرورات، ولاسيَّما وقد انضافَ إلى ذلك كونُ «سنينَ» جمعاً.

وقرأ حمزة، والكسائيُّ، وطلحة، ويحيى، والأعمش، والحسن، وابن

---

(١) المحرر الوجيز ٣/ ٥١٠ بنحوه مع تقديم وتأخير في الكلام. وقراءة ابن مسعود في معاني القرآن للنحاس ٤/ ٢٢٦.

(٢) المحرر الوجيز ٣/ ٥١٠، والجمهور هنا من السبعة ما عدا حمزة والكسائي كما سيأتي.

(٣) الكشاف ٢/ ٤٨١.

(٤) إملاء ما منَّ به الرحمن ٢/ ١٠١.

(٥) صدر بيت قائله الربيع بن ضَبُع الفَزاري كما في الكتاب لسيبويه ١/ ٢٠٨، وخزانة الأدب ٣/ ٣٠٦، وعجزه:

فقَدْ ذهبَ اللَّذاذةُ والفَتاءُ

أبي ليلى، وخلف، وابن سعدان، وابن عيسى الأصبهاني، وابن جُبير الأنطاكي: «مئة» بغير تنوين مضافاً إلى «سنين»، أوقعَ الجمع موقِعَ المفرد، وأنحى أبو حاتم على هذه القراءة، ولا يجوز له ذلك. وقال أبو علي: هذه تُضافُ في المشهور إلى المفرد، وقد تُضافُ إلى الجمع[١].

وقرأ أبيٌّ: «سَنةٍ»[٢]، وكذا في مصحف عبد الله[٣].

وقرأ الضحَّاك: «سنونَ» بالواو على إضمار: هي سنون.

وقرأ الحسن، وأبو عمرو في رواية اللؤلؤي عنه: «تَسْعاً» بفتح التاء، كما قالوا: عَشْر[٤].

ثمَّ ذكر اختصاصَه بما غابَ في السماوات والأرض وخفيَ فيها من أحوال أهلِها، وجاء بما دلَّ على التعجُّبِ من إدراكه للمسموعات والمبصرات للدّلالة على أنَّ أمرَه في الإدراك خارجٌ عن حَدِّ ما عليه إدراكُ السامعين والمبصرين؛ لأنَّه يُدرِكُ ألطفَ الأشياءِ وأصغرَها كما يُدرِكُ أكبرَها حجماً وأكثفَها جُرْماً، ويُدرِكُ البواطِنَ كما يُدرِكُ الظواهر[٥].

والضمير في «به» عائدٌ على الله تعالى[٦]، وهل هو في موضع رفعٍ أو نصبٍ؟ وهل «أَسْمِعْ» و«أَبْصِرْ» أمران حقيقةً، أم أمران لفظاً معناهما إنشاء التعجُّب؟ في ذلك خلافٌ مُقرَّرٌ في النَّحو.

وقال ابن عطية[٧]: ويَحتمِلُ أن يكون المعنى: أَبْصِر به أو بوحيه وإرشاده. انتهى. قيل: ويجوز أن يكون أمراً حقيقةً، أي: أَبصِرْ بدينِ اللهِ وأَسْمِعْ، أي: بَصِّر

(١) المحرر الوجيز ٣/ ٥١٠ باختصار، وقراءة حمزة والكسائي في السبعة ص٣٩٠، والتيسير ص١٤٣، وقراءة خلف من العشرة في النشر ٢/ ٣١٠، وكلام أبي علي الفارسي في الحجة للقراء السبعة ٥/ ١٣٧.

(٢) يعني بالإفراد والإضافة، وهي في القراءات الشاذة ص٧٩، والكشاف ٢/ ٤٨١.

(٣) المحرر الوجيز ٣/ ٥١٠، وقراءة الضحاك الآتية منه.

(٤) القراءات الشاذة ص٧٩، وذكرها الزمخشري في الكشاف ٢/ ٣٨١ عن الحسن.

(٥) الكشاف ٢/ ٤٨١.

(٦) إملاء ما منَّ به الرحمن ٢/ ١٠١.

(٧) في المحرر الوجيز ٣/ ٥١٠.

بِهُدى الله وسَمِّعْ، فترجعُ الهاءُ إمَّا على الهدى، وإمَّا على الله. ذكره ابن الأنباري.

وقرأ عيسى: «أسْمَعَ به وأبْصَرَ»(١) على الخبر فعلاً ماضياً لا على التعجُّب، أي: أبصَرَ عبادَه بمعرفته وأسمَعَهم، والهاء كناية عن الله تعالى.

والضمير في قوله: ﴿مَا لَهُم﴾ قال الزمخشري: لأهل السماوات والأرض ﴿مِن وَلِيٍّ﴾ مُتَوَلٍّ لأمورهم، ﴿وَلَا يُشْرِكُ﴾ في قضائه أحداً منهم(٢). وقيل: يَحتمِلُ أن يعود على أصحابِ الكهف، أي: هذه قدرتُه وحدَه، ولم يُوالِهم غيرُه بتَلَطُّفٍ بهم، ولا أشرَكَ معه أحداً في هذا الحكم. ويَحتَمِلُ أن يعود على مُعاصري الرسول ﷺ من الكفار ومُشاقِّيه، وتكون الآيةُ اعتراضاً بتهديد. قاله ابن عطية(٣). وقيل: يَحتمِلُ أن يعودَ على مؤمني أهل السماوات والأرض، أي: لن يَتَّخِذوا من دونه وليًّا. وقيل: يعود على المختلفين في مدَّة لُبْثِهم، أي: ليس لهم من دون الله مَنْ يتولَّى تدبيرَهم، فكيف يكونون أعلَمَ منه؟ أو كيف يعلمون من غير إعلامِه إيَّاهم(٤)؟!

وقرأ الجمهور: «ولا يُشْرِكُ» بالياء على النفي. وقرأ مجاهد: بالياء والجزم. قال يعقوب: لا أعرف وجهه. وقرأ ابن عامر، والحسن، وأبو رجاء، وقَتادة، والجَحْدَري، وأبو حَيْوة، وزيد، وحُميد بن الوزير عن يعقوب، والجُعْفي واللُّؤلؤي عن أبي بكر: «ولا تُشْرِكْ» بالتاء والجزم على النهي(٥).

ولـمَّا أنزل عليه ما أنزل من قصة أهل الكهف أمرَه بأن يقُصَّ ويتلو على معاصريه ما أوحى إليه تعالى من كتابه في قصة أهل الكهف وفي غيرهم، وأنَّ ما أوحاه إليه لا مُبَدِّلَ له، و«لامبدِّلَ» عامٌّ، و«لكلماته» عامٌّ أيضاً، فالتخصيص إمَّا

---

(١) القراءات الشاذة ص٧٩.

(٢) الكشاف ٢/ ٤٨١.

(٣) في المحرر الوجيز ٣/ ٥١١.

(٤) تفسير الرازي ٢١/ ١١٢.

(٥) المحرر الوجيز ٣/ ٥١١، وقراءة ابن عامر من السبعة في السبعة ص٣٩٠. والتيسير ص١٤٣.

في «لا مُبَدِّل» أي: لا مُبَدِّلَ له سواه، ألا ترى إلى قوله: ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ﴾ [النحل: ١٠١]، وإمَّا في «كلماتِه» أي: لكلماتِه المتضمِّنَة الخبرَ؛ لأنَّ ما تضمَّن غير الخبر وقع النَّسْخُ في بعضه، وفي أمرِه تعالى أن يتلوَ ما أوحى إليه وإخبارِه أنَّه لا مُبدِّلَ لكلماتِه إشارةٌ إلى تبديلِ المتنازعين في أهل الكهف، وتحريفِ أخبارهم.

والمُلْتَحد: المُلْتَجأ الذي تميل إليه وتعدل[١].

﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَوٰةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾ وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّـٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَآءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِى الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾﴾.

قال كفار قريش: لو أبعدتَ هؤلاء عن نفسك لجالسناك وصحبناك ـ يعنون عماراً وصهيباً وسلمانَ وابنَ مسعود وبلالاً ونحوَهم من الفقراء ـ وقالوا: إنَّ ريحَ جِبابِهم تؤذينا، فنزلت: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ﴾ الآية. وعن سلمان أنَّ قائل ذلك عُيينة بن حِصْن والأقرع وذووهم من المؤلَّفة، فنزلت. فالآية على هذا مدنية، والأول أصحُّ؛ لأنَّ السورة مكية، وفَعَلَ المؤلَّفةُ فِعْلَ قريش، فردَّ بالآية عليهم[٢].

﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ﴾ أي: احبِسْها وثبِّتْها؛ قال أبو ذُؤيب:

فَصَبَرْتُ عارِفَةً لذلكَ حُرَّةً ... تَرْسُو إذا نَفْسُ الجبانِ تَطَلَّعُ[٣]

وفي الحديث النهيُ عن صَبْرِ الحيوان، أي: حبسِه للرمي[٤].

---

(١) الكشاف ٢/ ٤٨١ بنحوه.
(٢) المحرر الوجيز ٣/ ٥١٢ مع تقديم وتأخير. وينظر أسباب النزول للواحدي ص٣٠٦-٣٠٧.
(٣) الكشاف ٢/ ٤٨١، والبيت لم أقف على من نسبه إلى أبي ذؤيب سوى الزمخشري في الكشاف ـ كما هنا ـ وفي أساس البلاغة ص٤١٦، وقد تقدم عند تفسير الآية (٤٥) من سورة البقرة من غير نسبة، وهو معروف عن عنترة، وهو في ديوانه ص٤٩.
(٤) المحرر الوجيز ٣/ ٥١٢، والحديث أخرجه البخاري (٥٥١٣)، ومسلم (١٩٥٦)، وأحمد (١٢١٦١) من حديث أنس بن مالك ﷺ.

و«مع» تقتضي الصحبة والموافقة.

والأمر بالصبر هنا يظهر منه كبيرُ اعتناءٍ بهؤلاء الذين أُمِرَ أن يَصبِرَ نفسَه معهم، وهي أبلَغُ من التي في «الأنعام»: ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ﴾ الآية [٥٢].

وقال ابن عمر، ومجاهد، وإبراهيم: ﴿بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ﴾ إشارةٌ إلى الصلوات الخمس. وقال قَتادة: إلى صلاة الفجر وصلاة العصر[١]. وقد يُقال: إنَّ ذلك يُرادُ به العموم، أي: يدعون ربَّهم دائماً، ويكون مثل: ضربَ زيدٌ الظَّهرَ والبطنَ، يُرادُ جميع بدنِه لا خصوص المدلول بالوضع[٢].

وتقدَّم الكلامُ على قوله: ﴿بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ﴾ قراءةً وإعراباً في «الأنعام»[٣].

﴿وَلَا تَعْدُ﴾ أي: لا تصرِفْ «عيناك» النظرَ «عنهم» إلى أبناء الدنيا[٤].

و«عَدَا» مُتعَدٍّ؛ تقول: عدا فلانٌ طورَه، وجاء القومُ عدا زيداً؛ فلذلك قدَّرْنا المفعول محذوفاً ليبقى الفعل على أصله من التعدية. وقال الزمخشري[٥]: وإنَّما عُدِّي بـ «عَنْ» لتضمين «عدا» معنى نَبَا وعَلَا في قولِكَ: نَبَتْ عنه عينُه، وعلَتْ عنه عينُه؛ إذا اقتحمَتْه ولم تعلَقْ به. فإنْ قلتَ: أيُّ غرضٍ في هذا التضمين؟ وهلَّا قيل: ولا تَعْدُهم عيناكَ؟ أو: ولا تَعْلُ عيناكَ عنهم؟ قلتُ: الغرضُ فيه إعطاءُ مجموع مَعْنَيين، وذلك أقوى من إعطاء معنًى فَذٍّ، ألا ترى كيف رجع المعنى إلى قولك: ولا تَقْتَحِمْهم عيناك مُجاوزين إلى غيرهم؟ ونحو قوله: ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَهُمْ إِلَىٰٓ أَمْوَٰلِكُمْ﴾ [النساء: ٢] أي: ولا تضمُّوها إليها آكِلينَ لها. انتهى. وما ذكره من التضمين لا ينقاس عند البصريين، وإنَّما يُذهَبُ إليه عند الضرورة، أمَّا إذا أمكن إجراءُ اللَّفظ على مدلوله الوضعيّ فإنَّه يكون أولى.

وقرأ الحسن: «ولا تُعْدِ» من أعدى. وعنه أيضاً وعن عيسى والأعمش:

---

(١) المحرر الوجيز ٣/ ٥١٢.

(٢) وتقدم الكلام على ذلك عند تفسير آية الكرسي، الآية (٢٥٥) من سورة البقرة.

(٣) عند تفسير الآية (٥٢) منها.

(٤) مجمع البيان ٢٩/ ١٤٩.

(٥) في الكشاف ٢/ ٤٨١.

«ولا تُعَدِّ»[(١)]، قال الزمخشري[(٢)]: نقلاً بالهمزة وتثقيل الحشوِ، ومنه قوله:

فَعَدِّ عمَّا ترى إذ لا ارتجاعَ لهُ[(٣)]

لأنَّ معناه: فَعَدِّ همَّك عمَّا ترى. انتهى. وكذا قال صاحب «اللَّوامح» قال: وهذا مما عدَّيته بالتضعيف كما كان في الأولى بالهمزة. وما ذَهَبا إليه ليس بجيِّد، بل الهمزة والتكثير في هذه الكلمة ليسا للتَّعْدِية، وإنَّما ذلك لموافقة «أفْعَل» و«فَعَّلَ» للفعل المجرَّد، وإنَّما قلنا ذلك لأنَّه إذا كان مُجرَّداً متعدٍّ، وقد أقرَّ بذلك الزمخشريُّ، فإنَّه قال: يُقال: عداه إذا جاوزه، ثم قال: وإنَّما عُدِّي بـ «عن» للتضمين، والمستعمل في التضمين هو مَجازٌ ولا يتَّسعون فيه إذا ضمَّنوه، فيُعَدُّونه بالهمزة أو التضعيف، ولو عُدِّي بهما وهو مُتَعَدٍّ لتعدَّى إلى اثنين، وهو في هذه القراءة ناصبٌ مفعولاً واحداً، فدلَّ على أنَّه ليس مُعدًّى بهما.

وقال الزمخشري: ﴿تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ في موضع الحال. انتهى. وصاحبُ الحالِ إنْ قُدِّرَ «عيناك» فكان يكون التركيب: تريدان، وإنْ قدرَ الكاف، فمجيء الحالِ من المجرور بالإضافة مثلُ هذا فيها إشكالٌ؛ لاختلاف العامل في الحال وذي الحال، وقد أجاز ذلك بعضُهم إذا كان المضافُ جزءاً أو كالجُزْءِ، وحَسَّنَ ذلك هنا أنَّ المقصودَ نهيُه عليه الصلاة والسلام عن الإعراض عنهم والميلِ إلى غيرهم، وإنَّما جيء بقوله: «عيناك» والمقصود هو؛ لأنَّهما بهما تكون المُراعاةُ للشخص والتلفُّتُ له، والمعنى: ولا تَعْدُ أنتَ عنهم النَّظرَ إلى غيرهم.

وقال الزمخشري: ﴿مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ﴾: مَنْ جَعَلْنا قلبَه غافلاً عن الذِّكر بالخِذْلان، أو وجدناه غافلاً عنه، كقولك: أجبَنْتُه وأفحَمْتُه وأبخَلْتُه؛ إذا وجَدْتَه كذلك، أو: مِنْ أَغْفَلَ إبِلَه، إذا تركَها بغير سِمَة، أي: لم نَسِمْه بالذِّكر، ولم

(١) القراءتان في الشاذة ص٧٩، والمحتسب ٢/ ٢٧.

(٢) في الكشاف ٢/ ٤٨٢.

(٣) قائله النابغة الذبياني، وهو في ديوانه ص٣١، وعجزه:

وانْمِ القُتودَ على عَيْرانةٍ أُجُدِ

وقوله: «انْم»: ارفع، والقُتود: خشب الرحل، والعَيرانة: الناقة المشبهة بالعير لصلابة خفِّها. والأُجُد: الموثقة الخلق.

نجعَلْهم من الذين كتبنا في قلوبهم الإيمان، وقد أبطلَ اللهُ توهُّم المُجْبِرة بقوله: ﴿وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ﴾ انتهى. وهذا على مذهب المعتزلة، والتأويل الآخر تأويلُ الرُّمَّاني ـ وكان معتزليًّا ـ قال: لم نَسِمْه بما نَسِمُ به قلوبَ المؤمنين بما يبينُ به فلاحُهم كما قال: ﴿كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَـٰنَ﴾ [المجادلة: ٢٢] من قولهم: بعيرٌ غُفْلٌ؛ لم يكن عليه سمة، وكتاب غُفْلٌ؛ لم يكن عليه إعجام. وأمَّا أهل السُّنَّة فيقولون: إنَّ الله تعالى أغفَلَهُ حقيقةً وهو خالقُ الضلالِ فيه والغَفْلة.

وقال المُفضَّل: أخليناه عن الذِّكر وهو القرآن. وقال ابن جُريج[١]: شَغَلْنا قلبَه بالكفر وغلبَةِ الشقاء.

والظاهر أنَّ المراد بـ «من أغفلنا» كفار قريش. وقيل: عُيينة والأقرع، والأول أولى؛ لأنَّ الآية مكية.

وقرأ عمرو بن فائد، وموسى الأسواري، وعمرو بن عبيد: «أَغْفَلَنا» بفتح اللام «قَلْبُه» بضمِّ الباء؛ أسند الأفعال إلى القلب. قال ابن جنِّي: مِنْ ظَنَّنَا غافلين عنه[٢]. وقال الزمخشري[٣]: حَسِبَنا قَلْبُه غافلين، من أغْفَلْتُه: إذا وجَدْتَه غافلاً. انتهى.

﴿وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ﴾ في طلب الشهوات.

﴿وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا﴾ قال قَتادة ومجاهد: ضَياعاً. وقال مقاتل بن حيَّان: سَرَفاً. وقال الفرَّاء: متروكاً. وقال الأخفش: مُجاوزاً للحدِّ. قيل: وهو قول عُيينة: إنْ أسلَمْنا أسلمَ الناس. وقال ابن بحر: الفُرُط: العاجل السريع، كما قال: ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَـٰنُ عَجُولًا﴾ [الإسراء: ١١]. وقيل: ندماً. وقيل: باطلاً. وقال ابن زيد: مخالفاً للحق[٤].

---

(١) هكذا في جميع النسخ، ولعلَّه: ابن جرير ـ يعني الطبري ـ فالكلام الآتي في تفسيره ١٥/ ٢٤١.

(٢) المحرر الوجيز ٣/ ٥١٢-٥١٣، وما قبله منه، وقول ابن جني في المحتسب ٢/ ٢٨، وينظر القراءات الشاذة ص٧٩.

(٣) في الكشاف ٢/ ٤٨٢.

(٤) تفسير الثعلبي ٤/ ١١٦ دون قول ابن بحر، وهو في النكت والعيون ٣/ ٣٠٢، وفيه ـ أيضاً ـ قول مقاتل والفراء، وقول مجاهد في معاني القرآن للنحاس ٢/ ٢٣١، وزاد =

وقال ابن عطية[١]: «الفُرُط»: يحتمل أن يكون بمعنى التفريط والتضييع، أي: أمْرُه الذي يجب أن يلزم، ويَحتمِلُ أن يكون بمعنى الإفراط والإسراف، أي: أمْرُه وهواه الذي هو بسبيله. انتهى.

و«الحقُّ» يجوز أن يكون خبرَ مبتدإٍ محذوفٍ، فقدَّره ابنُ عطية: هذا الحق، أي: هذا القرآن، أو: هذا الإعراض عنكم، وتركُ الطاعة لكم، وصبرُ النَّفس مع المؤمنين.

وقال الزمخشري: «الحقُّ» خبرُ ابتداءٍ محذوف، والمعنى: جاء الحقُّ وزاحت العِلَل، فلم يبقَ إلَّا اختيارُكم لأنفسكم ما شئتم من الأخذ في طريق النجاة أو في طريق الهلاك، وجيء بلفظ الأمر والتخيير؛ لأنَّه لمَّا مكَّنَ من اختيار أيِّهما شاء، فكأنَّه مُخيَّرٌ مأمورٌ بأن يتخيَّر ما شاء من النَّجْدين[٢]. انتهى. وهو على طريق المعتزلة، ويجوز أن يكون مبتدأً وخبره «مِنْ ربِّكم».

قال الضحَّاك: هو التوحيد. وقال مقاتل: هو القرآن. وقال مكي: أي: الهدى والتوفيقُ والخِذْلانُ من عند الله، يهدي من يشاء فيوفِّقه فيؤمن، ويُضِلُّ من يشاء فيخذله فيكفر، ليس إليَّ من ذلك شيء. وقال الكرماني: أي: الإسلام والقرآن، وهذا الذي لفظُه لفظُ الأمر، معناه التهديد والوعيد؛ ولذلك عقَّبه بقوله: ﴿إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ﴾. قال معناه ابنُ عباس.

وقال السُّدِّي: هو منسوخٌ بقوله: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾[٣] [التكوير: ٢٩] وهذا قولٌ ضعيف، والظاهر أنَّ الفاعلَ بـ «شاء» عائدٌ على «مَنْ».

وعن ابن عباس: من شاءَ اللهُ له بالإيمان آمن، ومَن لا فلا[٤]. انتهى.

= المسير ٥/١٣٣، وأخرجه الطبري ١٥/٢٤٢. وقول الفراء في معاني القرآن له ٢/١٤٠. وقول ابن زيد أخرجه الطبري ١٥/٢٤٣.

(١) في المحرر الوجيز ٣/٥١٣.
(٢) الكشاف ٢/٤٨٢.
(٣) نواسخ القرآن لابن الجوزي ص١٩٢.
(٤) ذكره الثعلبي ٤/١١٦، وأخرجه الطبري ١٥/٢٤٤.

وحكى ابنُ عطية عن فرقةٍ أنَّ الضمير في «شاء» عائدٌ على الله تعالى[١]، وكأنَّه لمَّا كان الإيمانُ والكفرُ تابِعَين لمشيئة الله جاء بصيغة الأمر، حتى كأنَّه لحَتْمِ وقوعِه مأمورٌ به مطلوبٌ منه.

وقرأ أبو السمَّال قَعْنَب: «وقُلَ الحقُّ» بفتح اللام حيث وقع، قال أبو حاتم: وذلك رديء في العربية[٢]. انتهى. وعنه أيضاً: ضَمُّ اللام حيث وقع، كأنَّه إتباعٌ لحركة القاف. وقرأ أيضاً: «الحقَّ» بالنصب. قال صاحب «اللوامح»: هو على صفة المصدر المقدَّر؛ لأنَّ الفعلَ يدلُّ على مصدره، وإن لم يذكر فتنصِبُه معرفةً كنصبه إيَّاه نكرةً، وتقديره: وقُلِ القولَ الحقَّ، وتعلَّق «مَنْ» بمُضْمَرٍ على ذلك، مثل: هو إرجاء، والله أعلم.

وقرأ الحسن، وعيسى الثقفي: بكسر لامَي الأمر.

ولمَّا تقدَّم الإيمانُ والكفرُ أعقبَ بما أعدَّ لهما، فذِكْرُ ما أعدَّ للكافرين يلي قولَه: ﴿فَلْيَكْفُرْ﴾، وأتى بعد ذلك بما أعدَّ للمؤمنين، ولمَّا كان الكلامُ مع الكفار وفي سياق ما طلبوا من الرسول ﷺ كانت البَداءةُ بما أعدَّ لهم أهمَّ وآكدَ، وهما طريقان للعرب، هذه الطريق، والأخرى أنَّه يجعل الأول في التقسيم للأول في الذكر والثاني للثاني.

والسُّرادق: قال ابن عباس: حائطٌ من نارٍ محيطٌ بهم[٣]. وحكى أقضى القضاة الماوردي أنَّه البحرُ المحيطُ بالدنيا[٤]. وحكى الكلبيُّ أنَّه عُنُقٌ يخرجُ من النار فيُحيطُ بالكفار[٥]. وقيل: دخان[٦].

﴿وَإِن يَسْتَغِيثُواْ﴾: يطلبوا الغَوْثَ ممَّا حلَّ بهم من النار وشدَّةِ إحراقِها واشتدادِ عطشِهم ﴿يُغَاثُواْ﴾، هذا على سبيل المقابلةِ، وإلَّا فليست إغاثة.

---

(١) المحرر الوجيز ٣/ ٥١٣.

(٢) المحرر الوجيز ٣/ ٥١٣، وقراءة الحسن وعيسى الثقفي الآتية منه. وينظر القراءات الشاذة ص٧٩.

(٣) الكشاف ٢/ ٤٨٢، والمحرر الوجيز ٣/ ٥١٣، وأخرجه الطبري ١٥/ ٢٤٦.

(٤) النكت والعيون ٣/ ٣٠٣، وقول ابن عباس السابق فيه أيضاً.

(٥) تفسير أبي الليث ٢/ ٢٩٧.

(٦) تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ص٢٦٧، والمحرر الوجيز ٣/ ٢١٣.

ورُويَ في الحديث: «إنَّه عكَرُ الزَّيت إذا قُرِّبَ منه سقطَتْ فروةُ وجهه فيه»[(١)]. وقال ابن عباس: ماءٌ غليظٌ مثل دُرْدِيِّ الزيت. وعن مجاهد أنَّه القيح والدم الأسود. وعن ابن جُبير: كلُّ شيءٍ ذائبٍ قد انتهى حَرُّه[(٢)]. وذكر ابنُ الأنباري أنَّه الصديد. وعن الحسن أنَّه الرمادُ الذي يُنفَضُ إذا خرج من التنُّور[(٣)]. وقيل: ضَرْبٌ من القطران[(٤)].

و«يشوي» في موضع الصِّفة لماء، أو في موضع الحال منه؛ لأنَّه قد وُصِفَ، فحَسُنَ مجيءُ الحالِ منه.

وإنَّما اختصَّ الوجوهَ لكونِها عند شُربِهم يقرُبُ حرُّها من وجوههم. وقيل: عبَّر بالوجوه عن جميع أبدانهم، والمعنى أنَّه ينضج به جميعُ جلودِهم، كقوله: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم﴾ [النساء: ٥٦] والمخصوص بالذمِّ محذوفٌ تقديره: بئسَ الشرابُ هو، أي: الماء الذي يُغاثون به، والضمير في «ساءَتْ» عائدٌ على النار.

والمُرْتَفق؛ قال ابن عباس: المنزل. وقال عطاء: المَقَرّ. وقال القُتبي: المجلس. وقال مجاهد: المُجْتَمع[(٥)]. وأنكر الطبريُّ أن يعرفَ لقول مجاهدٍ معنًى، وليس كذلك، كأنَّ مجاهداً ذهب إلى معنى الرِّفاقة ومنه الرُّفْقة[(٦)]. وقال أبو عبيدة: المُتَّكأ. وقال الزجَّاج: المُتَّكأ على المرفق[(٧)]. وأخذه الزمخشري فقال: متَّكأً من

---

(١) أخرجه أحمد (١١٦٧٢)، والترمذي (٢٥٨١) من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ.

(٢) تفسير الثعلبي ١٤/ ١١٧ دون قول ابن جبير، والنكت والعيون ٣/ ٣٠٣، وزاد المسير ٥/ ١٣٥، وأخرجها الطبري ١٥/ ٢٤٩-٢٥٠.

(٣) ذكرهما ابن الجوزي في زاد المسير ٥/ ١٣٥، دون نسبة القول الثاني إلى الحسن، وإنما قال: حكاه ابن الأنباري.

(٤) تفسير الرازي ٢١/ ١٢٠.

(٥) تفسير الثعلبي ٤/ ١١٧، وزاد المسير ٥/ ١٣٦ دون قول عطاء، وهو في تفسير البغوي ٣/ ١٦٠. وأما قول مجاهد فهو في معاني القرآن للنحاس ٢/ ٢٣٤، والنكت والعيون ٣/ ٣٠٣، وأخرجه الطبري ١٥/ ٣٥٣. وقول القتبي - يعني ابن قتيبة - في تفسير غريب القرآن ص٢٦٧.

(٦) المحرر الوجيز ٣/ ٥١٤، وقول الطبري في تفسيره ١٥/ ٢٥٣.

(٧) زاد المسير ٥/ ١٣٦، وقول أبي عبيدة في مجاز القرآن له ١/ ٤٠٠، وينظر معاني القرآن للزجاج ٣/ ٢٨٢.

المرفق، وهذا لمشاكلة قوله: ﴿وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا﴾ وإلَّا فلا ارتفاقَ لأهل النار ولا اتِّكاء[١]. وقال ابنُ الأنباري: ساءت مَطْلَباً للرِّفق؛ لأنَّ مَنْ طلبَ رِفْقاً من جهنم عَدِمَه[٢]. وقال ابنُ عطية قريباً من قول ابنِ الأنباري. قال: والأظهر عندي أن يكون المُرتَفق بمعنى الشيء الذي يطلبُ رفقه باتِّكاءٍ وغيرِه[٣]. وقال أبو عبد الله الرازي: والمعنى: بئسَ الرُّفقاءُ هؤلاء، وبئسَ موضعُ التَّرافقِ النار[٤].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ نِعْمَ ٱلثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٣١﴾﴾.

لمَّا ذكرَ تعالى حالَ أهل الكفر وما أعدَّ لهم في النار ذكرَ حالَ أهل الإيمان وما أعدَّ لهم في الجنة.

وخبرُ «إنَّ» يَحتَمِلُ أن تكون الجملة من قوله: «أولئك لهم»، وقولُه: «إنَّا لا نضيع» الجملة اعتراض[٥]. قال ابن عطية: ونحوُ هذا من الاعتراض قولُ الشاعر:

إنَّ الخليفةَ إنَّ اللهَ ألبَسَهُ ... سِرْبالَ ملكٍ به تُرجى الخواتيمُ[٦]

انتهى. ولا يتعيَّنُ في قوله: «إنَّ اللهَ ألبَسَه» أن يكون اعتراضاً بين اسم «إنَّ»، وخبرها الذي هو «به تُرجى الخواتيمُ»؛ لجواز أن يكونَ «إنَّ الله ألبَسَه» هو الخبر، ويَحتمِلُ أن يكون الخبرُ قولَه: «إنَّا لا نضيع»، والعائدُ محذوفٌ تقديره: مَنْ أحسَنَ عملاً منهم، أو: هو قولُه: «مَنْ أحسَنُ عملاً» على مذهب الأخفش في ربطه الجملة بالاسم إذا كان هو المبتدأ في المعنى؛ لأنَّ «مَنْ أحسَنُ عملاً» هم الذين

(١) الكشاف ٢/ ٤٨٣.
(٢) زاد المسير ٥/ ١٣٦.
(٣) المحرر الوجيز ٣/ ٥١٤.
(٤) تفسير الرازي ٢١/ ١٢١.
(٥) الكشاف ٢/ ٤٨٣ باختصار.
(٦) المحرر الوجيز ٣/ ٥١٤، والبيت قائله جرير، وهو في ديوانه ـ بشرح محمد بن حبيب ـ ٢/ ٦٧٢، وهو في معاني القرآن للفراء ٢/ ٢١٨، والخزانة ١٠/ ٣٦٦.

آمنوا وعملوا الصالحات، فكأنَّه قال: إنَّا لا نضيع أجرَهم. ويَحْتَمِلُ أن تكون الجملتان خبرين لـ «إنَّ» على مذهب من يقضي المبتدأ خبرين فصاعداً، من غير شرط أن يكونا أو يَكُنَّ في معنى خبرٍ واحد، وإذا كان خبرُ «إنَّ» قولَه: «إنَّا لا نُضيع» كان قولُه: «أولئك» استئنافَ إخبارٍ مُوضِح لِما انْبَهَم في قوله: «إنَّا لا نُضيع» من مُبْهَم الجزاء.

وقرأ عيسى الثَّقفي: «لا نُضَيِّع» من ضَيَّعَ[1]، عدَّاه بالتَّضعيف، والجمهور من أضاع عدَّوه بالهمزة.

ولمَّا ذكرَ مكانَ أهلِ الكفر ـ وهو النَّار ـ ذكرَ مكانَ أهل الإيمان ـ وهي جنات عَدْن ـ ولمَّا ذكرَ هناك ما يُغاثون به ـ وهو الماء كالمُهْل ـ ذكرَ هنا ما خصَّ به أهلَ الجنة من كَوْنِ الأنهار تجري من تحتهم، ثم ذكرَ ما أنعمَ عليهم من التَّحْلية واللِّباس اللَّذَين هما زينةٌ ظاهرة.

وقال سعيد بن جُبير: يُحلَّى كلُّ واحدٍ ثلاثةَ أساور؛ سِوارٍ من ذهب، وسِوارٍ من فضة، وسِوارٍ من لؤلؤ ويواقيت[2].

وقال الزمخشري: و«مِنْ» الأولى للابتداء، والثانية للتبيين، وتنكير «أساور» لإبهام أمرها في الحُسْن[3]. انتهى. ويَحتَمِلُ أن تكون «مِنْ» في قوله: «مِنْ ذَهَب» للتبعيض لا للتبيين.

وقرأ أبان عن عاصم: «من أَسْوِرَةٍ» من غير ألف، وبزيادة هاء، وهو جمع سِوار[4].

وقرأ أيضاً أبان عن عاصم، وابن أبي حماد عن أبي بكر: «ويَلْبِسون» بكسر الباء[5].

---

(١) القراءات الشاذة ص٧٩.
(٢) تفسير الثعلبي ٤/ ١١٨، وزاد المسير ٥/ ١٣٧.
(٣) الكشاف ٢/ ٤٨٣.
(٤) المحرر الوجيز ٣/ ٥١٤، وهي قراءة شاذة.
(٥) القراءات الشاذة ص٧٩.

وقرأ ابنُ مُحَيْصِن: «واسْتَبْرقَ» بوصل الألف وفتح القاف حيث وقع، جعلَه فعلاً ماضياً على وزن اسْتَفْعَلَ، من البريق، ويكون اسْتَفْعَلَ فيه موافقاً للمُجرَّد الذي هو بَرَقَ، كما تقول: قَرَّ واستقَرَّ بفتح القاف. ذكره الأهوازي في «الإقناع» عن ابن مُحَيْصِن، قال: وابن مُحَيْصِن وحده: «واسْتَبْرَقَ» بالوصل وفتح القاف حيث كان لا يصرفه[1]. انتهى. فظاهرُه أنَّه ليس فعلاً ماضياً، بل هو اسمٌ ممنوعُ الصَّرف. وقال ابن خالويه: جعلَه اسْتَفْعَل من البريق ابنُ مُحَيْصِن، فظاهره أنَّه فعلٌ ماضٍ. وخالفهما صاحب «اللوامح» فقال: ابنُ مُحَيْصِن: «واسْتَبْرق» بوصل الهمزة في جميع القرآن، فيجوز أنَّه حذفَ الهمزة تخفيفاً على غير قياس، ويجوز أنَّه جعلَه عربيَّةً من بَرَقَ يَبْرُقُ بريقاً، وذلك إذا تلألأ الثوب لجِدَّته ونضارتِه، فيكون وزنُه اسْتَفْعَل من ذلك، فلمَّا سمَّى به عامَلَه معاملةَ الفعل في وصلِ الهمزة، ومعاملةَ المتمكِّنة من الأسماء في الصرف والتنوين. وأكثرُ التفاسير على أنَّه عربيةٌ وليس بمُسْتَغْرَب دخلَ في كلامهم فأعربوه. انتهى. ويمكن أن يكون القولان روايتين عنه؛ فتحُ القاف وصَرْفُه التنوين. وذكر أبو الفتح بن جنِّي قراءة فتح القاف، وقال: هذا سَهْوٌ، أو كالسَّهْو. انتهى. وإنَّما قال ذلك لأنَّه جعله اسماً، ومَنْعُه من الصَّرفِ لا يجوز، لأنَّه غيرُ عَلَمٍ، وقد أمكَنَ جَعْلُه فعلاً ماضياً، فلا تكون هذه القراءة سهواً.

قال الزمخشري[2]: وجمَعَ بين السُّنْدُسِ ـ وهو ما رَقَّ من الدِّيباج ـ وبين الإِسْتَبْرَق ـ وهو الغليظ منه ـ جَمْعاً بين النوعين.

وقُدِّمَتِ التَّحليةُ على اللباس؛ لأنَّ الحُليَّ في النَّفْسِ أعظَمُ، وإلى القلب أحبُّ، وفي القيمة أغلى، وفي العين أحلى، وبُنِيَ فِعْلُه للمفعول الذي لم يُسَمَّ فاعِلُه؛ إشعاراً بأنَّهم يُكْرَمون بذلك ولا يتعاطَون ذلك بأنفسهم، كما قال الشاعر:

غرائرُ في كِنٍّ وصَوْنٍ ونَعْمةٍ ... يحلَّيْنَ ياقوتاً وشَذْراً مُفَقَّرا[3]

(١) المحرر الوجيز ٣/ ٥١٥. وينظر القراءات الشاذة ص٧٩-٨٠، والمحتسب ٢/ ٢٩.
(٢) في الكشاف ٢/ ٤٨٣.
(٣) البيت قائله امرؤ القيس، وقد تقدم عند تفسير الآية (٥٧) من سورة الأنفال.

وأسندَ اللباس إليهم؛ لأنَّ الإنسان يتعاطى ذلك بنفسه، خصوصاً لو كان باديَ العورة، ووصَفَ الثياب بالخُضرة؛ لأنَّها أحسنُ الألوان، والنَّفسُ تنبسِطُ لها أكثرَ من غيرها، وقد رُويَ في ذلك أثرٌ أنَّها تزيد في ضوء البصر[1]، وقال بعض الأدباء:

أربعــةٌ مُــذْهِبــةٌ لكــلِّ هَــمٍّ وَحَــزَنْ
الــمــاءُ والــخُــضْــرةُ والــبُــسْــتــانُ والــوجْــهُ الــحَــسَــنْ[2]

وخصَّ الاتِّكاء؛ لأنها هيئةُ المُنْعَمينَ والملوكِ على أسِرَّتِهم[3].

وقرأ ابنُ مُحَيْصِن: «عَلَّا رائك»[4] بنقل الهمزة إلى لام التعريف وإدغام لامِ «على» فيها، فتنحذفُ ألفُ «على»؛ لتوهُّم سكونِ لام التعريف، والنُّطق به «عَلَّرائك» ومثلُه قول الشاعر:

فما أصبَحَتْ عَلَّرْضِ نفسٌ بَرِيَّةٌ ولا غيرُها إلّا سليمانُ نالَها[5]

يريد على الأرض.

والمخصوص بالمدح محذوفٌ، أي: نِعْمَ الثوابُ ما وُعِدوا به، والضميرُ في «حَسُنَتْ» عائدٌ على الجنَّات.

❋ ❋ ❋

(١) روي من قول علي وعائشة وابن عمر وأبي سعيد ﷺ ـ كما في فيض القدير ٣/ ٣١٣ ـ بلفظ: ثلاث يزدْن في قوة البصر: النظر إلى الخضرة، وإلى الماء الجاري، وإلى الوجه الحسن. ورُوي من قول ابن عباس ﷺ موقوفاً ـ كما في الكامل لابن عدي ٣/ ١٤٤ ـ بلفظ: ثلاث تجلو البصر: النظر إلى الخضرة، والإثمد عند النوم، والوجه الحسن. قلت: وروي بنحوه مرفوعاً من أحاديث عدة ذكرها أصحاب كتب الموضوعات، وأشاروا إلى وضعها.

(٢) لم أقف على قائله، وذكره العجلوني في كشف الخفا ١/ ٣٨٧، لكن لفظه:

ثلاثةٌ مذهبةٌ عنَّا الحزَنْ الماءُ والخضرةُ والوجهُ الحسَنْ

(٣) الكشاف ٢/ ٤٨٣.

(٤) القراءات الشاذة ص٨٠.

(٥) لم أقف على قائله.

﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا
﴿٣٢﴾ كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهَرًا ﴿٣٣﴾ وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ
لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿٣٤﴾ وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ
قَالَ مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِ أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا
مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴿٣٦﴾ قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ
سَوَّاكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾ لَّٰكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا ﴿٣٨﴾ وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا
شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِن تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٣٩﴾ فَعَسَىٰ رَبِّي أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا
مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا ﴿٤٠﴾ أَوْ يُصْبِحَ مَاؤُهَا غَوْرًا فَلَن
تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا ﴿٤١﴾ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَا أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ
عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا ﴿٤٢﴾ وَلَمْ تَكُن لَّهُ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ
مُنتَصِرًا ﴿٤٣﴾ هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ﴿٤٤﴾﴾.

المفردات

حفَّه: طاف به من جوانبه، قال الشَّاعر:

يَحُفُّهُ جانِبا نِيْقٍ وتُتْبِعُهُ   مثلَ الزُّجاجةِ لم تُكْحَلْ منَ الرَّمَدِ[1]

وحَفَفْتُه به: جعلْتُه مُطيفاً به. وحفَّ به القومُ: صاروا في حَفَّتِه وهي جوانبُه.

«كِلتا» اسمٌ مفردُ اللفظ عند البصريين مثنَّى المعنى، ومثنًّى لفظاً ومعنًى عند البغداديين، وتاؤهُ عند البصريين غيرِ الجَرْميِّ بدَلٌ من واوٍ، فأَصْلُه كِلْوَى، والألف فيه للتأنيث، وزائدةٌ عند الجَرْمي، والألفُ منقلبةٌ عن أصلِها، ووزنُها عنده فِعْتَل[2].

المحاورة: مراجعة الكلام، من حارَ إذا رجع[3].

البيدودة: الهلاك، ويقال منه: بادَ يَبيدُ بُيوداً وبَيدودةً. قال الشاعر:

فَلَئِنْ بادَ أهلُهُ   لَبِما كانَ يُؤْهَلُ[4]

(١) قائله النابغة الذبياني، وهو في ديوانه ص٣٥، والنِّيق: الجبل. مثل الزجاجة: أي: عيناً صافيةً.

(٢) تفسير القرطبي ١٣/ ٢٧٤ بمعناه.

(٣) الكشاف ٢/ ٤٨٤.

(٤) قائله عمر بن أبي ربيعة، وهو في ديوانه ص٣٤٠، ووقع في مطبوعه: «بان» بدل «باد».

النُّطْفة: القليلُ من الماء، يقال: ما في القِربةِ من الماءِ نُطفة، المعنى: ليس فيها قليلٌ ولا كثير، وسُمِّيَ المنيُّ نطفةً؛ لأنَّه ينْطِف، أي: يقطرُ قطرةً بعد قطرةٍ، وفي الحديث: «جاء ورأسُه يَنْطِفُ ماءً»[1] أي: يقطر.

الحُسْبان في اللغة: الحساب، ويأتي أقوالُ أهل التفسير فيه.

الزَّلَق: ما لا يثبت فيه القدم من الأرض[2].

* * *

التفسير

﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ﴿٣٢﴾ كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهَرًا ﴿٣٣﴾ وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿٣٤﴾ وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِ أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴿٣٦﴾﴾.

قيل: نزلت في أخوين من بني مخزوم؛ الأسود بن عبد الأسود بن عبد ياليل وكان كافراً، وأبي سلمة عبد الله بن الأسود كان مؤمناً. وقيل: أخوان من بني إسرائيل، فرطُوش[3] وهو الكافر. وقيل: اسمه قطفير، ويهوذا وهو المؤمن في قول ابن عباس. وقال مقاتل: اسمه تمليخا، وهو المذكور في الصَّافات [الآية: ٥١] في قوله: ﴿قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ﴿٥١﴾﴾. وعن ابن عباس: إنَّهما ابنا ملِكٍ من بني إسرائيل أنفقَ أحدُهما مالَه في سبيل الله، وكفَرَ الآخرُ واشتغلَ بزينةِ الدنيا وتنميةِ ماله[4]. وعن مكي: إنَّهما رجلان من بني إسرائيل اشتركا في مالِ كافرٍ ستة آلاف، فاقتسماها. ورُويَ أنَّهما كانا حدَّادَين كَسِبا مالاً[5]. ورُوِيَ أنَّهما وَرِثا

(١) قطعة من حديث أخرجه مسلم (٦٠٥)، وأحمد (٧٢٣٨) من حديث أبي هريرة ﷺ.
(٢) مجاز القرآن ١/ ٤٠٣.
(٣) في (ز١) وحدها: قطروس، وكذا في الكشاف ٢/ ٤٨٣، والمثبت من باقي النسخ، وهو الموافق لما في تفسير القرطبي ١٣/ ٢٦٩، وما بعده منه بنحوه، دون قوله: وقيل: اسمه قطفير، ودون قول مكي.
(٤) من قوله: وقال مقاتل.. إلى هنا من زاد المسير ٥/ ١٣٩ بنحوه.
(٥) هذه العبارة في المحرر الوجيز ٣/ ٥١٥.

من أبيهما ثمانيةَ آلاف دينار، فاشترى الكافرُ أرضاً بألفٍ، وبنى داراً بألفٍ، وتزوَّج امرأةً بألفٍ، واشترى خدماً ومتاعاً بألفٍ، واشترى المؤمنُ أرضاً في الجنة بألفٍ فتصدَّق به، واشترى داراً في الجنة بألفٍ فتصدَّق به، وجعل ألفاً صَداقاً للحُور فتصدَّق به، واشترى الوِلْدانَ المُخَلَّدين بألف فتصدَّق به، ثم أصابته حاجةٌ، فجلس لأخيه على طريقه، فمرَّ في حَشَمِه، فتعرَّض له، فطردَه ووبَّخه على التَّصَدُّق بماله[1].

والضمير في «لهم» عائدٌ على المتجبِّرين الطالبين من الرسول ﷺ طَرْدَ الضعفاء المؤمنين، فالرجلُ الكافرُ بإزاء المتجبِّرين، والرجلُ المؤمنُ بإزاء ضعفاء المؤمنين. وظهر بضَرْبِ هذا المثل الرَّبطُ بين هذه الآية والتي قبلها، إذ كان مَنْ أشركَ إنَّما افتخرَ بمالِه وأنصارِه، وهذا قد يزول فيصيرُ الغنيُّ فقيراً، وإنَّما المفاخرةُ بطاعة الله، والتقدير: واضرِبْ لهم مثلاً قصةَ رجلين، و«جَعَلْنا» تفسيرٌ للمثل، فلا مَوْضِعَ له من الإعراب، ويجوز أن يكون مَوضِعُه نصباً نعتاً لـ«رجلين».

وأبهمَ في قوله: ﴿جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا﴾ وتبيَّن أنَّه هو الكافرُ الشاكُّ في البعث، وأبهَمَ تعالى مكان الجنتين إذ لا يتعلَّق بتعيينِه كبيرُ فائدة.

وذكر إبراهيم بن القاسم الكاتب في كتابه في عجائب البلاد أنَّ بُحيرةَ تِنِّيس[2] كانت هاتين الجنتين وكانتا لأخَوين، فباع أحدُهما نصيبَه من الآخر، وأنفقه في طاعة الله، حتى عيَّره الآخر، وجَرَتْ بينهما هذه المحاورة. قال: فغرَّقها اللهُ في ليلة، وإيَّاهما عنى بهذه الآية. قال ابن عطية[3]: وتأمَّلْ هذه الهيئة التي ذكرَ الله، فإنَّ المرءَ لا يكادُ يتخيَّل أجَلَّ منهما في مكاسب الناس؛ جَنَّتا عنبٍ أحاط بهما نخلٌ، بينهما فُسْحةٌ هي مُزْدَرَعٌ لجميع الحبوب، والماءُ المَعينُ يسقي جميعَ ذلك من النهر.

---

(١) الكشاف ٢/ ٤٨٣.

(٢) جزيرة في بحر مصر قريبة من البرما بين الفرما ودمياط، والفرما في شرقيها. معجم البلدان ٢/ ٥١.

(٣) في المحرر الوجيز ٣/ ٥١٥-٥١٦، وما قبله منه.

وقال الزمخشري[١]: «جنتين من أعناب»: بساتين من كروم، «وحَفَفْناهما بنخل»: وجعلنا النخل مُحيطاً بالجنتين. وهذا مما يُؤثره الدَّهاقين في كرومهم أن يجعلوها مؤزرةً بالأشجار المثمرة. انتهى.

وقرأ الجمهور: «كلتا الجنتين»، وفي مصحف عبد الله: «كلا الجنتين»[٢] أتى بصيغة التذكير؛ لأنَّ تأنيث الجنتين مجازيٌّ، ثم قرأ: «آتتْ» فأنَّث؛ لأنَّه ضميرٌ مؤنَّثٌ، فصار نظيرَ قولهم: طَلَع الشمسُ وأشرقتِ.

وقال الفرَّاء[٣]: وفي قراءة ابن مسعود: «كلُّ الجنتين آتى أُكُلَه». انتهى، فأعاد الضميرَ على «كل». وقال الزمخشري[٤]: جعلها أرضاً جامعةً للأقوات والفواكه، ووصفَ العمارةَ بأنَّها متواصلةٌ متشابكةٌ لم يتوسَّطْها ما يقطعُها ويفصلُ بينها، مع الشكل الحسن، والترتيب الأنيق. ونعتَهما بوفاء الثمار، وتمام الأُكُل من غير نقصٍ، ثم بما هو أصلُ الخير ومادَّتُه من أمر الشُّرب، فجعلَه أفضلَ ما يُسقى به وهو السَّيحُ بالنهر الجاري فيها. والأُكُل: الثمر.

وقرأ الجمهور: «وفجَّرْنا» بتشديد الجيم[٥]. وقال الفرَّاء: إنَّما شدَّد «وفجَّرْنا» وهو نهرٌ واحدٌ؛ لأنَّ النَّهرَ يمتدُّ، فكأنَّ التفجُّر فيه كلِّه[٦]. أعْلَمَ تعالى أنَّ شُرْبَهما كان من نهرٍ واحدٍ، وهو أغْزَرُ الشُّرب[٧].

وقرأ الأعمش، وسلَّام، ويعقوب، وعيسى بن عمر: بتخفيف الجيم[٨].

وكذا قرأ الأعمش في سورة القمر[٩]، والتَّشديد في سورة القمر أظهرُ؛ لقوله: ﴿عُيُونًا﴾، وقوله هنا: ﴿نَهَرًا﴾.

(١) في الكشاف ٢/ ٤٨٣.
(٢) المحرر الوجيز ٣/ ٥١٦.
(٣) في معاني القرآن له ٢/ ١٤٣.
(٤) في الكشاف ٢/ ٤٨٣-٤٨٤.
(٥) المحرر الوجيز ٣/ ٥١٦.
(٦) معاني القرآن للفراء ٢/ ١٤٤.
(٧) معاني القرآن للنحاس ٢/ ٢٣٩.
(٨) المحرر الوجيز ٣/ ٥١٦، وهي في القراءات الشاذة ص٧٩.
(٩) الآية (١٢) منها.

وانتصب «خلالهما» على الظرف[(١)]، أي: وسطهما[(٢)]، كان النهر يجري من داخل الجنتين.

وقرأ الجمهور: «نَهَراً» بفتح الهاء. وقرأ أبو السَّمَّال، والفيَّاضُ بن غزوان[(٣)]، وطلحة بن سلمان: بسكون الهاء[(٤)].

وقرأ ابن عباس، ومجاهد، وابن عامر، وحمزة، والكسائي، وابن كثير، ونافع، وجماعةُ قُرَّاء المدينة: «ثُمُر» و«بثُمُره» بضمِّ الثاء والميم، جمع ثمار. وقرأ الأعمش، وأبو رجاء، وأبو عمرو: بإسكان الميم فيهما تخفيفاً أو جمع ثَمَرَة، كبَدَنة وبُدْن. وقرأ أبو جعفر، والحسن، وجابر بن زيد، والحجَّاج، وعاصم، وأبو حاتم، ويعقوب غير رُوَيسٍ عنه: بفتح الثاء والميم فيهما. وقرأ رُوَيس عن يعقوب: «ثُمُر» بضمِّهما و«بثَمَره» بفتحهما[(٥)].

فمن قرأ بالضَّمِّ، قال ابن عباس وقتادة: الثُّمُر: جميعُ المال من الذهب والحيوان وغير ذلك. وقال النابغة[(٦)]:

مَهْلاً فداءً لكَ الأقوامُ كلُّهمُ ... وما أُثَمِّرُ مِنْ مالٍ ومِنْ ولد

وقال مجاهد: يُراد بها الذهب والفضة خاصةً. وقال ابنُ زيد: هي الأصول فيها الثمر[(٧)]. وقال أبو عمرو بن العلاء: الثُّمُر: المال[(٨)]، فعلى هذا المعنى: إنَّه كانَتْ له إلى الجنتين أموالٌ كثيرةٌ من الذهبِ والفضةِ وغيرِهما، فكان مُتمكِّناً من عمارة الجنتين، وأمَّا مَنْ قرأ بالفتح فلا إشكال أنَّه يُعنى به حمْلُ الشجر.

(١) إملاء ما منَّ به الرحمن ٢/ ١٠٢.
(٢) مجاز القرآن ١/ ٤٠٢، وتفسير الرازي ٢١/ ١٢٥.
(٣) فياض بن غزوان: هو الضبِّيّ الكوفي، قرأ القرآن على طلحة بن مُصرِّف، وحدَّث عن زُبيد اليامي ومالك بن مِغْوَل وغيرهم. تاريخ الإسلام للذهبي ٣/ ٩٥١.
(٤) المحرر الوجيز ٣/ ٥١٦، وما بعده منه.
(٥) ينظر السبعة ص٣٩٠، والتيسير ص١٤٣، والنشر ٢/ ٣١٠.
(٦) في ديوانه ص٣٦.
(٧) المحرر الوجيز ٣/ ٥١٦.
(٨) تفسير الرازي ٢١/ ١٢٥.

وقرأ أبو رجاء في رواية: «ثَمْر» بفتح الثاء وسكون الميم، وفي مصحف أُبيٍّ: «وآتيناه ثَمْراً كثيراً»[(١)]، وينبغي أن يُجعلَ تفسيراً.

ويظهر من قوله: «فقال لصاحبه» أنَّه ليس أخاه.

«وهو يحاوره» جملة حالية، والظاهر أنَّ ذا الحال هو القائل، أي: يراجعه الكلام في إنكاره البعث، وفي إشراكه بالله. وقيل: هي حالٌ من صاحبه، أي[(٢)]: المسلم كان يحاوره بالوعظ والدعاء إلى الله وإلى الإيمان بالبعث.

والظاهر كون أفعل للتفضيل وأنَّ صاحبه كان له مال ونَفَر ولم يكن سُبْروتاً[(٣)] كما ذكر أهل التاريخ، وأنَّه جاء يستعطيه، ويدلُّ على ذلك كونُه قابَلَه بقوله: ﴿إِن تَـرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا﴾.

وهذا على عادة الكفار في الافتخار بكثرة المالِ وعِزَّة العشيرة والتكبُّرِ والاغترارِ بما نالوه من حُطام الدنيا، ومقالتُه تلك لصاحبِهِ بإزاءِ مقالة عُيينة والأقرع للرسول ﷺ: نحنُ سادات العرب، وأهلُ الوَبرِ والمَدرِ، فَنَحِّ عنَّا سلمانَ وقرناءَه. وعنى بالنفر أنصارَه وحشَمَه. وقيل: أولاداً ذكوراً؛ لأنَّهم ينفِرون معه دون الإناث[(٤)]. واستُدِلَّ على أنَّه لم يكن أخاه بقوله: ﴿وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾[(٥)]، إذ لو كان أخاه لكان نفَرُه وعشيرتُه نفرَ أخيه وعشيرتَه، وعلى التفسيرين السابقين لا يرِدُ هذا، أمَّا مَنْ فسَّر النَّفَر بالعشيرة التي هي مشتركة بينهما فيَرِدُ.

وأفردَ الجنَّة في قوله: ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ﴾ من حيثُ الوجود كذلك؛ لأنَّه لا يدخلهما معاً في وقتٍ واحد.

وقال الزمخشري: فإنْ قلتَ: لِمَ أفردَ الجنةَ بعد التثنية؟ قلتُ: معناه: ودخلَ ما هو جنَّتُه، مالَهُ جنَّةٌ غيرُها، يعني أنَّه لا نصيبَ له في الجنة التي وُعِدَ المتَّقون،

(١) المحرر الوجيز ٣/ ٥١٦.
(٢) من هنا إلى آخر الفقرة من تفسير الرازي.
(٣) السُّبْروت: الفقير أو المفلس. تاج العروس (سبرت).
(٤) ينظر الكشاف ٢/ ٤٨٤.
(٥) المحرر الوجيز ٣/ ٥١٦.

فما ملَكَه في الدنيا هو جنَّتُه لا غير، ولم يقصدِ الجنَّتينِ ولا واحدةً منهما[١]. انتهى. ولا يُتصوَّرُ ما قال؛ لأنَّ قولَه: «ودخل جنَّتَه» إخبارٌ من الله تعالى بدخول ذلك الكافر جنَّتَه، فلا بُدَّ أنْ قصدَ في الإخبار أنَّه دخل إحدى جنَّتيه؛ إذ لا يمكن أن يَدْخُلَهما معاً في وقتٍ واحدٍ، والمعنى: ودخلَ جنَّتَه يُري صاحبَه ما هي عليه من البهجة والنَّضارة والحُسن.

«وهو ظالمٌ لنفسِه» جملة حالية، أي: وهو كافرٌ بنعمة ربِّه، مُغترٌّ بما ملَكَه، شاكٌّ في نفادِ ما خوَّلَه وفي البعث الذي حاورَه فيه صاحبُه.

والظاهرُ أنَّ الإشارةَ بقوله: «هذه» إلى الجنة التي دخلَها، وعنى بالأبد أبدَ حياته، وذلك لطول أمَلِه، وتمادي غفلتِه، ولِحُسْنِ قيامِه عليها بما أُوتي من المال والخدم، فهي باقيةٌ مدَّةَ حياته على حالها من الحُسْن والنَّضارة، والحِسُّ يقتضي أنَّ أحوالَ الدنيا بأسرِها غيرُ باقية، أو يكون قائلاً بقِدَم العالَم، وأنَّ ما حَوَتْه هذه الجنةُ إنْ فَنِيَتْ أشخاص أثمارها، فتَخْلُفُها أشخاصٌ أُخَر، وكذا دائماً. ويَبْعُد قولُ مَنْ قال: يَحتمِلُ أن يشير بهذه إلى الهيئة من السماوات والأرض وأنواع المخلوقات، ودلَّ كلامُه هذا على أنَّ المحاورةَ التي كانت بينهما هي في فَناء هذا العالَم الذي هذه الجنةُ جزءٌ منه، وفي البعث الأُخرويِّ، وأنَّ صاحبَه كان يُقَرِّرُ له هذينِ الأمرينِ وهو يشكُّ فيهما، ثمَّ أقسم على أنَّه إنْ رُدَّ إلى ربِّه على سبيلِ الفرضِ والتقديرِ وقياسِ الأخرى على الدنيا وكما يزعم صاحبُه، ليَجِدَنَّ في الآخرة خيراً من جنَّتِه في الدنيا تطمُّعاً وتمنِّياً على الله، وادِّعاءً لكرامتِه عليه ومكانتِه عنده، وأنَّه ما أولاهُ الجنَّتينِ في الدُّنيا إلَّا لاستحقاقِه، وأنَّ معه هذا الاستحقاقَ أين توجَّه، كقوله: ﴿إِنَّ لِي عِندَهُۥ لَلۡحُسۡنَىٰ﴾[٢] [فصلت: ٥٠]. وأمَّا ما حكى اللهُ تعالى عمَّا قاله العاص بن وائل: ﴿لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا﴾ [مريم: ٧٧] فليس على حَدِّ مقالة هذا لصاحبه؛ لأنَّ العاص قصدَ الاستخفافَ وهو مُصمِّمٌ على التكذيب، وهذا قال ما معناه: إنْ كان ثَمَّ رُجوعٌ فسيكون حالي كذا وكذا[٣].

---

(١) الكشاف ٢/ ٤٨٤.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المحرر الوجيز ٣/ ٥١٧.

وقرأ ابنُ الزُّبير، وزيد بن علي، وأبو بحريّة[١]، وأبو جعفر، وشيبة، وابن مُحَيْصِن، وحُميد، وابن مُناذِر[٢]، ونافع، وابن كثير، وابن عامر: «منهما» على التثنية، وعَوْدُ الضمير على الجنتين، وكذا في مصاحف مكة والمدينة والشام.

وقرأ الكوفيون، وأبو عمرو: «منها» على التوحيد، وعَوْدُ الضمير على الجنة المدخولة، وكذا في مصاحف الكوفة والبصرة[٣].

ومعنى «منقلباً»: مرجِعاً وعاقبةً[٤]، أي: منقلبُ الآخرة لبقائها خيرٌ من منقلبِ الدنيا لزوالها.

وانتصب «منقلباً» على التمييزِ المنقولِ من المبتدأ.

﴿قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾ لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٣٨﴾ وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٣٩﴾ فَعَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا ﴿٤٠﴾ أَوْ يُصْبِحَ مَآؤُهَا غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبًا ﴿٤١﴾ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٤٢﴾ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا ﴿٤٣﴾ هُنَالِكَ ٱلْوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ﴿٤٤﴾﴾.

«وهو يُحاوِرُه» حالٌ من الفاعل، وهو صاحبُه المؤمن.

وقرأ أُبيٌّ: «وهو يُخاصِمُه»[٥]، وهي قراءةُ تفسيرٍ لا قراءةَ رواية؛ لمخالفته

(١) هو عبد الله بن قيس الكندي السكوني الحمصي، من كبار التابعين، حدَّث عن عمر ومعاذ وأبي هريرة وغيرهم، روى له أصحاب الكتب الستة وهو مشهور بكنيته، وهو ثقة. السير ٤/ ٥٩٤، وتهذيب التهذيب ٢/ ٤٠٦.

(٢) هو محمد أبو ذَريح، شاعر فصيح، أخذ الأدب واللغة عن الخليل وأبي عبيدة، كان قارئاً تروى عنه حروفٌ يُقرأ بها، وله معرفة بالحديث، لم يكن مرضياً في أفعاله، توفي سنة (١٩٨هـ). معجم الأدباء ١٩/ ٥٥، وتاريخ الإسلام ٥/ ١٩٠.

(٣) ينظر المحرر الوجيز ٣/ ٥١٧، وزاد المسير ٥/ ١٤٢-١٤٣، وتفسير القرطبي ١٣/ ٢٧٧، والسبعة ص٣٩٠، والتيسير ص١٤٣، والنشر ٢/ ٣١١.

(٤) الكشاف ٢/ ٤٨٤.

(٥) المحرر الوجيز ٣/ ٥١٧، وقراءة ثابت البناني الآتية منه.

سواد المصحف، ولأنَّ الذي رُوِيَ بالتواتر هو «يُحاوِرُه» لا «يُخاصِمُه».

و«أكَفَرْتَ» استفهامُ إنكارٍ وتوبيخٍ حيثُ أشرَكَ مع اللهِ غيرَه.

وقرأ ثابت البُناني: «ويلكَ أكَفَرْتَ»، وهو تفسيرُ معنى التوبيخ والإنكار، لا قراءةً ثابتةً عن الرسول ﷺ.

ثم نبَّهه على أصلِ نشأتِه وإيجادِه بعد العدم، وأنَّ ذلكَ دليلٌ على جواز البعث من القبور، ثمَّ تحتَّم ذلك بإخبار الصادقين وهم الرسل عليهم السلام.

وقوله: ﴿خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ﴾ إمَّا أن يُراد خَلْقُ أصلِكَ من تراب ـ وهو آدم عليه السلام ـ وخَلْقُ أصلِه سببٌ في خلقِه، فكان خلقُه خلقاً له[1]. أو أُريدَ أنَّ ماءَ الرَّجلِ يتولَّدُ من أغذيةٍ راجعةٍ إلى التراب، فنبَّهَه أولاً على ما تولَّد منه ماءُ أبيه، ثمَّ ثانيه على النطفة التي هي ماءُ أبيه، وأمَّا ما نُقِلَ مِنْ أنَّ ملَكاً وُكِّلَ بالنطفة يُلقي فيها قليلاً من ترابٍ قبلَ دخولها في الرحم[2]، فيحتاج إلى صحة نقلٍ، ثمَّ نَبَّهَه على تسويتِه رجلاً، وهو خَلْقُهُ معتدِلاً صحيحَ الأعضاء. ويقال للغلام إذا تمَّ شبابُه: قد استوى. وقيل: ذكَّره بنعمة الله عليه في كونِه رجلاً ولم يخلُقْه أنثى، نبَّهَه بهذه التنقُّلات على كمال قدرته وأنَّه لا يُعجِزُه شيء.

قال الزمخشري[3]: «سَوَّاك»: عَدَّلك وكَمَّلك إنساناً ذكَراً بالغاً مَبْلَغَ الرجال، جعله كافراً بالله جاحداً لأنْعُمِه؛ لشَكِّه في البعث كما يكون المُكذِّب بالرسول كافراً. انتهى.

وانتصب «رجلاً» على الحال. وقال الحَوْفي: «رجلاً» نُصِبَ بـ «سَوَّى» أي: جعلَكَ رجلاً، فظاهرُه أنَّه عدَّى «سَوَّى» إلى اثنين، ولمَّا لم يكُنِ الاستفهامُ استفهامَ استعلامٍ وإنَّما هو استفهامُ إنكارٍ وتوبيخٍ فهو في الحقيقة تقريرٌ على كفره، وإخبارٌ

---

(١) الكشاف ٢/ ٤٨٤. وما بين معترضتين من المحرر الوجيز ٣/ ٥١٧، وتفسير الطبري ١٥/ ٢٦٣.

(٢) ذكر الرازي في تفسيره ٢٢/ ٧٠ عن ابن مسعود أن الله يأمر مَلَكَ الأرحام أن يكتب الأجل والرزق والأرض التي يدفن فيها، وأنه يأخذ من تراب تلك البقعة ويذرّه على النطفة، ثم يدخلها في الرحم.

(٣) في الكشاف ٢/ ٤٨٤.

عنه به؛ لأنَّ معناه: قد كفرتَ بالذي خلقكَ، استدرك هو مُخبِراً عن نفسه، فقال: ﴿لَّٰكِنَّا هُوَ ٱللَّهُ رَبِّي﴾ إقرارٌ بتوحيد الله، وأنَّه لا يُشرِكُ به غيرُه.

وقرأ الكوفيُّون، وأبو عمرو، وابن كثير، ونافع في رواية ورش وقالون: «لكِنَّ» بتشديد النون بغير ألف في الوصل، وبألفٍ في الوقف[1]، وأصلُه «لكِنْ أنا» نقلَ حركةَ الهمزة إلى نون «لكن»، وحذفَ الهمزة، فالتقى مِثْلان، فأُدْغِمَ أحدُهما في الآخر. وقيل: حذف الهمزة من «أنا» على غير قياس، فالتقَتْ نونُ «لكن» وهي ساكنة مع نون «أنا» فأُدغِمَتْ فيها، وأمَّا في الوقف فإنَّه أثبت ألف «أنا» وهو المشهور في الوقف على «أنا» وأمَّا في الوصل فالمشهور حذفُها[2].

وقد أبدلهَا ألفاً في الوقف أبو عمرو في رواية، فوقف: «لكِنَّهْ». ذكره ابن خالويه[3].

وقال ابن عطية: وروى هارون عن أبي عمرو: «لكِنَّه هو الله ربي» بضميرٍ لحِقَ «لكِنَّ»[4]. وقرأ ابنُ عامر، ونافع في رواية المُسَيَّبي[5]، وزيد بن علي، والحسن، والزُّهري، وأبو بحريَّة، ويعقوب في رواية، وأبو عمرو في رواية، وكَرْدَم، وورش في رواية، وأبو جعفر: بإثبات الألف وقفاً ووصلاً[6]، أمَّا في الوقف فظاهر، وأمَّا في الوصل فبنو تميم يثبتونها فيه في الكلام، وغيرهم في الاضطرار، فجاء على لغة بني تميم، وعن أبي جعفر حذفُ الألف وصلاً

(١) ينظر السبعة ص٣٩١، والتيسير ص١٤٣.
(٢) المحرر الوجيز ٣/ ٥١٧، وينظر الحجة للقراءات السبعة ٥/ ١٤٥، ومعاني القرآن للزجاج ٣/ ٢٨٦-٢٨٧، والكشاف ٢/ ٤٨٤.
(٣) في القراءات الشاذة ص٨٠. وينظر روح المعاني ١٥/ ٣٤٥.
(٤) المحرر الوجيز ٣/ ٥١٧-٥١٨.
(٥) المثبت من (ز١)، والحجة للقراءات السبعة ٥/ ١٤٤، وتفسير القرطبي ١٣/ ٢٧٨، وفي باقي النسخ: المسيلي، والمُسيَّبي: هو إسحاق بن محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله بن المسيب، إمام جليل، عالم بالحديث، قيِّمٌ في قراءة نافع ضابطٌ لها، محقِّقٌ، فقيه، قرأ على نافع وغيره. طبقات القراء لابن الجزري ١/ ١٥٧.
(٦) تنظر المصادر السابقة، والنشر ٢/ ٣١١.

ووقفاً، وذلك من رواية الهاشمي، ودلَّ إثباتُها في الوصل أيضاً على أنَّ أصلَ ذلك «لكنْ أنا».

وقال الزمخشريُّ: وحَسَّنَ ذلك ـ يعني إثبات الألف في الوصل ـ وقوعُ الألفِ عوضاً مِنْ حذف الهمزة[1]. انتهى. ويدلُّ على ذلك ـ أيضاً ـ قراءةُ فرقةٍ: «لكِننا» بحذف الهمزة وتخفيف النونين. وقال ـ أيضاً ـ الزمخشريُّ: ونحوه ـ يعني: ونحوُ إدغام نون «لكِنْ» في نون «أنا» بعد حذف الهمزة ـ قولُ القائل:

وتَرْمينني بالطَّرْفِ أيْ أنتَ مُذْنِبٌ وتَقْلينَني لكِنَّ إيَّاكِ لا أَقْلي[2]

أي: لكِنْ أنا لا أَقْلِيكِ. انتهى. ولا يتعيَّنُ ما قالَه في البيت؛ لجواز أن يكون التقديرُ: لكِنَّني، فحذف اسم «لكنَّ»، وذكروا أنَّ حذْفَه فصيحٌ إذا دلَّ عليه الكلام، وأنشدوا على ذلك قولَ الشاعر:

فلو كنتَ ضبِّيًّا عرفتَ قرابتي ولكِنَّ زَنْجيٌّ عظيمُ المشافِرِ[3]

في رواية من روى «زَنْجيٌّ» بالرفع[4]، أي: ولكِنَّكَ زَنْجِيٌّ.

وأجاز أبو علي[5] أن تكون «لكِن» لَحِقَتْها نونُ الجماعة التي في خَرَجْنا وضَرَبْنا، ووقع الإدغام لاجتماع المِثْلَين، ثمَّ وحّد في «ربِّي» على المعنى، ولوِ اتَّبعَ اللفظ لقال: ربَّنا. انتهى. وهو تأويل بعيد.

وقال ابن عطية[6]: ويتوجَّه في «لكِنَّا» أن تكون المشهورةَ من أخوات «إنَّ»،

(١) الكشاف ٢/ ٤٨٤-٤٨٥.

(٢) لم أقف على قائله، وهو في معاني القرآن للفراء ٢/ ١٤٤، وشرح المفصل لابن يعيش ٨/ ١٤٠، والخزانة ١١/ ٢٢٥. ومعنى «لا أقلي»: لا أُبْغِضُ.

(٣) البيت للفرزدق، كما في الكتاب ٢/ ١٣٦، والمحتسب ٢/ ١٨٢، والخزانة ١٠/ ١٤٤، وفي رواية المحتسب: غليظ المشافرِ. والمشافر جمع مِشْفَر. قال صاحب الخزانة: واعلم أن قافية البيت اشتهرت كذا عند النحويين، وصوابه: ولكنَّ زنجيًّا غلاظاً مشافِرُه. أصله للبعير، وجعله هنا لشَفَة من يهجوه.

(٤) هذه العبارة من (ز١) وحدها.

(٥) في الحجة ٥/ ١٤٥-١٤٦.

(٦) في المحرر الوجيز ٣/ ٥١٧.

المعنى: لكِنَّ قولي: هو اللهُ ربِّي. إلَّا أنِّي لا أعرِفُ من يقرأ بها وصلاً ووقفاً. انتهى.

وذكر أبو القاسم يوسف بن علي بن جُبارة الهُذلي[١] في كتاب «الكامل في القراءات» من تأليفه ما نصُّه: يحذِفُها في الحالين ـ يعني الألف في الحالين يعني الوصل والوقف ـ حمصيٌّ، وابن عُتْبة، وقتيبة غير الثقفي، ويونس عن أبي عمرو، ويعني بحمصيٍّ ابنَ أبي عَبْلة وأبا حَيْوة وأبا بحريَّة.

وقرأ أُبيٌّ والحسن: «لكِنْ أنا هو الله» على الانفصال وفَكِّه من الإدغام وتحقيق الهمز، وحكاها ابنُ عطية عن ابن مسعود[٢].

وقرأ عيسى الثَّقفي: «لكِنْ هو الله» بغير «أنا»، وحكاها ابنُ خالويه عن ابن مسعود[٣]، وحكاها الأهوازي عن الحسن، فأمَّا مَنْ أثبتَ «هو» فإنَّه ضمير الأمر والشأن، وثَمَّ قولٌ محذوفٌ، أي: لكِنْ أنا أقول: هو اللهُ ربِّي، ويجوز أن يعود على «الذي خلقك من تراب»، أي: أنا أقول: هو ـ أي خالقُكَ ـ اللهُ ربِّي، و«ربِّي» نعت أو عطف بيان أو بدل، ويجوز أن لا يُقدَّر: «أقول» محذوفة، فيكون «أنا» مبتدأ، و«هو» ضميرُ الشأن مبتدأ ثانٍ، و«الله» مبتدأ ثالث، و«ربِّي» خبرُه، والثالثُ وخبرُه خبرٌ عن الثاني، والثاني وخبرُه خبرٌ عن «أنا»، والعائد عليه هو الياء في «ربِّي»، وصار التركيبُ نظيرَ: هندٌ هو زيدٌ ضارِبُها، وعلى رواية هارون يجوز أن يكون «هو» توكيداً لضمير النصب في «لكنَّه» العائد على «الذي خلقكَ»، ويجوز أن يكون فصلاً؛ لوقوعه بين معرفتين، ولا يجوز أن يكون ضميرَ شأنٍ؛ لأنَّه لا عائدَ على اسم «لكن» من الجملة الواقعة خبراً.

---

(١) هو المقرئ، بلغ عدد شيوخه ثلاث مئة وخمسة وستين شيخاً. وقال الذهبي: له أغاليط كثيرة في أسانيد القراءات، توفي في نيسابور سنة خمس وستين وأربع مئة. لسان الميزان ٨/ ٥٦١-٥٦٢.

(٢) المحرر الوجيز ٣/ ٥١٧، وهي فيه عن ثلاثتهم، وفي القراءات الشاذة ص٨٠ عن أبيّ والحسن.

(٣) القراءات الشاذة ص٨٠ بزيادة: «لا إله إلا هو»، والقراءة عن عيسى الثقفي ـ من دون الزيادة ـ في المحرر الوجيز ٣/ ٥١٧. وذكر الزمخشري في الكشاف ٢/ ٤٨٥ أن ابن مسعود قرأ: «لكن أنا لا إله إلا هو ربي».

وفي قوله: ﴿وَلَآ أُشۡرِكُ بِرَبِّيٓ أَحَدٗا﴾ تعريضٌ بإشراك صاحبه، وأنَّه مخالِفُه في ذلك، وقد صرَّح بذلك صاحبُه في قوله: ﴿يَٰلَيۡتَنِي لَمۡ أُشۡرِكۡ بِرَبِّيٓ أَحَدٗا﴾. وقيل: أرادَ بذلك أنَّه لا يرى الغِنى والفقر إلَّا منه تعالى، يُفقِرُ مَنْ يشاء ويُغني من يشاء. وقيل: لا أُعجِزُ قدرتَه على الإعادة فأُسَوِّي بينَه وبينَ غيره، فيكون إشراكاً كما فعلتَ أنتَ.

ولمَّا وبَّخ المؤمنُ الكافرَ أوردَ له ما ينصحه، فحضَّه على أن كان يقول إذا دخلَ جنَّتَه: ما شاء اللهُ لا قوَّةَ إلا بالله، أي: الأشياء معذوقة[1] بمشيئة الله؛ إنْ شاءَ أفقرَ وإنْ شاءَ أغنى، وإنْ شاءَ نصَرَ، وإنْ شاءَ خذَل.

و«ما» يَحتَمِلُ أن تكون شرطيةً منصوبةً بـ «شاء» والجواب محذوف، أي: أيُّ شيءٍ شاءَ اللهُ كان. ويَحتَمِلُ أن تكون موصولةً بمعنى «الذي» مرفوعةً على الابتداء، أي: الذي شاءَه اللهُ كائن، أو على الخبر، أي: الأمر ما شاء الله[2].

و«لولا» تحضيضية[3]، وفصلَ بين الفعل وبينَها بالظرف، وهو معمولٌ لقوله: «قُلْتَ».

ثمَّ نصحَه بالتَّبرِّي من القوة فيما يُحاوله ويُعانيه، وأن يجعلَ القوَّة لله تعالى، وفي الحديث: أنَّ رسولَ الله ﷺ قال لأبي هريرة: «ألا أدُلُّكَ على كلمةٍ من كنز الجنة؟» قال: بلى يا رسول الله. قال: «لا قوَّةَ إلَّا بالله، إذا قالها العبدُ قال الله عزَّ وجلَّ: أسلَمَ عبدي واستَسْلَمَ»[4]، ونحوُه من حديث أبي موسى، وفيه: «إلَّا بالله العليِّ العظيم»[5].

---

(١) أي: مقرونة.

(٢) الكشاف ٢/ ٤٨٥، وإملاء ما منَّ به الرحمن ٢/ ١٠٣. وينظر معاني القرآن للزجاج ٣/ ٢٨٨، ومعاني القرآن للفراء ٢/ ١٤٥.

(٣) المحرر الوجيز ٣/ ٥١٨، وما قبله فيه بنحوه.

(٤) أخرجه أحمد (٧٩٦٦). وينظر الحديث مع الحديث الآتي في المحرر الوجيز ٣/ ٥١٨، وتفسير القرطبي ١٣/ ٢٨٠-٢٨١.

(٥) أخرجه البخاري (٦٣٨٤)، ومسلم (٢٧٠٤)، وأحمد (١٩٥٧٩)، ولم يَرد عندهم قوله: «العلي العظيم»، وهي في رواية عبد الرزاق في المصنَّف (٢٠٥٤٧).

ثمَّ أردفَ تلكَ النصيحةَ بِتَرْجيةٍ من الله وتوقُّعِه أن يقلِبَ ما به وما بصاحبِه من الفقر والغنى، فقال: ﴿إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا﴾ أي: إنِّي أتوقَّعُ من صُنْعِ اللهِ تعالى وإحسانِه أن يمنحني جنَّةً خيراً من جنَّتِكَ؛ لإيماني به، ويُزيلَ عنك نعمتَه؛ لكُفْرِك به، ويُخرِّبَ بستانَك[1].

وقرأ الجمهور: «أقلَّ» بالنصب مفعولاً ثانياً لـ «ترني»، وهي عِلْميَّة لا بصريَّة؛ لوقوع «أنا» فصلاً، ويجوز أن يكون توكيداً للضمير المنصوب في «ترني»، ويجوز أن تكون بصريَّةً، و«أنا» توكيدٌ للضمير في «ترني» المنصوب، فيكون «أقلَّ» حالاً.

وقرأ عيسى بن عمر: «أَقَلُّ» بالرفع. على أن تكون «أنا» مبتدأً، و«أَقَلُّ» خبره، والجملة في موضع مفعول «ترني» الثاني[2] إن كانت عِلميَّةً، وفي موضع الحال إنْ كانت بصريَّة.

ويدلُّ قولُه: ﴿وَوَلَدًا﴾ على أنَّ قولَ صاحبِه: ﴿وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾ عنى به الأولاد[3]، أنْ قابلَ كثرةَ المالِ بالقِلَّةِ، وعِزَّةَ النَّفَرِ بقِلَّة الولد.

والحُسْبان، قال ابن عباس وقتادة: العذاب[4]. وقال الضحَّاك: البَرَد. وقال الكلبي: النار. وقال ابن زيد: القضاء[5]. وقال الأخفش: سهامٌ تُرمى في مجرى فقلَّما تخطئ[6]. وقيل: النَّبْل الصِّغار. وقيل: الصواعق. وقيل: آفة مجتاحة. وقال الزجَّاج[7]: عذابُ حُسْبانٍ، وذلك الحُسْبانُ حسابُ ما كسبَتْ يداك.

وهذا الترجِّي إن كان ذلك أن يُؤتيه في الدنيا فهي أنكى للكافر وآلَمُ؛ إذ يرى حالَه من الغنى قد انتقلت إلى صاحبه، وإن كان ذلك أن يُؤتيه في الآخرة فهو أشرَفُ وأذهَبُ مع الخير والصلاح.

---

(١) الكشاف ٢/ ٤٨٥ بنحوه.
(٢) إعراب القرآن للنحاس ٢/ ٤٥٧، والمحرر الوجيز ٣/ ٥١٨.
(٣) ينظر الكشاف ٢/ ٤٨٥.
(٤) النكت والعيون ٣/ ٣٠٧، وزاد المسير ٥/ ١٤٥. وأخرجهما عبد الرزاق في تفسيره ١/ ٤٠٤، والطبري ١٥/ ٢٦٦.
(٥) تفسير الثعلبي ٤/ ١٢١، وزاد المسير ٥/ ١٤٥. وأخرجه الطبري ١٥/ ٢٦٦.
(٦) نقله عنه الثعلبي في تفسيره ٤/ ١٢١، والماوردي في النكت والعيون ٣/ ٣٠٧.
(٧) في معاني القرآن له ٣/ ٢٩٠، ونقله عنه الزمخشري في الكشاف ٢/ ٤٨٥.

﴿فَتُصْبِحَ صَعِيدًا﴾ أي: أرضاً بيضاءَ لا نباتَ فيها[١]، لا مِنْ كَرْمٍ ولا نَخْلٍ ولا زَرْعٍ، قد اضْطُلِمَ جميعُ ذلك فبقِيَتْ يباباً قَفْراً يُزلَقُ عليها؛ لإملاسِها.

والزَّلَقُ: الذي لا تثبتُ فيه قدَمٌ، ذهبَتْ غِراسُه وبناؤُه، وسُلِبَ المنافع حتى منفعة المشي فيه، فهو وَحلٌ لا ينبتُ ولا تثبتُ فيه قدَم[٢]. وقال الحسن: الزَّلَق: الطريق الذي لا نباتَ فيه. وقيل: الخراب[٣]. وقال مجاهد: رملاً هائلاً[٤]. وقيل: الزَّلَق: الأرض السَّبْخة.

وترَجّى المؤمن لجنَّةِ هذا الكافر آفة عُلويَّةً من السماء، أو آفةً سُفليَّةً من الأرض، وهو غَوْرُ مائها، فيتلَفُ كلُّ ما فيها من الشجر والزرع.

و«غَوْر» مصدرٌ خبرٌ عن اسم «أصبحَ» على سبيل المبالغة، و«أو يُصبحَ» معطوفٌ على قولِه: «ويُرسِلَ»؛ لأنَّ غُؤورَ الماء لا يتسبَّبُ على الآفة السماوية إلَّا إنْ عنى بالحُسْبان القضاءَ الإلهيَّ فحينئذٍ يتسبَّبُ عنه إصباحُ الجنَّة صعيداً زلَقاً، أو إصباحُ مائها غَوْراً.

وقرأ الجمهور: «غَوْراً» بفتح الغين. وقرأ البُرْجُميُّ: «غُوْراً» بضم الغين[٥]. وقرأت فرقةٌ: بضمِّ الغين وهمز الواو، يعنون: وبواوٍ بعد الهمزة، فيكون «غُؤوراً» كما جاء في مصدر غارَتْ عينُه غُؤوراً.

والضمير في «له» عائدٌ على الماء، أي: لن يقدِرَ على طلبه؛ لكونه ليس مقدوراً على ردِّ ما غَوَّرَه اللهُ تعالى.

وحكى الماوردي[٦] أنَّ معناه: لَنْ تستطيع طلبَ غيرِه بدلاً منه. وبلَّغَ اللهُ المؤمنَ ما ترجَّاه من هلاك ما بِيَدِ صاحبِه الكافر وإبادتِه على خلاف ما ظَنَّ في قوله: ﴿مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا﴾ فأخبر تعالى أنَّه أُحيط بثَمَرِه، وهو عبارةٌ عن

---

(١) النكت والعيون ٣/ ٣٠٧.
(٢) المحرر الوجيز ٣/ ٥١٨ بنحوه.
(٣) تفسير الطبري ١٥/ ٢٦٦.
(٤) تفسير الثعلبي ٤/ ١٢١.
(٥) هذه القراءة في مجمع البيان ١٥/ ١٥٨.
(٦) في النكت والعيون ٣/ ٣٠٨.

الإهلاك، وأصلُه من أحاط به العدوُّ: وهو استدارتُه به من جميع جوانبه، ومتى أحاطَ به ملَكَه واستولى عليه، ثم استُعمِلَتْ في كلِّ إهلاك، ومنه: ﴿إِلَّآ أَن يُحَاطَ بِكُمۡۖ﴾[1] [يوسف: ٦٦].

وقال ابن عطية[2]: الإحاطة كنايةٌ عن عموم العذاب والفساد. انتهى.

والظاهر أنَّ الإحاطةَ كانت ليلاً؛ لقوله: «فأصبح»، على أنَّه يَحتمِلُ أن يكون معنى «فأصبح» فصار، فلا يدلُّ على تقييد الخبر بالصباح.

وتقليبُ كفَّيه ظاهِرُه أنَّه يُقلِّبُ كفَّيه ظَهراً لِبَطن، وهو أنَّه يُبدي باطنَ كفِّه ثم يُعوِجُ كفَّه حتى يبدوَ ظهرُها، وهي فِعْلةُ النادم المتحسِّرِ على شيءٍ قد فاتَه، المتأسِّفِ على فقدانِه، كما يُكنى بقبضِ الكفِّ والسقوطِ في اليد. وقيل: يُصَفِّق بيده على الأخرى ويقلب كفَّيه ظهراً لِبَطن[3]. وقيل: يضع باطن إحداهما على ظهر الأخرى[4].

ولمَّا كان هذا الفِعلُ كنايةً عن النَّدم عدَّاه تعديةَ فعل النَّدم، فقال: ﴿عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا﴾[5]، كأنَّه قال: فأصبحَ نادماً على ذهاب ما أنفقَ في عِمارة تلك الجنة.

﴿وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾ تقدَّم الكلام على هذه الجملة في أواخر «البقرة»[6].

وتمنِّيه انتفاءَ الشِّرك الظاهرُ أنَّه صدَرَ منه ذلك في حالة الدنيا على جهة التوبة بعد حلول المصيبة، وفي ذلك زجرٌ للكَفَرةِ من قريشٍ وغيرِهم؛ لئلَّا يجيء لهم حالٌ يؤمنون فيها بعدَ نِقَم تَحُلُّ بهم[7]. قيل: أرسلَ اللهُ عليها ناراً فأكلَتْها، فتذكَّرَ موعظةَ أخيه، وعَلِمَ أنَّه أُتيَ من جهة شِرْكِه وطغيانِه، فتمنَّى لو لم يكُنْ مشركاً[8].

---

(١) الكشاف ٢/ ٤٨٥.
(٢) في المحرر الوجيز ٣/ ٥١٩.
(٣) تفسير الثعلبي ٤/ ١٢١، والكشاف ٢/ ٤٨٥، وتفسير الرازي ٢١/ ١٢٨ بنحوه.
(٤) المحرر الوجيز ٣/ ٥١٩.
(٥) الكشاف ٢/ ٤٨٥.
(٦) عند تفسير الآية (٢٥٩) منها.
(٧) المحرر الوجيز ٣/ ٥١٩.
(٨) الكشاف ٢/ ٤٨٥.

وقال بعض المفسِّرين: هي حكايةٌ عن قول الكافر هذه المقالة في الآخرة[١].

ولمَّا افتخرَ بكثرة مالِه وعزَّة نَفَرِه أخبر تعالى أنَّه لم تكن له فئةٌ أي جماعةٌ تنصره، ولا كان هو منتصراً بنفسه.

وجمع الضمير في «ينصرونه» على المعنى، كما أفرده على اللفظ في قوله: ﴿فِئَةٌ تُقَٰتِلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾[٢] [آل عمران: ١٣]. واحتمَلَ النفيُ أن يكون منسحباً على القيد فقط، أي: له فئةٌ لكنَّه لا يقدر على نصره، وأن يكون منسحباً على القيد والمرادُ انتفاؤه؛ لانتفاءِ ما هو وَصْفٌ له، أي: لا فئةَ فلا نَصْرَ.

﴿وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا﴾ بقوةٍ عن انتقام الله[٣].

وقرأ الأخَوان، ومجاهد، وابن وَثَّاب، والأعمش، وطلحة، وأيوب، وخلف، وأبو عُبيد، وابن سَعْدان، وابن عيسى الأصبهاني، وابن جرير: «ولم يكُنْ» بالياء؛ لأنَّ تأنيثَ الفئة مَجاز. وقرأ باقي السبعة، والحسن، وأبو جعفر، وشيبة: بالتاء[٤].

وقرأ ابن أبي عبلة: «فئةٍ تنصرُه» على اللفظ[٥].

والحقيقة في «هنالك» أن يكون ظرفَ مكان للبُعد[٦]، فالظاهر أنَّه أُشيرَ به لدار الآخرة، أي: في تلك الدارِ «الولايةُ لله»، كقوله: ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ﴾[٧] [غافر: ١٦].

قيل: لمَّا نفى عنه الفئةَ الناصرةَ في الدنيا نفى عنه أن ينتصر في الآخرة، فقال: ﴿وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا ۝٤٣ هُنَالِكَ﴾ أي: في الدار الآخرة، فيكونُ «هنالك» معمولاً لقوله:

(١) المحرر الوجيز ٣/ ٥١٩.
(٢) ينظر معاني القرآن للفراء ٢/ ١٤٥.
(٣) الكشاف ٢/ ٤٨٦، والعبارة فيه وفي روح المعاني ١٥/ ٣٩٥ وغيرهما: ﴿وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا﴾ ممتنعاً بقوته عن انتقام الله.
(٤) ينظر السبعة ص٣٩٢، والتيسير ص١٤٣، والنشر ٢/ ٣١١. والكلام بنحوه وباختصار في المحرر الوجيز ٣/ ٥١٩.
(٥) المحرر الوجيز ٣/ ٥١٩.
(٦) ينظر إملاء ما منَّ به الرحمن ٢/ ١٠٣.
(٧) الكشاف ٢/ ٤٨٦.

«منتصراً». وقال الزجَّاج: أي: وما كان منتصراً في تلك الحال[(١)]، و«الولاية لله» على هذا مبتدأ وخبر[(٢)]. وقيل: ﴿هُنَالِكَ ٱلْوَلَٰيَةُ لِلَّهِ﴾ مبتدأ وخبر، والوقف على قوله: ﴿مُنتَصِرًا﴾[(٣)].

وقرأ الأخَوان، والأعمش، وابن وثَّاب، وشيبة، وابن غزوان عن طلحة، وخلف، وابن سَعْدان، وابن عيسى الأصبهاني، وابن جرير: «الوِلاية» بكسر الواو، وهي بمعنى الرئاسة والرعاية. وقرأ باقي السبعة: بفتحها، بمعنى الموالاة والصِّلة. وحُكي عن أبي عمرو والأصمعيّ أنَّ كَسْرَ الواو هنا لَحْنٌ؛ لأنَّ فِعالة إنَّما تجيء فيما كان صنعةً أو معنًى متقلَّداً، وليس هنالك تولِّي أمور[(٤)].

وقال الزمخشري[(٥)]: «الوَلاية» بالفتح: النُّصرة والتولِّي، وبالكسر: السلطان والملك، وقد قُرئ بهما، والمعنى: «هنالك» أي: في ذلك المقام وتلك الحال النُّصرةُ لله وحدَه، لا يملِكُها غيرُه، ولا يستطيعُها أحدٌ سواه؛ تقريراً لقوله: ﴿وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أو: هُنالِكَ السلطانُ والملكُ لله، لا يُغلَبُ ولا يُمتَنعُ منه. أو: في مثل تلك الحال الشديدة يتولَّى اللهَ ويُؤمِنُ به كلُّ مُضطرٍّ، يعني أنَّ قولَه: ﴿يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّىٓ أَحَدًا﴾ كلمةٌ أُلجِئَ إليها فقالها جَزَعاً من شؤم كُفرِه، ولولا ذلك لم يَقُلْها. ويجوز أن يكون المعنى: هنالِكَ الولايةُ لله ينصرُ فيها أولياءَه المؤمنين على الكفَرة، وينتقمُ لهم، ويشفي صدورَهم من أعدائهم، يعني أنَّه نصرَ فيما فعلَ بالكافر أخاه المؤمن، وصدق قولُه: ﴿فَعَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ ويعضُدُه قولُه: ﴿هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا﴾ أي: لأوليائه. انتهى.

وقرأ النَّحْويان، وحُميد، والأعمش، وابن أبي ليلى، وابنُ مُناذر، واليزيدي، وابنُ عيسى الأصبهاني: «الحقُّ» برفع القاف صفةً للولاية. وقرأ باقي السبعة:

(١) معاني القرآن للزجاج ٣/ ٢٨٩.
(٢) ينظر إملاء ما منَّ به الرحمن ٢/ ١٠٣.
(٣) مشكل إعراب القرآن ١/ ٤٤٣ بنحوه.
(٤) الكلام بنحوه في المحرر الوجيز ٣/ ٥١٩. وينظر السبعة ص٣٩٢، والتيسير ص١٤٣، والنشر ٢/ ٢٧٧.
(٥) في الكشاف ٢/ ٤٨٦.

بخفضها، وصفاً لله تعالى[١]. وقرأ أُبيٌّ: «هنالك الولايةُ الحقُّ لله» برفع «الحق» صفةً للولاية، وتقديمها على قوله: «لله»[٢].

وقرأ أبو حَيْوة، وزيد بن علي، وعمرو بن عُبيد، وابن أبي عبلة، وأبو السمَّال، ويعقوب عن عِصْمة عن أبي عمرو: «لله الحقَّ» بنصب القاف[٣]. قال الزمخشري: على التأكيد، كقولك: هذا عبدَ اللهَ الحقَّ لا الباطل، وهي قراءةٌ حسنةٌ فصيحةٌ، وكان عمرو بن عُبيد ـ رحمةُ الله عليه ورضوانُه ـ من أفصحِ الناس وأنصحِهم[٤]. انتهى. وكان قد قال الزمخشري: وقرأ عمرو بن عُبيد رحمه الله. انتهى، فترحَّم عليه وترضَّى عنه؛ إذْ هو من أوائل أكابر شيوخه المعتزلة، وكان على غايةٍ من الزُّهد والعبادة، وله أخبارٌ في ذلك، إلَّا أنَّ أهل السنَّة يطعنون عليه وعلى أتباعه، وفي ذلك يقول أبو عمرٍو الدَّانيّ في أرجوزته التي سمَّاها «المُنبِّهة»:

وابن عُبيدٍ شيخُ الاعتزالِ وشارعُ البدعةِ والضَّلالِ[٥]

وقرأ الحسن، والأعمش، وعاصم، وحمزة: «عُقْباً» بسكون القاف والتنوين. وعن عاصم: «عُقْبى» بألف التأنيث المقصورة على وزن: رُجْعى. والجمهور بضمِّ القاف والتنوين، والثلاثُ بمعنى العاقبة[٦].

❁ ❁ ❁

﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴿٤٥﴾ ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿٤٦﴾ وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى

(١) ينظر السبعة ص٣٩٢، والتيسير ص١٤٣. والكلام بنحوه وباختصار في المحرر الوجيز ٣/ ٥١٩. والنحويان هما: أبو عمرو، والكسائي.
(٢) معاني القرآن للفراء ٢/ ١٤٥-١٤٦.
(٣) القراءة الشاذة ص٨٠ عن عمرو بن عبيد، وفي المحرر الوجيز ٣/ ٥١٩ عن أبي حيوة.
(٤) الكشاف ٢/ ٤٨٦.
(٥) الأرجوزة المنبهة ص١٨.
(٦) ينظر السبعة ص٣٩٢، والتيسير ص١٤٣، والكلام في المحرر الوجيز ٣/ ٥١٩.

ٱلۡأَرۡضَ بَارِزَةٗ وَحَشَرۡنَٰهُمۡ فَلَمۡ نُغَادِرۡ مِنۡهُمۡ أَحَدٗا ﴿٤٧﴾ وَعُرِضُواْ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفّٗا لَّقَدۡ جِئۡتُمُونَا كَمَا
خَلَقۡنَٰكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةِۭۚ بَلۡ زَعَمۡتُمۡ أَلَّن نَّجۡعَلَ لَكُم مَّوۡعِدٗا ﴿٤٨﴾ وَوُضِعَ ٱلۡكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلۡمُجۡرِمِينَ
مُشۡفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيۡلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلۡكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةٗ وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ
أَحۡصَىٰهَاۚ وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرٗاۗ وَلَا يَظۡلِمُ رَبُّكَ أَحَدٗا ﴿٤٩﴾ وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ
فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلۡجِنِّ فَفَسَقَ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهِۦٓۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوۡلِيَآءَ مِن
دُونِي وَهُمۡ لَكُمۡ عَدُوُّۢۚ بِئۡسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلٗا ﴿٥٠﴾ ۞مَّآ أَشۡهَدتُّهُمۡ خَلۡقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ
وَلَا خَلۡقَ أَنفُسِهِمۡ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلۡمُضِلِّينَ عَضُدٗا ﴿٥١﴾ وَيَوۡمَ يَقُولُ نَادُواْ شُرَكَآءِيَ ٱلَّذِينَ
زَعَمۡتُمۡ فَدَعَوۡهُمۡ فَلَمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَهُمۡ وَجَعَلۡنَا بَيۡنَهُم مَّوۡبِقٗا ﴿٥٢﴾ وَرَءَا ٱلۡمُجۡرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم
مُّوَاقِعُوهَا وَلَمۡ يَجِدُواْ عَنۡهَا مَصۡرِفٗا ﴿٥٣﴾ وَلَقَدۡ صَرَّفۡنَا فِي هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٖۚ
وَكَانَ ٱلۡإِنسَٰنُ أَكۡثَرَ شَيۡءٖ جَدَلٗا ﴿٥٤﴾ وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤۡمِنُوٓاْ إِذۡ جَآءَهُمُ ٱلۡهُدَىٰ
وَيَسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّهُمۡ إِلَّآ أَن تَأۡتِيَهُمۡ سُنَّةُ ٱلۡأَوَّلِينَ أَوۡ يَأۡتِيَهُمُ ٱلۡعَذَابُ قُبُلٗا ﴿٥٥﴾ وَمَا نُرۡسِلُ
ٱلۡمُرۡسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَۚ وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلۡبَٰطِلِ لِيُدۡحِضُواْ بِهِ ٱلۡحَقَّۖ وَٱتَّخَذُوٓاْ
ءَايَٰتِي وَمَآ أُنذِرُواْ هُزُوٗا ﴿٥٦﴾ وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعۡرَضَ عَنۡهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتۡ
يَدَاهُۚ إِنَّا جَعَلۡنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ أَكِنَّةً أَن يَفۡقَهُوهُ وَفِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرٗاۖ وَإِن تَدۡعُهُمۡ إِلَى ٱلۡهُدَىٰ
فَلَن يَهۡتَدُوٓاْ إِذًا أَبَدٗا ﴿٥٧﴾ وَرَبُّكَ ٱلۡغَفُورُ ذُو ٱلرَّحۡمَةِۖ لَوۡ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُواْ لَعَجَّلَ لَهُمُ
ٱلۡعَذَابَۚ بَل لَّهُم مَّوۡعِدٞ لَّن يَجِدُواْ مِن دُونِهِۦ مَوۡئِلٗا ﴿٥٨﴾ وَتِلۡكَ ٱلۡقُرَىٰٓ أَهۡلَكۡنَٰهُمۡ لَمَّا
ظَلَمُواْ وَجَعَلۡنَا لِمَهۡلِكِهِم مَّوۡعِدٗا ﴿٥٩﴾﴾.

المفردات الهَشيم: اليابس. قاله الفرَّاء، واحده هَشيمة. وقال الزجَّاج وابن قُتيبة: كلُّ شيء كان رطباً ويبس[1]. ومنه: ﴿كَهَشِيمِ ٱلۡمُحۡتَظِرِ﴾ [القمر: ٣١]، وهَشيم الثَّريدِ، وأصلُ الهَشيم: المُتفتِّتُ من يابس العُشب[2].

ذرى وأذرى لغتان: فرَّق. قاله أبو عبيدة. وقال ابن كَيْسان: «تَذْروه»: تجيء به وتذهب. وقال الأخفش: ترفعه[3].

---

(١) زاد المسير ٥/ ١٤٨ بنحوه، وكلام الزجاج في معاني القرآن له ٣/ ٢٩١، وكلام ابن قتيبة في غريب القرآن ص٢٦٨.
(٢) المحرر الوجيز ٣/ ٥٢٠.
(٣) تفسير الثعلبي ٤/ ١٢٣، وكلام أبي عبيدة في مجاز القرآن ١/ ٤٠٥.

غادَرَ: ترَكَ، من الغدر: وهو[١] تَرْكُ الوفاء[٢]. ومنه الغَدير: وهو ما تركَه السَّيل[٣].

الصَّفّ: الشخص بإزاءِ الآخَر إلى نهايتهم وقوفاً أو جلوساً، أو على غير هاتين الحالتين طولاً أو تحليقاً، يقال منه: صَفَّ يَصُفُّ، والجمع صفوف.

العَضُد: العضو من الإنسانِ وغيرِه معروف، وفيه لغتان؛ فتحُ العين وضمُّ الضاد وإسكانُها وفتحُها، وضمُّ العينِ والضادِ وإسكانُ الضاد، ويُستعمل في العَوْن والنَّصير[٤]. قال الزجَّاج[٥]: والاعتضاد: التَّقَوِّي وطلبُ المعونة؛ يقال: اعتضدتُ بفلانٍ: استعنتُ به.

المَوْبِق: المَهْلَك؛ يقال: وبِقَ يَوبَقُ وَبَقاً، ووَبَقَ يبِقُ: وُبوقاً إذا هلك، فهو وابِق[٦]، وأوبَقَتْه ذنوبُه: أهلَكَتْه[٧].

أدحضَ الحقَّ: أزْهَقَه. قاله ثعلب. وأصلُه من إدحاض القدَم وهو إزلَاقها[٨]، قال الشاعر:

وَرَدْتُ ونـجَّـى الـيَـشْـكُـريَّ حِـذارُهُ ... وحادَ كما حادَ البعيرُ عن الدَّحْضِ[٩]

وقال آخر:

---

(١) المثبت من (ز١) وحدها، وفي باقي النسخ: ومنه.
(٢) الكشاف ٢/ ٤٨٧.
(٣) المحرر الوجيز ٣/ ٥٢٠.
(٤) تهذيب اللغة ١/ ٤٥١.
(٥) فيما نقله عنه ابن الجوزي في زاد المسير ٥/ ١٥٥.
(٦) الكشاف ٢/ ٤٨٨.
(٧) معاني القرآن للنحاس ٢/ ٢٥٨ و٦/ ٣١٨.
(٨) الكشاف ٢/ ٤٨٩ دون قول ثعلب.
(٩) قائله طرفة كما في مجاز القرآن ١/ ٤٠٨، وجمهرة اللغة لابن دريد ٢/ ١٢٣، واللسان (دحض)، وهو في ديوانه ص١٧٢. وذكره الماوردي في النكت والعيون ٣/ ٣١٩، وابن عطية في المحرر الوجيز ٣/ ٥٢٥ من غير نسبة. وفي بعض المصادر: «رديتُ» بدل «وردتُ»، وفي المحرر الوجيز: «نجاؤه» بدل «حذاره».

أبـا مُـنْـذِرٍ رُمْـتَ الـوفـاءَ وَهِـبْـتَـهُ وحِدْتَ كما حادَ البعيرُ المُدَحَّضُ[١]

والدَّحْضُ: الطين الذي يزهق فيه[٢].

المَوْئِل؛ قال الفرَّاء: المنجى[٣]؛ يقال: وَأَلَتْ نفسُ فلانٍ: نَجَتْ، وقال الأعشى:

وقـد أُخـالِـسُ ربَّ الـبـيـتِ غَـفْـلَـتَـهُ وقَـدْ يُـحـاذِرُ مـنِّـي ثـمَّ مـا يَـئِـلُ

أي: ما ينجو[٤]. وقال ابن قتيبة[٥]: الملجأ؛ يقال: وأَلَ فلانٌ إلى كذا [إذا] لجأ، يئِلُ وَألاً ووُؤولاً.

* * *

التفسير ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴿٤٥﴾ ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿٤٦﴾ وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٤٧﴾ وَعُرِضُوا۟ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍۭ ۚ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا ﴿٤٨﴾ وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾﴾.

لمَّا بيَّن تعالى في المَثلِ الأول حالَ الكافر والمؤمن وما آلَ إليه ما افتخَرَ به الكافرُ من الهلاك بيَّن في هذا المَثَلِ حالَ الحياة الدنيا واضمحلالَها ومصيرَ ما فيها من النَّعيم والترفُّه إلى الهلاك.

---

(١) هكذا أورده المصنف ونقله عنه الآلوسي في روح المعاني ١٥/ ٣٩٧، وروايته - كما في المصادر الآتية - «عن الدَّحْضِ» بدل «المدحضُ»، وهو في ديوان طرفة ص١٧٣، والزاهر لابن الأنباري ٢/ ٣٣٣، وتفسير القرطبي ١٣/ ٣١٢، وتاج العروس (دحض).

(٢) المحرر الوجيز ٣/ ٥٢٥.

(٣) معاني القرآن للفراء ٢/ ١٤٨.

(٤) مجاز القرآن ١/ ٤٠٨، والبيت في ديوان الأعشى ص١٧٤، والمحرر الوجيز ٢/ ٥٢٦، والخزانة ١١/ ٣٥٢.

(٥) في تفسير غريب القرآن ص٢٦٩، وما بين حاصرتين الآتي منه ومن زاد المسير ٣/ ١٦٠، ووقع بدلاً منه في النسخ: (إ).

و«كماء» قدَّرَه ابنُ عطية[1] خبرَ مبتدأٍ محذوف، أي: هي، أي: الحياة الدنيا كماءٍ. وقال الحَوْفي: الكاف متعلِّقةٌ بمعنى المصدر، أي: ضَرْباً كماءٍ أنزلناه، وأقول: إنَّ «كماءٍ» في موضع المفعول الثاني لقوله: «واضرِبْ» أي: وصَيِّرْ لهم مثلَ الحياة الدنيا، أي صِفَتَها شبهَ ماءٍ. وتقدَّم الكلامُ على تفسير نظير هذه الجُمل في قوله: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ﴾ في يونس [الآية: ٢٤].

﴿فَأَصْبَحَ﴾ أي: صار، ولا يُراد تقييد الخبر بالصباح، فهو كقوله:

أصبَحْتُ لا أحمِلُ السِّلاحَ ولا أملِكُ رأسَ البعيرِ إنْ نفَرا[2]

وقيل: هي دالَّةٌ على التقييد بالصباح؛ لأنَّ الآفاتِ السماوية أكثرُ ما تطرقُ ليلاً، فهي كقوله: ﴿فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ﴾.

وقرأ ابن مسعود: «تَذْرِيه». وقرأ ابن عباس: «تُذْرِيه» من أذرى رباعياً[3].

وقرأ زيد بن علي، والحسن، والنَّخَعي، والأعمش، وطلحة، وابن أبي ليلى، وابن مُحَيْصِن، وخلف، وابن عيسى، وابن جرير: «الريح» على الإفراد[4]، والجمهور: «تذروه الرياح».

ولمَّا ذكرَ تعالى قدرَتَه الباهرة في صيرورةِ ما كان في غاية النُّضرةِ والبهجة إلى حالة التفتُّتِ والتلاشي إلى أن فرَّقَتْه الرياح، ولعِبَتْ به ذاهبةً وجائيةً، أخبر تعالى عن اقتدارِه على كلِّ شيءٍ من الإنشاء والإفناء وغيرِهما ممَّا تتعلَّق به قدرتُه تعالى، ولمَّا حقَّرَ تعالى حالَ الدنيا بما ضربَه من ذلك المثل ذكر أنَّ ما افتخرَ به عُيينةُ

---

(١) في المحرر الوجيز ٣/ ٥١٩.

(٢) قائله الربيع بن ضَبُع الفَزاري كما في المحرر الوجيز، والمحتسب ٢/ ٩٩، والكتاب لسيبويه ١/ ٨٩، والخزانة ٧/ ٣٨٤.

(٣) معاني القرآن للفراء ٢/ ١٤٦، وإعراب القرآن للنحاس ٢/ ٤٥٩، وزاد المسير ٥/ ١٤٨، والقراءات الشاذة ص٨٠ وفيه قراءة ابن مسعود بالياء: «يَذْرِيه». وقوله: «وقرأ ابن عباس: تُذريه» من (ز١)، وسقط من باقي النسخ ومن نسخة الآلوسي، فجعل قراءة ابن مسعود من «أذرى» رباعياً. ينظر روح المعاني ١٥/ ٣٦٣.

(٤) المحرر الوجيز ٣/ ٥٢٠ باختصار، وهي قراءة حمزة والكسائي كما في السبعة ص٣٩٣، والتيسير ص١٤٣.

وأضرابُه من المال والبنين إنَّما ذلك زينةُ هذه الحياة المُحقَّرة، وأنَّ مصيرَ ذلك إنَّما هو إلى النفاد، فينبغي أن لا يُكترَثَ به.

وأخبر تعالى بـ «زينة» عن المال والبنين على تقدير حذفِ مضافٍ، أي: مقرّ زينة، أو وضَعَ المالَ والبنين منزلةَ الغنى والكثرة فأخبر عن ذلك بقوله: «زينة»[١].

ولـمَّا ذكرَ مآل ما في الحياة الدنيا إلى الفناء اندرجَ فيه هذا الجزئيُّ من كَونِ المال والبنين زينة، وأنتجَ أنَّ زينةَ الحياة الدنيا فانٍ، إذ ذاكَ فردٌ من أفراد ما في الحياة الدنيا، وترتيب هذا الإنتاج أن يُقال: المالُ والبنونَ زينة الحياة الدنيا، وكلُّ ما كان زينةَ الحياة الدنيا فهو سريع الانقضاء، فالمال والبنونَ سريعُ الانقضاء، ومن بَديهة العقل أنَّ ما كان كذلك يقبُحُ بالعقل أن يفتخر به أو يفرح بسببه، وهذا برهانٌ على فساد قول أولئك المشركين الذين افتخروا على فقراء المؤمنين بكثرة الأموال والأولاد[٢].

﴿وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ﴾ قال الجمهور: هي الكلمات المأثور فَضْلُها؛ سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلَّا بالله العليِّ العظيم[٣]. وقال ابن عباس، وابن جُبير، وأبو مَيْسَرة عَمرو بن شُرَحْبيل: هي الصلوات الخمس[٤]. وعن ابن عباس: إنَّه كلُّ عملٍ صالحٍ من قولٍ أو فعلٍ يبقى للآخرة. ورجَّحه الطبري[٥]. وقولُ الجمهور مرويٌّ عن الرسول ﷺ من طريق أبي هريرة وغيرِه[٦]. وعن قتادة: كلُّ ما أُريدَ به وجهُ الله.

(١) المحرر الوجيز ٣/ ٥٢٠.
(٢) تفسير الرازي ٢١/ ١٣٠-١٣١ بنحوه.
(٣) المحرر الوجيز ٣/ ٥٢٠.
(٤) أخرجه عنهم الطبري ١٥/ ٢٧٤-٢٧٥، وهذا القول وما قبله وما بعده في تفسير القرطبي ١٣/ ٢٩٢. وينظر تفسير الثعلبي ٤/ ١٢٤، والنكت والعيون ٣/ ٣١٠، وزاد المسير ٥/ ١٤٩.
(٥) تفسير الطبري ١٥/ ٢٨١، ورجحه أيضاً القرطبي.
(٦) أخرجه الطبراني في الأوسط (٤٠٣٩)، والصغير (٤٠٧)، والحاكم في المستدرك ١/ ٥٤١ من حديث أبي هريرة ﷺ.
وأخرجه أحمد (١١٧١٣) وغيره من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ، وهناك تنظر شواهده.

وعن الحسن، وابن عطاء، أنَّها النِّيَّات الصالحة، فإنَّ بها تُتقبَّل الأعمالُ وترفع[1].

ومعنى ﴿خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا﴾ أنَّها دائمةٌ باقيةٌ، وخيراتُ الدنيا مُنقرِضةٌ فانية، والدائم الباقي خيرٌ من المنقرض المنقضي[2].

﴿وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾ أي: وخيرٌ رجاءً؛ لأنَّ صاحبَها يأملُ في الدنيا ثوابَ الله ونصيبَه في الآخرة دون ذي المال والبنين العاري من الباقيات الصالحات، فإنَّه لا يرجو ثواباً.

ولمَّا ذكر تعالى ما يؤولُ إليه حالُ الدنيا من النفاد أعقب ذلك بأوائل أحوال يوم القيامة، فقال: ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ﴾ كقوله: ﴿يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا ﴿٩﴾ وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا﴾ [الطور: ٩-١٠]، وقال: ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ﴾ [النمل: ٨٨]، وقال: ﴿فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا﴾ [طه: ١٠٥-١٠٦]، وقال: ﴿وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ﴾ [التكوير: ٣]، والمعنى: أنَّه ينفكُّ نظام هذا العالَم الدُّنيوي ويؤتى بالعالم الأُخرَوي.

وانتصبَ «ويومَ» على إضمار «واذكُرْ يومَ»، أو بالفعل المُضمَر عند قوله: ﴿لَقَدْ جِئْتُمُونَا﴾ أي: قلنا يومَ كذا: لقد[3].

وقرأ نافع، وحمزة، والكسائي، والأعرج، وشيبة، وعاصم، وابن مُصرِّف، وأبو عبد الرحمن: «نُسَيِّرُ» بنون العظَمة «الجبالَ» بالنصب. وابنُ عامر، وابن كثير، وأبو عمرو، والحسن، وشِبْل، وقَتادة، وعيسى، والزُّهري، وحُميد، وطلحة، واليزيدي، والزُّبيري عن رجاله عن يعقوب: بضمِّ التاء وفتح الياء المُشدَّدة مبنياً للمفعول «الجبالُ» بالرفع[4].

---

(١) تفسير الثعلبي ٤/ ١٢٥ لكن ذكر القول الثاني عن الحسن وحده، وقول قتادة في الكشاف ٢/ ٤٨٧.

(٢) تفسير الرازي ٢١/ ١٣١.

(٣) الكشاف ٢/ ٤٨٧.

(٤) القراءة: «تُسَيَّرُ الجبالُ». وينظر السبعة ص٣٩٣، والتيسير ص١٤٤، والنشر ٢/ ٣١١، والكلام باختصار من المحرر الوجيز ٣/ ٥٢٠، وما بعده من القراءات منه.

وعن الحسن كذلك، إلَّا أنَّه بضمِّ الياء باثنتين من تحتها[١]. وابنُ مُحَيْصِن، ومحبوبٌ عن أبي عمرو: «تَسِيرُ» من سارتِ «الجبالُ»[٢].

وقرأ أُبيٌّ: «سُيِّرَتِ الجبالُ».

﴿وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً﴾ أي: منكشفةً ظاهرةً؛ لذهابِ الجبالِ والظِّرابِ والشجرِ والعمارة. أو: وترى أهلَ الأرض بارزين من بطنها[٣].

وقرأ عيسى: «وتُرى الأرضُ» مبنياً للمفعول[٤].

﴿وَحَشَرْنَٰهُمْ﴾ أي: أقمناهم من قبورهم وجمعناهم لعَرْصَةِ القيامة[٥].

وقال الزمخشري: فإنْ قلتَ: لِمَ جيءَ «حشرناهم» ماضياً بعد «نُسَيِّرُ» و«ترى»؟ قلتُ: للدِّلالة على أنَّ حَشْرَهم قبل التسيير وقبل البروز ليُعاينوا تلكَ الأهوال والعظائم، كأنَّه قيل: وحشرناهم قبل ذلك[٦]. انتهى.

والأولى أن تكون الواوُ واوَ الحال لا واوَ العطف، والمعنى: وقد حشرناهم، أي: نُوقِعُ التسييرَ في حالة حَشْرِهم. وقيل: «وحشَرْناهم» و«عُرِضوا» و«وُضِعَ الكتاب» ممَّا وُضِعَ فيه الماضي موضِعَ المستقبل؛ لتحقُّقِ وقوعِه.

وقرأ الجمهور: «نُغادر» بنون العظمة. وقَتادة: «يُغادِر» على الإسناد إلى القدرة أو الأرض. وأبان بن يزيد عن عاصم كذلك، أو بفتح الدال مبنيًّا للمفعول، و«أحدٌ» بالرفع، وعِصْمةُ كذلك. والضحَّاك: «نُغْدِر» بضمِّ النون وإسكان الغين وكسر الدال[٧].

---

(١) يعني: «يُسَيَّرُ الجبالُ».

(٢) القراءات الشاذة ص٨٠، وزاد المسير ٥/ ١٥٠ عن ابن محيصن.

(٣) زاد المسير ٥/ ١٥١ باختصار، ونسب القول الثاني للفراء. والقول الأول في تفسير الثعلبي ٤/ ١٢٥، وتفسير الرازي ٢١/ ١٣٣.

(٤) القراءات الشاذة ص٨٠.

(٥) المحرر الوجيز ٣/ ٥٢٠.

(٦) الكشاف ٢/ ٤٨٧.

(٧) المحرر الوجيز ٣/ ٥٢٠، وقراءة أبان عن عاصم في زاد المسير ٥/ ١٥١، وفي الشاذة ص٨٠، وذكر ابن خالويه قراءة قتادة ـ أيضاً ـ لكنه قال: بفتح الياء. يعني «يَغادِر»!.

وانتصب «صفًّا» على الحال[1]، وهو مفردٌ نُزِّلَ منزلةَ الجمع، أي: صفوفاً، وفي الحديث الصحيح: «يجمعُ اللهُ الأوَّلينَ والآخِرينَ في صعيدٍ واحدٍ صفوفاً، يُسمِعُهم الداعي، ويَنفُذهم البصر...» الحديث بطوله[2]، وفي حديثٍ آخر: «أهلُ الجنةِ يوم القيامةِ مئةٌ وعشرون صفًّا، أنتُم منها ثمانونَ صفًّا»[3].

أو انتصب على المصدر الموضوع موضعَ الحال أي: مُصْطَفِّين[4]. وقيل: المعنى: صفًّا صفًّا، فحذف صفًّا وهو مُراد، وهذا التكرار مُنبِئٌ عن استيفاء الصفوف إلى آخرها[5]، شَبَّه حالَهم بحال الجند المعروضين على السلطان مُصطَفِّين ظاهرين تُرى جماعتُهم كما يُرى كلُّ واحد، لا يحجب أحدٌ أحداً[6].

﴿لَّقَدْ جِئْتُمُونَا﴾ معمولٌ لقولٍ محذوف، أي: وقلنا.

و ﴿كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ﴾ نعتٌ لمصدرٍ محذوف، أي: مجيئاً مثلَ مجيء خلْقِكم، أي: حُفاةً عُراةً غُرْلاً كما جاء في الحديث[7]، وخالِين من المال والولد.

و«أنْ» هنا مخفَّفة من الثقيلة، وفصل بينها وبين الفعل بحرف النفي وهو «لن» كما فصل في قوله: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ﴾ [القيامة: ٣].

و«بل» للإضراب، بمعنى الانتقال من خبرٍ إلى خبر، ليس بمعنى الإبطال، والمعنى: أن لن نجعلَ لإعادتِكم وحَشْرِكم موعداً، أي: مكانَ وعدٍ، أو زمانَ وعدٍ لإنجاز ما وُعِدْتُم على ألسنة الأنبياء من البعث والنشور.

---

(١) إعراب القرآن للنحاس ٢/ ٤٦٠.

(٢) أخرجه البخاري (٣٣٤٠)، ومسلم (١٩٤)، وأحمد (٩٦٢٣) من حديث أبي هريرة ﷺ دون قوله: صفوفاً.

(٣) أخرجه أحمد (٢٢٩٤٠)، والترمذي (٢٥٤٦) من حديث بريدة ﷺ. والكلام في المحرر الوجيز ٣/ ٥٢٠-٥٢١.

(٤) إملاء ما مَنَّ به الرحمن ٢/ ١٠٤.

(٥) تفسير الرازي ٢١/ ١٣٣ بنحوه.

(٦) الكشاف ٢/ ٤٨٧، وما بعده منه.

(٧) أخرجه مسلم (٢٨٥٩)، وأحمد (١٤٥٨٨) من حديث عائشة ﷺ. ورُوي من طرق كثيرة تنظر في مسند أحمد (١٦٠٤٢)، ومعنى «غُرْلاً» أي: غير مختونين. وينظر تفسير القرطبي ١٣/ ٢٩٧.

والخطاب في ﴿لَّقَدۡ جِئۡتُمُونَا﴾ للكفار المُنكِرين البعث على سبيل تقريعهم وتوبيخهم[١].

﴿وَوُضِعَ ٱلۡكِتَٰبُ﴾ وقرأ زيد بن علي: «وَوَضَعَ» مبنيًّا للفاعل، «الكتابَ» بالنصب.

و«الكتابُ» اسمُ جنسٍ، أي: كُتُب أعمال الخلق، ويجوز أن تكون الصحائفُ كلُّها جُعِلَتْ كتاباً واحداً، ووضعَتْه الملائكةُ لمحاسبة الخلق[٢].

وإشفاقُهم: خوفُهم من كشفِ أعمالِهم السيئة وفضحِهم وما يترتَّب على ذلك من العذاب السرمديِّ، ونادَوا هلكَتَهم التي هلكوا خاصَّةً من بين الهلكات، فقالوا: «يا ويلنا»[٣]، والمرادُ مَنْ بحضرتِهم، كأنَّهم قالوا: يا مَنْ بحضرتِنا انظُروا هلَكَتَنا، وكذا ما جاء من نداء ما لا يعقل، كقوله: ﴿يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ﴾ [يوسف: ٨٤]، ﴿يَٰحَسۡرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ﴾ [الزمر: ٥٦]، ﴿يَٰوَيۡلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا﴾ [يس: ٥٢]. وقول الشاعر:

يا عجباً لهذه الفليقهْ[٤]

فيا عجباً مِنْ رحْلِها المتحمَّلِ[٥]

إنَّما يُراد به تنبيه مَنْ يعقل بالتعجُّب مما حَلَّ بالمنادِي.

و«لا يُغادِرُ» جملة في موضع الحال[٦].

(١) المحرر الوجيز ٣/ ٥٢١.
(٢) تفسير القرطبي ١٣/ ٢٩٧ بنحوه.
(٣) تفسير الرازي ٢١/ ١٣٤.
(٤) الرجز لابن قنان كما في اللسان (قوب) ـ من غير نسبة ـ وهو في الزاهر لابن الأنباري ٢/ ٣٩، والصحاح (قوب)، وإصلاح المنطق ص٣٤٤، وتتمته: هَلْ تغْلِبَنَّ القُوَباء الريقَهْ. والقُوَباء: داء معروف يتقشر ويتَّسع، يُعالج بالريق.
(٥) هو عجز بيت لامرئ القيس، وصدره: ويوم عقرتُ للعَذارى مطيَّتي. وهو في ديوانه ص١٨.
(٦) إملاء ما منَّ به الرحمن ٢/ ١٠٤.

وعن ابن عباس: «الصغيرة» التبسُّم، و«الكبيرة» القَهْقَهَة. وعن ابن جُبير: القُبلة والزنى[١]. وعن غيره: السهو والعمد. وعن الفُضَيل: ضجُّوا ـ واللهِ ـ من الصغائر قبل الكبائر[٢].

وقُدِّمتِ الصغيرةُ اهتماماً بها، وإذا أُحصيَتْ فالكبيرةُ أحرى.

﴿إِلَّآ أَحۡصَىٰهَاۚ﴾ ضبطَها وحفِظَها، ﴿وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرٗاۗ﴾ في الصُّحف عتيداً، أو جزاءَ ما عَمِلوا، ﴿وَلَا يَظۡلِمُ رَبُّكَ أَحَدٗا﴾ فيكتبُ عليه ما لم يعمَلْ، أو يزيدُ في عقابه الذي يستحِقُّه، أو يُعذِّبه بغير جُرْم. وقال الزمخشري[٣]: كما يَزعمُ من ظلَّم اللهَ في تعذيب أطفال المشركين. انتهى. ولا يُقال: إنَّ ذلك ظلمٌ منه تعالى؛ لأنَّه تعالى كلٌّ مملوكون له، فله أن يتصرَّف في مملوكيه بما يشاء، لا يُسأَلُ عما يفعل، والصحيح في أطفال المشركين أنَّهم يكونون في الجنة خدماً لأهلها، نُصَّ عليه في البخاري، عن رسول الله ﷺ[٤].

﴿وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلۡجِنِّ فَفَسَقَ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهِۦٓۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِي وَهُمۡ لَكُمۡ عَدُوُّۢۚ بِئۡسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلٗا ﴿٥٠﴾ ۞مَّآ أَشۡهَدتُّهُمۡ خَلۡقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَا خَلۡقَ أَنفُسِهِمۡ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلۡمُضِلِّينَ عَضُدٗا ﴿٥١﴾ وَيَوۡمَ يَقُولُ نَادُواْ شُرَكَآءِيَ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُمۡ فَدَعَوۡهُمۡ فَلَمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَهُمۡ وَجَعَلۡنَا بَيۡنَهُم مَّوۡبِقٗا ﴿٥٢﴾ وَرَءَا ٱلۡمُجۡرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا وَلَمۡ يَجِدُواْ عَنۡهَا مَصۡرِفٗا ﴿٥٣﴾﴾.

ذكروا في ارتباط هذه الآية بما قبلها أنَّه تعالى لمَّا أمرَ نبيَّه عليه الصلاة والسلام

---

(١) القولان في تفسير الثعلبي ٤/ ١٢٥، والكشاف ٢/ ٤٨٧. وقول ابن عباس في الوسيط ٣/ ١٥٢، وزاد المسير ٥/ ١٥٢، وتفسير القرطبي ١٣/ ٢٩٨.

(٢) الكشاف ٢/ ٤٨٧، وتفسير القرطبي ١٣/ ٢٩٨.

(٣) في الكشاف ٢/ ٤٨٧، وما قبله منه.

(٤) عزو الحديث إلى البخاري وهمٌ من المصنف رحمه الله، وكرَّر هذا الوهم عند تفسير الآية (٤٥) من سورة الصافات.
والحديث أخرجه الطيالسي (٢١١١)، وأبو يعلى (٤٠٩٠)، والبزار (٧٤٦٦)، والطبراني في الأوسط (٥٣٥١)، وغيرهم من حديث أنس بن مالك ﷺ.
وأخرجه البخاري في التاريخ الكبير ٦/ ٤٠٨، والبزار (٤٥١٦)، والطبراني في الكبير (٦٩٩٣) من حديث سمرة بن جندب ﷺ.

بمجالسة الفقراء، وكان أولئك المتكبِّرون قد تأنَّفوا عن مجالستهم، وذكروا للرسول ﷺ طَرْدَهم عنه، وذلك لِما جُبِلوا عليه من التكبُّرِ والتكثُّرِ بالأموالِ والأولادِ وشرفِ الأصل والنَّسب، وكان أولئك الفقراءُ بخلافِهم في ذلك = ناسبَ ذِكرُ قصة إبليس؛ بجامع ما اشتركا فيه من التكبُّر والافتخار بالأصل الذي منه خُلِق، وهذا الذي ذكروه في الارتباط هو ظاهرٌ بالنسبة للآيات السابقة قبلَ ضَرْبِ المَثَلَين، وأمَّا أنَّه واضحٌ بالنسبة لِما بعد المَثَلَين فلا، والذي يظهر في ارتباط هذه الآية بالآية التي قبلَها هو أنَّه لمَّا ذكَرَ يوم القيامة والحشر، وذكَرَ خوفَ المشركين مما سُطِّرَ في ذلك الكتاب، وكان إبليسُ هو الذي حمَلَ المجرمين على معاصيهم واتِّخاذ شركاءَ مع الله، ناسَبَ ذِكْرُ إبليسَ والنهي عن اتِّخاذ ذريَّتِه أولياءَ من دون الله؛ تبعيداً عن المعاصي وعن امتثالِ ما يُوسْوِسُ به.

وتقدَّم الكلام في استثناء إبليس أهو استثناءٌ متَّصلٌ أم منقطع؟ وهل هو من الملائكة أم ليس منهم؟ في أوائل سورة البقرة[1]، فأغنى عن إعادته. والظاهر من هذه الآية أنَّه ليس من الملائكة وإنَّما هو من الجِنّ. قال قَتادة: الجِنُّ حيٌّ من الملائكة خُلِقوا من نار السَّموم. وقال شهر بن حَوْشَب: هو من الجِنِّ الذين ظفرت بهم الملائكة، فأسرَه بعضُ الملائكة، فذهب به إلى السماء. وقال الحسن وغيره: هو أولُ الجِنِّ وبَداءتُهم كآدمَ في الإنس[2]. وقالت فرقة: كان إبليسُ وقَبيلُه جِنًّا، لكن الشياطين اليوم من ذريته، فهو كنوحٍ في الإنس[3].

وقال الزمخشري: ﴿كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ﴾ كلامٌ مُستأنَفٌ جارٍ مجرى التعليل بعد استثناء إبليس من الساجدين، كأنَّ قائلاً قال: ما لَهُ لَمْ يسجد؟ فقيل: كان من الجِنِّ ففسقَ عن أمر ربِّه. والفاء للتسبيب أيضاً، جعلَ كونه من الجنِّ سبباً في فِسْقِه، يعني أنَّه لو كان ملَكاً كسائر مَنْ سجدَ لآدم لم يفسُقْ عن أمرِ الله؛ لأنَّ

---

(١) عند تفسير الآية (٣٤) منها.

(٢) هذه الأقوال في تفسير الثعلبي ٤/١٢٦-١٢٧، وأخرجها الطبري ١/٥٣٥ و٥٤٠ و١٥/٢٨٦-٢٨٧ و٢٨٩ و٢٩٠. والقول المنسوب لقتادة جاء عندهما وعند غيرهما عن ابن عباس، وهو المتناقل في كتب التفسير.

(٣) المحرر الوجيز ٣/٥٢١-٥٢٢.

الملائكةَ معصومون البتة، لا يجوز عليهم ما يجوز على الجنِّ والإنس، كما قال: ﴿لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٧]، وهذا الكلام المعترض تعمُّدٌ من الله عزَّ وعلا لصيانة الملائكة عن وقوع شُبهةٍ في عصمتِهم، فما أبعدَ البَوْنَ بين ما تعمَّده اللهُ وبينَ قولِ مَنْ ضادَّه فزعمَ أنَّه كان ملَكاً ورئيساً على الملائكة فعصى، فلُعِنَ ومُسِخَ شيطاناً، ثم ورَّكه على ابن عباس[1]. انتهى.

والظاهر أنَّ معنى ﴿فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ﴾: فخرج عمَّا أمرَه ربُّه به من السجود؛ قال رُؤبة:

يَهْوِينَ في نجدٍ وغَوْراً غائِرا   فواسقاً عن قصدِها جَوائِرا[2]

وقيل: ﴿فَفَسَقَ﴾: صار فاسقاً كافراً بسبب أمرِ ربِّه الذي هو قولُه: ﴿ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ﴾ حيث لم يمتثِله.

قيل: ويحتمل أن يكون المعنى: ففسقَ بأمرِ ربِّه، أي: بمشيئته وقضائه؛ لأنَّ المشيئةَ يُطلَقُ عليها أمرٌ، كما تقول: فعلتُ ذلك عن أمرِكَ، أي: بحسب مُرادِك[3].

والهمزة في ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ﴾ للتوبيخ والإنكار والتعجُّب، أي: أبَعدَ ما ظهر منه من الفسق والعصيان تتَّخذونه وذريَّتَه أولياءَ من دوني مع ثبوت عداوته لكم تتَّخذونه وليًّا؟!

وقرأ عبيد الله بن زياد على المنبر وهو يخطب: «أفتتَّخذونه وذَرِّيَّتَه» بفتح الذال[4].

والظاهر أنَّ لإبليس ذُريَّة، وقال بذلك قومٌ، منهم: قَتادة، والشَّعبي، وابن زيد، والضحَّاك، والأعمش؛ قال قَتادة: يَنكح ويُنْسِلُ كما يُنْسِلُ بنو آدم. وقال الشَّعبي: لا يكون ذريةٌ إلَّا من زوجة. وقال ابن زيد: إنَّ الله قال لإبليس: إنِّي

(١) الكشاف ٢/ ٤٨٧، والكلام الآتي منه أيضاً.
(٢) البيت في مجاز القرآن ١/ ٤٠٦، ومعاني القرآن للنحاس ٤/ ٢٥٤، والزاهر ١/ ١٢٠، وهو عند سيبويه في الكتاب ١/ ٩٤، لكن نسبه للعجاج، وفيه: «يَذْهَبْنَ» بدل «يَهْوِينَ».
(٣) المحرر الوجيز ٣/ ٥٢٢.
(٤) القراءات الشاذة ص٨٠.

لا أخلق لآدم ذريةً إلّا ذرأتُ لكَ مثلَها، فليس يُولَدُ لولدِ آدم ولدٌ إلّا وُلِدَ معه شيطانٌ يُقرَنُ به(١).

وقيل للرسول ﷺ: ألكَ شيطان؟ قال: «نعم، إلّا أنَّ الله تعالى أعانني عليه فأسلم»(٢).

وسمَّى الضحَّاكُ وغيرُه من ذرية إبليسَ جماعةً، اللهُ أعلَمُ بصحَّة ذلك، وكذلك ذكروا كيفياتٍ في وطئه وإنساله، اللهُ أعلَمُ بذلك.

وذهب قومٌ إلى أنَّه ليس لإبليسَ ولدٌ، وإنَّما الشياطينُ هم الذين يُعينونه على بلوغ مقاصده.

والمخصوص بالذمِّ محذوفٌ، أي: بِئسَ للظالمين بدلاً من اللهِ إبليسُ وذريَّتُه، وقال: ﴿لِلظَّٰلِمِينَ﴾؛ لأنَّهم اعتاضوا من الحقِّ بالباطل، وجعلوا مكانَ ولايتِهم اللهَ ولايتَهم إبليسَ وذريَّتَه، وهذا نفس الظُّلم؛ لأنَّه وَضْعُ الشيء غيرَ موضعِه.

وقرأ الجمهور: ﴿مَّآ أَشۡهَدتُّهُمۡ﴾ بتاء المتكلِّم. وقرأ أبو جعفر، وشيبة، والسَّختياني، وعون العُقَيلي، وابن مِقْسَم: «ما أشهدناهم» بنون العظمة(٣).

والظاهرُ عَوْدُ ضمير المفعول في «أشهَدْتُهم» على إبليسَ وذرِّيَّتِه، أي: لم أشاوِرْهم في خلقِ السماوات والأرض ولا خلقِ أنفسهم، بل خلقتُهم على ما أردتُ، ولهذا قال: ﴿وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلۡمُضِلِّينَ عَضُدٗا﴾.

وقال الزمخشري(٤): يعني أنَّكم اتَّخذتم شركاءَ لي في العبادة، وإنَّما كانوا يكونون شركاءَ فيها لو كانوا شركاءَ في الإلهية، فنفيُ مشاركتِهم في الإلهية بقوله: ﴿مَّآ أَشۡهَدتُّهُمۡ خَلۡقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾: لا أعتضِدُ بهم في خلقِها ولا خلقِ أنفسِهم، أي: ولا أشهدتُ بعضَهم خلقَ بعضٍ، كقوله: ﴿وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡۚ﴾ [النساء: ٢٩]،

---

(١) تفسير الثعلبي ٤/ ١٢٨-١٢٩، وقول الشعبي في تفسير القرطبي ١٣/ ٣٠٠.

(٢) أخرجه مسلم (٢٨١٥) من حديث عائشة ﵂. وروي بنحوه من طرق أخرى تنظر في مسند أحمد عند تخريج الحديث (٣٦٤٨).

(٣) القراءة عن أبي جعفر في النشر ٢/ ٣١١، وفي زاد المسير ٥/ ١٥٤ عن أبي جعفر وشيبة، وفي الشاذة ص٨٠ عن يزيد بن القعقاع أبي جعفر والسختياني والعقيلي، إلا أنه وقع فيه: «السجستاني» بدل «السختياني».

(٤) في الكشاف ٢/ ٤٨٨.

وما كنتُ متَّخِذَهم أعواناً. فوضعَ المُضِلِّين موضعَ الضمير ذمًّا لهم بالإضلال، فإذا لم يكونوا لي عضُداً في الخلق، فما لكم تتَّخذونهم شركاء في العبادة؟! انتهى.

وقيل: يعود على الملائكة، والمعنى: أنَّه ما أشهدَهم ذلك ولا استعانَ بهم في خلقِها، بل خلقتُهم ليطيعوني ويعبدوني، فكيف يعبدونهم؟ وقيل: يعود على الكفار. وقيل: على جميع الخلق. وقال ابن عطية[1]: الضمير في «أشهَدْتُهم» عائدٌ على الكفار وعلى الناس بالجملة، فتتضمَّنُ الآيةُ الردَّ على طوائفَ من المنجِّمين وأهل الطبائع والمتحكِّمين والأطباء وسواهم مِنْ كلِّ مَنْ يتخوَّض[2] في هذه الأشياء، وقاله عبد الحق الصَّقَليُّ[3]، وتأوَّلَ هذا التأويل في هذه الآية، وأنَّها رادَّةٌ على هذه الطوائف، وذكر هذا بعضُ الأصوليين. انتهى.

وقرأ الجمهور: «وما كنتُ» بضمِّ التاء؛ إخباراً من الله تعالى عن ذاته المقدَّسة[4].

وقرأ أبو جعفر، والجَحْدري، والحسن، وشيبة: «وما كنتَ» بفتح التاء؛ خطاباً للرسول ﷺ[5].

قال الزمخشري: والمعنى: وما صحَّ لك الاعتضادُ بهم، وما ينبغي لكَ أن تعتزَّ بهم. انتهى[6]. والذي أقولُه أنَّ المعنى: إخبارٌ من الله عن نبيِّه، وخطابٌ منه تعالى له في انتفاءِ كينونتِه مُتَّخذَ عضُدٍ من المُضِلِّين، بل هو مُذْ كان ووُجِدَ عليه السلام في غاية التبرِّي منهم والبُعْدِ عنهم؛ لتَعْلَم أمَّتُه أنَّه لم يزَلْ محفوظاً من أول نشأتِه لم يعتضِدْ بمُضِلٍّ؛ ولا مالَ إليه ﷺ.

---

(١) في المحرر الوجيز ٣/ ٥٢٣.
(٢) المثبت من (ز١) وهو الموافق لما في المحرر الوجيز، وفي باقي النسخ: يتخرَّص. وينظر تفسير القرطبي ١٣/ ٣٠٤.
(٣) هو عبد الحق بن محمد بن هارون، أبو محمد، السهمي، المالكي. ناظر إمام الحرمين الجويني في مكة. له كتب منها: «النكت والفروق لمسائل المدونة» و«تهذيب الطالب». توفي بالإسكندرية سنة (٤٦٦هـ). السير ١٨/ ٣٠١-٣٠٢.
(٤) من قوله: وقرأ الجمهور.. إلى هنا من (ز١) وحدها.
(٥) إعراب القرآن للنحاس ٢/ ٤٦٠، والمحرر الوجيز ٣/ ٥٢٣، وزاد المسير ٥/ ١٥٥. وتنظر قراءة أبي جعفر في النشر ٢/ ٣١١.
(٦) الكشاف ٢/ ٤٨٨.

وقرأ علي بن أبي طالب: «متَّخِذاً المضِلِّين» أعمَلَ اسمَ الفاعل[١].

وقرأ الحسن، وعكرمة: «عُضْداً» بسكون الضاد ونقل حركتها إلى العين[٢].

وقرأ عيسى: «عَضْداً» بسكون الضاد، خفَّف «فَعُلاً»، كما قالوا: رَجْلٌ وسَبْعٌ في رَجُلٌ وسَبُعٌ، وهي لغةٌ عن تميم. وعنه أيضاً بفتحتين[٣].

وقرأ شيبة، وأبو عمرو في رواية هارون وخارجة والخفَّاف وأبي زيد: «عُضُداً» بضمَّتين[٤].

وعن الحسن: «عَضَداً» بفتحتين. وعنه أيضاً بضمَّتين[٥].

وقرأ الضحَّاك: «عِضَداً» بكسر العين وفتح الضاد[٦].

وقرأ الجمهور: «ويوم يقول» بالياء، أي الله.

وقرأ الأعمش، وطلحة، ويحيى، وابنُ أبي ليلى، وحمزة، وابنُ مِقْسَم: «نقول» بنون العظَمة[٧]، أي: للذين أشركوا به في الدنيا «نادوا شركائي» وليس المعنى أنَّه تعالى أخبرَ أنَّهم شركاؤه، ولكن ذلك على زعمِكُم، والإضافة تكون بأدنى ملابسة.

ومفعولا «زعَمْتُم» محذوفان؛ لدِلالة المعنى عليهما، إذِ التقديرُ: زعمتموهم شركائي.

والنداء: بمعنى الاستغاثة، أي: استغيثوا بشركائكم، والمُراد: نادوهم لدفع العذاب عنكم، أو للشفاعة لكم.

---

(١) القراءات الشاذة ص٨٠، والكشاف ٢/ ٤٨٨.
(٢) الكشاف ٢/ ٤٨٨ عن الحسن، والمحرر الوجيز ٣/ ٥٢٣ عن عكرمة.
(٣) القراءات الشاذة ص٨٠، والمحرر الوجيز ٣/ ٥٢٣ إلا أنه قال: «عَضَداً» بفتح الضاد.
(٤) المحرر الوجيز ٣/ ٥٢٣ عن أبي عمرو، والمشهور عنه «عَضُداً» مثل قراءة باقي العشرة.
(٥) القراءة عنه بضمتين في الشاذة ص٨٠، وإعراب القرآن للنحاس ٢/ ٤٦٠، والمحرر الوجيز ٣/ ٥٢٣.
(٦) المحرر الوجيز ٣/ ٥٢٣.
(٧) المحرر الوجيز ٣/ ٥٢٣، وقراءة حمزة في السبعة ص٣٩٣، والتيسير ص١٤٤.

والظاهرُ أنَّ الضميرَ في «بينَهم» عائدٌ على الدَّاعين والمدعوين، وهم المشركون والشركاء. وقيل: يعود على أهل الهدى وأهل الضلالة[١].

والظاهرُ وقوعُ الدعاء حقيقةً وانتفاءُ الإجابة. وقيل: يَحتمِلُ أن يكون استعارةً، كأنَّ فكرةَ الكافرِ ونظرَه في أنَّ تلك الجمادات لا تُغني شيئاً ولا تنفع هي بمنزلة الدعاء وترك الإجابة[٢].

وقرأ الجمهور: «شركائي» ممدوداً مضافاً للياء. وابنُ كثير وأهلُ مكة مقصوراً مضافاً لها أيضاً[٣].

والظاهرُ انتصابُ «بينَهم» على الظرف.

وقال الفرَّاء: «البَيْنُ» هنا: الوصل، أي: وجعلنا تواصُلَهم في الدنيا هلاكاً يوم القيامة[٤]. فعلى هذا يكون مفعولاً أول لـ «جعلنا»، وعلى الظرف يكون في موضع المفعول الثاني.

وقال ابن عباس، وقتادة، والضحَّاك: المَوْبِق: المَهْلِك. وقال الزجَّاج: جعلنا بينَهم من العذاب ما يُوبِقُهم. وقال عبد الله بن عمرو، وأنس، ومجاهد: وادٍ في جهنَّم يجري بدمٍ وصديد. وقال الحسن: عداوة. وقال الربيع بن أنس: إنَّه المجلس. وقال أبو عبيدة: الموعد[٥].

﴿وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ ٱلنَّارَ﴾: هي رؤية عين، أي: عاينوها[٦]، والظنُّ هنا قيل: على موضوعه من كونِه ترجيحَ أحدِ الجانبين، وكونِهم لم يجزموا بدخولها رجاءَ

(١) زاد المسير ٥/ ١٥٥ بنحوه، وما قبله منه.
(٢) المحرر الوجيز ٣/ ٥٢٣.
(٣) المحرر الوجيز ٣/ ٥٢٣، وما بعده منه، والمشهور عن ابن كثير مثل قراءة الجمهور.
(٤) معاني القرآن للفراء ٢/ ١٤٧، ونقله عنه الزمخشري في الكشاف ٢/ ٤٨٨، وابن الجوزي في زاد المسير ٥/ ١٥٦.
(٥) تفسير الثعلبي ٤/ ١٢٩، والنكت والعيون ٣/ ٣١٦، وزاد المسير ٥/ ١٥٥-١٥٦ دون قول ابن عمر ومن معه، وهذا القول في المحرر الوجيز ٣/ ٥٢٣ ومعه قول الحسن أيضاً، وقول الزجاج ليس في تفسير الثعلبي والنكت والعيون، وهو في معاني القرآن له ٣/ ٢٩٥، وقول أبي عبيدة في مجاز القرآن ١/ ٤٠٦.
(٦) زاد المسير ٥/ ١٥٦.

وطمعاً في رحمة الله. وقيل: معنى «فظنُّوا»: أيقنوا. قاله أكثر الناس. ومعنى «مواقِعوها»: مُخالِطوها واقعون فيها، كقوله: ﴿وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلۡجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيۡهِ﴾ [التوبة: ١١٨]، ﴿ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمۡ﴾[1] [البقرة: ٤٦].

وقال ابن عطية[2]: أطلقَ الناسُ أنَّ الظنَّ هنا بمعنى التيقُّن، ولو قال بدل: «ظَنُّوا» «أيقنوا» لكان الكلامُ متَّسِقاً على مبالغةٍ فيه، ولكنَّ العبارةَ بالظنِّ لا تجيء أبداً في موضع يقينٍ تامٍّ قد ناله الحِسُّ، بَلْ أعظمُ درجاتِه أن يجيء في موضعِ عِلْمٍ متحقِّقٍ، لكنَّه لم يقع ذلك المظنون، وإلَّا فمُذْ يقَعُ ويُحَسُّ لا يكاد يوجد في كلامِ العرب العبارةُ عنه بالظنِّ، وتأمَّلْ هذه الآية، وتأمَّلْ قولَ دُريدٍ:

فقُلْتُ لهُمْ ظُنُّوا بألْفَي مُدَجَّجٍ[3]

انتهى.

وفي مصحف عبد الله: «ملاقوها» مكان «مواقعوها»، وقرأه كذلك الأعمش[4]، وابنُ غزوان عن طلحة، والأَولى جعلُه تفسيراً؛ لمخالفة سواد المصحف.

وعن علقمة أنه قرأ: «مُلافُّوها» بالفاء مشدَّدةً، من لففتُ، وفي الحديث: «إنَّ الكافرَ ليرى جهنَّمَ ويظُنُّ أنَّها مواقِعَتُه من مسيرةِ أربعينَ سنة»[5].

ومعنى: «مَصْرِفاً»: مَعْدِلاً ومَرَاغاً، ومنه قول أبي كبير الهُذَلي:

أزُهَيرُ هَلْ عن شيبةٍ مِنْ مَصْرِفِ ... أم لا خلودَ لباذلٍ مُتَكَلِّفِ[6]

---

(١) الكشاف ٢/ ٤٨٩.

(٢) في المحرر الوجيز ٣/ ٥٢٤.

(٣) عجزه: سراتُهُم في الفارسيِّ المُسَرَّدِ. وهو في ديوان دريد ص٤٨، والأضداد ص١٤، والأغاني ١٠/ ٨، وشرح حماسة أبي تمام ٢/ ٨١٢.

(٤) المحرر الوجيز ٣/ ٥٢٤. وقراءة الأعمش في تفسير الثعلبي ٤/ ١٢٩.

(٥) المحرر الوجيز ٣/ ٥٢٤، والحديث أخرجه أحمد (١١٧١٤)، والطبري في تفسيره ١٥/ ٢٩٩، والحاكم ٤/ ٥٩٧ من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ.

(٦) المحرر الوجيز ٣/ ٥٢٤، والبيت في ديوان الهذليين ٢/ ١٠٤، ومجاز القرآن ١/ ٤٠٧. وأبو كبير الهُذَلي: اسمه عامر بن الحُلَيس، اشتهر بكنيته، من شعراء الحماسة، له خبر مع النبي ﷺ. الأعلام ٣/ ٢٥٠.

وأجاز أبو معاذ: «مَصْرَفاً» بفتح الراء[١]، وهي قراءة زيد بن علي، جعلَه مصدراً، كالمَضْرَب؛ لأنَّ مُضارِعَه يُصرَفُ على «يَفْعِل» كـ «يَصْرِف».

﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا ﴿٥٤﴾ وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓا۟ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّهُمْ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ قُبُلًا ﴿٥٥﴾ وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ۚ وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّ ۖ وَٱتَّخَذُوٓا۟ ءَايَٰتِى وَمَآ أُنذِرُوا۟ هُزُوًا ﴿٥٦﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِىَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ ۚ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۖ وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوٓا۟ إِذًا أَبَدًا ﴿٥٧﴾ وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِ ۖ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُوا۟ لَعَجَّلَ لَهُمُ ٱلْعَذَابَ ۚ بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ لَّن يَجِدُوا۟ مِن دُونِهِۦ مَوْئِلًا ﴿٥٨﴾ وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ أَهْلَكْنَٰهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟ وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا ﴿٥٩﴾﴾.

تقدَّم تفسيرُ نظيرِ صدرِ هذه الآية[٢].

و«شيء» هنا مفردٌ معناه الجمع، أي: أكثرُ الأشياء التي يتأتَّى منها الجدال إن فصَّلْتَها واحداً بعد واحد. «جدلاً»: خصومةً ومُماراةً، يعني أنَّ جَدَلَ الإنسان أكثرُ من جَدَلِ كلِّ شيء، ونحوُه: ﴿فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ﴾[٣] [النحل: ٤].

وانتصبَ «جَدَلاً» على التمييز.

قيل: الإنسان هنا النَّضر بن الحارث. وقيل: ابن الزِّبَعْرى[٤]. وقيل: أُبيّ بن خلف، وكان جِدالُه في البعث حين أتى بعَظْم قَدْرَه، فقال: أيقدِرُ اللهُ على إعادة هذا. قاله ابنُ السائب. قيل: كلُّ مَنْ يعقِلُ مِنْ مَلَكٍ وجِنٍّ يجادل، والإنسانُ أكثرُ هذه الأشياء جَدَلاً[٥]. انتهى.

وكثيراً ما يُذكَرُ الإنسان في معرض الذمِّ، وقد تلا الرسولُ ﷺ قولَه: ﴿وَكَانَ

(١) القراءات الشاذة ص٨٠، وأبو معاذ: هو الفضل بن خالد المروزي النحوي.
(٢) ينظر تفسير الآية (٨٩) من سورة الإسراء.
(٣) الكشاف ٢/ ٤٨٩، وما بعده منه.
(٤) المحرر الوجيز ٣/ ٥٢٤.
(٥) زاد المسير ٥/ ١٥٧، ونسب القول الثاني للزجاج، وهو في معاني القرآن له ٣/ ٢٩٦.

﴿ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾ حين عاتبَ عليًّا كرَّم اللهُ وجهَه على النوم عن صلاة الليل، فقال له عليٌّ: إنَّما نفسي بيد الله. فاستعمل الإنسانَ على العموم(١).

وفي قوله: ﴿وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ﴾ الآية، تأسُّفٌ عليهم، وتنبيهٌ على فساد حالهم؛ لأنَّ هذا المنع لم يكن بقصدٍ منهم أن يمتنعوا ليجيئهم العذاب، وإنَّما امتنعوا هم مع اعتقادِ أنَّهم مُصيبون، لكن الأمر في نفسِه يسوقهم إلى هذا، وكان حالهم يقتضي التأسُّفَ عليهم.

والناس يُريد به كفارَ عصر الرسول ﷺ الذين تولَّوا دفْعَ الشريعةِ وتكذيبَها. قاله ابن عطية(٢).

وقال الزمخشري: «أن» الأولى نصب، والثانية رفع، وقبلَها مضافٌ محذوفٌ تقديره: وما منعَ الناسَ الإيمانَ إلَّا انتظارُ أنْ تأتيَهم سُنَّةُ الأوَّلين وهي الإهلاك، أو انتظارُ أن يأتيهم العذابُ يعني عذاب الآخرة(٣). انتهى. وهو مُسترَقٌ من قول الزجَّاج؛ قال الزجَّاج: تقديره: ما منعَهم من الإيمان إلَّا طلبُ أن تأتيَهم سنَّةُ الأولين.

وقال الواحدي: المعنى: ما منعَهم إلَّا أنِّي قد قدَّرتُ عليهم العذاب، وهذه الآية فيمَنْ قُتِلَ ببدرٍ وأُحدٍ من المشركين(٤). وهذا القولُ نحوٌ من قولِ مَنْ قال: التقدير: وما منعَ الناسَ أن يؤمنوا إلَّا ما سبقَ في عِلْمِنا وقضائِنا أن تجريَ عليهم سُنَّةُ الأوَّلين من عذاب الاستئصال من المسخ والصَّيحة والخسف والغرق وعذاب الظُّلَّة ونحو ذلك، وأرادَ بالأوَّلين مَنْ أُهلِكَ من الأمم السالفة. وقال صاحب «الغُنْيان»: إلا إرادةُ أو انتظارُ أن تأتيهم سنَّتُنا في الأوَّلين، ومَنْ قدَّرَ المضافَ هذا أو الطلبَ فإنَّما ذلك لاعتقادِهم عدمَ صدقِ الأنبياء فيما وَعَدوا به من العذاب، كما قال حكايةً عن بعضهم: ﴿إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ﴾ [الأنفال: ٣٢].

---

(١) تفسير الثعلبي ٤/ ١٢٩، والنكت والعيون ٣/ ٣١٨، والمحرر الوجيز ٣/ ٥٢٤ بنحوه. وأخرجه بمعناه البخاري (١١٢٧)، ومسلم (٧٧٥).
(٢) في المحرر الوجيز ٣/ ٥٢٥.
(٣) الكشاف ٢/ ٤٨٩.
(٤) زاد المسير ٥/ ١٥٧-١٥٨، وقول الزجاج في معاني القرآن له ٣/ ٢٩٦.

وقيل: «ما» هنا استفهامية لا نافية، والتقدير: وأيُّ شيءٍ منعَ الناسَ أن يؤمنوا. والهُدى: الرسول أو القرآن. قولان.

وقرأ الحسن، والأعرج، والأعمش، وابنُ أبي ليلى، وخلف، وأيوب، وابن سعدان، وابن عيسى الأصبهاني، وابن جرير، والكوفيون: بضمِّ القاف والباء، فاحتملَ أن يكون بمعنى «قِبَلاً»؛ لأنَّ أبا عبيدة حكاهما بمعنًى واحد في المقابلة، وأن يكون جمعَ «قَبيل» أي: يجيئهم العذابُ أنواعاً وألواناً[1]. وقرأ باقي السبعة، ومجاهد، وعيسى بن عمر: «قِبَلاً» بكسر القاف وفتح الباء، ومعناه: عياناً.

وقرأ أبو رجاء والحسن أيضاً: بضمِّ القاف وسكون الباء، وهو تخفيفُ «قُبُل» على لغة تميم[2].

وذكر ابن قتيبة[3] أنَّه قُرئ بفتحتين، وحكاه الزمخشريُّ[4] وقال: مُستقبِلاً.

وقرأ أبيّ بن كعب، وابن غزوان عن طلحة: «قَبِيْلاً» بفتح القاف وباءٍ مكسورة بعدها ياء، على وزن فَعِيْل[5].

﴿وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ﴾ أي: بالنعيم المقيم لمن آمن ﴿وَمُنذِرِينَ﴾ أي: بالعذاب الأليم لمن كفر، لا ليُجادلوا، ولا ليتمنَّى عليهم الاقتراحات.

﴿لِيُدْحِضُواْ﴾: ليزيلوا.

﴿وَٱتَّخَذُوٓاْ ءَايَٰتِي﴾ يجمع آيات القرآن وعلامات الرسول قولاً وفعلاً. ﴿وَمَآ أُنذِرُواْ﴾ من عذاب الآخرة.

واحتملَتْ «ما» أن تكون بمعنى «الذي»، والعائد محذوف، أي: وما أنذروه، وأن تكون مصدرية، أي: وإنذارهم[6]، فلا تحتاج إلى عائد على الأصحّ.

---

(١) الكلام بنحوه في المحرر الوجيز ٣/ ٥٢٥، وما بعده منه بنحوه. وقول أبي عبيدة بمعناه في مجاز القرآن ١/ ٤٠٧، وينظر السبعة ص٣٩٣، والتيسير ص١٤٤، والنشر ٢/ ٣١١.
(٢) وهي في القراءات الشاذة ص٨٠ عن أبي رجاء.
(٣) في غريب القرآن ص٢٦٩.
(٤) في الكشاف ٢/ ٤٨٩.
(٥) زاد المسير ٥/ ١٥٨ عن أُبيٍّ وابن مسعود.
(٦) الكشاف ٢/ ٤٨٩، والقول الأول في إملاء ما منَّ به الرحمن ٢/ ١٠٥.

﴿هُزُوًا﴾ أي: سخريةً واستخفافاً، كقولهم: ﴿أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾، وقولهم: ﴿لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَآ﴾[١] [الأنفال: ٣١].

وجِدالُهم للرُّسل قولُهم: ﴿مَآ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا﴾ [يس: ١٥]، ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً﴾ [المؤمنون: ٢٤] وما أشبه ذلك. والآياتُ المضافةُ إلى الربِّ هي القرآن؛ ولذلك عاد الضمير مفرداً في قوله: ﴿أَن يَفْقَهُوهُ﴾. وإعراضه عنه كونُه لا يتذكَّر حين ذُكِّر ولم يتدبَّر، ونسيَ عاقبةَ ما قدَّمَتْ يداه من الكفر والمعاصي، غيرَ مُفكِّرٍ فيها، ولا ناظرٍ في أنَّ المُحسِنَ والمسيء يُجْزَيان بما عمِلا[٢].

وتقدَّم تفسيرُ نظيرِ قوله: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا﴾[٣].

ثمَّ أخبر تعالى أنَّ هؤلاء لا يهتدون أبداً، وهذا من العامِّ والمرادُ به الخصوص، وهو مَنْ طبعَ اللهُ على قلبه، وقضى عليه بالموافاة على الكفر؛ إذ قد اهتدى كثيرٌ من الكفار وآمنوا. ويَحتمِلُ أن يكون ذلك حُكماً على الجميع، أي: وإنْ تَدْعُهم إلى الهدى جميعاً فلن يهتدوا جميعاً أبداً، وحملَ أوَّلاً على لفظ «مَنْ» فأفرد، ثمَّ على المعنى في قوله: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ فجمع، وجعلوا دعوة الرسول إلى الهدى وهي التي تكون سبباً لوجود الاهتداء سبباً لانتفاء هدايتهم، وهذا الشرط كأنَّه جوابٌ للرسول عن تقدير قوله: مالي لا أدعوهم إلى الهدى؛ حرصاً منه عليه الصلاة والسلام على حصول إيمانهم، فقيل: «وإنْ تَدْعُهم»، وتقييدُه بالأبدية مبالغةٌ في انتفاء هدايتهم.

و«الغفور»: صفة مبالغة، و«ذو الرحمة» أي: الموصوف بالرحمة. ثمَّ ذكر دليلَ رحمته وهو كونُه تعالى لا يؤاخذهم عاجلاً، بل يُمهِلُهم مع إفراطهم في الكفرِ وعداوةِ الرسول ﷺ[٤].

---

(١) المحرر الوجيز ٣/ ٥٢٥.
(٢) الكشاف ٢/ ٤٨٩.
(٣) في سورة الأنعام عند تفسير الآية (٢٥) منها.
(٤) الكشاف ٢/ ٤٨٩.

و«الموعد»: أجلُ الموت، أو عذابُ الآخرة، أو يومُ بدر، أو يومُ بدر وأيامُ النصر، أو العذاب إمَّا في الدنيا وإمَّا في الآخرة. أقوال[١].

و«الموئل»: قال مجاهد: المَحرز[٢]. وقال الضحَّاك: المَخْلَص.

والضمير في «من دونه» عائدٌ على الموعد.

وقرأ الزهري: «مَوَّلاً» بتشديد الواو من غير همزٍ ولا ياء.

وقرأ أبو جعفر غير[٣] الحلواني عنه: «مَوِلاً» بكسر الواو خفيفةً من غير همزٍ ولا ياء.

وقرأ الجمهور: بسكون الواو وهمزةٍ بعدها مكسورة.

وأشار تعالى بقوله: ﴿وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ﴾ إلى القرى المجاورة أهل مكة والعرب، كقرى ثمود وقوم لوط وغيرهم؛ ليعتبروا بما جرى عليهم، وليحذروا ما يحِلُّ بهم كما حلَّ بتلك القرى[٤].

و«تلك» مبتدأ، و«القرى» صفة أو عطف بيان، والخبر: «أهلكناهم»[٥]. ويجوز أن تكون «القرى» الخبر، و«أهلكناهم» جملة حالية، كقوله: ﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً﴾ [النمل: ٥٢]. ويجوز أن تكون «تلك» منصوباً بإضمار فعلٍ يُفسِّره ما بعده، أي: وأهلكنا تلك القرى أهلكناهم. «وتلك القرى» على إضمار مضافٍ، أي: وأصحاب تلك القرى؛ ولذلك عاد الضميرُ على ذلك المُضمَر في قوله: ﴿أَهْلَكْنَٰهُمْ﴾.

وقوله: ﴿لَمَّا ظَلَمُوا۟﴾ إشعارٌ بعلَّة الإهلاك وهي الظلم. وبهذا استدلَّ الأستاذ أبو الحسن بن عصفور على حرفيَّة «لمَّا»، وأنَّها ليست بمعنى «حين»؛ لأنَّ الظرفَ لا دِلالةَ فيه على العلية.

---

(١) المحرر الوجيز ٣/ ٥٢٦ والكلام منه.
(٢) النكت والعيون ٣/ ٣٢٠، ومجمع البيان ١٥/ ١٧٦، وأخرجه الطبري ١٥/ ٣٠٥.
(٣) المثبت من (ز١)، وتحرفت في باقي النسخ والمطبوع إلى: عن.
(٤) الكشاف ٢/ ٤٩٠، والمحرر الوجيز ٣/ ٥٢٦ بنحوه.
(٥) إعراب القرآن للنحاس ٢/ ٤٦٣.

وفي قوله: ﴿لَمَّا ظَلَمُواْ﴾ تحذيرٌ من الظلم؛ إذ نتيجته الإهلاك، وضربنا لإهلاكهم وقتاً معلوماً وهو الموعد. واحتمل الموعد أن يكون مصدراً أو زماناً(١).

وقرأ الجمهور: بضمِّ الميم وفتح اللام، واحتمل أن يكون مصدراً مضافاً إلى المفعول، وأن يكون زماناً. وقرأ حفص، وهارون عن أبي بكر: بفتحتين، وهو زمان الهلاك. وقرأ حفص: بفتح الميم وكسر اللام، مصدر هلَكَ يهلِكُ، وهو مضاف للفاعل(٢).

وقيل: «هلك» يكون لازماً ومتعدياً، فعلى تعديته يكون مضافاً للمفعول، وأنشد أبو عليٍّ في ذلك:

ومَهْمَهٍ هالكِ مَنْ تَعَرَّجا(٣)

ولا يتعيَّنُ ما قالَه أبو عليٍّ في هذا البيت، بل قد ذهبَ بعضُ النَّحْويين إلى أنَّ هالكاً فيه لازمٌ، وأنَّه من باب الصفة المشبَّهة أصله: هالكٍ مَنْ تعرَّجا، فـ «مَن» فاعل، ثم أُضمِرَ في «هالك» ضميرُ «مَهْمَه»، وانتصب «مَنْ» على التشبيه بالمفعول، ثمَّ أضافه مِنْ نَصْبٍ. وقد اختُلِفَ في الموصول هل يكون من باب الصفة المشبَّهة، والصحيح جوازُ ذلك، وقد ثبت في أشعار العرب، قال الشاعر وهو عمر بن أبي ربيعة:

أسيلاتُ أبدانٍ دِقاقٌ خُصورُها ... وثِيراتُ ما التفَّتْ عليها الملاحِفُ(٤)

وقال آخر:

(١) تفسير الرازي ٢١/ ١٤٢ بنحوه.

(٢) ينظر معاني القرآن للزجاج ٣/ ٢٩٧، وإعراب القرآن للنحاس ٢/ ٤٦٣، وإملاء ما منَّ به الرحمن ٢/ ١٠٥، والسبعة ص٣٩٣، والتيسير ص١٤٤، والنشر ٢/ ٣١١. وقراءة حفص الثانية هي المشهورة عنه.

(٣) الحجة في القراءات السبعة ٥/ ١٥٦، والكلام في المحرر الوجيز ٣/ ٥٢٧. والرجزُ للعجَّاج، وبعده: هائلةٍ أهوالُه مَنْ أدْلجا. وهو في ديوانه ص٣٣٤، والمَهْمَه: الأرض القفر المستوية.

(٤) ديوان عمر بن أبي ربيعة ص٤٦٤، والأسيلات جمع أسيل: وهو الأملس المستوي، والطويل المسترسل. والوثيرات جمع وثيرة: وهي كثيرة اللحم.

فَعُجْتُها قِبَلَ الأخيارِ منزلةً   والطَّيِّبي كلِّ ما التاثَتْ بهِ الأُزُرُ(١)

* * *

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِىَ حُقُبًا
﴿٦٠﴾ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ سَرَبًا ﴿٦١﴾ فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ
لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا ﴿٦٢﴾ قَالَ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ
فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ ۚ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ عَجَبًا ﴿٦٣﴾ قَالَ
ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ ۚ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا ﴿٦٤﴾ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ
عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا
﴿٦٦﴾ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ﴿٦٨﴾ قَالَ
سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِى لَكَ أَمْرًا ﴿٦٩﴾ قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِى فَلَا تَسْـَٔلْنِى عَن شَىْءٍ
حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٧٠﴾ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِى ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَا ۖ قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ
أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا إِمْرًا ﴿٧١﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٧٢﴾ قَالَ لَا
تُؤَاخِذْنِى بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِى مِنْ أَمْرِى عُسْرًا ﴿٧٣﴾ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَٰمًا فَقَتَلَهُۥ قَالَ
أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةًۢ بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا ﴿٧٤﴾ ۞ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ
مَعِىَ صَبْرًا ﴿٧٥﴾ قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَىْءٍۭ بَعْدَهَا فَلَا تُصَٰحِبْنِى ۖ قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّى عُذْرًا ﴿٧٦﴾
فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهْلَ قَرْيَةٍ ٱسْتَطْعَمَآ أَهْلَهَا فَأَبَوْا۟ أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ
أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُۥ ۖ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴿٧٧﴾ قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِى وَبَيْنِكَ ۚ سَأُنَبِّئُكَ
بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٧٨﴾ أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ يَعْمَلُونَ فِى ٱلْبَحْرِ فَأَرَدتُّ
أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴿٧٩﴾ وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ
فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ﴿٨٠﴾ فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ
رُحْمًا ﴿٨١﴾ وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا
صَٰلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ
أَمْرِى ۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٢﴾﴾.

(١) قائله الفرزدق، وهو في ديوانه ١/ ١٨٣. قوله: «فَعُجْتُها» أي: الناقة، يقال: عُجْت البعير: إذا عطفت رأسه بالزمام. و«التاثَتْ»: اختلطت والتفَّتْ.

المفردات «بَرِحَ»: زَالَ، مضارع يَزول، ومضارع يَزال، فتكون من أخوات «كان» الناقصة.

«الحُقْب»: السِّنون، واحدها حِقْبة[1]. قال الشاعر:

فإنْ تَنْأَ عنها حِقْبةً لا تُلاقِها فإنَّكَ ممَّا أحدَثَتْ بالمُجَرِّبِ[2]

وقال الفرَّاء: الحُقْب: سنة[3]، ويأتي قولُ أهل التفسير فيه.

«السَّرَب» المَسْلَك في جوف الأرض[4].

«النَّصَب»: التعب والمشقة[5].

«الصَّخرة»: معروفة، وهي حجر كبير.

«السفينة»: معروفة، وتُجمَعُ على سُفُن وعلى سفائن، وتُحذَفُ التاء فيقال: سفينة وسَفين، وهو ممَّا بينه وبين مفرده تاءُ التأنيث، وهو كثيرٌ في المخلوق نادرٌ في المصنوع، نحو: عِمامة وعِمام، وقال الشاعر:

متى تأتيهِ تأتي لُجَّ بحرٍ تَقاذَفُ في غواربِهِ السَّفِيْنُ[6]

«الإمْر»: الشَّنيع من الأمور كالداهية والإدِّ ونحوه[7].

«الجدار»: معروف، ويُجمع على جُدُر وجُدْران.

«انقَضَّ»: سقط، ومن أبيات مُعاياة الإعراب:

مرَّ كما انقضَّ على كوكبٌ عفريتِ جِنٍّ في الدُّجى الأجدَلُ[8]

(١) الصحاح (حقب).
(٢) البيت لامرئ القيس، وهو في ديوانه ص٤٢.
(٣) هكذا نقله عنه ابن عطية في المحرر الوجيز ٣/ ٥٢٨، والذي في معاني القرآن له ٢/ ١٥٤: الحقب في لغة قيس: سنة. وجاء التفسير أنه ثمانون سنة.
(٤) المحرر الوجيز ٣/ ٥٢٨.
(٥) تفسير القرطبي ١٣/ ٣٢٢.
(٦) قائله زهير، وهو في ديوانه ص١٥٨.
(٧) المحرر الوجيز ٣/ ٥٣١.
(٨) في البيت إلغاز في الإعراب، وتوجيه قراءته على النحو التالي: مَرَّ الأجدلُ كما انقضَّ كوكبٌ على عفريتِ جِنٍّ في الدجى، فالأجدل مرفوع بـ: مَرَّ، وكوكب مرفوع بـ: انقضَّ، والأجدل: الصقر. ولم نهتدِ إلى البيت عند غيره.

عابَ الرجلَ: ذكرَ وصفاً فيه يُذَمُّ به. وعاب السفينة: أحدث فيها ما تنقص به.

* * *

التفسير ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِىَ حُقُبًا ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ سَرَبًا ﴿٦١﴾ فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا ﴿٦٢﴾ قَالَ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ عَجَبًا ﴿٦٣﴾ قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا ﴿٦٤﴾ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ﴿٦٨﴾ قَالَ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِى لَكَ أَمْرًا ﴿٦٩﴾ قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِى فَلَا تَسْـَٔلْنِى عَن شَىْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٧٠﴾﴾.

موسى المذكور في هذه الآية هو موسى بن عمران عليه السلام، ولم يذكرِ اللهُ في كتابه موسى غيرَه، ومَنْ ذهب إلى أنَّه غيرُه وهو موسى بن ميشا بن يوسف، أو موسى بن إفرائيم بن يوسف، فقولٌ لا يصِحُّ، بل الثابت في الحديث الصحيح[1] وفي التواريخ أنَّه موسى بن عمران نبيُّ بني إسرائيل، والمرسل هو وأخوه هارون إلى فرعون، وفتاه هو يوشع بن نون بن إفرائيم بن يوسف بن يعقوب عليهم الصلاة والسلام.

و«الفتى»: الشاب، ولمَّا كان الخدمُ أكثرَ ما يكونون فتياناً قيل للخادم: فتًى على جهة حُسنِ الأدبِ، ونَدَبَتِ الشريعةُ إلى ذلك، ففي الحديث: «لا يَقُلْ أحدُكم: عبدي ولا أَمَتي، وليقُلْ: فتايَ وفتاتي»[2].

وقال: «لفتاه»؛ لأنَّه كان يخدمه ويتبعه. وقيل: كان يأخذ منه العلم. ويقال: إن يوشع كان ابنَ أُختِ موسى عليه السلام.

---

(١) فيما أخرجه البخاري (١٢٢)، ومسلم (٢٣٨٠)، وعبد الله بن أحمد في زوائده على مسند أبيه (٢١١١٤) من حديث ابن عباس ﷺ.

(٢) كلمة «وفتاتي» ليست في (ز١)، والخبر أخرجه البخاري (٢٥٥٢)، ومسلم (٢٢٤٩)، وأحمد (٨١٩٧) من حديث أبي هريرة ﷺ.

وسبب هذه القصة أنَّ موسى عليه السلام جلس يوماً في مجلسٍ لبني إسرائيل، وخطبَ فأبلَغَ، فقيل له: هل تعلَمُ أحداً أعلَمَ منك؟ قال: لا. فأوحى اللهُ إليه أن يسيرَ بطول سِيْفِ البحر حتى يبلُغَ مجمع البحرين، فإذا فقدَ الحوت فإنَّه هُنالِكَ. ففعلَ موسى ذلك، وقال لفتاه على جهة إمضاء العزيمة: لا أبرَحُ أسيرُ، أي: لا أزالُ[١]. قال ابن عطية[٢]: وإنَّما قال هذه المقالة وهو سائر، ومن هذا قول الفرزدق:

فما بَرِحوا حتَّى تهادَتْ نساؤُهُمْ ببطحاءِ ذي قارٍ عِيَابَ اللَّطائمِ[٣]

انتهى. وهذا الذي ذكرَه فيه حَذْفُ خبرِ «لا أبرح»، وهي من أخوات «كان»، ونصَّ أصحابُنا على أنَّ حَذْفَ خبرِ «كان» وأخواتِها لا يجوز حذْفُه وإنْ دلَّ الدليلُ على حَذْفِه، إلَّا ما جاء في الشعر من قوله:

لَهفي عليكَ للهفةٍ من خائفٍ يَبغي جوارَكَ حينَ ليسَ مُجيرُ[٤]

أي: حين ليس في الدنيا مُجير.

وقال الزمخشري[٥]: فإن قلتَ: «لا أبرَحُ» إنْ كان بمعنى «لا أزول» من برِحَ المكان، فقد دلَّ على الإقامة لا على السفر، وإن كان بمعنى «لا أزال» فلا بُدَّ من الخبر؟ قلتُ: هو بمعنى «لا أزال»، وقد حُذِفَ الخبر؛ لأنَّ الحالَ والكلامَ معاً يدلَّان عليه؛ أمَّا الحال فلأنَّها كانت حالَ سفر، وأمَّا الكلام فلأنَّ قولَه: ﴿حَتَّىٰٓ أَبۡلُغَ مَجۡمَعَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ﴾ غايةٌ مضروبةٌ تستدعي ما هي غايةٌ له، فلا بُدَّ أن يكون

(١) الحديث أخرجه بمعناه البخاري (٤٧٢٥)، ومسلم (٢٣٨٠)، وعبد الله بن أحمد في زوائده على مسند أبيه (٢١١١٤) من حديث أبي بن كعب ﷺ.
(٢) في المحرر الوجيز ٣/ ٥٢٧، والكلام السابق كلُّه منه بنحوه.
(٣) ديوان الفرزدق ٢/ ٢١٧، والعِيَاب؛ جمع عَيْبة: وهي ما يُجعل فيه الثياب وغيرها. واللَّطائم؛ جمع لَطِيمَة: وهي المسك.
(٤) اختُلِفَ في نسبة قائله، فنُسب في ديوان الحماسة للتبريزي ٣/ ٨ لعبد الله بن أيوب التيمي في رثاء منصور بن زياد أحد وجوه الدولة العباسية، ونسبه البصري في الحماسة البصرية ١/ ٢٣٠ للشمردل الليثي، وجعله أبو هلال في ديوان المعاني ٢/ ١٧٤ لرجلٍ يرثي عمر بن عبد العزيز، والشطر الثاني فيه: كنتَ المجيرَ له وليس مجيرُ.
(٥) في الكشاف ٢/ ٤٩٠.

المعنى: لا يبرَحُ مسيري حتى أبلغ، على أنَّ «حتى أبلُغَ» هو الخبر، فلمَّا حُذِفَ المضافُ أُقيمَ المضافُ إليه مُقامَه، وهو ضمير المتكلِّم، فانقلب الفعلُ عن ضمير الغائب إلى لفظ المتكلِّم، وهو وجهٌ لطيف. انتهى.

وهما وجهان خلطهما الزمخشريُّ؛ أمَّا الأول فجعلَ الفعلَ مسنَداً إلى المتكلِّم لفظاً وتقديراً، وجعل الخبرَ محذوفاً كما قدَّره ابن عطية[1]، و«حتى أبلغ» فضلةٌ متعلقةٌ بالخبر المحذوف وغايةٌ له. والوجه الثاني: جعلَ «لا أبرَحُ» مسنَداً من حيث اللفظ إلى المتكلِّم، ومن حيث المعنى إلى ذلك المُقدَّر المحذوف، وجَعَلَ خبرَ «لا أبرَحُ» هو «حتى أبلُغَ» فهو عمدة، إذ أصلُه خبرٌ للمبتدأ؛ لأنَّه خبرُ «أبرح».

وقال الزمخشري أيضاً[2]: ويجوز أن يكون المعنى: لا أبرَحُ ما أنا عليه، بمعنى: ألزَمُ المسيرَ والطلبَ، ولا أتركُه ولا أفارقُه حتى أبلُغَ، كما تقول: لا أبرَحُ المكان. انتهى. يعني: أنَّ «بَرِحَ» يكون بمعنى فارق، فيتعدَّى إذ ذاك إلى مفعول، ويحتاج هذا إلى صحَّة نقل.

وذكر الطبريُّ عن ابن عباس قال: لمَّا ظهرَ موسى وقومُه على مصر أنزلَ قومَه بمصر، فلمَّا استقرَّتِ الحالُ خطبَ يوماً، فذكَّرَ بآلاءِ الله وأيامِه عند بني إسرائيل، ثم ذكرَ ما هو عليه من أنَّه لا يَعلمُ أحداً أعلمَ منه. قال ابن عطية[3]: وما مرَّ بي قطُّ أنَّ موسى عليه السلام أنزلَ قومَه بمصر إلَّا في هذا الكلام، وما أراه يصِحُّ[4]، بل المتظاهَرُ أنَّ موسى مات بفحص التِّيهِ قبل فتح ديار الجبَّارين.

وهذا المرويُّ عن ابن عباس ذكرَه الزمخشريُّ فقال: رُويَ أنَّه لمَّا ظهرَ موسى على مصر مع بني إسرائيل واستقرُّوا بعدَ هلاك القبط أمرَه اللهُ أن يذكِّر قومَه النِّعمةَ، فقامَ فيهم خطيباً، فذكَّر نعمةَ الله، وقال: إنَّه اصطفى نبيَّكم وكلَّمه، فقالوا له: قد

---

(١) في المحرر الوجيز ٣/ ٥٢٧.

(٢) في الكشاف ٢/ ٤٩٠.

(٣) في المحرر الوجيز ٣/ ٥٢٧، وكلام الطبري المتقدم منه، وهو في تفسيره ١٥/ ٣٣٠، وتاريخه ١/ ٣٦٩.

(٤) وهو كما قال؛ فهو من رواية ابن سعد قال: حدثني أبي، حدثني عمي، حدثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس. وهذه سلسلة من الضعفاء، خلا ابن سعد وابن عباس.

عِلْمُنا هذا، فأيُّ الناس أعلم؟ قال: أنا. فعتِبَ اللهُ عليه حين لم يَرُدَّ العلمَ إلى الله، فأوحى اللهُ إليه: بَلْ أعلَمُ منكَ عبدٌ لي عند مجمع البحرين وهو الخَضِر. كان الخَضِر في أيام أفريدون قبلَ موسى، وكان على مقدمة ذي القرنين الأكبر، وبقي إلى أيام موسى، وذكر أيضاً في أسئلة موسى أنه قال: إنْ كان في عبادك مَنْ هو أعلَمُ منِّي فادْلُلْني عليه. قال: أعلَمُ منكَ الخَضِر. انتهى[(١)]. وهذا مخالِفٌ لما ثبتَ في الصحيح مِنْ أنَّه قيل له: هل أحدٌ أعلَمُ منك؟ قال: لا[(٢)].

و«مجمع البحرين» قال مجاهد، وقَتادة: هو مجتمَعُ بحر فارس وبحر الروم. قال ابن عطيّة: وهو ذراعٌ يخرج من البحر المحيط من شمالٍ إلى جنوبٍ في أرض فارس من وراء أَذْرَبيجان، فالرُّكن الذي لاجتماع البحرين ممَّا يلي بَرَّ الشام هو مجتمَعُ البحرين على هذا القول. وقالت فرقة منهم محمد بن كعب القُرَظي: هو عند طَنْجَة حيث يجتمع البحر المحيط والبحر الخارج منه من دَبورٍ إلى صَبا. وعن أُبيٍّ: بأفريقية. وقيل: هو بحر الأندلس، والقريةُ التي أبَتْ أن تُضيفَهما هي الجزيرة الخضراء. وقيل: مَجْمعُ البحرين: بحرٌ ملحٌ وبحرٌ عذبٌ، فيكون الخَضِرُ على هذا عند موقع نهرٍ عظيمٍ في البحر. وقالت فرقة: البحرانِ كناية عن موسى والخَضِر؛ لأنَّهما بحرا عِلْم، وهذا شبيهٌ بتفسير الباطنية وغُلاة الصوفية، والأحاديثُ تدلُّ على أنَّهما بحرا ماءٍ[(٣)]. وقال الزمخشري: من بِدَع التفاسير أنَّ البحرَين موسى والخضر؛ لأنَّهما كانا بحْرَين في العلم[(٤)]. انتهى. وقيل: بحر القُلْزُم. وقيل: بحر الأزرق[(٥)].

وقرأ الضحَّاك وعبد الله بن مسلم بن يسار: «مَجْمِع» بكسر الميم الثانية[(٦)]،

---

(١) الكشاف ٢/ ٤٩٠.

(٢) أخرجه البخاري (٤٧٢٥)، ومسلم (٢٣٨٠) من حديث أبي بن كعب ﷺ.

(٣) المحرر الوجيز ٣/ ٥٢٧-٥٢٨ دون قوله: وهذا شبيه بتفسير الباطنية وغلاة الصوفية. وقول محمد بن كعب وأُبي في تفسير الثعلبي ٤/ ١٣٣، وزاد المسير ٥/ ١٦٤. وذكر الثعلبي قول قتادة بمعناه.

(٤) الكشاف ٢/ ٤٩٠.

(٥) تفسير القرطبي ١٣/ ٣١٦، وفيه: الأرن، بدل: الأزرق.

(٦) المحرر الوجيز ٣/ ٥٢٧، والقراءات الشاذة ص٨٠، والمحتسب ٢/ ٣٠ عن عبد الله بن مسلم بن يسار. ووقعت تسميته في مطبوع الشاذة: عبد الله بن عبيد بن مسلم.

والنضر عن ابن مسلم في كلا الحرفين، وهو شاذٌّ، وقياسه مِنْ «يَفْعَل» فتح الميم كقراءة الجمهور.

والظاهر أنَّ مَجْمعَ البحرين هو اسمُ مكان أي: مكان جمع البحرين. وقيل: مصدر[1].

قال ابن عباس: الحُقْب: الدهر. وقال عبد الله بن عمرو، وأبو هريرة: ثمانون سنة. وقال الحسن: سبعون. وقيل: سنة بلغة قريش؛ ذكره الفرَّاء. وقيل: وقتٌ غيرُ محدود؛ قاله أبو عبيدة[2].

والظاهر أنَّ قولَه: «أو أمضيَ» معطوفٌ على «أبلُغَ» فغيًّا بأحد الأمرين، إمَّا ببلوغه المجمع، وإمَّا بمُضيِّه حقباً. وقيل: هي تغييةٌ لقوله: «لا أبرَحُ»، كقولك: لا أفارِقُكَ أو تقضيَني حقِّي، فالمعنى: لا أبرَحُ حتى أبلُغَ مجمع البحرين إلى أنْ أمضيَ زماناً أتيقَّنُ معه فَواتَ مجمَع البحرين.

وقرأ الحسن والأعمش[3]: «حُقْباً» بإسكان القاف، والجمهور بضمِّها.

﴿فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا﴾ ثَمَّ جملةٌ محذوفةٌ، التقدير: فسارا[4]، «فلمَّا بلغا» أي: موسى وفتاه «مجمَعَ بينِهما» أي: بين البحرين «نسيا حوتَهما». وكان من أمرِ الحوت وقصَّتِه أنَّ موسى عليه السلام حين أُوحي إليه أنَّ لي عبداً بمَجْمَعِ البحرين هو أعلَمُ منك، قال موسى: يا ربِّ، فكيف لي به؟ قال: تأخُذُ معكَ حوتاً فتجعلُه

---

(١) تفسير الطبري ١٥/٣٠٨.

(٢) زاد المسير ٥/ ١٦٥. وفيه قول الحسن: سبعون ألف سنة، ثم ذكر قول مجاهد: سبعون سنة. وقول عبد الله بن عمرو في معاني القرآن للنحاس ٢/ ٢٦٤، وتفسير الثعلبي ٤/ ١٣٣، والنكت والعيون ٣/ ٣٢٢، وتفسير القرطبي ١٣/ ٣١٩، وأخرجه الطبري ١٥/ ٣١٠. وقول الفراء في معاني القرآن له ٢/ ١٥٤.

(٣) المثبت من (ز١)، وجاء في باقي النسخ ونسخة الآلوسي كما في روح المعاني ١٥/ ٤١٨: وقرأ الضحاك!. والقراءة لم أجد من نسبَها للضحاك، وهي في القراءات الشاذة ص١٨١ عن الحسن، وفي المحرر الوجيز ٣/ ٥٢٨ عن الحسن والأعمش وعاصم، وفي زاد المسير ٥/ ١٦٤: عن الحسن وأبي رزين وأبي مجلز وقتادة والجحدري وابن يعمر. قلت: والمشهور عن عاصم بضمِّ القاف.

(٤) في (ز١) و(أ): فسار.

في مِكْتَلٍ، فحيثُما فَقدتَ الحوتَ، فهو ثَمَّ. فأخذَ حوتاً فجعله في مِكْتَلٍ، ثمَّ انطلقَ وانطلقَ[١] معه فتاه يوشع بن نون، حتى أتيا الصخرة، وَضَعا رؤوسَهما فنام موسى، واضطربَ الحوتُ في المِكْتَل، فخرجَ منه، فسقط في البحر واتَّخذ سبيله في البحر[٢] سرباً، وأمسكَ اللهُ عن الحوت جِرْيَةَ الماءِ، فصار عليه مثلَ الطَّاق[٣].

قيل: وكان الحوت مالحاً. وقيل: مشوياً. وقيل: طرياً.

وقيل: جمع يوشع الحوتَ والخبزَ في مِكْتَلٍ فنزلا ليلةً على شاطئ عينٍ تُسمَّى عينَ الحياة، ونام موسى، فلمَّا أصاب السمكةَ روحُ الماء وبردُه عاشَتْ. ورُوي أنَّهما أكلا منها. وقيل: توضَّأ يوشع من تلك العين فانتضح الماء على الحوت فعاش ووقع في الماء[٤]. والظاهر نسبة النسيان إلى موسى وفتاه. وقيل: كان النسيان من أحدهما وهو فتى موسى، نسي أن يُعْلِمَ موسى أمرَ الحوت إذ كان نائماً، وقد أحسَّ يوشع بخروجِه من المِكْتَل إلى البحر، ورآه قد اتَّخذ السَّرَبَ، فأشفقَ أن يُوقِظَ موسى وقال: أُؤخِّرُ إلى أن يستيقظ، ثم نسي أن يُعلِمَه حتى ارتحلا وجاوزَا[٥]. وقد يُسنَدُ الشيءُ إلى الجماعة وإن كان الذي فعلَه واحدٌ منهم. وقيل: هو على حذف مضاف، أي: نسي أحدُهما[٦].

وقال الزمخشري: أي: نسيا تفقُّدَ أمرِه وما يكون منه ممَّا جُعِلَ أمارةً على الظَّفر بالطَّلِبَة. وقيل: نسيَ يوشع أن يُقدِّمَه، ونسيَ موسى أن يأمرَه فيه بشيء. انتهى[٧].

(١) في النسخ والمطبوع عدا (ز١): فناما وانطلق، والمثبت منها، وانظر زاد المسير ٥/ ١٦١ والكلام منه. والحديث أخرجه بنحو هذا اللفظ البخاري (٤٧٢٥)، ومسلم (٢٣٨٠) من حديث أبي بن كعب ﷺ.
(٢) قوله: «واتخذ سبيله في البحر» من (ز١).
(٣) الطاق: الثقب الذي يُدْخَل منه. المفهم ٦/ ١٩٦.
(٤) الكشاف ٢/ ٤٩١، وزاد المسير ٥/ ١٦٥.
(٥) المحرر الوجيز ٣/ ٥٢٨، وما بعده منه بنحوه. وأخرجه بمعناه البخاري (٤٧٢٦) من حديث أبيّ بن كعب ﷺ.
(٦) ينظر معاني القرآن للفراء ٢/ ١٥٤.
(٧) الكشاف ٢/ ٤٩١.

وشبّه بالسَّرَب مسلَك الحوت في الماء حين لم ينطبقِ الماءُ بَعدَه، بل بقي كالطاق، هذا الذي ورد في الحديث. وقال الجمهور: بقي موضِعُ سلوكِه فارغاً. وقال قَتادة: ماءً جامداً. وعن ابن عباس: حجراً صلداً. وقال ابن زيد: إنَّما اتَّخذ سبيلَه سرباً في البرِّ حتَّى وصل إلى البحر، ثم عامَ على العادة، كأنَّه يعني بقوله: «سَرَباً»: تصرُّفاً وجَوَلاناً، من قولهم: «فَحْلٌ سارِبٌ» أي: مُهمَلٌ يرعى حيث شاء، ومنه قوله تعالى: ﴿وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ﴾ [الرعد: ١٠] أي: مُتصرِّف. وقال قومٌ: اتَّخذَ سَرَباً في التراب من المِكْتَلِ، وصادف في طريقِهِ حجراً فنقَبَه. والظاهر أنَّ السَّرَبَ كان في الماء[١]. ولا يُفَسَّرُ إلَّا بما ورد في الحديث الصحيح أنَّ الماءَ صار عليه كالطَّاق، وهو معجزةٌ لموسى عليه السلام، أو الخضِر إن قُلنا: إنَّه نبي، وإلَّا تكُنْ كرامةً.

وقيل: عاد موضعُ سلوكِ الحوت حجراً طريقاً، وأنَّ موسى مشى عليه مُتَّبِعاً للحوت، حتى أفضى به ذلك الطريق[٢] إلى جزيرةٍ في البحر، وفيها وجد الخَضِر[٣].

﴿فَلَمَّا جَاوَزَا﴾ أي: مجمع البحرين. وقال الزمخشري: الموعد وهو الصخرة؛ قيل: سارا بعد مُجاوزةِ الصخرة الليلةَ والغَدَ إلى الظهر، وأُلقيَ على موسى النَّصَبُ والجوعُ حين جاوز الموعدَ، ولم ينصَبْ ولا جاعَ قبلَ ذلك، فتذكَّر الحوتَ وطلبَه.

وقوله: ﴿مِن سَفَرِنَا هَٰذَا﴾ إشارةٌ إلى مسيرهما وراء الصخرة.

وقرأ الجمهور: «نَصَباً» بفتحتين. وعبد الله بن عُبيد بن عمير بضمَّتين[٤]؛ قال صاحب «اللوامح»: وهي إحدى اللغات الأربع التي فيها.

قال الزمخشري: فإن قلتَ: كيفَ نسيَ يوشع ذلك ومثلُه لا يُنسَى؛ لكونِه أمارةً لهما على الطَّلِبَة التي تناهضا من أجلها، ولكونه معجزتين ثِنْتَين[٥]، وهما حياةُ

(١) المحرر الوجيز ٣/ ٥٢٨.
(٢) كلمة «الطريق» من (ز١).
(٣) الكشاف ٢/ ٤٩١، وما بعده منه.
(٤) القراءات الشاذة ص٨٠، والمحرر الوجيز ٣/ ٥٢٩. وعبد الله بن عبيد بن عمير، هو الليثي، المكي، أبو هاشم، روى له مسلم وأصحاب السنن، توفي سنة (١١٣هـ). السير ٤/ ١٥٧.
(٥) المثبت من (ز١)، وهو موافق لما في الكشاف ٢/ ٤٩١، وفي باقي النسخ: بيِّنتين.

السمكة المملوحة المأكولُ منها ـ وقيل: ما كانت إلَّا شقَّ سمكة ـ وقيامُ الماء وانتصابُه مثلَ الطاق ونفوذُها في مثل السَّرَب منه[١]؟ ثم كيف استمرَّ به النسيان حتى خلفا الموعد وسارا مسيرةَ ليلةٍ إلى ظهر الغد، وحتى طلبَ موسى عليه السلام الحوتَ؟ قلتُ: قد شغلَه الشيطانُ بوساوسه، فذهبَ بفِكْرِه كلَّ مذهب، حتى اعتراه النسيان، وانضمَّ إلى ذلك أنَّه ضَرِي[٢] بمشاهدة أمثالِه عند موسى من العجائب، واستأنس بإخوانه، فأعان الإلْفُ على قلَّةِ الاهتمام. انتهى[٣]. وفيه سوءُ أدبٍ على يوشع فتى موسى عليه السلام على عادته مع المعصومين، ويوشع ممَّن نبَّأه الله، فهو معصومٌ قبلَ النبوَّة وبعدها.

قال أبو بكر غالب بن عطية والد أبي محمد[٤] عبد الحق المفسِّر: سمعتُ أبا الفضل الجوهري يقول في وعظه: مشى موسى إلى المناجاة، فبقي أربعين يوماً لم يحتَجْ إلى طعام، ولمَّا مشى إلى بشَرٍ لحِقَه الجوع في بعض يوم[٥]. انتهى. ولا يعجبني هذا الكلام.

وقال الزمخشري: «أرأيتَ» معنى «أخبِرْني» فإن قلتَ: فما وجهُ التئام هذا الكلام، فإنَّ كلَّ واحدٍ من «أرأيتَ» و«إذ أوَيْنا» و«فإنّي نسيت الحوت» لا مُتعلَّق له؟ قلت: لمَّا طلبَ موسى الحوتَ ذكر يوشعُ ما رأى منه وما اعتراه من نسيانه إلى تلك الغاية، فدُهِشَ، فطفِقَ يسألُ موسى عن سبب ذلك، كأنَّه قال: أرأيتَ ما دهاني إذْ أوَيْنا إلى الصخرة فإنِّي نسيتُ الحوت. فحذف ذلك[٦]. انتهى. وكونُ «أرأيتَكَ» بمعنى «أخبِرْني» ذكره سيبويه[٧] وقد أمعنَّا الكلام في ذلك في سورة الأنعام[٨]، وفي شَرْحِنا لكتاب «التسهيل». وأمَّا ما يختصُّ بـ «أرأيت» في هذا الموضع، فقال

(١) كلمة «منه» من (ز١).
(٢) ضريَ بالشيء: لَهِجَ ووَلِعَ به. القاموس المحيط (ضري) و(لَهج).
(٣) ما بعده من (ز١) وحدها.
(٤) كلمة «محمد» من (ز١) وحدها.
(٥) المحرر الوجيز ٣/ ٥٢٩، وما بعده من (ز١) وحدها.
(٦) الكشاف ٢/ ٤٩١.
(٧) الكتاب ١/ ٢٣٩.
(٨) عند تفسير الآية (٤٠) منها.

أبو الحسن الأخفش: إنَّ العرب أخرجَتْها عن معناها بالكُليَّة، فقالوا: أرأيتَكَ وأرَيْتَكَ بحذف الهمزة إذا كانت بمعنى «أخبِرْني»، وإذا كانت بمعنى «أبْصَرْتَ» لم تُحذَفْ همزتُها. قال: وشَذَّتْ أيضاً فألزَمَتْها الخطابَ على هذا المعنى، ولا تقول فيها أبداً: «أراني زيدٌ عَمراً ما صنع» وتقول هذا على معنى «أَعَلِمَ» وشذَّتْ أيضاً فأخرَجَتْها عن موضعها بالكُليَّة بدليلِ دخولِ الفاء، ألا ترى قوله: ﴿قَالَ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ﴾؟ فما دخلت الفاءُ إلَّا وقد أُخرِجَتْ لمعنى: «أمَّا» أو «تنبَّهْ»، والمعنى: أمَّا إذ أوَيْنا إلى الصخرة فالأمرُ كذا. وقد أخرَجَتْها أيضاً إلى معنى «أخبِرْني» كما قدَّمنا، وإذا كانت بمعنى «أخبِرْني» فلا بُدَّ بعدَها من الاسم المُستَخْبَرِ عنه، وتلزمُ الجملةُ التي بعدَها الاستفهامَ وقد تخرُجُ لمعنى «أمَّا» ويكون أبداً بعدَها الشرطُ وظرفُ الزمان، فقوله: ﴿فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ﴾ معناه: أمَّا إذا أوَيْنا فإني نسيتُ الحوت، أو: تنبَّهْ إذ أوَيْنا، وليستِ الفاءُ إلَّا جواباً لـ «أرأيت»؛ لأنَّ «إذْ» لا يصِحُّ أن يُجازى بها إلَّا مقرونةً بـ «ما» بلا خلاف. انتهى كلامُ الأخفش، وفيه أنَّ «أرأيتَ» إذا كانت بمعنى «أخبِرْني» فلا بُدَّ بعدَها من الاسم المُستَخْبَر عنه، وتلزَمُ الجملةُ التي بعدَها الاستفهامَ، وهذان مفقودان في تقدير الزمخشري «أرأيتَ» هنا بمعنى «أخبِرْني».

ومعنى «نسيتُ الحوت»: نسيتُ ذِكْرَ ما جرى فيه لك[1].

وفي قوله: ﴿وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَـٰنُ﴾ حسنُ أدب نَسْبِ النسيانِ إلى المتسبِّب فيه بوسوسته.

و﴿أَنْ أَذْكُرَهُۥ﴾ بدل اشتمال من الضمير العائد على الحوت، والظاهر أنَّ الضمير في ﴿وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ عَجَبًا﴾ عائدٌ على الحوت كما عاد في قوله: ﴿فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ سَرَبًا﴾ وهو من كلام يوشع. وقيل: الضمير عائدٌ على موسى، أيْ: اتَّخذ موسى، ومعنى «عجباً» أي: تعجُّبٌ من ذلك، أو: اتِّخاذاً عجباً، وهو أنَّ أثرَه بقي إلى حيث سار. وقدَّره الزمخشري[2]: سبيلاً عجباً، وهو كونُه شبيهُ السَّرَب. قال:

(١) المحرر الوجيز ٣/ ٥٢٩.
(٢) في الكشاف ٢/ ٤٩٢.

أو قال: عجباً في آخر كلامه، تعجُّباً من حاله في رؤية تلك العجيبة ونسيانِه لها، أو ممَّا رأى من المعجزتين. وقوله: ﴿وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيۡطَٰنُ أَنۡ أَذۡكُرَهُۥ﴾ اعتراضٌ بين المعطوف والمعطوف عليه. وقيل: إنَّ عجباً حكايةٌ لتعجُّب موسى، وليس بذلك. انتهى.

وقال ابن عطية: ﴿وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِي ٱلۡبَحۡرِ عَجَبٗا﴾ يحتمل أن يكون من قول يوشع لموسى، أي: اتَّخِذِ الحوتَ سبيلاً عجباً للناس، ويحتمل أن يكون قوله: ﴿وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِي ٱلۡبَحۡرِ﴾ تمامَ الخبر، ثمَّ استأنف التعجُّبَ فقال من قِبَلِ نفسه: عجباً لهذا الأمر. وموضعُ العجَبِ أن يكون حوتٌ قد ماتَ وأُكِلَ شِقُّه ثم حَييَ بعد ذلك. قال أبو شجاع في «كتاب الطبري»: رأيتُه، أُتيتُ به فإذا هو شِقَّةُ حوتٍ وعينٌ واحدة، وشِقٌّ آخر ليس فيه شيء. قال ابن عطية: وأنا رأيتُه، والشِّقُّ الذي فيه شيءٌ عليه قشرة رقيقة، ليست تحتها شوكة. ويحتمل أن يكون: ﴿وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ﴾ الآية، إخباراً من الله تعالى، وذلك على وجهين، إمَّا أن يخبر عن موسى أنَّه اتَّخذَ سبيلَ الحوت من البحر عجباً، أي: تعجَّب منه، وإمَّا أن يُخبِرَ عن الحوت أنَّه اتَّخذ سبيلَه عجباً للناس. انتهى[١].

وقرأ حفص: «وما أنسانيهُ» بضمِّ الهاء، وفي «الفتح» [الآية: ١٠] «عليهُ اللهَ» وذلك في الوصل[٢]، وأمالَ الكسائيُّ فتحةَ السين[٣].

وفي مصحف عبد الله وقراءته: «أنْ أُذَكِّرَكَهُ إلَّا الشيطان»[٤].

وقرأ أبو حَيْوة: «واتِّخاذَ سبيلِه»[٥] عطفَ المصدر على ضمير المفعول في «أذكُره».

---

(١) المحرر الوجيز ٣/ ٥٢٩. وينظر تفسير الطبري ١٥/ ٣١٥.
(٢) السبعة ص٣٩٤، والتيسير ص١٤٤.
(٣) السبعة ص٣٩٣، والتيسير ص٤٦.
(٤) الكشاف ٢/ ٤٩٢، وتفسير الطبري ١٥/ ٣١٧، والمحرر الوجيز ٣/ ٥٢٩، وجاء في تفسير القرطبي: «أذكره» بدل «أُذَكِّركه».
(٥) القراءات الشاذة ص٨١.

والإشارة بقوله: «ذلك» إلى أمرِ الحوتِ وفقدِه واتِّخاذِه سبيلاً في البحر؛ لأنَّه أمارةُ الظَّفَر بالطَّلِبَة من لقاء ذلك العبد الصالح[١].

و«ما» موصولة، والعائدُ محذوفٌ، أي: نَبْغِيْه.

وقُرِئ: «نبغِ» بغَير ياء في الوصل، وإثباتُها أحسَنُ، وهي قراءة أبي عمرو والكسائي ونافع، وأمَّا الوقف فالأكثر فيه طَرْحُ الياء اتباعاً لرسم المصحف وأثبتَها في الحالَين ابنُ كثير[٢].

﴿فَٱرْتَدَّا﴾ رجَعا على أدراجهما من حيث جاءا ﴿قَصَصًا﴾ أي: يقُصَّانِ الأثرَ قَصَصاً[٣]، فانتصب على المصدرية بإضمار «يقُصَّان»، أو يكون في موضع الحال، أي: مقتَصِّين، فيُنصَبُ بقوله: «فارتدا».

﴿فَوَجَدَا﴾ أي: موسى والفتى، ﴿عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ﴾ هذه إضافة تشريفٍ واختصاصٍ؛ «وجَداه عند الصخرة التي فُقِدَ الحوتُ عندَها وهو مسجًّى في ثوبه مستلقياً على الأرض، فقال: السلام عليك. فرفع رأسه وقال: أنَّى بأرضك السلام؟! ثم قال له: مَنْ أنتَ؟ قال: أنا موسى. قال: موسى بني إسرائيل؟ قال: نعم. قال له: ألم يكُنْ لكَ في بني إسرائيل ما يشغلُكَ عن السفر إلى هنا؟ قال: بلى، ولكِنْ أحببتُ لقاءَك، وأنْ أتعلَّمَ منكَ. قال له: إنِّي على عِلم من عِلمِ الله علَّمَنيه لا تعلمه أنت، وأنت على عِلم من عِلمِ الله علَّمكَه الله لا أعلَمُه أنا». والجمهور على أنَّه الخَضِر، وخالفَ من لا يُعتَدُّ بخلافه فزعم أنَّه عالِمٌ آخر[٤]. وقيل: اليَسَع[٥]. وقيل: إلياس[٦]. وقيل: خضرون بن

---

(١) الكشاف ٢/ ٤٩٢.

(٢) السبعة ص٣٩١، والتيسير ص١٤٧.

(٣) الكشاف ٢/ ٤٩٢.

(٤) المحرر الوجيز ٣/ ٥٢٩. والحديث أخرجه البخاري (٤٧٢٥)، ومسلم (٢٣٨٠) من حديث أبي بن كعب ﷺ.

(٥) النكت والعيون ٣/ ٣٢٥، والتعريف والإعلام ص١٠٤، وزاد المسير ٥/ ١٦٧.

(٦) أخرج ذلك ابن مردويه في تفسيره ـ فيما ذكره الحافظ ابن حجر في الإصابة ١/ ١١٠ ـ عن ابن عباس مرفوعاً. وينظر تاريخ دمشق لابن عساكر ٢/ ٢٨٨.

قابيل بن آدم عليه السلام[١]. قيل: واسم الخَضِر بَليا بن مَلْكان[٢].

والجمهور على أنَّ الخَضِرَ نبيٌّ، وكان عِلْمُه معرفةَ بواطنَ قد أُوحيَتْ إليه، وعِلْمُ موسى الأحكامَ والفتيا بالظاهر، ورُوي أنَّه وُجِدَ قاعداً على ثَبَج[٣] البحر، وفي الحديث: سُمِّيَ خَضِراً لأنَّه جلسَ على فروةٍ باليةٍ فاهتزَّتْ تحتَه خضراء[٤]. وقيل: كان إذا صلَّى اخضرَّ ما حولَه[٥]. وقيل: جلس على فروةٍ بيضاءَ وهي الأرض المرتفعة ـ وقيل: الصلبة ـ واهتزَّتْ تحتَه خضراء[٦].

وقيل: كانت أمُّه روميَّة، وأبوه فارسي[٧]. وقيل: كان ابنَ ملكٍ من الملوك، أراد أبوه أن يستخلِفَه من بعده فلم يقبَلْ منه، ولحِقَ بجزائر البحر، فطلبه أبوه فلم يقدِرْ عليه[٨].

والجمهور على أنَّه مات[٩]. وقال شرف الدين أبو عبد الله محمد بن أبي الفضل المُرسي: أمَّا خَضِرُ موسى بن عمران فليس بحيٍّ؛ لأنَّه لو كان حيًّا للزمَه المجيءُ إلى النبيِّ ﷺ والإيمانُ به واتِّباعُه، وقد رُويَ عنه ﷺ أنَّه قال: «لو كان موسى وعيسى حَيَّينِ لم يسَعْهُما إلَّا اتِّباعي». انتهى. هكذا أورد الحديث، ومذهَبُ المسلمين أنَّ عيسى حيٌّ، وأنَّه ينزِلُ من السماء، ولعلَّ الحديث: «لو كان موسى حيًّا لم يسَعْه إلَّا اتِّباعي»[١٠].

---

(١) تاريخ دمشق ١٦/ ٣٩٩.
(٢) وقع في جميع النسخ: ملولان، وهو في المطبوع على الصواب كما أثبتُه، وهو الموافق لما في المصادر. وينظر المعارف لابن قتيبة ص٤٢، وتاريخ دمشق ١٦/ ٣٩٩، وتفسير الثعلبي ٤/ ١٣٥، والتعريف والإعلام ص١٠٣، وزاد المسير ٥/ ١٦٧، وشرح مسلم للنووي ١٦/ ١٣٦.
(٣) ثَبَجُ الشيء: وسطه. الصحاح (ثبج).
(٤) المحرر الوجيز ٣/ ٥٢٩-٥٣٠، والحديث أخرجه البخاري (٣٤٠٢)، وأحمد (٨١١٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه بلفظ القول بعد الآتي.
(٥) تفسير الثعلبي ٤/ ١٣٥، والنكت والعيون ٣/ ٣٢٥، وزاد المسير ٥/ ١٦٨ عن مجاهد.
(٦) زاد المسير ٥/ ١٦٨. وينظر التعليق قبل السابق.
(٧) تاريخ دمشق ١٦/ ٤٠١ عن سعيد بن المسيب.
(٨) تفسير أبي الليث ٢/ ٣٥٤.
(٩) المحرر الوجيز ٣/ ٥٣٧.
(١٠) لم أجد الحديث باللفظ الذي ذكره أبو عبد الله المرسي، وهو مشهور باللفظ الذي ذكره =

والرحمة التي آتاه الله إيَّاها هي الوحي والنبوة. وقيل: الرزق.

﴿وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا﴾ أي: من عندنا، أي: مما يختصُّ بنا من العلم، وهو الإخبار عن الغيوب[1].

وقرأ أبو زيد عن أبي عمرو: «من لَدُنَا» بتخفيف النون، وهي لغةٌ في «لَدُن» وهي الأصل[2].

قيل: وقد أُولِعَ كثيرٌ ممَّن ينتمي إلى الصلاح بادِّعاء هذا العلم، ويُسمُّونه العلمَ اللَّدُنّي، وأنَّه يُلقى في رُوع الصالحِ منهم شيءٌ من ذلك، حتى يُخبر بأنَّ مَنْ كان من أصحابه هو من أهل الجنة على سبيل القطع، وأنَّ بَعضَهم يرى الخَضِر. وكان قاضي القضاة أبو الفتح محمد بن علي بن مطيع القُشيري المعروف بابن دقيق العيد يخبر عن شيخٍ له أنَّه رأى الخَضِر وحدَّثه، فقيل له: مَنْ أعلَمَه أنَّه الخَضِر؟ ومِنْ أينَ عرَف ذلك؟ فسكت.

وبعضُهم يزعُم أنَّ الخَضِريّةَ رتبةٌ يتولَّاها بعضُ الصالحين على قَدَمِ الخَضِر.

وسَمِعْنا الحديثَ عن شيخٍ يُقال له: عبد الواحد[3] العباسي الحنبلي، وكان أصحابُه الحنابلة يعتقدون فيه أنَّه يجتمع بالخَضِر.

﴿قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ﴾ في الكلام محذوفٌ تقديره: فلمَّا التقَيا وتراجعا الكلامَ، وهو الذي ورد في الحديث الصحيح، قال له موسى: هل أتَّبِعُكَ؟ وفي هذا دليلٌ على التواضع للعالِم، وفي هذه القصة دليلٌ على الحثِّ على الرحلة في طلب العلم،

= المصنف، وأخرجه أحمد (١٥١٥٦) من حديث جابر ﷺ، وفي إسناده مجالد بن سعيد الهمداني، وهو ضعيف.
وأخرجه أحمد ـ أيضاً ـ بنحوه (١٥٦٨٤) من حديث عبد الله بن ثابت ﷺ، وفيه يزيد بن جابر الجعفي، وهو ضعيف أيضاً.

(١) زاد المسير ٥/ ١٦٩ عن ابن عباس.

(٢) المحرر الوجيز ٣/ ٥٣٠ بنحوه، والمشهور عن أبي عمرو مثل قراءة باقي السبعة: «لدُنَّا» بالتشديد.

(٣) اسمه عبد الواحد بن علي بن أحمد، يلقب بشمس الدين الحنبلي، وله ترجمة قصيرة في الدرر الكامنة ٣/ ٢٢٨، والوافي بالوفيات ١٩/ ٢٦٧.

وعلى حُسنِ التلطُّفِ والاستنزالِ والأدب في طلب العلم بقوله: «هل أتَّبِعُكَ»، وفيه المسافرةُ مع العالِم لاقتباسِ فوائدِه، والمعنى: هل يخِفُّ عليك ويتَّفِقُ لك[١].

وانتصب «رشداً» على أنَّه مفعولٌ ثانٍ لقوله: «تُعلِّمني» أو على أنَّه مصدرٌ في موضع الحال، وذو الحال الضمير في «أتَّبِعُكَ».

وقال الزمخشري: عِلْماً ذا رشَدٍ أرشُدُ به في ديني. قال: فإنْ قلتَ: أمَا دلَّتْ حاجتُه إلى التعلُّم من آخَرَ في عهده أنَّه كما قيل موسى بن ميشا لا موسى بن عمران؛ لأنَّ النبيَّ يجب أن يكون أعلَمَ أهلِ زمانِه وإمامَهم المرجوعَ إليه في أبواب الدين؟ قلتُ: لا غضاضةَ بالنبيِّ في أخْذِ العلم من نبيٍّ مثلِه، وإنَّما يغضُّ منه أن يأخذَ ممَّن دونَه. وعن سعيد بن جُبير أنَّه قال لابن عباس: إنَّ نَوْفاً ابنَ امرأةِ كعب[٢] يزعمُ أنَّ الخَضِرَ ليس بصاحب موسى، وأنَّ موسى هو موسى بن ميشا. فقال: كذبَ عدوُّ الله[٣]. انتهى.

وقرأ الحسن، والزُّهري، وأبو بحرية، وابن مُحَيْصِن، وابنُ مُناذِر، ويعقوب، وأبو عبيد، واليزيدي: «رَشَداً» بفتحتين، وهي قراءة أبي عمرو من السبعة. وقرأ باقي السبعة: بضمِّ الراء وإسكان الشين[٤].

ونفى الخَضِرُ استطاعةَ الصبر معه على سبيل التأكيد، كأنَّها ممَّا لا يصِحُّ ولا يستقيم، وعلَّل ذلك بأنَّه يتولَّى أموراً هي في ظاهرها يُنكِرها الرجل الصالح، فكيف النبيُّ، فلا يتمالَكُ أن يشمئِزَّ لذلك ويُبادرَ بالإنكار[٥].

﴿وَكَيْفَ تَصْبِرُ﴾ أي: إنَّ صَبْرَكَ على ما لا خِبْرَةَ لك به مُستبعَدٌ، وفيه إبداء عُذرٍ له حيث لا يمكنه الصبر؛ لما يرى من منافاة ما هو عليه من شريعته.

---

(١) المحرر الوجيز ٣/ ٥٣٠، وتفسير القرطبي ١٣/ ٣٢٥ ببعضه، وما بعده من المحرر الوجيز.
(٢) هو نوف بن فَضالة البِكالي، من أصحاب أمير المؤمنين عليٍّ ﷺ، كان قاصًّا. تاريخ الإسلام ٢/ ١٠١٣.
(٣) الكشاف ٢/ ٤٩٢، والأثر أخرجه البخاري (١٢٢)، ومسلم (٢٣٨٠)، وأحمد (٢١١١٤).
(٤) السبعة ص٣٩٤، والتيسير ص١٤٤، والنشر ٢/ ٣١١-٣١٢.
(٥) الكشاف ٢/ ٤٩٢.

وانتصب «خُبْراً» على التمييز، أي: ممَّا لم يُحِطْ به خبرُكَ، فهو منقولٌ من الفاعل، أو على أنَّه مصدرٌ على غير الصدر؛ لأنَّ معنى: «بما لم تُحِطْ به»: لم تَخْبُرْه[1].

وقرأ الحسن، وابن هُرْمُز: «خُبُراً» بضم الباء[2].

﴿قَالَ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا﴾ وعدَه بوجدانه صابراً، وقرن ذلك بمشيئة الله؛ عِلْماً منه بشدة الأمر وصعوبته؛ إذ لا يصبر إلَّا على ما يُنافي ما هو عليه إذا رآه. ﴿وَلَآ أَعْصِى﴾ يَحتمِلُ أن يكون معطوفاً على «صابراً» أي: صابراً وغيرَ عاصٍ، فيكون في موضع نصب عطف الفعلِ على الاسم إذا كان في معناه، كقوله: ﴿صَٰٓفَّٰتٍ وَيَقْبِضْنَۚ﴾ [الملك: ١٩] أي: وقابضاتٍ. ويجوز أن يكون معطوفاً على «ستجدني» فلا محلَّ له من الإعراب، ولا يكون مُقيَّداً بالمشيئة لفظاً[3].

وقال القشيري: وَعَدَ موسى من نفسه بشيئين، بالصبر وقرنَه بالاستثناء بالمشيئة، فصبرَ حين وجد على يدَي الخضر فيما كان منه من الفعل، وبأَنْ لا يعصيه، فأطلَقَ ولم يَقرِنْه بالاستثناء، فعصاه حيثُ قال له: «فلا تسألني» فكان يسألُه، فما قرن بالاستثناء لم يُخالِفْ فيه، وما أطلقَه وقع فيه الخُلْف[4]. انتهى. وهذا منه على تقدير أن يكون: «ولا أعصي» معطوفاً على «ستجدني» فلم يندرِجْ تحت المشيئة.

﴿قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِى﴾ أي: إذا رأيتَ منِّي شيئاً خفيَ عليك وجهُ صِحَّتِه فأنكرتَ في نفسك، فلا تُفاتِحْني بالسؤال حتى أكونَ أنا الفاتحَ عليك. وهذا من أدب المُتعلِّم مع العالِم المتبوع[5].

وقرأ نافع، وابن عامر: «فلا تَسْأَلَنِّي». وعن أبي جعفر: بفتح السين واللام، من غير همزٍ، مشدَّدة النون. وباقي السبعة: بالهمز، وسكون اللام، وتخفيف النون[6].

---

(١) تفسير القرطبي ١٣/ ٣٢٦.
(٢) القراءات الشاذة ص٨١.
(٣) الكشاف ٢/ ٤٩٢-٤٩٣ ببعضه.
(٤) لطائف الإشارات ٢/ ٤٠٨-٤٠٩.
(٥) الكشاف ٢/ ٤٩٣.
(٦) السبعة ص٤٩٤-٤٩٥، والتيسير ص١٤٤، والنشر ٢/ ٣١٢.

قال أبو علي: كلُّهم بياءٍ في الحالين. انتهى. وعن ابن عامر في حذف الياء خلافٌ غريب.

﴿فَانطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِي ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَاۖ قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا إِمْرًا ﴿٧١﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٧٢﴾ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِى بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِى مِنْ أَمْرِى عُسْرًا ﴿٧٣﴾ فَانطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَٰمًا فَقَتَلَهُۥ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةًۢ بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا ﴿٧٤﴾ ۞ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٧٥﴾ قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَىْءٍۭ بَعْدَهَا فَلَا تُصَٰحِبْنِىۖ قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّى عُذْرًا ﴿٧٦﴾ فَانطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهْلَ قَرْيَةٍ ٱسْتَطْعَمَآ أَهْلَهَا فَأَبَوْا۟ أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُۥۖ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴿٧٧﴾ قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِى وَبَيْنِكَۚ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٧٨﴾﴾.

﴿فَانطَلَقَا﴾ أي: موسى والخَضِر، وكان معهم يوشع، ولم يُضمرْ له[١]؛ لأنَّه في حكم التَّبَع. وقيل: كان موسى قد صرَفَه وردَّه إلى بني إسرائيل[٢].

والألف واللام في «السفينة» لتعريف الجنس[٣]؛ إذ لم يتقدَّم عهدٌ في سفينةٍ مخصوصة.

ورُوي في كيفية ركوبِهما السفينة وخرقِها وسدِّها أقوالٌ، والمعتمد ما رواه البخاري ومسلم في «صحيحيهما»[٤] قالا: «فانطلقا يمشيان على ساحل البحر، فمرَّتْ سفينةٌ فكلَّموهم أن يحملوهم، فعرفوا الخَضِرَ، فحملوه بغير نَوْلٍ، فلمَّا ركبا في السفينة لم يَفْجَأ إلَّا والخَضِرُ قد قلعَ لوحاً من ألواح السفينةِ بالقَدُوم، فقال له موسى: قومٌ حملونا بغير نَوْلٍ عَمَدْتَ إلى سفينتهم فخرَقْتَها لِتُغرِقَ أهلَها...» إلى قوله: «عُسْراً». قال: وقال رسول الله ﷺ: «وكانت[٥] الأولى[٦]

---

(١) كلمة «له» من (ز١).

(٢) تفسير القرطبي ١٣/ ٣٥٦-٣٥٧ بنحوه، ونقل القول الأول عن أبي العباس القرطبي، وهو في كتابه المفهم ٦/ ٢٠٣. والثاني عن القشيري.

(٣) المحرر الوجيز ٣/ ٥٣٠.

(٤) البخاري (٤٧٢٥)، ومسلم (٢٣٨٠) من حديث أبي بن كعب. وهو في مسند أحمد (٢١١١٤). وما بين حاصرتين الآتي من المصادر.

(٥) في جميع النسخ والمطبوع: وكان، والتصويب من الصحيحين.

(٦) المثبت من (ز١)، وفي باقي النسخ: الأول.

من موسى نِسياناً. قال: وجاء عصفورٌ فوقع على حَرْفِ السفينة فنقرَ [في البحر نقرةً] فقال له الخَضِرُ: ما عِلْمي وعِلْمُك من علم الله إلَّا مثلُ ما نَقصَ هذا العصفورُ من هذا البحر».

واللامُ في «لِتغرقَ أهلَها» قيل: لام العاقبة، وقيل: لام العلة[١].

وقرأ زيد بن علي، والأعمش، وطلحة، وابن أبي ليلى، وحمزة، والكسائي، وخلف، وأبو عبيد، وابن سعدان، وابن عيسى الأصبهاني: «لِيَغْرَقَ» بفتح الياء والراء وسكون الغين «أهلُها» بالرفع. وقرأ باقي السبعة: بضمِّ تاء الخطاب، وإسكان الغين، وكسر الراء، ونصب لام «أهلها»[٢].

وقرأ الحسن، وأبو رجاء كذلك، إلَّا أنَّهما فتَحا الغين وشدَّدا الراء[٣].

ثمَّ ذكَّرَه الخَضِرُ بما سبقَ له من نفي استطاعتِه الصبرَ لما يرى، فقال: «لا تؤاخِذْني بما نسيت»، والظاهر حَمْلُ النِّسيانِ على وضعه، وقد قال عليه السلام: «كانتِ الأولى من موسى نسياناً» والمعنى أنَّه نسيَ العهدَ الذي كان بينهما من عدم سؤاله، حتى يكون هو المُخبِرَ له أوَّلاً. وهذا قول الجمهور. وعن أبيّ بن كعب أنَّه ما نسيَ، ولكنَّ قولَه هذا من معاريض الكلام[٤].

قال الزمخشري[٥]: أراد أنَّه نسي وصيَّته، ولا مؤاخذةَ على الناسي، أو أخرجَ الكلام في معرض النَّهي عن المؤاخذة بالنسيان يُوهمه أنه قد[٦] نسي ليبسط عُذرَه في الإنكار، وهو من معاريض الكلام التي يُتَّقى بها الكذب مع التوصُّل إلى الغرض، كقول إبراهيم عليه السلام: «هذه أختي»، و«إني سقيم»[٧]. أو أراد بالنسيان التركَ، أي: لا تؤاخذني بما تركتُ من وصيَّتِك أولَ مرَّة. انتهى.

---

(١) تفسير القرطبي ١٣/ ٣٢٩ بنحوه.
(٢) السبعة ص٤٩٥، والتيسير ص١٤٤، والنشر ٢/ ٣١٢.
(٣) القراءات الشاذة ص٨١، وفي المحرر الوجيز ٣/ ٥٣١ عن أبي رجاء وحده.
(٤) المحرر الوجيز ٣/ ٥٣١، وكلام أُبيٍّ في تفسير الثعلبي ٤/ ١٣٨.
(٥) في الكشاف ٢/ ٤٩٣.
(٦) كلمة «قد» من (ز١).
(٧) أخرجه البخاري (٣٣٥٨) من حديث أبي هريرة ﷺ.

وقد بيَّنَ ابنُ عطية كلامَ أُبيٍّ بكلامٍ طويل يُوقَفُ عليه في كتابه، ولا يُعتمَدُ إلَّا قولُ الرسول: «كانتِ الأولى من موسى نسياناً».

﴿وَلَا تُرْهِقْنِي﴾: لا تَغْشَني وتُكَلِّفْني من أمري وهو اتِّباعُكَ «عُسْراً» أي: شيئاً صعباً، بل سَهِّلْ عليَّ في متابعتِكَ بتركِ المناقشة[١].

وقرأ أبو جعفر: «عسراً» بضم السين حيث وقع[٢].

﴿فَانْطَلَقَا﴾ في الكلام حذفٌ تقديره: فخرجا من السفينة، ولم يقَعْ غرقٌ بأهلها، فانطلقا فبينما هما يمشيان على الساحل إذْ أبصَرَ الخَضِرُ غلاماً يلعب مع الصبيان[٣]. وفي بعض الروايات: فمرَّ بغلمانٍ يلعبون، فعمدَ الخَضِرُ إلى غلامٍ حسنِ الهيئة وضيء الوجهِ فاقتلع رأسَه. وقيل: رضَّه بحجر. وقيل: ذبحه[٤]. وقيل: فتلَ عنُقَه. وقيل: ضرب برأسه الحائط[٥]. قيل: وكان هذا الغلام لم يبلغ الحُلم؛ ولهذا قال: «أقتلتَ نفساً زاكيةً»[٦]. وقيل: بل كان بالغاً شابّاً، والعرب تُبقي على الشاب اسمَ الغلامِ. ومنه قول ليلى الأَخْيَليَّة في الحجَّاج:

شَفاها من الدَّاءِ الذي قَدْ أصابَها ... غُلامٌ إذا هَزَّ القناةَ سَقاها[٧]

وقال آخر:

تَلَقَّ ذُبابَ السَّيف عنِّي فإنَّني ... غلامٌ إذا هُوجِيتُ لستُ بشاعرِ[٨]

(١) الكشاف ٢/٤٩٣.
(٢) النشر ٢/٢١٦.
(٣) النكت والعيون ٣/٣٢٨.
(٤) المحرر الوجيز ٣/ ٥٣٢.
(٥) الكشاف ٢/٤٩٣.
(٦) كذا في النسخ، وهي قراءة الجمهور عدا ابنِ عامر والكوفيين، وستأتي.
(٧) المحرر الوجيز ٣/ ٥٣٢، والنكت والعيون ٣/٣٢٨. والبيت سلف عند تفسير الآية (٢٣٢) من سورة البقرة.
(٨) البيت لصفوان بن المعطَّل ﷺ، قاله لحسان بن ثابت ﷺ، وهو في سيرة ابن هشام ٢/ ٣٠٥، وتاريخ الطبري ٢/٦١٨، وتفسير القرطبي ١٣/ ٣٣١. وذباب السيف: حدُّه. القاموس (ذبب).

وقيل: أصلُه من الاغتلام: وهو شدَّة الشَّبَق. وذلك إنَّما يكون في الشباب الذين قد بلغوا الحُلم، ويتناول الصبيَّ الصغيرَ تجوُّزاً؛ تسميةً للشيء باسم ما يؤول إليه[١].

واختُلِفَ في اسم هذا الغلام واسم أبيه واسم أمِّه، ولم يرِدْ شيءٌ من ذلك في الحديث.

وفي الخبر أنَّ هذا الغلام كان يُفسد ويُقْسِمُ لأبويه أنَّه ما فَعَل، فيُقسِمان على قسَمِه ويحميانه ممَّن يطلبه[٢].

وحكى القرطبيُّ عن صاحب «العرس والعرائس» أنَّ موسى عليه السلام لمَّا قال للخَضِر: «أقتلتَ نفساً زاكيةً» غضِبَ الخَضِرُ، واقتلعَ كتِفَ الصبيِّ الأيسر، وقشرَ اللَّحمَ عنه، وإذا في عظم كتفِه مكتوبٌ: كافرٌ لا يؤمنُ بالله أبداً[٣].

وقال الزمخشري: فإنْ قلت: لِمَ قيل: «خرَقَها» بغير فاء، و«فقتلَه» بالفاء؟ قلتُ: جعلَ «خرقَها» جزاءً للشرط، وجعل «قتَلَه» من جملة الشرط معطوفاً عليه، والجزاءُ «قال أقتلتَ». فإن قلتَ: فلِمَ خُولِفَ بينهما؟ قلتُ: لأنَّ خَرْقَ السفينةِ لم يتعقَّبِ الركوب، وقد تعقَّب القتلُ لقاءَ الغلام[٤]. انتهى.

ومعنى «زاكيةً»: طاهرةً من الذنوب[٥]، ووصفَها بهذا الوصف لأنَّه لم يرَها أذنبَتْ. قيل: أو لأنَّها صغيرةٌ لم تبلُغِ الحِنْث. وقوله: ﴿بِغَيْرِ نَفْسٍ﴾ يردُّه ويدلُّ على كِبَرِ الغلام، وإلَّا فلو كان لم يحتلِمْ لم يجِبْ قتلُه بنفسٍ ولا بغير نفسٍ.

وقرأ ابن عباس، والأعرج، وأبو جعفر، وشيبة، وابن مُحَيْصِن، وحُميد، والزُّهري، ونافع، واليزيدي، وابن مسلم، وزيد، وابن بُكير عن يعقوب، والتمَّار

---

(١) تفسير الرازي ٢١/ ١٥٥ ببعضه.
(٢) المحرر الوجيز ٣/ ٥٣٢.
(٣) تفسير القرطبي ١٣/ ٣٣١، وعرائس المجالس ص٢٢٨.
(٤) الكشاف ٢/٤٩٣، وما بعده منه.
(٥) المحرر الوجيز ٣/ ٥٣٢.

عن رُويس عنه، وأبو عبيد، وابن جُبير الأنطاكي، وابن كثير، وأبو عمرو: «زاكيةً» بالألف. وقرأ زيد بن علي، والحسن، والجَحْدري، وابن عامر، والكوفيون: «زكيَّةً» بغير ألف وبتشديد الياء[١]، وهي أبلَغُ من «زاكية»، لأنَّ «فَعيلاً» المُحوَّلَ من «فاعل» يدلُّ على المبالغة.

وقرأ الجمهور: «نُكْراً» بإسكان الكاف. وقرأ نافع، وأبو بكر، وابن ذكوان، وأبو جعفر، وشيبة، وطلحة، ويعقوب، وأبو حاتم: برفع الكاف حيثُ كان منصوباً.

و«النُّكْر»: قيل: أقلُّ من «الإمْر»؛ لأنَّ قتلَ نفسٍ واحدةٍ أهوَنُ من إغراق أهل السفينة. وقيل: معناه: شيئاً[٢] أنكرَ من الأول؛ لأنَّ الخَرْقَ يمكن سدُّه، والقتل لا سبيل إلى تدارك الحياة معه.

وفي قوله «لك» زجرٌ وإغلاظٌ ليس في الأول؛ لأنَّ مواقعَة التَّساؤل ثانيةً بعد التقدُّم إلى ترك السؤال واستعذار موسى بالنسيان أفظَعُ، وأفظَعُ في المخالفة لِما كان أخذَ على نفسه من الصبر وانتفاء العصيان، قال: ﴿قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا﴾ أي: بعد هذه القصة، أو بعد هذه المسألة ﴿فَلَا تُصَٰحِبْنِي﴾ أي: فأوقع الفراقَ بيني وبينك.

وقرأ الجمهور: «فلا تُصاحِبْني» من باب المفاعلة.

وقرأ عيسى، ويعقوب: «فلا تَصْحَبْني» مضارع صَحِبَ. وعيسى أيضاً بضم التاء وكسر الحاء، مضارع أصحب. ورواها سهل عن أبي عمرو[٣]، أي: فلا تصحبني عِلْمَك. وقدَّره بعضُهم: فلا تصحبني إيَّاك. وبعضُهم: نفسك.

وقرأ الأعرج بفتح التاء والباء، وشدِّ النون[٤].

ومعنى ﴿قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا﴾ أي: قد اعتذرتَ إليَّ وبلغْتَ إلى العذر.

---

(١) السبعة ص٣٩٥، والتيسير ص١٤٤، والنشر ٢/ ٣١٣. وينظر المحرر الوجيز ٣/ ٥٣٢.
(٢) أي: جئت شيئاً، كما في الكشاف ٢/ ٤٩٣-٤٩٤، والكلام منه.
(٣) المحرر الوجيز ٢/ ٥٣٢، وقراءة يعقوب في النشر ٢/ ٣١٣، ونسبها ابن خالويه في القراءات الشاذة ص٨١ لعيسى وابن عامر، ونسب القراءة الثانية «فلا تُصحِبْني» للجحدري والنخعي. قلت: والمشهور عن أبي عمرو: «فلا تُصاحِبْني».
(٤) المحرر الوجيز ٢/ ٥٣٢، ونسبها ابن خالويه في الشاذة ص٨١ إلى ابن مسعود.

وقرأ الجمهور: «من لَدُنِّي» بإدغام نون «لَدُن» في نون الوقاية التي اتصلت بياء المتكلم. وقرأ نافع وعاصم بتخفيف النون[١]، وهي نون «لَدُن» اتَّصلت بياء المتكلم، وهو القياس؛ لأنَّ أصلَ الأسماء إذا أُضيفت إلى ياء المتكلِّم لم تلحَقْ نون الوقاية، نحو: غلامي وفرسي. وأشَمَّ شعبةُ الضمَّ في الدال، ورُوِيَ عن عاصم سكون الدال. قال ابن مجاهد: وهي[٢] غلط. وكأنَّه يعني من جهة الرواية، وأمَّا من حيث اللغة فليست بغلط؛ لأنَّ من لُغاتِها «لَدْ» بفتح اللام وسكون الدال[٣].

وقرأ عيسى «عُذُراً» بضمِّ الذال، ورُوِيَتْ عن أبي عمرو، وعن أُبيٍّ: «عُذْري» بكسر الراء مضافاً إلى ياء المتكلم[٤].

وفي البخاري[٥] قال: «يرحَمُ اللهُ موسى لوَدِدْنا أنَّه صبرَ حتَّى يقُصَّ علينا من أمرِهما». وأسند الطبري[٦] قال: كان رسولُ الله ﷺ إذا دعا لأحدٍ بدأ بنفسه فقال: يوماً: «رحمةُ الله علينا وعلى موسى، لو صبرَ على صاحبِه لرأى العجَبَ، ولكنَّه قال: فلا تُصاحِبْني قد بلَغْتَ من لدُنِّي عُذْراً».

والقرية التي أتَيا أهلَها أنطاكية[٧]، أو الأُبُلَّة[٨]، أو بجزيرة الأندلس وهي

---

(١) وضَمِّ الدال، وقرأ عاصم ـ برواية شعبة عنه كما سيأتي ـ بإسكان الدال مع إشمامها الضم، وأما قراءة عاصم ـ في المشهور من رواية حفص عنه ـ «لَدُنِّي» كقراءة باقي السبعة. ينظر السبعة ص٣٩٦، والتيسير ص١٤٥.

(٢) المثبت من (ز١)، وهو الموافق لما في السبعة ص٣٩٦، وتفسير القرطبي ١٣/ ٣٣٣. وفي باقي النسخ: وهو.

(٣) ينظر الحجة في القراءات السبع لأبي علي الفارسي ٥/ ١٦٢.

(٤) المحرر الوجيز ٣/ ٥٣٣، والمشهور في قراءة أبي عمرو «عُذْراً» كقراءة الجمهور.

(٥) في صحيحه (١٢٢) من حديث ابن عباس ﵄.

(٦) في تفسيره ١٥/ ٣٤٥، ونقله عنه ابن عطية في المحرر الوجيز ٣/ ٥٣٣، وما قبله منه.

(٧) المحرر الوجيز ٣/ ٥٣٣، ونُسب لابن عباس في تفسير الثعلبي ٤/ ١٣٩، وزاد المسير ٥/ ١٧٥، ومجمع البيان ١٦/ ١٩٢.

(٨) هكذا وقعت تسميتها في تفسير الثعلبي ٤/ ١٣٩، وتفسير الطبري ١٥/ ٣٤٧، والوسيط ٣/ ١٦٠، والمحرر الوجيز ٣/ ٥٣٣، وزاد المسير ٥/ ١٧٥ ونسبوه لابن سيرين. وكذا في النكت والعيون ٣/ ٣٣٠ ونسبه لقتادة، وفي مجمع البيان ١٦/ ١٩٢ ونسبه لمحمد بن كعب. =

الجزيرة الخضراء، أو بَرقة، أو أبو حوران[١] بناحية أذْرَبيجان، أو ناصرة من أرض الروم[٢]، أو قرية بأرمينية[٣]. أقوالٌ مضطربةٌ بحسب اختلافهم في أيِّ ناحيةٍ من الأرض كانت قصة موسى، والله أعلم بحقيقة ذلك. وفي الحديث أنَّهما كانا يمشيان على مجالس أولئك القوم يستطعمانهم، وهذه عبرَةٌ مُصرِّحةٌ بهوان الدنيا على الله تعالى[٤].

وتكرَّر لفظُ «أهل» على سبيل التوكيد، وقد يظهر له فائدةٌ غير التوكيد، وهو أنَّهما حين أتيا أهلَ القرية لم يأتِيا جميعَ أهل القرية، إنَّما أتَيا بعضَهم، فلمَّا قال: «استطعما» احتملَ أنَّهما لم يستَطْعِما إلَّا ذلك البعض الذي أتَياه، فجيء بلفظ «أهلها» ليعُمَّ جميعَهم، وأنهم يتبعونهم واحداً واحداً بالاستطعام، ولو كان التركيبُ «استطعماهم» لكان عائداً على البعض المأتيِّ.

وقرأ الجمهور: «يُضَيِّفوهما» بالتشديد، من ضَيَّفَ.

وقرأ ابن الزبير، والحسن، وأبو رجاء، وأبو رَزين، وابن مُحَيْصِن، وعاصم في رواية المفضَّل وأبان: بكسر الضاد وإسكان الياء، من أضافَ، كما تقول: ميَّلَ وأمالَ[٥].

وإسناد الإرادة إلى الجدار من المَجاز البليغ والاستعارة البارعة، وكثيراً ما يوجد في كلام العرب إسنادُ أشياء تكون من أفعال العقلاء إلى ما لا يعقل من الحيوان وإلى الجماد، والمعنى: لو كان الجماد أو الحيوان الذي لا يعقل مكانَ العاقل

= ووقعت تسميتها «أَيْلَة» في المفهم ٦/ ٢٠٧، وإكمال المعلم ٧/ ٣٧٧، وعرائس المجالس ص٢٢٩، وتفسير القرطبي ١٣/ ٣٣٤.

(١) هكذا في النسخ والمحرر الوجيز ٣/ ٥٣٣، والأقوال الثلاثة فيه، وفي تفسير القرطبي ١٣/ ٣٣٥: أبو جوزان، وفي الدر المنثور ٤/ ٢٣٧: با جروان.

(٢) عرائس المجالس ص٢٢٩، ونسبها في مجمع البيان ١٦/ ١٩٢ لأبي عبد الله ﷺ.

(٣) النكت والعيون ٣/ ٣٣٠، وزاد المسير ٥/ ١٧٥ عن مقاتل، ووقعت فيهما تسميتها: باجروان.

(٤) المحرر الوجيز ٣/ ٥٣٣.

(٥) المحرر الوجيز ٣/ ٥٣٣ دون ذكر رواية عاصم، وفي الشاذة ص٨١ عن ابن الزبير وأبي رجاء وأبي رزين وابن جبير، وإعراب القرآن للنحاس ٢/ ٤٦٨ عن أبي رجاء، وزاد المسير ٥/ ١٧٥ عن المفضل عن عاصم.

لكان صادراً منه ذلك الفعل. وقد أكثر الزمخشريُّ وغيرُه من إيراد الشواهد على ذلك، ومَنْ له أدنى مطالعةٍ لكلام العرب لا يحتاج إلى شاهدٍ في ذلك.

قال الزمخشري(١): ولقد بلغني أنَّ بعضَ المُحرِّفين لكلام الله ممَّن لا يعلم كان يجعل الضميرَ للخَضِر؛ لأنَّ ما كان فيه من آفة الجهل وسُقم الفهم أراه أعلى الكلام طبقةً أدناه منزلةً، فتمحَّل ليردَّه إلى ما هو عنده أصحُّ وأفصح، وعنده أنَّ ما كان أبعَدَ من المجاز أدخَلُ في الإعجاز. انتهى.

وما ذكره أهل أصول الفقه عن أبي بكر محمد بن داود الأصبهاني(٢) من أنَّه يُنكِرُ المَجازَ في القرآن، لعلَّه لا يصِحُّ عنه، وكيف يكون ذلك وهو أحد الأدباء الشعراء الفحول المُجيدين في النظم والنثر؟!

وقرأ الجمهور: «ينقضَّ» أي: يسقُطَ، من انقضاض الطائر، ووزنه «انفعل» نحو انجرَّ. قال صاحب «اللوامح»: من القِضَّة، وهي الحصى الصِّغار، ومنه طعامٌ قَضَضٌ: إذا كان فيه حصًى، فعلى هذا «يُريدُ أن ينقضَّ» أي: يتفتَّتَ فيصيرَ حصاةً. انتهى. وقيل: وزنُه «افْعَلَّ» من النقض، كاحمرَّ.

وقرأ أُبيٌّ: «يُنْقَضَ» بضمِّ الياء وفتح القاف والضاد، مبنيًّا للمفعول، من نقضتُه، وهي مرويَّةٌ عن النبيِّ ﷺ(٣).

وفي حرف عبد الله وقراءة الأعمش: «يُريدُ لِيُنْقَضَ» كذلك، إلَّا أنَّه منصوبٌ بـ «أنْ» المُقدَّرة بعد اللام(٤).

وقرأ عليٌّ، وعكرمة، وأبو شيخ خَيْوان بن خالد الهُنائي، وخُليد بن سعد، ويحيى بن يَعْمَر: «ينْقاصَ» بالصاد غير معجمة مع الألف، ووزنُه «يَنْفَعِل» اللازم من قاصَ يقيصُ، إذا كسَرْتَه، تقول: قِصْتُه فانقاصَ(٥). قال ابن خالويه: وتقول

(١) في الكشاف ٢/ ٤٩٤.
(٢) هو الظاهري، له كتاب «الزهرة في الآداب والشعر»، وكتاب «التقصي» في الفقه. توفي سنة (٣٩٧هـ). السير ١٣/ ١٠٩.
(٣) المحرر الوجيز ٣/ ٥٣٤، وهي في المحتسب ٢/ ٣١ من دون نسبتها إلى أُبي.
(٤) المحتسب ٢/ ٣١، والمحرر الوجيز ٣/ ٥٣٤، ومجمع البيان ١٥/ ١٨٩.
(٥) المحتسب ٢/ ٣١ دون ذكر خُليد، وفي المحرر الوجيز، ومجمع البيان ١٥/ ١٨٩ عن عليٍّ

العرب: انقاصَتِ السِّنُّ، إذا انشقَّت طولاً[١].

قال ذو الرُّمَّة:

.... مُنقاصٌ ومُنْكَثِبُ[٢]

وقيل: إذا تصدَّعت كيف كان، ومنه قول أبي ذُؤيب:

فِراقٌ كَقَيْصِ السِّنِّ فالصَّبرَ إنَّهُ لكلٌ أُناسٍ عثرةٌ وحُبورُ[٣]

وقرأ الزهري: «يَنْقاض» بألف وضاد معجمة[٤]، وهو من قولهم: قِضْتُه ـ بضاد[٥] معجمة ـ فانقاض، أي: هدَمْتُه فانهدَم. قال أبو علي: والمشهور عن الزهري بصادٍ غير معجمة.

﴿فَأَقَامَهُۥ﴾ الظاهر أنَّه لم يهدِمْه وبناه، كما ذهب إليه بعضُهم من أنَّه هدَمَه وقعد يَبْنِيه، ووقع هذا في مصحف عبد الله، وأُيِّد بقوله: «لَتَخِذت عليه أجراً»، لأنَّ بناءَه بعد هدمه فعلٌ يُستَحَقُّ عليه أجرٌ. وقال ابن جُبير: مسحَه بيده وأقامه فقام[٦].

= وعكرمة، وفي المجمع: عن ابن يعمر أيضاً. وذكر هذه القراءة ابن الجوزي في زاد المسير ٥/ ١٧٦ ونسبها لابن مسعود وأبي العالية وأبي عثمان النهدي.

(١) القراءات الشاذة ص٨١.

(٢) الكشاف ٢/ ٤٩٥، والبيت في ديوان ذي الرمة ١/ ٨٨، ولفظه بتمامه:

يغشى الكياسَ بِرَوْقَيْهِ ويَهْدِمُهُ مِنْ هائلِ الرَّمْلِ مُنْقاصٌ ومُنكَثِبُ

(٣) في المحرر الوجيز ٣/ ٥٣٤. والكلام منه «عبرة» بالباء، وقال: ويروى: «عثرةٌ وجبورُ» بالثاء والجيم. والبيت في أشعار الهذليين ١/ ٦٦، وأمالي أبي علي القالي ٢/ ٢٣: «وجُبورُ» بالجيم.

(٤) القراءات الشاذة ص٨١ عن الزهري وابن يعمر، وذكرها ابن الجوزي في زاد المسير ٥/ ١٧٦ عن أبيٍّ وأبي رجاء.

(٥) كلمة «بضاد» من (ز١).

(٦) المحرر الوجيز٣/ ٥٣٤، وكلمة «فعل» من (ز١). والقول بأنه هدمه وقعد يبنيه ذكره الثعلبي في تفسيره ٤/ ١٤٠، وأخرجه الطبري ١٥/ ٣٥٠ عن ابن عباس مرفوعاً. وتعقبه القرطبي ١٣/ ٣٣٩ بقوله: قال أبو بكر ـ يعني ابن الأنباري ـ: وهذا الحديث إن صحَّ سنده فهو جارٍ من الرسول عليه الصلاة والسلام مجرى التفسير للقرآن. وقول ابن جبير في تفسير الثعلبي أيضاً، وأخرجه الطبري ١٥/ ٥٣١.

وقيل: أقامَه بعمود عمدَه به[(١)]. وقال مقاتل: سوَّاه بالشِّيد، أي: لبَّسَه به وهو الجَيَّار. وعن ابن عباس: دفعَه بيده فاستقام[(٢)]. وهذا أليَقُ بحال الأنبياء.

قال الزمخشري: كانت الحالُ حالَ اضطرارٍ وافتقارٍ إلى المَطْعَم، وقد لزَّتْهما الحاجةُ إلى آخر كسب المرء وهو المسألة، فلم يجِدا مُواسياً، فلمَّا أقامَ الجدار لم يتمالَكْ موسى لمَّا رأى من الحِرمان ومساس الحاجة أن قال: لو شئت لاتَّخذتَ عليه أجراً، وطلبتَ على عملك جُعْلاً حتى تنتعش به وتستدفع الضرورة[(٣)]. انتهى.

قال ابن عطية: وقوله: ﴿لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ وإنْ لم يكُنْ سؤالاً ففي ضمنِه الإنكارُ لفعله، والقولُ بتصويب أخْذِ الأجر، وفي ذلك تخطِئةُ ترك الأجر[(٤)]. انتهى.

وقرأ عبد الله، والحسن، وقَتادة، وابن بَحيرة، وابن مُحَيصِن، وحُمَيد، والزيدي، ويعقوب، وأبو حاتم، ومن السبعة ابن كثير، وأبو عمرو: «لتَخِذْتَ»[(٥)] بتاءٍ مفتوحة وخاءٍ مكسورة؛ يُقال: تَخِذَ واتَّخَذَ، نحو: تَبِعَ واتَّبَعَ، افتَعَل من تَخِذَ، وأدغم التاءَ في التاء، قال الشاعر:

وقَدْ تَخِذَتْ رِجْلي إلى جَنْبِ غَرْزِها ... نَسِيفاً كأُفْحوصِ القَطاةِ المُطَرِّقِ[(٦)]

والتاء أصلٌ عند البصريين، وليس من الأخْذ[(٧)]، وزعم بعضُهم أنَّ الاتِّخاذَ افتعالٌ من الأخْذ، وأنَّهم ظنُّوا التاءَ أصليةً فقالوا في الثلاثيِّ: تَخِذَ، كما قالوا: تَقِيَ من اتَّقى[(٨)].

---

(١) الكشاف ٢/ ٤٩٥.
(٢) زاد المسير ٥/ ١٧٧.
(٣) الكشاف ٢/ ٤٩٥.
(٤) المحرر الوجيز ٣/ ٥٣٤، وما بعده بعضُه منه.
(٥) ينظر السبعة ص٣٩٦، والتيسير ص١٤٥، والنشر ٢/ ٣١٤.
(٦) قائله الممزَّق العبدي، كما في مجاز القرآن ١/ ٤١١، والصحاح وتاج العروس (طرق) و(نسف)، والأصمعيات ص١٦٥. النَّسيف: أثر ركضِ الرِّجْلِ بجنبي البعير إذا انحصَّ عنه الوبر. وأُفحوص القطاة: الموضع الذي تبيض فيه. والمُطرِّق: التي تريد أن تبيض.
(٧) الكشاف ٢/ ٤٩٥.
(٨) ينظر معاني القرآن للزجاج ٣/ ٣٠٧، وتفسير القرطبي ١٣/ ٣٤٧.

والظاهر أنَّ هذا إشارةٌ إلى قوله: ﴿لَوْ شِئْتَ﴾ أي: هذا الاعتراض[١] سببُ الفراق بيني وبينك على حسب ما سبق من ميعاده أنَّه قال: «إن سألتك»، وهذه الجملة ـ وإن لم تكُنْ سؤالاً ـ فإنَّها تتضمَّنه؛ إذِ المعنى: ألم تكُنْ تتَّخِذ عليه أجراً؛ لاحتياجِنا إليه.

وقال الزمخشري[٢]: قد تصوَّرَ فراقَ بينهما عند حلول ميعادِه على ما قال موسى عليه السلام: ﴿إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي﴾ فأشار إليه، وجعله مبتدأً، وأخبر عنه كما تقول: هذا أخوك، فلا يكون «هذا» إشارةً إلى غيرِ الأخ. انتهى. وفيما قاله نظر.

وقرأ ابنُ أبي عَبْلة: «فراقٌ بيني» بالتنوين[٣]، والجمهور على الإضافة.

و«البَيْنُ» قال ابن عطية[٤]: الصلاح الذي يكون بين المُصطَحبين ونحوهما، وذلك مُستعارٌ فيه من الظرفية، ومُستعمَلٌ استعمالَ الأسماء، وتكريرُه «بيني وبينك» وعدولُه عن «بيننا» لمعنى التأكيد.

﴿سَأُنَبِّئُكَ﴾ أي: سأُخبِرُك بتأويل ما رأيتَ من خَرْقِ السفينةِ وقتلِ الغلامِ وإقامةِ الجدار، أي: بما آلَ إليه الأمرُ فيما كان ظاهرُه أن لا يكون[٥].

وقرأ ابنُ وثَّاب: «سأُنبِيكَ» بإخلاص الياء من غير همز.

وعن ابن عباس: كان قولُ موسى في السفينةِ وفي الغلامِ لله، وكان قولُه في الجدار لنفسِه؛ لطلب شيءٍ من الدنيا، فكان سببَ الفراق. وقال أربابُ المَعاني: هذه الأمثلة التي وقعت لموسى مع الخضر حُجَّةٌ على موسى وإعجاله[٦]، وذلك أنَّه لمَّا أنكر خَرْقَ السفينة نُودي: يا موسى أين كان تدبيرُك هذا وأنت في التابوت

---

(١) المثبت من (ز١)، وفي باقي النسخ: الإعراض.
(٢) في الكشاف ٢/ ٤٩٥، وما قبله بعضه منه.
(٣) الكشاف ٢/ ٤٩٥، وزاد المسير ٥/ ١٧٨ وزاد: «وبينَكَ» بنصب النون.
(٤) في المحرر الوجيز ٣/ ٥٣٤.
(٥) تفسير الرازي ٢١/ ١٥٩ بنحوه.
(٦) في تفسير القرطبي ١٣/ ٣٤٧ والكلام منه: «وعجباً له»، ونقل بعض الكلام بمعناه من لطائف الإشارات ٢/ ٤١١، والبعض الآخر من عرائس المجالس ص٢٣١-٢٣٢.

مطروحاً في اليمّ؟ فلمَّا أنكرَ قَتْلَ الغلام قيلَ له: أين إنكارُكَ هذا من وَكْزِ القبطيِّ وقضائِك عليه؟ فلمَّا أنكرَ إقامةَ الجدار نُودي: أينَ هذا من رَفْعِكَ الحجرَ لبنات شعيبٍ دون أُجرة؟ سأنبئك في مقامي[1] هذا معك ولا أُفارِقُكَ حتى أُوضِحَ لك ما استبهم عليك.

﴿أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ يَعْمَلُونَ فِى ٱلْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴿٧٩﴾ وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ﴿٨٠﴾ فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴿٨١﴾ وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى ۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٢﴾﴾.

رُوِيَ أنَّ موسى عليه السلام لمَّا عزمَ الخَضِرُ على مفارقته أخذ بثيابه وقال: لا أُفارِقُك حتى تُخبرَني بما أباحَ لك فِعْلَ ما فعلتَ، فلمَّا التمس ذلك منه أخذ في البيان والتفصيل، فقال: أمَّا السفينة، فبدأ بقصةِ ما وقعَ له أوَّلاً.

قيل: كانت لعشرة إخوة؛ خمسةٍ زَمْنَى، وخمسةٍ يعملون في البحر[2]. وقيل: كانوا أُجراءَ، فنُسِبَتْ إليهم للاختصاص[3].

وقرأ الجمهور: «مساكين» بتخفيف السين، جمع مسكين.

وقرأ عليٌّ كرَّمَ اللهُ وجهَه: بتشديد السين، جمع مَسَّاك، جمع تصحيح. فقيل: المعنى: مَلَّاحين، والمَسَّاكُ: الذي يُمسِكُ رِجْلَ السفينة، وكلٌّ منهم يصلح لذلك. وقيل: المسَّاكون دَبَغةُ المُسُوك، وهي الجلود، واحدُها: مَسْك.

والقراءة الأولى تدلُّ على أنَّ السفينةَ كانت لقوم ضُعفاءَ ينبغي أن يُشفَقَ عليهم. واحتُجَّ بهذه الآية على أنَّ المسكين هو الذي له بُلغةٌ من العيش، كالسفينة لهؤلاء، وأنَّه أصلح حالاً من الفقير[4].

(١) المثبت من (ز١)، وتصحفت في باقي النسخ إلى: معاني.
(٢) تفسير الثعلبي ٤/ ١٤١، والكشاف ٢/ ٤٩٥، والمفهم ٦/ ١١٠.
(٣) أحكام القرآن للجصاص ٣/ ١٢٢.
(٤) المحرر الوجيز ٣/ ٥٣٥، وما قبله منه. وينظر ما سلف عند تفسير الآية (٦٠) من سورة التوبة.

وقوله: ﴿فَأَرَدتُّ﴾ فيه إسنادُ إرادة العيب إليه، وفي قوله: ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ﴾ لِما في ذِكر العيب ما فيه فلم يُسنِدْه إلى الله، ولِما في ذلك من فِعْلِ الخير أسندَه إلى الله تعالى[١].

قال الزمخشري: فإنْ قلتَ: قولُه: ﴿فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا﴾مُسَبَّبٌ عن خوف الغصب عليها، فكان حقُّه أن يتأخَّر عن السبب فلِمَ قُدِّم عليه؟ قلتُ: النيَّةُ به التأخير، وإنَّما قُدِّم للعناية، ولأنَّ خوفَ الغصبِ ليس هو السببَ وحدَه، ولكن مع كونِها للمساكين فكان بمنزلة قولك: زيدٌ ظنِّي مقيم. وقيل: في قراءة أُبيٍّ وعبد الله: «كلَّ سفينةٍ صالحةٍ»[٢] انتهى.

ومعنى «أنْ أعيبَها» بخرقِها[٣].

وقرأ الجمهور: «وراءَهم» وهو لفظٌ يُطلَقُ على الخَلْفِ وعلى الأمام، ومعناه هنا: أمامَهم. وكذا قرأ ابن عباس، وابن جُبير[٤]. وكونُ «وراءَهم» بمعنى أمامهم قولُ قَتادة[٥]، وأبي عبيد[٦]، وابن السِّكِّيت[٧]، والزجَّاج[٨]، ولا خلافَ عند أهل اللغة أنَّ «وراءَ» يجوز بمعنى قُدَّام، وجاء في التنزيل والشعر قال تعالى: ﴿مِّن وَرَآئِهِمْ جَهَنَّمُ﴾ [الجاثية: ١٠] وقال: ﴿وَمِن وَرَآئِهِۦ عَذَابٌ غَلِيظٌ﴾ [إبراهيم: ١٧]، وقال: ﴿وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ﴾ [المؤمنون: ١٠٠]، وقال لبيد[٩]:

أليسَ وَرائي إنْ تراخَتْ مَنِيَّتي لزومُ العصا تُحنَى عليها الأصابعُ

(١) تفسير القرطبي ١٣/ ٣٥٧ بسياق أطول.
(٢) الكشاف ٢/ ٤٩٥، والقراءة أخرجها عنهما الطبري ١٥/ ٣٥٦، وهي في النكت والعيون ٣/ ٣٣٣ عن ابن مسعود.
(٣) زاد المسير ٥/ ١٧٨، وهو قول مجاهد فيما أخرجه الطبري ١٥/ ٣٥٣، وهو في تفسيره ص٤٥٠.
(٤) المحرر الوجيز ٣/ ٥٣٥، وتفسير القرطبي ١٣/ ٣٤٩. وأخرجها البخاري (٤٧٢٥)، ومسلم (٢٣٨٠)، والطبري ١٥/ ٣٥٤ عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس ﵄.
(٥) فيما أخرجه عبد الرزاق في تفسيره ١/ ٤٠٧، ومن طريقه الطبري ١٥/ ٣٥٤.
(٦) فيما نقله القرطبي ١٣/ ٣٥٠.
(٧) في الأضداد له ص١٧٦.
(٨) في معاني القرآن له ٣/ ٣٠٥.
(٩) في ديوانه ص١٧٠.

وقال سَوَّار بن المُضَرَّب السَّعدي:

أيرجو بنو مروانَ سَمْعي وطاعَتي   وقومي تميمٌ والفَلاةُ ورائيا[1]

وقال آخر:

أليسَ ورائي أنْ أدبَّ على العصا   فيأمَنَ أعداءٌ ويسأمَني أهلي[2]

وقال ابن عطية[3]: وقوله: «وراءَهم» عندي هو على بابه، وذلك أنَّ هذه الألفاظ إنَّما تجيء يُراعى بها الزَّمن، والذي يأتي بعدُ هو الوراء، وهو ما خلف، وذلك بخلاف ما يظهر باديَ الرأي، وتأمَّلْ هذه الألفاظ في مواضِعها حيث وردَتْ تجِدْها تطَّرِدُ، فهذه الآية معناها: إنَّ هؤلاء وعملَهم وسعيَهم يأتي بعدَه في الزَّمن غصبُ هذا الملك، ومن قرأ: «أمامَهم» أراد في المكان، أي: إنَّهم كانوا يسيرون إلى بلده. وقوله تعالى في التوراة والإنجيل: إنَّها بين يَدَي القرآن[4]، مُطَّرِدٌ على ما قلناه في الزَّمن. وقوله: ﴿مِّن وَرَآئِهِمْ جَهَنَّمُ﴾ مُطَّردٌ كما قُلنا من مراعاة الزَّمن. وقولُ النبيِّ ﷺ: «الصلاةُ أمامَك»[5] يريد في المكان، وإلَّا فكونُهم في ذلك الوقت كان أمامَ الصلاة في الزَّمن. وتأمَّلْ هذه المقالة فإنَّها مُريحةٌ من شغَبِ هذه الألفاظ. ووقعَ لقَتادة في كتاب الطبري: «وكان وراءَهم مَلِكٌ»، قال قَتادة: أمامَهم، ألا ترى أنَّه يقول: ﴿مِّن وَرَآئِهِمْ جَهَنَّمُ﴾ وهي بينَ أيديهم. وهذا القول غيرُ مستقيم، وهذه هي العُجْمَة التي كان الحسن بن أبي الحسن يضِجُّ منها. قاله الزجاج[6]. ويجوز إن

---

(١) البيت في النوادر لأبي زيد ص٤٥، والكامل للمبّرد ٢/ ٦٢٨، والأضداد لابن السكيت ص١٧٦، والأضداد للأصمعي ص٢٠.
ونسبه أبو عبيدة في مجاز القرآن ٢/ ٢٨٠ لمساور بن حمآن، ونسبه ابن دريد في الجمهرة ٣/ ٤٩٥ للفرزدق.

(٢) البيت لعروة بن الورد، وهو في ديوانه ص١١٤. وفيه «فيشمت» بدل «فيأمن».

(٣) في المحرر الوجيز ٣/ ٥٣٥.

(٤) يريد قوله تعالى في سورة آل عمران (الآية: ٣): ﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ﴾.

(٥) أخرجه البخاري (١٣٩)، ومسلم (١٢٨٠)، وأحمد (٢١٧٤٢) من حديث أسامة بن زيد ﷺ.

(٦) في معاني القرآن له ٣/ ٣٠٥.

كان رجوعُهم في طريقهم على الغاصب، فكان «وراءَهم» حقيقةً. انتهى. وهو كلامٌ فيه تكثيرٌ، وكأنَّه ينظر إلى ما قال الفرَّاء[1]. لا يجوز أن يُقال للرجل بين يديك: هو وراءَك، إنَّما يجوز ذلك في المواقيت من الليالي والأيام والدهر، تقول: وراءَك بَرْدٌ شديد، وبين يديكَ بَرْدٌ شديد، جازَ الوجهان؛ لأنَّ البردَ إذا لحِقَكَ صار مِنْ ورائِك، وكأنَّك إذا بلَغْتَه صار بين يديك. قال: إنَّما جازَ هذا في اللغة؛ لأنَّ ما بين يديك وما قُدَّامَك إذا توارى عنك فقد صار وراءك.

وقال أبو علي: إنَّما جاز استعمالُ «وراءَ» بمعنى أمام على الاتِّساع؛ لأنَّها جهةٌ مقابلةٌ لجهة، فكانت كلُّ واحدةٍ من الجهتين وراءَ الأخرى إذا لم يردْ معنى المواجهة. ويجوز ذلك في الأجرام التي لا وجهَ لها مثل حجَرين متقابِلَين كلُّ واحدٍ منهما وراءَ الآخر. وأكثرُ أهل اللغة على أنَّ «وراء» من الأضداد. انتهى.

قيل: واسم هذا الملك هُدَد بن بُدَد، وكان كافراً. وقيل: اسمه الجَلَنْدي ملك غسان[2].

وقوله: ﴿فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ﴾ في هذا حذفٌ، وهو أنَّ المعنى: وكان كافراً. وكذا وُجِدَ في مصحف أُبيٍّ[3]. وقرأ ابنُ عباس: «وأما الغلام فكان كافراً وكان أبواه مؤمِنَين»[4]. ونُصَّ في الحديث على أنَّه كان كافراً مطبوعاً على الكفر[5].

ويُراد بأبويه أبوه وأمُّه، ثنَّى تغليباً من باب القَمَرين في القمر والشمس، وهي تثنيةٌ لا تنقاس.

(١) في معاني القرآن له ٢/ ١٥٧.

(٢) تفسير الثعلبي ٤/ ١٤١-١٤٢، والمحرر الوجيز ٣/ ٥٣٥، والنكت والعيون ٣/ ٣٣٣ وفيه: مندلة بن جندلي.

(٣) النكت والعيون ٣/ ٣٣٤، وأخرجها عبد الرزاق في تفسيره ١/ ٤٠٧، ومن طريقه الطبري ٣/ ٣٥٧.

(٤) زاد المسير ٥/ ١٧٩، وأخرجها البخاري (٤٧٢٥)، ومسلم (٢٣٨٠). وهي في معاني القرآن للنحاس ٤/ ٢٧٧ بتقديم وتأخير: «وكان أبواه مؤمنين وكان كافراً».

(٥) الكلام في المحرر الوجيز ٣/ ٥٣٦، والحديث أخرجه مسلم (٢٣٨٠) و(٢٦٦١)، وأحمد (٢١١١٨) عن أبي بن كعب ﷺ.

وقرأ أبو سعيد الخدري، والجَحْدَري: «فكان أبواه مؤمنان»[١]. فخرَّجه الزمخشري، وابن عطية، وأبو الفضل الرازي على أنَّ في «كان» ضمير الشأن، والجملة في موضع خبر لـ «كان»، وأجاز أبو الفضل الرازي أن يكون «مؤمنان» على لغة بني الحارث بن كعب، فيكون منصوباً، وأجاز أيضاً أن يكون في «كان» ضمير «الغلام»، والجملة خبر «كان».

﴿فَخَشِينَآ﴾ أي: خِفْنا أن يُغشيَ الوالدَيْن المؤمنَيْن طغياناً عليها وكفراً لنعمتِهما بعقوقه وسوء صنيعه، ويُلحِقَ بهما شرًّا وبلاءً، أو يقرنَ بإيمانهما طغيانَه وكفرَه، فيجتمعَ في بيتٍ واحدٍ مؤمنان وطاغٍ وكافرٍ، أو يُعديهما بدائه، ويُضِلَّهما بضلاله، فيرتَدَّا بسببه ويطغيا ويكفُرا بعدَ الإيمان، وإنَّما خشي الخَضِرُ منه ذلك؛ لأنَّ الله عزَّ وعلا أعلمه بحالِه وأطلَعَه على سِرِّ أمرِه، وأمرهُ بقتلِه، كاخترامِه لمفسدةٍ عرَفَها في حياته. وفي قراءة أُبيٍّ: «فخافَ رَبُّكَ» والمعنى: فكَرِهَ ربُّك كراهةَ مَنْ خاف سوءَ عاقبةِ الأمرِ فغيَّره. ويجوز أن يكون قولُه: ﴿فَخَشِينَآ﴾ حكايةً لقول الله عزَّ وجلَّ، بمعنى: فكَرِهْنا، كقوله: ﴿لِأَهَبَ لَكِ﴾ [مريم: ١٩]. قاله الزمخشري[٢]. وفي قوله: كاخترامه لمفسدةٍ عرفَها في حياته، مذهَبُ المعتزلة في قولهم بالأجَلين.

والظاهرُ إسنادُ فِعْلِ الخشية في «خشينا» إلى ضمير الخَضِرِ وأصحابه الصالحين الذين أهمَّهم الأمرُ وتكلَّموا. وقيل: هو في جهة الله. وعنه عبَّرَ الخَضِرُ وهو الذي قال فيه الزمخشري: ويجوز أن يكون... إلى آخر كلامه. قال الطبري: ومعناه: فعَلِمْنا. وقال غيره: معناه: فكَرِهْنا. قال ابن عطية[٣]: والأظهَرُ عندي في توجيه هذا التأويلِ - وإن كان اللفظُ يدافِعُه ـ أنَّها استعارةٌ، أي: على ظَنِّ المخلوقين والمخاطبين، لو عَلِموا حالَه لوقعَتْ منهم خشيةُ الرَّهَقِ للوالدين.

(١) المحتسب ٢/ ٣٣، والمحرر الوجيز ٣/ ٥٣٦ عن أبي سعيد، والكشاف ٢/ ٤٩٥ عن الجحدري.

(٢) في الكشاف ٢/ ٤٩٥-٤٩٦، وقراءة أُبيٍّ في معاني القرآن للفراء ٢/ ١٥٧، والنكت والعيون ٣/ ٣٣٤، وهي قراءة ابن مسعود كما سيأتي.

(٣) في المحرر الوجيز ٣/ ٥٣٦، وما قبله منه، وكلِمَتا: «فعلِمْنا» و«غيره» منه ومن (ز١)، وكلام الطبري في تفسيره ١٥/ ٣٥٧.

وقرأ ابن مسعود: «فخافَ ربُّكَ»[(١)]. وهذا بَيِّنُ الاستعارة في القرآن في جهة الله تعالى من «لعَلَّ» و«عسى»، فإنَّ جميعَ ما في هذا كلِّه من تَرَجٍّ وتوقُّعٍ وخوفٍ وخشيةٍ إنَّما هو بحسبكم أيُّها المخاطبون.

و«يُرهِقهما» معناه: يُجَشِّمُهما ويُكلِّفُهما بشدَّة، والمعنى: أن يُلقيَهما حبُّه في اتِّباعه.

وقرأ نافع، وأبو عمرو، وأبو جعفر، وشيبة، وحُميد، والأعمش، وابن جرير: «أن يُبَدِّلَهما» بالتشديد هنا وفي «التحريم» [الآية: ٥] و«القلم» [الآية: ٣٢]. وقرأ باقي السبعةِ، والحسن، وابن مُحَيْصِن بالتخفيف[(٢)].

و«الزكاةُ» هنا: الطهارةُ والنَّقاءُ من الذنوب وما ينطوي عليه من شرف الخلق والسكينة. و«الرُّحْمُ» و«الرَّحمةُ»: العطف، مصدران، كالكُثْر والكَثْرة، و«أفْعَل» هنا ليست للتفضيل؛ لأنَّ ذلك الغلامَ لا زكاةَ فيه ولا رحمةَ.

والظاهر أنَّ قولَه: ﴿وَأَقْرَبَ رُحْمًا﴾ أي: يرحم[(٣)] والديه. وقال ابن جُريج: يرحمانه. وقال رُؤبة بن العجَّاج:

يا مُنْزِلَ الرُّحْمِ على إدريسا ومُنْزِلَ اللَّعنِ على إبليسا[(٤)]

وقرأ ابنُ عامر، وأبو جعفر في رواية، ويعقوب، وأبو حاتم: «رُحُماً» بضمِّ الحاء[(٥)].

وقرأ ابن عباس: «رَحِماً» بفتح الراء وكسر الحاء[(٦)]. وقيل: الرُّحْم من الرَّحِم والقرابة، أي: أوصَل للرَّحم[(٧)]. قيل: ولدَتْ غلاماً مسلماً[(٨)]. وقيل: جاريةً تزوَّجها نبيٌّ، فولدَتْ نبيًّا هدى اللهُ على يديه أمةً من الأمم[(٩)]. وقيل: ولدَتْ سبعين

(١) أخرجها عنه الطبري ١٥/ ٣٥٧.
(٢) ينظر السبعة ص٣٩٧، والتيسير ص١٤٥، والنشر ٢/ ٣١٤.
(٣) المثبت من (ز١)، وفي باقي النسخ: رحمة. وينظر المحرر الوجيز ٣/ ٥٣٦ فالكلام منه.
(٤) ملحق ديوان رؤبة ص١٧٥.
(٥) ينظر السبعة ص٣٩٧، والتيسير ص١٤٥، والنشر ٢/ ٢١٥.
(٦) زاد المسير ٥/ ١٨٠ عن ابن عباس وابن جبير وأبي رجاء.
(٧) تفسير الثعلبي ٤/ ١٤٢، وزاد المسير ٥/ ١٨٠.
(٨) المحرر الوجيز ٣/ ٥٣٦.
(٩) تفسير الثعلبي ٤/ ١٤٢.

نبيًّا. رُوي ذلك عن ابن عباس. قال ابن عطية[١]: وهذا بعيدٌ، ولا تُعرَفُ كثرةُ الأنبياء إلَّا في بني إسرائيل، ولم تكن هذه المرأةُ منهم. انتهى.

ووَصْفُ الغلامين باليُتم يدلُّ على أنَّهما كانا صغيرَين، وفي الحديث: «لا يُتْمَ بعد بلوغ»[٢] أي: كانا يتيمين على معنى الشفقة عليهما.

قيل: واسمهما أَصْرَم وصُرَيم، واسم أبيهما كاشح، واسم أمِّهما دَهْنَا[٣].

والظاهر في الكنز أنه مال مدفون جسيم ذهب وفضة. قاله عكرمة وقتادة[٤]. وقال ابن عباس وابن جُبير: كان علماً في صحف مدفونة[٥]. وقيل: لوح من ذهب فيه كلماتُ حكمةٍ وذِكْرٍ[٦]. وقد ذكرها المُفسِّرون في كتبهم، ولا نُطوِّل بذكرِها.

والظاهر أنَّ أباهما هو الأقرب إليهما الذي ولدهما دِنيةً. وقيل: السابع. وقيل: العاشر. وحُفِظَ هذان الغلامان بصلاح أبيهما، وفي الحديث أنَّ الله يحفظ الرجلَ الصالحَ في ذرِّيَّتِه[٧].

---

(١) في المحرر الوجيز ٣/ ٥٣٦.

(٢) لم أجده بهذا اللفظ في المصادر الحديثية، وإنما هو بلفظ: «لا يُتْمَ بعد احتلام»، وأخرجه أبو داود (٢٨٧٣) وغيره من حديث علي بن أبي طالب ﷺ.
وأخرجه الطيالسي (١٧٦٧)، وعبد الرزاق في المصنف (١٣٨٩٩) من حديث جابر بن عبد الله ﷺ. وأخرجه الطبراني في الكبير (٣٥٠٢) وغيره من حديث حنظلة ﷺ.
والحديث حسن بمجموع هذه الطرق كما هو مُبيَّنٌ في سنن أبي داود (طبعة مؤسسة الرسالة).

(٣) تفسير الثعلبي ٤/ ١٤٣ دون ذكر اسم أمه.

(٤) المحرر الوجيز ٣/ ٥٣٧، ومجمع البيان ١٦/ ١٩٥. وأخرجه البخاري في التاريخ الكبير ٨/ ٣٦٩، والترمذي (٣١٥٢)، والحاكم ٢/ ٣٦٩ عن أبي الدرداء ﷺ مرفوعاً. وصحَّحه الحاكم، لكن تعقَّبه الذهبي بقوله: بل يزيد بن يوسف متروك، وإن كان حديثه أشبه بمسمى الكنز.

(٥) تفسير الثعلبي ٤/ ١٤٣، والمحرر الوجيز ٣/ ٥٣٧، وأخرجه عنهما الطبري ١٥/ ٣٦٢.

(٦) النكت والعيون ٣/ ٣٣٦ عن الحسن، والكشاف ٢/ ٤٩٦ وذكر أنه مكتوب فيه: عجبتُ لمن يؤمن بالقدر كيف يحزن؟ وعجبتُ لمن يؤمن بالرزق كيف يتعب؟ وعجبتُ لمن يؤمن بالموت كيف يفرح؟ وعجبتُ لمن يؤمن بالحساب كيف يغفل؟ وعجبتُ لمن يعرف الدنيا وتقلُّبها كيف يطمئنُّ إليها؟ لا إله إلا الله، محمد رسول الله.

(٧) المحرر الوجيز ٣/ ٥٣٧. وأخرج ابن المبارك في الزهد (٣٣٠)، وأبو نعيم في الحلية =

وانتصبَ «رحمةً» على المفعول له. وأجازَ الزمخشري[١] أن يُنصبَ على المصدر بـ: أراد. قال: لأنَّه في معنى: رَحِمَهما. وأجاز أبو البقاء[٢] أن ينتصِبَ على الحال، وكلاهما مُتكلَّف.

﴿وَمَا فَعَلْتُهُ﴾ أي: وما فعلتُ ما رأيتَ من خَرْقِ السفينة وقَتْلِ الغلام وإقامةِ الجدارِ عن اجتهادٍ منِّي ورأيٍ، وإنَّما فعلتُه بأمر الله[٣]. وهذا يدلُّ على أنَّه نبيٌّ أوحي إليه. و«تَسْطِع» مضارع اسطاع بهمزة الوصل. قال ابنُ السِّكِّيت: يقال: ما استُطيع، وما اسطيع، وما استُتيع، واستيع؛ أربع لغات، وأصلُ «اسطاع» استطاع على وزن استفعل، فالمحذوف في اسْطاع تاءُ الافتعال؛ لوجود الطاء التي هي أصل، ولا حاجةَ تدعو إلى أنَّ المحذوف هي الطاء التي هي فاء الفعل، ثمَّ أبدلوا من تاء الافتعال طاءً، وأمَّا «استُتيع» ففيه أنَّهم أبدلوا من الطاء تاءً، وينبغي في «تستيع» أن يكون المحذوفُ تاءَ الافتعال كما في «تسطيع».

وفي كتاب «التحرير والتحبير» ما نصُّه: تعلَّقَ بعضُ الجُهَّال بما جرى لموسى مع الخَضِرِ عليهما السلام على أنَّ الخَضِرَ أفضلُ من موسى، وطَرَّدوا الحُكم وقالوا: قد يكون بعضُ الأولياء أفضلَ من آحاد الأنبياء، واستدلُّوا أيضاً بقول أبي يزيد: خُضْت بحراً وقفَ الأنبياءُ على ساحِله[٤]. وهذا كلُّه من ثمرات الرُّعونةِ

= ٣/١٤٨، والواحدي في الوسيط ٣/١٦٣ عن محمد بن المنكدر قال: إن الله عزَّ وجلَّ ليحفظ بصلاح العبد ولدَه، وولدَ ولدِه، وأهلَ دويرتِه، وأهلَ دُويراتٍ حولَه، فما يزالون في حفظ الله تعالى ما دام فيهم. وذكره الماوردي في النكت والعيون ٣/٣٣٦ وقال بعده: وروى أبو سعيد الخدري عن النبي ﷺ مثله.
قلت: ولم أقف عليه من حديث أبي سعيد ولا من حديث غيره.

(١) في الكشاف ٢/٤٩٦.
(٢) في الإملاء ٢/١٠٧.
(٣) الكشاف ٢/٤٩٦.
(٤) قال ابن حجر الهيتمي في الفوائد الحديثية ص٣٢٠: هذا القول لم يصحَّ عنه ـ يعني عن أبي يزيد البسطامي ـ وإن صحَّ عنه. . . فذكر كلاماً مطولاً في توجيهه.
وقال في موضع آخر من الفتاوى ص١٣٠-١٣١: ومعنى هذا أنَّ الأنبياء وقفوا بسواحل بحار الشهوات والإرادات ونحوهما ينقذون أتباعهم من الغرق في البحار، فهو غايةٌ في مدحهم والثناء عليهم، وليس فيه شيء من الاعتراض إلا ما يتبادر من ظاهره ما زعمه =

والظِّنَّةِ بالنَّفس. انتهى. وهكذا سمِعْنا مَنْ يحكي هذه المقالةَ عن بعضِ الضالِّين المُضِلِّين وهو ابن العربي الطائي الحاتمي صاحب «الفتوح المكية»، فكان ينبغي أن يُسمَّى بالقُبوح الهَلَكية، وأنَّه كان يزعم أنَّ الوليَّ خيرٌ من النبيِّ؛ قال: لأنَّ الولي يأخذ عن الله بغير واسطة، والنبيُّ يأخذ بواسطة عن الله، ولأنَّ الوليَّ قاعدٌ في الحضرة الإلهية، والنبيُّ مرسلٌ إلى قوم، ومن كان في الحضرة أفضلُ ممَّن يرسلُه صاحبُ الحضرة، إلى أشياءَ من هذه الكفريات والزندقة، وقد كَثُرَ مُعظِّمو هذا الرجل في هذا الزمان من غُلاة الزنادقة القائلة بالوحدة، نسألُ اللهَ السلامةَ في أدياننا وأبداننا.

❁ ❁ ❁

﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ ۖ قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ
وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا ﴿٨٤﴾ فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٥﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ
حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا ۗ قُلْنَا يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ﴿٨٦﴾ قَالَ أَمَّا مَن
ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨٧﴾ وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً
ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴿٨٨﴾ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ
عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا ﴿٩٠﴾ كَذَٰلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا ﴿٩١﴾ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا
﴿٩٢﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴿٩٣﴾ قَالُوا۟ يَٰذَا
ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾
قَالَ مَا مَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى خَيْرٌ فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾ ءَاتُونِى زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا
سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ قَالَ ٱنفُخُوا۟ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا قَالَ ءَاتُونِىٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴿٩٦﴾ فَمَا ٱسْطَٰعُوٓا۟
أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ لَهُۥ نَقْبًا ﴿٩٧﴾ قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّى ۖ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّى جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ ۖ وَكَانَ
وَعْدُ رَبِّى حَقًّا ﴿٩٨﴾ ۞ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِى بَعْضٍ ۖ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَجَمَعْنَٰهُمْ جَمْعًا ﴿٩٩﴾
وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَٰفِرِينَ عَرْضًا ﴿١٠٠﴾ ٱلَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِى غِطَآءٍ عَن ذِكْرِى وَكَانُوا۟ لَا
يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا ﴿١٠١﴾ أَفَحَسِبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن يَتَّخِذُوا۟ عِبَادِى مِن دُونِىٓ أَوْلِيَآءَ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ

= المعترض على المتكلِّمين بهذه الكلمة، حيث زعم أنهم يفضِّلون الأولياء على الأنبياء، ومَعاذ الله أن يصدر ذلك من أحدٍ منهم؛ لأنَّهم أعرَفُ بالله وبأحكامه وبالأنبياء ومراتبهم من غيرهم.

لِلْكَٰفِرِينَ نُزُلًا ﴿١٠٢﴾ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ
أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ أُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ
ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا ﴿١٠٥﴾ ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا۟ وَٱتَّخَذُوٓا۟ ءَايَٰتِى وَرُسُلِى هُزُوًا ﴿١٠٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟
وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴿١٠٨﴾ قُل لَّوْ
كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾ قُلْ
إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا
وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾.

المفردات «السَّد»: الحاجز والحائل بين الشيئين، ويُقال بالضم وبالفتح(١).

«الرَّدْم»: السَّد. وقيل: الرَّدم أكثرُ من السَّدِّ؛ لأنَّ الرَّدمَ ما جُعِلَ بعضُه على بعض؛ يُقال: ثوبٌ مُرَدَّم، إذا كان قد رُقِعَ رُقعةً فوق رُقعة(٢). وقيل: سدُّ الخلل؛ قال عنترة:

هَـلْ غـادرَ الـشُّـعـراءُ مـن مُـتَـرَدَّمِ(٣)

أي: خللٍ في المعاني فيسُدُّ رَدْماً.

«الزُّبْرة»: القطعة، وأصلُه الاجتماع، ومنه زُبْرةُ الأسد؛ لِما اجتمع على كاهله من الشعر، وزَبَرْتُ الكتاب: جمعتُ حروفه(٤).

«الصَّدَفان»: جانبا الجبل إذا تحاذَيا؛ لتصادفهما [أي]: لتلاقيهما. قاله الأزهري(٥). ويُقال: «صدَف» بضمِّهما وبفتحهما، وبضمِّ الصاد وسكون الدال، وعكسه(٦). قال بعض اللُّغويين: وفتحُهما لغة تميم، وضمُّهما لغة حِمْيَر(٧). وقال

(١) زاد المسير ٥/ ١٩٠.
(٢) قاله الزجاج في معاني القرآن له ٣/ ٣١١.
(٣) ديوان عنترة ص١٨٢ (طبعة المكتب الإسلامي)، وعجزه:

أم هَـلْ عـرفْـتَ الـدَّارَ بـعـدَ تـوهُّـمِ

(٤) ينظر تهذيب اللغة ١٣/ ١٩٦-١٩٨، والصحاح (زبر).
(٥) في تهذيب اللغة ١٢/ ١٤٦، وما تقدم بين حاصرتين منه.
(٦) الكشاف ٢/ ٤٩٩.
(٧) زاد المسير ٥/ ١٩٢.

أبو عبيد[١]: «الصَّدَف»: كلُّ بناءٍ عظيم مرتفع.

«القِطْر»: النُّحاس المُذاب في قول الأكثرين. وقيل: الحديد المُذاب. وقيل: الرصاص المُذَاب[٢].

«النَّقْب» مصدر نَقَبَ، أي: حفر وقَطَع.

«الغطاء» معروف، وجمعه أغطية، وهو من غطَّى، إذا ستر.

«الفردوس» قال الفرَّاء: البستان الذي فيه الكرم. وقال ثعلب: كلُّ بستان يُحَوَّط عليه فهو فردوس[٣].

* * *

التفسير ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ ۖ قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا ﴿٨٤﴾ فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٥﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا ۗ قُلْنَا يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ﴿٨٦﴾ قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨٧﴾ وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴿٨٨﴾ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا ﴿٩٠﴾ كَذَٰلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا ﴿٩١﴾﴾.

الضمير في «ويسألونك» عائدٌ على قريشٍ أو على اليهود، والمشهور أنَّ السائلين قريشٌ حين دسَّتْها اليهودُ على سؤاله عن الروح والرجل الطوَّاف وفتيةٍ ذهبوا في الدهر؛ ليقعَ امتحانُه بذلك. وذو القرنين: هو الإسكندر اليوناني. ذكره ابن إسحاق. وقال وهب: هو روميٌّ. وهل هو نبيٌّ أو عبدٌ صالح ليس بنبيٍّ؟

(١) تحرف في النسخ جميعها وفي نسخة الآلوسي كما في روح المعاني ١٥/ ٥٧٣ إلى: أبو عبيدة. والكلام لأبي عبيد كما في غريب الحديث له ١/ ٧٧-٧٨، وهو عنه في تهذيب اللغة ١٢/ ١٤٧، والنهاية لابن الأثير (صدف)، وتفسير القرطبي ٣/ ٣٨٧، والدر المصون ٧/ ٥٤٩.

(٢) المحرر الوجيز ٣/ ٥٤٣، والقول الأول أخرجه الطبري ١٥/ ٤٠٩-٤١٠ عن ابن عباس ومجاهد وقتادة والضحاك. والقول الثاني قاله أبو عبيدة في مجاز القرآن ١/ ٤١٥.

(٣) زاد المسير ٥/ ١٩٩ و٢٠٠.

قولان. وقيل: كان مَلَكاً من الملائكة[١]. وهذا غريب. قيل: ملَكَ الدنيا مؤمنان؛ سليمان وذو القرنين، وكافران؛ نُمروذ وبُخْتَنَصَّر، وكان بعد نُمروذ[٢]. وعن عليٍّ: كان عبداً صالحاً ليس بملَكٍ ولا نبيٍّ، ضُرِبَ على قرنِه الأيمن في طاعة الله فمات[٣]، ثمَّ بعثه الله، فضُرِبَ على قرنه الأيسر فمات، فبعثه الله، فسُمِّي ذا القرنين. وقيل: طاف قرنَي الدنيا، يعني جانبيها شرقَها وغربَها. وقيل: كان له قرنان، أي: ضفيرتان. وقيل: انقرضَ في وقتِهِ قرنان من الناس. وعن وهب: لأنَّه ملَكَ الرُّومَ وفارس، ورُوي: الروم والتُّرك. وعنه: كانت صفيحتا رأسه من نحاس. وقيل: كان لتاجه قرنان. وقيل: كان على رأسه ما يُشبه القرنين. قال الزمخشري[٤]: ويجوز أن يُسمَّى بذلك لشجاعته، كما يُسمَّى الشجاعُ كبشاً، كأنَّه ينطح أقرانه وكان من الروم وَلَدَ عجوزٍ ليس لها ولدٌ غيرُه. انتهى.

وقيل غير ذلك في تسميته ذا القرنين، والمشهور أنَّه الإسكندر. وقال أبو الرَّيحان البيروني المُنَجِّم[٥] صاحبُ كتاب «الآثار الباقية عن القرون الخالية»: هو أبو كَرْب سُمَيّ[٦] بن عمير[٧] بن إفريقس الحِمْيَري، بلغَ مُلكُه مشارقَ الأرض ومغاربَها، وهو الذي افتخرَ به أحدُ الشعراء من حِمْيَر حيث قال:

قَدْ كانَ ذو القرنينِ قبلي مُسلِماً ... مَلِكاً علا في الأرض غيْرَ مُبعَّدِ[٨]
بلغَ المشارِقَ والمغارِبَ يبتغي ... أسبابَ ملكٍ من كريمٍ سيِّدِ

---

(١) المحرر الوجيز ٣/ ٥٣٨، وبعضه في تفسير الثعلبي ٤/ ١٤٦.
(٢) زاد المسير ٥/ ١٨٥. وأخرجه ابن أبي شيبة ١١/ ٥٦٤، والطبري ٤/ ٥٧١-٥٧٢ عن مجاهد.
(٣) هكذا في (ز١)، وفي باقي النسخ: فمات في طاعة الله.
(٤) في الكشاف ٢/ ٤٩٧، وما قبله منه. وينظر بعض هذا الكلام في تفسير الثعلبي ٤/ ١٤٦، وزاد المسير ٥/ ١٨٤، وأخرج بعضها الطبري ١٥/ ٣٧٠-٣٧١.
(٥) هو محمد بن أحمد الخوارزمي، فيلسوف، رياضي، مؤرخ، من مؤلفاته: الاستيعاب في صنعة الاصطرلاب، والجماهر في معرفة الجواهر، وتاريخ الأمم الشرقية، وغيرها. توفي سنة (٤٤٠هـ). الأعلام ٥/ ٣١٤. وكلامه الآتي في تفسير الرازي ٢١/ ١٦٤.
(٦) المثبت من (ز١)، وتحرف في باقي النسخ إلى: أبو بكر بن سمي.
(٧) هكذا في جميع النسخ، وفي تفسير الرازي: عبير.
(٨) في تفسير الرازي: مفندي، وفي روح المعاني ١٥/ ٥٤١: مُفَنَّدِ.

قال أبو الرَّيحان: ويُشبِه أن يكون هذا القول أقربَ؛ لأنَّ الأذواء كانوا من اليمن، وهم الذين لا تخلو أسماؤهم من ذي، كذي المنار، وذي نُواس. انتهى.

والشِّعرُ الذي أنشده نُسِبَ أيضاً إلى تُبَّعٍ الحِمْيَري، وهو:

قد كان ذو القرنين جدِّي مسلماً[1]

وعن عليٍّ وابن عباس أنَّ اسمَه عبد الله بن الضحاك. وعن محمد بن عليٍّ بن الحسين: عياش. وعن أبي خَيْثمة: هو الصَّعب بن جابر بن القَلَمَّس[2]. وقيل: مَرْزُبان بن مرزبة اليوناني من ولد يونان بن يافث[3]. وعن عليٍّ: هو من القرون الأُوَل من ولد يافث بن نوح. وعن الحسن: كان بعد ثمود، وكان عمرُه ألفَ سنة وستَّ مئة. وعن وهب: كان في الفترة بين عيسى ومحمد ﷺ[4].

والخطاب في «عليكم» للسائلين؛ إمَّا اليهود وإمَّا قريش على الخلاف الذي سبق في السائلين.

وقوله: ﴿ذِكۡرًا﴾ يحتمل أن يُريد قرآناً، وأن يُريد حديثاً وخبراً. والتَّمكينُ الذي له في الأرض كونُه ملَكَ الدنيا، ودانَتْ له الملوكُ كلُّها.

قال بعض المفسِّرين[5]: والدليل على أنَّه الإسكندر أنَّ القرآنَ دلَّ على أنَّ الرجلَ المُسمَّى بذي القرنين بلغَ مُلْكُه إلى أقصى المغرب وإلى أقصى المشرق وإلى أقصى الشمال، بدليل أنَّ يأجوجَ ومأجوجَ قومٌ من التُّرك يسكنون في أقصى الشمال، وهذا الذي بلغَه ملكُ هذا الرجل هو نهاية المعمور من الأرض، ومثلُ هذا الملكِ البسيط لا شكَّ أنَّه على خلاف العادات، وما كان كذلك وجبَ أن يبقى ذِكْرُه مُخَلَّداً على وجه الدهر، وأن لا يكون مختفياً، والمَلِكُ الذي اسمُه في كتب التواريخ أنَّه بلَغَ ملكُه إلى هذا الحدِّ ليس إلَّا الإسكندر، وذلك أنَّه لمَّا مات أبوه

---

(١) وتتمته كما في فتوح مصر ١/ ١٠٣، وتاريخ دمشق ١٧/ ٣٣٢: ملكاً تدينُ له الملوكُ وتحسدُ. وفي المحرر الوجيز ٣/ ٥٣٩: ويحشُدُ. وفي البداية والنهاية ٢/ ٥٤٠: وتُحْشَدُ. وفي تفسير القرطبي ١٣/ ٣٧٠: وتسجدُ.

(٢) زاد المسير ٥/ ١٨٤، والقول الأول في النكت والعيون ٣/ ٣٣٧.

(٣) النكت والعيون ٣/ ٣٣٧، وتفسير البغوي ٣/ ١٧٨.

(٤) زاد المسير ٥/ ١٨٤.

(٥) وهو الرازي، والكلام الآتي في تفسيره ٢١/ ١٦٣-١٦٤.

جمع ملوكَ[1] الروم بعد أن كان مع طوائف، ثمَّ قصد ملوكَ العرب وقهرهم وأمعن حتى انتهى إلى البحر الأخضر، ثمَّ عاد إلى مصر وبنى الإسكندرية وسمَّاها باسم نفسه، ثمَّ دخل الشام وقصد بني إسرائيل، وورد بيت المقدس وذبحَ في مَذْبَحه، ثمَّ عطف إلى أرمينية، ودان له العراقيون والقِبطُ والبربرُ، ثمَّ نحوَ دَارَا بنِ دَارَا، وهزمه مراتٍ إلى أن قتلَه صاحبُ حربِه، واستولى الإسكندرُ على ممالك الفرس، وقصد الهند والصين، وغزا الأممَ البعيدةَ، ورجع إلى خُراسان، وبنى المُدنَ الكثيرةَ، ورجع إلى العراق، ومرِضَ بشهْرَزور، ومات بها، وورد في الأحاديث أنَّ الذين ملكوا الأرض أربعةٌ؛ مؤمنان، سليمان بن داود وذو القرنين، وقد تقدَّم ذِكْرُ ذلك، وثبت في علم التواريخ أنَّ الذي هذا شأنُه ما كان إلَّا الإسكندر، فوجب القَطعُ أنَّ المُرادَ بذي القرنين هو الإسكندر بن فيلفوس اليوناني.

وقيل: تمكينُه في الأرض بالنبوة وإجراء المعجزات. وقيل: تمكينُه بأنْ سخَّر له السحاب، وحملَه عليها وبسطَ له النورَ، فكان الليلُ والنهارُ عليه سواء[2]. وقيل: بكثرة أعوانه وجنوده، والهيبةِ والوقار، وقذفِ الرعب في أعدائه، وتسهيلِ السَّيرِ عليه، وتعريفِه فجاجَ الأرض، واستيلائِه على بَرِّها وبحرِها[3].

﴿وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾ أي: يحتاج إليه في الوصول إلى أغراضه ﴿سَبَبًا﴾ أي: طريقاً مُوصِلاً إليه، و«السَّببُ»: ما يُتوصَّلُ به إلى المقصود من علم أو قدرةٍ أو آلةٍ، فأراد بلوغ المغرب ﴿فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٥﴾﴾ يوصله إليه حتى بلغ، وكذلك أراد المشرق ﴿فَأَتْبَعَ سَبَبًا﴾ وأراد بلوغَ السدَّين ﴿فَأَتْبَعَ سَبَبًا﴾[4] وأصلُ «السبب» الحبلُ، ثم تُوسِّع فيه حتى صار يُطلَقُ على ما يُتوصَّل به إلى المقصود[5]. وقال الحسن: بلاغاً إلى حيثُ أراد[6].

(١) في النسخ: الملك، والمثبت من تفسير الرازي.
(٢) الوسيط ٣/ ١٦٤، وتفسير البغوي ٣/١٧٨، وزاد المسير ٥/ ١٨٤-١٨٥ عن علي ﷺ. وأخرجه أبو الشيخ في العظمة (٩٦٨).
(٣) ينظر الوسيط ٣/ ١٦٤، ومجمع البيان ١٦/ ١٩٩.
(٤) الكشاف ٢/ ٣٩٧.
(٥) تفسير الرازي ٢١/ ١٦٥.
(٦) تفسير الثعلبي ٤/ ١٤٧.

وقرأ زيد بن علي، والزُّهري، والأعمش، وطلحة، وابنُ أبي ليلى، والكوفيون، وابنُ عامر: «فأتْبَعَ» ثلاثتُها بالتخفيف. وقرأ باقي السبعة بالتشديد[١]. والظاهر أنَّهما بمعنى واحد[٢].

وعن يونس بن حبيب، وأبي زيد أنَّه بقطع الهمزة عبارة عن المُجِدِّ المُسرعِ الحثيثِ الطلب، وبوَصْلِها إنَّما يتضمَّن الاقتفاءَ دون هذه الصفات[٣].

وقرأ عبد الله، وطلحة بن عبيد الله، وعمرو بن العاص، وابن عمر، وعبد الله بن عمرو، ومعاوية، والحسن، وزيد بن علي، وابن عامر، وحمزة، والكسائي: «حامية» بالياء، أي: حارَّة. وقرأ ابن عباس، وباقي السبعة، وشيبة، وحُميد، وابنُ أبي ليلى، ويعقوب، وأبو حاتم، وابن جُبير الأنطاكي: «حَمِئَة» بهمزة مفتوحة[٤]، والزُّهري يُلينها[٥]؛ يقال: حمِئَتِ البئرُ تَحْمَأُ حَمَأً فهي حَمِئةٌ، وحمأتُها: نزعتُ حَمْأتَها، وأحمأتُها: ألقيتُ فيها الحَمْأة[٦]. ولا تنافي بين الحامية والحَمِئة، إذ تكون العينُ جامعةً للوصفين[٧]. وقال أبو حاتم: وقد تُمكن أن تكونَ «حامية» مهموزة بمعنى: ذات حمأة، فتكون القراءتان بمعنًى واحد، يعني أنَّه سُهِّلتِ الهمزةُ بإبدالها ياءً؛ لكسرةِ ما قبلها.

وفي التوراة: «تغرُبُ في ماءٍ وطين»[٨]، وقال تُبَّع:

فرأى مَغيبَ الشَّمس عندَ مآبِها ... في عينِ ذي خُلُبٍ وَثَأْطٍ حَرْمَدِ

أي: في عينِ ماءٍ ذي طينٍ وحَمٍ أسود[٩]. وفي حديث أبي ذرٍّ، أنَّ رسولَ الله ﷺ نظرَ إلى الشمس عند غروبها فقال: «أتدري أين تغربُ يا أبا ذرٍّ؟» فقلتُ: لا.

(١) ينظر السبعة ص٣٩٧-٣٩٨، والتيسير ص١٤٥.
(٢) ينظر الصحاح (تبع).
(٣) المحرر الوجيز ٣/ ٥٣٩ بنحوه.
(٤) ينظر السبعة ص٣٩٨، والتيسير ص٤٥، والنشر ٢/ ٣١٤.
(٥) يعني من غير همز: «حَمِيَة»، وذكرها العكبري في الإملاء ٢/ ١٠٧ من غير نسبة.
(٦) معاني القرآن للزجاج ٣/ ٣٠٨، وللنحاس ٤/ ٢٨٧.
(٧) الكشاف ٢/ ٤٩٧.
(٨) هو من كلام كعب الأحبار. وينظر تفسير عبد الرزاق ١/ ٤١١، وتفسير الطبري ١٥/ ٣٧٥.
(٩) الكشاف ٢/ ٤٩٧.

فقال: «إنَّها تغربُ في عين حامية»[١]. وهذا الحديثُ وظاهرُ النَّصِّ دليلٌ على أنَّ قوله: «في عين» مُتعلِّقٌ بقوله: «تغرب» لا ما قاله بعضُ المُتعسِّفين: إنَّ قولَه: «في عينٍ حَمِئَةٍ» إنَّما المرادُ أنَّ ذا القرنين كان فيها، أي: هي آخر الأرض، ومعنى «تغرب في عين» أي: فيما ترى العينُ، لا أنَّ ذلكَ حقيقةٌ كما نُشاهدها في الأرض الملساء كأنَّها تدخل في الأرض. ويجوز أن تكون هذه العين من البحر، ويجوز أن تكون الشمسُ تغيبُ وراءَها[٢].

وزعم بعضُ البغداديين أنَّ «في» بمعنى «عند»، أي: تغرب عند عين.

﴿وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا﴾ أي: عند تلك العين. قال ابن السائب: مؤمنين وكافرين. وقال غيره: كفرةً، لباسُهم جلودُ السباع، وطعامُهم ما أحرقَتْه الشمسُ من الدوابِّ، وما لفظَتْه العينُ من الحوتِ إذا غربَتْ[٣].

وقال وهب: انطلقَ يؤمُّ المغربَ إلى أنِ انتهى إلى باشَك، فوجد جمعاً لا يُحصيهم إلَّا الله، فضرب حولَهم ثلاثةَ عساكر، حتى جمعَهم في مكان واحد، ثمَّ دخل عليهم في النُّور ودعاهم إلى عبادة الله، فمنهم مَنْ آمن، ومنهم من صدَّ عنه[٤].

وقال أبو زيد السُّهيلي: هم أهل جابَرْس[٥]. ويقال لها بالسريانية: جرجيسا، يسكنها قومٌ من نسل ثمود، بقيَّتُهم الذين آمنوا بصالح عليه السلام.

وظاهر قوله: ﴿قُلْنَا﴾ أنَّه أوحى الله إليه على لسان مَلَك. وقيل: كلَّمه كفاحاً من غير رسول، كما كلَّم موسى عليه السلام. وعلى هذين القولين يكون نبيًّا، ويَبْعُدُ ما قاله بعض المتأوِّلين: إنَّه إلهامٌ وإلقاءٌ في رُوعِه؛ لأنَّ مثلَ هذا التخيير لا يكون

---

(١) أخرجه الحاكم ٢/ ٢٤٤. وذكره الثعلبي في تفسيره ٤/ ١٤٧.

(٢) تفسير القرطبي ١٣/ ٣٧٠، ونقل القول الأول عن القفال عن بعض أهل العلم، والثاني عن ابن قتيبة.

(٣) زاد المسير ٥/ ١٨٩.

(٤) تفسير القرطبي ١٣/ ٣٧١، وهو جزء من سياق طويل في عرائس المجالس ص٣٦٤-٣٦٦. وأخرجه الطبري ١٥/ ٣٩٠-٣٩٨، وأبو الشيخ في العظمة (٩٧٣). وباشَك: ناحية بالأندلس. معجم البلدان ١/ ٣٢٣.

(٥) في النسخ: جابوس، بالواو بعد الباء، والمثبت من التعريف والإعلام ص١٠٨، وتفسير القرطبي ١٣/ ٣٧٠. وينظر معجم البلدان ٢/ ٩٠.

إلَّا بوحي؛ إذِ التكاليفُ وإزهاقُ النفوس لا تتحقَّق بالإلهام إلَّا بالإعلام.

وقال عليُّ بن عيسى: المعنى: قلنا: يا محمد، قالوا: يا ذا القرنين، ثم حُذِفَ القول[1]؛ لأنَّ ذا القرنين لم يصحَّ أنَّه نبيٌّ فيخاطبه الله، وعلى هذا يكون الضمير الذي في «قالوا» المحذوفة يعودُ على جنده وعسكره الذين كانوا معه[2].

وقوله: ﴿إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ﴾ بالقتل على الكفر، ﴿وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا﴾ أي: بالحمل على الإيمان والهدى، والمعنى: إمَّا أن يكفر فتُعذِّب، وإمَّا أن يؤمن فتُحْسِن، فعبَّر في التخيير بالمسبَّب عن السبب. قال الطبري: اتِّخاذ الحُسن هو أَسْرُهم مع كفرِهم، يعني أنَّه خُيِّر مع كفرِهم بين قتلِهم وبين أسرِهم[3].

وتفصيل ذي القرنين؛ «أمَّا مَنْ ظلم»، «وأمَّا مَنْ آمن»، يدفع هذا القولَ.

ولمَّا خيَّره تعالى بين تعذيبهم ودعائهم إلى الإسلام اختار الدعوة والاجتهاد في استمالتهم، فقال: أمَّا مَنْ دعوتُه فأبى إلَّا البقاءَ على الظلم وهو الكفر هنا بلا خلاف، فذلك هو المُعذَّب في الدارين، وأمَّا مَنْ آمن وعمل ما يقتضيه الإيمان فله جزاء الحسنى[4].

وأتى بحرف التنفيس في «فسوفَ نُعذِّبُه» لِما يتخلَّلُ بين إظهارِه كفرَه وبين تعذيبه من دعائه إلى الإيمان وتأبِّيه عنه، فهو لا يُعاجِلُهم بالقتل على ظلمهم، بل يدعوهم ويُذكِّرهم، فإنْ رَجعوا وإلَّا فالقتل.

وقوله: ﴿ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ﴾ أي: يوم القيامة، وأتى بنون العظمة في «نُعذِّبه» على عادة الملوك في قولهم: نحن فعلنا.

وقوله: ﴿إِلَىٰ رَبِّهِۦ﴾ فيه إشعارٌ بأن التخيير لذي القرنين ليس من الله تعالى؛ إذ لو كان كذلك لكان التركيبُ: ثم يُرَدُّ إليك فتُعذِّبه. ولا يَبعُدُ أن يكون التخيير

---

(١) في (يه) والمطبوع: ثم حذف القول الأول.

(٢) الكلام بنحوه في إعراب القرآن للنحاس ٢/ ٤٧٠، ومعاني القرآن له ٤/ ٢٨٨ عن علي بن سليمان: وهو الأخفش الصغير.

(٣) المحرر الوجيز ٣/ ٥٣٩-٥٤٠، وكلام الطبري في تفسيره ١٥/ ٣٧٩.

(٤) الكشاف ٢/ ٤٩٧.

من الله، ويكون قد أعلَمَ ذو القرنين بذلك أتباعَه، ثمَّ فصلَ مخاطباً لأتباعه لا لربِّه تعالى، وما أحسنَ مجيءَ هذه الجُمَلِ!

لمَّا ذكرَ ما يستحِقُّه من ظلم بدأ بما هو أقربُ لهم ومحسوسٌ عندهم وهو قوله: ﴿فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ﴾، ثمَّ أخبر بما يلحقُه آخراً يوم القيامة وهو تعذيبُ الله إيَّاه العذابَ النُّكْرَ، ولأنَّ الترتيبَ الواقعَ هو كذا، ولمَّا ذكرَ ما يستحقُّه مَنْ آمن وعملَ صالحاً ذكرَ جزاءَ الله له في الآخرة، وهو الحُسنى، أي: الجنة؛ لأنَّ طمعَ المؤمن في الآخرة ورجاءَه هو الذي حملَه على أنْ آمنَ لأجل جزائه في الآخرة، وهو عظيمٌ بالنسبة للإحسان في الدنيا، ثم أتبعَ ذلك بإحسانه له في الدنيا، بقوله: ﴿وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا﴾ أي: لا نقول له ما يتكلَّفه ممَّا هو شاقٌّ عليه، أي: قولاً ذا يُسرٍ وسهولة، كما قال: ﴿قَوْلًا مَّيْسُورًا﴾ [الإسراء: ٢٨]، ولمَّا ذكرَ ما أعدَّ اللهُ له من الحسنى جزاءً لم يُناسِبْ أن يذكُرَ جزاءَه بالفعل، بلِ اقتصرَ على القول أدباً مع الله تعالى، وإن كان يعلم أنَّه يُحسِنُ إليه فعلاً وقولاً.

وقرأ حمزة، والكسائي، وحفص، وأبو بحرية، والأعمش، وطلحة، وابن مُناذِر، ويعقوب، وأبو عبيد، وابن سعدان، وابن عيسى الأصبهاني، وابن جُبير الأنطاكي، ومحمد بن جرير: «فله جزاءً» بالنَّصب والتنوين[١].

وانتصبَ «جزاءً» على أنَّه مصدرٌ في موضع الحال[٢]، أي: مُجازًى، كقولك: في الدارِ قائماً زيدٌ. وقال أبو علي: قال أبو الحسن: هذا لا تكاد العربُ تكلَّم به مُقدَّماً إلَّا في الشعر[٣]. وقيل: انتصب على المصدر، أي: يُجزى جزاءً[٤]. وقال الفرَّاء: هو منصوب على التفسير[٥].

والمراد بـ«الحُسْنى» على قراءة النصب: الجنة[٦].

---

(١) ينظر السبعة ص٣٩٨، والتيسير ص١٤٥، والنشر ٢/ ٣١٥، وإعراب القرآن للنحاس ٢/ ٤٧١، والمحرر الوجيز ٣/ ٥٤٠.
(٢) معاني القرآن للزجاج ٣/ ٣٠٩.
(٣) الحجة للقراء السبعة ٥/ ١٧٠.
(٤) إملاء ما منَّ به الرحمن ٢/ ١٠٨.
(٥) معاني القرآن للفراء ٢/ ١٥٩.
(٦) معاني القرآن للنحاس ٤/ ٢٩٠.

وقرأ باقي السبعة: «جزاءُ الحسنى» برفع «جزاء» مضافاً إلى «الحُسنى». قال أبو علي: جزاءُ الخلالِ الحسنة التي أتاها وعملها[١]. أو: يُراد بالحسنى الحسنة، والجنةُ هي الجزاء، وأضاف كما قال: دار الآخرة[٢]، و«جزاءُ» مبتدأ، و«له» خبرُه.

وقرأ عبد الله بن أبي إسحاق[٣]: «فله جزاءٌ» مرفوع، وهو مبتدأ وخبر، و«الحسنى» بدلٌ من «جزاء».

وقرأ ابن عباس، ومسروق: «جزاءَ» نصب بغير تنوين «الحسنى» بالإضافة، ويُخرَّج على حذف المبتدأ؛ لدلالة المعنى عليه، أي: فله الجزاءُ جزاء الحسنى، وخرَّجه المهدوي[٤] على حذف التنوين؛ لالتقاء الساكنين.

وقرأ أبو جعفر: «يُسُراً» بضمِّ السين حيث وقع[٥].

﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٩﴾﴾ أي: طريقاً إلى مقصده الذي يُسِّرَ له.

وقرأ الحسن، وعيسى، وابن مُحَيْصِن: «مَطْلَع» بفتح اللام، ورُوِيَتْ عن ابنِ كثيرٍ وأهلِ مكة[٦]، وهو القياس[٧].

وقرأ الجمهور بكسرها، وهو سماعٌ في أحرف معدودة، وقياسُ كَسْرِه أن يكون المضارعُ «تَطْلِع» بكسر اللام، وكان الكسائيُّ يقول: هذه لغةٌ ماتَتْ في كثيرٍ من لغات العرب، يعني: ذهبَ مَنْ يقول من العرب: «تطلعُ» بكسر اللام، وبقي «مطْلِع» بكسرها في اسم المكان والزمان على ذلك القياس.

---

(١) الحجة للقراء السبعة ٥/ ٧٠.
(٢) المحرر الوجيز ٣/ ٥٤٠.
(٣) إعراب القرآن للنحاس ٢/ ٤٧١، والمحرر الوجيز ٣/ ٥٤٠، وتفسير القرطبي ٣/ ٣٧٤. ووقع في الدر المصون ٧/ ٥٤٣، واللباب لابن عادل: عبد الله وابن أبي إسحاق.
(٤) فيما ذكره ابن عطية في المحرر الوجيز ٣/ ٥٤٠، والقراءة فيه.
(٥) النشر ٢/ ٢١٦.
(٦) المحرر الوجيز ٣/ ٥٤٠، وزاد المسير ٥/ ١٨٧، والمشهور هنا عن ابن كثير بكسر اللام، مثل باقي القراء العشرة.
(٧) ذكره الفرَّاء في معاني القرآن له ٣/ ٢٨١ عند تفسير الآية (٥) من سورة القدر، وهي قوله: ﴿سَلَٰمٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ﴾ وقرئت هناك عند الجمهور ـ سوى الكسائي وخلف ـ: بالفتح.

و«القوم» هنا: الزَّنْج. وقال قَتادة: هم الهنود وما وراءهم[١].

و«السِّتْر»: البنيان أو الثياب أو الشجر والجبال. أقوال، والمعنى أنَّهم لا شيء لهم يسترهم من حرِّ الشمس[٢]. وقيل: تنفذ الشمس سقوفَهم وثيابَهم فتصل إلى أجسامهم، فقيل: إذا طلعَتْ نزلوا الماء حتى ينكسر حَرُّها. قاله الحسن وقَتادة وابنُ جُرَيج. وقيل: يدخلون أسراباً[٣]. وقال مجاهد: السُّودان عند مطلع الشمس أكثرُ من جميع أهل الأرض[٤]. قال ابن عطية: والظاهر من اللفظ أنَّها عبارةٌ بليغةٌ عن قُرْبِ الشمس منهم، وفِعْلِها بقدرة الله فيهم، ونيلِها منهم، ولو كانت لهم أسرابٌ لكان سِتْراً كثيفاً[٥]. انتهى. وقال بعض الرُّجَّاز:

بالزَّنْجِ حَرٌّ غَيَّرَ الأجسادا ... حتَّى كَسا جلودَها سَوادا[٦]

وذلك إنَّما هو من قوةِ حرِّ الشمس عندهم واستمرارِها.

«كذلك» الإشارةُ إلى البلوغ، أي: كما بلغَ مغربَ الشمس بلغَ مطلعَها. وقيل: أتبع سبباً كما أتبع سبباً. وقيل: كما وجدَ أولئك عند مغرب الشمس وحكم فيهم، كذلك وجدَ هؤلاء عند مطلعِ الشمس وحكم فيهم. وقيل: كذلك أمرهم كما قصصنا عليكم[٧]. وقيل: «تطلعُ» طلوعُها مثلُ غروبها[٨]. وقيل: لم نجعل لهم من دونها ستراً «كذلك» أي: مثل أولئك الذين وجدَهم في مغرب الشمس كفَرَةً مثلهم، وحكمُهم مثلُ حُكْمِهم في التعذيب لمن بَقي على الكفر، والإحسانُ لمَنْ آمن. وقال الزمخشري[٩]: «كذلك» أي: أمرُ ذي القرنين كذلك، أي: كما وصفناه تعظيماً لأمره. وقيل: لم نجعَلْ لهم من دونها سِتراً مثلَ ذلك السِّتر الذي جعلنا لكم من

(١) المحرر الوجيز ٣/ ٥٤٠.
(٢) النكت والعيون ٣/ ٣٤٠، وتفسير الرازي ٢١/ ١٦٨، ومجمع البيان ١٦/ ٢٠١.
(٣) المحرر الوجيز ٣/ ٥٤٠-٥٤١ بنحوه.
(٤) الكشاف ٢/ ٤٩٨.
(٥) المحرر الوجيز ٣/ ٥٤١.
(٦) نسبه ابن خلدون في مقدمته ١/ ١٢٥ لابن سينا في أرجوزته في الطب.
(٧) تفسير الثعلبي ٤/ ١٥٠، وزاد المسير ٥/ ١٨٨.
(٨) ينظر إملاء ما من به الرحمن ٢/ ١٠٨.
(٩) في الكشاف ٢/ ٤٩٨، وما قبله منه.

الجبالِ والحصونِ والأبنيةِ والأكنانِ من كلِّ جِنْسٍ والثياب من كلِّ صِنْفٍ. وقال ابن عطية[١]: «كذلك» معناه: فعَلَ معهم كفِعْلِه مع الأوَّلين أهلِ المغرب، وأخبر بقوله: «كذلك»، ثمَّ أخبر تعالى عن إحاطتِه بجميع ما لدى ذي القرنين وما تصرَّف فيه من أفعاله، ويحتملُ أن يكون «كذلك» استئنافَ قولٍ، ولا يكون راجعاً على الطائفة الأولى، فتأمَّله، والأول أصْوَب. انتهى.

وإذا كان مُستأنَفاً لا تعلُّقَ له بما قبله، فيحتاج إلى تقدير يُتِمُّ به كلاماً.

﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٩٢﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴿٩٣﴾ قَالُواْ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾ ءَاتُونِي زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ قَالَ ٱنفُخُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا قَالَ ءَاتُونِيٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴿٩٦﴾ فَمَا ٱسْطَٰعُوٓاْ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَٰعُواْ لَهُۥ نَقْبًا ﴿٩٧﴾ قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا ﴿٩٨﴾ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَجَمَعْنَٰهُمْ جَمْعًا ﴿٩٩﴾ وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَٰفِرِينَ عَرْضًا ﴿١٠٠﴾ ٱلَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَآءٍ عَن ذِكْرِي وَكَانُواْ لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا ﴿١٠١﴾ أَفَحَسِبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن يَتَّخِذُواْ عِبَادِي مِن دُونِيٓ أَوْلِيَآءَ إِنَّآ أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ نُزُلًا ﴿١٠٢﴾﴾.

«سبباً»: أي: طريقاً أو مسيراً موصولاً إلى الشمال فإنَّ السَّدَّين هناك.

قال وَهْب: السدَّان: جبلان مُنيفان في السماء، من ورائهما [البحر][٢]، ومن أمامهما البلدان، وهما بمُنقَطعِ أرضِ التُّرك ممَّا يلي أرمينية وأذْرَبيجان[٣]. وذكر

(١) في المحرر الوجيز ٣/ ٥٤١.

(٢) ما بين حاصرتين من زاد المسير ٥/ ١٨٩، والكلام منه.

(٣) في زاد المسير ينتهي كلام وهب عند كلمة: أرمينية، ثم قال: وروى عطاء الخراساني عن ابن عباس قال: الجبلان من قِبَل أرمينية وأذربيجان. انتهى. والظاهر ممَّا تقدم أنَّ هناك سقطاً من النسخ والمطبوع، فحذف قول ابن عباس دون كلمة: وأذربيجان، وأُلحقت بكلام وهب. وقول ابن عباس في معاني القرآن للنحاس ٤/ ٢٩٣، وتفسير الثعلبي ٤/ ١٥١، والمحرر الوجيز ٣/ ٥٤١، وأخرجه الطبري ١٥/ ٣٨٦-٣٨٧.

الهروي[1] أنَّهما جبلان من وراء بلاد التُّرك. وقيل: هما جبلان من جهة الشمال لَيِّنان أملسان يزلَقُ عليهما كلُّ شيء، وسُمِّي الجبلان سدَّين؛ لأنَّ كلَّ واحدٍ منهما سَدَّ فِجاج الأرض، وكانت بينهما فجوةٌ كان يدخل منها يأجوج ومأجوج.

وقرأ مجاهد، وعكرمة، والنَّخَعي، وحفص، وابن كثير، وأبو عمرو: «بين السَّدَّين» بفتح السين. وقرأ باقي السبعة بضَمِّها[2]. قال الكسائي: هما لغتان بمعنى واحد. وقال الخليل وسيبويه: بالضمِّ الاسمُ، وبالفتح المصدرُ. وقال عكرمة وأبو عمرو بن العلاء وأبو عبيدة: ما كان من خَلْقِ الله لم يُشاركْ فيه أحدٌ فهو بالضمِّ، وما كان من صُنْعِ البشر فبالفتح. وقال ابن أبي إسحاق: ما رأتْ عيناكَ فبالضمِّ، وما لا يُرى فبالفتح[3].

وانتصب «بينَ» على أنَّه مفعولٌ به بـ «بلغ» كما ارتفع في: ﴿لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ﴾ [الأنعام: ٩٤]، وانجرَّ بالإضافة في: ﴿قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ﴾ [الكهف: ٧٨] و«بينَ» من الظروف المتصرِّفة ما لم تُركَّبْ مع أخرى مثلِها[4]، نحو قولهم: همزةٌ بينَ بين.

«من دونِهما»: من دون السدَّين[5].

و«قوماً» يعني من البشر[6]. وقال الزمخشري[7]: هم التُّرك. انتهى. وأبعَدَ مَنْ ذهب إلى أنَّهم جانٌّ. قال الزمخشري: وهذا المكان في مُنقَطَع أرض التُّرك ممَّا يلي المشرق. ونَفى مقاربةَ فقههم قولاً، وتضمَّن نفيَ فقههم. وقال الزمخشري: لا يكادون يفهمونه إلَّا بجهدٍ ومشقَّةٍ، كأنَّه فهِمَ من نفيِ يكاد أنَّه يقع منهم الفهمُ بعد عُسر، وهو قولٌ لبعضهم: إنَّ نفيَها إثباتٌ، وإثباتَها نفيٌ. وليس بالمختار.

---

(١) هكذا في االنسخ، وفي المحرر الوجيز ٣/ ٥٤١: المهدوي، وهو أشبه، والكلام منه.
(٢) ينظر السبعة ص٣٩٩، والتيسير ص١٤٥.
(٣) المحرر الوجيز ٣/ ٥٤١، وقول أبي عبيدة في مجاز القرآن ١/ ٤١٤.
(٤) الكشاف ٢/ ٤٩٨.
(٥) النكت والعيون ٣/ ٣٤١.
(٦) تفسير الرازي ٢١/ ١٧٠.
(٧) في الكشاف ٢/ ٤٩٨.

وقرأ الأعمش، وابن أبي ليلى، وخلف، وابن عيسى الأصبهاني، وحمزة، والكسائي: «يُفْقِهون» بضمِّ الياء وكسر القاف[(١)]، أي: [لا] يُفْهِمون السامِعَ كلامَهم، ولا يُبيِّنونَه؛ لأنَّ لُغَتَهم غريبةٌ مجهولة[(٢)].

والضمير في «قالوا» عائدٌ على هؤلاء القوم شَكوا ما يلقَون من يأجوج ومأجوج؛ إذ رجَوا عنده ما ينفعُهم؛ لكونه مَلَكَ الأرضَ، ودوَّخَ الملوك، وبلغَ إليهم وهم لم يبلُغْ أرضَهم مِلكٌ قبلَه.

ويأجوج ومأجوج من ولد آدم قبيلتان[(٣)]. وقيل: هما من ولد يافث بن نوح[(٤)]. وقيل: يأجوج من التُّرك، ومأجوج من الجيل والدَّيلم[(٥)]. وقال السُّدِّي والضحَّاك: الترك شِرْذمةٌ منهم خرجَتْ تُغير، فجاء ذو القرنين فضرب السدَّ، فبقيت في هذا الجانب. وقال قَتادة والسُّدِّي: بُنيَ السدُّ على إحدى وعشرين قبيلة وبقيَتْ منهم قبيلةٌ واحدةٌ دون السدِّ، فهم التُّرك[(٦)].

وقد اختُلِفَ في عددِهم وصفاتِهم، ولم يصحَّ في ذلك شيء.

وهما ممنوعا الصَّرفِ، فمَنْ زعمَ أنَّهما أعجميان، فَلِلْعُجْمَةِ والعلمية، ومَنْ زعمَ أنَّهما عربيَّان فللتأنيث والعَلَمية؛ لأنَّهما اسما قبيلتين[(٧)].

وقال الأخفش[(٨)]: إنْ جعلنا أَلِفَهما أصليةً، فيأجوج يَفعول، ومأجوج مَفعول، كأنه من أجيج النار، ومن لم يهمِزْهما جعلها زائدةً، فياجوج من يَجَجْتُ، وماجوج من مَجَجْتُ.

---

(١) ينظر السبعة ص٣٣٩، والتيسير ص١٤٥، والنشر ٢/ ٣١٥.

(٢) الكشاف ٢/ ٤٩٨، وما بين حاصرتين منه.

(٣) المحرر الوجيز ٣/ ٥٤٢.

(٤) تفسير الثعلبي ٤/ ٥٢ عن وهب بن منبه ومقاتل بن سليمان، وهو في النكت والعيون ٣/ ٣٤١، والكشاف ٢/ ٤٩٨، وزاد المسير ٥/ ١٩٠ من دون نسبة.

(٥) الكشاف ٢/ ٤٩٨.

(٦) تفسير القرطبي ١٣/ ٣٨١.

(٧) إملاء ما منَّ به الرحمن ٢/ ١٠٨، والمحرر الوجيز ٣/ ٥٤٢.

(٨) في معاني القرآن له ٢/ ٦٢١.

وقال قطرب في غير الهمز: ماجوج فاعول من المجِّ، وياجوج فاعول من يَجّ.

وقال أبو الحسن علي بن عبد الصمد السَّخاوي[١] أحد شيوخنا: الظاهر أنَّه عربيٌّ، وأصلُه الهمز، وتَرْكُ الهمز على التخفيف، وهو إمَّا من الأَجَّة وهو الاختلاف، كما قال تعالى: ﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ﴾ [الكهف: ٩٩]، أو من الأَجِّ وهو سرعةِ العَدْوِ؛ قال تعالى: ﴿وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ﴾ [الأنبياء: ٩٦] وقال الشاعر:

تَـؤجُّ كـمـا أجَّ الـظَّـلـيـمُ الـمُـنَـفَّـرُ[٢]

أو من الأجَّة وهو شدَّة الحرِّ، أو من أَجَّ الماءُ يَأَجُّ[٣] أُجوجاً إذا كان مِلْحاً مُرًّا. انتهى.

وقرأ عاصم، والأعمش، ويعقوب في رواية: بالهمز في «يأجوج ومأجوج»[٤]، وكذا في «الأنبياء»[٥]، وهي لغةُ بني أسد. ذكره الفراء[٦]. قيل: ولا وجهَ له إلَّا اللغة الغريبة المحكية عن العجَّاج: أنه كان يهمز العألم والخأتم.

وقرأ باقي السبعة بألف غير مهموزة، وهي لغة كلِّ العرب غير بني أسد.

وقرأ العجَّاج ورؤبةُ ابنُه: «آجوج»[٧] بهمزة بدل الياء.

وإفسادهم الظاهر تحقُّقُ الإفسادِ منهم لا توقُّعُه؛ لأنَّها شكَتْ من ضررٍ نالها.

وقال سعيد بن عبد العزيز: إفسادُهم: أكلُ بني آدم. وقيل: هو الظُّلمُ والقتلُ،

---

(١) هو العلامة، علم الدين، شيخ القراء في زمانه، له شرح للشاطبية، وكتاب «جمال القرَّاء»، وغيرهما، توفي سنة (٦٤٣هـ). السير ٢٣/ ١٢٢-١٢٣.

(٢) لم أقف على قائله، وصدره كما في اللسان وتاج العروس (أجج):

فـراحـت وأطـراف الـصُّـوى مُـحْـزَئِـلَّـةٌ

وقع فيها «المُفَزَّعُ» بدل «المُنَفَّر». والصُّوى: العلامات في الطريق. والمُحْزَئِلُّ: المرتفع.

(٣) في المطبوع: ينجُّ، وفي (يه): يؤجُّ، وهو كذلك في روح المعاني ١٥/ ٥٦٩.

(٤) ينظر السبعة ص٣٩٩، والتيسير ص١٤٥-١٤٦، والنشر ١/ ٣٩٤-٣٩٥.

(٥) عند الآية (٩٦) منها.

(٦) في معاني القرآن له ٢/ ١٥٩.

(٧) القراءات الشاذة ص٨٢.

ووجوهُ الإفساد المعلوم من البشر[١]. وقيل: كانوا يخرجون أيام الرَّبيع فلا يتركون شيئاً أخضرَ إلَّا أكلوه، ولا يابساً إلَّا احتملوه[٢]. ورُوي: «أنَّه لا يموتُ أحدٌ منهم حتى ينظر إلى ألف ذَكَرٍ من صُلْبِه، كلٌّ قد حملَ السِّلاح»[٣].

﴿فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا﴾ استدعاءٌ منهم قبول ما يبذلونه ممَّا يُعينه على ما طلبوا على جهة حسن الأدب، إذ سألوه ذلك، كقول موسى للخضر: «هل أتَّبِعُكَ على أن تعلِّمني»[٤].

وقرأ الحسن، والأعمش، وطلحة، وخلف، وابن سعدان، وابن عيسى الأصبهاني، وابن جُبير الأنطاكي، ومن السبعة حمزة، والكسائي: «خَراجاً» بألف هنا، وفي حَرْفَي «قد أفلحْ»[٥]، وسكَّنَ ابنُ عامر الراء فيها. وقرأ باقي السبعة «خَرْجاً» فيهما بسكونِ الراء، فـ«خَراجُ» بالألف، والخَرْج والخَراج بمعنًى واحد، كالنَّوْل والنَّوال، والمعنى: جُعْلاً نُخْرِجُه من أموالنا[٦].

وكلُّ ما يُستخرَجُ من ضريبةٍ وجزيةٍ وغَلَّةٍ فهو خَراجٌ وخَرْجٌ[٧].

---

(١) المحرر الوجيز ٣/ ٥٤٢. وقول سعيد بن عبد العزيز في تفسير الثعلبي ٤/ ١٥٢، وزاد المسير ٥/ ١٩١، وأخرجه الطبري ١٥/ ٣٨٩.
وسعيد بن عبد العزيز: هو ابن مروان، المحدِّث، الزاهد، نزيل دمشق، صحب السريَّ السَّقَطي. توفي سنة (٣١٨هـ). السير ١٤/ ٥١٣-٥١٤.

(٢) تفسير الثعلبي ٤/ ١٥٢، وزاد المسير ٥/ ١٩١ عن الكلبي. وفي الكشاف ٢/ ٤٩٩ من دون نسبة.

(٣) أخرجه الطبراني في الأوسط (٣٨٦٧)، وابن عدي في الكامل ٧/ ١٥٣ من حديث حذيفة ﷺ مرفوعاً.
قال الهيثمي في مجمع الزوائد: ٨/ ٦: في إسناده يحيى بن سعيد العطار، وهو ضعيف.
قلت: في إسناده ـ أيضاً ـ محمد بن إسحاق العُكَّاشي؛ قال ابن عدي: أحاديثه مناكير موضوعة.

(٤) المحرر الوجيز ٣/ ٥٤٢ ببعضه.

(٥) من سورة المؤمنون الآية (٧٢) منها. وينظر السبعة ص٤٠٠، والتيسير ص١٤٦.

(٦) الكشاف ٢/ ٤٩٩.

(٧) تفسير القرطبي ١٣/ ٣٨٣، وينظر تهذيب اللغة ٧/ ٤٧-٥٥.

وقيل: الخَرْجُ المصدر، أُطلِقَ على الخراج، والخراجُ الاسمُ لما يخرج[١]. وقال ابن الأعرابي: الخَرْج على الرؤوس، يقال: أدِّ خَرْجَ رأسِك، والخَراجُ على الأرض.

وقال ثعلب: الخَرْجُ أخصُّ، والخَراجُ أعَمُّ.

وقيل: الخَرْجُ: المالُ يُخْرَجُ مرَّةً، والخَراج: المُجْبى المتكرِّر، عرضوا عليه أن يجمعوا له أموالاً يُقيم بها أمرَ السدِّ. وقال ابن عباس: «خَراجاً»: أجراً[٢].

وقرأ نافع، وابن عامر، وأبو بكر: «سُدًّا» بضمِّ السين. وابنُ مُحَيْصِن، وحُميد، والزُّهري، والأعمش، وطلحة، ويعقوب في رواية، وابنُ عيسى الأصبهاني، وابن جرير، وباقي السبعة بفتحها[٣].

﴿قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ﴾ أي: ما بسطَ اللهُ لي من القدرة والملكِ خيرٌ من خَرْجِكم[٤]. ﴿فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ﴾ أي: بما أتقوَّى به من فَعَلَةٍ وصُنَّاعٍ يُحسِنون العمل والبناء. قاله مقاتل. وبالآلات. قاله الكلبي[٥].

«رَدْماً»: حاجزاً حصيناً موثقاً[٦].

وقرأ ابن كثير، وحُميد: «ما مكَّنَني» بنونين متحرِّكتين. وباقي السبعة بإدغام نون مَكَّنَ في نون الوقاية[٧].

ثم فسّر الإعانة بالقوة، فقال: ﴿ءَاتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ﴾ أي: أعطوني. قال ابن عطية[٨]: إنَّما هو مناولةٌ لا استدعاءُ عطيةٍ وهبةٍ؛ لأنَّه قد ارتبط من قوله أنَّه لا يأخذ منهم الخراج، فلم يبق إلَّا استدعاءُ المناولة. انتهى.

---

(١) إعراب القرآن للنحاس ٢/ ٤٧٣.
(٢) المحرر الوجيز ٣/ ٥٤٢.
(٣) ينظر السبعة ص٣٩٩، والتيسير ص١٤٥٦، والنشر ٢/ ٣١٥.
(٤) المحرر الوجيز ٣/ ٥٤٢.
(٥) الكشاف ٢/ ٤٩٩، والنكت والعيون ٣/ ٣٤٢، وزاد المسير ٥/ ١٩٢.
(٦) الكشاف ٢/ ٤٩٩.
(٧) ينظر السبعة ص٤٠٠، والتيسير ص١٤٦، والنشر ١/ ٣٠٣ و٢/ ٣١٥.
(٨) في المحرر الوجيز ٣/ ٥٤٣.

وقرأ الجمهور: «آتوني». وقرأ أبو بكر عن عاصم: «ائتوني» أي: جيئوني[(١)].

وانتصب «زُبَرَ» بـ «ايتوني» على إسقاط حرف الجر، أي: جيئوني بزُبَرِ الحديد.

وقرأ الجمهور «زُبَرَ» بفتح الباء، والحسن بضمِّها[(٢)]. وفي الكلام حذفٌ تقديره: فأتوه أو فآتوه بها، فأمرَ بِرَصِّ بعضِها فوقَ بعضٍ، حتَّى إذا ساوى. وقرأ الجمهور: «ساوى». وقَتادة: «سوَّى»[(٣)]. وابنُ أبي أمية عن أبي بكر عن عاصم: «سُووِيَ» مبنياً للمفعول[(٤)].

وحُكيَ في الكيفية أنَّ ذا القرنين قاسَ ما بين الصدفين من حفر الأساس حتى بلغ الماء، ثم جعل حَشْوَه الصخرَ، وطينَه النُّحاسَ، يُذابُ ثمَّ يُصَبُّ عليه، والبُنيانُ من زُبَر الحديد، بينهما الحطب والفحم، حتى سَدَّ ما بين الجبلين إلى أعلاهما، ثمَّ وضع المنافخَ حتى إذا صارَتْ كالنَّارِ صَبَّ النُّحاسَ المُذابَ على الحديد المُحمَّى، فاختلطَ والتصقَ بعضُه ببعض، وصار جبلاً صَلْداً[(٥)]. وقيل: طولُ ما بين السدَّين مئةُ فرسخٍ وعرضُه خمسون[(٦)]. وفي الحديث: أنَّ رجلاً أخبرَ رسولَ الله ﷺ به، فقال: «كيفَ رأيتَه؟» فقال: كالبُرْدِ المُحَبَّرِ، طريقة سوداء، وطريقة حمراء. قال: «قد رأيتَهُ»[(٧)].

---

(١) ينظر السبعة ص٤٠١، والتيسير ص١٤٦، والمحرر الوجيز ٣/ ٥٤٣ والكلام منه.

(٢) المحرر الوجيز ٣/ ٥٤٣، وما قبله منه.

(٣) المحرر الوجيز ٣/ ٥٤٣، وقراءة «سوّى» في زاد المسير ٥/ ١٩٢ عن أبان.

(٤) القراءات الشاذة ص٨٢.

(٥) الكشاف ٢/ ٤٩٩.

(٦) المحرر الوجيز ٣/ ٥٤٣، ونسبه القرطبي ١٣/ ٣٨٨ لوهب بن منبّه.

(٧) الحديث في تفسير الثعلبي ٤/ ١٥٩، والنكت والعيون ٣/ ٣٤٤، والمحرر الوجيز ٣/ ٥٤٣، والكشاف ٢/ ٤٩٩، وقد رُوي عن قتادة فاختلف في إسناده عليه:
فأخرجه الطبراني في مسند الشاميين (٢٧٥٨) من طريق أبي الجماهر، عن سعيد بن بشير، عن قتادة، عن رجلين، عن أبي بكرة، أن رجلاً أتى النبي ﷺ.. فذكره.
وأخرجه نعيم بن حماد في الفتن (١٦٣٢) من طريق مسلمة بن علي، عن سعيد بن بشير، عن قتادة، قال رجلٌ للنبي ﷺ.. فذكره.
وأخرجه ابن حجر في تغليق التعليق ٤/ ١٢ من طريق سفيان بن عيينة، عن سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة، عن رجل من أهل المدينة أنه قال للنبي ﷺ.. فذكره.
وأخرجه الطبري ١٥/ ٤٠٤ من طريق يزيد بن زريع، عن سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة قال: ذُكِرَ لنا أن رجلاً قال: يا رسول الله.. فذكره.

وقرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وابنُ عامر، والزُّهري، ومجاهد، والحسن: «الصُّدُفين» بضمِّ الصاد والدال. وأبو بكر، وابن مُحَيْصِن، وأبو رجاء، وأبو عبد الرحمن كذلك إلَّا أنَّه سَكَّن الدال. وباقي السبعة، وأبو جعفر، وشيبة، وحُميد، وطلحة، وابنُ أبي ليلى، وجماعةٌ عن يعقوب، وخلف في اختياره، وأبو عُبيد، وابن سعدان بفتحهما[١]. وابنُ جُنْدَب بالفتح وإسكان الدَّال، ورُوِيَتْ عن قَتادة[٢]. وقرأ الماجِشون بالفتح وضمِّ الدَّال[٣]. وقرأ قَتادة وأبان عن عاصم بضمِّ الصَّاد وفتح الدَّال[٤].

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا﴾ في الكلام حذفٌ تقديره: فنفخوا حتى[٥].

وقرأ الجمهور: «قال آتوني» أي: أعطوني. وقرأ الأعمش، وطلحة، وحمزة، وأبو بكر بخلاف عنه: «قال ائتوني» أي: جيئوني[٦].

و«قِطراً» منصوب بـ«أُفرِغْ» على إعمال الثاني، ومفعول «آتوني» محذوفٌ؛ لدلالة الثاني عليه[٧].

﴿فَمَا ٱسْطَـٰعُوٓا۟﴾ أي: يأجوج ومأجوج ﴿أَن يَظْهَرُوهُ﴾ أي: يعلوا[٨] عليه، لبُعْدِه وارتفاعِه وإملاسِه، ولا أن ينقبوه؛ لصلابته وثخانتِه. فلا سبيل إلى مجاوزته إلى غيرهم من الأمم إلَّا بأحدِ هذين؛ إمَّا ارتقاءٌ وإمَّا نقبٌ، وقد سلب قدرتَهم على ذلك.

---

(١) هذه القراءات الثلاث في السبعة ص٤٠١، والتيسير ص١٤٦، والنشر ٢/ ٣١٥. وينظر المحرر الوجيز ٣/ ٥٤٣.
(٢) المحرر الوجيز ٣/ ٥٤٣ عن قتادة.
(٣) المحتسب ٢/ ٣٤، والمحرر الوجيز ٣/ ٥٤٣، وذكرها ابن الجوزي في زاد المسير ٥/ ١٩٣ عن أبي مجلز وأبي رجاء وابن يعمر.
(٤) القراءات الشاذة ص٨٢ عن قتادة، وذكرها ابن الجوزي في زاد المسير ٥/ ١٩٣ عن أبي الجوزاء وأبي عمران والزهري والجحدري. والمشهور عن عاصم: الصَّدَفين، أو: الصُّدْفين.
(٥) تفسير الطبري ١٥/ ٤٠٨، وما بعده منه.
(٦) ينظر السبعة ص٤٠١، والتيسير ص١٤٦.
(٧) إملاء ما منَّ به الرحمن ٢/ ١٠٩.
(٨) المثبت من معاني القرآن للزجاج ٣/ ٣١٢، والوسيط للواحدي ٣/ ١٦٨، والكلام منهما. وتصحفت في النسخ سوى (ز١) إلى: يصلوا، وهي في (ز١) غير واضحة.

وقرأ الجمهور: «فما اسْطاعوا» بحذف التاء تخفيفاً؛ لقُرْبها من الطاء. وقرأ حمزة وطلحة بإدغامها في الطاء، وهو إدغامٌ على غير حَدِّه[١]. وقال أبو علي[٢]: هي غير جائزة.

وقرأ الأعشى عن أبي بكر: «فما اصطاعوا» بالإبدال من السين صاداً لأجل الطاء[٣].

وقرأ الأعمش: «فما استطاعوا» بالتاء من غير حذف[٤].

﴿قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي﴾ أي: قال ذو القرنين، والإشارة بـ «هذا» قال ابن عطية[٥]: إلى الرَّدم، والقوَّةِ عليه، والانتفاع به. وقال الزمخشري[٦]: إشارة إلى السَّدِّ، أي: هذا السَّدُّ نعمةٌ من الله، ورحمةٌ على عباده، أو هذا الإقدارُ والتمكينُ من تسويتِه.

قيل: وفي الكلام حذفٌ، وتقديره: فلمَّا أكملَ بناء السدِّ واستوى واستحكم قال: هذا رحمةٌ من ربِّي.

وقرأ ابنُ أبي عَبْلة: «هذه رحمةٌ من ربي» بتأنيث اسم الإشارة[٧].

و«الوعد» يَحتمل أن يُرادَ به يومُ القيامة، وأن يُرادَ به وقتُ خروج يأجوج ومأجوج.

وقال الزمخشري[٨]: فإذا دنا مجيءُ يوم القيامة وشارف أن يأتي، جعلَ السدَّ دكًّا، أي: مدكوكاً منبسطاً مُسَوًّى بالأرض، وكلُّ ما انبسطَ بعد ارتفاع فقد اندكَّ. انتهى.

---

(١) ينظر السبعة ص٤٠١، والتيسير ص١٤٦، والمحرر الوجيز ٣/ ٥٤٣-٥٤٤.
(٢) في الحجة ٥/ ١٧٨.
(٣) المشهور عن أبي بكر: «اسْطاعوا».
(٤) المحرر الوجيز ٣/ ٥٤٤، وتفسير القرطبي ١٣/ ٣٨٩.
(٥) في المحرر الوجيز ٣/ ٥٤٤.
(٦) في الكشاف ٢/ ٤٩٩.
(٧) المحرر الوجيز ٣/ ٥٤٤، وما بعده منه.
(٨) في الكشاف ٢/ ٤٩٩.

وقرأ الكوفيون: «دَكَّاء» بالمدِّ ممنوع الصَّرْف. وباقي السبعة: «دَكًّا» منونةً[١]، مصدر دككتُه.

والظاهر أنَّ «جَعَلَه» بمعنى: صيَّرَه، فـ «دَكًّا» مفعولٌ ثانٍ.

وقال ابن عطية[٢]: ويحتمل أن يكون «جَعَلَ» بمعنى: خَلَقَ، ويُنصَبُ «دَكًّا» على الحال. انتهى. وهذا بعيدٌ جدًّا؛ لأنَّ السدَّ إذ ذاك موجودٌ مخلوقٌ ولا يُخلَقُ المخلوقُ، لكنَّه ينتقل من بعض هيئاته إلى هيئة أخرى.

و«وَعْدُ» بمعنى: موعود، لا مصدر، والمعنى: فإذا جاء موعودُ ربي، لا يُريد المصدرَ؛ لأنَّ المصدرَ قد سبق.

«وتركْنا» هذا الضمير لله تعالى[٣]، والأظهر أنَّ الضمير في «بعضهم» عائدٌ على يأجوج ومأجوج[٤].

والجملة المحذوفة بعد «إذ» المُعَوَّضُ منها التنوين مُقدَّرةٌ بـ: إذْ جاء الوعد، وهو خروجهم وانتشارهم في الأرض، أو مُقَدَّرةٌ بـ: إذ حجزَ السدُّ بينَهم وبينَ القوم الذي كانوا يُفسدون عندهم وهم مُتعَجِّبون من السدِّ، فماجَ بعضُهم في بعض. وقيل: الضمير في «بعضهم» يعود على الخلق، أي: يومَ إذْ جاء وعدُ الله وهو يومُ القيامة، ويُقَوِّيه قولُه: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ﴾، فيظهر أنَّ ذلك هو يوم القيامة، وكذلك ما جاء بعده من الجَمْع وعَرْضِ جهنم.

وتقدَّم الكلامُ على النفخ في الصُّور في سورة الأنعام[٥].

و«جَمْعاً» مصدر كموعد.

«وعَرَضْنا» أي: أبْرَزْنا جهنَّم يومئذٍ، أي: يوم إذ جمعناهم. وقيل: اللام بمعنى «على»، كقوله:

---

(١) السبعة ص٤٠٢، والتيسير ص١٤٦.
(٢) في المحرر الوجيز ٦/ ٥٤٤.
(٣) تفسير القرطبي ١٣/ ٣٩١.
(٤) تفسير الرازي ٢١/ ١٧٢.
(٥) عند تفسير الآية (٧٣) منها.

فَخرَّ صريعاً لليدينِ وللفمِ[(١)]

وأبعَدَ مَنْ ذهبَ إلى أنَّه مقلوبٌ، والتقدير: وعرَضْنا الكافرين على جهنم عرضاً، وتخصيصُه بالكافرين بشارةٌ للمؤمنين.

و«الذين كانت أعينُهم» صفةُ ذَمٍّ في «غطاء» استعار الغطاء لأعيُنِهم، والمرادُ أنَّهم لا يُبصِرون آياتي التي يُنظَرُ إليها فيعتبرَ بها، وأُذكَرَ بالتعظيم. وهذا على حذفِ مضافٍ، أي: عن آياتِ ذِكْري. وقيل: «عن ذكري»: عن القرآن، وتأمُّل معانيه، ويكون المرادُ بالأعيُن هنا البصائر لا الجوارح؛ لأنَّ الجوارحَ لا نسبةَ بينها وبين الذِّكر. ﴿وَكَانُوا۟ لَا يَسۡتَطِيعُونَ سَمۡعًا﴾ مبالغةٌ في انتفاءِ السَّمعِ؛ إذ نُفيَتِ الاستطاعةُ، وهم - وإنْ كانوا يسمعون ـ جُعِلوا كمَنْ نُفِيَتْ قدرتُه على السمع لمَّا لم ينتفعوا بسمعِهم، وهذا أبلَغُ من: وكانوا[(٢)] صُمًّا؛ لأنَّ الأصمَّ قد يستطيعُ السَّمعَ إذا صِيحَ به، وكأنَّ هؤلاءِ أُصِمَّتْ أسماعُهم فلا استطاعةَ بهم للسمع[(٣)].

﴿أَفَحَسِبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟﴾ هُمْ مَنْ عبدَ الملائكةَ وعُزيراً وعيسى، واتَّخذوهم أولياءَ من دون الله، وهم بعضُ العرب واليهود والنصارى، وهو استفهامٌ فيه معنى الإنكار والتوبيخ، والمعنى: إنَّهم ليس لهم من ولاية هؤلاء الذين تولَّوهم شيءٌ، ولا يجدون عندهم مُنتفعاً[(٤)]، ويظهر أنَّ في الكلام حذفاً، والتقدير: أن يتَّخذوا عبادي من دوني أولياء فيُجدي ذلك وينتفعون بذلك الاتِّخاذ.

وقيل: العباد هنا الشياطين. رُوي عن ابن عباس. وقال مقاتل: الأصنام[(٥)]؛ لأنَّها خلقُه وملكُه. والأظهرُ تفسيرُ العباد بما قلناه؛ لإضافتهم إليه، والأكثرُ أنْ تكون الإضافةُ في مثل هذا اللفظ إضافةَ تشريف.

و«حَسِبَ» هنا بمعنى «ظَنَّ»، وبه قرأ عبد الله: «أفظَنَّ»[(٦)].

---

(١) اختلف في قائله، وقد سلف عند تفسير الآية (٧) من سورة الإسراء.
(٢) من قوله: يسمعون.. إلى هنا من (ز١).
(٣) الكشاف ٢/ ٥٠٠ بنحوه.
(٤) المحرر الوجيز ٣/ ٥٤٥.
(٥) تفسير الثعلبي ٤/ ١٦١، وزاد المسير ٥/ ١٩٦.
(٦) الكشاف ٢/ ٥٠٠، والمحرر الوجيز ٣/ ٥٤٥.

وقرأ علي بن أبي طالب، وزيد بن علي بن الحسين، ويحيى بن يَعْمَر، ومجاهد، وعكرمة، وقَتادة، ونُعيم بن ميسرة، والضحَّاك، وابنُ أبي ليلى، وابنُ كثيرٍ، ويعقوبُ بخلافٍ عنهما، وابنُ مُحَيْصِن، وأبو حَيْوة، والشافعي، ومسعود بن صالح: «أفحَسْبُ» بإسكان السين وضَمِّ الباء مُضافاً إلى «الذين»[(١)]، أي: أفَكافِيهم ومُحسِبُهم ومنتهى غرضهم، والمعنى: إنَّ ذلك لا يكفيهم ولا ينفعُهم عند الله كما حسبوا[(٢)].

وقال أبو الفضل الرازي: قال سهل - يعني أبا حاتم -: معناه: أفحَسْبُهم وحَظُّهم، إلَّا أنَّ «أفحَسْبُ» أبلَغُ في الذمِّ؛ لأنَّه جعله غايةَ مُرادِهم. انتهى.

وارتفع «حَسْبُ» على الابتداء، والخبرُ «أن يتَّخذوا».

وقال الزمخشري: أو على الفعل والفاعل؛ لأنَّ اسمَ الفاعل إذا اعتمدَ على الهمزةِ ساوى الفعلَ في العمل، كقولك: أقائمٌ الزيدان؟ وهي قراءةٌ محكَمةٌ جيدة. انتهى. والذي يظهر أنَّ هذا الإعرابَ لا يجوز؛ لأنَّ «حَسْباً» ليس باسم فاعل فيعمل، ولا يلزمُ من تفسير شيءٍ بشيءٍ أن تجريَ عليه جميعُ أحكامه، وقد ذكر سيبويه[(٣)] أشياءَ من الصفات التي تجري مَجْرى الأسماء، وأنَّ الوجهَ فيها الرفع. ثم قال: وذلك [نحو][(٤)]: مررتُ برجلٍ خيرٍ منه أبوهُ، ومررتُ برجلٍ سواءٌ عليه الخيرُ والشرُّ، ومررتُ برجلٍ أبٌ له صاحبُه، ومررتُ برجلٍ حسبُكَ من رجلٍ، ومررتُ برجلٍ أيُّما رجلٍ هو. انتهى. ولا يبعُدُ أن يُرْفَع به الظاهرُ، فقد أجازوا في: مررتُ برجلٍ أبي عشرةٍ أبوهُ، ارتفاعَ أبوه بأبي عشرةٍ؛ لأنَّه في معنى والدِ عشرةٍ.

«إنَّا أعتدنا» أي: أعدَدْنا ويسَّرْنا.

---

(١) ينظر القراءات الشاذة ص٨٢، والمحتسب ٢/ ٣٤، وتفسير الطبري ١٥/ ٤٢٢، والكشاف ٢/ ٥٠٠، والمحرر الوجيز ٣/ ٥٤٥، وزاد المسير ٥/ ١٩٦، وتفسير القرطبي ١٣/ ٣٩٢. والمشهور عن ابن كثير ويعقوب: «أفحَسِب» مثل باقي العشرة.

(٢) الكشاف ٢/ ٥٠٠.

(٣) في الكتاب ٢/ ٢٦.

(٤) ما بين حاصرتين من (يه)، والدر المصون ٧/ ٥٥٢.

و«النُّزُل»: موضعُ النُّزول، و«النُّزُل» أيضاً ما يُقدَّم للضيف ويُهيَّأ له وللقادم من الطعام[١]. و«النُّزُل» هنا يحتمل التفسيرين، وكونُه موضع النزول قاله الزجاج هنا، وما هُيِّئ من الطعام للنزيل قولُ القُتَبي[٢]. وقيل: جمع نازِل، ونصبُه على الحال، نحو: شارِف وشُرُف، فإن كان ما يُقدَّم للضيف وللقادم فيكون كقوله: ﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [آل عمران: ٢١]، وكقول الشاعر:

تحيَّةُ بينِهم ضربٌ وجيعُ[٣]

وقرأ أبو حَيْوة، وأبو عمرو بخلافٍ عنه: «نُزْلاً» بسكون الزاي[٤].

﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا ﴿١٠٥﴾ ذَٰلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا ﴿١٠٦﴾﴾.

أي: قُلْ يا محمد للكافرين: هَلْ نُخبركم، الآية، فإذا طلبوا ذلك فقل لهم: أولئك الذين كفروا[٥].

و«الأخسرون أعمالاً» عن عليٍّ: هم الرُّهبان، كقوله: ﴿عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ﴿٣﴾﴾ [الغاشية: ٣]. وعن مجاهد: هم أهل الكتاب. وقيل: هم الصابئون. وسألَ ابنُ الكوَّاء عليًّا عنهم، فقال: منهم أهلُ حَرُوراء[٦]. وينبغي حَمْلُ هذه الأقوال على التمثيل لا على الحصر؛ إذِ الأخسرونَ أعمالاً هم كلُّ مَنْ دانَ بدينٍ غيرِ الإسلام، أو راءى بعملِه، أو أقام على بدعةٍ تؤول به إلى الكفر، والأخسَرُ مَنْ أتعبَ نفسَه فأدَّى تعبُه به إلى النار.

---

(١) المحرر الوجيز ٣/ ٥٤٥.
(٢) زاد المسير ٥/ ١٩٧، والذي في معاني القرآن للزجاج ٣/ ٣١٤: ونُزلاً بمعنى منزلاً، والذي في تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ص٢٧١: والنُّزُل: ما يُقدَّم للضيف ولأهل العسكر.
(٣) قائله عمرو بن معد يكرب، وصدره: وخَيْلٍ قدْ دلَفْتُ لها بِخَيْلٍ، وسلف عند تفسير الآية (٢٠٦) من سورة البقرة.
(٤) القراءات الشاذة ص٨٢، والمشهور عن أبي عمرو: «نُزُلاً» بضمِّ الزاي.
(٥) المحرر الوجيز ٣/ ٥٤٥، والنكت والعيون ٣/ ٣٤٧.
(٦) الكشاف ٢/ ٥٠٠، دون قوله: هم الصابئون.

وانتصب «أعمالاً» على التمييز، وجُمِعَ؛ لأنَّ أعمالَهم في الضلال مختلفة، وليسوا مشتركين في عملٍ واحدٍ.

و«الذين» يصِحُّ رفعُه على أنه خبر مبتدأٍ محذوف، أي: هم الذين، وكأنَّه جوابٌ عن سؤالٍ، ويجوز نصبُه على الذمِّ، وجرُّه على الوصف أو البدل.

«ضَلَّ سعيُهم» أي: هلَكَ وبطَلَ وذهَبَ[1].

و«يحسبون» و«يُحْسِنون» من تجنيس التصحيف، وهو أن يكون النَّقط فَرْقاً بين الكلمتين، ومنه قول أبي عبادة البُحتري[2]:

ولم يكُنِ المُغْتَرُّ بالله إذْ سرى ... ليُعْجِزَ والمعتزُّ باللهِ طالِبُهْ

ومن غريب هذا النوع من التجنيس قول الشاعر:

سَقَيْنَني ربِّي وغَنَّيْنَني ... بُحْتُ بِحُبِّي حينَ بِنَّ الخُرَدْ

صحّفَ بقوله:

شَقَيْتَني ربِّي وعَنَّيتَني ... بحُبِّ يحيى خَتَنِ[3] ابنِ الجُرَدْ

وقرأ ابن عباس، وأبو السَّمَّال: «فحبَطَتْ» بفتح الباء، والجمهور بكسرها[4].

وقرأ الجمهور: «فلا نقيم» بالنون «وزناً» بالنصب. ومجاهد، وعُبيد بن عُمير: «فلا يُقيمُ» بالياء[5]؛ لتقدُّم قولِه: «بآياتِ ربِّهم». وعن عُبيدٍ أيضاً: «يَقومُ» بفتح الياء[6]؛ كأنَّه جعل قامَ متعدِّياً.

---

(١) تفسير الثعلبي ٤/ ١٦١.

(٢) في ديوانه ١/ ٢١٥.

(٣) كلمة «ختن» من (ز١)، ومن الطيوريات للسلفي (١٤٤٩)، ونسبه لذي الرمة، ولم أجده في ديوانه ولا في غيره من المصادر. والخُرَد؛ جمع خَريدة: وهي البكر التي لم تُمسَّ قط.

(٤) المحرر الوجيز ٣/ ٥٤٥.

(٥) القراءات الشاذة ص٨٢، والمحرر الوجيز ٣/ ٥٤٥-٥٤٦، وهي في زاد المسير ٥/ ١٩٦ عن ابن مسعود والجحدري.

(٦) المحرر الوجيز ٣/ ٥٤٦.

وعن مجاهد، وابن مُحَيْصِن، ويعقوب بخلاف عنهم: «فلا يَقومُ» مضارع قام، «وزنٌ» مرفوع به[(١)].

واحتمَلَ قولُه: «فلا نُقيم» الآية، أنَّهم لا حسنةَ لهم تُوزَنُ في موازين القيامة، ومَنْ لا حسنةَ له فهو في النار. واحتمل أن يُريد المجازَ، كأنَّه قال: فلا قَدْرَ لهم عندنا يومئذٍ، وفي الحديث: «يُؤتى بالأكولِ الشَّروبِ الطَّويلِ فلا يَزِنُ جناحَ بعوضة» ثم قرأ: «فلا نُقيم» الآية[(٢)]. وفي الحديث أيضاً: «يأتي ناسٌ بأعمالٍ يوم القيامة هي عندَهم في العِظَم كجبال تِهامة، فإذا وزنوها لم تزِنْ شيئاً»[(٣)].

«ذلك جزاؤهم» مبتدأ وخبر، و«جهنَّم» بدل، و«ذلك» إشارة إلى تركِ إقامة الوزن. ويجوز أن يُشار بذلك ـ وإن كان مفرداً ـ إلى الجمع، فيكون بمعنى أولئك، ويكون «جزاؤهم جهنم» مبتدأً وخبراً. وقال أبو البقاء[(٤)]: «ذلك» أي: الأمرُ ذلك، وما بعدَه مبتدأ وخبر. ويجوز أن يكون «ذلك» مبتدأً، و«جزاؤهم» مبتدأٌ ثانٍ، و«جهنَّم» خبرُه، والجملة خبر الأول، والعائد محذوف، أي: جزاؤه. انتهى. ويحتاج هذا التوجيه إلى نظر، قال: ويجوز أن يكون «ذلك» مبتدأً، و«جزاؤهم» بدلٌ أو عطفُ بيان، و«جهنَّم» الخبر. ويجوز أن تكون «جهنَّمُ» بدلاً من جزاء، أو خبرٌ لابتداء محذوف، أي: هو جهنَّم، و«بما كفروا» خبرُ «ذلك»، ولا يجوز أن تتعلَّق الباءُ بـ «جزاؤهم» للفصل بينهما، و«اتخذوا» يجوز أن يكون معطوفاً على «كفروا»، وأن يكون مستأنَفاً. انتهى.

---

(١) المشهور عن يعقوب: «نُقيم» مثل باقي العشرة. وينظر المحرر الوجيز ٣/ ٥٤٦، وإملاء ما منَّ به الرحمن ٢/ ١٠٩.

(٢) المحرر الوجيز ٣/ ٤٤٥، والحديث أخرجه الطبري ١٥/ ٤٣٠، وابن عدي في الكامل ٦/ ٢٣٥، والبيهقي في شعب الإيمان (٥٦٧٠) من حديث أبي هريرة ﷺ. ويُروى هذا عن عبيد بن عمير قوله كما أخرج ابن أبي شيبة ١٣/ ١٦٩-١٧٠، وابن أبي حاتم في تفسيره (٨٢٢٢)، وأبو نعيم في الحلية ٣/ ٣٧٠.
وقد أخرج البخاري (٤٧٢٩)، ومسلم (٢٧٨٥) من حديث أبي هريرة مرفوعاً، ولكن بلفظ: «إنَّه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن...» الحديث.

(٣) تفسير الثعلبي ٤/ ١٦١، والكشاف ٢/ ٥٠٠ عن أبي سعيد الخدري موقوفاً.

(٤) في الإملاء ٢/ ١٠٩.

والآيات: هي المعجزاتُ الظاهرةُ على أيدي الأنبياء، والصُّحفُ الإلهيةُ المُنزَلةُ عليهم.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴿١٠٨﴾ قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾.

لمَّا ذكرَ تعالى ما أعدَّ للكافرين ذكرَ ما أعدَّ للمؤمنين، وفي الصحيح: «جنَّاتُ الفردوس أربع: ثِنْتانِ من ذهب، حِلْيتُهما وآنيتُهما وما فيهما، وثِنْتان من فضَّةٍ، حِلْيتُهما وآنيتُهما وما فيهما»[(١)]. وفي حديث عبادة: «الفردوس أعلاها»[(٢)] يعني أعلى الجنة. قال قتادة: وربوتها[(٣)]، ومنها تُفجَّرُ أنهارُ الجنة. وقال أبو هريرة: جبلٌ تتفجَّرُ منه أنهارُ الجنة[(٤)]. وفي حديث أبي أمامة: «الفردوسُ سُرَّةُ الجنة»[(٥)]. وقال مجاهد: الفردوس: البستان بالروميَّة[(٦)]. وقال كعب والضحَّاك: جنات الفردوس: الأعناب[(٧)]. وقال عبد الله[(٨)] بن الحارث بن كعب: إنَّه جناتُ الكروم

---

(١) هو بهذا اللفظ في تفسير الثعلبي ٤/ ١٦٢، وزاد المسير ٥/ ١٩٩ من حديث أبي موسى الأشعري ﷺ. وأخرجه هكذا أحمد (١٩٧٣١)، والطبري ١٥/ ٤٣٤، وغيرهما.
وأخرجه البخاري (٤٨٧٨)، ومسلم (١٨٠)، وأحمد (١٩٦٨٢) بلفظ: «جنَّتان من فضة آنيتُهما وما فيهما، وجنَّتان من ذهبٍ آنيتُهما وما فيهما» وليس فيه: «جِنان الفردوس أربع».

(٢) زاد المسير ٥/ ١٩٩. وأخرجه أحمد (٢٢٦٩٥)، والترمذي (٢٥٣١)، والطبري ١٥/ ٤٣٢-٤٣٣.

(٣) تفسير الثعلبي ٤/ ١٦٢، والمحرر الوجيز ٣/ ٥٤٦، وأخرجه الطبري ١٥/ ٤٣١، والبيهقي ٩/ ١٦٧.

(٤) المحرر الوجيز ٣/ ٥٤٦. وأخرجه البخاري (٢٧٩٠) عنه مرفوعاً ضمن حديث طويل.

(٥) تفسير الثعلبي ٤/ ١٦٢، وزاد المسير ٥/ ١٩٩. وأخرجه الطبراني في الكبير (٧٩٦٦)، والحاكم ٢/ ٣٧ من حديثه مرفوعاً. وأخرجه ابن أبي شيبة ١٣/ ١٤٨، والطبري ١٥/ ٤٣١ موقوفاً عليه. والسُّرَّة: الوسط.

(٦) زاد المسير ٥/ ١٩٩، وأخرجه الطبري ١٥/ ٤٣٢.

(٧) تفسير الثعلبي ٤/ ١٦٢، وزاد المسير ٥/ ١٩٩، وأخرجه ابن أبي شيبة ١٣/ ١٤٩، وهناد في الزهد (٥١)، وابن المبارك في الزهد (١٤٦٠)، والطبري ١٥/ ٤٣٢ عن كعب.

(٨) تحرف في النسخ سوى (ز١) إلى: عبيد الله، والمثبت منها ومن المحرر الوجيز ٣/ ٥٤٦، والكلام منه.

والأعناب خاصَّةً من الثمار[١]. وقال المُبرِّد: الفردوس فيما سمعتُ من كلام العرب: الشجر المُلتَفُّ، والأغلب عليه العِنَب[٢]. وحكى الزجَّاج أنَّه الأودية التي تُنبِتُ ضُروباً من النَّبْت[٣].

وهل هو عربيٌّ أو أعجميٌّ؟ قولان. وإذا قلنا: أعجميٌّ عُرِّب، فهل هو فارسيٌّ أو روميٌّ أو سريانيٌّ؟ أقوال. وقال حسان:

وإنَّ ثوابَ الله كلَّ مُوَحِّدٍ جِنانٌ من الفِرْدوسِ فيها يُخلَّدُ[٤]

قيل: ولم يُسمَعْ بالفردوس في كلام العرب إلَّا في هذا البيتِ بيتِ حسان، وهذا لا يصِحُّ، فقد قال أمية بنُ أبي الصَّلت:

كانَتْ منازلُهُمْ إذْ ذاكَ ظاهرةً فيها الفراديسُ ثُمَّ الفومُ والبصلُ[٥]

الفراديس: جمع فردوس. والظاهر أنَّ معنى «جنَّات الفردوس» بساتينُ حول الفردوس؛ ولذلك أضاف الجنات إليه، ويقال: كَرْمٌ مُفَرْدَس، أي: مُعرَّش، وكذلك سُمِّيتِ الروضةُ التي دون اليمامة فِرْدوساً؛ لاجتماع نخلها وتعريشها على أرضها، وفي دمشق باب الفراديس يخرج منه إلى البساتين.

و«نُزُلاً» يحتمل من التأويل ما احتمل قولُه: «نزلاً» المتقدِّم[٦].

ومعنى «حِوَلاً» أي: مُحَوَّلاً إلى غيرها. قال ابن عيسى: هو مصدر كالعِوَجِ والصِّغَرِ[٧].

قال الزمخشري[٨]: يقال: حالَ عن مكانِه حِوَلاً، كقوله: عادني حبُّها عِوَداً.

(١) أخرجه هنَّاد في الزهد (٥١)، وابن المبارك في الزهد (١٤٦٠)، والطبري ١٥/ ٤٣٢.
(٢) زاد المسير ٥/ ١٩٩-٢٠٠.
(٣) معاني القرآن للزجاج ٢/ ٢٣١.
(٤) ديوان حسان ص٩٢ (طبعة دار صادر).
(٥) ديوان أمية ص٩٨، وفيه وفي تفسير القرطبي ١٣/ ٣٩٦: والفومان بدل ثم الفوم.
(٦) في الآية (١٠٢) من هذه السورة.
(٧) تفسير الثعلبي ٤/ ١٦٢.
(٨) في الكشاف ٢/ ٥٠٠.

يعني: لا مزيد عليها حتى تُنازِعَهم أنفسُهم إلى أَجمعَ لأغراضهم وأمانيهم، وهذه غاية الوصف؛ لأنَّ الإنسانَ في الدنيا في أيِّ نعيمٍ كان فهو طامِحُ الطَّرْفِ إلى أرفعَ منه. ويجوز أن يُرادَ نفيُ التحوُّلِ وتأكيدُ الخلود. انتهى.

وقال ابن عطية: والحِوَل بمعنى التحوُّل. قال مجاهد: مُتحَوَّلاً. وقال الشاعر:

لكلِّ دولةٍ أجَلْ ثم يُتاحُ لها حِوَلْ

وكأنَّه اسمُ جمع، وكأنَّ واحدَه حَوالة. وفي هذا نظر. وقال الزجَّاج عن قومٍ: هي بمعنى الحيلة في التنقُّل. وهذا ضعيفٌ مُتكلَّف[1].

﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ﴾ قيل: سبب نُزولِها أنَّ اليهود قالوا للرسول ﷺ: كيف تزعمُ أنَّك نبيُّ الأمم كلِّها ومبعوثٌ إليها، وأنَّكَ أُعطيتَ ما يحتاجه الناسُ من العلم وأنت مُقصِّرٌ قد سُئلتَ عن الرُّوحِ فلم تُجِبْ فيه؟ فنزلَتْ مُعلِّمةً باتِّساع معلوماتِ الله، وأنَّها غيرُ مُتناهية، وأنَّ الوقوفَ دونَها ليس ببِدْعٍ ولا نكيرٍ، فعبَّر عن هذا بتمثيل ما يستكثرونه، وهو قوله: ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ﴾. وقيل: قال حُيَيّ بن أخطب: في كتابكم: ﴿وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [البقرة: ٢٦٩]، ثمَّ تقرؤون: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٠]، فنزلت، يعني أنَّ ذلك خيرٌ كثيرٌ، ولكنَّه قطرةٌ من بحر كلمات الله[2].

﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ﴾ أي: ماء البحر ﴿مِدَادًا﴾: وهو ما تُمَدُّ به الدَّواةُ من الحبر، وما يُمَدُّ به السِّراج من السليط. ويقال: السماءُ مِدادُ الأرض. ﴿لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي﴾ أي: مُعدًّا لكَتْبِ كلماتِ ربِّي وهو علمُه وحكمتُه، وكُتِبَ بذلك المداد ﴿لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ﴾ أي: فني ماؤه الذي هو المداد ﴿قَبْلَ أَن تَنفَدَ﴾ الكلمات؛ لأنَّ كلماتِه تعالى لا يُمكِنُ نفادُها؛ لأنَّها لا تتناهى، والبحرُ ينفَدُ؛ لأنَّهُ متناهٍ ضرورةً، وليس ببِدْعٍ أن أجهَلَ شيئاً

(١) المحرر الوجيز ٣/ ٥٤٦، والبيت هكذا وجدته فيه، وفي النسخ، وفي الدر المصون ٧/ ٥٥٧، ولم أجد قائله. وكلام الزجاج في معاني القرآن له ٣/ ٣١٥ بنحوه.

(٢) تفسير الثعلبي ٤/ ١٦٢، والمحرر الوجيز ٣/ ٥٤٦، والكشاف ٢/ ٥٠١، وما بعده منه ببعضه. ومن قوله: يعني أن ذلك... إلى هنا ليس في (ز١)، وهو في الكشاف.

من معلوماته، وإنَّما أنا بشرٌ مثلكم لم أعلَمْ إلَّا ما أُوحي إليَّ به وأعلمتُ.

وقرأ الجمهور: «مداداً لكلمات ربِّي». وقرأ عبد الله، وابن عباس، والأعمش، ومجاهد، والأعرج، والحسن، والمِنْقَري عن أبي عمرو: «مدداً لكلمات ربي»[١].

وقرأ الجمهور: «تنفَدَ» بالتاء من فوق. وقرأ حمزة، والكسائي، وعمرو بن عُبيد، والأعمش، وطلحة، وابنُ أبي ليلى: بالياء[٢].

وقرأ السُّلمي: «أن تَنَفَّدَ» بالتشديد على تفَعَّلَ على المضي، وجاء كذلك عن عاصم وأبي عمرو[٣]، فهو مطاوعٌ من نَفَّدَ مشدَّداً، نحو: كسَّرْتُه فتكسَّر، وفي قراءة الجماعة مُطاوعٌ لأنفَدَ.

وجواب: «لو» محذوفٌ؛ لدلالة المعنى عليه، تقديره: لنفِدَ.

وقرأ الجمهور: «بمثلِهِ مَدَداً» بفتح الميم والدال بغير ألف، والأعرج بكسر الميم[٤].

وانتصب «مدداً» على التمييز عن مِثْل[٥]، كقوله:

فإنَّ الهوى يكفيكَهُ مثلُهُ صبرا[٦]

وقرأ ابن مسعود، وابن عباس، ومجاهد، والأعمش بخلاف، والتَّيمي، وابن مُحَيصن، وحُميد، والحسن في رواية، وأبو عمرو في رواية، وحفص في رواية: «بمثلِه مِداداً» بألف بين الدالين وكسر الميم[٧].

---

(١) المحرر الوجيز ٣/ ٥٤٧ دون قراءة الحسن والمنقري عن أبي عمرو، وزاد المسير ٥/ ٢٠١ عن الحسن والأعمش. والمشهور في قراءة أبي عمرو: «مداداً» مثل باقي السبعة.

(٢) السبعة ص٤٠٢، والتيسير ص١٤٦، وينظر المحرر الوجيز ٣/ ٥٤٧.

(٣) المشهور عنهما مثل قراءة الجمهور: «تَنْفَدَ».

(٤) قراءة الأعرج في القراءات الشاذة ص٨٢، والكشاف ٢/ ٥٠١.

(٥) إملاء ما منَّ به الرحمن ٢/ ١٠٩.

(٦) لم أقف على قائله، وصدره كما في اللسان (ظنب): فإنْ خِفْتَ يوماً أنْ تَلِجَّ بكَ الهوى.

(٧) القراءات الشاذة ص٨٢، والمحتسب ٢/ ٣٥: عن ابن مسعود، وابن عباس، ومجاهد، والأعمش، وزاد في المحتسب: عن سليمان التيمي. والقراءة المشهورة عن أبي عمرو وحفص: «مدداً» مثل قراءة الجمهور.

قال أبو الفضل الرازي: ويجوز أن يكون نصبه على المصدر، بمعنى: ولو أمددناه بمثله إمداداً، ثمَّ نابَ المدَدُ مَنابَ الإمداد، مثل: أنبتَكم نباتاً[(١)].

وفي قوله: ﴿بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ إعلام بالبشرية والمماثلة في ذلك، لا أدَّعي أنِّي مَلَكٌ يُوحى إليَّ - أي: عليّ - إنَّما هو مستندٌ إلى وحي ربِّي.

ونبَّه على الوحدانية؛ لأنَّهم كانوا كفاراً بعبادة الأصنام، ثمَّ حَضَّ على ما فيه النَّجاةُ.

و«يرجو» بمعنى: يطمع، و«لقاءَ ربِّه» على تقدير محذوف، أي: حُسْنَ لقاءِ ربِّه. وقيل: «يرجو» أي: يخافُ سوءَ لقاءِ ربِّه، أي: لقاءَ جزاءِ ربِّه، وحَمْلُ الرجاء على بابه أجوَدُ لبسط النفس إلى إحسان الله تعالى.

ونهى عن الإشراك بعبادة الله تعالى.

وقال ابن جُبير: لا يُرائي في عملِه، فلا يبتغي إلَّا وجهَ ربِّه خالصاً لا يخلط به غيرَه[(٢)].

قيل: نزلت في جُنْدَب بن زهير، قال لرسول الله ﷺ: إنِّي أعمَلُ العملَ للهِ، فإذا اطُّلِعَ عليه سَرَّني. فقال: «إنَّ اللهَ لا يقبَلُ ما شُورِكَ فيه»[(٣)].

ورُوي أنَّه قال: «لك أجران، أجرُ السرِّ، وأجرُ العلانية»، وذلك إذا قصدَ أن يُقتَدى به[(٤)].

---

(١) نصُّ الآية: ﴿وَاللَّهُ أَنبَتَكُم مِّنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا﴾، وهي في سورة نوح، الآية (١٧).

(٢) النكت والعيون ٣/ ٣٥٠، وزاد المسير ٥/ ٢٠٣، ومجمع البيان ١٦/ ٢١٧.

(٣) تفسير الثعلبي ٤/ ١٦٢-١٦٣، وأسباب النزول للواحدي ص٣٠٨، والكشاف ٢/ ٥٠١ عن ابن عباس.

(٤) الكشاف ٢/ ٥٠١، والحديث اختُلف في إسناده كما سيأتي:
فأخرجه الترمذي (٢٣٨٤)، وابن ماجه (٤٢٢٦) من طريق سعيد بن سنان، عن حبيب بن أبي ثابت، عن أبي صالح ذكوان، عن أبي هريرة مرفوعاً. وسعيد بن سنان له أوهام.
وأخرجه الطبراني في الكبير ١٧/ (٧٢٣) من طريق يحيى الحِمَّاني، عن سفيان الثوري، عن حبيب بن أبي ثابت، عن أبي صالح، عن أبي مسعود البدري مرفوعاً. والحِمَّاني ضعيف.
وأخرجه أبو نعيم في الحلية ٨/ ٢٥٠ من طريق يوسف بن أسباط، عن سفيان الثوري، بمثل =

وقال معاوية بن أبي سفيان: هذه آخِرُ آيةٍ نزلت من القرآن[١].

وقرأ الجمهور: «ولا يُشرِكْ» بياء الغائب، كالأمر في قوله: «فليَعْمَلْ». وقرأ أبو عمرو في رواية الجُعْفي عنه: «ولا تُشْرِكْ»[٢] بالتاء خطاباً للسامع، والتفاتاً من ضمير الغائب إلى ضمير المخاطب، وهو المأمور بالعمل الصالح، ثمَّ عاد إلى الالتفات من الخطاب إلى الغَيبة في قوله: «بربه» ولم يأتِ التركيبُ «بربِّكَ» إيذاناً بأنَّ الضميرَيْنِ لِمدلولٍ واحدٍ، وهو «مَنْ» في قوله: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ﴾.

= إسناده سابقه إلا أنه قال: عن أبي ذر، بدل: أبي مسعود. ثم قال: والمحفوظ عن الثوري، عن حبيب، عن أبي صالح، مرسلاً.
وأخرجه البغوي في شرح السنة (٤١٤١) من طريق سعيد بن بشير، عن الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة مرفوعاً. قال الترمذي: أصحاب الأعمش لم يذكروا فيه: عن أبي هريرة.
قال أبو حاتم فيما نقل عنه ابنه في العلل ١/ ١٠١-١٠٢: الصحيح عندي مرسل. ومثله قال الدارقطني في العلل ٨/ ١٨٣-١٨٤.
وروايتا الثوري والأعمش المرسلتان في التاريخ الكبير ٢/ ٢٢٧-٢٢٨.

(١) تفسير الثعلبي ٤/ ١٦٤، والنكت والعيون ٣/ ٣٥٠، والمحرر الوجيز ٣/ ٥٤٧، وزاد المسير ٥/ ٢٠٣. وأخرجه الطبري ١٥/ ٤٤١-٤٤٢، والطبراني في الكبير ١٩/ (٩٢١). وتعقَّبه ابن كثير في تفسيره فقال: وهذا أثرٌ مشكل، فإن هذه الآية آخر سورة الكهف، والكهف كلها مكية، ولعلَّ معاوية أراد أنه لم ينزل بعدها آيةٌ تنسخها ولا تغيِّر حكمها، بل هي مثبتة محكمة، فاشتبه ذلك على بعض الرواة، فروى بالمعنى على ما فهمه، والله أعلم.

(٢) المشهور عن أبي عمرو مثل قراءة الجمهور.

سورة مريم

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿كٓهيعٓصٓ ﴿١﴾ ذِكۡرُ رَحۡمَتِ رَبِّكَ عَبۡدَهُۥ زَكَرِيَّآ ﴿٢﴾ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيّٗا ﴿٣﴾
قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلۡعَظۡمُ مِنِّي وَٱشۡتَعَلَ ٱلرَّأۡسُ شَيۡبٗا وَلَمۡ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيّٗا ﴿٤﴾
وَإِنِّي خِفۡتُ ٱلۡمَوَٰلِيَ مِن وَرَآءِي وَكَانَتِ ٱمۡرَأَتِي عَاقِرٗا فَهَبۡ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيّٗا ﴿٥﴾ يَرِثُنِي
وَيَرِثُ مِنۡ ءَالِ يَعۡقُوبَۖ وَٱجۡعَلۡهُ رَبِّ رَضِيّٗا ﴿٦﴾ يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسۡمُهُۥ يَحۡيَىٰ لَمۡ
نَجۡعَل لَّهُۥ مِن قَبۡلُ سَمِيّٗا ﴿٧﴾ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٞ وَكَانَتِ ٱمۡرَأَتِي عَاقِرٗا وَقَدۡ
بَلَغۡتُ مِنَ ٱلۡكِبَرِ عِتِيّٗا ﴿٨﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٞ وَقَدۡ خَلَقۡتُكَ مِن قَبۡلُ
وَلَمۡ تَكُ شَيۡـٔٗا ﴿٩﴾ قَالَ رَبِّ ٱجۡعَل لِّيٓ ءَايَةٗۚ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَ لَيَالٖ
سَوِيّٗا ﴿١٠﴾ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦ مِنَ ٱلۡمِحۡرَابِ فَأَوۡحَىٰٓ إِلَيۡهِمۡ أَن سَبِّحُواْ بُكۡرَةٗ وَعَشِيّٗا ﴿١١﴾ يَٰيَحۡيَىٰ
خُذِ ٱلۡكِتَٰبَ بِقُوَّةٖۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡحُكۡمَ صَبِيّٗا ﴿١٢﴾ وَحَنَانٗا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةٗۖ وَكَانَ تَقِيّٗا ﴿١٣﴾ وَبَرَّۢا
بِوَٰلِدَيۡهِ وَلَمۡ يَكُن جَبَّارًا عَصِيّٗا ﴿١٤﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَيۡهِ يَوۡمَ وُلِدَ وَيَوۡمَ يَمُوتُ وَيَوۡمَ يُبۡعَثُ حَيّٗا ﴿١٥﴾
وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَرۡيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتۡ مِنۡ أَهۡلِهَا مَكَانٗا شَرۡقِيّٗا ﴿١٦﴾ فَٱتَّخَذَتۡ مِن دُونِهِمۡ حِجَابٗا
فَأَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرٗا سَوِيّٗا ﴿١٧﴾ قَالَتۡ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحۡمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيّٗا
﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمٗا زَكِيّٗا ﴿١٩﴾ قَالَتۡ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٞ وَلَمۡ
يَمۡسَسۡنِي بَشَرٞ وَلَمۡ أَكُ بَغِيّٗا ﴿٢٠﴾ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٞۖ وَلِنَجۡعَلَهُۥٓ ءَايَةٗ لِّلنَّاسِ
وَرَحۡمَةٗ مِّنَّاۚ وَكَانَ أَمۡرٗا مَّقۡضِيّٗا ﴿٢١﴾ ۞ فَحَمَلَتۡهُ فَٱنتَبَذَتۡ بِهِۦ مَكَانٗا قَصِيّٗا ﴿٢٢﴾ فَأَجَآءَهَا
ٱلۡمَخَاضُ إِلَىٰ جِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ قَالَتۡ يَٰلَيۡتَنِي مِتُّ قَبۡلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسۡيٗا مَّنسِيّٗا ﴿٢٣﴾ فَنَادَىٰهَا مِن

تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٤﴾ وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا
جَنِيًّا ﴿٢٥﴾ فَكُلِى وَٱشْرَبِى وَقَرِّى عَيْنًا ۖ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِىٓ إِنِّى نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا
فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴿٢٦﴾ فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ ۖ قَالُوا۟ يَٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا
﴿٢٧﴾ يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ ۖ قَالُوا۟ كَيْفَ
نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِى ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِى
مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِى وَلَمْ يَجْعَلْنِى
جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾ ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ
مَرْيَمَ ۚ قَوْلَ ٱلْحَقِّ ٱلَّذِى فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٣٤﴾ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ ۖ سُبْحَٰنَهُۥٓ ۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا
فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٣٥﴾ وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٣٦﴾ فَٱخْتَلَفَ
ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْ ۖ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٣٧﴾ أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا ۖ
لَٰكِنِ ٱلظَّٰلِمُونَ ٱلْيَوْمَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ ۚ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا
يُؤْمِنُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ ٱلْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٤٠﴾ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ
صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا ﴿٤٢﴾
يَٰٓأَبَتِ إِنِّى قَدْ جَآءَنِى مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِىٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ
ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ
فَتَكُونَ لِلشَّيْطَٰنِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِى يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ۖ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ ۖ
وَٱهْجُرْنِى مَلِيًّا ﴿٤٦﴾ قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيْكَ ۖ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّىٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِى حَفِيًّا ﴿٤٧﴾ وَأَعْتَزِلُكُمْ
وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدْعُوا۟ رَبِّى عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّى شَقِيًّا ﴿٤٨﴾ فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا
يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴿٤٩﴾ وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا
وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴿٥٠﴾».

اشتعال النار: تفرُّقُها في التهابها، فصارت شُعَلاً. وقيل: شعاع النار. المفردات

الشَّيب: معروف، شابَ شعرُه: ابيَضَّ بعدَما كان بلونٍ غيرِه.

المخاض: اشتدادُ وجعِ الولادة والطَّلق[1].

الجِذْع: ما بين الأرض التي فيها الشجرة منها وبين متشعِّب الأغصان، ويقال

(١) المحرر الوجيز ٤/ ١٠، وزاد المسير ٥/ ٢٢٠.

للغصن أيضاً: جِذْع، وجمعُه أجذاع في القِلَّة، وجذوع في الكثرة.

السَّرِيُّ: المرتفِعُ القَدْرِ، يُقال: سَرُوَ يَسْرو، ويُجمَعُ على سَراة بفتح السين وسُرَواء، وهما شاذان فيه، وقياسه أفْعِلاء.

والسريُّ: النهر الصغير[١]؛ لأنَّ الماء يسري فيه[٢]، ولامُه ياءٌ كما أنَّ لامَ ذلك واوٌ، وقال لبيد:

فتوسَّطا عُرْضَ السَّرِيِّ فَصَدَّعا مَسْجورةً مُتجاوراً قُلَّامُها[٣]

أي: جدولاً.

الهزُّ: التحريك[٤].

الرُّطب معروف، واحدُه رُطَبَة، وجُمِعَ شاذّاً على أرطاب، كرُبَع وأرباع[٥]، وهو ما قُطِعَ قبل أن يشتدَّ وييْبَس.

الجَنِيُّ: ما طابَ وصَلُحَ للاجتناء[٦]. وقال أبو عمرو بن العلاء: لم يجِفَّ ولم ييْبَس. وقيل: الجَنِيُّ: ما ترَطَّبَ من البُسْرِ[٧]. وقال الفَرَّاء: الجَنِيُّ والمَجْنيُّ واحد[٨]. وعنه[٩]: الجَنِيُّ: المَقطوع.

قُرَّة العين مأخوذٌ من القَرِّ، يُقال: دمْعُ الفرح باردُ اللَّمس، ودمْعُ الحُزنِ سَخِنُ اللَّمس[١٠].

---

(١) الصحاح (سرا).
(٢) تفسير القرطبي ١٣/ ٣٤٣.
(٣) ديوان لبيد ص٣٠٧، وقال شارحه: العُرْض: الناحية. مسجورةً: مملوءةً يعني عيناً. القُلَّام: نبت، وقيل: القصب.
(٤) الصحاح (هزز).
(٥) الصحاح (رطب).
(٦) المحرر الوجيز ٤/ ١٢.
(٧) النكت والعيون ٣/ ٣٦٧.
(٨) معاني القرآن للفراء ٢/ ١٦٦.
(٩) في تفسير القرطبي ١٣/ ٤٣٥: وعن غير الفراء.
(١٠) المحرر الوجيز ٤/ ١٢.

وقال أبو تمام:

فأمَّا عيونُ العاشقينَ فأُسخِنَتْ وأمَّا عيونُ الشامِتينَ فقَرَّتِ[(١)]

وقريش تقول: قَرِرْتُ به عيناً، وقرِرْتُ بالمكان أقَرُّ، وأهلُ نجدٍ: قَرِرْتُ به عيناً [أقِرُّ] بالكسر[(٢)].

الفَرِيُّ: العظيم من الأمر[(٣)]، يُستعمل في الخير وفي الشَّرِّ، ومنه في وصف عمر: «فلم أرَ عبقريّاً يفري فَرِيَّه»[(٤)] والفَرْيُ: القَطْع[(٥)]. وفي المثل: جاء يفري الفَرِيَّ، أي: يعمل عظيماً من العمل قولاً أو فعلاً[(٦)]. وقال الزمخشري[(٧)]: الفَرْيُ: البديع، وهو من فَرْي الجلد.

الإشارة معروفة، تكون باليد والعين والثوب والرأس والفم، وأشار ألِفُه منقلبةٌ عن ياء، يقال: يُشايرنا الهلال، للمفاعلة. وقال كُثَيِّر:

فقلتُ وفي الأحشاءِ داءٌ مُخامِرٌ ألَّا حبَّذا يا عَزُّ ذاكَ التَّشايُرُ[(٨)]

* * *

التفسير ﴿كٓهيعٓصٓ ﴿١﴾ ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ ﴿٢﴾ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ﴿٣﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّى وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴿٤﴾ وَإِنِّى خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِىَ مِن وَرَآءِى وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ﴿٥﴾ يَرِثُنِى وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ ۖ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴿٦﴾ يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ

(١) ديوان أبي تمام ١/ ٣٠٠.
(٢) تفسير الطبري ١٥/ ٥١٦، وما بين حاصرتين منه.
(٣) تهذيب اللغة ١٥/ ٢٤٠ عن الفراء، والنكت والعيون ٣/ ٣٦٨ عن مجاهد وقتادة والسدي.
(٤) أخرجه البخاري (٣٦٣٤)، ومسلم (٢٣٩٣)، وأحمد (٤٨١٤) من حديث ابن عمر ﵄. وأخرجه البخاري ـ أيضاً ـ (٣٦٣٤)، وأحمد (٨٢٣٩) من حديث أبي هريرة ﵁. وهو في صحيح مسلم (٢٣٩٢) بنحوه.
(٥) تفسير القرطبي ١٣/ ٤٤١.
(٦) المحرر الوجيز ٤/ ١٣، وهو في مجمع الأمثال ٤/ ١٣.
(٧) في الكشاف ٢/ ٥٠٧-٥٠٨.
(٨) سلف عند تفسير الآية (٢٣٣) من سورة البقرة.

ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا ﴿٧﴾ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ ٱلْكِبَرِ عِتِيًّا ﴿٨﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا ﴿٩﴾ قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّىٓ ءَايَةً قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ﴿١٠﴾ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنَ ٱلْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا۟ بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿١١﴾ يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا ﴿١٢﴾ وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةً وَكَانَ تَقِيًّا ﴿١٣﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا ﴿١٤﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ﴿١٥﴾».

هذه السورة مكيَّةٌ كالسُّورة التي قبلها. وقال مقاتل: إلا آية السجدة فهي مدنية[١]، نزلت بعد مُهاجرة المؤمنين إلى الحبشة.

ومناسبتُها لِما قبلَها أنَّه تعالى ضمَّنَ السورةَ قبلَها قصصاً عجباً كقصَّةِ أهل الكهف، وقصَّةِ موسى مع الخَضِر، وقصَّةِ ذي القرنين. وهذه السورة تضمَّنت قِصصاً عجَباً؛ من ولادةِ يحيى بين شيخٍ فانٍ وعجوزٍ عاقرٍ، وولادةِ عيسى من غير أبٍ، فلمَّا اجتمعا في هذا الشيء المُستَغْرَب ناسبَ ذِكْرُ هذه السورة بعد تلك.

وتقدَّم الكلامُ في أول «البقرة» على هذه الحروف المُقطَّعة التي في فواتح السور بما يُوقَفُ عليه هناك.

و«ذِكْرُ» خبر مبتدأٍ محذوفٍ، أي: هذا المتلُوُّ من[٢] القرآن ذِكْرٌ. وقيل: «ذِكْرُ» خبرٌ لقوله: «كهيعص»، وهو مبتدأ. ذَكَره الفرَّاء[٣]. قيل: وفيه بُعْدٌ؛ لأنَّ الخبرَ هو المبتدأ في المعنى، وليس في الحروف المُقطَّعة ذِكْرُ الرحمة، ولا في ذِكْرِ الرحمة معناها. وقيل: «ذِكْرُ» مبتدأ، والخبر محذوفٌ تقديره: فيما يُتلى عليكَ ذِكْرٌ.

وقرأ الجمهور: «كاف» بإسكان الفاء. ورُويَ عن الحسن ضمُّها[٤]. وأمالَ نافعٌ «ها» و«يا» بين اللَّفظين، وأظهر دال صاد عند ذال «ذِكْر»[٥].

---

(١) زاد المسير ٥/ ٢٠٤.
(٢) بعدها في المطبوع والنسخ ـ سوى (ز١) ـ زيادة كلمة: هذا.
(٣) في معاني القرآن له ٢/ ١٦١.
(٤) تفسير القرطبي ١٣/ ٤٠٥.
(٥) ينظر السبعة ص٤٠٦، والتيسير ص١٤٧-١٤٨، والمحرر الوجيز ٤/ ٣-٤.

وقرأ الحسن بضمِّ الهاء، وعنه أيضاً ضمُّ الياء وكسر الهاء[(١)]، وعن عاصمٍ ضمُّ الياء، وعنه كسرهما[(٢)]، وعن حمزة فتحُ الهاء وكسرُ الياء[(٣)].

قال أبو عمرو الدَّاني: معنى الضمِّ في الهاء والياء: إشباعُ التفخيم، وليس بالضمِّ الخالص الذي يوجب القلب[(٤)].

وقال أبو الفضل عبد الرحمن بن أحمد بن الحسن المقرئ الرازي في كتاب «اللوامح في شواذِّ القراءات»: خارجةُ عن الحسن: «كاف» بضمِّ الكاف، ونصر بن عاصم عنه بضمِّ الهاء، وهارون بن موسى العَتَكي عن إسماعيل عنه بالضمِّ. وهذه الثلاثُ مُتَرْجَمٌ عليها بالضمِّ وليس مضموماتِ المَحالِّ في الحقيقة؛ لأنهنَّ لو كُنَّ كذلك لوجبَ قَلْبُ ما بعدَهُنَّ من الألِفات واوات، بل نُحِّيَتْ هذه الألِفاتُ نحوَ الواوِ على لغةِ أهل الحجاز، وهي التي تُسمَّى ألفَ التفخيم بضدِّ الألِف المُمالة، فأشبهَتِ الفتحات التي تولَّدت منهنَّ الضمَّاتُ، وهذه الترجمة كما ترجموا عن الفتحةِ المُمالةِ المُقرَّبةِ من الكسرةِ بكسرةٍ؛ لتقريب الألف بعدها من الياء. انتهى.

وقرأ أبو جعفر بتقطيع هذه الحروف وتخليصِ بعضها من بعض فَرْقاً بينها وبين ما ائتلفَ من الحروف، فيصيرُ أجزاءَ الكَلِمُ، فاقتضَيْنَ إسكانَ آخرِهنَّ.

وأظهرَ الأكثرون دالَ صاد عند ذالِ «ذِكْر»، وأدغمَها أبو عمرو.

وقرأ حفص عن عاصم وفرقةٌ بإظهار النون من عين، والجمهور على إخفائها.

وقرأ الحسن، وابن يَعْمَر: «ذَكَّرَ» فعلاً ماضياً، «رحمةَ» بالنصب. وحكاه أبو الفتح[(٥)]، وذكره الزمخشري[(٦)] عن الحسن، أي: هذا المتلوُّ من القرآن ذِكْرُ رحمةِ ربِّك.

---

(١) المحرر الوجيز ٤/٤، وقراءة ضم الهاء في القراءات الشاذة ص٨٣.
(٢) الكشاف ٢/٥٠٢، والمشهور عنه مثل قراءة الجمهور.
(٣) السبعة ص٤٠٦، والتيسير ص١٤٧.
(٤) المحرر الوجيز ٤/٤.
(٥) في المحتسب ٢/٣٧، لكن دون ذكر ابن يعمر، وذكرها عنه ابن خالويه كما سيأتي.
(٦) في الكشاف ٢/٥٠٢.

وذكر الدَّاني عن ابن يَعْمَر «ذَكِّرْ» فعلَ أمرٍ من التذكير، «رحمةَ» بالنصب، و«عبدَه» نصب بالرحمة، أي: ذكِّرْ أنَّ رحمةَ ربِّكَ عبدَه[١].

وذكر صاحب «اللوامح» أنَّ «ذَكَّرَ» بالتشديد ماضياً عن الحسن باختلاف، وهو صحيحٌ عن ابن يَعْمَر، ومعناه: أنَّ المتلوَّ ـ أي القرآن ـ ذَكَّرَ برحمةِ ربِّكَ، فلمَّا نزع الباء انتصب.

ويجوز أن يكون معناه: إنَّ القرآنَ ذكَّرَ الناسَ تذكيراً أنْ رحِمَ اللهُ عبدَه، فيكونُ المصدرُ عاملاً في «عبدَه زكريا»؛ لأنَّه ذكَّرَهم بما نَسُوه من رحمة الله، فتجدَّد عليهم بالقرآن ونزولِه على النبيِّ ﷺ.

ويجوز أن يكون «ذكَّرَ» على المضيِّ مُسنَداً إلى الله سبحانه.

وقرأ الكلبيُّ: «ذَكَرَ» على المضيِّ خفيفاً من الذِّكر، «رحمةَ ربِّكَ» بنصب التاء، «عبدُه» بالرفع بإسناد الفعل إليه.

وقال ابن خالويه[٢]: «ذَكَّرَ رحمةَ ربِّك عبده» يحيى بن يَعْمَر، و«ذَكِّرْ» على الأمر عنه أيضاً. انتهى.

و«إذْ» ظرف العامل فيه؛ قال الحَوْفي: «ذِكْرُ». وقال أبو البقاء[٣]: «وإذْ» ظرفٌ لـ«رحمة»، أو لـ«ذكر». انتهى.

ووصف «نداءً» بالخفيِّ؛ قال ابن جُريج: لئلَّا يُخالِطَه رياء. مقاتل: لئلَّا يُعابَ بطلب الولد في الكِبَر. قتادة: لأنَّ السرَّ والعلانيةَ عنده تعالى سواء. وقيل: أسرَّه من مواليه الذين خافهم[٤]. وقيل: لأنَّه أمرٌ دُنياويٌّ فأخفاه؛ لأنَّه إنْ أُجيبَ فذاك بُغيتُه، وإلَّا فلا يعرف ذلك أحد. وقيل: لأنَّه كان في جوف الليل[٥]. وقيل: لإخلاصه فيه، فلا يعلمه إلَّا الله. وقيل: لضعف صوتِه بسبب كِبَرِه، كما قيل:

(١) المحرر الوجيز ٤/ ٤.
(٢) في القراءات الشاذة ص٨٣، وقراءة الكلبي فيه أيضاً.
(٣) في الإملاء ٢/ ١١٠.
(٤) الكشاف ٢/ ٥٠٢ بنحوه.
(٥) المحرر الوجيز ٤/ ٤.

الشيخ صَوْتُه خُفات، وسَمْعُه تارات[١]. وقيل: لأن الإخفاءَ سُنَّةُ الأنبياء، والجهرُ به يُبْعِدُ من الاعتداء، وفي التنزيل: ﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾ [الأعراف: ٥٥]. وفي الحديث: «إنَّكم لا تَدْعونَ أصمَّ ولا غائباً»[٢].

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّى وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّى﴾ هذه كيفية دعائه وتفسير ندائه.

وقرأ الجمهور: «وهَنَ» بفتح الهاء. والأعمش بكسرها[٣]. وقُرئ بضمِّها، لغات ثلاث، ومعناه: ضَعُفَ. وأسندَ الوَهَن إلى العظم؛ لأنَّه عمودُ البدن، وبه قوامُه، وهو أصلُ بنائه، فإذا وهنَ تداعى[٤] وتساقطت قوَّتُه، ولأنَّه أشدُّ ما فيه وأصلَبُه، فإذا وهنَ كان ما وراءَه أوهنَ، ووحّدَ العظم لأنَّه يدلُّ على الجنس، وقصد إلى أنَّ هذا الجنس الذي هو العمودُ والقوامُ، وأشدُّ ما تركَّبَ منه الجسد قد أصابه الوهنُ، ولو جمع لكان قصداً آخرَ، وهو أنَّه لم يهِنْ منه بعضُ عظامه، ولكن كلُّها[٥]. وقال قتادة: اشتكى سقوط الأضراس[٦]. قال الكرماني: وكان له سبعون سنة. وقيل: خمس وسبعون. وقيل: خمس وثمانون. وقيل: ستون. وقيل: خمس وستون.

وشبَّه الشَّيب بِشُواظ النار في بياضِه وانتشارِه في الشعر وفُشُوِّه فيه وأخْذِه منه كلَّ مأخَذٍ باشتعال النار، ثمَّ أخرجَه مخرجَ الاستعارة، ثم أسندَ الاشتعالَ إلى مكان الشَّعرِ ومنبتِه وهو الرأس، وأخرجَ الشيبَ مميَّزاً ولم يضف الرأس، اكتفاءً بعلم المُخاطَب أنَّه رأسُ زكرياء، فمِنْ ثَمَّ فَصُحَتْ هذه الجملةُ وشُهِدَ لها بالبلاغة. قاله الزمخشري[٧]، وإلى هذا نظر ابنُ دُريدٍ فقال:

واشتعلَ المُبْيَضُّ في مُسْوَدِّهِ مثلَ اشتعالِ النَّارِ في جزلِ الغضا[٨]

---

(١) الكشاف ٢/ ٥٠٢.

(٢) أخرجه البخاري (٢٩٩٢)، ومسلم (٢٧٠٤)، وأحمد (١٩٥٢٠) من حديث أبي موسى الأشعري ﷺ. وقبله: «اربعوا على أنفسكم».

(٣) المحرر الوجيز ٤/ ٤.

(٤) بعدها في النسخ سوى (ز١): ما وراءه.

(٥) الكشاف ٢/ ٥٠٢.

(٦) الوسيط ٣/ ١٧٥، وتفسير البغوي ٣/ ١٨٨.

(٧) في الكشاف ٢/ ٥٠٢.

(٨) ينظر شرح مقصورة ابن دريد للخطيب التبريزي ص٣.

وبعضُه أعرَبَ «شيباً» مصدراً، قال: لأنَّ معنى «واشتعلَ الرأسُ»: شابَ، فهو مصدرٌ من المعنى. وقيل: هو مصدر في موضع نصبٍ على الحال، واشتعالُ الرأسِ استعارةُ المحسوسِ للمحسوسِ، إذِ المُستعارُ منه النارُ، والمُستعارُ له الشيبُ، والجامعُ بينهما الانبساطُ والانتشارُ.

﴿وَلَمْ أَكُنۢ﴾ نفيٌ فيما مضى، أي: ما كنتُ ﴿بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا ۝٤﴾ بل كنتُ سعيداً موفَّقاً؛ إذ كنتَ تُجيب دعائي، فأسعَدُ بذلك. فعلى هذا الكافُ مفعول. وقيل: المعنى: بدعائك إلى الإيمان شقيًّا، بل كنتُ ممَّن أطاعكَ وعَبَدَكَ مخلصاً، فالكاف على هذا فاعل، والأظهرُ الأول؛ شكراً لله تعالى بما سلف إليه من إنعامه عليه، أي: قد أحسنتَ إليَّ فيما سلف، وسعِدْتُ بدعائي إيَّاكَ، فالإنعامُ يقتضي أن تُجيبني آخراً كما أجَبْتَني أولاً[1].

ورُوي أنَّ حاتماً الطَّائيَّ أتاه طالبُ حاجة، فقال: أنا أحسنتُ إليكَ وقتَ كذا. فقال حاتم: مرحباً بالذي توسَّلَ بنا إلينا. وقضى حاجته.

﴿وَإِنِّي خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِيَ مِن وَرَآءِى﴾ الموالي: بنو العمِّ والقرابة الذين يلون بالنسب[2]. قال الشاعر:

مهلاً بني عمِّنا مهلاً موالينا ... لا تَنْبُشوا بيننا ما كان مدفونا[3]

وقال لبيد:

ومولًى قَدْ دفَعْتُ الضَّيْمَ عنهُ ... وقَدْ أمسى بمنزلةِ المَضيمِ[4]

وقال ابن عباس ومجاهد وقتادة وأبو صالح: الموالي هنا هم[5]: الكَلالة؛

(١) أحكام القرآن لابن العربي ٣/ ١٢٣٩، والكشاف ٢/ ٥٠٢.
(٢) زاد المسير ٥/ ٢٠٧.
(٣) قائله الأخضر اللِّهَبي، واسمه الفضل بن عباس بن عتبة بن أبي لَهَب بن عبد المطلب، والبيت في الكامل للمبرد ٣/ ١٤١٠، والمؤتلف والمختلف للآمدي ص٤١، ومعجم الشعراء للمرزُباني ص١٧٨.
(٤) ديوان لبيد ص١٠١.
(٥) كلمة: «هم» من (ز١)، وأخرجه عنهم الطبري ١٥/ ٤٥٥-٤٥٧، والكلام من المحرر الوجيز ٤/ ٤-٥.

خافَ أن يرثوا ماله، وأنْ يرِثَه الكلالة. وروى قتادة والحسن، عن النبيِّ ﷺ: «يرحَمُ اللهُ أخي زكريا، ما كان عليه ممَّن يرِثُ مالَه؟!»[١]. وقالت فرقة: إنَّما كان مواليه مُهمِلينَ الدِّين، فخاف بموته أن يضيع الدِّينُ، فطلب وليًّا يقوم بالدِّين بعده[٢]. وهذا لا يصِحُّ عنه؛ إذ قال عليه السلام: «نحنُ معاشِرَ الأنبياء لا نُوْرَثُ، ما تركناه فهو صدقة»[٣].

والظاهرُ اللَّائقُ بزكريا عليه السلام من حيثُ هو معصومٌ أنَّه لا يطلبُ الولدَ لأجل ما يخلفه من حطام الدنيا، وكذلك قولُ مَنْ قال: إنَّما خاف أن تنقطع النبوَّةُ من ولدِه وترجعَ إلى عصبته؛ لأنَّ ذلك إنَّما يضَعُها اللهُ حيث شاء، ولا يعترِضُ على الله فيمَنْ شاءَه واصطفاه من عباده.

قال الزمخشري[٤]: كان مواليه ـ وهم عصبَتُه إخوتُه وبنو عمِّه ـ شِرارَ بني إسرائيل، فخافهم على الدِّين أن يُغيِّروه، وأن لا يُحسِنوا الخلافة على أمَّته، فطلبَ عَقِباً صالحاً من صُلْبِه يُقتدى به في إحياء الدِّين.

وقرأ الجمهور: «خِفْتُ» من الخوف.

وقرأ عثمان بن عفان، وزيد بن ثابت، وابن عباس، وسعيد بن العاص، وابنُ يَعْمَر، وابن جُبير، وعلي بن الحسين وولداه محمد وزيد، وشُبَيل بن عَزْرَة، والوليد بن مسلم لأبي عامر: «خَفَّتِ» بفتح الخاء والفاء مشددة وكسرِ تاء التأنيث «الموالِيْ» بسكون الياء[٥]، والمعنى: انقطعَ مواليَّ وماتوا، فإنَّما طلبَ وليًّا يقوم بالدِّين.

---

(١) أخرجه الطبري ١٥/٤٥٩ و٤٦٠ عنهما. وأخرجه عبد الرزاق في تفسيره ٢/٣ من طريق قتادة.

(٢) إلى هنا من المحرر الوجيز، وهذا القول ذكره بنحوه الزجاج في معاني القرآن له ٢/ ٣٢٠.

(٣) أخرجه – دون قوله: «معاشر الأنبياء» ـ البخاري (٣٠٩٤)، ومسلم (١٧٥٧) من حديث عمر بن الخطاب ﷺ. والبخاري (٦٧٢٦)، ومسلم (١٧٥٨) من حديث عائشة ﷺ.

(٤) في الكشاف ٢/ ٥٠٢.

(٥) القراءات الشاذة ص٨٣، والمحتسب ٢/ ٣٧، والمحرر الوجيز ٤/ ٥، وزاد المسير ٥/ ٢٠٨، ومجمع البيان ١٦/ ٧. والمشهور عن أبي عامر مثل قراءة الجمهور.

وقرأ الزُّهري: «خِفْتُ» من الخوف، «الموالِيْ» بسكون الياء[١].

وعلى قراءة «خِفْتُ» من الخوف يكون «من ورائي» أي: بعد موتي. وعلى قراءة «خَفَّت» يحتمل أن يتعلَّقَ «من ورائي» بـ «خَفَّت» وهو الظاهر، فالمعنى: إنَّهم خَفُّوا قُدَّامه ـ أي: درجوا ـ فلم يبقَ منهم مَنْ له تَقَوٍّ واعتضادٌ. وأن يتعلَّقَ بالموالي، أي: قَلُّوا وعجزوا عن إقامة الدِّين. و«ورائي» بمعنى: خلفي ومن بعدي، فسأل ربَّه تقويتَهم ومُظاهرتَهم بوليٍّ يرزقُه[٢].

ورُوي عن ابن كثير: «من وَرايَ» مقصوراً، كعصاي[٣].

وتقدَّم شرح العاقر في «آل عمران»[٤].

وقوله: ﴿مِن لَّدُنكَ﴾ تأكيدٌ لكونه وليًّا مرضيًّا، بكونه مضافاً إلى الله، وصادراً من عنده، أو أراد اختراعاً منك بلا سببٍ؛ لأنِّي وامرأتي لا نصلح للولادة[٥].

والظاهر أنَّه طلبَ من الله تعالى أن يهبَه وليًّا ولم يُصرِّح بأن يكون ولداً؛ لبُعْدِ ذلك عنده لِكِبَره وكونِ امرأتِه عاقراً. وقيل: إنَّما سأل الولد[٦].

وقرأ الجمهور: «يَرِثُني ويَرِثُ» برفع الفِعْلَين، صفةٌ للولي، فإن كان طلبَ الولدَ فوصفه بأن تكون الإجابةُ في حياته حتى يرِثَه؛ لئلَّا تكون الإجابةُ في الولد، لكن يُخْتَرَم[٧] فلا يحصل ما قصَدَه.

وقرأ النَّحْويَّان[٨]، والزُّهري، والأعمش، وطلحة، واليزيدي، وابنُ عيسى

---

(١) زاد المسير ٥/٢٠٨، وتفسير الرازي ٢١/ ١٨٠.
(٢) الكشاف ٢/ ٥٠٢.
(٣) القراءات الشاذة ص٨٣، والمحرر الوجيز ٤/ ٥، والكشاف ٢/ ٥٠٢. والمشهور عنه: «ورائيَ». ينظر السبعة ص٤٠٧.
(٤) عند تفسير الآية (٤٠) منها.
(٥) الكشاف ٢/ ٥٠٢.
(٦) المحرر الوجيز ٤/ ٥.
(٧) المثبت من (ز١) والمحرر الوجيز ٤/ ٥، وتفسير القرطبي ١٣/ ٤١٣، والكلام منهما. وفي باقي النسخ والمطبوع: «يحترمه» ونحوها.
(٨) هما الكسائي وأبو عمرو، وقراءاتهما في السبعة ص٤٠٧، والتيسير ص١٤٨. وينظر إعراب القرآن للنحاس ٣/ ٦.

الأصبهاني، وابن مُحَيْصِن، وقَتَادة، بجزمهما على جواب الأمر.

وقرأ علي، وابن عباس، والحسن، وابن يَعْمَر، والجَحْدري، وقَتادة، وأبو حرب بن أبي الأسود، وجعفر بن محمد، وأبو نَهِيك: «يَرِثني» بالرفع والياء، و«أرِثُ» جعلوه فعلاً مضارعاً من ورث. قال صاحب «اللوامح»: وفيه تقديم، فمعناه: فهَبْ لي من لدنكَ وليًّا من آل يعقوب، يرِثُني إنْ مِتُّ قبلَه، أي: نبوَّتي، وأرِثُه إن مات قبلي، أي: مالَه. وهذا معنى قول الحسن.

وقرأ علي، وابن عباس، والجَحْدري: «يرِثُني وارِثٌ من آلِ يعقوب». قال أبو الفتح[١]: هذا هو التجريد، التقدير: يرثني منه وارثٌ.

وقال الزمخشري: «وارِثٌ» أي: يرِثُني به وارِثٌ، ويُسمَّى التجريد في علم البيان، والمرادُ بالإرثِ إرثُ العِلْم؛ لأنَّ الأنبياءَ لا تُورَثُ المالَ. وقيل: يرِثُني الحُبورة، وكان حَبْراً، ويرِثُ من آل يعقوب الملكَ؛ يُقال: ورِثْتُه ووَرِثْتُ منه. لغتان. وقيل: «مِن» للتبعيض لا للتعدية؛ لأنَّ آلَ يعقوب ليسوا كلُّهم أنبياءَ ولا علماءَ[٢].

وقرأ مجاهد: «أُوَيْرِثٌ من آلِ يعقوب» على التصغير، وأصلُه وُوَيْرِث، فأُبدِلَتِ الواوُ همزةً على اللزوم؛ لاجتماع الواوَين، وهو تصغير وارث، أي: غُلَيِّمٌ صغيرٌ[٣].

وعن الجَحْدَري: «وارث» بكسر الواو، يعني به الإمالةَ المحضةَ لا الكسرَ الخالصَ[٤].

والظاهر أنَّ يعقوب هو ابنُ إسحاق بن إبراهيم. وقيل: هو يعقوب بن ماثان أخو زكريا. وقيل: يعقوب هذا وعمران أبو مريم أخَوان من نَسْلِ سليمان بن داود[٥].

---

(١) في المحتسب ٢/ ٣٨، والقراءة فيه، وفي القراءات الشاذة ص٨٣، والمحرر الوجيز ٤/ ٥، والكشاف ٢/ ٥٠٢-٥٠٣.
(٢) الكشاف ٢/ ٥٠٣.
(٣) الكشاف ٢/ ٥٠٣، والقراءات الشاذة ص٨٣ وليس فيه نسبة القراءة لمجاهد.
(٤) القراءات الشاذة ص٨٣، لكن نُسبت في الدر المصون ٧/ ٥٦٩ للزهري.
(٥) الكشاف ٢/ ٥٠٣.

و«مَرْضيًّا» بمعنى مرضيّ يا زكريا، أي: قيل له بإثْرِ الدعاء[(١)]. وقيل: رزقَه بعد أربعين سنة من دعائه. وقيل: بعد ستين. والمُنادي والمبشِّرُ زكريا هم الملائكة بوحيٍ من الله تعالى، قال تعالى: ﴿فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ الآية [آل عمران: ٣٩].

والغلام: الولدُ الذَّكر، وقد يُقال للأنثى: غُلامة، كما قال:

تُـهـانُ لـهـا الـغُـلامـةُ والـغُـلامُ[(٢)]

والظاهر أنَّ يحيى ليس عربياً؛ لأنَّه لم تكن عادَتُهم أن يُسمُّوا بألفاظ العربية، فيكون منعُه الصَّرْفَ للعلَمية والعُجْمة، وإن كان عربياً فيكون مسمًّى بالفعل كيَعْمَر ويعيش، وقد سَمَّوا بيموت، وهو يموت بن المُزَرَّع ابنُ أخت الجاحظ[(٣)].

وعلى أنَّه عربيٌّ؛ فقيل: سُمِّي بذلك لأنَّه يحيى بالحكمة والعِفة[(٤)]. وقيل: يحيى بهدايته وإرشاده خلقٌ كثير. وقيل: لأنه يستشهد، والشهداءُ أحياء[(٥)]. وقيل: لأنَّه يُعَمَّر زماناً طويلاً. وقيل: لأنَّه حييَ بين أبٍ شيخٍ كبيرٍ وأمٍّ عاقرٍ[(٦)]. وقيل: لأنَّه حيِيَ به عقرُ أمِّه وكانت لا تَلِد[(٧)]. وقال ابن عباس وقَتادة والسُّدِّي وابنُ أسلم: لم نُسَمِّ قبله أحداً بيحيى[(٨)]. قال الزمخشري[(٩)]:

(١) المحرر الوجيز ٤/ ٥-٦.

(٢) هو لأوس بن غلفاء كما في جمهرة اللغة لابن دريد ٣/ ١٤٩، واللسان (ركض). وهو من دون نسبة في معاني القرآن للنحاس ١/ ٢٢٣، والحيوان للجاحظ ١/ ٣٢٩. وصدر البيت: ومُرْكِضةٍ صريحيٍّ أبوها.

(٣) الكشاف ٢/ ٥٠٣ ببعضه. ويموت بن المُزَرِّع - بفتح الراء المشدَّدة والمحدِّثون يكسرونها -: هو العلامة الأخباري الأديب، حدَّث عن خاله الجاحظ وأبي حفص الفلّاس وغيرهما، وروى عنه أبو بكر بن مجاهد وأبو بكر الخرائطي وغيرهما، توفي سنة (٣٠٤هـ). السير ١٤/ ٢٤٧.

(٤) معاني القرآن للزجاج ٣/ ٣٢٠، وتفسير أبي الليث ٢/ ٣٦٩. وفيهما «العلم» بدل «العفة».

(٥) تفسير الرازي ٢١/ ١٨٦.

(٦) الكشاف ٢/ ٥٠٣، وكلمة «أب» من (ز١) و(ب).

(٧) تفسير أبي الليث ٢/ ٣٦٩، وتفسير الرازي ٢١/ ١٨٦ عن ابن عباس.

(٨) المحرر الوجيز ٤/ ٦، وزاد المسير ٥/ ٢١٠، ومجمع البيان ٦/ ١٦. وأخرجه عنهم - دون ابن عباس - الطبري ١٥/ ٤٦٢-٤٦٣.

(٩) في الكشاف ٢/ ٥٠٣.

وهذا شاهدٌ على أنَّ الأسامي الشُّنُعَ[1] جديرةٌ بالأَثَرة وإيَّاها كانت العرب تنتحي في التسمية؛ لكونِها أنبَهَ وأنوَهَ وأنزَهَ عن النَّبْزِ[2]، حتى قال القائلُ في مدحِ قومٍ:

شُنُعُ الأسامي مُسْبِلي أُزُرٍ حُمْرٍ تَمَسُّ الأرضَ بالهُدُبِ[3]

وقال رُؤبة للنَّسَّابة البَكْريِّ وقد سأله عن نسبِه: أنا ابنُ العجَّاجِ. فقال: قَصَّرتَ وعَرَّفْتَ. انتهى.

وقيل للصَّلت بن عطاء: كيف تقدَّمتَ عند البرامكة وعندهم مَنْ هو آدَبُ منك؟ فقال: كنتُ غريبَ الدار، غريبَ الاسم، خفيفَ الحَزْم، شحيحاً بالإشلاء[4]، فذكر ممَّا قدَّمه كونه غريبَ الاسم؛ إذ كان اسمُه الصَّلت.

وقال مجاهد وغيره: «سميًّا» أي: مثلاً ونظيراً، وكأنَّه من المُساماة والسموِّ. قال ابن عطية[5]: وهذا فيه بُعْدٌ؛ لأنَّه لا يُفَضَّلُ على إبراهيم وموسى. وقال ابن عباس أيضاً: لم تلدِ العواقرُ مثلَه[6].

قال الزمخشري[7]: وإنَّما قيل للمِثْل سَمِيٌّ؛ لأنَّ مُتشاكِلَين يُسمَّى كلُّ واحدٍ منهما باسم المِثْلِ والشَّبيهِ والشَّكْل والنَّظيرِ، فكلُّ واحدٍ منهما سَمِيٌّ لصاحبه. وقيل: لم يكن له مِثْلٌ في أنَّه لم يعصِ، ولم يهِمَّ بمعصية قطّ، وأنَّه وُلِدَ بين شيخٍ فانٍ وعجوزٍ عاقر، وأنَّه كان حَصوراً. انتهى.

---

(١) هكذا في النسخ هنا وفي الموضع الآتي، يقال: اسم شنيع، وقومٌ شُنُع الأسامي، من القُبح. أساس البلاغة (شنع).
ووقع في الكشاف وتفسير القرطبي ٤١٨/١٣ نقلاً عنه: سُنُع ـ بالسين المهملة ـ وهو جمع سَنِع، والسَّنَع: الجَمال. القاموس المحيط (سنع).

(٢) في (أ) و(ح) والمطبوع: النفر.

(٣) قائله أبو نواس، وهو في ديوانه ص٧٧.

(٤) الإشلاء: الدعاء؛ يقال: أشليتَ الشاة أو الناقة إذا دعوتَهما لتحلبهما. الصحاح (شلا).

(٥) في المحرر الوجيز ٤/ ٦، وما قبله وما بعده منه. وأخرج قولَ مجاهد الطبريُّ ١٥/ ٤٦٢.

(٦) زاد المسير ٥/ ٢١٠، وأخرجه الطبري ١٥/ ٤٦١-٤٦٢.

(٧) في الكشاف ٢/ ٥٠٣.

و«أنَّى» بمعنى «كيف»، وتقدَّم الكلامُ عليها في قوله: ﴿قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَقَدْ بَلَغَنِىَ ٱلْكِبَرُ وَٱمْرَأَتِى عَاقِرٌ﴾ في «آل عمران»[١].

والعتيُّ: المبالغة في الكِبَر ويبسِ العُود[٢].

وقرأ أبو بحرية، وابنُ أبي ليلى، والأعمش، وحمزة، والكسائي: «عِتِيًّا» بكسر العين. وباقي السبعة بالضم[٣].

وعبد الله: بفتح العين وصادِ «صَليًّا»[٤] [مريم: ٩٠] جعلَهما مصدَرين كالعَجيج والرَّحيل، وفي الضمِّ هما كذلك إلَّا أنَّهما على فُعُول.

وعن عبد الله، ومجاهد: «عُسِيًّا» بضمِّ العين وبالسين مكسورةً. وحكاها الداني عن ابن عباس[٥]. وحكاها الزمخشري[٦] عن أُبيٍّ ومجاهد، يقال: عتا العودُ وعسا: يَبِس وَجَسَا.

﴿قَالَ كَذَٰلِكَ﴾ أي: الأمر كذلك، تصديقٌ له، ثم ابتدأ «قال ربُّكَ» فالكاف رفْعٌ أو[٧] نَصْبٌ بـ «قال»، وذلكَ إشارةٌ إلى مُبْهَم يُفسِّره «هو عَليَّ هَيِّن»، ونحوُه: ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَيْهِ ذَٰلِكَ ٱلْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَٰٓؤُلَآءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ﴾ [الحجر: ٦٦].

وقرأ الحسن: «وهو عَليَّ هَيْنٌ»، ولا يُخَرَّج هذا إلَّا على الوجه الأول، أي: الأمرُ كما قلتُ، وهو على ذلك يهونُ. ووجهٌ آخر: وهو أن يُشارَ بذلك إلى ما تقدَّم من وعدِ الله لا إلى قول زكريا. و«قال» محذوفٌ في كلتا القراءتين، أي: قال هو عليَّ هَيِّنٌ، وإنْ شِئْتَ لم تَنْوِه؛ لأنَّ اللهَ هو المخاطِبُ، والمعنى: أنَّه قال ذلك ووَعَدَهُ، وقَوْلُه الحقّ. قاله الزمخشري.

---

(١) عند تفسير الآية (٤٠) منها.
(٢) الصحاح (عتو).
(٣) ينظر السبعة ص٤٠٧، والتيسير ص١٤٨.
(٤) القراءات الشاذة ص٨٣، والمحتسب ٢/ ٣٩.
(٥) المحرر الوجيز ٤/ ٦ دون نسبة القراءة إلى مجاهد، وهي في الشاذة ص٨٣ عن ابن مسعود ومجاهد، وفي زاد المسير ٥/ ٢١١ عن ابن عباس ومجاهد، وفي معاني القرآن للفراء ٢/ ١٦٢، والنكت والعيون ٣/ ٣٥٧ عن ابن عباس، وأخرجهما عنه الطبري ١٥/ ٤٦٥.
(٦) في الكشاف ٢/ ٥٠٤، وما بعده منه.
(٧) قوله: «رفع أو» ليس في الكشاف.

وقال ابن عطية: وقوله: ﴿قَالَ كَذَٰلِكَ﴾قيل: إنَّ المعنى: قال له الملَكُ: كذلك فليَكُنِ الوجودُ كما قيل لك: قال ربُّكَ: خَلْقُ الغلام عليَّ هَيِّنٌ، أي: غيرُ بِدْعٍ، وكما خلقتُكَ قَبْلُ وأخرجْتُكَ من عدمٍ إلى وجودٍ، كذلك أفعَلُ الآن. وقال الطَّبري: معنى قوله: «كذلك» أي: الأمرانِ اللَّذان ذكرتَ من المرأةِ العاقرِ والكِبَرِ هو كذلك، ولكن «قال ربُّك» والمعنى عندي: قال الملَكُ: كذلك، أي: على هذه الحال قال ربُّك: هو عليّ هَيِّنٌ[1]. انتهى.

وقرأ الحسن: «هو عليِّ هيِّن» بكسر الياء[2]. وقد أنشدوا قولَ النابغة:

عَلَيِّ لعَمْرٍو نِعمةٌ بعدَ نِعمةٍ ... لوالِدِه ليسَتْ بذاتِ عقارِبِ[3]

بكسر ياء المتكلِّم، وكَسْرُها شبيهٌ بقراءة حمزة: «وما أنتم بمصرخيِّ»[4] بكسر الياء.

وقرأ الجمهور: «وقد خلقتُكَ» بتاء المتكلم. وقرأ الأعمش، وطلحة، وابن وثَّاب، وحمزة، والكسائي: «خلقناكَ» بنون العظمة.

﴿وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا﴾أي: شيئاً موجوداً[5]. وقال الزمخشري[6]: «شيئاً»؛ لأنَّ المعدوم ليس بشيء، أو شيئاً يُعتَدُّ به، كقولهم: عجِبْتُ مِنْ لا شيء.

إذا رأى غيرَ شيءٍ ظنَّهُ رَجُلاً[7]

قال ـ أي زكريا ـ: يا رَبِّ اجعَلْ لي آيةً ـ أي علامةً ـ أعلَمُ بها وقوعَ ما بُشِّرْتُ به. وطلبَ ذلك ليزدادَ يقينُه[8]، كما قال إبراهيم عليه السلام: ﴿وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ

(١) المحرر الوجيز ٤/٦، وكلام الطبري في تفسيره ١٥/٤٦٦ بنحوه.
(٢) القراءات الشاذة ص٨٣. وتقدَّم ـ آنفاً ـ أن الحسن قرأ: «وهو» بزيادة الواو.
(٣) ديوان النابغة ص٩.
(٤) هي الآية (٢٢) من سورة إبراهيم، وسلف هناك ـ أيضاً ـ بيتُ النابغة.
(٥) المحرر الوجيز ٤/٦.
(٦) في الكشاف ٢/٥٠٤.
(٧) قائله المتنبي، وهو في ديوانه ٣/٢٨٧، وصدره:
وضاقَتِ الأرضُ حتى كادَ هارِبُهم
(٨) المثبت من (ز١)، وفي باقي النسخ والمطبوع: يقيناً.

قَلْبِى﴾ [البقرة: ٢٦٠] لا لتوقفٍ منه على صدقِ ما وُعِدَ به، ولا لتوهُّم أنَّ ذلكَ مِن عند غير الله؛ لعصمةِ الأنبياء عن مثل ذلك. وقال الزجَّاج: وقعتِ البشارةُ مطلقةً، فلم يعرفِ الوقتَ، فطلبَ الآيةَ ليعرفَ وقتَ الوقوع.

﴿قَالَ ءَايَتُكَ﴾رُوي عن ابن زيد أنَّه لمَّا حملَتْ زوجتُه بيحيى أصبحَ لا يستطيعُ أن يُكلِّم أحداً، وهو مع ذلك يقرأ التوراة، ويذكر الله، فإذا أراد مقاولةَ[1] أحدٍ لم يُطِقْه.

و«سويًّا» حالٌ من ضمير، أي: لا تكلَّمُ في حال صحَّتِكَ ليس بك خرَسٌ ولا عِلَّة[2]. قاله الجمهور.

وعن ابن عباس: «سويًّا» عائدٌ على الليالي، أي: كاملات مستويات، فتكون صفةً لـ«ثلاث»[3]، ودلَّ ذِكْرُ الليالي هنا والأيام في «آل عمران» على أنَّ المنع من الكلام استمرَّ له ثلاثةَ أيام بلياليهنّ[4].

وقرأ ابنُ أبي عبلة، وزيد بن علي: «أن لا تكلَّمُ» برفع الميم، جعلَها «أنْ» المخفَّفة من الثقيلة، التقدير: أنَّه لا تُكَلِّمُ.

وقرأ الجمهور بنصبها، جعلوا «أنْ» الناصبة للمضارع.

﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنَ ٱلْمِحْرَابِ﴾أي: وهو بتلك الصفة من كونه لا يستطيع أن يُكلِّم الناس، ومحرابُه موضع مُصلَّاه، و«المحراب» تقدَّم الكلامُ عليه في «آل عمران»[5].

﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ﴾أي: أشار. قال قَتادة، وابن مُنبِّه، والكلبي، والقرطبي: «أوحى إليهم»: أشار[6]. وذكره الزمخشري[7] عن مجاهد. قال: ويشهد له:

---

(١) المثبت من (ز١)، والمحرر الوجيز ٤/ ٦-٧، والكلام منه. وفي باقي النسخ والمطبوع: مناداة.
(٢) الكشاف ٢/ ٥٠٤.
(٣) المحرر الوجيز ٤/ ٧.
(٤) الكشاف ٢/ ٥٠٤. وينظر تفسير الآية (٤١) من سورة البقرة.
(٥) الآية (٣٩). وينظر زاد المسير ٥/ ٢١٢.
(٦) تفسير القرطبي ١٣/ ٤٢١. وقول قتادة وابن منبه في المحرر الوجيز ٤/ ٧. وأخرج الطبري ١٥/ ٤٧١-٤٧٢ قولَ ابن منبه. وقول الكلبي في النكت والعيون ٣/ ٣٥٩.
(٧) في الكشاف ٢/ ٥٠٤.

﴿إِلَّا رَمْزًا﴾ [آل عمران: ٤١]. وعن ابن عباس: كتبَ لهم على الأرض.

وقال ابن عطية[١]: وقال مجاهد: بل كتب لهم في التراب. وكلا الوجهين وحيٌ. انتهى.

وقال عكرمة: كتب في ورقة.

والوحيُ في كلام العرب: الكتابة[٢]، ومنه قول ذي الرُّمَّة:

سوى الأربعِ الدُّهْمِ اللَّواتي كأنَّها ... بقيَّةُ وحيٍ في بطونِ الصَّحائفِ[٣]

وقال عنترة:

كوحيِ صحائفٍ مِنْ عهدِ كسرى ... فأهداها لأعْجَمَ طِمْطِمِي[٤]

وقال جرير:

كأنَّ أخا اليهودِ يخُطُّ وحياً ... بكافٍ في منازلِها ولامِ[٥]

والجمهور على أنَّ المعنى: «أن سَبِّحوا»: صلُّوا. وقيل: أمرَهم بذكر الله والتسبيح[٦].

قال المفسِّرون: كان يخرج على قومه بكرةً وعشياً فيأمرهم بالصلاة، فلمَّا كان وقت الحمل خرج وأمرهم بالصلاة[٧] إشارةً.

---

(١) في المحرر الوجيز ٤/ ٧، وقول مجاهد الآتي أخرجه الطبري ١٥/ ٤٧٢.
(٢) الصحاح (وحى).
(٣) ديوان ذي الرمة ٣/ ١٦٢٢، وفيه: ألالأربع، بدل: سوى الأربع.
(٤) ديوان عنترة ص٢٦٨ (طبعة المكتب الإسلامي). قال شارحه: شبَّه ما بقي من آثار الدار بكتاب في صحائف... لأعجم طِمْطِمي: وهو الذي لا يكاد يُفصح.
(٥) ديوان جرير ١/ ١٩٧.
(٦) المحرر الوجيز ٤/ ٧.
(٧) من قوله: فلما كان وقت... إلى هنا من (ز١)، والكلام من الوسيط ٣/ ١٧٨، وزاد المسير ٥/ ٢١٢.

وقال صاحب «التحرير والتحبير»: وعندي في هذا معنًى لطيفٌ، وهو أنَّه إنَّما خصَّ بالتسبيح بالذِّكر؛ لأنَّ العادة جاريةٌ أنَّ كلَّ مَنْ رأى أمراً عجِبَ منه، أو رأى فيه بديعَ صنعةٍ أو غريبَ حكمةٍ يقول: سبحان الله! سبحان الخالق! فلمَّا رأى حصولَ الولد من شيخٍ وعاقرٍ عجِبَ من ذلك، فسبَّحَ وأمرَ بالتسبيح. انتهى.

وقال الزمخشري[1] وابن عطية[2]: و«أنْ» مُفسِّرة. وقال الحَوْفي: «أن سَبِّحوا» «أنْ» نصبٌ بـ «أوحى». وقال أبو البقاء[3]: يجوز أن تكون مصدرية، وأن تكون بمعنى «أي». انتهى.

وقرأ طلحة: «أنْ سَبِّحوه» بهاء الضمير، عائدة على الله تعالى[4]. وروى ابنُ غزوان عن طلحة: «أنْ سَبِّحُنَّ» بنون مشدَّدة من غير واوٍ، ألحقَ فعلَ الأمر نونَ التوكيد الشديدة.

﴿يَٰيَحۡيَىٰ خُذِ ٱلۡكِتَٰبَ بِقُوَّةٖۖ﴾ في الكلام حذف، والتقدير: فلمَّا وُلِدَ يحيى وكبِرَ وبلَغَ السِّنَّ الذي يُؤمَرُ فيه قال اللهُ له على لسان المَلَك. وأبعَدَ التبريزيُّ في قوله: إنَّ المُنادي له أبوه حينَ ترعرع ونشأ. والصحيح ما سبق؛ لقوله: ﴿وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡحُكۡمَ صَبِيّٗا﴾.

والكتاب: هو التوراة. قال ابن عطية: بلا خلاف؛ لأنَّه وُلِدَ قبل عيسى، ولم يكن الإنجيل موجوداً. انتهى. وليس كما قال، بل قيل له: كتابٌ، خُصَّ به كما خُصَّ كثيرٌ من الأنبياء بمثل ذلك.

وقيل: الكتاب هنا: اسمُ جنسٍ، أي: اتْلُ كُتُبَ الله. وقيل: الكتاب: صُحف إبراهيم[5].

وقال الحسن: وعلَّمه التوراةَ والإنجيلَ، وأرسلَه إلى بني إسرائيل، وكان يصوم ويُصلِّي في حالِ طفولته، ويدعو إلى الله.

---

(١) في الكشاف ٢/ ٥٠٤.
(٢) في المحرر الوجيز ٤/ ٧.
(٣) في الإملاء ٢/ ١١١.
(٤) المحرر الوجيز ٤/ ٧.
(٥) ذكر هذا القول الماوردي في النكت والعيون ٣/ ٣٥٩.

﴿بِقُوَّةٍ﴾ أي: بجدٍّ واستظهارٍ وعملٍ بما فيه. و«الحُكْمُ»: النبوة[١]، أو حُكْمُ الكتاب، أو الحكمة[٢]، أو العلم بالأحكام، أو اللبُّ[٣] وهو العقل، أو آداب الخدمة، أو الفراسة الصادقة. أقوال.

﴿صَبِيًّا﴾: أي: شابًّا لم يبلُغْ سِنَّ الكهولة[٤]. وقيل: ابن سنتين. وقيل: ابن ثلاث.

وعن ابن عباس في حديث مرفوع: «ابنُ سبع سنين»[٥].

﴿وَحَنَانًا﴾: معطوفٌ على «الحكم»[٦].

و«الحَنان»: الرحمة. قاله ابن عباس في رواية، والحسن، وعكرمة، وقتادة، والضحَّاك، وأبو عبيدة[٧]، والفرَّاء[٨]، وأنشد أبو عبيدة:

تحنَّنْ عليَّ هداكَ المَليكُ ... فإنَّ لكلِّ مقامٍ مَقالا[٩]

قال: وأكثر ما يُستعمَلُ مثنًّى، كما قال:

حنانَيْكَ بعضُ الشرِّ أهونُ من بعضِ[١٠]

---

(١) الكشاف ٢/ ٥٠٤، والمحرر الوجيز ٤/ ٧، ونسبه في مجمع البيان ١٦/ ١٩ لابن عباس.

(٢) هذا القول في النكت والعيون ٣/ ٣٦٠، والكشاف ٢/ ٥٠٤، والمحرر الوجيز ٤/ ٧.

(٣) هذا القول في معاني القرآن للنحاس ٤/ ٣١٦ عن عكرمة، وفي النكت والعيون ٣/ ٣٦٠ عن الحسن، وفي زاد المسير ٥/ ٢١٣ عنهما.

(٤) المحرر الوجيز ٤/ ٧، وما بعده منه، وهو قول قتادة كما في معاني القرآن للنحاس ٤/ ٣١٦.

(٥) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير ٥/ ٢١٣، وعزاه في الدر المنثور ٤/ ٢٦٠ لأبي نعيم والديلمي، وهو في الفردوس ٤/ ٤٠٢.

(٦) إعراب القرآن للنحاس ٣/ ٩، وإملاء ما منَّ به الرحمن ٢/ ١١١.

(٧) في مجاز القرآن ٢/ ٣.

(٨) في معاني القرآن له ٢/ ١٦٣.

(٩) قائله الحطيئة، وهو في ديوانه ص١٧٢. والكلام من زاد المسير ٥/ ٢١٣-٢١٤، وما بعده منه، ومن النكت والعيون ٣/ ٣٦٠ ببعضه. وهو في معاني القرآن للنحاس ٤/ ٣١٦ عن عكرمة، وفي مجمع البيان ١٦/ ١٩ عن ابن عباس وقتادة والحسن. وأخرجه عنهم - سوى قول الحسن - الطبري ١٥/ ٤٧٥-٤٧٦.

(١٠) قائله طرفة، وهو في ديوانه ص٦٦، وصدره:

أبا مُنذرٍ أفنَيْتَ فاستَبْقِ لنا

وقال ابن الأنباري: المعنى: وجعلناه حناناً لأهل زمانه. وقال مجاهد: وتعطُّفاً من ربِّه عليه[١]. وعن ابن جُبير: لِيناً. وعن عكرمة وابن زيد: محبةً[٢]. وعن عطاء: تعظيماً[٣].

وقوله: ﴿وَزَكَوٰةً﴾ عن الضحاك وقتادة: عمل صالح. وعن ابن السائب: صدقة تصدَّق بها على أبويه. وعن الزجَّاج: تطهير. وعن ابن الأنباري: زيادة في الخير[٤]. وقيل: ثناء، كما يُزكِّى الشهود[٥].

﴿وَكَانَ تَقِيًّا﴾ قال قتادة: لم يهِمَّ قطُّ بكبيرةٍ ولا صغيرةٍ، ولا هَمَّ بامرأة[٦]. وقال ابن عباس: جعلَه متَّقياً له، لا يعدِلُ به غيرَه[٧]. وقال مجاهد: كان طعامُه العُشبَ المباح، وكان للدمع في خدَّيه مجارٍ بائنة[٨].

﴿وَبَرًّا بِوَٰلِدَيۡهِ﴾ أي: كثير البِرِّ والإكرام والتبجيل.

وقرأ الحسن، وأبو جعفر في رواية، وأبو نَهيك وأبو مِجْلَز: «وبِرًّا» في الموضعين بكسر الباء، أي: وذا برٍّ[٩].

﴿وَلَمۡ يَكُن جَبَّارًا﴾ أي: متكبِّراً.

---

(١) أخرجه عنه الطبري ١٥/ ٤٧٦.
(٢) أخرجه عنهما الطبري ١٥/ ٤٧٧.
(٣) أخرجه عنه الطبري ١٥/ ٤٧٧.
(٤) هذه الأقوال في زاد المسير ٥/ ٣١٤، وقول الضحاك وقتادة في الوسيط للواحدي ٣/ ١٧٨، وأخرجه عنهما الطبري ١٥/ ٤٧٩-٤٨٠. وقول الزجاج في معاني القرآن له ٣/ ٣٢٢.
(٥) النكت والعيون ٣/ ٣٦٠.
(٦) المحرر الوجيز ٤/ ٨.
(٧) الوسيط للواحدي ٣/ ١٧٨.
(٨) المحرر الوجيز ٤/ ٨، وما بعده منه باختصار.
وقول مجاهد أخرجه نعيم بن حماد في زوائده على الزهد لابن المبارك (١٧٧)، وأحمد في الزهد ص١١٤، وأبو نعيم في الحلية ٣/ ٢٩٠ بلفظ: كان طعام يحيى العشب، وإنه كان ليبكي من خشية الله، حتى لو كان القار على عينه لخرقه، وقد كانت الدموع اتَّخذت مجرًى في وجهه. والقار: شيء أسود تُطلى به الإبل والسفن يمنع الماء أن يدخل. اللسان (قير).
(٩) المحرر الوجيز ٤/ ١٥ عند تفسير الآية (٣٢) من هذه السورة، وذكر هذه القراءة عن أبي نهيك وأبي مجلز.

﴿عَصِيًّا﴾ أي: عاصياً كثير العصيان، وأصلُه عَصُوْيٌ فعولٌ للمبالغة، ويَحتمِلُ أن يكون فَعيلاً، وهي من صِيغَ المبالغة.

﴿وَسَلَٰمٌ عَلَيۡهِ﴾قال الطبري: أي: أمانٌ. قال ابن عطية[1]: والأظهر أنَّها التحيَّة المتعارفة، وإنَّما الشرف في أنْ سلَّمَ اللهُ عليه، وحيَّاه في المواطن التي الإنسانُ فيها في غاية الضعفِ والحاجةِ وقلَّةِ الحيلة والفقرِ إلى الله. وذكر الطبريُّ عن الحسن، أنَّ عيسى ويحيى عليهما السلام التقيا وهما ابنا الخالة، فقال يحيى لعيسى: ادْعُ لي فأنتَ خيرٌ منِّي. فقال له عيسى: بل أنتَ ادْعُ لي فأنتَ خيرٌ منِّي؛ سلَّمَ اللهُ عليكَ، وأنا سلَّمْتُ على نفسي[2].

وقال أبو عبد الله الرازي: ﴿يَوۡمَ وُلِدَ﴾أي: أمانٌ عليه من أن ينالَه الشيطان كما نالَ بني آدم[3]، ﴿وَيَوۡمَ يَمُوتُ﴾أي: أمانٌ من عذاب القبر، ﴿وَيَوۡمَ يُبۡعَثُ حَيًّا﴾ من عذاب الله يوم القيامة، وفي قوله: ﴿وَيَوۡمَ يُبۡعَثُ حَيًّا﴾ تنبيهٌ على كونِه من الشهداء؛ لقوله: ﴿بَلۡ أَحۡيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمۡ يُرۡزَقُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٩] وهذا السلامُ يَحتمِلُ أن يكون من الله، وأن يكون من الملائكة. انتهى. والأظهرُ أنَّه من الله؛ لأنَّه في سياق ﴿وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡحُكۡمَ﴾.

﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَرۡيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتۡ مِنۡ أَهۡلِهَا مَكَانٗا شَرۡقِيّٗا ﴿١٦﴾ فَٱتَّخَذَتۡ مِن دُونِهِمۡ حِجَابٗا فَأَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرٗا سَوِيّٗا ﴿١٧﴾ قَالَتۡ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحۡمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيّٗا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمٗا زَكِيّٗا ﴿١٩﴾ قَالَتۡ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٞ وَلَمۡ يَمۡسَسۡنِي بَشَرٞ وَلَمۡ أَكُ بَغِيّٗا ﴿٢٠﴾ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٞۖ وَلِنَجۡعَلَهُۥٓ ءَايَةٗ لِّلنَّاسِ وَرَحۡمَةٗ مِّنَّاۚ وَكَانَ أَمۡرٗا مَّقۡضِيّٗا ﴿٢١﴾ ۞فَحَمَلَتۡهُ فَٱنتَبَذَتۡ بِهِۦ مَكَانٗا قَصِيّٗا ﴿٢٢﴾ فَأَجَآءَهَا ٱلۡمَخَاضُ إِلَىٰ جِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ قَالَتۡ يَٰلَيۡتَنِي مِتُّ قَبۡلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسۡيٗا مَّنسِيّٗا ﴿٢٣﴾ فَنَادَىٰهَا مِن تَحۡتِهَآ أَلَّا تَحۡزَنِي قَدۡ جَعَلَ رَبُّكِ تَحۡتَكِ سَرِيّٗا ﴿٢٤﴾ وَهُزِّيٓ إِلَيۡكِ بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ تُسَٰقِطۡ عَلَيۡكِ رُطَبٗا جَنِيّٗا ﴿٢٥﴾ فَكُلِي وَٱشۡرَبِي وَقَرِّي عَيۡنٗاۖ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلۡبَشَرِ أَحَدٗا فَقُولِيٓ إِنِّي نَذَرۡتُ لِلرَّحۡمَٰنِ صَوۡمٗا فَلَنۡ أُكَلِّمَ ٱلۡيَوۡمَ إِنسِيّٗا ﴿٢٦﴾﴾.

---

(١) في المحرر الوجيز ٤/ ٨، وما قبله منه، وكلام الطبري الآتي في تفسيره ١٥/ ٤٨١.

(٢) تفسير الطبري ١٥/ ٤٨٢. وأخرجه ـ أيضاً ـ عبد الرزاق في تفسيره ٢/ ٤، وأحمد في الزهد ص٧٦، وابن عساكر في تاريخ دمشق ١٨/ ٨٢ (مخطوط).

(٣) عبارة: «كما نال بني آدم» من (ز١)، وتفسير الرازي ٢١/ ١٩٣.

مناسبة هذه الآية لما قبلها أنَّه تعالى لمَّا ذكرَ قصة زكريا وطلبَه الولد وإجابةَ الله إيَّاه، فوُلِدَ له من شيخٍ فانٍ وعجوزٍ له عاقرٍ، وكان ذلك ممَّا يتعجَّب منه، أردفه بما هو أعظم في الغرابة والعجب، وهو وجود ولدٍ من غير ذَكَرٍ، فدلَّ ذلك على عِظَمِ قدرةِ الله وحكمتِه. وأيضاً فقصَّ عليهم ما سألوه من قصة أهل الكهف، وأتبعَ ذلك بقصة الخضر وموسى، ثم قصَّ عليهم ما سألوه أيضاً وهو قصة ذي القرنين، فذكر في هذه السورة قصصاً لم يسألوه عنها وفيها غرابة، ثم أتبع ذلك بقصة إبراهيم وموسى وهارون موجزةً، ثم بقصة إسماعيل وإدريس؛ ليستقرَّ في أذهانهم أنَّه أطلعَ نبيَّه على ما سألوه وعلى ما لم يسألوه، وأنَّ الرسول عليه الصلاة والسلام وحيُه في ذلك واحدٌ يدلُّ على صدقه وصحة رسالته، من أميٍّ لم يقرأ الكتُب، ولا رَحَلَ ولا خالط مَنْ له علمٌ، ولا عُنيَ بجمع سِيَر.

والكتاب: القرآن. ومريم: هي ابنةُ عمران أمّ عيسى.

و«إذْ» قيل: ظرف زمان منصوب بـ «اذكر»، ولا يمكن ذلك مع بقائه على الظرفية؛ لأنَّ الاستقبالَ لا يقَعُ في الماضي. وقال الزمخشري[١]: «إذْ» بدل من «مريم» بدل الاشتمال؛ لأنَّ الأحيانَ مشتملةٌ على ما فيها وقتُه، إذِ المقصودُ بذكر مريم ذِكْرُ وقتِها هذا؛ لوقوع هذه القصة العجيبة فيها. انتهى. ونَصْبُ «إذ» بـ «اذكُرْ» على جهة البدلية يقتضي التصَرُّفَ في «إذ»، وهي من الظروف التي لم يُتصرَّف فيها إلَّا بإضافة ظرف زمانٍ إليها، فالأولى أنْ يُجعَلَ ثَمَّ معطوفٌ محذوفٌ دَلَّ المعنى عليه، وهو يكون العامل في «إذْ» وتبقى على ظرفيتِها وعدم تصرُّفها، وهو أن تُقدِّر: مريم وما جرى لها إذِ انتبذَتْ. واستبعدَ أبو البقاء[٢] قولَ الزمخشري قال: لأنَّ الزمانَ إذا لم يكُنْ حالاً عن الجُثَّة ولا خبراً عنها ولا وصفاً لها، لم يكن بدلاً منها. انتهى. واستبعادُه ليس بشيءٍ؛ لعدم الملازمة. قال: وقيل: التقدير: خبرَ مريم، ف «إذ» منصوبةٌ لخبر. وقيل: حالٌ من هذا المضاف المحذوف. وقيل: «إذْ» بمعنى «أن» المصدرية، كقولك: [لا][٣] أُكرِمُكَ إذْ لم تُكرِمْني، أي: أنْ لم

(١) في الكشاف ٢/ ٥٠٤-٥٠٥.
(٢) في الإملاء ٢/ ١١١.
(٣) ما بين حاصرتين من الإملاء، والدر المصون ٧/ ٥٧٧.

تُكْرِمْني. قال أبو البقاء: فعلى هذا يصحُّ بدلُ الاشتمال، أي: واذكُرْ مريمَ انتباذَها. انتهى.

و«انتبذت» افتعَلَ، من نبذ، ومعناه: ارتمَتْ وتنحَّتْ وانفردت[١]. قال السُّدِّي: انتبذَتْ لتطهُرَ من حيض. وقال غيره: لتعبد الله، وكانت وَقفاً على سدانة المُتَعبَّد وخدمتِه والعبادة، فتنحَّتْ من الناس لذلك[٢].

وانتصب «مكاناً» على الظرف[٣]، أي: في مكانٍ.

ووُصِفَ بشرقيٍّ؛ لأنَّه كان ممَّا يلي بيت المقدس، أو من دارها، وسببُ كونِه في الشَّرْق أنَّهم كانوا يُعظِّمون جهة الشرق من حيث تطلع الشمس، وعن ابن عباس: اتَّخذتِ النصارى الشرقَ قبلةً لميلاد عيسى عليه السلام[٤]. وقيل: قعدَتْ في مشرقةٍ للاغتسال من الحيض محتجبةً بحائطٍ أو بشيءٍ يسترها، وكان موضعُها المسجِد، فبينا هي في مغتسلِها أتاها الملَكُ في صورة آدميٍّ شابٌّ أمردَ، وضيءَ الوجه، جَعْدَ الشعر، سَوِيَّ الخَلْق، لم ينتقص من الصورة الآدمية شيئاً، أو حسنَ الصورة، مستويَ الخَلْق[٥]. وقال قتَادة: «شرقياً»: شاسعاً بعيداً[٦]. انتهى.

والحجاب الذي اتَّخذَتْه لتستترَ به عن الناس لعبادة ربها؛ قال السُّدِّي: كان من جدران[٧]. وقيل: من ثياب[٨]. وعن ابن عباس: جعلَتِ الجبلَ بينها وبين الناس حجاباً[٩].

وظاهر الإرسال من الله إليها ومحاورةُ المَلَكِ يدلُّ على أنَّها نبيَّة. وقيل: لم

(١) ينظر مجاز القرآن ٢/ ٣، وتفسير الثعلبي ٤/ ٧٠، والنكت والعيون ٣/ ٣٦١.
(٢) المحرر الوجيز ٤/ ٩.
(٣) إملاء ما منَّ به الرحمن ٢/ ١١.
(٤) المحرر الوجيز ٤/ ٩، وقول ابن عباس أخرجه الطبري ١٥/ ٤٨٤.
(٥) الكشاف ٢/ ٥٠٥.
(٦) النكت والعيون ٣/ ٣٦١.
(٧) النكت والعيون ٣/ ٣٦١، وزاد المسير ٥/ ٢١٦. وأخرجه الطبري ١٥/ ٤٨٥.
(٨) المحرر الوجيز ٤/ ٩.
(٩) تفسير الثعلبي ٤/ ١٧٠ لكن عن مقاتل. وهو في تفسير مقاتل ٢/ ٣٠٩.

تُنبّأ، وإنَّما كلَّمها مِثالُ بشرٍ، ورؤيتُها للمَلكِ كما رُئِيَ جبريلُ عليه السلام في صفة دحية، وفي سؤاله عن الإيمان والإسلام[١].

والظاهر أنَّ الرُّوحَ جبريلُ؛ لأنَّ الدينَ يحيا به وبوحيه، أو سمَّاه رُوحَه على المجاز، محبةً له وتقريباً، كما تقولُ لحبيبك: أنتَ رُوحي[٢]. وقيل: عيسى، كما قال: ﴿وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾، وعلى هذا يكون قوله: ﴿فَتَمَثَّلَ﴾ أي: الملَك[٣].

وقرأ أبو حَيْوة وسهل: «رَوْحَنا» بفتح الراء؛ لأنَّه سببٌ لما فيه رَوحُ العباد، وإصابةُ الرَّوح عند الله الذي هو عِدَة المقرَّبين في قوله: ﴿فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ۝ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ﴾ [الواقعة: ٨٩-٩٠]. أو لأنَّه من المقرَّبين، وهم الموعودون بالرَّوح، أي: مقرَّبَنا وذا رَوْحِنا[٤].

وذكر النقَّاش أنَّه قُرئ: «روحَنَّا» بتشديد النون، اسم ملَكٍ من الملائكة[٥]. وانتصب «بشراً سويًا» على الحال[٦]، لقوله: «وأحياناً يتمثَّلُ لي الملَكُ رجلاً»[٧].

قيل: وإنَّما مثَّلَ لها في صورة الإنسان لتستأنسَ بكلامه، ولا تنفرَ عنه، ولو بدا لها في الصورة الملَكية لنفرَتْ، ولم تقدِرْ على استماع كلامه، ودلَّ على عفافِها وورعِها أنَّها تعوَّذَتْ به من تلك الصورةِ الجميلةِ الفائقةِ الحُسْن، وكان تمثيلُه على تلك الصفة ابتلاءً لها وسبراً لعِفَّتها. وقيل: كانت في منزل زوج أختها زكريا، ولها محرابٌ على حِدة تسكنُه، وكان زكريا إذا خرجَ أغلقَ عليها، فتمنَّتْ أن تجدَ خَلْوةً في الجبل لتُفليَ رأسَها، فانفرجَ السَّقفُ لها، فخرجت فجلست في المشرقة وراءَ

---

(١) المحرر الوجيز ٤/ ٩.
(٢) الكشاف ٢/ ٥٠٥.
(٣) المحرر الوجيز ٤/ ٩.
(٤) الكشاف ٢/ ٥٠٥ دون نسبة القراءة إلى سهل، وهي في القراءات الشاذة ص٨٣ عن أبي حيوة، وفي زاد المسير ٥/ ٢١٧ عن أبي نهيك.
(٥) المحرر الوجيز ٤/ ٩.
(٦) إعراب القرآن للنحاس ٣/ ١٠.
(٧) أخرجه البخاري (٢)، ومسلم (٢٣٣٣)، وأحمد (٢٦١٩٨) من حديث عائشة ﵂.

الجبل، فأتاها الملَك. وقيل: قام بين يديها في صورة تِرْبٍ[١] لها اسمه يوسف من خدم بيت المقدس[٢].

وتعليقها الاستعاذةَ على شرط تقواه؛ لأنَّه لا تنفع الاستعاذةُ ولا تُجدي إلَّا عند مَنْ يتَّقي الله، أي: إن كان يُرجى منكَ أن تتَّقيَ اللهَ وتخشاه، وتحفل بالاستعاذة به، فإنِّي عائذةٌ به منك.

وجواب الشرط محذوفٌ، أي: فإنِّي أعوذ. وقال الزجَّاج[٣]: فستَّعِظُ بتعويذي بالله منك.

وقيل: فاخرُجْ عنِّي. وقيل: فلا تتعرَّضْ لي. وقولُ مَنْ قال: تقيٌّ اسمُ رجلٍ صالحٍ أو رجلٍ فاسد، ليس بسديد.

وقيل: «إن» نافية، أي: ما كنتَ تقيًّا، أي: بدخولك عليّ ونظرِك إليّ[٤].

ولِياذُها بالله وعِياذُها به وقتَ التمثيل دليلٌ على أنَّه أولُ ما تمثَّل لها استعاذَتْ من غير جري كلامٍ بينهما.

﴿قَالَ﴾ أي جبريل عليه السلام: ﴿إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ﴾ الناظِرُ في مصلحتِكِ، والمالِكُ لأمرِكِ، وهو الذي استعذتِ بهِ. وقولُه لها ذلك تطمينٌ لها، وأنِّي لستُ ممَّن تُظَنُّ به رِيبةٌ أَرسلَني إليكِ ليهبَ.

وقرأ شيبة، وأبو الحسن، وأبو بحرية، والزُّهري، وابن مناذر، ويعقوب، واليزيدي، ومن السبعة نافع وأبو عمرو: «ليَهَبَ»[٥] أي: ليهب لكِ ربُّكِ. وقرأ الجمهور وباقي السبعة: «لأهَبَ» بهمزة المتكلم، وأسندَ الهبة إليه لمَّا كان الإعلامُ بها من قِبَلِه.

وقال الزمخشري: «لأهَبَ لكِ»: لأكونَ سبباً في هبة الغلام بالنفخ في الدِّرْع،

---

(١) التِّرْب: اللِّدةُ والسِّنُّ ومَنْ وُلِدَ معك. تاج العروس (ترب).

(٢) الكشاف ٢/ ٥٠٥.

(٣) في معاني القرآن له ٣/ ٣٢٣.

(٤) تفسير الرازي ٢١/١٩٨.

(٥) هذه قراءة نافع في رواية ورش عنه، وهي وقراءة أبي عمرو في السبعة ص٤٠٨، والتيسير ص١٤٨. وينظر المحرر الوجيز ٤/ ٩، وتفسير البغوي ٣/ ١٩١، وزاد المسير ٥/ ٢١٧.

وفي بعض المصاحف: «أمرني أن أهَبَ لكِ». ويحتمل أن يكون محكيًا بقولٍ محذوفٍ، أي: قل لأهَبَ[١].

والغلام: اسمُ الصبيِّ أول ما يولَد إلى أن يخرج إلى سنِّ الكهولة.

وفُسِّرتِ الزكاةُ هنا بالصلاح وبالنبوة.

وتعجَّبتْ مريمُ، وعلِمَتْ بما أُلقي في رُوعِها أنَّه من عند الله. وتقدَّم الكلام على سؤالها عن الكيفية في «آل عمران»[٢] في قصَّتها.

وفي قولها: ﴿وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا﴾ تخصيصٌ بعد تعميم؛ لأنَّ مسيسَ البشرِ يكون بنكاح وبسفاح. وقال الزمخشري[٣]: جَعَل المسَّ عبارةً عن النكاح الحلال؛ لأنَّه كنايةٌ عنه، كقوله: ﴿مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ﴾ [البقرة: ٢٣٧]، ﴿أَوْ لَـٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾ [النساء: ٤٣، والمائدة: ٦]، والزنى ليس كذلك؛ إنَّما يُقال فيه: فَجَرَ بِها، وخبَثَ بها، وما أشبه ذلك، وليس بِقَمِنٍ أن يُراعى فيه الكنايات والآداب. انتهى.

والبَغِيُّ: المُجاهِرةُ المشتَهِرةُ في الزنى، ووزنه فعول عند المبرِّد؛ اجتمعَتْ واوٌ وياءٌ، وسبقَتْ إحداهما بالسكون، فقُلبَتِ الواوُ ياءً، وأُدغِمتْ في الياء، وكُسِرَ ما قبلَها لأجل الياء كما كُسِرتْ في عِصِيٍّ ودُلِيٍّ. قيل: ولو كان فعيلاً لحقَتْها هاء التأنيث، فيُقال: بغيَّه[٤]. وقال ابن جنِّي في كتاب «التمام»: هي فَعيل، ولو كانت فَعولاً لقيل: بَغُوٌّ، كما قيل: فلانٌ نَهُوٌّ عن المنكر[٥]. انتهى. قيل: ولمَّا كان هذا اللفظ خاصًا بالمؤنَّث لم يحتَجْ إلى علامة التأنيث، فصار كحائضٍ وطالقٍ، وإنَّما يُقال للرجل: باغٍ. وقيل: بغيٌّ فَعيلٌ بمعنى مفعول، ك: عين كَحيل، أي: مبغِيَّةٌ بِطَلَبِها أمثالُها.

﴿قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ﴾ الكلامُ عليه كالكلام السابق في قصة زكريا.

---

(١) الكشاف ٢/ ٥٠٥.
(٢) الآيات (٤٥-٤٧) منها.
(٣) في الكشاف ٢/ ٥٠٥.
(٤) المحرر الوجيز ٤/ ٩ بنحوه. وينظر الكامل للمبرد ٢/ ٨٠٧.
(٥) نقله عنه الزمخشري في الكشاف ٢/ ٥٠٥.

﴿وَلِنَجْعَلَهُۥٓ﴾ يحتمل أن يكون معطوفاً على تعليلٍ محذوفٍ تقديره: لِنُبيِّنَ به قدرتَنا ولنجعله، أو محذوفٍ متأخِّرٍ، أي: فعَلْنا ذلك[١].

والضمير في «ولِنَجْعَلَه» عائدٌ على الغلام، وكذلك في قوله: «وكان» أي: وكان وجودُه أمراً مفروغاً منه، وكونُه رحمةً من الله، أي: طريق هدًى لعالَم كثيرٍ، فينالون الرحمة بذلك. وذكروا أنَّ جبريلَ عليه السلام نفخَ في جَيبِ دِرْعِها أو فيهِ وفي كُمِّها. وقال أُبيٌّ: دخل الروحُ المنفوخُ من فمِها[٢].

والظاهر أنَّ المُسنَدَ إليه النفخُ هو اللهُ تعالى؛ لقوله: ﴿فَنَفَخْنَا﴾ ويحتمل ما قالوا.

﴿فَحَمَلَتْهُ﴾أي: في بطنها، والمعنى: فحملَتْ به[٣].

قيل: وكانت بنتَ أربع عشرة سنة. وقيل: بنت خمس عشرة سنة. وقاله وهب ومجاهد[٤]. وقيل: بنت ثلاث عشرة سنة[٥]. وقيل: بنت اثنتي عشرة سنة[٦]. وقيل: عشر سنين[٧]. قيل: بعد أن حاضت حيضتين[٨]. وحكى محمد بن الهَيْصَم[٩] أنَّها لم تكُنْ حاضَتْ بعدُ. وقيل: لم تحِضْ قطُّ مريمُ، وهي مُطهَّرةٌ من الحيض.

فلمَّا أحسَّت وخافَتْ ملامةَ الناس أن يُظَنَّ بها الشرُّ، فارتمَتْ به إلى مكانٍ قَصِيٍّ، حياءً وفراراً. رُويَ أنَّها فرَّتْ إلى بلاد مصر أو نحوها. قاله وهب. وقيل:

(١) الكشاف ٢/ ٥٠٥.
(٢) المحرر الوجيز ٤/ ٩-١٠.
(٣) تفسير الرازي ٢١/ ٢٠١. وما قبله منه.
(٤) زاد المسير ٥/ ٢٢٥ عن وهب.
(٥) الكشاف ٥/ ٥٠٦، والمحرر الوجيز ٤/ ١٠، وهو في زاد المسير ٥/ ٥٢٥ عن مقاتل.
(٦) زاد المسير ٥/ ٢٢٥ عن زيد بن أسلم.
(٧) الكشاف ٥/ ٥٠٦، وهو في تفسير الثعلبي ٤/ ١٧٢، ومجمع البيان ٦/ ٣٠ عن مقاتل.
(٨) الكشاف ٥/ ٥٠٦، وهو في تفسير الثعلبي ٤/ ١٧٢ عن مقاتل.
(٩) هو أبو عبد الله، شيخ الكرَّامية وعالمهم في وقته بخراسان، وهو من المتوفين بعد الأربع مئة ظنًّا. قال الذهبي: وليس للكرَّامية مثله في معرفة الكلام والنظر. تاريخ الإسلام ٩/ ١٧١-١٧٢.

إلى موضعٍ يُعرَفُ ببَيْتِ لَحْمٍ بينه وبين إيلياء أربعة أميال[١]. وقيل: بعيداً من أهلها وراء الجبل. وقيل: أقصى الدار. وقيل: كانت سُمِّيتْ لابنِ عمٍّ لها اسمُه يوسف، فلمَّا قيل: حملَتْ من الزِّنى، خافَ عليها قتلَ الملك، فهربَ بها، فلمَّا كان ببعض الطريق حدَّثَتْه نفسُه بأن يقتُلَها، فأتاه جبريلُ عليه السلام فقال: إنَّه من رُوح القُدس، فلا تقتُلْها. فتركها[٢].

حملَتْه في ساعة واحدة، فكما حملَتْه نبذَتْه. عن ابن عباس. وقيل: كانت مدةُ الحمل ثلاثَ ساعات. وقيل: حُمِلَ في ساعة، وصُوِّر في ساعة، ووضَعتْه في ساعة. وقيل: ستة أشهر. وعن عطاء وأبي العالية والضحاك: سبعة أشهر. وقيل: ثمانية، ولم يعِشْ مولودٌ وُضِعَ لثمانية إلَّا عيسى[٣]. وهذه أقوالٌ مضطربة متناقضة كان ينبغي أن يُضرَبَ عنها صفحاً، إلَّا أنَّ المفسِّرين ذكروها في كتبهم، وسوَّدوا بها الورق.

والباء في «به» للحال، أي: مصحوبةً به، أي: اعتزلَتْ وهو في بطنها، كما قال الشاعر:

تدوسُ بِنا الجماجِمَ والتَّريبا[٤]

أي: تدوس الجماجمَ ونحنُ على ظهورها.

ومعنى «فأجاءها» أي: جاء بها[٥]. تارةً يُعدَّى جاء بالباء، وتارةً بالهمزة؛ قال الزمخشري[٦]: إلَّا أنَّ استعمالَه قد تغيَّر بعد النقل إلى معنى الإلجاء، ألا تراكَ

(١) المحرر الوجيز ٤/ ١٠، وبعضه في تفسير الثعلبي ٤/ ١٧١.
(٢) ينظر عرائس المجالس ص٣٨٦، والكشاف ٢/ ٥٠٦.
(٣) هذه الأقوال في الكشاف ٢/ ٥٠٦، والقول الأول في المحرر الوجيز ٤/ ١٠ والثاني في تفسير الثعلبي ٤/ ١٧٢. والثالث في تفسير الثعلبي ـ أيضاً ـ وزاد المسير ٥/ ٢١٩ عن مقاتل. والرابع في تفسير الثعلبي وزاد المسير، وهو في النكت والعيون ٣/ ٣٦٢ عن الصيمري. والسادس في تفسير الثعلبي والنكت والعيون، ونسبه ابن الجوزي في زاد المسير للزجاج، وهو في معاني القرآن له ٣/ ٣٢٤.
(٤) عجز بيت قائله المتنبي في ديوانه ١/ ٢٦٥، وصدره: فمرَّت غير نافِرَةٍ عليهمْ.
والكلام في الكشاف ٢/ ٥٠٦.
(٥) الوسيط للواحدي ٣/ ١٨٠.
(٦) في الكشاف ٢/ ٥٠٦.

لا تقول: جئتُ المكانَ وأجاءَنيه زيدٌ، كما تقول: بلَغْتُه وأَبْلَغَنيه، ونظيره «أتى»، حيث لم يُستَعمَلْ إلَّا في الإعطاء، ولم يُقَلْ: أتيتُ المكانَ وآتانيه فلانٌ. انتهى.

أمَّا قولُه وقولُ غيرِه: إنَّ الاستعمالَ غيَّره إلى معنى الإلجاء، فيحتاج إلى نقل أئمة اللغة المستقرئين ذلك عن لسان العرب، والإجاءةُ تدلُّ على المُطلَق، فتصلُحُ لِما هو بمعنى الإلجاء، ولِما هو بمعنى الاختيار، كما لو قلتَ: أقمتُ زيداً، فإنَّه قد يكون مختاراً لذلك، وقد يكون قد قسَرْتَه على القيام. وأمَّا قولُه: ألا تراكَ لا تقولُ... إلى آخره، فمَنْ رأى أنَّ التعديةَ بالهمزة قياسٌ أجازَ ذلك ولو لم يُسْمَع، ومَنْ لا يراه قياساً فقد سُمِعَ ذلك في جاء، حيث قالوا: أجاء، فيُجيز ذلك. وأمَّا تنظيرُه ذلك بـ «آتى» فهو تنظيرٌ غيرُ صحيح؛ لأنَّه بناه على أنَّ الهمزةَ فيه للتعدِية، وأنَّ أصلَه «أتى»، وليس كذلك، بل «آتى» ممَّا بُني على أفْعَل، وليس منقولاً من «أتى» بمعنى جاء، إذ لو كان منقولاً من «أتى» المتعدِّية لواحد لكان ذلك الواحدُ هو المفعولَ الثاني، والفاعلُ هو الأولَ إذا عدَّيتَه بالهمزة؛ تقول: أتى المالُ زيداً، وآتى عَمرٌو زيداً المالَ، فيختلف التركيب بالتعدية؛ لأنَّ زيداً عند النَّحْويين هو المفعولُ الأول، والمالَ هو المفعولُ الثاني، وعلى ما ذكره الزمخشري كان يكون العكس، فدلَّ على أنَّه ليس على ما قاله، وأيضاً «فآتى» مرادفٌ لأعطى، فهو مخالفٌ من حيث الدلالة في المعنى. وقوله: ولم تقُلْ: أتيتُ المكانَ وآتانيه، هذا غيرُ مُسَلَّمٍ، بل يُقال: أتيتُ المكانَ، كما تقولُ: جئتُ المكانَ. وقال الشاعر:

أَتَـوْا نـاري فـقـلـتُ مَـنُـونَ أنـتُـمْ فـقـالـوا الـجِـنُّ قـلـتُ عِـمُـوا ظَـلامـا[1]

ومن رأى النقل بالهمزة قياساً قال: آتانيه.

وقرأ الجمهور: «فأجاءها» أي: ساقها. وقال الشاعر:

---

(١) وقع في (ز١) و(د١) و(يه): صباحاً، والبيت لشمير بن الحارث الضبي كما في الصحاح (منن)، وتاج العروس (حسد)، والنوادر لأبي زيد ص١٢٤، وهو في الكتاب لسيبويه ٢/ ٤١١، والخزانة ٦/ ١٦٧.

وجـارٍ سـارَ مُـعـتـمِـداً إلـيـكـم أجـاءَتْـه الـمـخـافـةُ والـرَّجـاءُ[١]

وأمال فتحة الجيم الأعمش وطلحة.

وقرأ حماد بن سلمة عن عاصم، قال ابن عطية[٢]: وشُبيل بن عَزْرَة: «فاجأها» من المفاجأة.

وقال صاحب «اللوامح»: شُبيل بن عَزْرَة: «فاجأها»، فقيل: هو من المفاجأة بوزن فاعلها، فبُدِّلت همزتُها بألف تخفيفاً على غير قياس، ويحتمل أن تكون همزةً بينَ بين غير مقلوبة. ورُوي عن مجاهدٍ كقراءة حماد عن عاصم[٣].

وقرأ ابن كثير في رواية: «المِخَاض» بكسر الميم، يقال: مَخِضَتِ الحاملُ مَخَاضاً ومِخَاضاً، وتمخَّضَ الولدُ في بطنها[٤].

و«إلى» تتعلَّق بـ «فأجاءها»، ومن قرأ: «فاجأها» من المفاجأة فتتعلَّق بمحذوف، أي: مستندة، أي: في حال استنادها إلى النخلة.

والمستفيضُ المشهورُ أنَّ ميلادَ عيسى عليه السلام كان ببَيْتِ لَحْم، وأنَّها لمَّا هربَتْ وخافَتْ عليه أسرعَتْ به وجاءت به إلى بيت المقدس، فوضعَتْه على صخرة، فانخفضَتْ الصخرةُ له، وصارت كالمهد، وهي الآن موجودةٌ تُزارُ بحرم بيت المقدس، ثمَّ بعد أيامٍ توجَّهتْ به إلى بحر الأردنّ، فعمَّدَتْه فيه، وهو اليومُ الذي يتَّخذه النصارى ويُسمُّونه يوم الغطاس، وهم يظنُّون أنَّ المياه في ذلك اليوم تقدَّست؛ فلذلك يغطسون في كلِّ ماءٍ، ومَنْ زعمَ أنَّها ولدَتْه بمصر قال: بِكُورة أهناس[٥]. قيل: ونخلةُ مريم قائمةٌ إلى اليوم، والظاهر أنَّ النخلةَ كانت موجودةً قبل مجيء مريم إليها. وقيل: إنَّ الله أنبَتَ لها نخلةً تعلَّقَتْ بها.

---

(١) البيت لزهير، وهو في شرح ديوانه ص٧٧.

(٢) في المحرر الوجيز ٤/ ١٠ وما قبله منه. وتنظر القراءات الشاذة ص٨٤، والمحتسب ٢/ ٣٩، ومعاني القرآن للنحاس ٤/ ٢٣٤، والمشهور عن عاصم كقراءة الجمهور.

(٣) القراءة عن مجاهد في المحتسب ٢/ ٣٩.

(٤) الكشاف ٢/ ٥٠٦، والقراءة في الشاذة ص٨٤، والمحرر الوجيز ٤/ ١٠، والمشهور عن ابن كثير كقراءة الجمهور.

(٥) ينظر الهداية إلى بلوغ النهاية ٧/ ٤٥١٩، ومعجم البلدان ١/ ٢٨٤.

ورُويَ أنَّها بلغَتْ إلى مَوضعٍ كان فيه جِذعُ نخلةٍ يابسٌ بالٍ، أصلُه مُدَوِّدٌ[١] لا رأسَ له ولا ثمر ولا خضرة[٢].

و«أل» إمَّا لتعريف الجنس، أو الداخلة على الأسماء الغالبة، كأنَّ تلكَ الصحراء كان بها جذعُ نخلةٍ معروفٌ، فإذا قيل: جِذْعُ النخلة، فُهِمَ منه ذلك دون غيره، وأرشدها تعالى إلى النخلة ليُطعِمَها منها الرُّطَبَ الذي هو خُرسة النُّفَساء الموافقة لها، ولِظُهورِ تلك الآيات منها لها، فتَسْتقِرَّ نفسُها وتقرَّ عينُها.

فاشتدَّ بها الأمرُ هنالك، واحتضنَتِ الجذع؛ لشدَّة الوجع، وولَدَتْ عيسى عليه السلام، فقالت عند ولادتها لِما رأَتْه من الآلام والتغرُّب وإنكارِ قومها وصعوبةِ الحال من غيرِ ما وجه: «يا ليتني مِتُّ قبلَ هذا». وتمنَّتْ مريمُ الموتَ من جهةِ الدِّين؛ إذ خافَتْ أن يُظَنَّ بها الشرُّ في دينها وتُعيَّرَ فيفتنها ذلك، وهذا مباح، وعلى هذا الحدِّ تمنِّي عمر بن الخطاب وجماعةٍ من الصالحين، وأما النهيُ عن ذلك فإنَّما هو لضُرٍّ نَزَل بالبدن[٣].

وتقدَّم الخلافُ من القُرَّاء في كسر الميم مِنْ «مِتُّ» وضمِّها في «آل عمران»[٤].

والنَّسيُ: الشيء الحقير الذي من شأنه أن يُنسى فلا يُتألَّمُ لفَقْدِه، كالوتدِ والحبلِ للمسافر وخُرقة الطَّمْثِ[٥].

وقرأ الجمهور بكسر النون، وهو فِعْلٌ بمعنى مفعول، كالذِّبح وهو ما مِنْ شأنِه أن يُذبَح[٦].

وقرأ ابن وثَّاب، وطلحة، والأعمش، وابنُ أبي ليلى، وحمزة، وحفص: بفتح النون[٧]. وقرأ محمد بن كعب القُرَظي: «نِسْئاً» بكسر النون والهمز مكان الياء،

---

(١) في المحرر الوجيز ٤/ ١٠: مِذْوَد بقرة على جرية ماء. والمِذْوَد: القرن. اللسان (ذود).
(٢) الكشاف ٢/ ٥٠٦، وما بعده منه.
(٣) المحرر الوجيز ٤/ ١٠.
(٤) عند تفسير الآية (١٥٧) منها.
(٥) المحرر الوجيز ٤/ ١٠ دون قوله: وخرقة الطمث، فهو في الكشاف ٢/ ٥٠٦.
(٦) الكشاف ٢/ ٥٠٦.
(٧) ينظر السبعة ص٤٠٨، والتيسير ص١٤٨.

وهي قراءة نَوْف الأعرابي[١].

وقرأ بكر بن حبيب السَّهمي، ومحمد بن كعب أيضاً: «نَسْأً» بفتح النون والهمز[٢]، وهو مصدر من نسأتُ اللَّبَن إذا صببْتَ عليه ماءً، فاستُهلِكَ اللَّبنُ فيه لقلَّتِه، فكأنَّها تمنَّتْ أن تكون مثل ذلك اللَّبن الذي لا يُرى ولا يتميَّز من الماء.

وقال ابن عطية: وقرأ بكر بن حبيب: «نَسَاً» بفتح النون والسين من غير همز[٣]؛ بَناه على فَعَل كالقَبَض والنَّقَض.

قال الفرَّاء[٤]: نَسْيٌ ونِسْيٌ لغتان كالوَتْر والوِتْر، والفتح أحبُّ إليَّ.

وقال أبو علي الفارسي[٥]: الكسرُ أعلى اللُّغتين.

وقال ابن الأنباري[٦]: مَنْ كسرَ فهو اسمٌ لِما يُنسى كالنِّقض اسم لما يُنقَض، ومَنْ فتحَ فمصدرٌ نائبٌ عن الاسم، كما يُقال: رجلٌ دَنِفٌ ودَنَفٌ، والمكسور هو الوصف الصحيح، والمفتوح مصدرٌ يسدُّ مَسدَّ الوصف، ويمكن أن يكونا لمعنًى كالرِّطْل والرَّطْل.

والإشارة بقوله: ﴿هَٰذَا﴾ إلى الحَمل. وقيل: قبل هذا اليوم، أو قبل هذا الأمر الذي جرى[٧].

وقرأ الأعمش، وأبو جعفر في رواية: «مِنْسيًّا» بكسر الميم إتباعاً لحركة السين[٨]، كما قالوا: مِنْتِن، بإتباع حركة الميم لحركة التاء.

---

(١) المحرر الوجيز ٤/ ١٠، وفيه أن قراءة نوف بفتح النون.
(٢) المحتسب ٢/ ٤٠، والمحرر الوجيز ٤/ ١٠، وقراءة محمد بن كعب هذه في الشاذة ص٨٤، والكشاف ٢/ ٥٠٦، والمحرر الوجيز ٤/ ١٠.
(٣) المحرر الوجيز ٤/ ١٠، لكن فيه أن السين مفتوحة مشدَّدة.
(٤) في معاني القرآن له ٢/ ١٦٤-١٦٥.
(٥) في الحجة للقراء السبعة ٥/ ١٩٦.
(٦) فيما نقله عنه ابن الجوزي في زاد المسير ٥/ ٢٢٠.
(٧) الوسيط للواحدي ٣/ ١٨٠، وزاد المسير ٥/ ٢٢٠.
(٨) القراءات الشاذة ص٨٤، والكشاف ٢/ ٥٠٧ عن الأعمش وحده. والمشهور عن أبي جعفر كقراءة السبعة.

وقيل: تمنَّتْ ذلك لِما لحِقَها من فرط الحياء على حكم العادة البشرية، لا كراهةً لحُكم الله، أو لشدَّة التكليف عليها إذا بَهَتُوها، وهي عارفةٌ ببراءة الساحة، وبضدٍّ ما قُرِفت به من اختصاص الله إياها بغاية الإجلال والإكرام؛ لأنَّه مقامُ دَحْضٍ قلَّما تثبتُ عليه الأقدام، أو لحُزْنِها على الناس أن يأثم الناسُ بسببِها[١]. ورُوي أنها سمعَتْ نداءً: اخْرُجْ يا مَنْ يُعْبَدُ من دون الله، فحزِنَتْ وقالت: يا ليتني مِتُّ[٢].

وقال وهب: أنساها كَرْبُ الولادة وما سمِعَتْ من الناس بشارةَ الملائكة بعيسى[٣].

وقرأ زِرٌّ وعلقمة: «فخاطبها» مكان «فناداها»[٤]. وينبغي أن يكون تفسيراً لا قراءةً؛ لأنَّها مخالفةٌ لِسَواد المصحفِ المُجمَعِ عليه.

والمنادي الظاهر أنَّه عيسى[٥]، أي: فولدَتْه، فأنطقَه اللهُ، وناداها أي: حالةَ الوَضْع.

وقيل: جبريل، وكان في بقعةٍ من الأرض أخفضَ من البقعة التي كانت عليها، وقاله الحسن وأَقْسَمَ على ذلك[٦].

وقيل: وكان يَقْبَلُ الولدَ كالقابلة[٧].

وقرأ ابن عباس: «فناداها ملَكٌ مِنْ تحتِها»[٨].

وقرأ البراء بن عازب، وابن عباس، والحسن، وزيد بن علي، والضحَّاك، وعمرو بن ميمون، ونافع، وحمزة، والكسائي، وحفص: «مِن» حرف جرّ.

---

(١) الكشاف ٢/ ٥٠٦.
(٢) المحرر الوجيز ٤/ ١٠.
(٣) تفسير الرازي ٢١/ ٢٠٣.
(٤) المحرر الوجيز ٤/ ١١، والقراءات الشاذة ص٨٤، ووقع فيه تحريف: عن زر بن علقمة!
(٥) الوسيط ٣/ ١٨١، والمحرر الوجيز ٤/ ١١، وتفسير الرازي ٢١/ ٢٠٣.
(٦) المحرر الوجيز ٤/ ١١.
(٧) الكشاف ٢/ ٥٠٧.
(٨) تفسير القرطبي ١٣/ ٤٣٤.

وقرأ الابنان والأبوان[١]، وزِرّ، ومجاهد، والجَحْدري، والحسن وابن عباس في روايةٍ عنهما: «مَنْ» بفتح الميم، بمعنى «الذي». و«تحتَها» ظرف منصوب، صلة لـ«مَنْ» وهو عيسى[٢]، أي: ناداها المولود. قاله أُبيٌّ والحسن وابن جُبير ومجاهد[٣].

و«أنْ» حرف تفسير، أي: لا تحزني.

والسَّرِيُّ في قول الجمهور: الجدول. وقال الحسن وابن زيد وقَتادة: عظيماً من الرجال له شأن. ورُويَ أنَّ الحسن فسَّر الآية فقال: أجَلْ، لقد جعلَه اللهُ سَرِيًّا كريماً. فقال حُميد[٤] بن عبد الرحمن: يا أبا سعيد، إنَّما يعني بالسَّريِّ الجدولَ. فقال الحسن: لِهَذه وأشباهِها أُحِبُّ قُرْبَك، ولكِنْ غلبَنا عليك[٥] الأمراءُ.

ثمَّ أمرَها بهزِّ الجِذْع اليابس؛ لترى آيةً أخرى في إحياء موات الجذع. وقالت فرقة: بل كانت النخلةُ مطعمةً رُطَباً. وقال السُّدِّي: كان الجِذعُ مقطوعاً، وأُجرِيَ تحتَه النهر بجنبه. والظاهر أنَّ المُكلِّم هو عيسى، وأنَّ الجِذعَ كان يابساً، وعلى هذا ظهرَتْ لها آياتٌ تسكنُ إليها.

وحزنُها لم يكن لفقدِ الطعام والشراب حتى تُسلَّى بالأكل والشرب، ولكن لما ظهر في ذلك من خَرْقِ العادة حتى يتبيَّن لقومها أنَّ ولادها من غير فحلٍ ليس ببِدْعٍ من شأنها[٦]. قال ابن عباس: كان جِذْعاً نَخِراً، فلمَّا هَزَّتْ إذ السَّعَفُ[٧] قد طلع، ثم نظرَتْ إلى الطَّلع يخرج من بين السَّعَف، ثم اخضَرَّ فصار بلَحاً، ثمَّ احمرَّ فصار

---

(١) بعدها في النسخ: وعاصم، والصواب حذفها. والابنان هما ابن عامر وابن كثير، والأبوان هما أبو عمرو البصري وأبو بكر شعبة الراوي عن عاصم، وعليه فإن ذكر عاصم بعدهما فيه نظر؛ لذكر رواية أبي بكر عنه، وأما رواية حفص عنه فقد تقدمت في الفقرة السابقة، وهي «مِن» بكسر الميم. قلت: وكلام المصنف من المحرر الوجيز ٤/ ١١.
(٢) إملاء ما منَّ به الرحمن ٢/ ١١٢.
(٣) المحرر الوجيز ٤/ ١١، وما بعده منه.
(٤) تحرف في المحرر الوجيز ٤/ ١١ - والكلام منه - إلى: عبيد. وما بعده منه أيضاً.
(٥) كلمة «عليك» من (ز١).
(٦) الكشاف ٢/ ٥٠٧.
(٧) السَّعَف؛ جمع سَعَفة: وهي غصن النخل. الصحاح (سعف).

زَهْواً، ثمَّ رُطَباً، كلُّ ذلك في طَرْفَةِ عينٍ، فجعلَ الرُّطَبُ يقع[1] بين يديها لا يتسرَّحُ[2] منه شيء.

و«إلى» حرفٌ بلا خلاف، ويتعلَّقُ بقوله: «وهُزِّي»، وهذا جاء على خلاف ما تقرَّر في علم النَّحْو من أنَّ الفعل لا يتعدَّى إلى الضمير المتَّصل، وقد رُفِعَ الضميرُ المتَّصل، وليس من باب ظَنَّ، ولا فَقَد، ولا عَدِم[3]، وهما لمدلولٍ واحدٍ، لا يُقال: ضرَبْتَك، ولا زيدٌ ضربُه، أي: ضربَ نفسَه. ولا ضربني، إنَّما يُؤتى في مثل هذه التراكيبِ بالنفس، فتقول: ضربتَ نفسَك، وزيدٌ ضربَ نفسَه، وضربتُ نفسي. والضميرُ المجرورُ عندهم كالضمير المنصوب، فلا تقول: هززتَ إليك، ولا زيدٌ هزَّ إليه، ولا هززتُ إليَّ؛ ولهذا زعموا في قول الشاعر:

دَعْ عنكَ نَهْباً صِيْحَ في حَجَراتِهِ ... ولكِنْ حديثاً ما حديثُ الرَّواحلِ[4]

وفي قول الآخر:

هَوِّنْ عليكَ فإنَّ الأمور ... بكَفِّ الإلهِ مقاديرُها[5]

إنَّ «عن» و«على» ليسا حرفين، وإنَّما هما اسمان ظرفان، وهذا ليس ببعيد؛ لأنَّ «عن» و«على» قد ثبتَ كونُهما اسمين في قوله:

مِنْ عن يَمينِ الحُبيَّا نظرةٌ قَبَلُ[6]

وفي قوله:

غَدَتْ مِنْ عليهِ بعدَ ما تَمَّ ظِمْؤها[7]

---

(١) بعدها في النسخ ـ سوى (ز١) ـ زيادة: من.
(٢) في تفسير القرطبي ١٣/ ٤٣٦ والخبر فيه: ينشدخ، والشَّدْخ: كسر الشيء الأجوف. الصحاح (شدخ). ومعنى «يتسرَّح»: يذهب ويخرج. تاج العروس (سرح).
(٣) في (ح) والمطبوع: علم.
(٤) قائله امرؤ القيس، وهو في ديوانه ص٩٤. والحَجَرات: النواحي.
(٥) قائله الأعور الشنِّي، كما في الكتاب ١/ ٦٣-٦٤، والحماسة البصرية ٢/ ٢.
(٦) قائله القطامي، وهو في ديوانه ص٢٨، وصدره: فقلتُ للركب لَمَّا أن علا بِهِمُ. والحُبَيَّا: موضع بالشام. معجم البلدان ٢/ ٢١٦.
(٧) هو صدر بيت، عجزه: تصِلُّ وعن قيضٍ ببَيْداءَ مَجْهَلِ. نسبه ابن قتيبة في أدب الكاتب =

وبعضُ النَّحْويين زعمَ أنَّ «على» لا تكون حرفاً البتة، وأنَّها اسمٌ في كلِّ مواردها، ونُسِبَ إلى سيبويه(١)، ولا يُمكِنُ أن يُدَّعى أنَّ «إلى» تكون اسماً؛ لإجماع النُّحاة على حرفيتها كما قلنا، ونظيرُ قوله تعالى: ﴿وَهُزِّيٓ إِلَيۡكِ﴾ قولُه تعالى: ﴿وَٱضۡمُمۡ إِلَيۡكَ جَنَاحَكَ﴾ [القصص: ٣٢]. وعلى تقرير تلك القاعدة ينبغي تأويلُ هذين، وتأويله على أن يكون قولُه: «إليك» ليس متعلِّقاً بـ «هُزِّي» ولا بـ «اضمُمْ» وإنَّما ذلك على سبيل البيانِ، والتقدير: أعني إليك، فهو متعلِّقٌ بمحذوف، كما قالوا في قوله: ﴿إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾ [الأعراف: ٢١]، وما أشبهه على بعض التأويلات.

والباء في «بجِذْع» زائدة للتأكيد، كقوله: ﴿وَلَا تُلۡقُواْ بِأَيۡدِيكُمۡ إِلَى ٱلتَّهۡلُكَةِ﴾(٢) [البقرة: ١٩٥]. قال أبو علي: كما يقال: ألقى بيده، أي: ألقى يدَه(٣). وكقوله:

سُودُ المحاجرِ لا يقرَأنَ بالسُّوَرِ(٤)

أي: لا يقرأنَ السُّوَرَ. وأنشد الطبري:

بوادٍ يَمانٍ يُنْبِتُ السِّدْرَ صَدْرُهُ ... وأسفَلُه بالمَرْخِ والشَّبَهانِ(٥)

= ص٥٠٤، والبغدادي في الخزانة ١٠/ ١٥٠ لمزاحم العقيلي. وهو في الكتاب ٤/ ٢٣١، والمقتضب ٣/ ٥٣، والكامل ٢/ ١٠٠١ من دون نسبة.

(١) ينظر الكتاب لسيبويه ٤/ ٢٣١.

(٢) الكشاف ٢/ ٥٠٧.

(٣) المحرر الوجيز ٤/ ١٢.

(٤) قائله الراعي النُّميري، وهو في ديوانه ص١٢٢، أو القتال الكلابي، وهو في ديوانه ص٥٣، وصدره: هُنَّ الحرائرُ لا ربَّاتُ أحْمِرَةٍ. قال الجواليقي في شرح أدب الكاتب ص٣٧٨: أحْمِرة جمع حمار، جمع قلَّة، والكثير حُمُر، وخصَّ الحمير لأنَّها رُذَالُ المالِ وشرُّه.
وذكره صاحب الخزانة ٩/ ١٠٩ وردَّ على من رواه (أخْمِرَةٍ) بالخاء المعجمة، وذكر أنه تصحيف.

(٥) تفسير الطبري ١٥/ ٥١٣، والبيت نسبه أبو الفرج في الأغاني ٢٢/ ١٤١، وصاحب الخزانة ٥/ ٢٧٦ ليعلى الأحول. ووقع من غير نسبة في مجاز القرآن ٢/ ٤٩، وأدب الكاتب ص٥٢١، وجمهرة اللغة ١/ ٤٥، وعندهم: «الشَّثّ» بدل «السِّدر». والسِّدر والشَّثُّ: ضربٌ من الشجر، والشَّبَهان: ضرب من النبت. قال صاحب الخزانة: المَرْخ: شجر سريع الوري.

وقال الزمخشري: أو على معنى: افعَلي الهزَّ بهِ، كقوله:

يَــجْــرحْ فــي عــراقــيــبِــهــا نَــصْــلــي[١]

قالوا: التمرُ للنُّفساء عادةٌ من ذلك الوقت، وكذلك التحنيك، وقالوا: كان من العجوة. قاله محمد بن كعب. وقيل: ما للنُّفساء خيرٌ من الرُّطب. وقيل: إذا عسر وِلادُها لم يكُنْ لها خيرٌ من الرُّطب[٢].

وقرأ الجمهور: «تَسَّاقط» بفتح التاء والسين وشدّها بعدها[٣] ألف وفتح القاف.

وقرأ الأعمش، وطلحة، وابن وثَّاب، ومسروق، وحمزة كذلك، إلَّا أنَّهم خفَّفوا السين.

وقرأ حفص: «تُسَاقِط» مضارع ساقطت[٤].

وقرأ أبو السمَّال: «تتساقط» بتاءين[٥].

وقرأ البراء بن عازب، والأعمش في رواية: «يَسَّاقط» بالياء من تحت مضارع: اسَّاقط[٦].

وعن أبي حَيْوة ومسروق: «تُسْقِط» بالتاء من فوق مضمومة وكسر القاف[٧].

وعن أبي حَيْوة كذلك إلَّا أنَّه بالياء من تحت، وعنه «تَسْقُط» بالتاء من فوق مفتوحة وضم القاف، وعنه كذلك إلَّا أنَّه بالياء من تحت[٨]. وقال بعضهم في قراءة

---

(١) قائله ذو الرمة، وهو في ديوانه ١/ ١٥٦، والخزانة ٢/ ١٢٨. والبيت بتمامه:

وإنْ تَعْتذِرْ بالمَحْلِ من ذي ضُروعِها ... على الضيفِ يَجْرحْ في عراقيبِها نَصْلي

(٢) إلى هنا من الكشاف ٢/ ٥٠٧.

(٣) المثبت من (ز١)، وتحرفت في باقي النسخ والمطبوع إلى: بعد.

(٤) ينظر السبعة ص٤٠٩، والتيسير ص١٤٩.

(٥) القراءات الشاذة ص٨٤ عن أبي السمَّال، وزاد السير ٥/ ٢٢٣ عنهما.

(٦) القراءات الشاذة ص٨٤، ومعاني القرآن للفراء ٢/ ١٦٦، وإعراب القرآن للنحاس ٣/ ١٢، عن البراء، والمحرر الوجيز ٤/ ١٢ عنهما، وزاد المسير ٥/ ٢٢٣ عن المفضل، وهي قراءة يعقوب من العشرة. النشر ٢/ ٣١٨.

(٧) المثبت من (ز١) والقراءات الشاذة ص٨٤ عن أبي حيوة، وإعراب القرآن للنحاس ٣/ ١٢ عن مسروق، وفي زاد المسير ٥/ ٢٢٣ عن الجحدري وأبي عمران الجوني.

(٨) القراءات الشاذة ص٨٤، وزاد المسير ٥/ ٢٢٣.

أبي حَيْوة هذه أنَّه قرأ: «رُطَبٌ جَنِيٌّ» بالرفع على الفاعلية[١]. وأمَّا النصب، فإن قرئ بفعل متعدٍّ نصبه على المفعول، أو بفعلٍ لازمٍ فنصبه على التمييز، ومن قرأ بالياء من تحت فالفعل مسندٌ إلى الجِذْع، ومن قرأ بالتاء فمسنَدٌ إلى النخلة، ويجوز أن يكون مسنداً إلى الجِذْع على حدِّ ﴿يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ ٱلسَّيَّارَةِ﴾ [يوسف: ١٠] في قراءة مَنْ قرأ: «تلتَقِطْه» بالتاء من فوق، وأجاز المبرِّد في قوله: «رُطباً» أن يكون منصوباً بقوله: «وهُزِّي»[٢] أي: وهُزِّي إليكِ بجِذْع النَّخلة رُطَباً تساقط عليكِ. فعلى هذا الذي أجازه تكون المسألةُ من باب الإعمال، فيكون قد حذف معمولَ «تساقط»، فمن قرأه بالياء من تحت فظاهر، ومن قرأ بالتاء من فوق؛ فإن كان الفِعلُ متعدِّياً جاز أن يكون من باب الإعمال، وإن كان لازماً فلا؛ لاختلاف متعلّق «هُزِّي» إذ ذاك، والفعل اللازم.

وقرأ طلحة بن سليمان: «جِنِيًّا» بكسر الجيم إتباعاً لحركة النون[٣].

والرِّزقُ وإن كان مفروغاً منه فقد وُكِلَ ابنُ آدم إلى سعيٍ ما فيه؛ ولذلك أُمِرَتْ مريمُ بهزِّ الجِذْع، وعلى هذا جاءت الشريعة، وليس ذلك بمُنافٍ للتوكُّل. وعن ابن زيد: قال عيسى لها: لا تحزني. فقالت: كيف لا أحزَنُ وأنتَ معي لا ذات زوجٍ ولا مملوكة؟! أيُّ شيءٍ عُذري عند الناس؟! ﴿يَٰلَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا﴾ الآية، فقال لها عيسى: أنا أكفيكِ الكلام ﴿فَكُلِي وَٱشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا﴾[٤].

قال الزمخشري[٥]: أي: جَمَعْنا لكِ في السَّريِّ والرُّطَبِ فائدتين؛ إحداهما الأكل والشرب، والثانية: سَلْوةُ الصدر؛ لكونهما معجزتين، وهو معنى قوله: ﴿فَكُلِي وَٱشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا﴾ أي: وطِيبي نفساً. ولا تغتمِّي وارفضي عنكِ ما أحزنَكِ وأهمَّكِ. انتهى.

ولمَّا كانتِ العادةُ تقديمَ الأكلِ على الشربِ تقدَّم في الآية، ولمجاورة قوله:

(١) المحرر الوجيز ٤/ ١٢.
(٢) نقله عنه الزمخشري في الكشاف ٢/ ٥٠٧ ـ والكلام فيه بمعناه ـ وقال: ليس بذاك.
(٣) المحتسب ٢/ ٤١، والكشاف ٢/ ٥٠٧، والمحرر الوجيز ٤/ ١٢.
(٤) المحرر الوجيز ٤/ ١٢، ونقل قولَ ابنِ زيد عن الطبري، وهو في تفسيره ١٥/ ٥١٨-٥١٩.
(٥) في الكشاف ٢/ ٥٠٧.

﴿تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا﴾، ولمَّا كان المحزونُ قد يأكل ويشرب قال: ﴿وَقَرِّي عَيْنًا﴾ أي: لا تحزني، ثمَّ ألقى إليها ما تقول إنْ رأتْ أحداً.

وقرئ: «وقِرِّي» بكسر القاف، وهي لغة نجدية، وتقدَّم ذِكْرُها[١]. وقرأ أبو عمرو فيما روى عنه ابن رومي: «تَرَئِنَّ» بالإبدال من الياء همزة، ورُوِيَ عنه: «لترؤنَّ» بالهمز أيضاً بدل الواو. قال ابن خالويه[٢]: وهو عند أكثر النَّحْويين لَحْنٌ. وقال الزمخشري[٣]: وهذا من لغة من يقول: لَبَأْتُ بالحجِّ، وحلأْتُ السَّويق، وذلك لتآخٍ بين الهمزة وحروف اللِّين في الإبدال. انتهى.

وقرأ طلحة، وأبو جعفر، وشيبة: «تَرَيْنَ» بسكون الياء وفتح النون خفيفة. قال ابن جِنِّي[٤]: وهي شاذة. يعني: لأنَّه لم يؤثِّر الجازم فيحذف النون، كما قال الأفوَه الأوْدي:

إمَّا تري رأسِيَ أزْرَى بهِ مَأْسُ زمانٍ ذي انتكاسٍ مَؤُوْسْ[٥]

والآمِرُ لها بالأكل والشرب وذلك القول الظاهر أنَّه ولَدُها. وقيل: جبريل على الخلاف الذي سبق، والظاهر أنَّه أُبيحَ لها أن تقول ما أُمِرَتْ بقوله، وهو قول الجمهور. وقالت فرقة: معنى «فقولي» أي: بالإشارة لا بالكلام، وإلَّا فكان التناقضُ يُنافي قولَها[٦]. انتهى. ولا تناقُضَ؛ لأنَّ المعنى: فلَنْ أُكلِّمَ اليومَ إنسيًّا بعد قولي هذا، وبينَ الشرطِ وجزائِه جملةٌ محذوفةٌ يدلُّ عليه المعنى، أي: «فإمَّا ترينَّ من البشر أحداً» وسألكِ أو حاوركِ الكلامَ «فقولي».

---

(١) في شرح المفردات في بداية السورة، وينظر في تفسير الطبري ١٥/٥١٦، والكشاف ٢/٥٠٧، والمحرر الوجيز ٤/١٢.

(٢) في القراءات الشاذة ص٨٤، وقراءة «لترؤنَّ» في المحتسب ٢/٤٢، وهي في زاد المسير ٥/٢٢٤ عن ابن عباس وأبي مجلز وابن السميفع والضحاك وأبي العالية وعاصم الجحدري.

(٣) في الكشاف ٢/٥٠٧.

(٤) في المحتسب ٢/٤٢. وقراءة أبي جعفر: «وقَرِّي» كقراءة الجمهور.

(٥) ديوان الأفوه ص١٦ (الطرائف الأدبية)، وذكره ابن عطية في المحرر الوجيز ٤/١٢، والمعري في رسالة الملائكة ص١٣، وقال: مأَسَ بين القوم: إذا أفسد بينهم.

(٦) المحرر الوجيز ٤/١٣.

وقرأ زيد بن علي: «صياماً»[١].

وفُسِّر «صوماً» بالإمساك عن الكلام[٢].

وفي مصحف عبد الله: «صمتاً»، وعن أنس بن مالك مثله[٣].

وقال السُّدِّي وابن زيد: كانت سُنَّةُ الصيام عندهم الإمساك عن الأكل والكلام[٤]. انتهى.

والصمتُ منهيٌّ عنه، ولا يصِحُّ نذرُه، وفي الحديث: «مُرْهُ فلْيتكَلَّمْ»[٥]، وقد أمرَ ابنُ مسعودٍ مَنْ فعلَ ذلك بالنُّطْق[٦].

وأُمِرَتْ بنذر الصوم؛ لأنَّ عيسى بما يُظهِرُ اللهُ عليه يكفيها أمرَ الاحتجاجِ ومجادلةِ السفهاء. وقوله: ﴿إِنسِيًّا﴾ لأنَّها كانت تُكلِّمُ الملائكةَ دون الإنس[٧].

﴿فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ قَالُوا۟ يَٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾ يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا۟ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِى ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِى وَلَمْ يَجْعَلْنِى جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾﴾.

﴿فَأَتَتْ بِهِۦ﴾ قيل: إتيانُها كان من ذاتِها. قيل: طَهُرتْ من النفاس بعد أربعين يوماً، وكان اللهُ تعالى قد أراها آياتٍ واضحاتٍ، وكلَّمها عيسى ابنُها، وحَنَّتْ إلى الوطن، وعَلِمَتْ أنَّ عيسى سيكفيها من يُكَلِّمها، فعادت إلى قومها.

---

(١) زاد المسير ٥/ ٢٢٥ عن ابن عباس.
(٢) المحرر الوجيز ٤/ ١٣.
(٣) الكشاف ٢/ ٥٠٧، وهي في زاد المسير ٥/ ٢٢٥ عن أنس وأُبي وأبي رزين. وأخرجها الطبري ١٥/ ٥١٦-٥١٧ عن ابن عباس وأنس.
(٤) المحرر الوجيز ٤/ ١٣.
(٥) أخرجه البخاري (٦٧٠٤) من حديث ابن عباس ﷺ.
(٦) المحرر الوجيز ٤/ ١٣.
(٧) الكشاف ٢/ ٥٠٧.

وقيل: أرسلوا إليها: لِتَحْضُري إلينا بولدِك. وكان الشيطانُ قد أخبرَ قومَها بولادتِها. وفي الكلام حذفٌ، أي: فلمَّا رأَوها وابنَها «قالوا».

قال مجاهد والسُّدِّي: الفَرِيُّ: العظيم الشنيع.

وقرأ أبو حَيْوة فيما نقل ابن عطية[1]: «فَرْياً» بسكون الراء. وفيما نقل ابن خالويه: «فَرِئاً» بالهمز[2].

و«هارون» شقيقها أو أخوها من أمِّها، وكان من أمثل بني إسرائيل، أو هارون أخو موسى؛ إذ كانت من نسلِه، أو رجلٌ صالحٌ من بني إسرائيل؛ شُبِّهت به، أو رجلٌ من الفُسَّاق[3] وشبَّهوها به. أقوال، والأولى أنَّه أخوها الأقرب.

وفي حديث المغيرة حين خصَمَه نصارى نجران في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ﴾ والمدَّة بينهما طويلةٌ جِدًّا، فقال له الرسول ﷺ: «ألا أخبرتهم أنَّهم كانوا يُسمُّون بأنبيائهم والصالحينَ قبلَهم»[4].

وأنكروا عليها ما جاءَتْ به، وأنَّ أبوَيها كانا صالحين، فكيفَ صدرَتْ منكِ هذه الفِعلة القبيحة؟ وفي هذا دليلٌ على أنَّ الفروعَ غالباً تكون زاكيةً إذا زكتِ الأصول، ويُنكَرُ عليها إذا جاءَتْ بضِدِّ ذلك.

وقرأ عمر بن لَجَأ التَّيمي الشاعر الذي كان يُهاجي جريراً: «ما كان أباكِ امرؤُ سَوءٍ»[5] بجَعْلِ الخبرِ المعرفة، والاسمِ النَّكِرة، وحَسَّنَ ذلك قليلاً كونُها فيها مُسَوِّغُ جوازِ الابتداء وهو الإضافة.

ولمَّا اتَّهموها بما اتَّهموها نفَوا عن أبويها السُّوءَ؛ لمناسبة الولادة، ولم ينصُّوا

(١) في المحرر الوجيز ٤/ ١٣، وما قبله منه.

(٢) هكذا في النسخ وفي روح المعاني ١٦/ ٧٥. والذي في القراءات الشاذة ص٨٤، والدر المصون ٧/ ٥٩٢، واللباب لابن عادل ١٣/ ٥٢، وتاج العروس (فرأ): «فرِيئاً».

(٣) المثبت من (ز١)، وزاد المسير ٥/ ٢٢٦ والكلام فيه. وتحرفت في باقي النسخ والمطبوع إلى: النساء.

(٤) المحرر الوجيز ٤/ ١٣، والحديث أخرجه مسلم (٢١٣٥)، وأحمد (١٨٢٠١).

(٥) القراءات الشاذة ص٨٥، والكشاف ٢/ ٥٠٨.

على إثبات الصلاح، وإنْ كان نفيُ السُّوءِ يوجِبُ الصلاح، ونفيُ البِغاءِ يوجبُ العِفَّة؛ لأنَّهما بالنسبة إليهما نقيضان.

رُوي أنَّها لمَّا دخلَتْ به على قومِها وهم أهلُ بيتٍ صالحون تباكوا وقالوا ذلك. وقيل: هَمُّوا برجمِها، حتى تَكلَّم عيسى، فتركوها، «فأشارت إليه» أي: هو الذي يجيبكم إذا ناطقْتُموه. وقيل: كان المستنطِقُ لعيسى زَكريا. ويُروى أنَّهم لمَّا أشاروا إلى الطفل قالوا: استخفافُها بنا أشدُّ علينا من زِناها[١].

ثمَّ قالوا لها على جهة الإنكار والتهكُّم بها: أي: إنَّ مَنْ كان في المهد يُرَبَّى لا يُكَلَّم؟! وإنما أشارت إليه لِما تقدَّم لها من وعدِه أنَّه يُجيبهم عنها ويُغنيها عن الكلام. وقيل: بوحيٍ من الله إليها.

و«كان» قال أبو عبيدة: زائدة[٢]. وقيل: تامّة، وينتصب «صبيًّا» على الحال في هذين القولين، والظاهر أنَّها ناقصة، فتكون بمعنى «صار» أو تبقى على مدلولها من اقتران مضمون الجملة بالزمان الماضي، ولا يدلُّ ذلك على الانقطاع، كما لم يدلَّ في قوله: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ٩٦ و١٠٠]، وفي قوله: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً﴾[٣] [الإسراء: ٣٢] والمعنى: كان وهو الآن على ما كان، ولذلك عبَّر بعضُ أصحابنا عن كل هذه بأنَّها تُرادِفُ «لم يَزَلْ»، وما ردَّ به ابنُ الأنباري[٤] كونَها زائدةً من أنَّ الزائدة لا خبرَ لها، وهذه قد نصبَتْ «صبيًّا» خبراً لها، ليس بشيء؛ لأنَّه إذ ذاك ينتصب على الحال، والعامل فيها الاستقرار.

وقال الزمخشري[٥]: «كان» لإيقاع مضمون الجملة في زمانٍ ماضٍ مُبهمٍ يصلح لقريبه وبعيده، وهو هاهنا لقريبه خاصةً، والدالُّ عليه معنى الكلام، وأنَّه مَسوقٌ للتعجُّب. ووجهٌ آخر: أن يكون «نُكَلِّمُ» حكايةَ حالٍ ماضيةٍ، أي: كيف عُهِدَ قبل

---

(١) الكشاف ٢/٥٠٨.
(٢) مجاز القرآن ٢/٧ وقال: لـ «كان» مواضع، ثم ذكرها.
(٣) ينظر إملاء ما منَّ به الرحمن ٢/١١٣.
(٤) في الأضداد ص٦٢.
(٥) في الكشاف ٢/٥٠٨.

عيسى أن يُكلِّمَ الناسُ صبيًّا في المهد[١] فيما سلف من الزمان حتى نُكَلِّم هذا؟! انتهى.

والظاهر أنَّ «مَنْ» مفعول بـ «نُكَلِّم».

ونُقِلَ عن الفرَّاء والزجَّاج أنَّ «مَنْ» شرطية[٢]، و«كان» في معنى «يكُنْ» وجواب الشرط محذوفٌ تقديره: فكيف نُكلِّم؟! وهو قولٌ بعيدٌ جِدًّا.

وعن قَتادة: إنَّ المهدَ حِجْرُ أمِّه[٣].

وقيل: سريره[٤]. وقيل: المكان الذي يستقرُّ عليه.

ورُوِيَ أنَّه قام متَّكِئاً على يساره، وأشار إليهم بسبابتِه اليمنى[٥].

وأنطقه الله تعالى أوَّلاً بقوله: ﴿إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ﴾ ردًّا للوهم الذي ذهبَتْ إليه النصارى[٦].

وفي قوله: ﴿عَبْدُ ٱللَّهِ﴾ والجمل التي بعده تنبيهٌ على براءة أمِّه ممَّا اتُّهمت به؛ لأنَّه تعالى لا يَخصُّ بولدٍ موصوفٍ بالنبوة والخلال الحميدة إلَّا مُبرَّأةً مُصطفاةً.

و«الكتاب»: الإنجيل أو التوراة أو مجموعهما. أقوال[٧].

وظاهر قوله: ﴿وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾ أنَّه تعالى نبَّأه حالَ طفوليَّته؛ أكملَ اللهُ عقلَه، واستنبأه طفلاً. وقيل: إنَّ ذلك سبقَ في قضائه وسابقِ حكمِه، ويَحتمِلُ أن يجعل الآتي لتحقُّقه كأنَّه قد وُجِد[٨].

﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا﴾ قال مجاهد: نفَّاعاً. وقال سفيان: مُعَلِّمَ خير. وقيل: آمراً

(١) بعدها في المطبوع والنسخ سوى (ز١) زيادة كلمة: صبياً.
(٢) المحرر الوجيز ٤/ ١٤، وقول الزجاج في معاني القرآن له ٣/ ٣٢٨، وما بعده منه بنحوه.
(٣) النكت والعيون ٣/ ٣٧٠، وزاد المسير ٥/ ٢٢٨، وأخرجه عنه الطبري ٥/ ٥٢٧.
(٤) النكت والعيون ٣/ ٣٦٩، وزاد المسير ٥/ ٢٢٨ ونسبه للكلبي.
(٥) المحرر الوجيز ٤/ ١٤.
(٦) الكشاف ٢/ ٥٠٨.
(٧) ينظر المحرر الوجيز ٤/ ١٤، وزاد المسير ٥/ ٢٢٩.
(٨) الكشاف ٢/ ٥٠٨.

بمعروف ناهياً عن منكر. وعن الضحَّاك: قضَّاءً للحوائج[١].

و«أينما كنت» شرطٌ، وجزاؤه محذوف تقديره: جعلني مباركاً، وحُذِفَ لدلالة ما تقدَّم عليه، ولا يجوز أن يكون معمولاً لـ «جعلني» السابق؛ لأنَّ «أين» لا تكون إلَّا استفهاماً أو شرطاً، لا جائزٌ أن تكون هنا استفهاماً، فتعيَّنَتِ الشَّرطية، واسمُ الشَّرط لا ينصِبُه فِعْلٌ قبلَه، إنَّما هو معمولٌ للفعل الذي يليه.

والظاهر حَمْلُ الصلاة والزكاة على ما شُرِعَ في البدن والمال. وقيل: الزكاة: زكاة الرؤوس في الفطر. وقيل: الصلاة: الدعاء، والزكاة: التطهُّر[٢].

و«ما» في «ما دُمْتُ» مصدرية ظرفية[٣].

وقال ابن عطية: وقرأ: «دُمْتُ» بضمِّ الدال عاصمٌ وجماعة. وقرأ: «دِمْتُ» بكسر الدال أهلُ المدينة وابنُ كثير وأبو عمرو[٤]. انتهى. والذي في كتب القراءات أنَّ القُرَّاء السبعة قرؤوا: «دُمْتُ حَيًّا» بضم الدال، وقد طالَعْنا جملةً من الشَّواذ فلم نجِدْها لا في شواذِّ السبعة ولا في شواذِّ غيرهم على أنَّها لغةٌ تقول: دِمْتُ تَدام، كما قالوا: مِتُّ تَماتُ.

وسبق أنَّه قُرِئ: «وبِرًّا» بكسر الباء[٥]، فإمَّا على حذف مضاف، أي: وذا بِرٍّ، وإمَّا على المبالغة، جُعِلَ ذاتَه من فرطِ برِّه، ويجوز أن يُضمَرَ فِعْلٌ في معنى «أوصاني» وهو: كلَّفني؛ لأنَّ أوصاني بالصلاة وكلَّفنيها واحد[٦].

---

(١) المحرر الوجيز ٤/ ١٤. وقول مجاهد أخرجه الطبري ١٥/ ٥٣٠، والبيهقي في شعب الإيمان (٧٦٦١)، وابن عساكر في تاريخ دمشق ١٤/ ٣٣ (مخطوط). وقول سفيان في النكت والعيون ٣/ ٣٧٠، وأخرجه الطبري ١٥/ ٥٣١. والقول الثالث في النكت والعيون أيضاً، وأخرجه الطبري ١٥/ ٥٣٠ عن وهيب بن الورد.

(٢) المحرر الوجيز ٤/ ١٤.

(٣) مشكل إعراب القرآن ٢/ ٤٥٥، والبيان لابن الأنباري ٢/ ١٢٥.

(٤) المحرر الوجيز ٤/ ١٥. قال الآلوسي ١٦/ ٨٠: ولم نجد ذلك لغيره، نعم قيل: إنَّ ذلك لغة. قلت: وكذا ذكرها الزجاج في معاني القرآن له ٣/ ٣٢٨.

(٥) سلف عند الآية (١٤) من هذه السورة. وينظر القراءات الشاذة ص٨٤، والمحتسب ٢/ ٤٢، والمحرر الوجيز ٤/ ١٥.

(٦) الكشاف ٢/ ٥٠٨.

ومَنْ قرأ: «وبَرًّا» بفتح الباء؛ فقال الحَوْفي وأبو البقاء[١]: إنَّه معطوفٌ على «مباركاً». وفيه بُعْدٌ؛ للفصل بين المعطوف والمعطوف عليه بالجملة ـ التي هي أوصاني ـ ومتعلّقها، والأَوْلى إضمارُ فعلٍ، أي: وجَعلني برًّا.

وحكى الزهراوي[٢] وأبو البقاء[٣] أنَّه قُرئ: «وبِرٍّ» بكسر الباء والراء، عطفاً على «بالصلاة والزكاة».

وقوله: ﴿بِوَالِدَتِي﴾ بيان محلِّ البرِّ، وأنَّه لا والِدَ له. وبهذا القول برَّأها قومُها[٤].

و«الجبَّار» ـ كما تقدَّم ـ المتعاظِم، وكان في غاية التواضع؛ يأكلُ الشجرَ، ويَلْبَس الشَّعْرَ، ويجلسُ على التراب، [ويأوي][٥] حيثُ جنَّه الليلُ لا مسكن له، وكان يقول: سلوني فإنِّي ليِّنُ القلب، صغيرٌ في نفسي.

والألِفُ واللَّامُ في «والسلام» للجنس. قال الزمخشري: هذا التعريف تعريضٌ بلعنةِ مُتَّهمي مريم وأعدائها[٦] من اليهود، وحقيقته أنَّ اللَّام للجنس، فإذا قال: وجنس «السلام عليَّ» خاصةً، فقد عرَّضَ بأنَّ ضِدَّه عليكم، ونظيره: ﴿وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَىٰٓ﴾ [طه: ٤٧]. يعني أنَّ العذابَ على مَنْ كذَّبَ وتولَّى، وكان المقامُ مقامَ مُناكَرةٍ وعناد، فهو مَئِنَّةٌ لِنَحْوِ هذا من التعريض.

وقيل: «أل» لتعريف المُنكَّر في قصة يحيى في قوله: ﴿وَسَلَٰمٌ﴾ نحو: ﴿كَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ۝١٥ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ﴾[٧] [المزمل: ١٥-١٦] أي: وذلك السلامُ الموَجَّه إلى يحيى في المواطن الثلاثة مُوَجَّهٌ إليَّ[٨]. وسبقَ القولُ في تخصيص هذه المواطن.

---

(١) في الإملاء ٢/ ١١٤.
(٢) فيما نقل عنه ابن عطية في المحرر الوجيز ٤/ ١٥.
(٣) في الإملاء ٢/ ١١٤.
(٤) المحرر الوجيز ٤/ ١٥، وما بعده منه.
(٥) ما بين حاصرتين من المحرر الوجيز.
(٦) في النسخ والمطبوع: وأعدائهما، والمثبت من الكشاف ٢/ ٥٠٨، والدر المصون ٧/ ٥٩٧، وروح المعاني ١٦/ ٨٢.
(٧) إملاء ما منَّ به الرحمن ٢/ ١١٤.
(٨) الكشاف ٢/ ٥٠٨.

وقرأ زيد بن علي: «يوم وَلَدَتْ» أي: يومَ ولدَتْني، جعله ماضياً لحِقَتْه تاءُ التأنيث.

ورُجِّحَ «وسلامٌ» على: و«السلامُ»؛ لكونِه من الله، وهذا من قول عيسى عليه السلام. وقيل: سلام عيسى أرجح؛ لأنَّه تعالى أقامَه في ذلك مقامَ نفسه، فسلَّم نائباً عن الله.

﴿ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ ٱلْحَقِّ ٱلَّذِى فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٣٤﴾ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ سُبْحَٰنَهُۥٓ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٣٥﴾ وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٣٦﴾ فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٣٧﴾ أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا لَٰكِنِ ٱلظَّٰلِمُونَ ٱلْيَوْمَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ ٱلْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٤٠﴾﴾.

الإشارة بـ«ذلك» إلى المولودِ الذي ولَدَتْه مريم المتَّصفِ بتلك الأوصاف الجميلة.

و«ذلك» مبتدأ، و«عيسى» خبرُه، و«ابنُ مريم» صفة لـ«عيسى»، أو خبر بعد خبر، أو بدل(١).

والمقصود ثبوتُ بُنوَّتِه من مريم خاصَّةً من غير أبٍ، فليس بابنٍ له كما يزعم النصارى، ولا لغير رَشْدَةٍ كما يزعم اليهود(٢).

وقرأ زيد بن علي، وابن عامر، وعاصم، وحمزة، وابن أبي إسحاق، والحسن، ويعقوب: «قولَ الحقِّ» بنصب اللام(٣). وانتصابُه على أنَّه مصدرٌ مؤكِّدٌ لمضمون الجملة، أي: هذا الإخبار عن عيسى أنَّه ابنُ مريم ثابتٌ صدقٌ ليس منسوباً لغيرها، أي: إنَّها ولَدَتْه من غير مَسِّ بشر، كما تقول: هذا عبدُ الله الحقَّ لا الباطلَ، أي: أقولُ الحقَّ، وأقولُ قولَ الحقِّ، فيكون الحقُّ هنا الصدق، وهو

---

(١) إملاء ما من به الرحمن ٢/ ١١٤.

(٢) النكت والعيون ٣/ ٣٧٢، والوسيط ٣/ ١٨٣، وتفسير الطبري ١٥/ ٥٣٤-٥٣٥، وزاد المسير ٥/ ٢٣٢. وقوله: لغير رَشْدةٍ، أي: لِزِنْيةٍ، كما في القاموس (رشد).

(٣) ينظر السبعة ص٤٠٩، والتيسير ص١٤٩، والنشر ٢/ ٣١٨، والمحرر الوجيز ٤/ ١٥.

من إضافة الموصوف إلى صفته، أي: القول الحقّ، كما قال: ﴿وَعْدَ ٱلصِّدْقِ﴾ [الأحقاف: ١٦] أي: الوعدَ الصدقَ. وإنْ عنى بهِ اللهَ تعالى كان القولُ مراداً به الكلمة، كما قالوا: كلمةُ الله، كان انتصابُه على المدح، وعلى هذا تكون «الذي» صفةً للقول، وعلى الوجه الأول تكون «الذي» صفةً للحقِّ.

وقرأ الجمهور: «قولُ» برفعِ اللام.

وقرأ ابن مسعود والأعمش: «قال» بألفٍ ورفعِ اللام[١].

وقرأ الحسن: «قُولُ» بضمِّ القاف ورفعِ اللام[٢]، وهي مصادر كالرَّهْبِ والرَّهَبِ والرُّهْبِ.

وارتفاعُه على أنَّه خبرُ مبتدإٍ محذوفٍ، أي: هو، أي: نسبتُه إلى أمِّه فقط قولُ الحقِّ، فتتَّفق إذْ ذاكَ قراءةُ النَّصبِ وقراءةُ الرفع في المعنى.

وقال الزمخشري: وارتفاعُه على أنَّه خبرٌ بعد خبر، أو بدل[٣]. انتهى. وهذا الذي ذُكِرَ لا يكون إلَّا على المجاز في قول، وهو أن يُرادَ به كلمةُ الله؛ لأنَّ اللَّفظَ لا يكونُ الذات.

وقرأ طلحة، والأعمش في روايةِ زائدة[٤]: «قالَ» بألف، جعلَه فعلاً ماضياً، «الحقُّ» برفع القاف على الفاعلية، والمعنى: قال الحقُّ وهو اللهُ ذلك الناطقُ الموصوفُ بتلك الأوصاف هو عيسى ابنُ مريم. و«الذي» على هذا خبرُ مبتدإٍ محذوفٍ، أي: هو الذي.

وقرأ عليٌّ كرَّمَ اللهُ وجهَه، والسُّلميُّ، وداود بن أبي هند، ونافع في رواية، والكسائي في رواية: «تمترون» بتاء الخطاب[٥]، والجمهور بياء الغيبة.

(١) القراءات الشاذة ص٨٤، وتفسير الطبري ١٥/ ٥٣٥، والمحرر الوجيز ٤/ ١٥، والكشاف ٢/ ٥٠٩ عن ابن مسعود.
(٢) القراءات الشاذة ص٨٥، والكشاف ٢/ ٥٠٩.
(٣) الكشاف ٢/ ٥٠٩.
(٤) وهو زائدة بن قدامة، من رجال الكتب الستة، توفي سنة (١٦٠هـ). تهذيب الكمال ٩/ ٢٧٣.
(٥) المحرر الوجيز ٤/ ١٥ دون نسبتها لعلي، وهي في القراءات الشاذة ص٨٥ عن علي =

وامْتَرَى افْتَعَل؛ إمَّا من المِرْية: وهي الشَّكُّ، وإمَّا من المِراء: وهو المجادلة والملاحاة، وكلاهما مَقولٌ هنا. قالت اليهود: ساحرٌ كذَّاب. وقالت النصارى: ابنُ الله، وثالثُ ثلاثة، وهو الله.

﴿مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ﴾ هذا تكذيبٌ للنصارى في دعواهم أنَّه ابنُ الله، وإذا استحالتِ البُنوَّةُ فاستحالةُ الإلهيةِ مستقِلَّةٌ، أو بالتثليث أبلَغُ في الاستحالة.

وهذا التركيبُ معناه الانتفاءُ، فتارةً يدلُّ من جهةِ المعنى على الزجر ﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ الْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا عَن رَّسُولِ اللَّهِ﴾ [التوبة: ١٢٠]، وتارةً على التعجيز ﴿مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنبِتُوا شَجَرَهَا﴾ [النمل: ٦٠]، وتارةً على التنزيه كهذه الآية[(١)].

ولذلك أعقبَ هذا النفي بقوله: ﴿سُبْحَانَهُ﴾ أي: تنزَّه عن الولد؛ إذ هو ممَّا لا يتأتَّى ولا يُتصَوَّر في المعقول، ولا تتعلَّق به القدرة؛ لاستحالته، إذ هو تعالى متى تعلَّقَتْ إرادتُه بإيجاد شيءٍ أوجدَه فهو مُنَزَّهٌ عن التوالد.

وتقدَّم الكلامُ على الجملة من قوله: ﴿إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا﴾[(٢)].

وقرأ الجمهور: «وإنَّ اللهَ» بكسر الهمزة على الاستئناف.

وقرأ أبيٌّ بالكسر دون واوٍ[(٣)].

وقرأ الحِرْمِيَّان، وأبو عمرو: «وأنَّ» بالواوِ وفتحِ الهمزة. وخرَّجه ابنُ عطية[(٤)] على أن يكون معطوفاً على قوله: هذا[(٥)] قول الحقّ، وأنَّ اللهَ ربِّي كذلك.

وخرَّجه الزمخشري[(٦)] على أنَّ معناه: ولأنَّه ربِّي وربُّكم فاعبدوه، كقوله: ﴿وَأَنَّ

= والسلمي، وفي الكشاف ٢/ ٥٠٩ عن علي. ونسبها في زاد المسير ٥/ ٢٣١ لأبي مجلز ومعاذ القارئ وابن يعمر وأبي رجاء. والمشهور عن نافع والكسائي مثل قراءة الجمهور.

(١) المحرر الوجيز ٤/ ١٦.

(٢) عند تفسير الآية (٤٧) من سورة آل عمران.

(٣) القراءات الشاذة ص٨٦.

(٤) في المحرر الوجيز ٤/ ١٦.

(٥) في (يه) و(ح): هو.

(٦) في الكشاف ٢/ ٥٠٩.

ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ١٨]. انتهى. وهذا قول الخليل وسيبويه[١].

وفي حرف أُبيٍّ أيضاً: «وبأنَّ الله» بالواو وباء الجرِّ، أي: بسببِ ذلك فاعبدوه.

وأجاز الفرَّاء[٢] في «وأنَّ» أن يكون في موضع خفضٍ معطوفاً على «والزكاة» أي: وأوصاني بالصلاة والزكاة، وبأنَّ الله ربِّي وربُّكم. انتهى. وهذا في غاية البُعد؛ للفصلِ الكثير.

وأجاز الكسائيُّ أنْ يكون في موضع رفع بمعنى: الأمرُ أنَّ اللهَ ربِّي وربُّكم. وحكى أبو عبيدة عن أبي عمرو بن العلاء أنْ يكون المعنى: وقضى أنَّ الله ربِّي وربُّكم، فهي معطوفةٌ على قوله: «أمراً» في قوله: «إذا قضى أمراً» والمعنى: إذا قضى أمراً، وقضى أنَّ الله[٣]. انتهى. وهذا تخبيطٌ في الإعراب؛ لأنَّه إذا كان معطوفاً على «أمراً» كان في حيِّز الشرط، وكونُه تعالى ربَّنا لا يتقيَّد بالشرط، وهذا يَبعُدُ أن يكون قالَه أبو عمرو بن العلاء، فإنَّه من الجلالة في علم النَّحْو بالمكان الذي قَلَّ أن يوازيَه أحدٌ مع كونِه عربيًّا، ولعلَّ ذلك من فَهْمِ أبي عبيدة، فإنَّه يُضعَّفُ في النَّحْو.

والخطاب في قوله: ﴿وَرَبُّكُمْ﴾ قيل: لمُعاصري رسولِ الله ﷺ من اليهود والنصارى، أمرَ اللهُ تعالى أن يقول لهم ذلك عيسى ابنُ مريم، أي: قُلْ لهم يا محمد هذا الكلام. وقيل: الخطاب للذين خاطبَهم عيسى بقوله: ﴿إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ﴾ الآية، «وأنَّ الله» معطوفٌ على «الكتاب» [في الآية: ٣٠]، وقد قال وَهْب: عَهِدَ عيسى إليهم أنَّ اللهَ ربِّي وربُّكم، ومن كسر الهمزة عطف على قوله: ﴿إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ﴾ فيكون مَحْكيًّا بـ «قال». وعلى هذا القول يكون قولُه: ﴿ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾ إلى ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ﴾ جُمَلَ اعتراضٍ أخبرَ اللهُ تعالى بها رسولَه عليه السلام[٤].

---

(١) في الكتاب ٣/ ١٢٦-١٢٧.

(٢) في معاني القرآن له ٢/ ١٦٨.

(٣) لم أجد هذا القول في مجاز القرآن لأبي عبيدة، ولا من نسبه إليه سوى المصنف.

(٤) المحرر الوجيز ٤/ ١٥ بنحوه مع تقديم وتأخير.

والإشارة بقوله: «هذا» أي: القول بالتوحيد ونفيِ الولد والصاحبةِ، هو الطريق المستقيم الذي يُفضي بقائِلِه ومُعتقِدِه إلى النَّجاة[١].

﴿فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْ﴾ هذا إخبارٌ من الله للرسول بِتفرُّقِ بني إسرائيل فِرَقاً، ومعنى ﴿مِنۢ بَيْنِهِمْ﴾ أنَّ الاختلاف لم يخرُجْ عنهم، بل كانوا هم المختلفين، لم يقَعِ الاختلاف سببُه غيرُهم.

و«الأحزاب»؛ قال الكلبي: اليهود والنصارى. وقال الحسن: الذين تحَزَّبوا على الأنبياء لمَّا قصَّ عليهم قصَّة عيسى اختلفوا فيه من بين الناس[٢]. انتهى. فالضميرُ في «بينهم» على هذا ليس عائداً على الأحزاب. وقيل: الأحزاب هنا المسلمون واليهود والنصارى[٣]. وقيل: هم النصارى فقط[٤].

وعن قَتادة: إنَّ بني إسرائيل جمعوا أربعةً من أحبارهم. فقال أحدهم: عيسى هو الله، نزل إلى الأرض، وأحيا مَنْ أحيا، وأماتَ مَنْ أماتَ. فكذَّبه الثلاثة، واتَّبعَتْه اليعقوبية، ثم قال أحد الثلاثة: عيسى ابنُ الله، فكذَّبه الاثنان، واتَّبعَتْه النُّسْطورية. وقال أحدُ الاثنين: عيسى أحد ثلاثة؛ الله إله، ومريم إله، وعيسى إله. فكذَّبه الرابع، واتَّبعَتْه الإسرائيلية. وقال الرابع: عيسى عبدُ الله، وكلمتُه ألقاها إلى مريمَ ورُوحٌ منه، فاتَّبعَتْه فرقةٌ من بني إسرائيل، ثم اقتتل الأربعةُ، فغلبَ المؤمنون، وظهرتِ اليعقوبية على الجميع، فرُويَ أنَّ في ذلك نزلت: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ﴾[٥] آية آل عمران [٢١] والأربعة: يعقوب، ونُسْطور ومَلْكا، وإسرائيل.

---

(١) المحرر الوجيز ٤/ ١٦، وما بعده منه.
(٢) الكشاف ٢/ ٥٠٩.
(٣) الكشاف ٢/ ٥٠٩ عن الكلبي دون ذكر المسلمين. وذكر الطبرسي في مجمع البيان ١٦/ ٣٧ المسلمين في جملة الأحزاب الذين اختلفوا في عيسى، وقال: وقال المسلمون: هو عبد الله.
(٤) تفسير الثعلبي ٤/ ١٧٧، والكشاف ٢/ ٥٠٩، وزاد المسير ٥/ ٢٣٣.
(٥) المحرر الوجيز ٤/ ١٦، وأخرجه عبد الرزاق في تفسيره ٢/ ٨، ومن طريقه أخرجه النحاس في معاني القرآن ٤/ ٣٣٠، والطبري ١٥/ ٥٣٧-٥٣٨. وأخرجه الطبري ـ أيضاً ـ ١٥/ ٥٤١-٥٤٢ من طريق آخر عن قتادة.

و«بَيْنَ» هنا أصله ظرف، استُعمِل اسماً بدخول «مِنْ» عليه. وقيل: «مِنْ» زائدة. وقيل: «البَيْنُ» هنا: البُعْد، أي: اختلفوا فيه؛ لبُعْدِهم عن الحقّ.

و«مَشْهَد» مَفْعَل من الشُّهود: وهو الحضور[١]، أو من الشهادة، ويكون مصدراً ومكاناً وزماناً، فمن الشهود يجوز أن يكون المعنى: من شهود هَوْل الحساب والجزاء في يوم القيامة، وأن يكون من مكان الشهود فيه وهو الموقف، وأن يكون من وقت الشهود. ومن الشهادة يجوز أن يكون المعنى: من شهادة ذلك اليوم، وأن تشهد عليهم الملائكةُ والأنبياءُ وألسنتُهم وأيديهم وأرجلُهم بالكفر، وأن يكون من مكان الشهادة، وأن يكون من وقت الشهادة، واليومُ العظيم على هذه الاحتمالات يومُ القيامة[٢]. وعن قَتادة: هو يومُ قَتْلِ المؤمنين حين اختلف الأحزاب[٣]. وقيل: هو[٤] ما قالوه وشهدوا به في عيسى وأمِّه يومَ اختلافهم.

وتقدَّم الكلامُ على التعجُّب الوارد من الله في قوله تعالى: ﴿فَمَآ أَصۡبَرَهُمۡ عَلَى ٱلنَّارِ﴾ [البقرة: ١٧٥]، وأنَّه لا يُوصَفُ بالتعجُّب.

قال الحسن وقتادة: لئِنْ كانوا صُمًّا وبُكْماً عن الحقِّ، فما أسمعَهم وأبصرَهم يومَ القيامة[٥]. ولكنَّهم يسمعون ويبصرون حيث لا ينفعهم السمع ولا البصر[٦].

وعن ابن عباس: إنَّهم أسمَعُ شيءٍ وأبْصَرُه[٧].

وقال علي بن عيسى: هو وعيدٌ وتهديدٌ، أي: سوف يسمعون ما يخلَعُ قلوبَهم، ويُبصِرون ما يُسَوِّدُ وجوهَهم.

وعن أبي العالية: إنَّه أمرُ حقيقةٍ للرسول، أي: أسمِعِ الناسَ اليومَ وأبصِرْهم بهم وبحديثهم ماذا يُصنَعُ بهم من العذاب إذا أتوا محشورين مغلولين[٨].

(١) تهذيب اللغة ٦/ ٧٥.
(٢) الكشاف ٢/ ٥٠٩.
(٣) المحرر الوجيز ٤/ ١٦.
(٤) كلمة: «هو» من (ز١)، والكلام في الكشاف ٢/ ٥٠٩.
(٥) النكت والعيون ٣/ ٣٧٣.
(٦) معاني القرآن للنحاس ٤/ ٣٣١.
(٧) ذكره السيوطي في الدر المنثور ٤/ ٢٧١، وعزاه لابن المنذر وابن أبي حاتم.
(٨) المحرر الوجيز ٤/ ١٧، وأخرجه عنه الطبري ١٥/ ٥٤٤ مختصراً.

﴿لَٰكِنِ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ عمومٌ يندرج فيه هؤلاء الأحزابُ الكفارُ وغيرُهم من الظالمين، و«اليوم» أي: في دار الدنيا. وقال الزمخشري[1]: أوقَعَ الظاهرَ - أعني الظالمينَ - موقعَ الضمير؛ إشعاراً بأنْ لا ظُلمَ أشدُّ من ظُلمِهم، حيث أغفلوا الاستماعَ والنظرَ حين يُجدي عليهم ويُسْعِدُهم، والمُرادُ بالضلال المبين إغفالُ النظر والاستماع. انتهى.

﴿وَأَنذِرْهُمْ﴾ خطابٌ للرسول ﷺ، والضميرُ لجميع الناس[2]. وقيل: يعود على الظالمين.

و«يوم الحَسْرة»: يوم ذَبْحِ الموت، وفيه حديث[3]. وعن ابن زيد: يوم القيامة[4]. وقيل: حين يصدر الفريقان إلى الجنة والنار[5]. وعن ابن مسعود: حين يرى الكفارُ مقاعدَهم التي فاتَتْهم من الجنة لو كانوا مؤمنين. وقال ابن عطية[6]: ويحتملُ أن يكون «يوم الحسرةِ» اسمَ جنسٍ؛ لأنَّ هذه حَسَراتٌ كثيرةٌ في مواطنَ عِدَّةٍ، ومنه يومُ الموت، ومنها وقتُ أخْذِ الكتاب بالشمال، وغيرُ ذلك. انتهى.

و«إذْ» بدل من «يوم الحسرة»[7].

قال السُّدِّي وابن جُريج: «قُضِيَ الأمرُ»: ذُبِحَ الموتُ. وقال مقاتل: قُضيَ العذاب. وقال ابنُ الأنباري: المعنى: إذ قُضيَ الأمرُ الذي فيه هلاكُكم[8]. وقال

---

(١) في الكشاف ٢/ ٥٠٩.
(٢) المحرر الوجيز ٤/ ١٧.
(٣) أخرجه البخاري (٤٧٣٠)، ومسلم (٢٨٤٩)، وأحمد (١١٠٦٦) من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ مرفوعاً. ولفظه عند أحمد: «إذا دخلَ أهلُ الجنَّةِ الجنَّةَ، وأهلُ النَّارِ النَّارَ، يُجاء بالموت كأنَّه كبشٌ أملَحُ، فيُوقَف بين الجنَّة والنَّار، فيُقال: يا أهل الجنَّة هل تعرفون هذا؟ قال: فيَشْرَئِبُّون، فينظرون، ويقولون: نعم، هذا الموت. قال: فيؤمر به فيُذبح...» الحديث. والكلام من المحرر الوجيزِ ٤/ ١٧.
(٤) أخرجه الطبري ١٥/ ٥٤٧.
(٥) الكشاف ٢/ ٥٠٩-٥١٠.
(٦) في المحرر الوجيز ٤/ ١٧، وما قبله منه.
(٧) الكشاف ٢/ ٥١٠.
(٨) زاد السير ٥/ ٢٣٥. وقول ابن جريج أخرجه الطبري ١٥/ ٥٤٧.

الضحَّاك: يكون ذلك إذا برزتْ جهنَّم ورمَتْ بالشَّرر. وعن ابن جُريج أيضاً: إذا فُرِغَ من الحساب، وأُدخِلَ أهلُ الجنةِ الجنةَ وأهلُ النارِ النارَ. وقيل: إذا قال: ﴿ٱخْسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ [المؤمنون: ١٠٨]. وقيل: إذا يُقال: ﴿وَٱمْتَـٰزُواْ ٱلْيَوْمَ أَيُّهَا ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ [يس: ٥٩].

وقيل: «إذ قُضِيَ» بِسَدِّ بابِ التوبة، وذلك حين تطلعُ الشمسُ من مغربِها.

﴿وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ﴾ قال الزمخشري: مُتعلِّقٌ بقوله: ﴿فِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ﴾ عن الحسن. ﴿وَأَنذِرْهُمْ﴾ اعتراضٌ، وهو متعلِّقٌ بـ «أنذِرْهم» أي: وأنذِرْهم على هذه الحال غافلينَ غيرَ مؤمنين(١).

وقال ابن عطية: ﴿وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ﴾ يريد في الدنيا الآن، وهم لا يؤمنون كذلك(٢). انتهى. وعلى هذا يكون حالاً، والعاملُ فيه «وأنذِرْهم»، والمعنى: إنَّهم مشتغلون بأمور دنياهم، مُعرِضون عمَّا يُراد منهم.

والظاهرُ أن يكون المرادُ بقوله: ﴿قُضِىَ ٱلْأَمْرُ﴾ أمرَ يوم القيامة: ﴿نَحْنُ نَرِثُ ٱلْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا﴾ تجوُّزٌ وعبارةٌ عن فناءِ المخلوقات وبقاءِ الخالق، فكأنَّها وراثة.

وقرأ الجمهور: «يُرْجَعون» بالياء من تحت مبنيًّا للمفعول. والأعرج بالتاء من فوق. وقرأ السُّلميُّ، وابنُ أبي إسحاق، وعيسى بالياء من تحت مبنيًّا للفاعل، وحكى عنهم الدانيُّ بالتاء(٣).

﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَـٰبِ إِبْرَٰهِيمَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَـٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا ﴿٤٢﴾ يَـٰٓأَبَتِ إِنِّى قَدْ جَآءَنِى مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِىٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ يَـٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَـٰنَ ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَـٰنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَـٰٓأَبَتِ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَـٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَـٰنِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِى يَـٰٓإِبْرَٰهِيمُ ۖ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ ۖ وَٱهْجُرْنِى مَلِيًّا ﴿٤٦﴾ قَالَ سَلَـٰمٌ عَلَيْكَ ۖ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّىٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِى حَفِيًّا ﴿٤٧﴾ وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدْعُواْ رَبِّى عَسَىٰٓ

---

(١) الكشاف ٢/ ٥١٠.

(٢) المحرر الوجيز ٤/ ١٧، والكلام الآتي منه.

(٣) المحرر الوجيز ٤/ ١٧.

أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّي شَقِيًّا ﴿٤٨﴾ فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴿٤٩﴾ وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴿٥٠﴾﴾.

﴿وَٱذْكُرْ﴾ خطابٌ للرسول ﷺ، والمُراد: اتْلُ عليهم نبأ إبراهيم، وذاكِرُه ومُورِدُه في التنزيل هو الله تعالى(١).

ومناسبةُ هذه الآية لِما قبلَها أنَّه تعالى لمَّا ذكرَ قصَّةَ مريمَ وابنِها عيسى واختلافِ الأحزاب فيهما وعبادتِهما من دون الله، وكانا من قَبيل مَنْ قامَتْ بهما الحياة، ذكرَ الفريقَ الضالَّ الذي عبَدَ جماداً، والفريقان وإنِ اشتركا في الضلال فالفريقُ العابدُ الجماد أضلُّ(٢). ثمَّ ذكر قصة إبراهيم مع أبيه عليه السلام؛ تذكيراً للعرب بما كان أبوهم(٣) إبراهيم عليه من توحيد الله، وتبيينِ أنَّهم سالكو غير طريقه، وفيه صِدقُ رسولِ الله ﷺ فيما أخبر به، وأنَّ ذلك مُتلَقَّى بالوحي.

و«الصِّدِّيق» من أبنية المبالغة، وهو مبنيٌّ من الثلاثي للمبالغة، أي: كثير الصدق، والصِّدقُ عُرْفُه في اللسان، ويُقابِلُه الكذب، وقد يُستعمَلُ في الأفعال والخُلُق وفيما لا يَعقِل، يقال: صدقَني الطعام كذا وكذا قَفيزاً، وعُودُ صِدْقٍ للصُّلْب الجيِّد، فوصف إبراهيم بالصِّدق على العموم في أقواله وأفعاله. والصِّدِّيقيَّة مراتبُ، ألا ترى إلى وصفِ المؤمنين بها في قوله: ﴿مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ﴾(٤) [النساء: ٦٩].

ومن غريبِ النَّقل ما ذهب إليه بعض النَّحويين من أنَّ فَعيلاً إذا كان من مُتعَدٍّ، جاز أن يعمل، فتقول: هذا شَرِيبٌ مُسْكِراً(٥)، كما أعملوا عند البصريين فَعولاً وفعَّالاً ومِفْعالاً.

وقال الزمخشري: والمرادُ فَرْطُ صدقِه، وكثرةُ ما صدَّقَ به من غيوبِ اللهِ وآياتِه وكتبِه ورسلِه، وكأنَّ الرُّجحانَ والغلَبَةَ في هذا التصديق للكتب والرسل، أي: كان مُصدِّقاً بجميع الأنبياء وكتبهم، وكان نبيًّا في نفسه، كقوله تعالى: ﴿بَلْ

(١) الكشاف ٢/ ٥١٠.
(٢) تفسير الرازي ٢١/ ٢٢٢ بنحوه.
(٣) كلمة «أبوهم» من (ز١).
(٤) المحرر الوجيز ٤/ ١٧-١٨.
(٥) المثبت من (ز١)، وفي باقي النسخ والمطبوع: شريب مسكرٍ.

جَآءَ بِٱلْحَقِّ وَصَدَّقَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [الصافات: ٣٧]، وكان بليغاً في الصِّدق؛ لأنَّ مَلاكَ أمرِ النُّبوَّةِ الصِّدقُ، ومُصدِّقُ اللهِ بآياتِه ومعجزاتِه حَرِيٌّ أن يكون كذلك، وهذه الجملة وقعت اعتراضاً بين المُبدَلِ منه وبَدَلِه أعني «إبراهيم» و«إذ قال»، نحو قولك: رأيتُ زيداً، ونِعْمَ الرجلُ أخاك. ويجوز أن تتعلَّق «إذ» بـ «كان» أو بـ «صِدِّيقاً نبيًّا» أي: كان جامعاً لخصائص الصدِّيقين والأنبياء حين خاطب أباه تلك المخاطبات[١]. انتهى.

فالتخريج الأول يقتضي تصرُّفَ «إذْ»، وقد تقدَّم لنا أنَّها لا تتصرَّف. والتخريج الثاني مبنيٌّ على أنَّ «كان» الناقصة وأخواتها تعمل في الظروف، وهي مسألة خلاف. والتخريج الثالث لا يصحُّ؛ لأنَّ العملَ لا يُنسَبُ إلَّا إلى لفظٍ واحد، أمَّا أن يُنسَبَ إلى مُركَّبٍ من مجموع لفظين فلا، وجائزٌ أن يكون معمولاً لـ «صِدِّيقاً»؛ لأنَّه قد[٢] نعتَ إلَّا على رأي الكوفيين. ويحتمل أن يكون معمولاً لـ «نبيًّا» أي: مُنبَّأً في وقتِ قولِه لأبيه ما قال، وأنَّ التنبئة كانت في ذلك الوقت، وهو بعيد.

وقرأ أبو البَرَهْسَم: «إنَّه كان صادقاً»[٣].

وفي قوله: ﴿يَٰٓأَبَتِ﴾ تلطُّفٌ واستِدْعاءٌ بالنسب.

وقرأ ابن عامر، والأعرج، وأبو جعفر: «يا أبَتَ» بفتح التاء، وقد لحَّنَ هارونُ هذه القراءة[٤].

وتقدَّم الكلامُ على «يا أبَتِ» في سورة يوسف عليه السلام[٥].

وفي مصحف عبد الله: «وا أبَتِ» بواوٍ بدلَ ياءٍ[٦].

---

(١) الكشاف ٢/ ٥١٠.

(٢) كلمة «قد» من (ز١).

(٣) المحرر الوجيز ٤/ ١٧، وتحرف أبو البَرَهْسَم في (ح) و(يه) إلى: أبو البرهشيم، وفي المطبوع إلى: أبو البرهثيم. وأبو البَرَهْسَم: هو عمران بن عثمان الزبيدي الشامي، صاحب القراءات الشاذة. طبقات القراء ١/ ٦٠٤.

(٤) قراءة ابن عامر في السبعة ص٣٤٢، والتيسير ص١٢٧. وقراءة أبي جعفر في النشر ٢/ ٢٩٣.

(٥) عند تفسير الآية (٤) منها.

(٦) المحرر الوجيز ٤/ ١٨، وما بعده منه باختصار.

واستفهمَ إبراهيمُ عليه السلام من السَّببِ الحاملِ لأبيه على عبادة الصنم وهو منتَفٍ عنه السمعُ والبصرُ والإغناء عنه شيئاً، تنبيهاً على شنَعةِ الرأيِ وقُبحِه وفسادِه في عبادةِ مَنِ انتفَتْ عنه هذه الأوصاف.

وخطبَ الزمخشريُّ فقال: انظُرْ حين أرادَ أن ينصحَ أباه ويعِظَه فيما كان متورِّطاً فيه من الخطأ العظيم، والارتكاب الشنيع، الذي عصى فيه أمرَ العقل، وانسلخَ عن قضية التمييز، كيف رتَّب الكلامَ معه في أحسنِ اتِّساقٍ، وساقَه أرشقَ مساقٍ، مع استعمال المجاملةِ واللُّطفِ والرِّفقِ واللِّينِ والأدبِ الجميلِ والخُلُقِ الحسن، منتصحاً في ذلك نصيحةَ ربِّه جَلَّ وعلا. حدَّث أبو هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «أوحى اللهُ إلى إبراهيم عليه السلام أنَّك خليلي، حَسِّنْ خُلُقَكَ ولو مع الكفار تدخُلْ مداخلَ الأبرار، كلمتي سبقَتْ لمَنْ حسُنَ خُلُقُه: أُظِلُّه تحت عرشي، وأسكِنُه حظيرةَ القُدس، وأُدنيهِ من جواري»[1] وسرد الزمخشريُّ بعد هذا كلاماً كثيراً من منوَّع الخطابة تركناه.

و«ما لا يسمع» الظاهرُ أنَّها موصولة، وجَوَّزوا أن تكون نكرةً موصوفةً، ومعمول «يسمع» و«يُبصر» منسِيٌّ ولا يُنوى، أي: ما ليس به استماعٌ ولا إبصارٌ؛ لأنَّ المقصودَ نفيُ هاتين الصفتين دون تقييدٍ بمتعلقٍ. و«شيئاً» إمَّا مصدرٌ أو مفعولٌ به. ولمَّا سألَه عن العِلَّة في عبادة الصنم ولا يُمكنُ أن يجِدَ جواباً انتقلَ معه إلى إخباره بأنَّه قد جاءه من العلم ما لم يأتِه، ولم يصِفْ أباه بالجهل؛ إذْ يُغني عنه السؤالُ السابقُ، وقال: «من العلم» على سبيل التبعيض، أي: شيء من العلم ليس معك. وهذه المحاورة تدلُّ على أنَّ ذلك كان بعد ما نُبِّئ، إذْ في لفظ «جاءني» تجدُّدُ العلم.

والذي جاءه: الوحيُ الذي أتى به المَلك، أو العلمُ بأمور الآخرة وثوابها وعقابها، أو توحيدُ الله وإفرادُه بالألوهية والعبادة. أقوال ثلاثة.

﴿فَٱتَّبِعۡنِيٓ﴾ على توحيد الله بالعبادة[2]، وارفُضِ الأصنامَ «أهدِكَ صراطاً» مستقيماً، وهو الإيمانُ بالله وإفرادُه بالعبادة. وانتقلَ من أمرِه باتِّباعه إلى نهيِه عن

(١) الكشاف ٢/ ٥١٠، وما بعده منه بنحوه وباختصار، والحديث أخرجه الطبراني في الأوسط (٦٥٠٢)، وفي إسناده مؤمل بن عبد الرحمن الثقفي وأبو أمية بن يعلى، وهما ضعيفان.

(٢) في (يه): على توحيد الله وتنزيهه بالعبادة له وحده.

عبادة الشيطان، وعبادتُه كونُه يطيعُه في عبادة الأصنام، ثمَّ نفَّرَه عن عبادة الشيطان بأنَّه كان عصيًّا للرحمن، حيثُ استعصى حينَ أمرَه بالسجود لآدم فأبى، فهو عدوٌّ لكَ ولأبيكَ آدمَ من قبلُ، وكان لفظُ «الرحمن» هنا تنبيهاً على سَعةِ رحمته، وأنَّ مَنْ هذا وَصْفُه هو الذي ينبغي أن يُعبدَ ولا يُعصى، وإعلاماً بشقاوة الشيطان حيثُ عصى مَنْ هذه صفَتُه، وارتكبَ مِنْ ذلك ما طردَه من هذه الرحمة، وأنَّ مَن كان مختاراً لنفسه عصيانَ ربِّه لا يختار لذرية مَنْ عصى لأجله إلَّا ما اختار لنفسه من عصيانِهم.

﴿يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ﴾ قال الفرَّاء[١] والطبري[٢]: «أخاف»: أعلَمُ، كما قال: ﴿فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا﴾ [الكهف: ٨٠] أي: تيقَّنَّا. والأولى حملُ «أخافُ» على موضوعه الأصلي؛ لأنَّه لم يكن آيساً من إيمانه، بل كان راجياً له وخائفاً أن لا يؤمن، وأن يتمادى على الكفر فيمسَّه العذاب[٣].

وخوَّفه إبراهيمُ سوءَ العاقبة، وتأدَّبَ معه؛ إذْ لم يصرِّح بلحوقِ العذاب به، بل أخرجَ ذلك مخرجَ الخائف، وأتى بلفظ المَسِّ الذي هو ألطَفُ من المعاقبة، ونكَّرَ العذابَ ورتَّبَ على مسِّ العذابِ ما هو أكبرُ منه، وهو ولايةُ الشيطان، كما قال في مقابل ذلك: ﴿وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [التوبة: ٧٢] أي: من النعيمِ السابقِ ذِكْرُه وصدَّرَ كلَّ نصيحةٍ بقوله: «يا أبتِ» توسُّلاً إليه واستعطافاً[٤].

وقيل: «الولاية» هنا كونُه مقروناً معه في الآخرة وإن تباغضا وتبرَّأ بعضُهما من بعض. وقيل: في الكلام تقديمٌ وتأخيرٌ، والتقدير: إنِّي أخاف أن تكون وليًّا في الدنيا للشيطان، فيمَسَّكَ في الآخرة عذابٌ من الرحمن.

وقوله: ﴿أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ لا يُعيِّنُ أنَّ العذابَ يكون في الآخرة، بل يحتمل أن يُحمَلَ العذابُ على الخِذلان، أي: خذلان من الله، فتصير موالياً للشيطان. ويحتمل أن يكون مسَّ العذاب في الدنيا بأن يُبتلى على كفره بعذابٍ في

(١) في معاني القرآن له ٢/ ١٦٩.
(٢) في تفسيره ١٥/ ٥٥١.
(٣) المحرر الوجيز ٤/ ١٨ بنحوه.
(٤) الكشاف ٢/ ٥١١ بنحوه.

الدنيا، فيكون ذلك العذابُ سبباً لتماديه على الكفر وصيرورتِه إلى ولاية الشيطان إلى أن يُوافى على الكفر كما قال: ﴿وَبَلَوْنَٰهُم بِٱلْحَسَنَٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الأعراف: ١٦٨] وهذه المناصحات تدلُّ على شدَّة تعلُّقِ قلبه بمعالجة أبيه والطماعية في هدايته قضاءً لحقِّ الأبوَّة، وإرشاداً إلى الهدى؛ «لأَنْ يهديَ اللهُ بكَ رجلاً واحداً خيرٌ لكَ من حُمْرِ النَّعَم»(١).

﴿قَالَ﴾ أي: أبوه: ﴿أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِى يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ﴾ استفهم استفهامَ إنكار.

والرغبة عن الشيء: تركُه عَمْداً. وآلهتُه: أصنامُه.

وأغلظَ له في هذا الإنكار، وناداه باسمه، ولم يُقابل «يا أبت» بـ «يا بُنيَّ». قال الزمخشري(٢): وقدّم الخبر على المبتدأ في قوله: ﴿أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِى﴾؛ لأنَّه كان أهمَّ عنده وهو عنده، أعني: وفيه ضَرْبٌ من التعجُّبِ والإنكار لرغبته عن آلهتِه، وأنَّ آلهتَه ما ينبغي أن يرغَبَ عنها أحدٌ، وفي هذا سُلْوانٌ وثلجٌ لصدرِ رسولِ الله ﷺ عمَّا كان يلقى من مثل ذلك من كفار قومه. انتهى.

والمختار في إعراب «أراغبٌ أنتَ» أن يكون «راغبٌ» مبتدأ؛ لأنَّه قد اعتمد على أداة الاستفهام، و«أنتَ» فاعلٌ سدَّ مَسَدَّ الخبر، ويترجَّحُ هذا الإعراب على ما أعربَه الزمخشري من كون «أراغبٌ» خبراً و«أنتَ» مبتدأ بوجهين؛ أحدهما: أنَّه لا يكون فيه تقديمٌ ولا تأخيرٌ؛ إذ رتبةُ الخبر أن يتأخَّر عن المبتدأ، والثاني: أن لا يكون فصلٌ بين العامل الذي هو «أراغبٌ» وبين معموله الذي هو «عن آلهتي» بما ليس بمعمولٍ للعامل؛ لأنَّ الخبرَ ليس هو عاملاً في المبتدأ، بخلاف كونِ «أنتَ» فاعلاً، فإنَّه معمولُ «أراغبٌ»، فلم يفصِلْ بين «أراغبٌ» وبين «عن آلهتي» بأجنبيٍّ، إنَّما فصلَ بمعمولٍ له.

ولمَّا أنكرَ عليه رغبتَه عن آلهتِه توعَّدَه مُقْسِماً على إنفاذِ ما توعَّدَه به إنْ لم ينْتَهِ، ومُتعلَّقُ «تنتَه» محذوفٌ، واحتمل أن يكون: عن مخاطبتي بما خاطبتَني به ودعوتَني

(١) أخرجه البخاري (٣٠٠٩)، ومسلم (٢٤٠٦)، وأحمد (٢٢٨٢١) من حديث سهل بن سعد ﷺ. والكلام باختصار في تفسير الرازي ٢١/١٢٦-١٢٧.

(٢) في الكشاف ٢/٥١١، وما قبله منه.

إليه، وأن يكون: لئِنْ لم تنْتَهِ عن الرغبة عن آلهتي، لأرجُمَنَّك. جوابَ القَسَم المحذوف قبل «لئِنْ».

قال الحسن: بالحجارة. وقيل: لأقتُلَنَّك. وقال السُّدِّي والضحَّاك وابن جُريج: لأشتِمَنَّك[(١)].

قال الزمخشري: فإنْ قلتَ: علامَ عطفَ «واهجرني»؟ قلت: على معطوفٍ عليه محذوفٍ يدلُّ عليه «لأرجمنَّك» أي: فاحذَرْني واهجُرْني؛ لأنَّ «لأرجمنَّكَ» تهديدٌ وتقريع[(٢)]. انتهى. وإنَّما احتاجَ إلى حذفٍ ليُناسِبَ بين جُملَتي العطف والمعطوف عليه، وليس ذلك بلازم عند سيبويه، بل يجوز عطفُ الجملة الخبرية على الجملة الإنشائية، فقوله: «واهجُرْني» معطوفٌ على قوله: «لئِنْ لم تنْتَهِ لأرجمنَّك»، وكلاهما معمولٌ للقول.

وانتصب «مَلِيًّا» على الظرف، أي: دهراً طويلاً. قاله الجمهورُ؛ الحسن[(٣)] ومجاهد وغيرُهما، ومنه: المَلَوان، وهما الليل والنهار. والمَلاوة بتثليث حركة الميم: الدهر الطويل، من قولهم: أمليتُ لفلانٍ في الأمر، إذا أطلْتَ له[(٤)]. وقال الشاعر:

فعِشْنا بها من الشبابِ مُلاوةً فأنجحَ آياتُ الرسولِ المُخَبِّبِ[(٥)]

وقال سيبويه: سِيْرَ عليه مليٌّ من الدهر، أي: زمان طويل[(٦)].

---

(١) المحرر الوجيز ٤/ ١٨. وقول الحسن في النكت والعيون ٣/ ٣٧٤، وقول الضحاك في تفسير الثعلبي ٤/ ١٧٩. والقول الأخير أخرجه عنهم الطبري ١٥/ ٥٥٢.

(٢) الكشاف ٢/ ٥١١.

(٣) المثبت من (ز١)، وفي باقي النسخ والمطبوع والمحرر الوجيز ٤/ ١٨ والكلام منه: الجمهور والحسن.

(٤) معاني القرآن للنحاس ٤/ ٣٣٥، وتفسير الطبري ١٥/ ٥٥٢.

(٥) قائله علقمة الفحل، وجاء هكذا في ديوانه ص٨٤ كما في (ز١)، ووقع لفظه في باقي النسخ والمطبوع، والدر المصون ٧/ ٦٠٦ وغيره:

فعُشْنا بها من الشباب ملاوةً فالحجُّ آياتُ الرسولِ المحبَّبِ

(٦) الكتاب ١/ ٢٢٨.

وقال ابن عباس وغيره: «مليّاً» معناه: سالماً سويّاً، فهو حالٌ من فاعل «واهجرني». قال ابن عطية: وتلخيصُ هذا أن يكون بمعنى قوله: مستبِدًّا بحالك، غنيًّا عني، مليًّا بالاكتفاء[١]. وقال السُّدِّي: معناه: أبداً[٢]. ومنه قولُ مُهَلْهَل:

فتصدَّعَتْ صُمُّ الجبالِ لموتِه وبكَتْ عليه المُرْمِلاتُ مليّا[٣]

وقال ابن جُبير: دهراً[٤]. وأصلُ الحرفِ المكْثُ، يقال: تملَّيتُ حِيناً[٥].

وقال الزمخشري[٦]: أو «مليًّا»: بالذهاب عني والهجران قبل أنْ أُثخِنَك بالضرب، حتى لا تقدِرَ أن تبرَحَ، يقال: فلانٌ مليٌّ بكذا، إذا كان مُطيقاً له مضطلعاً به. انتهى.

﴿قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيْكَ﴾ قرأ أبو البَرَهْسَم: «سلاماً» بالنصب. قال الجمهور: هذا التسليم بمعنى المسالمة لا بمعنى التحيَّة، أي: أمنَةٌ منِّي لك، وهؤلاء لا يرون ابتداءَ الكافر بالسلام. وقال النقَّاش: حليمٌ خاطبَ سفيهاً، كقوله: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا﴾ [الفرقان: ٦٣]. وقيل: هي تحيةُ مفارقٍ. وجوَّزَ قائلُ هذا تحيةَ الكافر، وأنْ يُبدَأ بالسلام المشروع[٧]، وهو مذهب سفيان بن عُيينة؛ مستدِلًّا بقوله تعالى: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ﴾ الآية [الممتحنة: ٨]، وبقوله: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾ الآية [الممتحنة: ٤]، وقال إبراهيم لأبيه: «سلامٌ عليك». وما استدلَّ به متأوَّلٌ، ومذهبهم محجوجٌ بما ثبت في «صحيح مسلم»: «لا تبدؤوا اليهودَ والنصارى بالسلام»[٨].

ورفع «سلامٌ» على الابتداء[٩]، ونصبه على المصدر، أي: سَلِمتَ سلاماً، دعا له بالسلامة على سبيل الاستمالة، ثم وعده بالاستغفار، وذلك يكون بشرط حصول

(١) المحرر الوجيز ٤/ ١٨، والقول أخرجه الطبري ١٥/ ٥٥٤-٥٥٥ عن ابن عباس وغيره.
(٢) أخرجه الطبري ١٥/ ٥٥٣-٥٥٤.
(٣) البيت في النكت والعيون ٣/ ٣٧٤، وتفسير القرطبي ١٣/ ٤٥٨.
(٤) أخرجه الطبري ١٥/ ٥٥٣.
(٥) تفسير الثعلبي ٤/ ١٧٩.
(٦) في الكشاف ٢/ ٥١١.
(٧) المحرر الوجيز ٤/ ١٩، وما بعده من تفسير القرطبي ١٣/ ٤٥٩.
(٨) أخرجه مسلم (٢١٦٧)، وأحمد (٧٥٦٧) من حديث أبي هريرة ﷺ.
(٩) المحرر الوجيز ٤/ ١٩.

ما يمكن معه الاستغفار، وهو الإيمان بالله وإفرادُه بالعبادة، وهذا كما يرِدُ الأمرُ والنَّهيُ على الكافر، ولا يصحُّ الامتثالُ إلَّا بشرط الإيمان[١].

ومعنى ﴿سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ﴾: أدعو الله في هدايتك، فيغفرُ لك بالإيمان، ولا يُتأوَّلُ على إبراهيم عليه السلام أنَّه لم يعلم أنَّ الله لا يغفرُ لكافر. قال ابن عطية[٢]: وقد يجوز أن يكون إبراهيمُ عليه السلام أوَّلَ نبيٍّ أُوحيَ إليه أنَّ الله لا يغفرُ لكافرٍ؛ لأنَّ هذه الطريقة إنما طريقُها السمعُ، وكانت هذه المقالةُ منه لأبيه قبل أن يُوحى إليه، وذلك أنَّه إنَّما تبيَّنَ له في أبيه أنَّه عدوٌّ لله بأحدِ وجهين؛ إمَّا بموته على الكفر كما رُوي، وإمَّا أن يُوحى إليه الختمُ عليه. وقال الزمخشري: ولقائلٍ أن يقول: الذي يمنعُ من الاستغفار للكافر إنَّما هو السمع، فأمَّا القضيةُ العقلية فلا تأباه، فيجوز أن يكون الوعدُ بالاستغفار والوفاءُ به قبلَ ورودِ السمع بناءً على قضية العقل، والذي يدلُّ على صحَّتِه قولُه تعالى: ﴿إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ﴾ [الممتحنة: ٤]، فلو كان شارطاً للإيمان لم يكُنْ مستَنْكَراً ومستثنًى عمَّا وجبَ فيه[٣]، وقولُ مَنْ قال: إنَّما استغفرَ له لأنَّه وعدَه أن يؤمِنَ مُستَدِلًّا بقوله: ﴿إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ﴾ [التوبة: ١١٤]، فجَعْلُ الواعِدَ آزرَ والموعودَ إبراهيمَ عليه السلام، ليس بجيِّد؛ لاعتقابه في هذه الآية الوعدَ بالاستغفار بعد ذلك القول الجافي من قوله: ﴿لَئِن لَّمْ تَنتَهِ﴾ الآية، فكيفَ يكونُ وعدُه بالإيمان[٤]؟! ولأنَّ الواعِدَ هو إبراهيم، ويدلُّ عليه قراءة حمَّاد الراوية: «وَعَدَها أباهُ»[٥].

والحفيُّ: المُكرِم المحتفلُ الكثيرُ البِرِّ والألطاف[٦]. وتقدَّم شرحُه لغةً في قوله: ﴿كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا﴾ [الأعراف: ١٨٧]. وقال ابن عباس: رحيماً[٧]. وقال الكلبي:

---

(١) الكشاف ٢/ ٥١٢ بنحوه.
(٢) في المحرر الوجيز ٤/ ١٩، وما قبله منه.
(٣) العبارة في الكشاف ٢/ ٥١٢: عمَّا وجبت فيه الأسوة.
(٤) من قوله: فجعل الواعد... إلى هنا ليس في الكشاف.
(٥) قراءة حماد تقدمت في موضعها عند تفسير الآية (١١٤) من سورة التوبة.
(٦) الكشاف ٢/ ٥١٢.
(٧) تفسير الثعلبي ٤/ ١٧٩، وزاد المسير ٥/ ٢٣٨.

حليماً[(١)]. وقال القتبي: بارًّا[(٢)]. وقال السُّدّي: حَفِيُّك مَنْ يهمُّه أمرك.

ولمَّا كان في قوله: ﴿لَأَرْجُمَنَّكَ﴾ فظاظةٌ وقساوةُ قلبٍ قابلَه بالدعاء له بالسلام والأمن، ووعدَه بالاستغفار؛ قضاءً لحقِّ الأُبوَّةِ، وإن كان قد صدرَ منه إغلاظٌ، ولمَّا أمرَه بهَجْرِه الزمانَ الطويلَ أخبره بأنه يمتثل أمرَه، ويعتزلُه وقومَه ومعبوداتِهم، فهاجر إلى الشام ـ قيل: أو إلى حَرَّان ـ وكانوا بأرض كُوثى، وفي هجرته هذه تزوَّج سارة، ولقي الجبارَ الذي أخدَم سارةَ هاجَرَ[(٣)].

والأظهر أنَّ قولَه ﴿وَأَدْعُواْ رَبِّي﴾ معناه: وأعبدُ ربِّي، كما جاء في الحديث: «الدعاء العبادة»[(٤)]، لقوله: ﴿فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ﴾. ويجوز أن يُراد الدعاءُ الذي حكاه الله في سورة الشعراء: ﴿رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا﴾ [الآية: ٨٣] إلى آخره، وعرَّضَ بشقاوتهم بدعاءِ آلهتهم في قوله: ﴿عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّي شَقِيًّا﴾ مع التواضع لله في كلمة «عسى» وما فيه من هضم النفس[(٥)].

وفي «عسى» تَرَجٍّ في ضمنِه خوفٌ شديد، ولمَّا فارقَ الكفارَ وأرضَهم أبدلَه الله منهم أولاداً أنبياءَ والأرضَ المقدَّسة، فكان فيها ويتردَّد إلى مكة، فوُلِد له إسحاقُ وابنُه يعقوب؛ تسليةً له وشدًّا لعضُدِه، وإسحاقُ أصغرُ من إسماعيل، ولمَّا حملَتْ هاجرُ بإسماعيل غارَتْ سارة، ثم حملَتْ بإسحاق[(٦)].

وقوله: ﴿مِّن رَّحْمَتِنَا﴾ قال الحسن: هي النبوَّة. وقال الكلبي: المال والولد. والأحسنُ أن يكون الخير الديني والدنياوي[(٧)]، من العلم والمنزلة والشرف في الدنيا والنّعيم في الآخرة. ولسان الصِّدق: الثناء الحسن الباقي عليهم آخر الأبد.

---

(١) في النكت والعيون ٣/ ٣٧٥: عليماً، وفي تفسير الثعلبي ٤/ ١٧٩: عالماً.

(٢) تفسير غريب القرآن ص٢٧٤.

(٣) المحرر الوجيز ٤/ ١٩. وكُوثى: في أرض بابل بسواد العراق. معجم البلدان ٤/ ٤٨٧.

(٤) أخرجه أحمد (١٨٣٥٢)، وأبو داود (١٤٧٩)، والترمذي (٣٣٧٢)، والنسائي في الكبرى (١١٤٦٤)، وابن ماجه (٣٨٢٨) من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنهما.

(٥) الكشاف ٢/ ٥١٢.

(٦) المحرر الوجيز ٤/ ١٩.

(٧) الكشاف ٢/ ٥١٢.

قاله ابن عباس[١]. وعبَّر باللِّسان عمَّا يُوجد باللِّسان[٢]، كما عبَّر باليد عمَّا يُطلق باليد وهي العطية. واللِّسان في كلام العرب الرسالة الرائعة كانت في خيرٍ أو شرٍّ، قال الشاعر:

إنِّـي أتـتـنـي لـسـانٌ لا أُسَـرُّ بـهـا[٣]

وقال آخر:

نـدِمْـتُ عـلـى لـسـانٍ كـانَ مـنِّـي[٤]

ولسانُ العرب لغتُهم وكلامُهم.

استجاب اللهُ دعوتَه: ﴿وَٱجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي ٱلْآخِرِينَ﴾ [الشعراء: ٨٤]، فصيَّرَه قدوةً حتى عظَّمه أهلُ الأديان كلُّهم وادَّعوه، وقال تعالى: ﴿مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ﴾ [الحج: ٧٨]، و﴿مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا﴾ [البقرة: ١٣٥]، ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا﴾ [النحل: ١٢٣] وأعطى ذلك ذريَّته، فأعلى ذكرَهم وأثنى عليهم، كما أعلى ذِكْرَه وأثنى عليه[٥].

❁ ❁ ❁

﴿وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ مُوسَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥١﴾ وَنَٰدَيْنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَٰهُ نَجِيًّا ﴿٥٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥ مِن رَّحْمَتِنَآ أَخَاهُ هَٰرُونَ نَبِيًّا ﴿٥٣﴾ وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ إِسْمَٰعِيلَ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥٤﴾ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرْضِيًّا ﴿٥٥﴾ وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ إِدْرِيسَ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٥٦﴾ وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴿٥٧﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ

---

(١) المحرر الوجيز ٤/ ١٩.
(٢) عبارة: «عما يوجد باللسان» من (ز١)، والكشاف ٢/ ٥١٢، والكلام منه.
(٣) صدر بيت عجزه: من عَلْوُ لا عَجَبٌ منها ولا سَخَرُ. وقائله أعشى باهلة، وهو في الكامل للمبرد ٣/ ١٤٣١، وإصلاح المنطق ص٣٠، والخزانة ٦/ ٥١١. والكلام من الكشاف ٢/ ٥١٣، والمحرر الوجيز ٤/ ١٩.
(٤) صدر بيت عجزه: فليتَ بيانَه في جوف عِكْمِ. وقائله الحطيئة، وهو في ديوانه ص٣٤٧، والخزانة ٤/ ١٥٢. والعِكْم: النَّمط تجعله المرأة كالوعاء تدَّخر فيه متاعها. اللسان (عكم).
(٥) الكشاف ٢/ ٥١٣، وما قبله منه. وهنا ينتهي السِّفْر السادس من النسخة الخطية (ز١)، وبه تنتهي هذه النسخة.

ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنۡ حَمَلۡنَا مَعَ نُوحٖ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنۡ هَدَيۡنَا
وَٱجۡتَبَيۡنَآۚ إِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُ ٱلرَّحۡمَٰنِ خَرُّواْۤ سُجَّدٗا وَبُكِيّٗا۩ ﴿٥٨﴾ ۞فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ
ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ
ٱلۡجَنَّةَ وَلَا يُظۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا ﴿٦٠﴾ جَنَّٰتِ عَدۡنٍ ٱلَّتِي وَعَدَ ٱلرَّحۡمَٰنُ عِبَادَهُۥ بِٱلۡغَيۡبِۚ إِنَّهُۥ كَانَ وَعۡدُهُۥ مَأۡتِيّٗا
﴿٦١﴾ لَّا يَسۡمَعُونَ فِيهَا لَغۡوًا إِلَّا سَلَٰمٗاۖ وَلَهُمۡ رِزۡقُهُمۡ فِيهَا بُكۡرَةٗ وَعَشِيّٗا ﴿٦٢﴾ تِلۡكَ ٱلۡجَنَّةُ ٱلَّتِي نُورِثُ مِنۡ
عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيّٗا ﴿٦٣﴾ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمۡرِ رَبِّكَۖ لَهُۥ مَا بَيۡنَ أَيۡدِينَا وَمَا خَلۡفَنَا وَمَا بَيۡنَ ذَٰلِكَۚ
وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيّٗا ﴿٦٤﴾ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا فَٱعۡبُدۡهُ وَٱصۡطَبِرۡ لِعِبَٰدَتِهِۦۚ هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ
سَمِيّٗا ﴿٦٥﴾ وَيَقُولُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوۡفَ أُخۡرَجُ حَيًّا ﴿٦٦﴾ أَوَلَا يَذۡكُرُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقۡنَٰهُ
مِن قَبۡلُ وَلَمۡ يَكُ شَيۡـٔٗا ﴿٦٧﴾ فَوَرَبِّكَ لَنَحۡشُرَنَّهُمۡ وَٱلشَّيَٰطِينَ ثُمَّ لَنُحۡضِرَنَّهُمۡ حَوۡلَ جَهَنَّمَ جِثِيّٗا ﴿٦٨﴾
ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمۡ أَشَدُّ عَلَى ٱلرَّحۡمَٰنِ عِتِيّٗا ﴿٦٩﴾ ثُمَّ لَنَحۡنُ أَعۡلَمُ بِٱلَّذِينَ هُمۡ أَوۡلَىٰ بِهَا صِلِيّٗا
﴿٧٠﴾ وَإِن مِّنكُمۡ إِلَّا وَارِدُهَاۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتۡمٗا مَّقۡضِيّٗا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّنَذَرُ
ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيّٗا ﴿٧٢﴾ وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٖ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَيُّ ٱلۡفَرِيقَيۡنِ
خَيۡرٞ مَّقَامٗا وَأَحۡسَنُ نَدِيّٗا ﴿٧٣﴾ وَكَمۡ أَهۡلَكۡنَا قَبۡلَهُم مِّن قَرۡنٍ هُمۡ أَحۡسَنُ أَثَٰثٗا وَرِءۡيٗا ﴿٧٤﴾ قُلۡ مَن كَانَ فِي
ٱلضَّلَٰلَةِ فَلۡيَمۡدُدۡ لَهُ ٱلرَّحۡمَٰنُ مَدًّاۚ حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوۡاْ مَا يُوعَدُونَ إِمَّا ٱلۡعَذَابَ وَإِمَّا ٱلسَّاعَةَ فَسَيَعۡلَمُونَ مَنۡ هُوَ
شَرّٞ مَّكَانٗا وَأَضۡعَفُ جُندٗا ﴿٧٥﴾ وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهۡتَدَوۡاْ هُدٗىۗ وَٱلۡبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيۡرٌ عِندَ
رَبِّكَ ثَوَابٗا وَخَيۡرٞ مَّرَدًّا ﴿٧٦﴾ أَفَرَءَيۡتَ ٱلَّذِي كَفَرَ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالٗا وَوَلَدًا ﴿٧٧﴾ أَطَّلَعَ
ٱلۡغَيۡبَ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحۡمَٰنِ عَهۡدٗا ﴿٧٨﴾ كَلَّاۚ سَنَكۡتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُۥ مِنَ ٱلۡعَذَابِ مَدّٗا ﴿٧٩﴾
وَنَرِثُهُۥ مَا يَقُولُ وَيَأۡتِينَا فَرۡدٗا ﴿٨٠﴾ وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةٗ لِّيَكُونُواْ لَهُمۡ عِزّٗا ﴿٨١﴾ كَلَّاۚ
سَيَكۡفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمۡ وَيَكُونُونَ عَلَيۡهِمۡ ضِدًّا ﴿٨٢﴾ أَلَمۡ تَرَ أَنَّآ أَرۡسَلۡنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمۡ أَزّٗا
﴿٨٣﴾ فَلَا تَعۡجَلۡ عَلَيۡهِمۡۖ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمۡ عَدّٗا ﴿٨٤﴾ يَوۡمَ نَحۡشُرُ ٱلۡمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحۡمَٰنِ وَفۡدٗا ﴿٨٥﴾ وَنَسُوقُ
ٱلۡمُجۡرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرۡدٗا ﴿٨٦﴾ لَّا يَمۡلِكُونَ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحۡمَٰنِ عَهۡدٗا ﴿٨٧﴾ وَقَالُواْ
ٱتَّخَذَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَلَدٗا ﴿٨٨﴾ لَّقَدۡ جِئۡتُمۡ شَيۡـًٔا إِدّٗا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرۡنَ مِنۡهُ وَتَنشَقُّ
ٱلۡأَرۡضُ وَتَخِرُّ ٱلۡجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوۡاْ لِلرَّحۡمَٰنِ وَلَدٗا ﴿٩١﴾ وَمَا يَنۢبَغِي لِلرَّحۡمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾
إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحۡمَٰنِ عَبۡدٗا ﴿٩٣﴾ لَّقَدۡ أَحۡصَىٰهُمۡ وَعَدَّهُمۡ عَدّٗا ﴿٩٤﴾
وَكُلُّهُمۡ ءَاتِيهِ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَرۡدًا ﴿٩٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ
وُدّٗا ﴿٩٦﴾ فَإِنَّمَا يَسَّرۡنَٰهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلۡمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوۡمٗا لُّدّٗا ﴿٩٧﴾ وَكَمۡ أَهۡلَكۡنَا
قَبۡلَهُم مِّن قَرۡنٍ هَلۡ تُحِسُّ مِنۡهُم مِّنۡ أَحَدٍ أَوۡ تَسۡمَعُ لَهُمۡ رِكۡزَۢا ﴿٩٨﴾.

المفردات جَثَا: قعد على ركبتَيْه، وهي قَعْدة الخائف الذليل[١]. يَجْثُو ويَجْثِي جُثُوًّا وجِثايةً.

حتَمَ الأمرَ: أوجبَه[٢].

النَّدِيُّ والنَّادي: المجلس الذي يُجتَمع فيه لحادثةٍ أو مشورةٍ[٣]. وقيل: مجلس أهل النَّدى وهو الكرم[٤]. وقيل: المجلس فيه لجماعة[٥]. قال حاتم:

فَدُعِيتُ في أُولى النَّديِّ ولَمْ يُنظَرْ إليَّ بأعْيُنٍ خُزْرِ[٦]

الرِّيّ: مصدر رويت من الماء، واسم مفعول، أي: مرويّ. قاله أبو عليّ.
الزِّيُّ: محاسنُ مجموعة، من الزَّيِّ: وهو الجمع[٧].

«كلَّا» حرفُ ردعٍ وزجرٍ عند الخليل، وسيبويه[٨]، والأخفش، والمبرِّدُ، وعامة البصريين. وذهبَ الكسائيُّ، ونصر بن يوسف[٩]، وابن واصل[١٠]، وابن الأنباري[١١] إلى أنَّها بمعنى: حقًّا. وذهبَ النَّضر بن شُمَيل إلى أنها حرف تصديق بمعنى: نَعَم، وقد تُستعمَل مع القسم. وذهبَ عبد الله بن محمد الباهلي إلى أنَّ «كلَّا» رَدٌّ لما قبلها، فيجوز الوقفُ عليها، وما بعدَها استئناف، وتكون أيضاً صلةً للكلام بمنزلة «إي»، والكلام على هذه المذاهب مذكور في النَّحو.

---

(١) المحرر الوجيز ٤/ ٢٦.
(٢) الكشاف ٢/ ٥٢٠.
(٣) تهذيب اللغة ١٤/ ١٩٠.
(٤) النكت والعيون ٦/ ٣٠٨.
(٥) المحرر الوجيز ٤/ ٢٨.
(٦) ديوان حاتم الطائي ص٥٤، ومجاز القرآن ٢/ ١٠. والخُزْر: الضيقة. اللسان (خزر).
(٧) الكشاف ٢/ ٥٢١.
(٨) الكتاب ٤/ ٢٣٥.
(٩) هو صاحب الكسائي، نحوي، لغوي، له كتاب «خلق الإنسان» و«الإبل». معجم الأدباء ١٩/ ٢٢٥.
(١٠) هو محمد بن أحمد بن واصل، أبو العباس، البغدادي، المقرئ، سمع من الإمام أحمد، توفي سنة (٢٧٣هـ). معرفة القراء الكبار ١/ ٢٦٢.
(١١) في إيضاح الوقف والابتداء ١/ ٤٢٥-٤٢٦.

الضِّدُّ: العون، يقال: من أضدادكم، أي: أعوانكم، وكأنَّ العونَ سُمِّيَ ضِدًّا؛ لأنَّه يُضادُّ عدوَّك وينافيه بإعانته لكَ عليه.

الأزُّ والهَزُّ والاستفزاز أخوات، ومعناها التَّهييج وشدَّةُ الإزعاج[١]، ومنه أزيزُ المِرْجَل: وهو غَلَيانُه وحركتُه[٢].

وفدَ يفِدُ وفداً ووفوداً ووفادةً[٣]: قدم على سبيل التكرمة[٤].

الأَدُّ والإدُّ بفتح الهمزة وكسرها: العجَبُ. وقيل: العظيم المُنكَرُ. والإدَّةُ: الشِّدَّة، وأدَّني الأمرُ وآدني: أثقَلَني وعظُمَ عليَّ أدًّا[٥].

الهَدُّ؛ قال الجوهري[٦]: هدَّ البناء هدًّا: كسَرَه.

وقال المُبرِّد: هو سقوطٌ بصوتٍ شديدٍ.

والهَدَّة: صوتُ وقْعِ الحائط ونحوه، يُقال: هَدَّ يَهِدُّ ـ بالكسر ـ هديداً[٧]. وقال الليث: الهَدُّ: الهدم الشديد[٨].

الرِّكْز: الصوت الخَفِيُّ، ومنه: ركزَ الرُّمح: غَيَّبَ طَرَفَهُ في الأرض. والرِّكاز: المال المدفون[٩]. وقيل: الصوت الخَفيُّ دون نطقٍ بحروفٍ ولا فمٍ. قال الشاعر:

فتوَجَّسَتْ رِكْزَ الأنيسِ فراعَها عَنْ ظهرِ غَيْبٍ والأنيسُ سَقامُها[١٠]

* * *

(١) الكشاف ٢/ ٥٢٤، وما قبله منه.
(٢) المحرر الوجيز ٤/ ٣٢.
(٣) الصحاح (وفد)
(٤) المحرر الوجيز ٤/ ٣٢.
(٥) الكشاف ٢/ ٥٢٥.
(٦) في الصحاح (هدد).
(٧) الصحاح (هدد).
(٨) تهذيب اللغة ٥/ ٣٥٣.
(٩) الكشاف ٢/ ٥٢٧.
(١٠) المحرر الوجيز ٤/ ٣٥، والبيت قائله لبيد، وهو في ديوانه ص١٧٣، ومجاز القرآن ٢/ ١٤. وفي الديوان: «رز» بدل «ركز». التوجُّس: التسمُّع إلى الصوت الخفي. الصحاح (سقم).

التفسير ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مُوسَىٰٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ مُخۡلَصٗا وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا ﴿٥١﴾ وَنَٰدَيۡنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلۡأَيۡمَنِ وَقَرَّبۡنَٰهُ نَجِيّٗا ﴿٥٢﴾ وَوَهَبۡنَا لَهُۥ مِن رَّحۡمَتِنَآ أَخَاهُ هَٰرُونَ نَبِيّٗا ﴿٥٣﴾ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِسۡمَٰعِيلَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلۡوَعۡدِ وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا ﴿٥٤﴾ وَكَانَ يَأۡمُرُ أَهۡلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرۡضِيّٗا ﴿٥٥﴾ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِدۡرِيسَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيّٗا ﴿٥٦﴾ وَرَفَعۡنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴿٥٧﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنۡ حَمَلۡنَا مَعَ نُوحٖ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنۡ هَدَيۡنَا وَٱجۡتَبَيۡنَآۚ إِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُ ٱلرَّحۡمَٰنِ خَرُّواْۤ سُجَّدٗاۤ وَبُكِيّٗا۩ ﴿٥٨﴾﴾.

قرأ الكوفيون: «مُخْلَصاً» بفتح اللام، وهي قراءة أبي رَزين، ويحيى، وقَتادة، أي: أخلَصه اللهُ للعبادة والنبوَّة، كما قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَخۡلَصۡنَٰهُم بِخَالِصَةٖ ذِكۡرَى ٱلدَّارِ﴾ [ص: ٤٦]. وقرأ باقي السبعة والجمهور بكسر اللام[١]، أي: أخلصَ العبادةَ عن الشرك والرياء، أو أخلصَ نفسَه وأسلَمَ وجهَه لله[٢].

ونداؤه إيَّاه: هو تكليمُه تعالى إيَّاه. والطُّور: الجبل المشهور بالشام، والظاهر أنَّ «الأيمنَ» صفةٌ للجانب؛ لقوله في آيةٍ أخرى: ﴿جَانِبَ ٱلطُّورِ ٱلۡأَيۡمَنَ﴾ [طه: ٨٠] بنصب الأيمن نعتاً لجانب الطور، والجبلُ نفسُه لا يَمنةَ له ولا يَسرة، ولكن كان على يمين موسى بحسب وقوفِه فيه، وإنْ كان من اليُمْنِ احتمَلَ أن يكون صفةً للجانب، وهو الراجح؛ ليوافقَ ذلك في الآيتين، واحتمَلَ أن يكون صفةً للطور؛ إذ معناه: الأسعدُ المبارك[٣].

قال ابن القُشيري: في الكلام حذفٌ، وتقديره: وناديناه حين أقبلَ من مَدْيَن ورأى النارَ من الشجرة وهو يريدُ مَنْ يهديه إلى طريق مصر من جانب الطور، أي: من ناحية الجبل[٤].

﴿وَقَرَّبۡنَٰهُ نَجِيّٗا﴾ قال الجمهور: تقريب التشريف والكلام والنبوَّة. وقال ابن عباس: أُدنيَ موسى من الملكوت، ورُفِعَتْ له الحُجُبُ حتى سمع صريف الأقلام.

---

(١) ينظر السبعة ص٤١٠، والتيسير ص١٤٩، والمحرر الوجيز ٤/ ٢٠ والكلام منه.
(٢) الكشاف ٢/ ٥١٣.
(٣) المحرر الوجيز ٤/ ٢٠.
(٤) وبنحوه قال الطبري في تفسيره ١٥/ ٥٥٩.

وقاله أبو العالية وميسرة. وقال سعيد: أردفَه جبريل عليه السلام[١].

وقال الزمخشري[٢]: شبَّهه بمَنْ قرَّبه بعضُ العظماء[٣] للمناجاة، حيثُ كلَّمه بغير واسطة ملَك. انتهى. و«نَجيّ» فعيل من المناجاةِ بمعنى مُناجٍ، كالجليس، وهو المنفرد بالمناجاة، وهي المُسارَّة بالقول. وقال قَتادة: معناه: نجَّاه صِدْقُه[٤].

و«مِنْ» في «مِنْ رحمتِنا» للسبب، أي: من أجل رحمتِنا له، أو للتبعيض، أي: بعض رحمتنا. قال الزمخشري: و«أخاه» على هذا الوجه بدل، و«هارون» عطف بيان، كقولك: رأيتُ رجلاً أخاك زيداً[٥]. انتهى. والذي يظهر أنَّ «أخاه» مفعولٌ بقوله: «ووهبنا»، ولا تُرادِفُ «مِن» بعضاً فتُبْدَلَ منها.

وكان هارونُ أسَنَّ من موسى، طلبَ من الله أن يشُدَّ أزرَه بنبوته ومعونته، فأجابه. و«إسماعيل» هو ابن إبراهيم، أبو العربِ يَمنيِّها ومُضَريِّها، وهو قول الجمهور[٦]. وقيل: إنَّه إسماعيل بن حِزْقيل، بعثَه اللهُ إلى قومه، فشجُّوا جلدةَ رأسِه، فخيَّره الله فيما شاء من عذابهم، فاستعفاه ورضي بثوابه، وفوَّض أمرَهم إليه في عفوه وعقوبته[٧].

وصِدْقُ وعدِه أنَّه كانت منه مواعيدُ لله وللناس، فوفَّى بالجميع؛ فلذلك خُصَّ بصدق الوعد[٨]. قال ابن جُريج: لم يعِدْ ربَّه موعِدَةً إلَّا أنجزَها[٩]. فمِنْ مواعيده الصبر وتسليم نفسه للذبح[١٠]، ووعد رجلاً أن يُقيم له بمكانٍ، فغاب عنه مدةً

---

(١) المحرر الوجيز ٤/ ٢٠. وقول ابن عباس أخرجه ابن أبي شيبة ١١/ ٥٣٣، والطبري ١٥/ ٥٥٩-٥٦٠، والحاكم ٢/ ٣٧٣ وغيرهم. وباقي الأقوال أخرجها الطبري عنهم ١٥/ ٥٦٠.
(٢) في الكشاف ٢/ ٥١٣.
(٣) في (يه): العلماء.
(٤) المحرر الوجيز ٤/ ٢٠.
(٥) الكشاف ٢/ ٥١٣.
(٦) المحرر الوجيز ٤/ ٢٠.
(٧) النكت والعيون ٣/ ٣٧٧.
(٨) ينظر النكت والعيون ٣/ ٣٧٦، والمحرر الوجيز ٤/ ٢٠، والكشاف ٢/ ٥١٣.
(٩) أخرجه الطبري ١٥/ ٥٦١.
(١٠) الكشاف ٢/ ٥١٣.

ـ قيل: سنة، وقيل: اثني عشر يوماً ـ فجاءه فقال: بَرِحْتَ من مكانك؟ فقال: لا واللهِ ما كنتُ لأُخلِفَ موعدي[(١)].

﴿وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُۥ﴾ قال الحسن: قومَه وأمَّتَه، وفي مصحف عبد الله: «وكان يأمرُ قومَه»[(٢)]. وقال الزمخشري: كان يبدأ بأهلِه في الأمر بالصلاح والعبادة، ليجعلَهم قدوةً لمَنْ وراءَهم، ولأنَّهم أَوْلى من سائر الناس ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤]، ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ﴾ [طه: ١٣٢]، ﴿قُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾ [التحريم: ٦]، ألا ترى أنَّهم أحقُّ بالتصدُّق عليهم، فالإحسان الديني أولى. وقيل: أهلُه: أمَّتُه كلُّهم من القرابةِ وغيرِهم؛ لأنَّ أممَ النبيين في عدادِ أهاليهم. وفيه أنَّ حقَّ الصالح أنْ لا يألوَ نُصحاً للأجانبِ، فضلاً عن الأقارب والمتَّصلين، وأن يُحظِيَهم بالفوائد الدينية ولا يُفرِّط في ذلك. انتهى. وقال أيضاً: ذكرَ إسماعيلَ عليه السلام بصدقِ الوعدِ وإن كان موجوداً في غيره من الأنبياء؛ تشريفاً له وإكراماً، كالتلقيب نحو: الحليم، والأوَّاه، والصِّدِّيق، ولأنَّه المشهورُ المتواصَفُ من خصاله[(٣)].

وقرأ الجمهور: «مرضِيًّا» وهو اسم مفعول، أي: مَرْضُوْوٌ، فأُعِلَّ بقلب واوِه ياءً؛ لأنَّها طرَفٌ بعد واوٍ ساكنة، والسَّاكنُ ليس بحاجزٍ حصين، فكأنَّها وَلِيَتْ حركةً، ولو بُنِيَتْ من ذوات الواو مَفْعُلاً لصار مَفْعِلاً؛ لأنَّ الواو لا تكون طرفاً وقبلَها متحرِّك في الأسماء المتمكِّنة غير المتقيِّدة بالإضافة، ألا ترى أنَّهم حين سمّوا بـ: يغزو العاري من الضمير، قالوا: يَغْزٍ، حين صار اسماً، وهذا الإعلالُ أرجَحُ من التصحيح؛ ولأنَّه اعتلَّ في «رَضِيٌّ» وفي «رَضِيَّان» تثنية «رَضِيٌّ».

وقرأ ابنُ أبي عبلة: «مَرْضُوًّا» مصحَّحاً[(٤)]. وقالت العرب: أرضٌ مَسْنِيَّة ومَسْنُوَّة، وهي التي تُسقى بالسَّواني[(٥)].

---

(١) تفسير الثعلبي ٤/ ١٨٠، والنكت والعيون ٣/ ٣٧٦، وتفسير الطبري ١٥/ ٥٦١-٥٦٢.

(٢) المحرر الوجيز ٤/ ٢١.

(٣) الكشاف ٢/ ٥١٣.

(٤) المحرر الوجيز ٤/ ٢١.

(٥) الصحاح (سنا)، والسَّواني جمع سانية: وهي الناقة يسقى عليها.

و«إدريس»: هو جدُّ أبي نوح، وهو أخنوخ، وهو أول مَنْ نظر في النجوم والحساب، وجعلَهُ الله من معجزاته، وأولُ مَنْ خطَّ بالقلم وخاط الثياب ولبس المَخيط، وكان خيَّاطاً، وكانوا قبلُ يلبَسون الجلود، وأولُ مُرسَلٍ بعد آدم، وأولُ من اتَّخذَ الموازين والمكاييل والأسلحة، فقاتل بني قابيل[1].

وقال ابن مسعود: هو إلياس، بُعِثَ إلى قومه بأن يقولوا: لا إله إلَّا الله، ويعملوا ما شاؤوا، فأبَوا وأُهلكوا[2].

وإدريس اسمٌ أعجميٌّ مُنِعَ من الصَّرفِ؛ للعلَميَّة والعُجْمة، ولا جائز أن يكون إفْعيلاً من الدَّرس كما قال بعضُهم؛ لأنَّه كان يجبُ صرفُه، إذ ليس فيه إلَّا سببٌ واحدٌ وهو العلَميَّة.

قال الزمخشري: ويجوز أن يكون معنى إدريس في تلك اللغة قريباً من ذلك، أي: من معنى الدَّرْس، فحسِبَه القائلُ مُشتقاً من الدَّرْس[3].

والمكانُ العليُّ: شرفُ النبوَّة، والزُّلفى عند الله، وقد أنزل اللهُ عليه ثلاثين صحيفة. انتهى.

وقال جماعة: هو[4] رفع النبوَّة والتشريف والمنزلة وهو في السماء كسائر الأنبياء. وقيل: بل رُفِعَ إلى السماء. قال ابن عباس: كان ذلك بأمرِ الله كما رُفِعَ عيسى، كان له خليلٌ من الملائكة، فحملَه على جناحه وصعِدَ به حتى بلغ السماء الرابعة، فلقيَ هُنالِكَ ملَكَ الموتِ، فقال له: إنَّه قيل لي: اهبِطْ إلى السماء الرابعة فاقبِضْ فيها روحَ إدريس، وإنِّي لأعجَبُ كيف يكون هذا؟ فقال له المَلكُ الصَّاعدُ: هذا إدريسُ معي. فقبضَ روحَه، ورُوِيَ أنَّ هذا كلَّه كان في السماء السادسة. قاله ابن عباس، وكذلك هي رتبتُه في حديث الإسراء في بعض الروايات من حديث

(١) ينظر المعارف لابن قتيبة ص٥٥٢، وتفسير الثعلبي ٤/ ١٨١، والنكت والعيون ٣/ ٣٧٨، وتفسير الرازي ٢١/ ٢٣٣.
(٢) المحرر الوجيز ٤/ ٢١.
(٣) الكشاف ٢/ ٥١٣، وما بعده منه.
(٤) في النسخ: وقاله جماعة وهو، والمثبت من المحرر الوجيز ٤/ ٢١ والكلام منه.

أبي هريرة وأنس يقتضي أنَّه في السماء الرابعة[١].

وعن الحسن: إلى الجنة[٢]، لا شيء أعلى من الجنة. وقال قَتادة: يعبد اللهَ مع الملائكة في السماء السابعة، وتارةً يُرفَعُ في الجنة حيث شاء. وقال مقاتل: هو ميتٌ في السماء[٣].

«أولئك» إشارة إلى مَنْ تقدَّم ذِكْرُه في هذه السورة من الأنبياء، و«مِن» في «من النبيين» للبيان؛ لأن جميعَ الأنبياء مُنعَمٌ عليهم، و«مِن» الثانية للتبعيض، وكان إدريسُ من ذرِّية آدمَ؛ لقُرْبِه منه؛ لأنَّه جَدُّ أبي نوح، وإبراهيمُ من ذريَّة مَنْ حُمِلَ مع نوح؛ لأنَّه من ولد سام بن نوح، ومن ذريَّة إبراهيمَ إسحاقُ وإسماعيلُ ويعقوبُ. وإسرائيلُ معطوفٌ على إبراهيم، وزكريا ويحيى وموسى وهارون من ذريَّة إسرائيل، وكذلك عيسى؛ لأنَّ مريمَ من ذريَّتِه.

«وممَّن هدَيْنا» يحتمِلُ العطفَ على «مِن» الأولى والثانية[٤]. والظاهر أنَّ «الذين» خبرٌ لـ «أولئك» و«إذا تُتلى»كلامٌ مُسْتأنَف، ويجوز أن يكون «الذين» صفةً لـ «أولئك» والجملة الشرطية خبر[٥].

وقرأ الجمهور: «تُتلى» بتاء التأنيث.

وقرأ عبد الله، وأبو جعفر، وشيبة، وشِبْل بن عبَّاد، وأبو حَيْوة، وعبد الله بن أحمد العجلي عن حمزة، وقتيبة في رواية، وورش في رواية النحاس، وابن ذكوان في رواية التَّغلبي: بالياء[٦].

---

(١) حديث أبي هريرة ﷺ أخرجه الطبري ١٥/ ٥٦٤-٥٦٥. وفيه: عن أبي هريرة أو غيره.
وحديث أنس ﷺ أخرجه مسلم (١٦٢)، وأحمد (١٣٧٣٩).
قلت: وأخرجه البخاري (٣٢٠٧)، ومسلم (١٦٤)، وأحمد (١٧٨٣٣) من حديث مالك بن صعصعة ﷺ.

(٢) بعدها في (ب) وحدها زيادة: لأنه، والقول في الكشاف.

(٣) هذا القول في النكت والعيون ٣/ ٣٧٨.

(٤) في (أ) و(ح) والمطبوع: أو الثانية.

(٥) الكشاف ٢/ ٥١٤، وما بعده منه.

(٦) القراءات الشاذة ص٨٥، والكشاف ٢/ ٥١٤ عن شبل بن عباد، والمحرر الوجيز ٤/ ٢٢ عن نافع وشيبة وأبي جعفر. والمشهور عن أبي جعفر وحمزة وورش عن نافع كقراءة الجمهور.

وانتصبَ «سُجَّداً» على الحال المقدَّرة. قاله الزجاج؛ لأنَّه حالَ خُرورِه لا يكون ساجداً. والبُكِيُّ جمعُ باكٍ، كشاهدٍ وشهود[١]. ولا يُحفَظ فيه جمعُه المَقِيس وهو فُعَلة كـ: رَامٍ ورُماة، والقياس يقتضيه.

وقرأ الجمهور: «بُكِيًّا» بضمِّ الباء. وعبد الله، ويحيى، والأعمش، وحمزة، والكسائي بكسرها[٢]؛ إتباعاً لحركة الكاف، كعُصِيٍّ ودُلِيٍّ. والذي يظهر أنَّه جمعٌ لمناسبة الجمع قبلَه. قيل: ويجوز أن يكون مصدرَ البُكِيِّ بمعنى بكاءٍ، وأصلُه بُكُوْوٌ كجلسَ جُلُوساً. وقال ابن عطيَّة[٣]: و«بِكِيًّا» بكسر الباء، وهو مصدر لا يحتمِلُ غيرَ ذلك. انتهى. وقوله ليس بسديد؛ لأنَّ إتباع حركةِ الكاف لا تعني المصدرية، ألا تراهم قرؤوا: «جِثِيًّا» بكسر الجيم، جمع جاثٍ، وقالوا: عِصِيّ، فأتبعوا.

﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ وَلَا يُظۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا ﴿٦٠﴾ جَنَّٰتِ عَدۡنٍ ٱلَّتِي وَعَدَ ٱلرَّحۡمَٰنُ عِبَادَهُۥ بِٱلۡغَيۡبِۚ إِنَّهُۥ كَانَ وَعۡدُهُۥ مَأۡتِيّٗا ﴿٦١﴾ لَّا يَسۡمَعُونَ فِيهَا لَغۡوًا إِلَّا سَلَٰمٗاۖ وَلَهُمۡ رِزۡقُهُمۡ فِيهَا بُكۡرَةٗ وَعَشِيّٗا ﴿٦٢﴾ تِلۡكَ ٱلۡجَنَّةُ ٱلَّتِي نُورِثُ مِنۡ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيّٗا ﴿٦٣﴾ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمۡرِ رَبِّكَۖ لَهُۥ مَا بَيۡنَ أَيۡدِينَا وَمَا خَلۡفَنَا وَمَا بَيۡنَ ذَٰلِكَۚ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيّٗا ﴿٦٤﴾ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا فَٱعۡبُدۡهُ وَٱصۡطَبِرۡ لِعِبَٰدَتِهِۦۚ هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا ﴿٦٥﴾﴾.

نزل قوله: ﴿فَخَلَفَ﴾ في اليهود، عن ابن عباس ومقاتل[٤]. وفيهم وفي النصارى، عن السُّدِّي[٥]. وفي قوم من أمَّة الرسول يأتون عند ذهاب صالحيها يتبارزون بالزِّنى يَنْزُو في الأزِقَّة بعضُهم على بعض، عن مجاهد وقتادة وعطاء ومحمد بن كعب القُرظي. وعن وَهْب: هم شُرَّاب القهوة[٦].

---

(١) معاني القرآن للزجاج ٣/ ٣٣٥، ونقله عنه ابن الجوزي في زاد المسير ٥/ ٢٤٤-٢٤٥.
(٢) السبعة ص٤٠٧، والتيسير ص١٤٨. وينظر المحرر الوجيز ٤/ ٢٢.
(٣) في المحرر الوجيز ٤/ ٢٢.
(٤) الكشاف ٢/ ٥١٤، وزاد المسير ٥/ ٢٤٥ عن ابن عباس، والنكت والعيون ٣/ ٣٧٩ عن مقاتل.
(٥) الوسيط للواحدي ٣/ ١٨٧، وزاد المسير ٥/ ٢٤٥.
(٦) المحرر الوجيز ٤/ ٢٢ بنحوه. وهو في الوسيط ٣/ ١٨٧، وزاد المسير ٥/ ٢٤٥ عن مجاهد =

وتقدَّم الكلامُ على «خَلْفٌ» في «الأعراف»[(١)].

وإضاعة الصلاة: تأخيرُها عن وقتِها. قاله ابنُ مسعود والنَّخَعي والقاسم بن مُخَيْمِرة ومجاهد[(٢)]، وعمر بن عبد العزيز[(٣)]. وقال القُرظي واختارَه الزجَّاج: إضاعتُها: الإخلال بشروطها[(٤)]. وقيل: إقامتها في غير الجماعات. وقيل: عدَمُ اعتقادِ وجوبِها. وقيل: تعطيل المساجد والاشتغال بالصنائع والأسباب.

و«الشهوات»: عامٌّ في كلِّ مُشتَهًى يشغل عن الصلاة وذِكْرِ الله[(٥)]. وعن عليٍّ: من بنى الشديدَ، وركبَ المنظورَ، ولبس المشهور[(٦)].

وقرأ عبد الله، والحسن، وأبو رَزين العُقَيلي، والضحَّاك، وابن مِقْسَم: «الصلوات» جمعاً[(٧)].

والغَيُّ عند العرب: كلُّ شرٍّ، والرشادُ: كلُّ خير. قال الشاعر:

فمَنْ يَلْقَ خيراً يحمَدِ الناسُ أمْرَهُ ومَنْ يَغْوِ لا يَعْدَمْ على الغَيِّ لائما

= وقتادة. وأخرجه عن مجاهد النحاسُ في معاني القرآن ٤/ ٣٣٩، والطبري ١٥/ ٥٧٠، وأبو نعيم في الحلية ٣/ ٣٨٢. والقهوة: الخمر؛ لأنها تَقْهِي، أي: تُذهب بشهوة الطعام. الصحاح (قها).

(١) عند تفسير الآية (١٦٩) منها.

(٢) بعدها في النسخ: وإبراهيم. والظاهر أنها مقحمة؛ لأن إبراهيم - والله أعلم - هو نفسُه النخعي المذكور آنفاً واسم أبيهِ يزيد.

(٣) تنظر أقوالهم في معاني القرآن للنحاس ٤/ ٣٤٠، وتفسير الثعلبي ٤/ ١٨٣، والنكت والعيون ٣/ ٣٧٩، والوسيط للواحدي ٣/ ١٨٨، والمحرر الوجيز ٤/ ٢٢، والكشاف ٢/ ٥١٤، وزاد المسير ٥/ ٢٤٥، ومجمع البيان ١٦/ ٤٩. وأخرجه الطبري ١٥/ ٥٦٧-٥٦٩ عن القاسم بن مخيمرة وعمر بن عبد العزيز وابن مسعود.

(٤) القول في النكت والعيون ٣/ ٣٧٩ من دون نسبة، وأما نسبته إلى محمد بن كعب القرظي والزجاج لعلَّه وَهمٌ، ففي زاد المسير ٥/ ٢٤٥ عنهما أن معنى أضاعوها: تركوها. وهو كذلك في معاني القرآن للزجاج ٣/ ٣٣٥. وكذلك أخرجه الطبري ١٥/ ٥٦٩ عن القرظي.

(٥) تفسير القرطبي ١٣/ ٤٧٧.

(٦) القول في الكشاف ٢/ ٥١٤.

(٧) القراءات الشاذة ص٨٥، والمحرر الوجيز ٤/ ٢٢، والكشاف ٢/ ٥١٤، وزاد المسير ٥/ ٢٤٥.

وقال الزجَّاج: هو على حذف مضاف، أي: جزاءَ غَيٍّ، كقوله: ﴿يَلْقَ أَثَامًا﴾ [الفرقان: ٦٨]. أي: مجازاةَ آثامٍ[1].

وقال ابن زيد: الغَيُّ: الخسران والحصول في الورطات[2]. وقال عبد الله بن عمرو وابن مسعود وكعب: «غَيٌّ»: وادٍ في جهنم[3]. وقال ابن زيد: ضلال[4]. وقال الزمخشري: أو غَيًّا عن طريق الجنة[5]. وحكى الكرماني: آبارٌ في جهنَّم يسيل إليها الصَّديد والقَيح. وقيل: هلاك[6]. وقيل: شرٌّ[7].

وقُرئ فيما حكى الأخفش: «يُلَقَّونَ» بضم الياء وفتح اللام وشدِّ القاف[8].

«إلَّا مَنْ تاب» استثناءٌ ظاهرُه الاتصال. وقال الزجَّاج: منقطع. و«آمن» هذا يدلُّ على أنَّ تلكَ الإضاعةَ إضاعةُ كفر[9].

وقرأ الحسن: «يَدْخلون» مبنيًّا للفاعل، وكذا كلُّ ما في القرآن من «يَدْخلونَ». وقرأ كذلك هنا الزُّهريُّ، وحُميد، وشيبة، والأعمش، وابنُ أبي ليلى، وابن مُناذِر، وابن سعدان[10].

---

(١) الكشاف ٢/ ٥١٤-٥١٥، والبيت قائله المرقِّش الأصغر، وهو في المفضليات ص٢٤٧، والشعر والشعراء ١/ ٢١٥، والصحاح (غوى). وكلام الزجاج في معاني القرآن له ٣/ ٣٣٦.

(٢) المحرر الوجيز ٤/ ٢٢.

(٣) أخرجه الطبري ١٥/ ٥٧٢ عن ابن مسعود وابن عمرو، وهو عنهما في المحرر الوجيز ٤/ ٢٣، وعن كعب في تفسير الثعلبي ٤/ ١٨٤، وزاد المسير ٥/ ٢٤٦.

(٤) تفسير القرطبي ١٣/ ٤٧٧.

(٥) الكشاف ٢/ ٥١٥.

(٦) تفسير البغوي ٣/ ٢٠١.

(٧) أخرجه الطبري ١٥/ ٥٧٣-٥٧٤ عن ابن زيد، وعنه في النكت والعيون ٣/ ٣٨٠، وعنه وعن ابن السائب في زاد المسير ٥/ ٢٤٦.

(٨) القراءات الشاذة ص٨٥، والكشاف ٢/ ٥١٥.

(٩) المحرر الوجيز ٤/ ٢٣. وينظر معاني القرآن للزجاج ٣/ ٣٣٦.

(١٠) المحرر الوجيز ٤/ ٢٣، وهي قراءة الجمهور سوى ابن كثير وأبي عمرو وأبي بكر وأبي جعفر ويعقوب في رواية فهي عندهم هنا: «يُدْخَلون» بالبناء للمفعول. ينظر السبعة ص٢٣٧-٢٣٨، والتيسير ص٩٧، والنشر ٢/ ٢٥٢.

وقرأ ابن غزوان عن طلحة: «سيَدْخلون» بسين الاستقبال مبنيًا للفاعل[١].

وقرأ الجمهور: «جنَّاتِ» نصباً جمعاً بدلاً من «الجنة».

«ولا يُظلَمون شيئاً» اعتراضٌ أو حال[٢].

وقرأ الحسن، وأبو حَيْوة، وعيسى بن عمر، والأعمش، وأحمد بن موسى عن أبي عمرو: «جنَّاتُ» رفعاً جمعاً، أي: تلك جنات[٣]. وقال الزمخشري: الرفع على الابتداء[٤]. انتهى. يعني: والخبر «التي».

وقرأ الحسن بن حَيّ، وعليّ بن صالح: «جنَّةَ عَدْنٍ» نصباً مفرداً، ورُوِيَتْ عن الأعمش، وهي كذلك في مصحف عبد الله[٥].

وقَرأ اليماني، والحسن، وإسحاق الأزرق عن حمزة: «جنَّةُ» رفعاً مفرداً[٦]. و«عَدْن» إن كان عَلَماً شخصيّاً كان «التي» نعتاً لما أُضيفَ إلى «عَدْن»، وإن كان المعنى إقامة، كان «التي» بدلاً.

وقال الزمخشري[٧]: «عَدْن» معرفةٌ عَلَمٌ لمعنى العَدْن وهو الإقامة، كما جعلوا فينةَ وسحَرَ وأمسَ ـ فيمَنْ لم يصرِفْه ـ أعلاماً لمعاني الفَينةِ والسَّحَرِ والأمسِ، فجرى العَدْنُ كذلك، أو هو عَلَمٌ لأرضِ الجنة؛ لكونِه مكانَ إقامة، ولولا ذلك لمَا ساغَ الإبدالُ؛ لأنَّ النَّكرةَ لا تُبْدَلُ من المعرفة إلَّا موصوفةً، ولمَا ساغَ وصفُها بـ «التي». انتهى.

---

(١) إملاء ما من به الرحمن ٢/ ١١٥، وتفسير القرطبي ١٣/ ٤٧٨.

(٢) وتعقبه السمين الحلبي في الدر المصون ٧/ ٦١٠ بقوله: كذا قال الشيخ، وفيه نظر من حيث إن المضارع المنفيَّ بـ «لا» كالمُثْبَتِ في أنه لا تُباشره واو الحال.

(٣) المحرر الوجيز ٤/ ٢٣، وقراءة الحسن في الشاذة ص٨٥، والمشهور عن أبي عمرو كقراءة الجمهور.

(٤) الكشاف ٢/ ٥١٥.

(٥) المحرر الوجيز ٤/ ٢٣، وليس فيه قراءة صالح بن حي.

(٦) القراءات الشاذة ص٨٥، وزاد المسير ٥/ ٢٤٦ عن الحسن. والمشهور في قراءة حمزة كقراءة الجمهور.

(٧) في الكشاف ٢/ ٥١٥.

وما ذكرَهُ مُتَعَقَّبٌ؛ أمَّا دعواه أنَّ «عَدْناً» عَلَمٌ لمعنى العَدْن، فيحتاج إلى توقيفٍ وسماعٍ من العرب، وكذا دعوى العلَميَّة الشخصيَّة فيه. وأمَّا قولُه: ولولا ذلك... إلى قوله: موصوفة، فليس مذهبَ البصريِّين؛ لأنَّ مذهبَهم جوازُ إبدالِ النَّكرةِ من المعرفة وإن لم تكُنْ موصوفةً، وإنَّما ذلك شيءٌ قاله البغداديون، وهم محجوجون بالسماع على ما بينَّاه في كتُبنا في النحو، فملازمتُه فاسدةٌ. وأمَّا قولُه: ولمَا ساغ وصفُها بـ «التي» فلا يتعيَّنُ كونُ «التي»، صفةً، وقد ذكرنا أنَّه يجوز إعرابُه بدلاً.

و«بالغيب» حال[1]، أي: وعدها وهي غائبةٌ عنهم، أو وهم غائبون عنها لا يشاهدونها. ويَحتملُ أن تكون الباء للسبب، أي: بتصديق الغيب والإيمان به[2].

وقال أبو مسلم: المراد: الذين يكونون عباداً بالغيب، أي: الذين يعبدونه في السِّرِّ[3].

والظاهر أنَّ «وَعْده» مصدر؛ فقيل: «مَأْتِيّاً» بمعنى آتياً[4]. وقيل: هو على موضوعه من أنَّه اسم المفعول[5]. وقال الزمخشري: «مأتيًّا» مفعول بمعنى فاعل، والوجه: أنَّ الوعدَ هو الجنة وهم يأتونها، أو هو من قولك: أتى إليه إحساناً، أي: كان وعدُه مفعولاً مُنجَزاً[6]. والقول الثاني وهو قوله: والوجه، مأخوذٌ من قول ابن جُريج؛ قال: وَعْدُه هنا موعودُه، وهو الجنة، و«مأتيًّا» يأتيه أولياؤه[7]. انتهى.

«إلَّا سلاماً» استثناء منقطع، وهو قول الملائكة: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ﴾[8] [الرعد: ٢٤] وقيل: يُسَلِّم اللهُ عليهم عند دخولها. ومعنى ﴿بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾: يأتيهم

(١) مجمع البيان ١٦/ ٥٠.
(٢) الكشاف ٢/ ٥١٥.
(٣) تفسير الرازي ٢١/ ٢٣٦.
(٤) وهو قول ابن قتيبة في تفسير غريب القرآن ص٢٧٤، ونقله عنه ابن الجوزي في زاد المسير ٥/ ٢٤٦.
(٥) المحرر الوجيز ٤/ ٢٣، وإملاء ما منَّ به الرحمن ٢/ ١١٥.
(٦) في الكشاف ٢/ ٥١٥.
(٧) زاد المسير ٥/ ٢٤٧.
(٨) تفسير الطبري ١٥/ ٥٧٦، والمحرر الوجيز ٤/ ٢٣، وتفسير الرازي ٢١/ ٢٣٧، وهو قول مقاتل كما في النكت والعيون ٣/ ٣٨١.

طعامُهم مرَّتين في مقدار اليوم والليلة من الزمن. وقال مجاهد: لا بُكرةَ ولا عشيَّ، ولكن يُؤتَون به على ما كانوا يشتهون في الدنيا. وقد ذَكرَ نحوَه قتادة: أن تكون مخاطبةً بما تعرف العرب في رفاهة العيش. وقال الحسن: خُوطِبوا على ما كانت العربُ تعلم من أفضل العيش، وذلك أنَّ كثيراً من العرب إنَّما كان يجد الطعام المرَّة في اليوم، وكان عيشُ أكثرِهم من شجر البريةِ ومن الحيوان[1].

وقال الزمخشري: اللَّغوُ: فضول الكلام وما لا طائلَ تحتَه، وفيه تنبيهٌ ظاهرٌ على وجوب تجنُّب اللَّغو واتِّقائه، حيثُ نزَّه اللهُ عنه الدار التي لا تكليفَ فيها، وما أحْسَنَ قولَه: ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾ [الفرقان: ٧٢]، ﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ﴾ الآية [القصص: ٥٥]، أي: إنْ كان تسليمُ بعضِهم على بعض أو تسليمُ الملائكة عليهم لغواً فلا يسمعون لغواً إلَّا ذلك، فهو من وادي قوله:

ولا عيبَ فيهم غيرَ أنَّ سيوفَهُمْ بهِنَّ فُلولٌ من قراعِ الكتائبِ[2]

أو: لا يسمعون فيها إلَّا قولاً يَسْلَمون فيه من العيب والنقيصة على الاستثناء المنقطع، أو لأنَّ معنى السلام هو الدعاء بالسلامة، ودار السلام: هي دار السلامة، وأهلُها عن الدُّعاء بالسلامة أغنياء، فكان ظاهرُه من باب اللَّغو وفضول الحديث لولا ما فيه من فائدة الكلام. وقال أيضاً: ولا يكونُ ثَمَّ ليلٌ ولا نهارٌ، ولكن على التقدير، ولأنَّ المتنَعِّمَ عند العرب مَنْ وجدَ غداءً وعشاءً. وقيل: أراد دوامَ الرزق ودُرورَه، كما تقول: أنا عندَ فلانٍ صباحاً ومساءً وبُكرةً وعشيًّا، ولا يقصد الوقتين المعلومَين[3]. انتهى.

وقرأ الجمهور: «نُورِثُ» مضارع أورَثَ. والأعمش: «نُورِثُها» بإبراز الضمير العائد على الموصول. والحسنُ، والأعرج، وقَتادة، ورُوَيس، وحُميد، وابنُ أبي عبلة، وأبو حَيْوة، ومحبوب عن أبي عمرو: بفتح الواو، وتشديد الراء[4].

(١) المحرر الوجيز ٤/ ٢٣.
(٢) قائله النابغة الذبياني، وهو في ديوانه ص١١.
(٣) الكشاف ٢/ ٥١٥-٥١٦.
(٤) المحرر الوجيز ٤/ ٢٣ باختصار، وقراءة رُويس عن يعقوب ـ من العشرة ـ في النشر ٢/ ٣١٨.

والتوريث استعارة، أي: تبقى عليه الجنة كما يبقى على الوارثِ مالُ الموروث، والأتقياء يلقَون ربَّهم قد انقضَتْ أعمالُهم، وثمرتُها باقيةٌ وهي الجنة، فقد أورثَهم من تقواهم كما يورثُ الوارث المالَ من المتوفَّى. وقيل: أُورِثوا من الجنة المساكنَ التي كانت لأهل النار لو أطاعوا[1].

﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَۖ﴾ أبطأ جبريلُ عن الرسول مرَّةً، فلمَّا جاء قال: «يا جبريل قد اشتقتُ إليك، أفلا تزورُنا أكثرَ ممَّا تزورنا؟» فنزلت.

وقال مجاهد والضحَّاك: سببُها أنَّ جبريل عليه السلام تأخَّرَ في السؤالات المتقدمة في سورة الكهف وهي كالتي في «الضحى»[2].

و«تنزَّل» تفعَّل، وهي للمطاوعة، وهي أحد معاني تفعَّل، تقول: نزَّلته فتنَزَّل، فيكون لمواصلة العمل في مهلة، وقد يكون لا يلحظ فيه ذلك إذا كان بمعنى المجرَّد، كقولهم: تعدَّى الشيء وعدَّاه، ولا يكون مطاوعاً، فيكون «تنزَّل» في معنى «نزَلَ» كما قال الشاعر:

فلَسْتَ لإنسيٍّ ولكنْ لِمَلْأَكٍ ... تَنَزَّلَ مِنْ جَوِّ السَّماءِ يصوبُ[3]

وقال الزمخشري: التنزُّل على مَعْنَيين؛ معنى النزول على مَهلٍ، ومعنى النزول على الإطلاق، كقوله: فلَسْتَ لإنسِيٍّ... البيت؛ لأنَّه مطاوعُ نزَّلَ، ونزَّل يكون بمعنى أنزل، وبمعنى التدريج، واللائقُ بهذا الموضع هو النزول على مَهلٍ، والمراد أنَّ نزولَنا في الأحايين وقتاً غِبَّ وقت[4]. انتهى.

وقال ابن عطية: وهذه الواو التي في قوله: ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ﴾ هي عاطفة جملة كلام على أخرى، واصلةٌ بين القولين وإن لم يكُنْ معناهما واحداً. وحكى النقَّاش عن قوم أنَّ قوله: ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ﴾ متَّصِلٌ بقوله: ﴿إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِيَهَبَ

(١) الكشاف ٢/٥١٦.
(٢) المحرر الوجيز ٤/٢٤. والحديث أخرجه البخاري (٣٢١٨)، وأحمد (٢٠٧٨) عن ابن عباس رضي الله عنهما.
(٣) البيت لعلقمة بن عبدة أو لغيره كما تقدم عند تفسير الآية (٣٠) من سورة البقرة.
(٤) الكشاف ٢/٥١٦.

لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا﴾[1] [مريم: ١٩]. وهذا قولٌ ضعيف[2]. انتهى.

والذي يظهر في مناسبة هذه الآية لِما قبلها أنَّه تعالى لمَّا ذكر قصة زكريا ومريم وذكر إبراهيم وموسى وإسماعيل وإدريس، ثم ذكر أنَّه تعالى أنعمَ عليهم[3] وقال: ﴿وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَٰهِيمَ﴾ وكان رسولُ الله ﷺ من ذرية إبراهيم، وذكر تعالى أنَّه خلَفَ بعد هؤلاء خَلْفٌ وهم اليهود والنصارى أصحابُ الكتب؛ لأنَّ غيرَهم لا يُقال فيهم: أضاعوا الصلاة، إنَّما يُقال ذلك فيمن كانت له شريعة فرض عليهم فيها الصلاة بوحيٍ من الله تعالى، وكان اليهودُ هم سببَ سؤال قريشٍ للنبيِّ ﷺ تلك المسائل الثلاث، وإبطاء الوحي عنه، ففرحَتْ بذلك قريش واليهود، وكان ذلك من اتِّباع شهواتهم، هذا وَهُمْ عالمون بنبوَّة رسول الله ﷺ، فأنزل الله تعالى: ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ﴾ تنبيهاً على قصة قريش واليهود، وأنَّ أصلَ تلك القصة إنَّما حدثَتْ من أولئك الخَلْفِ الذين أضاعوا الصلاة واتَّبعوا الشهوات، وخَتْماً لقصص أولئك المُنْعَم عليهم؛ لمخاطبة أشرفِهم محمدٍ ﷺ، واستعذاراً من جبريل عليه السلام للرسول، بأنَّ ذلك الإبطاءَ لم يكُنْ منه، إذ لا يتنَزَّلُ إلَّا بأمر الله تعالى، ولمَّا كان إبطاءُ الوحي سببُه قصة السؤال، وكَوْنُه ﷺ لم يقرِنْ أن يجيبَهم بالمشيئة، وكان السؤالُ متسبِّباً عن اتِّباع اليهودِ شهواتِهم وخفِيَّات خُبْثِهم، اكتفى بذكر النتيجة المتأخِّرة عن ذكر ما آثَرَتْه شهواتُهم الدنيوية وخُبْثُهم.

قال أبو العالية: ما بين الأيدي: الدنيا بأسرها إلى النفخة الأولى، وما خَلْفَ ذلك: الآخرةُ من وقت البعث، وما بين ذلك: ما بين النفختين[4]. قال ابن عطية: وقولُ أبي العالية إنَّما يُتصَوَّرُ في بني آدم، وهذه المقالة هي للملائكة، فتأمَّله. وقال ابن جُريج: ما بين الأيدي: هو ما مَرَّ من الزمان قبل الإيجاد، وما خَلْف: هو ما بعد موتهم إلى استمرار الآخرة، وما بين ذلك: هو مدَّةُ الحياة[5].

---

(١) أثبتت الآية على قراءة أبي عمرو ويعقوب، ونافع في رواية ورش عنه، وأحد الوجهين عن قالون عنه.
(٢) المحرر الوجيز ٤/ ٢٤.
(٣) المثبت من (يه)، والعبارة في باقي النسخ: ثم ذكر أنهم أنعم تعالى عليهم.
(٤) أخرجه بتمامه الطبري ١٥/ ٥٨٢، وأخرج القسم الثاني منه هناد في الزهد (٣١٩).
(٥) المحرر الوجيز ٤/ ٢٤.

وفي كتاب «التحرير والتحبير» «ما بين أيدينا»: الآخرة، و«ما خلفنا»: الدنيا. رواه العوفي عن ابن عباس. وبه قال ابن جُبير وقَتادة ومقاتل وسفيان. وقال مجاهد عكسَه. وقال الأخفش: «ما بين أيدينا»: قبل أن نُخْلَق، و«ما خلفنا»: بعد الفناء، و«ما بين ذلك»: ما بين الدنيا والآخرة. وقال مجاهد وعكرمة وأبو العالية: ما بين النفختين. وقال الأخفش: حين كوَّنَنا[(١)].

وقال صاحب «الغُنْيان»: «ما بين أيدينا»: نزول الملائكة من السماء، «وما خلفنا»: من الأرض، و«ما بين ذلك»: ما بين السماء والأرض.

وقال ابنُ القشيري مثلَ قولِ ابن جُريج، ثم قال: حصر الأزمنة الثلاثة وهي أنَّ كلَّها لله، هو مُنشِئها ومدبِّرُ أمْرِها على ما يشاء من تقديم إنزالٍ وتأخيرِه. انتهى، وفيه بعضُ تلخيصٍ وتصرُّفٍ.

وقال ابن عطية: إنَّما القصدُ الإشعارُ بملك الله تعالى لملائكته، وأنَّ قليلَ تصرُّفِهم وكثيرَه إنَّما هو بأمرِه، وانتقالَهم من مكانٍ إلى مكانٍ إنَّما هو بحكمته؛ إذِ الأمكنةُ له وهُمْ له، فلو ذهب بالآية إلى أنَّ المرادَ بما بين الأيدي وما خلف الأمكنةِ التي فيها تصرُّفهم، والمراد بما بين ذلك هم أنفسُهم ومقاماتُهم = لكان وجهاً، كأنَّه قال: نحن مُقيَّدون بالقدرة، لا ننتقِلُ ولا نتنزَّلُ إلَّا بأمر ربِّك[(٢)]. انتهى. وما قال فيه ابن عطية له إلى آخره ذهب إلى نحوه الزمخشري[(٣)]؛ قال: له ما قُدَّامَنا وما خلفَنا من الجهات والأماكنِ وما نحن فيها، فلا نتمالَكُ أن ننتقل من جهةٍ إلى جهةٍ ومكانٍ إلى مكانٍ إلَّا بأمر المليكِ ومشيئتِه، والمعنى: أنَّه محيطٌ بكلِّ شيء، لا تخفى عليه خافية، فكيف نُقْدِمُ على فعلٍ نُحْدِثُه إلَّا صادراً عما تُوجبُه حكمتُه ويأمرُ ويأذَنُ لنا فيه. انتهى.

وقال البغوي[(٤)]: له عِلْمُ ما بينَ أيدينا.

---

(١) هذه الأقوال في زاد المسير ٥/ ٢٥٠. وأخرج الطبري ١٥/ ٥٨٢ قول ابن عباس وقتادة. وكلام الأخفش في معاني القرآن له ٢/ ٦٢٦.
(٢) المحرر الوجيز ٤/ ٢٤.
(٣) في الكشاف ٢/ ٥١٦.
(٤) في تفسيره ٣/ ٢٠٢.

وقال أبو مسلم وابن بحر[١]: ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ﴾ الآية، ليس من كلام الملائكة، وإنَّما هو من كلام أهل الجنة بعضِهم لبعضٍ إذا دخلوها، وهي متَّصِلةٌ بالآية الأولى، إلى قوله: ﴿وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾ أي: ما تتنزَّل الجنةَ إلَّا بأمر ربِّك ﴿لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا﴾ أي: في الجنة مستقبَلاً ﴿وَمَا خَلْفَنَا﴾ ممَّا كان في الدنيا، ﴿وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾[٢] أي: ما بين الوقتين.

وحكى الزمخشريُّ[٣] هذا القول، فقال: وقيل: هي حكايةُ قول المتقين حين يدخلون الجنة، أي: وما نَنزِلُ الجنةَ إلَّا بإذنٍ من الله علينا بثوابِ أعمالنا، وأمَرَنا بدخولها، وهو المالِكُ لرقاب الأمور كلِّها السالفةِ والمترقَّبة والحاضرة، اللَّاطفُ في أعمال الخير والموفِّقُ لها والمُجازِي عليها. ثم قال تعالى تقريراً لقولهم: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ لأعمال العاملين، غافلاً عمَّا يجِبُ أن يُثابوا به، وكيفَ يجوزُ النِّسيانُ والغفلةُ على ذي ملكوت السماوات والأرض وما بينهما. انتهى.

وقال القاضي[٤]: هذا مخالِفٌ للظاهر من وجوه؛ أحدها: أنَّ ظاهرَ التنزيل نزول الملائكة إلى الرسول عليه الصلاة والسلام، ولقوله: ﴿بِأَمْرِ رَبِّكَ﴾، فظاهرُ الأمرِ بحال التَّكليفِ أَلْيَق. وثانيها: خطابٌ من جماعةٍ لواحدٍ، وذلك لا يليق بمخاطبة بعضِهم لبعضٍ في الجنة. وثالثها: أنَّ ما في مَساقه ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا * رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ لا يليقُ بحالِ التَّكليفِ، ولا يُوصَفُ به الرسول. انتهى.

وقرأ الجمهور: «وما نتنزَّلُ» بالنون، عنى جبريلُ نفسَه والملائكةَ. وقرأ الأعرج بالياء على أنَّه خبرٌ من الله. قيل: والضمير في «يتنَزَّل» عائدٌ على جبريل عليه السلام. قال ابن عطية[٥]: ويردُّه ﴿لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا﴾ لأنَّه لا يَطَّرِدُ معه، وإنَّما يتَّجه

---

(١) كذا في النسخ، وهما واحد، فأبو مسلم: هو الخراساني، واسمه: محمد بن بحر، وقوله الآتي بتمامه في تفسير الرازي ٢١/ ٢٣٩ وفيه: عن أبي مسلم، وهو باختصار في النكت والعيون ٣/ ٣٨١ وفيه: قاله ابن بحر.

(٢) في النسخ: وما بينهما، والمثبت من تفسير الرازي.

(٣) في الكشاف ٢/ ٥١٦.

(٤) هو القاضي عبد الجبار بن أحمد بن الخليل الهمداني المعتزلي، وقوله الآتي في تفسير الرازي ٢١/ ٢٣٩.

(٥) في المحرر الوجيز ٤/ ٢٣-٢٤، وما قبله منه. وقراءة الأعرج في الشاذة ص٨٥.

أن يكون خبراً عن جبريل أنَّ القرآن لا يتنَزَّلُ إلَّا بأمر الله في الأوقات التي يُقَدِّرها. وكذا قال الزمخشريُّ[١]: على الحكاية عن جبريل، والضميرُ للوحي. انتهى. ويُحمَلُ ذلك القولُ على إضمارٍ، أي: وما يتنزَّل جبريلُ إلَّا بأمر ربك قائلاً له: ﴿مَا بَيْنَ أَيْدِينَا﴾ أي: يقول ذلك على سبيل الاستعذار في البطء عنك بأنَّ ربَّكَ متصرِّفٌ فينا ليس لنا أن نتصرَّف إلَّا بمشيئته، وإخبارٌ أنَّه تعالى ليس بناسيك وإنْ تأخَّر عنك الوحي[٢].

وارتفع «ربُّ السماوات» على البدل أو على خبر مبتدإٍ محذوف[٣].

وقرأ الجمهور: «هلْ تَعلم» بإظهار اللام عند التاء. وقرأ الأخوان، وهشام وعلي بن نصر وهارون كلاهما عن أبي عمرو، والحسن، والأعمش، وعيسى، وابن مُحَيصِن بالإدغام فيهما[٤]. قال أبو عبيدة[٥]: هما لغتان. وعلى الإدغام أنشدوا بيت مُزاحم العُقَيلي:

فَذَرْ ذا ولكِنْ هَتُّعِينُ مُتيَّماً على ضوءِ بَرْقٍ آخِرَ الليلِ ناصبِ[٦]

وعدِّي «فاصْطَبِرْ» باللام على سبيل التضمين، أي: اثبُتْ بالصبر لعبادته؛ لأنَّ العبادة تورِدُ شدائدَ، فاثبُتْ لها، وأصلُه التَّعدية بـ «على»، كقوله تعالى: ﴿وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾ [طه: ١٣٢].

والسَّميُّ: مَنْ توافق في الاسم، تقول: هذا سَمِيُّكَ، أي: اسمُه مثلُ اسمك. فالمعنى: إنَّه لم يُسمَّ بلفظ الله شيءٌ قَطُّ، وكان المشركون يُسمُّون أصنامَهم آلهة والعُزَّى إله، وأما لفظ «الله» فلم يُطلِقوه على شيء من أصنامهم. وعن ابن عباس: لا يُسمَّى أحدٌ الرحمن غيرُه[٧]. وقيل: يحتمل أن يعود ذلك على قوله: ﴿رَبُّ

---

(١) في الكشاف ٢/٥١٦.
(٢) ينظر معاني القرآن للزجاج ٣/٣٣٧، وتفسير الرازي ٢١/٢٣٩.
(٣) الكشاف ٢/٥١٦.
(٤) ينظر السبعة ص٤١٠، والتيسير ص١٤٩، والمحرر الوجيز ٤/٢٥.
(٥) في مجاز القرآن ٢/٩.
(٦) البيت في كتاب سيبويه ٤/٤٥٩، وسرّ صناعة الإعراب ١/٣٤٨، وشرح المفصل ١٠/١٤١-١٤٢.
(٧) الكشاف ٢/٥١٧.

ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ أي: هل تعلَمُ مَنْ يُسمَّى أو يُوصَفُ بهذا الوصف؟ أي: ليس أحدٌ من الأمم يُسمِّي شيئاً بهذا الاسم سوى الله(١).

وقال مجاهد وابن جُبير وقتادة: ﴿سَمِيًّا﴾: مِثْلاً وشَبِيهاً. ورُوي ذلك عن ابن عباس أيضاً(٢).

قال ابن عطية: وكأنَّ السَّميَّ بمعنى المُسامي والمضاهي، فهو من السُّمُوِّ، وهذا قول حسن، ولا يحسن في ذكر يحيى(٣). انتهى. يعني: لم نجعَلْ له من قبل سميًّا.

وقال غيره: يقال: فلانٌ سميُّ فلانٍ؛ إذا شاركه في اللفظ، وسميُّه إذا كان مماثلاً له في صفاته الجميلة ومناقبه، ومنه قول الشاعر:

فأنتَ سَميٌّ للزُّبيرِ ولستَ للزُّ ... بيرِ سَمِيًّا إذْ غدا ما لَهُ مِثْلُ(٤)

وقال الزجَّاج: هَلْ تعلمُ أحداً يستحِقُّ أن يُقال له: خالقٌ وقادرٌ إلَّا هو(٥).

وقال الضحاك: ولداً(٦)؛ ردًّا على من يقول: ولد الله.

﴿وَيَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا ﴿٦٦﴾ أَوَلَا يَذْكُرُ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْـًٔا ﴿٦٧﴾ فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَٱلشَّيَٰطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ﴿٦٨﴾ ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى ٱلرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا ﴿٦٩﴾ ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِٱلَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا ﴿٧٠﴾ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا أَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا ﴿٧٣﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَٰثًا وَرِءْيًا ﴿٧٤﴾﴾.

قيل: سبب النزول أنَّ رجلاً من قريش ـ قيل: هو أُبيُّ بن خَلَف ـ جاء بعظمٍ

---

(١) المحرر الوجيز ٤/ ٢٥.
(٢) الوسيط للواحدي ٣/ ١٨٩، وزاد المسير ٥/ ٢٥١. وأخرجه عنهم الطبري ١٥/ ٥٨٥-٥٨٦.
(٣) المحرر الوجيز ٤/ ٢٥.
(٤) لم أقف على قائله.
(٥) معاني القرآن للزجاج ٣/ ٣٣٨، ونقله عنه ابن الجوزي في زاد المسير ٥/ ٢٥١.
(٦) النكت والعيون ٣/ ٣٨٢.

رُفاتٍ فنفخ فيه، وقال للرسول ﷺ: أيُبعَثُ هذا؟ وكَذَّبَ وسَخِرَ[١].

وإسناد هذه المقالة للجنس بما صَدَرَ من بعضهم، كقول الفرزدق[٢]:

فسيفُ بني عَبْسٍ وقد ضربوا بِهِ ... نَبَا بيَدَيْ ورقاءَ عَنْ رأسِ خالدِ

أسندَ الضربَ إلى بني عبس مع قوله: نبا بيَدَي ورقاءَ، وهو ورقاء بن زهير بن جَذيمة العبسي[٣]، أو للجنس الكافر المنكِر للبعث[٤]، أو المعنيُّ أُبيُّ بن خلف، أو العاص بن وائل، أو أبو جهل[٥]، أو الوليد بن المغيرة. أقوال[٦].

وقرأ الجمهور: «أئذا» بهمزة الاستفهام. وقرأت فرقةٌ منهم ابن ذكوان بخلافٍ عنه: «إذا» بدون همزة الاستفهام[٧].

وقرأ الجمهور: «لسوف» باللام.

وقرأ طلحة بن مُصَرِّف: «سأخرج» بغير لام وسين الاستقبال عوض «سوف»[٨]، فعلى قراءته تكون «إذا» معمولاً لقوله: «سأخرج»؛ لأنَّ حرف التنفيس لا يمنع من عملِ ما بعدَه من الفعل فيما قبله، على أنَّ فيه خلافاً شاذًّا، وصاحبُه محجوجٌ بالسماع. قال الشاعر:

فلمَّا رأَتْهُ أمُّنا هانَ وَجْدُها ... وقالَتْ أبونا هكذا سوفَ يفعَلُ[٩]

فـ«هكذا» منصوبُ «يَفْعَلُ» وهو بحرف الاستقبال.

---

(١) المحرر الوجيز ٤/٢٥، وذكره بنحوه الواحدي في أسباب النزول ص٣١٠، وابن الجوزي في زاد المسير ٥/ ٢٥١-٢٥٢.
(٢) في ديوانه ١/ ١٥٧.
(٣) الكشاف ٢/ ٥١٧.
(٤) تفسير الرازي ٢١/ ٢٤١.
(٥) في النسخ: أبي جهل، والمثبت من المطبوع.
(٦) ينظر تفسير الثعلبي ٤/١٨٦، والوسيط ٣/ ١٩٠، والمحرر الوجيز ٤/ ٢٥، وتفسير الرازي ٢١/ ٢٤١، وزاد المسير ٥/ ٢٥٢.
(٧) ينظر التيسير ص١٤٩.
(٨) القراءات الشاذة ص٨٥.
(٩) قائله النمر بن تولب كما في ديوانه ص٣٧١ (شعراء إسلاميون)، وهو في جمهرة أشعار العرب للقرشي ١/ ٥٣٧.

وحكى الزمخشريُّ أنَّ طلحة بن مُصرِّف قرأ: «لسأخرج»[(١)]. وأمَّا على قراءة الجمهور وما نقله الزمخشري من قراءة طلحة، فاللَّام لامُ الابتداء، فلا يعمَلُ ما بعدها فيما قبلها، فيُقدَّرُ العاملُ محذوفاً من معنى «لسوفَ أُخْرَجُ» تقديره: إذا ما مِتُّ أُبعَثُ. وقال الزمخشري: فإنْ قلتَ: لامُ الابتداء الداخلةُ على المضارع تُعطي معنى الحال، فكيف جامَعَتْ حرفَ الاستقبال؟ قلتُ: لم تُجامِعْها إلَّا مُخَلِّصةً للتوكيد كما أَخْلَصتِ الهمزةُ في «يا الله» للتعويض، واضمحَلَّ عنها معنى التعريف. انتهى. وما ذَكَرَ مِنْ أنَّ اللَّام تُعطي معنى الحال، مُخالِفٌ فيه، فعلى مذهب مَنْ لا يقول ذلك يُسقِطُ السؤال. وأمَّا قولُه: كما أخلَصَتِ الهمزةُ إلى آخره، فليس ذلك إلَّا على مذهبِ مَنْ يزعمُ أنَّ الأصلَ فيه «إله»، وأمَّا مَنْ يزعم أنَّ أصلَه «لاه» فلا تكون الهمزةُ فيه للتعويض؛ إذ لم يُحذَفْ منه شيءٌ، ولو قُلنا: إنَّ أصلَه «إله» وحُذِفَتْ[(٢)] فاءُ الكلمة لم يتعيَّنْ أنَّ الهمزةَ فيه في النداء للتعويض، إذ لو كانت للعِوَضِ من المحذوف لثبتَتْ دائماً في النداءِ وغيرِه، ولَمَا جازَ حذفُها في النداء، قالوا: «يا الله» بحذفِها، وقد نَصُّوا على أنَّ قطعَ همزةِ الوصل في النِّداء شاذٌّ.

وقال ابن عطية: واللَّامُ في قوله: «لسوف» مجلوبةٌ على الحكاية لكلام تقدَّم بهذا المعنى، كأنَّ قائلاً للكافر: إذا مِتَّ يا فلان لسوف تُخرَجُ حيًّا، فقرَّر الكلامَ على الكلام على جهة الاستبعاد، وكرَّر اللَّام حكايةً للقول الأول[(٣)]. انتهى. ولا يحتاج إلى هذا التقدير، ولا أنَّ هذا حكايةٌ لقولٍ تقدَّم؛ بل هذا من الكافر استفهامٌ فيه معنى الجحد والإنكار، ومن قرأ: «إذا» إمَّا أن تكون حُذِفَتِ الهمزةُ لدلالة المعنى عليه، وإمَّا أن يكون إخباراً على سبيل الهُزء والسُّخرية بمن يقول ذلك؛ إذ لم يُرِدْ به مطابقةَ اللفظ للمعنى.

وقرأ الجمهور: «أُخْرَجُ» مبنيّاً للمفعول.

وقرأ الحسن، وأبو حَيْوة مبنيّاً للفاعل[(٤)]. وقال الزمخشري: وإيلاؤه أي:

(١) الكشاف ٢/٥١٧.
(٢) تحرفت في (د١) إلى: وخففت.
(٣) المحرر الوجيز ٤/٢٥.
(٤) القراءات الشاذة ص٨٥، والمحرر الوجيز ٤/٢٥، والكشاف ٢/٥١٧.

وإيلاء الظرف حرفَ الإنكار من قِبَلِ أنَّ ما بعد الموت هو وقتُ كون الحياة منكرة، ومنه جاء إنكارُهم، فهو كقولك للمسيء إلى المحسن: أحينَ تَمَّتْ عليكَ نعمةُ فلانٍ أسأتَ إليه[١].

وقرأ أبو بحرية، والحسن، وشيبة، وابن أبي ليلى، وابن مُناذِر، وأبو حاتم، ومن السبعة عاصم، وابن عامر، ونافع: «أولا يَذْكُرُ» خفيفاً، مضارع ذَكَرَ. وقرأ باقي السبعة بفتح الذال والكاف وتشديدهما، أصلُه يتذكَّر، أدغم التاء في الذال[٢].

وقرأ أُبيٌّ: «يتذكَّر» على الأصل[٣].

قال الزمخشري: الواو عاطفةٌ «لا يذكُرُ» على «يقول»، ووُسِّطَتْ همزةُ الإنكار بين المعطوف عليه وحرف العطف[٤]. انتهى. وهذا رجوعٌ منه إلى مذهب الجماعة من أنَّ حرف العطف إذا تقدَّمَتْه الهمزةُ فإنَّما عطف ما بعدَها على ما قبلَها، وقُدِّمتِ الهمزةُ؛ لأنَّ لها صدرَ الكلام، وكان مذهبُه أنْ يُقدِّر بين الهمزة والحرف ما يصلُحُ أن يُعطَفَ عليه ما بعد الواو، فيُقِرُّ الهمزةَ على حالها، وليسَتْ مقدَّمةً من تأخير، وقد ردَدْنا عليه هذه المقالة.

﴿أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ﴾ أي: أنشأناه واخترعناه من العدم الصِّرْف إلى الوجود، فكيفَ يُنكِرُ النشأة الثانية؟! وهذه الحجَّة في غاية الاختصار والإلزام للخصم، ويُسمَّى هذا النوع الاحتجاج النظري، وبعضهم يُسمِّيه المذهب الكلامي، وقد تكرَّر هذا الاحتجاج في القرآن، ﴿وَلَمْ يَكُ شَيْـًٔا﴾ إشارةٌ إلى العدم الصِّرْف، وانتفاء الشيئية عنه يدلُّ على أنَّ المعدوم لا يُسمَّى شيئاً. وقال أبو علي الفارسي: «ولم يَكُ شيئاً» موجوداً، أو هي نزعةٌ اعتزاليةٌ[٥].

---

(١) الكشاف ٢/٥١٧-٥١٨.
(٢) ينظر السبعة ص٤١٠، والتيسير ص١٤٩.
(٣) القراءات الشاذة ص٨٦، والمحرر الوجيز ٤/ ٢٥. قال النحاس في إعراب القرآن ٣/ ٢٣: وهذه القراءة على التفسير لأنها مخالفة لخط المصحف.
(٤) الكشاف ٢/٥١٨.
(٥) المحرر الوجيز ٢/ ٢٥.

والمحذوفُ المضافُ إليه «قبلُ» في التقدير قدَّره بعضُهم: من قبلِ بعثِه[١]. وقدَّره الزمخشريُّ: من قبلِ الحالةِ التي هو فيها، وهي حالةُ بقائه[٢]. انتهى.

ولمَّا أقام تعالى الحجَّةَ الدامغةَ على حقِّيَّة البعث أقسم على ذلكَ باسمه مضافاً إلى رسوله؛ تشريفاً له وتفخيماً[٣]، وقد تكرَّر هذا القَسم في القرآن تعظيماً لحقِّه، ورفعاً منه، كما رفع مِن شأن السماء والأرض بقوله: ﴿فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ﴾ [الذاريات: ٢٣].

والواو في «والشياطين» للعطف، أو بمعنى «مع» يُحشرون مع قرنائهم من الشياطين الذين أغوَوهم، يُقرَنُ كلُّ كافرٍ[٤] مع شيطانٍ في سلسلة، وهذا إذا كان الضميرُ في «لنحشرنهم» للكفرة، وهو قولُ ابن عطية[٥]، وما جاء بعد ذلك فهو من الإخبار عنهم، وبدأ به الزمخشري، والظاهر أنَّه عامٌّ للخلقِ كلِّهم مؤمنِهم وكافرِهم، ولم يُفَرِّق بين المؤمنين والكافرين كما فرَّق في الجزاء، وأُحضروا جميعاً وأُورِدوا النَّارَ؛ ليُعايِنَ المؤمنون الأهوالَ التي نَجَوا منها، فيُسَرُّوا بذلك، ويشمتوا بأعدائهم الكفار، وإذا كان الضميرُ عامًّا، فالمعنى: إنَّهم يتجاثَون عند موافاة شاطئ جهنَّم كما كانوا في الموقف مُتجاثين؛ لأنَّه من توابع التوافق للحساب قبل الوصول إلى الثواب والعقاب، وقال تعالى في حالة الموقف: ﴿وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰٓ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا﴾[٦] [الجاثية: ٢٨].

و«جِثِيًّا» حالٌ مُقدَّرة.

وعن ابن عباس: قعوداً. وعنه: جماعاتٍ جماعاتٍ، جمع جِثْوة: وهو المجموع من التراب والحجارة. وقال مجاهد والحسن والزجَّاج: على الرُّكَب.

(١) تفسير البغوي ٣/ ٢٠٣.
(٢) الكشاف ٢/ ٥١٨، وما بعده منه بنحوه.
(٣) بعدها في (يه) و(د١) زيادة: لقدره.
(٤) في (يه): يُقرن كل واحدٍ منهم، والكلام من الكشاف ٢/ ٥١٨-٥١٩، وهذا القول في تفسير الثعلبي ٤/ ١٨٦، والوسيط ٣/ ١٩٠.
(٥) في المحرر الوجيز ٤/ ٢٦.
(٦) الكشاف ٢/ ٥١٩، وما بعده منه.

وقال السُّدِّي: قياماً على الرُّكَب لضيقِ المكانِ بهم[(١)].

وقرأ حمزة، والكسائي، وحفص: «جِثِيًّا» و«عِتِيًّا» و«صِلِيًّا» بكسر الجيم والعين والصاد، والجمهور بضمِّها.

﴿ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ﴾ أي: لنُخرِجَنَّ[(٢)]، كقوله: ﴿وَنَزَعَ يَدَهُۥ﴾ [الأعراف: ١٠٨، والشعراء: ٣٣] وقيل: لنرمينَّ، من نَزْعِ القوس، وهو الرَّمي بالسهم.

والشِّيعة: الجماعة المرتبطة بمذهب. قال أبو الأحوص: يبدأ بالأكابر فالأكابر جُرْماً[(٣)].

وقال الزمخشري: يمتاز من كلِّ طائفةٍ من طوائف الغيِّ والفساد أعصاهم فأعصاهم، وأعتاهم فأعتاهم، فإذا اجتمعوا طرحناهم في النار على الترتيب، نُقَدِّم أَولاهم بالعذاب فأَولاهم[(٤)].

والضمير في «أيُّهم» عائدٌ على المحشورين المحضَرين.

وقرأ الجمهور: «أيُّهم» بالرفع، وهي حركة بناء على مذهب سيبويه[(٥)]، فـ«أيُّهم» مفعول بـ «نَنْزِعَنَّ» وهي موصولة، و«أشَدُّ» خبر مبتدأٍ محذوف، والجملة صلة لـ «أيُّهم»، وحركة إعراب على مذهب الخليل ويونس على اختلاف في التخريج، و«أيُّهم أشَدُّ» مبتدأ وخبر مَحكيٌّ على مذهب الخليل، أي: الذين يُقال فيهم: أيُّهم أشَدُّ، وفي موضع نصبٍ، فيُعَلَّق عنه «لننزعَنَّ» على مذهب يونس، والترجيح بين هذه المذاهب مذكورٌ في علم النحو.

وقال الزمخشري: ويجوز أن يكون النَّزْعُ واقعاً على «مِنْ كلِّ شيعةٍ»، كقوله: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا﴾ [مريم: ٥٠] أي: لننزِعَنَّ بعضَ كلِّ شيعةٍ، فكأنَّ قائلاً قال:

---

(١) الأقوال في زاد المسير ٥/ ٢٥٣، وقول ابن عباس الثاني في تفسير الثعلبي ٤/ ١٨٦، والوسيط ٣/ ١٩٠، وقول الزجاج في معاني القرآن له ٣/ ٣٣٨.

(٢) تفسير أبي الليث ٢/ ٣٨٢، وتفسير البغوي ٣/ ٢٠٣.

(٣) المحرر الوجيز ٤/ ٢٦، وقول أبي الأحوص أخرجه هناد في الزهد (٢٥٨)، والطبري ١٥/ ٥٨٨.

(٤) الكشاف ٢/ ٥١٩.

(٥) في الكتاب ٢/ ٣٩٨.

مَنْ هم؟ فقيل: إنَّهم أشَدُّ عِتيًّا[١]. انتهى. فتكون «أيُّهم» موصولة خبر مبتدأ محذوف، وهذا تكلُّفٌ وادِّعاء إضمارٍ لا ضرورةَ تدعو إليه، وجعل ما ظاهره أنَّه جملةٌ واحدةٌ جملتين.

وقرن الخليلُ تخريجَه بقول الشاعر:

ولقد أبيتُ من الفتاةِ بمنزِلٍ فأبيتُ لا حرِجٌ ولا محرومُ[٢]

أي: فأبيتُ يُقال فيَّ: لا حرِجٌ ولا محرومُ. ورجَّح الزجَّاج[٣] قولَ الخليل، وذكر عنه النَّحاس[٤] أنَّه غلَّط سيبويه في هذه المسألة. قال سيبويه: ويلزم على هذا أن يجوز: اضربِ السارقَ الخبيثَ الذي يُقال له. قيل: وليس بلازمٍ من حيثُ هذه أسماءٌ مفردة، والآية جملة، وتسلُّطُ الفعل على المفرد أعظَمُ منه على الجملة، ومذهب الكسائي أنَّ معنى «لنَنْزِعَنَّ»: لنُنادِيَنَّ، فعُومِلَ معاملتَه، فلم يعمَلْ في «أيٍّ»[٥]. انتهى. ونُقل هذا عن الفرَّاء[٦].

قال المهدوي: و«نادى» يُعلَّقُ إذا كان بعدَه جملةُ نصبٍ، فيعمل في المعنى ولا يعمل في اللفظ. وقال المبرِّد: «أيُّهم» متعلِّقٌ بـ «شيعة» فلذلك ارتفع، والمعنى: من الذين تشايعوا أيُّهم أشدُّ، كأنَّهم يتبادرون إلى هذا، ويلزم أن يُقدِّر مفعولاً لـ «نَنْزِعنَّ» محذوفاً[٧]. وقُدِّرَ أيضاً في هذا المذهب: من الذين تشايعوا أيُّهم، أي: من الذين تعاونوا فنظروا أيُّهم أشدُّ. قال النَّحاس: وهذا قولٌ حسن. وقد حكى الكسائيُّ أنَّ التشايعَ هو التعاون. وحكى أبو بكر بن شُقَير أنَّ بعض الكوفيين يقول: في «أيّهم» معنى الشرط، تقول: ضربْتُ القومَ أيَّهم غضبَ، والمعنى: إن غضِبوا أو

(١) الكشاف ٢/ ٥٢٠.
(٢) قائله الأخطل، وهو في ديوانه ص٨٤، وفي الكتاب ٢/ ٣٩٩.
(٣) في معاني القرآن له ٣/ ٣٤٠.
(٤) في إعراب القرآن ٣/ ٢٤.
(٥) من قوله: وقرن الخليل.. إلى هنا من المحرر الوجيز ٤/ ٢٦.
(٦) في معاني القرآن له ١/ ٤٧، عند تفسير قوله تعالى: ﴿ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَاۚ﴾ [البقرة: ٦٩].
(٧) المحرر الوجيز ٤/ ٢٦.

لم يغضبوا[١]. فعلى هذا يكون التقدير: إنِ اشتدَّ عتُوُّهم أو لم يشتدَّ.

وقرأ طلحة بن مُصرِّف، ومعاذ بن مسلم الهرَّاء أستاذ الفرَّاء، وزائدة عن الأعمش: «أيَّهم» بالنصب مفعولاً بـ «لَنَنْزِعَنَّ»[٢]. وهاتان القراءتان تدُلَّان على أنَّ مذهب سيبويه أنَّه لا يتحتَّم فيها البناء إذا أُضيفَتْ وحُذِفَ صدرُ صِلَتِها، وقد نُقِلَ عنه تحتُّمُ البناء، وينبغي أن يكون فيه على مذهبه البناء والإعراب.

قال أبو عمرو الجَرْمي: خرجتُ من البصرة فلم أسمَعْ منذ فارقتُ الخندقَ إلى مكة أحداً يقول: لأضرِبَنَّ أيَّهم قائمٌ، بالضم بل ينصبها. انتهى.

وقال أبو جعفر النحَّاس: وما علمتُ أحداً من النحويين إلَّا وقد خطَّأ سيبويه، وسمعت أبا إسحاق ـ يعني الزجَّاج ـ يقول: ما تبيَّنَ أنَّ سيبويه غلط في كتابه إلَّا في موضعين هذا أحدهما. قال: وقد أعرب سيبويه «أيًّا» وهي مفردة؛ لأنَّها تُضاف، فكيف يبنيها وهي مضافة[٣]؟

و«على الرحمن» مُتعلِّق بـ «أَشَدُّ»، و«عتِيًّا» تمييز مُحوَّلٌ من المبتدأ، تقديره: أيُّهم هو عتوُّه أشدُّ على الرحمن، وفي الكلام حذفٌ تقديره: فيُلقيه في أشدِّ العذاب، أو فيبدأ بعذابه ثمَّ بمَنْ دونَه إلى آخرهم عذاباً. وفي الحديث: «إنَّه تبدو عُنُقٌ من النَّارِ فتقول: إنِّي أُمِرْتُ بكلِّ جبَّارٍ عنيدٍ فتلتقِطُهم...»[٤]. وفي بعض الآثار: يحضرون جميعاً حول جهنَّم مُسَلْسَلين مغلولين، ثمَّ يُقدَّمُ الأكفرُ فالأكفر. قال ابن عباس: «عتيًّا» جراءةً. وقال مجاهد: فُجْراً[٥]. وقيل: افتراءً، لغة تميم[٦].

---

(١) إعراب القرآن للنحاس ٢/ ٢٥ مع تقديم وتأخير. وأبو بكر بن شقير: هو أحمد بن الحسين بن العباس بن الفرج بن شُقَير، النَّحْوي.
(٢) القراءات الشاذة ص٨٦، والكشاف ٢/ ٢٥٠ عن معاذ وطلحة.
(٣) إعراب القرآن للنحاس ٣/ ٢٤. والعبارة في (يه): وهي هاهنا مضافة.
(٤) الحديث في المحرر الوجيز ٤/ ٢٦، وأخرجه بنحوه أحمد (٨٤٣٠)، والترمذي (٢٥٧٤) من حديث أبي هريرة ﷺ، وأحمد (١١٣٥٤) من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ. وأحمد ـ أيضاً ـ (٢٤٧٩٣) من حديث عائشة ﷺ. والعُنُق: الحُزمة.
(٥) تفسير البغوي ٣/ ٢٠٣. وقول ابن عباس ومجاهد في تفسير الثعلبي ٤/ ١٨٦.
(٦) تفسير السمعاني ٣/ ٣٠٦.

وقيل: «عِتيًّا» جمعُ عاتٍ[١]، فانتصب على الحال[٢].

﴿ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ﴾ أي: نحن في ذلك النَّزع لا نضَعُ شيئاً غيرَ موضعه؛ لأنَّا قد أحَطْنا علماً بكلِّ واحدٍ، فأولى بصِليِّ النَّار نَغْلَمه. قال ابن جُريج: أولى بالخلود[٣]. وقال الكلبي: «صِلِيًّا»: دخولاً. وقيل: لزوماً. وقيل: جمع صالٍ[٤].

فانتصب على الحال، و«بها» متعلِّقٌ بـ «أَوْلى»، والواو في قوله: «وإنْ منكم» للعطف.

وقال ابن عطية: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ قسَمٌ، والواو تقتضيه، ويُفسِّره قولُ النبيِّ ﷺ: «من ماتَ له ثلاثٌ من الولد لم تمسَّه النَّار إلَّا تحِلَّةَ القَسم»[٥]. انتهى. وذهل عن قول النَّحْويين: إنَّه لا يُستغنى عن القسم بالجواب لدلالة المعنى، إلَّا إذا كان الجواب باللام أو بـ «إن»، والجواب هنا جاء على زعمه بـ «إن» النافية، فلا يجوز حذفُ القسم على ما نصُّوا؛ وقوله: والواو تقتضيه، يدلُّ على أنَّها عنده واو القسم، ولا يذهب نَحْويٌّ إلى أنَّ مِثْلَ هذه الواو واوُ قَسَم؛ لأنه يلزم من ذلك حذفُ المجرور وإبقاءُ الجارّ، ولا يجوز ذلك إلَّا إنْ وقعَ في شعرٍ أو نادرِ كلامٍ، بشرط أن تقوم صفةُ المحذوف مقامَه، كما أوَّلوا في قولهم: نِعْمَ السَّيرُ على بئسَ العَيْر، أي: على عَيْرٍ بئسَ العَيْر. وقولِ الشاعر:

واللهِ ما زيدٌ بِنَامَ صاحِبُهْ[٦]

---

(١) تاج العروس (عتا).
(٢) إملاء ما منَّ به الرحمن ٢/ ١١١.
(٣) المحرر الوجيز ٤/ ٢٧. وقول ابن جريج أخرجه الطبري ١٥/ ٥٨٩-٥٩٠.
(٤) المفردات للراغب الأصبهاني ص٤٩٠.
(٥) المحرر الوجيز ٤/ ٢٧، والحديث أخرجه البخاري (١٢٥١)، ومسلم (٢٦٣٢)، وأحمد (٧٢٦٥) من حديث أبي هريرة ﷺ.
(٦) ويُروى: واللهِ ما ليلي بنامَ صاحبُه، وتتمته: ولا مُخالطِ اللَّيانِ جانِبُهْ. ولم أقف على قائله، قال صاحب الخزانة ٩/ ٣٨٩: والبيت مع كثرة دورانه في كتب النحو غير معلوم قائله. وهو من غير نسبة في الخصائص ٢/ ٣٦٦، وأمالي ابن الشجري ٢/ ٤٠٥، وشرح المفصل لابن يعيش ٣/ ٦٢، واللسان (نوم). لكن نسبه الأستاذ عبد السلام هارون في معجم الشواهد الشعرية ص٤٤٤ للقناني!. واللَّيان: نعمة العيش. اللسان (لين).

أي: برجُلٍ نامَ صاحبُه، وهذه الآية ليست من هذا الضَّرْب؛ إذ لم يُحذَفِ المُقسَمُ به، وقامَتْ صفتُه مقامَه.

وقرأ الجمهور: «منكم» بكاف الخطاب، والظاهر أنَّه عامٌّ للخَلْق[1]، وأنَّه ليس الورودُ الدخولَ لجميعهم[2]، فعن ابن مسعود والحسن وقتادة: هو الجواز على الصراط؛ لأنَّ الصراط ممدودٌ عليها. وعن ابن عباس: قد يرِدُ الشيء ولم يدخُلْه، كقوله: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ﴾ [القصص: ٢٣]، ووردتِ القافلةُ البلدَ، و[إن] لم تدخُلْه، ولكن قَرُبَتْ منه، أو وصلَتْ إليه[3]. قال الشاعر:

فلمَّا وردْنَ الماءَ زُرْقاً جِمامُهُ وضَعْنَ عِصِيَّ الحاضرِ المُتَخيِّمِ[4]

وتقول العرب: ورَدْنا ماء بني تميم وبني كلب، إذا حضروهم ودخلوا بلادَهم، وليس يُرادُ به الماء بعينِه. وقيل: الخطاب للكفار، أي: قُلْ لهم يا محمد، فيكون الورودُ في حقِّهم الدخول. وعلى قول مَنْ قال: الخطاب عامٌّ، وأنَّ المؤمنين والكافرين يدخلون النار، ولكن لا تضرُّ المؤمنين.

وذكروا كيفية دخول المؤمنين النارَ بما لا يُعجبني نقلُه في كتابي هذا؛ لشناعة قولهم: إنَّ المؤمنين يدخلون النارَ وإن لم تضُرَّهم.

وقرأ ابن عباس، وعكرمة، وجماعة: «وإنْ منهم» بالهاء للغَيبة على ما تقدَّم من الضمائر.

وقال الزمخشري[5]: ويجوز أن يُراد بالورود جُثُوُّهم حولَها، وإن أُريدَ الكفارُ خاصَّةً فالمعنى بيِّن.

---

(١) المحرر الوجيز ٤/ ٢٧.

(٢) هو قول نافع بن الأزرق كما في معاني القرآن للنحاس ٤/ ٣٤٨، وتفسير الثعلبي ٤/ ١٨٨، وتفسير البغوي ٣/ ٢٠٤.

(٣) الكشاف ٢/ ٥٢٠، وما بين حاصرتين منه.

(٤) قائله زهير، وهو في ديوانه ص١٣. قال شارحه: والجِمام: ما اجتمع من الماء، الواحدة جُمَّة وجَمٌّ. وضَعْنَ عِصِيَّ، أي: أقَمْنَ. والمتخيِّم: المقيم. والحاضر: الذين حضروا الماء.

(٥) في الكشاف ٢/ ٥٢٠، وما قبله وما بعده منه بنحوه.

واسم «كان» مضمَرٌ يعود على الورود، أي: كان ورودُهم حتماً، أي: واجباً قضى به.

وقرأ الجمهور: «ثُمَّ» بحرف العطف، وهذا يدلُّ على أنَّ الورودَ عامٌّ.

وقرأ عبد الله، وابن عباس، وأُبيٌّ، وعليٌّ، والجَحْدريُّ، وابنُ أبي ليلى، ومعاوية بن قُرَّة، ويعقوب: «ثَمَّ» بفتح الثاء[1]، أي: هناك، ووقف ابنُ أبي ليلى «ثَمَّهْ» بهاء السكت[2].

وقرأ الجمهور: «نُنَجِّي» بفتح النون وتشديد الجيم.

وقرأ يحيى، والأعمش، والكسائي، وابن مُحَيْصِن بإسكان النون وتخفيف الجيم[3].

وقرأت فرقةٌ: «نُجِّي» بنون واحدة مضمومة وجيم مشدَّدة[4].

وقرأ علي: «نُنَحِّي» بحاء مهملة مضارع نحَّى.

ومفعول «اتقوا» محذوف، أي: الشرك[5]. والظلم هنا ظلم الكفر[6].

﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ﴾ نزلت في النضر بن الحارث وأصحابه، كان فقراء الصحابة في خشونة عيش ورثاثة سِرْبال، والمشركون يدهنون رؤوسهم، ويُرَجِّلون شعورَهم، ويلبسون الحريرَ وفاخرَ الملابس، فقالوا للمؤمنين: أيُّ الفريقين خيرٌ مقاماً، أي: منزلاً وسكناً، وأحسن نديًّا[7]؟

---

(١) القراءات الشاذة ص٨٦، والكشاف ٢/ ٥٢٠، وزاد المسير ٥/ ٢٥٧ عن ابن عباس وابن أبي ليلى والجحدري، وفي الكشاف ـ أيضاً ـ عن ابن مسعود، وفي إعراب القرآن للنحاس ٣/ ٢٦ عن الجحدري ومعاوية بن قرة، وفي المحرر الوجيز ٤/ ٢٧-٢٨ عن أُبيٍّ وابن عباس وعلي. والمشهور عن يعقوب «ثُمَّ» بضمِّ الثاء.

(٢) القراءات الشاذة ص٨٦، والمحرر الوجيز ٤/ ٢٧.

(٣) قراءة الكسائي في السبعة ص٤١١، والتيسير ص١٤٩. وينظر المحرر الوجيز ٤/ ٢٨.

(٤) هذه القراءة والتي تليها في المحرر الوجيز ٤/ ٢٨.

(٥) ينظر زاد المسير ٥/ ٢٥٧.

(٦) المحرر الوجيز ٤/ ٢٨.

(٧) تفسير الثعلبي ٤/ ١٩١، وتفسير البغوي ٣/ ٢٠٧.

ولمَّا أقام الحجَّةَ على مُنكري البعث، وأتبَعَه بما يكون يوم القيامة أخبرَ عنهم أنَّهم عارضوا تلك الحجَّة الدامغة بحسن شارتهم في الدنيا، وذلك عندهم يدلُّ على كرامتهم على الله.

وقرأ أبو حَيْوة، والأعرج، وابن مُحَيصِن: «يُتلى» بالياء، والجمهور بالتاء من فوق، كان المؤمن يتلو على الكافر القرآن، ويُنوِّه[١] بآيات النبيِّ ﷺ، فيقول الكافر: إنَّما يُحْسِنُ اللهُ لأحَبِّ الخلق إليه، ويُنعِمُ على أهلِ الحقِّ، ونحنُ قد أنعمَ علينا دونكم، فنحنُ أغنياءُ وأنتم فقراء، ونحنُ أحسنُ مجلِساً، وأجمل شارةً.

ومعنى «بيِّنات»: مُرَتَّلات الألفاظ، مُلخَّصات المعاني، أو ظاهرات الإعجاز، أو حُجَجاً وبراهينَ[٢]. و«بَيِّنات» حالٌ مؤكِّدة؛ لأنَّ آياتِه تعالى لا تكون إلَّا بهذا الوصف دائماً.

وقرأ الجمهور: «مَقاماً» بفتح الميم. وقرأ ابن كثير، وابن مُحَيْصِن، وحُميد، والجُعْفي، وأبو حاتم عن أبي عمرو بضمِّ الميم[٣]. واحتملَ الفتحُ والضمُّ أن يكون مصدراً، أو موضع قيامٍ أو إقامة[٤]، وانتصابه على التمييز.

ثمَّ ذكر تعالى كثرةَ ما أهلك من القرون ممَّن كان أحسنَ حالاً منهم في الدنيا، تنبيهاً على أنَّه تعالى يُهلكهم، ويستأصل شأفَتَهم، كما فعل بغيرهم، واتِّعاظاً لهم إنْ كانوا ممَّن يتَّعِظ، ولم يُغْنِ عنهم ما كانوا فيه من حُسنِ الأثاثِ والرِّيِّ، ويعني إهلاكَ تكذيبٍ لِما جاءت به الرسل.

و«منْ قَرْن» تبيينٌ لـ«كم»، و«كم» مفعول بـ «أهلَكْنا». وقال الزمخشري[٥]: و«هم أحسَنُ» في محلِّ النصب، صفةٌ لـ «كم»، ألا ترى أنَّك لو تركتَ «هم» لم يكن لكَ بُدٌّ من نصبِ «أحْسَن» على الوصفية. انتهى. وتابعه أبو البقاء[٦] على أنَّ «هم

(١) هكذا في جميع النسخ، وفي المحرر الوجيز ٤/ ٢٨ والكلام منه: يبهره.
(٢) الكشاف ٢/ ٥٢٠-٥٢١، وما بعده منه.
(٣) ينظر السبعة ص٤١١، والتيسير ص١٤٩. وقراءة أبي عمرو المشهورة عنه كقراءة الجمهور.
(٤) ينظر الكشاف ٢/ ٥٢١، والمحرر الوجيز ٤/ ٢٨، وإملاء ما منَّ به الرحمن ٢/ ١١٦.
(٥) في الكشاف ٢/ ٥٢١، وما قبله منه.
(٦) في الإملاء ٢/ ١١٦.

أَحْسَنُ» صفةٌ لـ «كم» ونَصَّ أصحابُنا على أنَّ «كم» الاستفهامية والخبرية لا تُوصَف ولا يُوصَف بها، فعلى هذا يكون «هم أحسَنُ» في موضع الصفة لـ «قَرْن»، وجُمِعَ؛ لأنَّ القَرْنَ هو مشتمِلٌ على أفرادٍ كثيرة، فَرُوعيَ معناه، ولو أُفْرِدَ الضميرُ على اللفظ لكان عربيًا، فصار كلفظِ «جميع»، قال: ﴿لَّمَّا جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾ [يس: ٣٢]، وقال: ﴿نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ﴾ [القمر: ٤٤]. فوصفه بالجمع وبالمفرد.

وتقدَّم تفسير الأثاث في سورة النحل[١].

وقرأ الجمهور: «ورِئْياً» بالهمز، من رؤية العين، فِعْلٌ بمعنى مفعول، كالطِّحْن والسِّقْي. وقال ابن عباس: الرِّئْي: المنظر. وقال الحسن: معناه: صُوَراً[٢].

وقرأ[٣] الزُّهري، وأبو جعفر، وشيبة، وطلحة في رواية الهَمْداني، وأيوب، وابن سعدان، وابن ذكوان، وقالون: «ورِيًّا» بتشديد الياء من غير همز[٤]. فاحتمل أن يكون مهموزَ الأصل من الرُّواء والمنظر، سُهِّلَتْ همزتُه بإبدالها ياءً، ثم أُدغِمَتِ الياءُ في الياء، واحتمل أن يكون من الرِّيِّ ضدّ العطش؛ لأنَّ الريَّانَ من الماء له من الحُسن والنَّضارة ما يُستحَبُّ ويُسْتَحْسَن كما لَه منظرٌ حسنٌ من وجهٍ آخرَ ممَّا يُرى ويُقابل[٥].

وقرأ أبو بكر في رواية الأعمش عن عاصم، وحُميد: «وريئاً» بياءٍ ساكنة بعدها همزة، وهو على القلب، ووزنه فِلْعاً، وكأنَّه من رَاءَ، قال الشاعر:

وكُلُّ خليلٍ رَاءَني فَهْوَ قائِلٌ مِنَ اجْلِكِ هذا هامَةُ اليومِ أو غَدِ[٦]

---

(١) عند تفسير الآية (٨٠) منها.
(٢) المحرر الوجيز ٤/٢٩، وقول ابن عباس أخرجه الطبري ١٥/٥١٢.
(٣) في النسخ: وقال، والمثبت من روح المعاني ١٦/١٥٨.
(٤) قراءة ابن ذكوان راوي ابن عامر، وقالون راوي نافع في السبعة ص٤١١، والتيسير ص١٤٩، وقراءة أبي جعفر من العشرة في النشر ١/٤٧١.
(٥) ينظر الحجة للقراء السبعة ٥/٢١٠، وتفسير البغوي ٣/٢٠٧، وإملاء ما منَّ به الرحمن ٢/١١٦.
(٦) المحرر الوجيز ٤/٢٩ دون نسبة القراءة لحُميد، وينظر معاني القرآن للزجاج ٣/٣٤٣. والبيت قائله كُثيِّر عزَّة، وهو في ديوانه ص١٣٣، والكتاب ٣/٤٦٧، والكامل للمبرد ٢/٨٠٦، واللسان (هوم).

وقُرِئ: «ورياءً» بياء بعدها ألف بعدها همزة. حكاها اليزيدي[١]، وأصله: «ورئاء» من المُراءاة، أي: يُري بعضُهم بعضاً حُسْنَه.

وقرأ ابن عباس فيما روى عنه طلحة: «وريًا» من غير همزٍ ولا تشديد[٢]، فتجاسر بعضُ الناس وقال: هي لَحْنٌ، وليس كذلك، بل لها توجيهٌ بأن تكون من الرُّواء، وقلب فصار «وريئاً»، ثم نُقِلَتْ حركةُ الهمزة إلى الياء وحُذِفَت، أو بأن تكون من الرِّيِّ، وحُذِفَتْ إحدى الياءين تخفيفاً كما حُذِفَتْ في لاسيَّما، والمحذوفة الثانية لأنَّها لامُ الكلمة؛ لأنَّ النَّقلَ إنَّما حصل للكلمة بانضمامها إلى الأولى، فهي أَوْلى بالحذف.

وقرأ ابن عباس أيضاً، وابنُ جُبير، ويزيد البَرْبري، والأعسم المكِّي: «وزِيًّا» بالزاي مُشدَّد الياء[٣]: وهي البِزَّة الحسنة، والآلات المجتمعة المُستَحْسَنة.

﴿قُلْ مَن كَانَ فِي ٱلضَّلَٰلَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ مَدًّاۚ حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْاْ مَا يُوعَدُونَ إِمَّا ٱلْعَذَابَ وَإِمَّا ٱلسَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُندًا ﴿٧٥﴾ وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْاْ هُدًىۗ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا ﴿٧٦﴾ أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٧٧﴾ أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ﴿٧٨﴾ كَلَّاۚ سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُۥ مِنَ ٱلْعَذَابِ مَدًّا ﴿٧٩﴾ وَنَرِثُهُۥ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا ﴿٨٠﴾ وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لِّيَكُونُواْ لَهُمْ عِزًّا ﴿٨١﴾ كَلَّاۚ سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ﴿٨٢﴾﴾.

«فليَمْدُدْ» يحتمل أن يكون على معناه من الطلب، ويكون دعاءً، وكأنَّ المعنى: الأضَلُّ مِنَّا أو منكم[٤] مدَّ اللهُ له، أي: أملى له حتى يؤولَ إلى عذابه، وكان الدعاءُ على صيغة الطلب، لأنَّه الأصل. ويحتمل أن يكون خبراً في المعنى، وصورتُه صورةُ الأمر، كأنَّه يقول: مَنْ كان ضالًّا من الأمم فعادةُ الله له أنَّه يُمدِدُ له ولا يُعاجله حتى يُفضيَ ذلك إلى عذابه في الآخرة.

---

(١) في القراءات الشاذة ص٨٦: البزِّي.
(٢) المحرر الوجيز ٣/ ٢٩، وهي في القراءات الشاذة ص٨٦، والمحتسب ٢/ ٤٣ عن طلحة.
(٣) تفسير القرطبي ١٣/ ٥٠٣، وينظر القراءات الشاذة ص٨٦، والمحتسب ٢/ ٤٣، والمحرر الوجيز ٣/ ٢٩، وزاد المسير ٥/ ٢٥٨.
(٤) في النسخ: ومنكم، والمثبت من المحرر الوجيز ٤/ ٢٩ والكلام منه.

وقال الزمخشري: أُخرِجَ على لفظ الأمر إيذاناً بوجوب ذلك، وأنَّه مفعولٌ لا مَحالة، كالمأمورِ به الممتثلِ ليقطع معاذيرَ الضالّ، ويُقال له يوم القيامة: ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ﴾ [فاطر: ٣٧]، أو كقوله: ﴿إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓاْ إِثْمًاۚ﴾ [آل عمران: ١٧٨][1]. والظاهرُ أنَّ «حتى» غايةٌ لقوله: ﴿فَلْيَمْدُدْ﴾ والمعنى: أَنَّ الذين في الضلالة ممدودٌ لهم فيها إلى أن يُعاينوا العذابَ بنصُرة الله المؤمنين أو الساعةَ ومقدِّماتِها.

وقال الزمخشري: في هذه الآية وجهان:

أحدُهما: أن تكون متَّصلةً بالآية التي هي رابِعَتُها، والآيتان اعتراضٌ بينهما، أي: قالوا: أيُّ الفريقين خيرٌ مقاماً وأحسنُ نَدِيًّا، حتى إذا رأوا ما يوعدون، أي: لا يبرحون يقولون هذا القول ويتولَّعون به، لا يَتكافَوْنَ عنه إلى أن يُشاهدوا الموعودَ رأيَ عينٍ، إمَّا العذاب في الدنيا، وهو غلَبَةُ المسلمين عليهم وتعذيبُهم إيَّاهم قتلاً وأسراً وإظهارُ اللهِ دينَه على الدِّين كلِّه على أيديهم، وإمَّا يوم القيامة وما ينالهم من الخِزْي والنَّكالِ، فحينئذٍ يعلمون عند المُعاينة أنَّ الأمرَ على عكس ما قدَّروه، وأنَّهم شرٌّ مكاناً وأضعَفُ جُنداً، لا خيرٌ مقاماً وأحسنُ نَدِيًّا، وأنَّ المؤمنين على خلاف صفتهم[2]. انتهى هذا الوجه، وهو في غاية البُعد؛ لطولِ الفصل بين قوله: ﴿أَيُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ﴾ وبين الغاية، وفيه الفصلُ بجُمْلَتي اعتراضٍ، ولا يُجيزُ ذلك أبو عليٍّ.

قال الزمخشري: والثاني: أن تتَّصلَ بما يليها، فذكر نحواً ممَّا قدَّمناه، وقابَلَ قولَهم: «خيرٌ مكاناً» بقوله: «شَرٌّ مكاناً»، وقوله: «وأحسن نَدِيًّا» بقوله: «وأضعَفُ جنداً»؛ لأنَّ النَّدِيَّ: هو المجلس الجامع لوجوه القوم والأعوان والأنصار، والجند: هم الأعوان والأنصار. و«إمَّا العذابَ وإمَّا الساعة» بدل من «ما» المفعولة بـ«رأوا»، و«مَنْ» موصولة مفعولة بقوله: «فسيعلمون» وتُعدَّى إلى واحد، أو استفهامية والفعلُ قبلَها معلَّقٌ، والجملة في موضع نصب.

(١) الكشاف ٢/ ٥٢١-٥٢٢.
(٢) المحرر الوجيز ٤/ ٢٩-٣٠.

ولمَّا ذكرَ إمداد الضالِّ في ضلالتِه وارتباكه في الافتخار بنِعَم الدنيا عقَّبَ ذلك بزيادة هدًى للمهتدي، وبذكر الباقيات التي هي بدلٌ من تنعُّمِهم في الدنيا الذي يضمحِلُّ ولا يثبت.

و«مَرَدًّا» معناه: مرجعاً[١].

وتقدَّم تفسير «الباقيات الصالحات» في «الكهف»[٢].

وقال الزمخشري: «يزيدُ» معطوفٌ على موضع «فليَمْدُدْ»؛ لأنَّه واقعٌ موقعَ الخبر، تقديره: مَنْ كان في الضلالة مَدَّ أو يمدُّ له الرحمن، «ويزيد» أي: يزيد في ضلال الضالِّ بخِذْلانه، ويزيدُ المهتدين هدايةً بتوفيقه[٣]. انتهى. ولا يصحُّ أن يكون «ويَزيدُ» معطوفاً على موضع «فليَمْدُدْ» سواءً كان دعاءً أم خبراً بصورة الأمر؛ لأنَّه في موضع الخبر إن كانت «مَنْ» موصولة، أو في موضع الجواب إن كانت «مَنْ» شرطية، وعلى كلا التقديرين فالجملة من قوله: ﴿وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ هُدًىۗ﴾عاريةٌ من ضميرٍ يعود على من يربط جملةَ الخبر بالمبتدأ، أو جملةَ الشرط بالجزاء الذي هو «فليَمْدُدْ» وما عُطِفَ عليه؛ لأنَّ المعطوفَ على الخبر خبرٌ، والمعطوفَ على جملة الجزاء جزاءٌ، وإذا كانت أداةُ الشَّرط اسماً لا ظرفاً تعيَّنَ أن يكون في جملة الجزاء ضميرُه أو ما يقوم مقامَه، وكذا في الجملة المعطوفة عليها.

وقال الزمخشري: هي خيرٌ ثواباً من مفاخرات الكفار، ﴿وَخَيْرٌ مَّرَدًّا﴾، أي: مرجعاً وعاقبةً أو منفعةً، من قولهم: ليس لهذا الأمرِ مَرَدٌّ، وهل يردُّ بكائيَ[٤] زَنْداً. فإن قلتَ: كيف قيل: «خيرٌ ثواباً» كأنَّ لمفاخراتهم ثواباً حتى يجعل ثوابَ الصالحات خيراً منه؟ قلتُ: كأنَّه قيل: ثوابُهم النار، على طريقة قوله:

.... فأُعْتِبوا بالصَّيْلَمِ[٥]

---

(١) الكشاف ٢/ ٥٢٢.

(٢) عند تفسير الآية (٤٦) منها.

(٣) الكشاف ٢/ ٥٢٢.

(٤) المثبت من (ح) والكشاف، وهي في (أ) والمطبوع: مكاني، وفي (يه) غير واضحة.

(٥) البيت بتمامه:

غضِبَتْ تميمٌ أنْ تُقتَّلَ عامرٌ يومَ النِّسارِ فأُعْتِبوا بالصَّيْلَمِ

وقائله بشر بن أبي خازم، وهو هكذا في ديوانه ص١٩١، وتهذيب اللغة ٢/ ٢٧٨،

وقوله:

شَجْعاءَ جِرَّتُها الذَّميلُ تَلوكُهُ أُصُلاً إذا راحَ المَطِيُّ غِراثا[١]

وقوله:

تحيَّةُ بينِهِم ضَربٌ وَجيعُ[٢]

ثم بُنِيَ عليه «خيرٌ ثواباً»، وفيه ضَرْبٌ من التهَكُّم الذي هو أغيَظُ للمتهَدَّدِ من أن يُقال له: عقابُك النار. فإنْ قلتَ: فما وجهُ التفضيل في الخير كأنَّ لمفاخرهم شركاء فيه؟ قلت: هذا من وجيز كلامهم؛ يقولون: الصيفُ أحَرُّ من الشتاء، أي: أبلَغُ في حَرِّه من الشتاء في برده. انتهى.

﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ نزلَتْ في العاص بن وائل؛ عمِلَ له خبَّاب بن الأرَتّ عملاً، وكان قَيْناً، فاجتمع له عندَه دَينٌ، فتقاضاه، فقال: لا أُنصِفُكَ حتى تكفرَ بمحمد. فقال خبَّاب: لا أكفرُ بمحمد حتى يُميتَكَ اللهُ ويبعثَك. فقال العاص: أوَمبعوثٌ أنا بعد الموت؟ فقال خبَّاب: نعم. قال: فائتِ إذا كان ذلك فسيكون لي مالٌ وولد، وعند ذلك أقضيكَ دَيْنَك. وقال الحسن: نزلَتْ في الوليد بن المغيرة، وقد كانت للوليد أيضاً أقوالٌ تشبه هذا الغرض[٣].

ولمَّا كانت رؤيةُ الأشياء سبيلاً إلى الإحاطةِ بها وصحَّةِ الخبر عنها، استعملوا

= والصحاح واللسان وتاج العروس (عتب)، وهو في المفضليات ص٣٤٦: فأعقبوا، وفي الخزانة ٩/ ٢٨٥: «حنيفة» بدل «تميم» لكن أُشير في هامش الأصل هناك على أن «حنيفة» في نسخة. ومعنى «أعتبوا بالصَّيلم» كما في الصحاح: أعتبناهم بالسيف، أي: أرضيناهم بالقتل.

(١) قائله أبو تمام، وهو في ديوانه ١/ ٣١٥. قال شارحه: الشَّجعاء: الطويلة. وقيل: التي بها جنون من نشاطها. والذَّميل: السير السريع. والجِرَّة: ما تخرجه الناقة من جوفها إلى فمها وتجترُّ به. وتلوكه: تمضغه. والغِراث: الجِياع.

(٢) عجز بيت صدره: وخيلٍ قد دلفتُ لها بخيلٍ. وقائله عمرو بن معد يكرب، وسلف عند تفسير الآية (٢٠٦) من سورة البقرة.

(٣) المحرر الوجيز ٤/ ٣٠، وقصة خبَّاب مع العاص أخرجها البخاري (٢٠٩١)، ومسلم (٢٧٩٥)، وأحمد (٢١٠٦٨). والقولان في النكت والعيون ٣/ ٣٨٩، والكشاف ٢/ ٥٢٢-٥٢٣، وزاد المسير ٥/ ٢٦٠.

أرأيتَ بمعنى أَخْبِر، والفاء للعطف أفادت التعقيب؛ كأنَّه قيل: أخبِرْ أيضاً بقصة هذا الكافر عَقِيبَ قصةِ أولئك[(١)].

والآيات: القرآن والدِّلالات على البعث.

وقرأ الجمهور: «وَلَداً» أربعتهنَّ هنا وفي «الزخرف»[(٢)] بفتح اللام والواو، ويأتي الخلاف في «نوح»[(٣)].

وقرأ الأعمش، وطلحة، وحمزة، والكسائي، وابن أبي ليلى، وابن عيسى الأصبهاني بضمِّ الواو وإسكان اللام[(٤)].

فعلى قراءة الجمهور يكون المعنى على الجنس لا ملحوظاً فيه الإفراد، وإن كان مفردَ اللَّفظ، وعلى هذه القراءة، فقيل: هو جمع كأسَدٍ وأُسْد[(٥)]، واحتجَّ قائلُ ذلك بقول الشاعر:

ولقَدْ رأيتُ معاشراً قَدْ ثَمَّروا مالاً ووُلْدا[(٦)]

وقيل: هو مرادفٌ للولد بالفتحتين، واحتجُّوا بقوله:

فليتَ فلاناً كان في بطنِ أمِّهِ وليتَ فلاناً كان وُلْدَ حِمارِ[(٧)]

وقرأ عبد الله ويحيى بن يَعْمَر بكسر الواو وسكون اللام[(٨)].

والهمزة في «أَطَّلَعَ» للاستفهام؛ ولذلك عادلتها «أم». وقُرئ بكسر الهمزة في

(١) الكشاف ٢/ ٥٢٢.
(٢) الآية (٨١) منها.
(٣) الآية (٢١) منها.
(٤) ينظر السبعة ص٤١٢، والتيسير ص١٥٠.
(٥) ينظر الحجة للقراء السبعة ٥/ ٢١٢، والكلام الآتي من المحرر الوجيز ٤/ ٣٠.
(٦) قائله الحارث بن حِلِّزة، وهو في ديوانه ص١١٦.
(٧) نسبه التبريزي في تهذيب إصلاح المنطق ١/ ٥٨، والعكبري في المشوف المعلم ٢/ ٨٤١ لنافع بن صفار الأسلمي يهجو الأخطل، وهو في معاني القرآن للفراء ٢/ ١٧٣، والطبري ١٥/ ٦٢٠ من دون نسبة. وسلف عند تفسير الآية (٤١) من سورة إبراهيم بلفظ: فليتَ زياداً.... وليتَ زياداً.
(٨) المحرر الوجيز ٤/ ٣٠ عن ابن مسعود، والكشاف ٢/ ٥٢٣ عن ابن يعمر.

الابتداء، وحذفِها في الوصل، على تقدير حذفِ همزة الاستفهام؛ لدلالة «أم» عليها، كقوله:

بِسَبْعٍ رَمَيْنَ الجمرَ أمْ بثَمانِ[(١)]

يُريد: أبسبع؟

وجاء التركيب في «أرأيتَ» على الوضع الذي ذكره سيبويه من أنَّها تتعدَّى لواحدٍ تنصبه ويكون الثاني استفهاماً، فـ «أَطَّلَعَ» وما بعده في موضع المفعول الثاني لـ «أرايتَ»، وما جاء من تركيب «أرأيتَ» بمعنى «أخبِرْني» على خلافِ هذا في الظاهر ينبغي أن يُرَدَّ إلى هذا بالتأويل.

قال الزمخشري: أَطَّلَعَ الغيبَ، من قولهم: اطَّلَعَ الجبلَ، إذا ارتقى إلى أعلاه، واطَّلَعَ الثنيَّةَ. قال جرير:

لاقَيْتُ مُطَّلَعَ الجبالِ وُعُورا[(٢)]

وتقول: مَرَّ مُطَّلِعاً لذلك الأمر، أي: عالياً له مَالكاً له، ولاختيار هذه الكلمة شأنٌ، يقول: أَوَقد بلَغَ من عظمةِ شأنِه أنِ ارتقى إلى علم الغيب الذي توحَّد به الواحد القهار، والمعنى: أنَّ ما ادَّعى أن يُؤتاه وتألَّى عليه لا يُتَوَصَّلُ إليه إلَّا بأحدِ هذين الطريقين؛ إمَّا علمُ الغيب، وإمَّا عهدٌ من عالَم الغيب، فبأيِّهما توصَّل إلى ذلك. والعهد: قيل: كلمة الشهادة. وقال قَتادة: هل له عملٌ صالحٌ قدَّمه، فهو يرجو بذلك ما يقول. وعن الكلبي: هل عَهِدَ اللهُ إليه أن يُؤتيَه ذلك[(٣)].

و«كَلَّا» ردعٌ وتنبيهٌ على الخطأ، أي: هو مُخطئ فيما تصوَّره لنفسه ويتمنَّاه، فليرتدِعْ عنه[(٤)].

وقرأ أبو نَهيك: «كَلًّا» بالتنوين فيهما هنا[(٥)]، وهو مصدر من: كلَّ السيفُ كَلًّا،

---

(١) عجز بيت صدره: فواللهِ ما أدري وإنِّي لحاسبٌ. وقائله عمر بن أبي ربيعة، وهو في ديوانه ص٢٠٩، وسلف عند تفسير الآية (٧٦) من سورة الأنعام.

(٢) ديوان جرير ص٢٢٣، وصدره: إنِّي إذا مُضَرٌ عليَّ تحدَّبَتْ.

(٣) الكشاف ٢/ ٥٢٢.

(٤) الكشاف ٢/ ٥٢٣.

(٥) القراءات الشاذة ص٨٦، والمحتسب ٢/ ٤٥.

إذا نبا عن الضَّرْبة[١]، وانتصابه على إضمار فِعْلٍ من لفظه، وتقديره: كَلُّوا كَلًّا عن عبادة الله، أو عن الحقِّ، ونحو ذلك.

وكنَّى بالكتابة عمَّا يترتَّب عليها من الجزاء؛ فلذلك دخلت السين التي للاستقبال، أي: سنجازيه على ما يقوله.

وقال الزمخشري: فيه وجهان؛ أحدهما: سنُظْهِرُ له ونُعلِمُه أنَّا كتبنا قولَه، على طريقةِ قوله:

إذا ما انْتَسَبْنا لم تلِدْني لئيمةٌ[٢]

أي: تبيَّن وعُلِمَ بالانتساب أنِّي لستُ ابنَ لئيمة. والثاني: إنَّ المتوعِّد يقول للجاني: سوف أنتقِمُ منكَ، يعني أنَّه لا يُخِلُّ بالانتصار وإنْ تطاولَ به الزمانُ واستأخر، فجرَّد هاهنا لمعنى الوعيد[٣]. انتهى.

وقرأ الجمهور: «سنَكتُبُ» بالنون، والأعمش بياء مضمومة والتاء مفتوحة مبنياً للمفعول وذُكِرَتْ عن عاصم[٤].

﴿وَنَمُدُّ﴾أي: نُطَوِّلُ له من العذاب الذي يُعذَّبُ به المستهزؤون، أو نزيده من العذاب ونضاعف له المُدَد. وقرأ علي بن أبي طالب: «ونُمِدُّ له» يقال: مَدَّه وأمدَّه بمعنًى[٥].

﴿وَنَرِثُهُ مَا يَقُولُ﴾أي: نسلبه المال والولد فنكون كالوارث له. وقال الكلبي: نجعل ما يتمنَّى من الجنة لغيره. وقال أبو سهل: نحرمه ما يتمنَّاه من المال والولد ونجعلُه لغيره[٦].

وقال الزمخشري: ويحتمل أنَّه قد تمنَّى وطمع أن يؤتيه الله في الدنيا مالاً

---

(١) المثبت من (يه)، وفي باقي النسخ: الضريبة.
(٢) صدر بيت عجزه: ولم تجدي من أن تُقِرِّي بها بُدًّا. وقائله زائدة بن صعصعة، وسلف عند تفسير الآية (٢٦٥) من سورة البقرة.
(٣) الكشاف ٢/ ٥٢٣.
(٤) المحرر الوجيز ٤/ ٣١، وقراءة الأعمش شاذة، والمشهور عن عاصم كقراءة الجمهور.
(٥) الكشاف ٢/ ٥٢٣، وقراءة علي في الشاذة ص٨٦.
(٦) معاني القرآن للزجاج ٣/ ٣٤٥، والنكت والعيون ٣/ ٣٨٨ دون قول الكلبي.

ولداً، وبلغَتْ به أشعَبِيَّتُه أن تألَّى على الله في قوله: ﴿لَأُوتَيَنَّ﴾ لأنَّه جوابُ قسَمٍ مُضمَرٍ، ومَنْ يتألَّ على الله يُكذِّبْه، فيقول الله عزَّ وعلا: هَبْ أنَّا أعطيناه ما اشتهاه، أما نرِثُه منه في العاقبة؟ ﴿وَيَأْتِينَا فَرْدًا﴾ غداً بلا مالٍ ولا ولد، كقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ﴾ الآية [الأنعام: ٩٤]، فما يُجدي عليه تمنِّيه وتألِّيه، ويحتمل أنَّ هذا القول إنَّما يقولُه ما دام حيًّا، فإذا قبَضْناه حُلْنا بينه وبين أن يقوله، ويأتينا رافضاً له منفرداً عنه غيرَ قائلٍ له[١]. انتهى.

وقال النحَّاس: ﴿وَنَرِثُهُ مَا يَقُولُ﴾ معناه: نحفظه عليه للعاقبة، ومنه «العلماء ورَثَةُ الأنبياء»[٢] أي: حفَظَةُ ما قالوه. انتهى.

و«فَرْداً» تتضمَّن ذِلَّتَه وعدمَ أنصاره[٣].

و«يقول» صلة «ما» مضارع، والمعنى على المُضيِّ، أي: ما قال، والضمير في «واتخذوا» لعبادة الأصنام، وقد تقدَّم ما يعود عليه وهم الظالمون في قوله: ﴿وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ﴾ فكلُّ ضميرِ جَمْعٍ ممَّا بعده عائدٌ عليه إن كان ممَّا يُمكِنُ عَوْدُه عليه.

واللام في «ليكونوا» لام «كي»، أي: ليكونوا، أي: الآلهة ﴿لَهُمْ عِزًّا﴾ يتعزَّزون بها في النُّصرة والمنفعة والإنقاذ من العذاب.

«كلَّا» قال الزمخشري: «كلَّا» رَدْعٌ لهم وإنكارٌ لتعزُّزِهم بالآلهة.

وقرأ ابنُ نَهيك: «كُلًّا سيكفرون بعبادتهم» أي: سيجحدون «كُلًّا سيكفرون بعبادتهم» كقولك: زيداً مرَرْتُ بغلامِه، وفي «محتسب»[٤] ابن جِنِّي: «كَلًّا» بفتح الكاف والتنوين، وزعم أنَّ معناه: كَلَّ هذا الرأيُ والاعتقادُ كَلًّا، ولقائلٍ أن يقول: إنْ صحَّتْ هذه الرواية فهي «كَلًّا» التي للردع، قلَبَ الواقفُ عليها ألِفَها نوناً كما في «قواريرا»[٥] [الإنسان: ١٥]. انتهى.

---

(١) الكشاف ٢/ ٥٢٣.

(٢) هو قطعة من حديث طويل أخرجه أحمد (٢١٧١٦)، وأبو داود (٣٦٤١)، والترمذي (٢٦٨٣)، وابن ماجه (٢٢٣) عن أبي الدرداء ﷺ.

(٣) المحرر الوجيز ٤/ ٣١، وكلام النحاس في معاني القرآن له ٤/ ٣٥٨ بنحوه.

(٤) المحتسب ٢/ ٤٥.

(٥) الكشاف ٢/ ٥٢٣.

فقوله: وقرأ ابنُ نَهيك، الذي ذكر ابنُ خالويه[1]، وصاحب «اللوامح»، وابن عطية[2]: وأبو نَهيك بالكنية، وهو الذي تُحكى عنه القراءة في الشواذّ، وأنَّه قرأ: «كَلًّا» بفتح الكاف والتنوين، وكذا حكاه عنه أبو الفتح[3].

وقال ابن عطية: وهو يعني «كَلًّا» نعتٌ للآلهة[4]. قال: وحكى عنه ـ أي عن أبي نَهيك ـ أبو عمرو الدَّاني «كُلًّا» بضمِّ الكاف والتنوين، وهو منصوب بفعلٍ مُضْمَرٍ يدلُّ عليه «سيكفرون» تقديره: يرفضون، أو يتركون، أو يجحدون، أو نحوه.

وأمَّا قول الزمخشري: ولِقائلٍ أن يقول:... إلى آخره، فليس بجيِّدٍ؛ لأنَّه قال: إنَّها التي للردع، والتي للردع حرفٌ، ولا وجهَ لقَلْبِ ألِفِها نوناً، وتشبيهه بـ «قواريرا» ليس بجيِّدٍ؛ لأنَّ «قواريرا» اسمٌ رُجِعَ به إلى أصله، فالتنوين ليس بدلاً من ألف، بل هو تنوينُ الصَّرف، وهذا الجمع مختلَفٌ فيه؛ أيتحتَّم مَنْعُ صَرْفِه أم يجوز؟ قولان. ومنقولٌ أيضاً أنَّ لغةً للعرب يصرفون ما لا ينصرِفُ عند غيرهم، فهذا التنوين إمَّا على قولِ مَنْ لا يرى بالتحتُّم أو على تلك اللغة.

وذكر الطبريُّ[5] عن أبي نَهيك أنَّه قرأ: «كُلٌّ» بضمّ الكاف ورفع اللام. ورفْعُه على الابتداء، والجملة بعده الخبر، وتقدَّم ظاهرٌ وهو الآلهة، وتلاه ضميرٌ في قوله: «ليكونوا».

فالأظهر أنَّ الضمير في «سيكفرون» عائدٌ على أقرب مذكورٍ مُحدَّثٍ عنه، فالمعنى: إنَّ الآلهةَ سيجحدون عبادةَ هؤلاء إيَّاهم كما قال: ﴿وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ شُرَكَآءَهُمۡ﴾ [النحل: ٨٦] وفي آخرها: ﴿فَأَلۡقَوۡاْ إِلَيۡهِمُ ٱلۡقَوۡلَ إِنَّكُمۡ لَكَٰذِبُونَ﴾ وتكون «آلهة» هنا مخصوصاً بمن يعقل، أو يجعلُ اللهُ للآلهة غيرِ العاقلة إدراكاً تُنكِرُ به

(١) في القراءات الشاذة ص٨٦.
(٢) في المحرر الوجيز ٤/ ٣١.
(٣) في المحتسب ٢/ ٤٥.
(٤) المحرر الوجيز ٤/ ٣١، وتعقَّبه السمين الحلبي في الدر المصون ٧/ ٦٣٩ بقوله: وفيه نظر؛ إذ ليس المعنى على ذلك، وقد يظهر له وجه أن يكون قد وصف الآلهة بالكَلِّ الذي هو المصدر بمعنى الإعياء والعجز، كأنَّه قيل: آلهةً كالِّين.
(٥) في تفسيره ١٥/ ٦٢٦.

عبادةَ عابديهم. ويجوز أن يكون الضمير للمشركين، ينكرون لسوء العاقبة أن يكونوا كما قالوا: ﴿وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٢٣]. لكنَّ قولَه: «ويكونون» يُرجِّح القولَ الأول؛ لاتِّساقِ الضمائر لواحدٍ، وعلى القول الآخر يختلف الضمائر؛ إذ يكون في «سيكفرون» للمشركين، وفي «يكونون» للآلهة[1].

ومعنى «ضِدًّا»: أعواناً. قاله ابن عباس. وقال الضحَّاك: أعداءً. وقال قَتادة: قرناءَ. وقال ابن زيد: بلاءً[2].

وقال ابن عطية[3]: معناه: يجيئهم منه خلافُ ما كانوا أمَّلوه، فيؤول بهم ذلك إلى ذلَّة ضدّ ما أمَّلوه من العِزِّ، فالضِّدُّ هنا مصدر وصف به الجمع كما يوصف به الواحد.

وقال الزمخشري[4]: والضِّدُ: العَوْن، وحِّدَ توحيدَ «وهُمْ يَدٌ على مَنْ سواهم»[5]؛ لاتِّفاق كلمتهم، وأنَّهم كشيءٍ واحدٍ، لفَرْطِ تضامِّهم وتوافُقِهم، ومعنى كونِهم عَوْناً عليهم أنَّهم وقودُ النار وحصبُ جهنَّم، ولأنَّهم عُذِّبوا بسبب عبادتهم.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَـٰطِينَ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴿٨٣﴾ فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا ﴿٨٤﴾ يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَـٰنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾ وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا ﴿٨٦﴾ لَّا يَمْلِكُونَ ٱلشَّفَـٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَـٰنِ عَهْدًا ﴿٨٧﴾ وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَـٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ ٱلسَّمَـٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوْا۟ لِلرَّحْمَـٰنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾ وَمَا يَنۢبَغِى لِلرَّحْمَـٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾ إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَـٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَرْدًا ﴿٩٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَـٰنُ وُدًّا ﴿٩٦﴾ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَـٰهُ بِلِسَانِكَ

(١) الكلام ـ دون كلام المصنف ـ من الكشاف ٢/ ٥٢٣.
(٢) الأقوال الأربعة في النكت والعيون ٣/ ٣٨٩، لكن القول الأول فيه عن مجاهد بدل ابن عباس، وكذلك في تفسير الطبري ١٥/ ٦٢٤-٦٢٥ فيما أخرجه عنهم.
(٣) في المحرر الوجيز ٤/ ٣١.
(٤) في الكشاف ٢/ ٥٢٤.
(٥) هو قطعة من حديث أخرجه أحمد (٩٥٩)، وأبو داود (٤٥٣٠)، والنسائي في المجتبى ٨/ ١٩ و٢٠ و٢٤، وفي السنن الكبرى (٦٩١٠) و(٨٦٢٨) عن علي ﷺ.

لِتُبَشِّـرَ بِهِ ٱلْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوْمًا لُّدًّا ﴿٩٧﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا ﴿٩٨﴾﴾.

﴿أَرْسَلْنَا﴾ معناه: سَلَّطْنا، أو لم نَحُلْ بينهم وبينهم، مثل قوله: ﴿نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا﴾ [الزخرف: ٣٦] وتعديتُه بـ «على» دليلٌ على أنَّه تسليطٌ. و«تؤزُّهم»: تُحرِّكهم إلى الكفر. وقال قَتادة: تُزعجهم. وقال ابن زيد: تشليهم(١).

وقال الزمخشري: تُغريهم على المعاصي، وتُهيِّجهم لها بالوساوس والتسويلات، والمعنى: خلَّينا بينهم وبينهم ولم نمنَعْهم، ولو شاء لمنعَهم، والمرادُ تعجيبُ رسول الله ﷺ بعد الآيات التي ذُكِرَ فيها العُتاةُ من الكفَّار وأقاويلهم.

عجِلْتُ عليه بكذا: إذا استعجلتَه منه، أي: لا تعجَلْ عليهم بأن يهلكوا، فليس بينك وبين ما تطلب من هلاكهم إلَّا أيامٌ محصورةٌ وأنفاسٌ معدودة، كأنَّها في سرعةِ تَقَضِّيها الساعةُ التي تُعَدُّ فيها لَوْ عُدَّتْ، ونحوُه قولُه تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ﴾(٢) [الأحقاف: ٣٥]. انتهى.

وقيل: نعُدُّ أعمالَهم لنجازيهم(٣). وقيل: آجالهم(٤)، فإذا جاء أحلَلْنا العقوبةَ بهم. وقيل: أيامهم التي سبق قضاؤنا أن نُمهِلَهم إليها. وقيل: أنفسهم(٥).

وانتصب «يومَ» بـ «اذكُرْ» أو «احذَرْ» مُضمَرة(٦)، أو على تقديرٍ يكون ذلك جواباً لسؤالٍ مُقَدَّرٍ تقديره: متى يكون ذلك؟ أو بـ «سيكفرون بعبادتهم»، أو بـ «يكونون عليهم ضِدًّا»، أو معنى «نَعُدُّ»، أو يُضمَّن العَدُّ والإحصاءُ معنى المجازاة، أو يومَ

---

(١) المحرر الوجيز ٤/ ٣٢. وقول قتادة في النكت والعيون ٣/ ٣٨٩، وأخرجه عبد الرزاق في تفسيره ٢/ ١٢، والطبري ١٥/ ٦٢٧. وقول ابن زيد أخرجه الطبري ١٥/ ٦٢٧.
(٢) الكشاف ٢/ ٥٢٤.
(٣) النكت والعيون ٣/ ٣٨٩، وزاد المسير ٥/ ٢٦٣، والقرطبي ١٣/ ٥١٢ عن قطرب.
(٤) النكت والعيون ٣/ ٣٨٩، وتفسير البغوي ٣/ ٢٠٩، والقرطبي ١٣/ ٥١٢ عن الكلبي.
(٥) أخرجه الطبري ١٥/ ٦٢٨ عن ابن عباس، وعنه في المحرر الوجيز ٤/ ٣٢، والوسيط ٣/ ١٩٥. وهو في زاد المسير ٥/ ٢٦٢ عن ابن عباس وطاوس ومقاتل.
(٦) ينظر المحرر الوجيز ٤/ ٣٢.

نحشرُ ونسوقُ نفعَلُ بالفريقين ما لا يُحيط به الوصفُ، أو بـ «لا يملكون»(١). وكلُّها مَقولٌ في نصب «يومَ»، والأوجَه الأخير.

وعُدِّي «نحشر» بـ «إلى الرحمن» تعظيماً لهم وتشريفاً(٢).

وذِكْرُ صفة الرحمانية التي خصَّهم بها كرامةً؛ إذ لفظُ الحشر فيه جَمْعٌ من أماكنَ متفرقةٍ وأقطارٍ شاسعةٍ على سبيل القهر، فجاءت لفظة «الرحمن» مُؤْذِنةً بأنَّهم يُحشرون إلى مَنْ يرحمهم.

ولفظُ السَّوقِ فيه إزعاجٌ، وهو أنْ عُدِّي بـ «إلى جهنم» تفظيعاً لهم وتبشيعاً لحال مقرِّهم.

ولفظة «الوفد» مشعرةٌ بالإكرام والتبجيل كما يفِدُ الوُفَّاد على الملوك منتظرين للكرامة عنده.

وعن علي: على نُوقٍ رِحالُها ذهبٌ، وعلى نجائبَ سروجُها ياقوت(٣). وعنه أيضاً: أنَّهم يجيؤون رُكباناً على النُّوق المُحَلَّاة بحِلية الجنة، خَطْمُها من ياقوتٍ وزَبَرْجَد. وروى عمرو بن قيس المُلائي أنَّهم يركبون على تماثيلَ من أعمالهم الصالحة هي في غاية الحُسن؛ رُوي أنَّه يركبُ كلُّ أحدٍ منهم ما أحبَّ من إبلٍ أو خيلٍ أو سفنٍ، تجيء عائمةً بهم. والظاهر أنَّ هذه الوفادة بعد انقضاء الحساب، وأنَّها النهوض إلى الجنة، كما قال: ﴿فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾ [القمر: ٥٥] وشُبِّهوا بالوفود لأنَّهم سراة الناس وأحسنهم شكلاً(٤). وليسَتْ وفادةً حقيقةً؛ لأنَّها تتضمَّن الانصرافَ من الموفود عليه، وهؤلاء مقيمون أبداً في ثواب ربِّهم وهو الجنة.

والوِرْد: العِطاش. قاله ابن عباس وأبو هريرة والحسن(٥).

---

(١) القولان الأخيران في الكشاف ٢/ ٥٢٤.
(٢) ينظر تفسير الرازي ٢١/ ٢٥٣.
(٣) الكشاف ٢/ ٥٢٤، وما قبله منه.
(٤) المحرر الوجيز ٤/ ٣٢ مع تقديم وتأخير وزيادة من المصنف.
(٥) أخرجه عنهم الطبري ١٥/ ٦٣١-٦٣٢. وعلَّقه البخاري في كتاب التفسير قبل الحديث (٤٧٣٠) عن ابن عباس ﵄. وأخرجه ابن أبي شيبة ١٣/ ١٧٢، وهناد في الزهد (٢٨٦)، و(٢٨٧) عن الحسن.

و«الوِرْد» مصدر ورَدَ، أي: سار إلى الماء. قال الراجز:

رِدِي رِدِي وِرْدَ قَطاةٍ صُمَّا كُدْرِيَّةٍ أعجَبَها بَرْدُ الما[(١)]

ولمَّا كان مَنْ يرِدُ الماءَ لا يردُه إلَّا لعطش أُطلِقَ الوِرْدُ على العِطاش تسميةً للشيء بسببه[(٢)].

وقرأ الحسن والجَحْدري: «يُحشَرُ المتَّقون» و«يُساقُ المجرمون» مبنيًّا للمفعول[(٣)].

والضمير في «لا يملكون» عائدٌ على الخلق الدالِّ عليهم ذِكْرُ المتقين والمجرمين، إذ هُمْ قِسماه[(٤)].

والاستثناء متصل، و«مَنْ» بدل من ذلك الضمير، أو نُصِبَ على الاستثناء، و«لا يملكون» استئنافُ إخبارٍ. وقيل: موضِعُه نصبٌ على الحال من الضمير في «لا يملكون»، ويكون عائداً على المجرمين، والمعنى: غير مالكين أن يشفع لهم، ويكون ـ على هذا ـ الاستثناءُ منقطعاً. وقيل: الضمير في «لا يملكون» عائدٌ على المتقين والمجرمين، والاستثناء متصل. وقيل: عائد على المتقين[(٥)].

واتِّخاذ العهدِ: هو العمل الصالح الذي يحصل به في حَيِّز مَنْ يشفع، وتظافرت الأحاديث على أنَّ أهل العلم والصلاح يشفعون، فيُشَفَّعون. وفي الحديث: «إنَّ في أمَّتي رجلاً يُدخِلُ اللهُ بشفاعتِه أكثرَ من بني تميم»[(٦)]. وقال

(١) لم أقف على قائل هذا الرجز، وهو من دون نسبة في الكشاف ٢/ ٥٢٤ والكلام منه، وهو كذلك في كتاب الحيوان للجاحظ ٤/ ٣٨٦، وديوان المعاني الكبير لابن قتيبة ١/ ٣١٤، والوساطة بين المتنبي وخصومه للجرجاني ص٤٠٢، واللسان (صمم).

(٢) تفسير الرازي ٢١/ ٢٥٢ بنحوه.

(٣) القراءات الشاذة ص٨٦، والكشاف ٢/ ٥٢٤، والمحرر الوجيز ٤/ ٣٢ عن الحسن وحده.

(٤) الكشاف ٢/ ٥٢٤ بنحوه.

(٥) إملاء ما منَّ به الرحمن ٢/ ١١٧ بنحوه وببعضه. وينظر إعراب القرآن للنحاس ٣/ ٢٧، والمحرر الوجيز ٤/ ٣٢، ومجمع البيان ١٦/ ٧٣.

(٦) أخرجه أحمد (١٥٨٥٧)، والترمذي (٢٤٣٨)، وابن حبان (٧٣٧٦) من حديث عبد الله بن أبي الجدعاء ﷺ.

قَتادة: كنَّا نُحدَّث أنَّ الشهيدَ يشفعُ في سبعين. وقال بعضُ مَنْ جعلَ الضميرَ للمتقين: المعنى: لا يملكُ المتقون الشفاعةَ إلَّا لهذا الصنف، فعلى هذا يكون «مَن اتَّخذ» المشفوعَ فيهم، وعلى التأويل الأول يكون «مَن اتَّخذ» الشافعين[1].

فالتقدير على التقدير الثاني: لا يملكون الشفاعةَ لأحدٍ إلَّا مَن اتَّخذ، فيكون في موضع نصبٍ، كما قال:

فَلَمْ يَنْجُ إلَّا جَفْنَ سيفٍ ومِئْزَرا[2]

أي: لم يَنْجُ شيءٌ إلَّا جفن سيف. وعلى هذه الأقوال الواو ضمير. وقال الزمخشري: ويجوز أن تكون ـ يعني الواو ـ في «لا يملكون» علامةً للجمع، كالتي في أكلوني البراغيث، والفاعل «مَن اتَّخذ»؛ لأنَّه في معنى الجمع[3]. انتهى. ولا ينبغي حَمْلُ القرآن على هذه اللغة القليلة مع وضوحِ جَعْلِ الواو ضميراً، وذكر الأستاذ أبو الحسن بن عصفور[4] أنَّها لغةٌ ضعيفة. وأيضاً: فالواوُ والألفُ والنونُ التي تكون علاماتٍ لا ضمائرَ لا يُحفَظُ ما يجيءُ بعدَها فاعلاً إلَّا بصريح الجمع وصريحِ التثنية أو العطف، أمَّا أن يأتي بلفظٍ مُفْرَدٍ يُطلَقُ على جمعٍ أو على مثنى، فيحتاج في إثبات ذلك إلى نقل، وأمَّا عَوْدُ الضمائر مُثنَّاةً ومجموعةً على مفردٍ في اللفظ يُراد به المثنى والمجموعُ فمسموعٌ معروفٌ في لسان العرب، على أنَّه يمكنُ قياسُ هذه العلامات على تلك الضمائر، ولكنَّ الأحوط[5] أن لا يُقال ذلك إلَّا بسماع.

وقال الزمخشري[6]: ويجوز أن ينتصب يعني «مَنْ» على تقدير حذفِ المضاف، أي: إلَّا شفاعة مَنِ اتَّخذ.

---

(١) المحرر الوجيز ٤/ ٣٣ بنحوه.

(٢) قائله أبو خراش الهذلي، وصدره: نجا سالمٌ والنفس منه بشدقِهِ. وسلف عند تفسير الآية (٢٦) من سورة البقرة.

(٣) الكشاف ٢/ ٥٢٤-٥٢٥.

(٤) في شرح جمل الزجاجي ١/ ١٦٧.

(٥) في (د١) والمطبوع: الأحفظ.

(٦) في الكشاف ٢/ ٥٢٥.

و«العهد» هنا: قال ابن عباس: لا إله إلَّا الله، محمدٌ رسول الله[١]. وفي الحديث: «مَنْ قال: لا إله إلَّا الله، محمَّدٌ رسولُ الله، كان له عند الله عهد»[٢]. وقال السُّدِّي: العهد: الطاعة. وقال ابن جُريج: العمل الصالح[٣]. وقال الليث: حِفْظُ كتاب الله[٤]. وقيل: عهدُ الله: إذْنُه لمن شاء في الشفاعة، مِنْ عَهِدَ الأميرُ إلى فلانٍ بكذا، أي: أمره به، أي: لا يشفع إلَّا المأمورُ بالشفاعة المأذونُ له فيها. ويُؤيِّده: ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَـٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ﴾ [سبأ: ٢٣]، ﴿يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَـٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَـٰنُ﴾ [طه: ١٠٩]، ﴿لَا تُغْنِى شَفَـٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ﴾[٥] [النجم: ٢٦].

وقال ابن عطية: ويَحتمل أن يكون المجرمون يعمُّ الكفَرة والعُصاة. ثمَّ أخبر أنَّهم لا يملكون الشفاعة، إلَّا العصاةُ المؤمنون، فإنَّهم سيشفع فيهم، فيكون الاستثناءُ متصلاً، وفي الحديث: «لا أزالُ أشفَعُ حتى أقولَ: يا ربِّ شفِّعْني فيمن قال: لا إله إلَّا الله، فيقول: يا محمد، إنَّها ليسَتْ لك، ولكنَّها لي»[٦]. انتهى. وحَمْلُ المجرمين على الكفار والعُصاة بعيد[٧].

وقال ابن عطية أيضاً: ويَحتمِلُ أن يُرادَ بـ«مَن اتَّخذَ» محمدٌ عليه الصلاة والسلام، وبالشفاعة الخاصَّةُ لمحمد العامَّةُ للناس، وقولُه تعالى: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ [الإسراء: ٧٩] والضمير في «لا يملكون» لأهل الموقف. انتهى. وفيه بعضُ تلخيص.

---

(١) أخرجه الطبري ١٥/ ٦٣٣، والطبراني في الدعاء (١٥٧٠).
(٢) أخرجه الطبراني في الكبير (١٣٥٩٥)، وفي الأوسط (١٦٠٤) من حديث ابن عمر ﵄. وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد ١٠/ ٤٢٠ وقال: فيه أيوب بن عتبة، وهو ضعيف.
(٣) أخرجه الطبري ١٥/ ٦٣٣.
(٤) الهداية إلى بلوغ النهاية ٧/ ٤٥٩٧.
(٥) الكشاف ٢/ ٥٢٥.
(٦) المحرر الوجيز ٤/ ٣٣، والحديث أخرجه ابن أبي عاصم في السنة (٦٨٥)، وابن خزيمة في التوحيد (٤٠٤) من حديث أنس بن مالك ﵁.
(٧) قول المصنف هذا تعقَّبه السمين الحلبي في الدر المصون ٧/ ٦٤٥ بقوله: ولا بُعد فيه، وكما استبعَدَ إطلاق المجرمين على العصاة كذلك يستبعد غيرُه إطلاقَ المتقين على العصاة، بل إطلاقُ المجرم على العاصي أشهرُ من إطلاق المتقي عليه.

﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾﴾ الضمير في «قالوا» عائدٌ على بعض اليهود حيث قالوا: عزيرٌ ابنُ الله، وبعض النصارى حيث قالوا: المسيحُ ابنُ الله، وبعض مُشركي العرب حيث قالوا: الملائكة بنات الله[١].

﴿لَقَدْ جِئْتُمْ﴾ أي: قُلْ لهم يا محمد: لقَدْ جئتم، أو يكون التفاتاً خرجَ من الغَيْبة إلى الخطاب زيادةُ تسجيلٍ عليهم بالجُرأة على الله، والتعرُّضِ لسخطه، وتنبيهٌ على عظيم ما قالوا[٢].

وقرأ الجمهور: «إِدًّا» بكسر الهمزة. وعلي بن أبي طالب، وأبو عبد الرحمن بفتحها[٣]، أي: «شيئاً أَدًّا»؛ حُذِفَ المضافُ، وأُقيمَ المصدرُ مقامَه.

وقرأ نافع، والكسائي: «يكاد» بالياء من تحت، وكذا في «الشورى»[٤]، وهي قراءة أبي حَيْوة والأعمش. وقرأ باقي السبعة بالتاء[٥].

وقرأ: «يَنْفَطِرْنَ» مضارع انفطر: أبو عمرو، وحمزة، وأبو بكر عن عاصم، وابن عامر هنا، وهي قراءة أبي بحرية، والزُّهري، وطلحة، وحُميد، واليزيدي، ويعقوب[٦]، وأبي عبيد. وقرأ باقي السبعة: «يتفطَّرْنَ» مضارع تفطَّر، والتي في الشورى قرأها أبو عمرو، وأبو بكر عن عاصم بالياء والنون، وباقي السبعة بالياء والتاء والتشديد.

وقرأ ابن مسعود: «يتصَدَّعْنَ»[٧]، وينبغي أن يُجعلَ تفسيراً؛ لمخالفتها سوادَ المصحف المُجْمَع عليه ولروايةِ الثِّقاتِ عنه كقراءة الجمهور.

وقال الأخفش[٨]: «تكاد»: تريد، وكذلك قولُه: ﴿أَكَادُ أُخْفِيهَا﴾ [طه: ١٥]. وأنشد شاهداً على ذلك قولَ الشاعر:

---

(١) تفسير الثعلبي ٤/ ١٩٤، وتفسير البغوي ٣/ ٢٠٩، وزاد المسير ٥/ ٢٦٤ باختصار.
(٢) الكشاف ٢/ ٥٢٦.
(٣) القراءات الشاذة ص٨٦ عن علي، والمحتسب ٢/ ٤٥ عن أبي عبد الرحمن السلمي.
(٤) الآية (٥) منها.
(٥) ينظر السبعة ص٤١٣، والتيسير ص١٥٠.
(٦) تنظر قراءة يعقوب في النشر ٢/ ٣١٩، وهي ـ أيضاً ـ قراءة خلف من العشرة.
(٧) الكشاف ٢/ ٥٢٥، ووقعت القراءة في الشاذة ص٨٦: ينصَدِعْنَ.
(٨) في معاني القرآن له ٢/ ٦٢٧.

كـادَتْ وكِـدْتُ وتـلـك خـيـرُ إرادةٍ لو عـادَ مِنْ زمنِ الصَّبابةِ ما مضى(١)

ولا حجَّةَ في هذا البيت، والمعروف أنَّ الكيدودةَ مقاربةُ الشيء، وهذه الجمل عند الجمهور من باب الاستعارة؛ لبشاعة هذا القول، أي: هذا حقُّه لو فهِمَتِ الجماداتُ قَدْرَه، وهذا مَهْيَعٌ للعرب، قال جرير:

لـمَّـا أتـى خـبـرُ الـزُّبـيـرِ تـواضَـعَـتْ سُـورُ الـمـديـنـةِ والـجـبـالُ الـخُـشَّـعُ(٢)

وقال آخر:

ألـم تـرَ صـدعـاً فـي الـسـمـاءِ مُـبـيـنـاً على ابن لُبَينى الحارثِ بنِ هشامِ(٣)

وقال الآخر:

فـأصـبـحَ بـطـنُ مـكـةَ مُـقْـشَـعِـرًّا كـأنَّ الأرضَ لـيـسَ بـهـا هـشـامُ(٤)

وقال آخر:

بـكـى حـارثُ الـجَـوْلانِ من فَـقْـدِ ربِّـهِ وحَـوْرانُ مـنـهُ خـاشِـعٌ مُـتـضـائِـلُ(٥)

حارث الجولان موضع.

وقال الزمخشري(٦): فإن قُلتَ: ما معنى انفطار السماوات، وانشقاق الأرض، وخرور الجبال؟ ومن أينَ تُؤثِّرُ هذه الكلمة في الجمادات؟ قلتُ: فيه وجهان؛

(١) معاني القرآن للأخفش ٢/٥٩٦، ولم أقف على قائل هذا البيت، وهو في تفسير الطبري ٦/٣٩، والأضداد لابن الأنباري ص٩٧، والمحتسب ٢/٣١ دون نسبة، وفي جميع المصادر: لهو الصبابة، بدل: زمن الصبابة. والكلام من المحرر الوجيز ٤/٣٣-٣٤.

(٢) ديوان جرير ٢/٩١٣، والكتاب ١/٥٢.

(٣) لم أقف على قائله، وهو في المحرر الوجيز ٤/٣٤.

(٤) نسبه ابن دريد في الاشتقاق ص١٠١ للحارث بن أمية، وهو كذلك في شرح أبيات المغني للبغدادي ٤/١٧٠، ونسبه الثعالبي في ثمار القلوب ص٢٩٨ لعبد الله بن ثور الخفاجي، وهو من دون نسبة في الكامل للمبرد ٢/٦٧١، ومغني اللبيب ص٢٥٣. وهشام: هو ابن المغيرة المخزومي، وكان سيداً مطاعاً، توفي قبل بعثة النبي ﷺ. قلت: إلى هنا ينتهي ما نقله المصنف من المحرر الوجيز.

(٥) قائله النابغة الذبياني، وهو في ديوانه ص٩١، وفيه: موحش، بدل: خاشع.

(٦) في الكشاف ٢/٥٢٥-٥٢٦.

أحدهما: أنَّ الله يقول: كِدْتُ أفعَلُ هذا بالسماوات والأرض والجبال عندَ وجودِ هذه الكلمة؛ غضباً منِّي على مَنْ تفوَّه بها، لولا حِلْمي ووقاري وأنِّي لا أعجلُ بالعقوبة، كما قال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ الآية [فاطر: ٤١]. والثاني: أن يكونَ استعظاماً للكلمة، وتهويلاً من فظاعتها، وتصويراً لأثرِها في الدين وهدمِها لأركانِه وقواعدِه، وأنَّ مثالَ ذلك الأثر في المحسوسات أن يُصيبَ هذه الأجرامَ العظيمةَ التي هي قِوامُ العالم ما تنفطِرُ منه وتنشَقُّ وتَخِرُّ. انتهى.

وقال ابن عباس: إنَّ هذا الكلامَ فزِعَتْ منه السماواتُ والأرضُ والجبالُ وجميعُ الخلائق إلَّا الثقلين، وكِدْنَ أن يَزِلْنَ منه تعظيماً لله تعالى[١]. وقيل: المعنى: كادتِ القيامةُ أن تقوم، فإنَّ هذه الأشياء تكون حقيقةً يوم القيامة.

وقيل: ﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ﴾ أي: تسقط عليهم ﴿وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ﴾ أي: تُخسَفُ بهم ﴿وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا﴾ أي: تنطبق عليهم[٢].

وقال أبو مسلم: تكاد تفعل ذلك لو كانت تعقل؛ من غِلَظِ هذا القول[٣].

وانتصب «هدًّا» عند النحاس على المصدر؛ قال: لأنَّ معنى «تخِرُّ»: تنهَدُّ[٤]. انتهى. وهذا على أن يكون «هَدًّا» مصدراً لِهَدَّ الحائطَ يَهِدُّ ـ بالكسر ـ هَديداً وهَدًّا، وهو فعلٌ لازم. وقيل: «هَدًّا» مصدرٌ في موضع الحال، أي: مهدودةً. وهذا على أن يكون «هَدًّا» مصدرَ هَدَّ الحائطَ، إذا هدَمَه، وهو فعلٌ مُتعَدٍّ. وأجاز الزمخشريُّ[٥] أن يكون مفعولاً له، أي: لأنَّها تُهَدُّ.

وأجاز الزمخشريُّ في «أنْ دَعَوا» ثلاثةَ أوجه؛ قال: أن يكون مجروراً بدلاً من الهاء في «منه» كقوله:

على حالةٍ لو أنَّ في القوم حاتماً على جُودِهِ لضَنَّ بالماءِ حاتمُ[٦]

---

(١) أخرجه الطبري ١٥/ ٦٣٧.
(٢) تفسير البغوي ٣/ ٢٠٩.
(٣) تفسير الرازي ٢١/ ٢٥٤.
(٤) إعراب القرآن للنحاس ٣/ ٢٩.
(٥) في الكشاف ٢/ ٥٢٥.
(٦) قائله الفرزدق كما في تاج العروس واللسان (حتم)، وشرح شذور الذهب لابن هشام =

وهذا فيه بُعْدٌ؛ لكثرة الفصل بين البدلِ والمُبدَلِ منه بجملتين. قال: ومنصوباً بتقدير سقوط اللام وإفضاء الفعل، أي: هَدًّا، لـ«أنْ دَعَوا»، علَّلَ الخرور بالهدِّ، والهَدُّ بدعاء الولدِ للرحمن. وهذا فيه بُعْدٌ؛ لأنَّ الظاهر أنَّ «هَدًّا» لا يكون مفعولاً، بل مصدرٌ من معنى «وتخِرُّ»، أو في موضع الحال. قال: ومرفوعاً بأنَّه فاعلُ «هدًّا» أي: هَدَّها دعاءُ الولدِ للرحمن. وهذا فيه بُعْدٌ؛ لأنَّ ظاهرَ «هَدًّا» أن يكون مصدراً توكيدياً، والمصدر التوكيدي لا يعمل، ولو فرضناه غيرَ توكيدٍ لم يعمَلْ بقياسٍ إلَّا إنْ كان أمراً أو مستَفْهَماً عنه، نحو: ضرباً زيداً، وأضَرَباً زيداً، على خلاف فيه. وأمَّا إنْ كان خبراً كما قدَّره الزمخشريُّ ـ أي: هَدَّها دعاءُ الرحمن ـ فلا يناقش، بل ما جاء من ذلك هو نادرٌ، كقوله:

وُقوفاً بها صَحْبي عَليَّ مَطِيَّهم[1]

أي: وقف صحبي. وقال الحَوْفي وأبو البقاء[2]: «أنْ دَعَوا» في موضع نصب مفعولٍ له، ولم يُبيِّنا العاملَ فيه.

وقال أبو البقاء أيضاً: هو في موضع جَرٍّ على تقدير اللام. قال: وفي موضع رفع، أي: الموجبُ لذلك دعاؤهم.

ومعنى ﴿دَعَوْا﴾: سَمَّوا، وهي تتعدَّى إلى اثنين، حُذِفَ الأولُ منهما، والتقدير: سَمَّوا معبودَهم ولداً للرحمن، أي: بولَدٍ؛ لأنَّ دعا هذه تتعدَّى لاثنين، ويجوز دخول الباء على الثاني؛ تقول: دعَوْتُ ولدي بزيدٍ، أو دعَوْتُ ولدي زيداً. وقال الشاعر:

دَعَتْني أخاها أمُّ عمرٍو ولم أكُنْ   أخاها ولم أرضَعْ لها بلِبانِ[3]

= ص٥٧٢، وهو في ديوانه ٢/ ٢٩٧ برواية:

على ساعةٍ لو كانَ في القومِ حاتمٌ   على جودِهِ ضَنَّتْ به نَفْسُ حاتمِ

(١) قائله امرؤ القيس، وعجزه: يقولون لا تهلِكْ أسًى وتجمَّلِ. وسلف عند تفسير الآية (١٠٦) من سورة المائدة.

(٢) في الإملاء ٢/ ١١٨.

(٣) هو لعبد الرحمن بن أم الحكم، وسلف عند تفسير الآية (١١٠) من سورة الإسراء.

وقال آخر:

ألا رُبَّ مَنْ يُدعى نَصيحاً وإنْ يَغِبْ تجِدْهُ بغَيبٍ منكَ غيرَ نصيحِ[(١)]

وقال الزمخشري[(٢)]: اقتصر على أحدهما الذي هو الثاني؛ طلباً للعموم والإحاطة بكلِّ ما دُعيَ له ولداً. قال: أو: مِنْ دعا بمعنى نَسَبَ الذي مطاوِعُه ما في قوله عليه السلام: «مَنِ ادَّعى إلى غيرِ مواليه»[(٣)]، وقول الشاعر:

إنَّا بني نَهْشَلٍ لا ندَّعي لأبٍ[(٤)]

أي: لا ننتَسِب إليه. انتهى.

وكونُ «دَعَوا» هنا بمعنى سَمَّوا هو قولُ الأكثرين. وقيل: «دَعَوا» بمعنى: جعلوا[(٥)].

و«ينبغي» مُطاوِعٌ لـ «بغى» بمعنى: طلب، أي: وما يتأتَّى له اتِّخاذُ الولد؛ لأنَّ التوالُدَ مستحيلٌ، والتبنِّي لا يكون إلَّا فيما هو من جنس المتبنَّى، وليس له تعالى جنس.

و«ينبغي» ليس من الأفعال التي لا تتصرَّف، بل سُمِعَ لها الماضي، قالوا: انْبَغى، وقد عدَّها ابن مالك في «التسهيل»[(٦)] من الأفعال التي لا تتصرَّف، وهو غَلَط.

---

(١) لم أقف على قائله.

(٢) في الكشاف ٢/٥٢٦.

(٣) أخرجه الطبري في تهذيب الآثار ـ مسند علي ـ (٣٣٠) من حديث سعد ﷺ مرفوعاً بلفظ: «من ادَّعى إلى غير أبيه أو ادَّعى إلى غير مواليه فقد كفر». وأخرجه الطبراني في الأوسط (٨٤٩٧) من حديث أبي هريرة ﷺ مرفوعاً بلفظ: «لعن الله سبعةً من خلقه...» إلى أن قال: «ومن ادَّعى إلى غير مواليه».

(٤) اختلف في قائله، وعجزه: عنهُ ولا هو بالأبناءِ يشرينا. وسلف عند تفسير الآية (١٨) من سورة آل عمران.

(٥) هذا القول ذكره البغوي في تفسيره ٣/٢٠٩، وهو قول أبي عبيدة فيما نقل عنه ابن الجوزي في زاد المسير ٥/٢٦٥.

(٦) ص٢٤٧.

و«مَنْ» موصولة بمعنى «الذي»، أي: ما كُلُّ الذي في السماوات. و«كلُّ» تدخل على «الذي»؛ لأنَّها تأتي للجنس، كقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ﴾ [الزمر: ٣٣]، ونحو:

وكلُّ الذي حمَّلتني أتحمَّلُ[١]

وقال الزمخشري[٢]: «من» موصوفة؛ لأنَّها وقعت بعد «كُلّ» نكرةً وقوعَها بعد «رُبَّ» في قوله:

رُبَّ مَنْ أنضجْتُ غيظاً صَدْرَهُ[٣]

انتهى. والأَولى جعلُها موصولةً؛ لأنَّ كونها موصوفةً بالنسبة إلى الموصولة قليلٌ.

وقرأ عبد الله، وابن الزُّبير، وأبو حَيْوة، وطلحة، وأبو بحرية، وابنُ أبي عبلة، ويعقوب: «إلَّا آتٍ» بالتنوين «الرحمنَ» بالنصب[٤]. والجمهور بالإضافة.

و«آتي» خبرُ «كلُّ»[٥].

وانتصب «عبداً» على الحال[٦].

وتكرَّر لفظُ «الرحمن» تنبيهاً على أنَّه لا يستحقُّ هذا الاسمَ غيرُه؛ إذ أصول النِّعم وفروعُها منه[٧].

---

(١) لم أقف على شطره الآخر، ولا على قائله.
(٢) في الكشاف ٢/٥٢٦.
(٣) هو لسويد بن أبي كاهل، وعجزه: قد تمنَّى لي موتاً لم يُطَعْ. وسلف عند تفسير الآية (٨) من سورة البقرة.
(٤) القراءات الشاذة ص٨٦ عن ابن مسعود ويعقوب وأبي حيوة، والكشاف ٢/٥٢٦ عن ابن مسعود وأبي حيوة، والمحرر الوجيز ٤/٣٤ عن طلحة بن مصرف. والمشهور في قراءة يعقوب كقراءة الجمهور الآتية.
(٥) إملاء ما منَّ به الرحمن ٢/١١٨.
(٦) المحرر الوجيز ٤/٣٤.
(٧) الكشاف ٢/٥٢٦.

و«من في السماوات والأرض» يشمل مَن اتَّخذوه معبوداً من الملائكة وعيسى وعُزيرٍ[1]؛ بِحُكم ادِّعائهم صحةَ التَّوالد، أو بِحُكم زعمهم ذلك، فأشركوهم في العبادة، إذْ خدمةُ الأبناء خدمةُ الآباء، فأخبر تعالى أنَّه ما مِنْ معبودٍ لهم في السماوات أو في الأرض إلَّا يأتي الرحمنَ عبداً منقاداً لا يدَّعي لنفسه شيئاً ممَّا نسبوه إليه. ثمَّ ذكر تعالى أنَّه أحصاهم وأحاط بهم وحصرهم بالعدد، فلم يَفُتْه أحدٌ منهم.

وانتصب «فرداً» على الحال، أي: منفرداً ليس معه أحدٌ ممَّن جعلوه شريكاً له[2].

وخبر «كلُّهم» «آتيه فرداً»، و«كُلّ» إذا أُضيف إلى معرفة ملفوظٍ بها نحو: كلّهم وكلّ الناس، فالمنقول أنَّه يجوز أن يعود الضميرُ مفرداً على لفظ «كُلّ»، فتقول: كلُّكم ذاهِبٌ. ويجوز أن يعودَ جَمْعاً مراعاةً للمعنى، فتقول: كلُّكم ذاهبون. وحكى إبراهيم بن أصبغ في كتاب «رؤوس المسائل» الاتفاقَ على جواز الوجهين، وعلى الجمع جاء لفظُ الزمخشري في تفسير هذه الآية في «الكشاف»: وكلُّهم مُنْقَلِبون في ملكوته، مقهورون بقهره، وقد خدش في ذلك أبو زيد السُّهيلي[3]، فقال: «كُلّ» إذا ابتُدِئَتْ وكانت مضافةً لفظاً ـ يعني إلى معرفة ـ فلا يَحْسُنُ إلَّا إفرادُ الخبر؛ حملاً على المعنى، تقول: كلُّكم ذاهبٌ، أي: كلُّ واحدٍ منكم ذاهبٌ. هكذا هذه المسألة في القرآن والحديث والكلام الفصيح. فإن قلتَ: في قوله: ﴿وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ﴾ إنَّما هو حَمْلٌ على اللفظ؛ لأنَّه اسمٌ مفردٌ. قلنا: بل هو اسمٌ للجمع، واسمُ الجمع لا يُخبَرُ عنه بإفراد، تقول: القومُ ذاهبون، ولا تقول: القومُ ذاهبٌ، وإن كان لفظُ القوم كلفظ المفرد، وإنَّما حَسُنَ «كلُّكم ذاهبٌ»؛ لأنَّهم يقولون: كلُّ واحدٍ منكم ذاهبٌ، فكان الإفرادُ مراعاةً لهذا المعنى. انتهى. ويحتاج في إثبات «كلُّكم ذاهبون» بالجمع ونحوه إلى سماعٍ ونقلٍ عن العرب، أمَّا إنْ حُذِفَ المضافُ المعرفةُ فالمسموعُ من العرب الوجهان.

---

(١) المثبت من (ح)، وفي باقي النسخ والمطبوع: عزيراً.
(٢) الكشاف ٢/ ٥٢٣ و٥٢٥-٥٢٦، وما قبله منه بنحوه.
(٣) في نتائج الفكر ص٢٧٦، المسألة (٥٥).

والسين في «سيجعل» للاستقبال، فاحتمَلَ أن يكون هذا الجَعْلُ في الدنيا، وجيء بأداة الاستقبال؛ لأنَّ المؤمنين كانوا بمكة حالَ نزول هذه السورة، وكانوا ممقوتين من[1] الكفَرة، فوعدهم اللهُ بذلك إذا ظهر الإسلام وفشا.

واحتمَلَ أن يكون ذلك في الدنيا على الإطلاق، كما في الترمذي قال: «إذا أَحَبَّ اللهُ عبداً نادى جبريلَ: إنِّي قد أحبَبْتُ فلاناً فأحِبَّه. قال: فيُنادَى في السماء، ثمَّ تنزلُ له المحبَّةُ في الأرض، قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا ﴿٩٦﴾﴾» إلى آخر الحديث، وقال: هذا حديث صحيح[2]. قال ابن عطية[3]: ويَحتمِلُ أن تكون الآيةُ متَّصلةً بما قبلها في المعنى، أي: إنَّ الله تعالى لمَّا أخبرَ عن إتيانِ كلِّ مَنْ في السماواتِ والأرض في حالِ العبودية والانفراد، آنَسَ المؤمنين بأنَّه سيجعلُ لهم في ذلك اليوم وُدًّا، وهو ما يظهر عليهم من كرامته؛ لأنَّ محبةَ الله للعبد إنَّما هي ما يظهرُ عليه من نِعَمِه وأماراتِ غفرانِه. انتهى.

وقال الزمخشري[4]: وإمَّا أن يكون ذلك يومَ القيامة؛ يُحبِّبهم إلى خلقه بما يعرض من حسناتهم، وينشر من ديوان أعمالهم.

وقال أيضاً: والمعنى: سيُحدِثُ لهم في القلوب مودَّةً، ويزرعُها لهم فيها من غيرِ تودُّدٍ منهم ولا تعرُّضٍ للأسباب التي يكتسب بها الناسُ مودَّاتِ القلوب؛ من قرابةٍ أو صداقةٍ أو اصطناعِ مبَرَّةٍ أو غيرِ ذلك، وإنَّما هو اختراعٌ منه ابتداءً، اختصاصاً منه لأوليائه بكرامةٍ خاصة، كما قذفَ في قلوب أعدائهم الرُّعبَ والهيبةَ؛ وإعظاماً لهم، وإجلالاً لمكانهم. انتهى. وقيل: في الكلام حذفٌ، والتقدير: سيُدْخِلُهم دارَ كرامتِه، ويجعلُ لهم وُدًّا بسبب نَزْعِ الغِلِّ من صدورِهم، بخلاف

---

(١) في الكشاف ٢/ ٥٢٧ والكلام منه: بين. وكذا في تفسير الرازي ٢١/ ٢٥٥ وقد نقله عنه.

(٢) سنن الترمذي (٣١٦١) من حديث أبي هريرة ﷺ، وهو بمعناه في صحيح البخاري (٧٤٨٥)، وصحيح مسلم (٢٦٣٧)، ومسند أحمد (٧٦٢٥)، وموطأ مالك ٢/ ٩٥٣. والكلام في تفسير القرطبي ١٣/ ٥٢٦-٥٢٧.

(٣) في المحرر الوجيز ٤/ ٣٤.

(٤) في الكشاف ٢/ ٥٢٧.

الكفار، فإنَّهم يومَ القيامة يكفرُ بعضُهم ببعضٍ، ويلعَنُ بعضُهم بعضاً، وفي النَّار أيضاً يتبرَّأُ بعضُهم من بعض.

وقرأ الجمهور: «وُدًّا» بضمِّ الواو. وقرأ أبو الحارث الحنفي بفتحها[(١)]. وقرأ جناح بن حُبَيش: «وِدًّا» بكسر الواو[(٢)].

قيل: نزلت هذه الآية في عبد الرحمن بن عوف، كان اليهود والنصارى والمنافقون يحبُّونه، وكان لمَّا هاجر من مكةَ استوحشَ بالمدينة، فشكا ذلك إلى رسول الله ﷺ، فنزلت. وقيل: نزلت في المهاجرين إلى الحبشة مع جعفر بن أبي طالب، ألقى اللهُ لهم ودًّا في قلب النجاشي. وذكر النقَّاش أنَّها نزلت في علي بن أبي طالب. وقال محمد بن الحنفية: لا تجدُ مؤمناً إلَّا وهو يحبُّ عليًّا وأهلَ بيته[(٣)]. انتهى.

ومن غريب هذا ما أنشدنا الإمامُ اللُّغويُّ رضيُّ الدين أبو عبد الله محمد بن علي بن يوسف الأنصاري الشاطبي رحمه الله تعالى لزبينا بن إسحاق النصراني الرَّسْعني[(٤)]:

عَديٌّ وتَيْمٌ لا أُحاوِلُ ذِكْرَهُمْ ... بسوءٍ ولكنِّي مُحِبٌّ لهاشمِ
وما تعتريني في عليٍّ ورهطِهِ ... إذا ذُكروا في اللهِ لومةُ لائمِ
يقولونَ ما بالُ النَّصارى تُحِبُّهمْ ... وأهلُ النُّهى من أعرُبٍ وأعاجمِ
فقلتُ لهم إنِّي لأحسِبُ حُبَّهُمْ ... سَرى في قلوبِ الخلقِ حتَّى البهائمِ

وذكر الفقيه الإمام الوزير أبو محمد بن حزم أنَّ بُغضَ عليٍّ من الكبائر[(٥)].

(١) المحرر الوجيز ٤/ ٣٤.
(٢) القراءات الشاذة ص٨٦، والكشاف ٢/ ٥٢٧.
(٣) المحرر الوجيز ٤/ ٣٤ دون قوله: نزلت في المهاجرين... في قلب النجاشي.
(٤) المثبت من (ح)، وفي باقي النسخ: الرسغي، ووقع في نفح الطيب ٢/ ٣٧٧ ـ نقلاً عن المصنف ـ: لزينب بنت إسحاق النصراني الرسعني. والأبيات الآتية في المحاسن والمساوئ ص٦٩، ونسبها صاحبها للموصلي النصراني. وذكرها ابن عبد البر في بهجة المجالس ١/ ٧٥٧، ونسبها لزبيا النصراني.
(٥) رسالة التلخيص لوجوه التخليص ٣/ ١٤٦ (رسائل ابن حزم).

والضمير في «يسَّرْناه» عائدٌ على القرآن، أي: أنزلناه عليك ميسَّراً سهلاً بلسانك، أي: بلُغَتِك، وهو اللسانُ العربيُّ المبين[١].

﴿لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ أي: تُخبرهم بما يسُرُّهم، وبما يكون لهم من الثواب على تقواهم[٢].

واللُّد جمع ألَدّ[٣].

وقال ابن عباس: ﴿لُدًّا﴾: ظَلَمةً[٤]. ومجاهد: فُجَّاراً[٥]. والحسن: صُمًّا[٦]. وأبو صالح: عوجاً عن الحقِّ[٧]. وقتادة: ذوي جدل بالباطل[٨]، آخذين في كلِّ لَديدٍ بالمراء، أي: في كلِّ جانب؛ لفرطِ لَجاجهم، يريد أهلَ مكة.

﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا﴾ تخويفٌ لهم وإنذارٌ بالإهلاك بالعذاب[٩].

والضمير في قوله: «قبلهم» عائدٌ على «قوماً لُدًّا».

و«هَلْ تُحِسُّ» استفهام معناه النفي، أي: لا تُحِسُّ.

وقرأ الجمهور: «هَلْ تُحِسُّ» مضارع أحسَّ.

وقرأ أبو حَيْوة، وأبو بحرية، وابنُ أبي عبلة، وأبو جعفر المدني: «تَحُسُّ» بفتح التاء وضمِّ الحاء[١٠].

---

(١) تفسير القرطبي ١٣/ ٥٢٨.
(٢) تفسير الطبري ١٥/ ٦٤٥ بنحوه.
(٣) تفسير السمعاني ٣/ ٣١٧، وتفسير القرطبي ١٣/ ٥٢٨.
(٤) أخرجه الطبري ١٥/ ٦٤٥.
(٥) النكت والعيون ٣/ ٣٩١، والمحرر الوجيز ٤/ ٣٥. وأخرجه الطبري ١٥/ ٦٤٦.
(٦) معاني القرآن للنحاس ٤/ ٣٦٦، وتفسير الثعلبي ٤/ ١٩٦، وتفسير البغوي ٣/ ٢١٠. وأخرجه الطبري ١٥/ ٦٤٦.
(٧) معاني القرآن للنحاس ٤/ ٣٦٦.
(٨) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره ٢/ ١٤، والطبري ١٥/ ٦٤٦. وما بعده من الكشاف ٢/ ٥٢٧ دون نسبته إلى قتادة.
(٩) الكشاف ٢/ ٥٢٧.
(١٠) القراءات الشاذة ص٨٦ عن أبي حيوة وأبي جعفر، وقراءته المشهورة عنه كقراءة الجمهور.

وقُرِئ: «تَحِسُّ» من حَسَّه إذا شعرَ به، ومنه الحواس والمحسوسات[(١)].

وقرأ حنظلة: «أو تُسْمِعُ» مضارع أسمعتَ مبنياً للمفعول[(٢)].

قال ابن عباس: «الرِّكْز»: الصوت الخفيّ[(٣)]. وقال ابن زيد: الحِسّ[(٤)]. وقال الحسن: لمَّا أتاهم عذابُنا لم يبقَ منهم شخصٌ يُرى ولا صوتٌ يُسمع[(٥)]. وقيل: المعنى: ماتوا ونُسيَ ذِكْرُهم، فلا يُخبِرُ عنهم مُخبِر.

تمَّ الجزء الرابع عشر من البحر المحيط،

ويتلوه الجزء الخامس عشر

وأوَّله تفسير قوله تعالى:

﴿طه ۝١ مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لِتَشۡقَىٰٓ ۝٢﴾

من أول سورة طه

(١) الكشاف ٢/ ٥٢٧.
(٢) القراءات الشاذة ص٨٦، والكشاف ٢/ ٥٢٧.
(٣) هو في معاني القرآن للزجاج ٣/ ٣٤٧، وتفسير الثعلبي ٤/ ١٩٦، والكشاف ٢/ ٥٢٧، والمحرر الوجيز ٤/ ٣٥، وزاد المسير ٥/ ٢٦٧ دون نسبته إلى ابن عباس.
(٤) أخرجه الطبري ١٥/ ٦٤٨، وهو في تفسير القرطبي ١٣/ ٥٢٩.
(٥) الوسيط للواحدي ٣/ ١٩٨، وتفسير البغوي ٣/ ٢١٠ بنحوه.

فهرس الآيات

سورة الإسراء ....

• **مفردات الآيات (١-٢٢) من قوله تعالى:** ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا﴾ **إلى قوله تعالى:** ﴿لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا ﴿٢٢﴾﴾ ٥

تفسير قوله تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١﴾ وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِى وَكِيلًا ﴿٢﴾ ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴿٣﴾﴾ ٧

تفسير قوله تعالى: ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤﴾ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا۟ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ ۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ﴿٥﴾ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴿٦﴾ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ۚ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ لِيَسُۥٓـُٔوا۟ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا۟ مَا عَلَوْا۟ تَتْبِيرًا ﴿٧﴾ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ ۚ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا ۘ وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ حَصِيرًا ﴿٨﴾﴾ ١٦

تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٠﴾ وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلْخَيْرِ ۖ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا ﴿١١﴾ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ ۖ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ وَكُلَّ شَىْءٍ فَصَّلْنَٰهُ تَفْصِيلًا ﴿١٢﴾ وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾ مَّنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا

يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾﴾ ٢٦

تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا۟ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا ﴿١٦﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ ٱلْقُرُونِ مِنۢ بَعْدِ نُوحٍ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿١٧﴾ مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْءَاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾ كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَلَلْءَاخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴿٢١﴾ لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا ﴿٢٢﴾﴾ ٣٧

• مفردات الآيات (٢٣-٤٩) من قوله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٤٩﴾﴾ ٤٨

تفسير قوله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِى نُفُوسِكُمْ إِن تَكُونُوا۟ صَٰلِحِينَ فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلْأَوَّٰبِينَ غَفُورًا ﴿٢٥﴾﴾ ٥١

تفسير قوله تعالى: ﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓا۟ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴿٢٧﴾ وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ٱبْتِغَآءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا ﴿٢٨﴾ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿٣٠﴾﴾ ٦١

تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا ﴿٣١﴾﴾ ٦٧

تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّى ٱلْقَتْلِ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا ﴿٣٣﴾ وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا ﴿٣٤﴾ وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٣٥﴾﴾ ٦٨

تفسير قوله تعالى: ﴿ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا (٣٦) ولا تمش في الأرض مرحا إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا (٣٧) كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروها (٣٨) ذلك مما أوحى إليك ربك من الحكمة ولا تجعل مع الله إلها آخر فتلقى في جهنم ملوما مدحورا (٣٩)﴾ ٧٥

تفسير قوله تعالى: ﴿أفأصفاكم ربكم بالبنين واتخذ من الملائكة إناثا إنكم لتقولون قولا عظيما (٤٠) ولقد صرفنا في هذا القرآن ليذكروا وما يزيدهم إلا نفورا (٤١) قل لو كان معه آلهة كما يقولون إذا لابتغوا إلى ذي العرش سبيلا (٤٢) سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا (٤٣) تسبح له السموات السبع والأرض ومن فيهن وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم إنه كان حليما غفورا (٤٤)﴾ ٨٣

تفسير قوله تعالى: ﴿وإذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستورا (٤٥) وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقرا وإذا ذكرت ربك في القرآن وحده ولوا على أدبارهم نفورا (٤٦) نحن أعلم بما يستمعون به إذ يستمعون إليك وإذ هم نجوى إذ يقول الظالمون إن تتبعون إلا رجلا مسحورا (٤٧) انظر كيف ضربوا لك الأمثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلا (٤٨) وقالوا أإذا كنا عظاما ورفاتا أإنا لمبعوثون خلقا جديدا (٤٩)﴾ ٨٨

• **مفردات الآيات (٥٠-٧٧) من قوله تعالى: ﴿قل كونوا حجارة أو حديدا (٥٠)﴾ إلى قوله تعالى: ﴿سنة من قد أرسلنا قبلك من رسلنا ولا تجد لسنتنا تحويلا (٧٧)﴾** ٩٥

تفسير قوله تعالى: ﴿قل كونوا حجارة أو حديدا (٥٠) أو خلقا مما يكبر في صدوركم فسيقولون من يعيدنا قل الذي فطركم أول مرة فسينغضون إليك رءوسهم ويقولون متى هو قل عسى أن يكون قريبا (٥١) يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده وتظنون إن لبثتم إلا قليلا (٥٢)﴾ ٩٩

تفسير قوله تعالى: ﴿وقل لعبادي يقولوا التي هي أحسن إن الشيطان ينزغ بينهم إن الشيطان كان للإنسان عدوا مبينا (٥٣) ربكم أعلم بكم إن يشأ يرحمكم أو إن يشأ يعذبكم وما أرسلناك عليهم وكيلا (٥٤) وربك أعلم بمن في السموات والأرض ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض وآتينا داود زبورا (٥٥)﴾ ١٠٤

تفسير قوله تعالى: ﴿قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا (٥٦) أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه إن عذاب ربك كان محذورا (٥٧) وإن من قرية إلا نحن مهلكوها قبل يوم القيامة أو معذبوها عذابا شديدا كان ذلك في الكتاب مسطورا (٥٨) وما منعنا أن نرسل

بِٱلْأَيَٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلْأَوَّلُونَ ۚ وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا۟ بِهَا ۚ وَمَا نُرْسِلُ بِٱلْأَيَٰتِ إِلَّا تَخْوِيفًا ﴿٥٩﴾﴾ ١١٠

تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِٱلنَّاسِ ۚ وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِى ٱلْقُرْءَانِ ۚ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَٰنًا كَبِيرًا ﴿٦٠﴾﴾ .. ١١٦

تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴿٦١﴾ قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٢﴾ قَالَ ٱذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ جَزَآءً مَّوْفُورًا ﴿٦٣﴾ وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ وَعِدْهُمْ ۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٦٤﴾ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ ۚ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴿٦٥﴾﴾ ١٢١

تفسير قوله تعالى: ﴿رَّبُّكُمُ ٱلَّذِى يُزْجِى لَكُمُ ٱلْفُلْكَ فِى ٱلْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٦٦﴾ وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ ۖ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ كَفُورًا ﴿٦٧﴾ أَفَأَمِنتُمْ أَن يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ ٱلْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا۟ لَكُمْ وَكِيلًا ﴿٦٨﴾ أَمْ أَمِنتُمْ أَن يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَىٰ فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِّنَ ٱلرِّيحِ فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ ۙ ثُمَّ لَا تَجِدُوا۟ لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِۦ تَبِيعًا ﴿٦٩﴾﴾ ١٢٩

تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾ يَوْمَ نَدْعُوا۟ كُلَّ أُنَاسٍۭ بِإِمَٰمِهِمْ ۖ فَمَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَٰبَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧١﴾ وَمَن كَانَ فِى هَٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٧٢﴾﴾ ١٣٣

تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِن كَادُوا۟ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ لِتَفْتَرِىَ عَلَيْنَا غَيْرَهُۥ ۖ وَإِذًا لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلًا ﴿٧٣﴾ وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾ إِذًا لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴿٧٥﴾ وَإِن كَادُوا۟ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا ۖ وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ خِلَٰفَكَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٧٦﴾ سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا ۖ وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا ﴿٧٧﴾﴾ ١٤٠

• **مفردات الآيات (٧٨-١١١) من قوله تعالى:** ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ ۖ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴿٧٨﴾﴾ **إلى قوله تعالى:** ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ ۖ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًۢا ﴿١١١﴾﴾ ١٤٦

تفسير قوله تعالى: ﴿أَقِمِ الصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ الَّيْلِ وَقُرْءَانَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْءَانَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴿٧٨﴾ وَمِنَ الَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴿٧٩﴾ وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِى مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِى مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَل لِّى مِن لَّدُنكَ سُلْطَٰنًا نَّصِيرًا ﴿٨٠﴾ وَقُلْ جَآءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَٰطِلُ إِنَّ الْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾ وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾﴾ ١٥٢

تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يَـُٔوسًا ﴿٨٣﴾ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا ﴿٨٤﴾ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِۦ عَلَيْنَا وَكِيلًا ﴿٨٦﴾ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ إِنَّ فَضْلَهُۥ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا ﴿٨٧﴾﴾ ١٦٦

تفسير قوله تعالى: ﴿قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا الْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٨٩﴾ وَقَالُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنۢبُوعًا ﴿٩٠﴾ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَٰرَ خِلَٰلَهَا تَفْجِيرًا ﴿٩١﴾ أَوْ تُسْقِطَ السَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِىَ بِاللَّهِ وَالْمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ﴿٩٢﴾ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِى السَّمَآءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّى هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٣﴾﴾ ١٧١

تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓا إِذْ جَآءَهُمُ الْهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٤﴾ قُل لَّوْ كَانَ فِى الْأَرْضِ مَلَٰٓئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَآءِ مَلَكًا رَّسُولًا ﴿٩٥﴾ قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿٩٦﴾ وَمَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِهِۦ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا ﴿٩٧﴾ ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُم بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالُوٓا أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٩٨﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِى خَلَقَ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَّا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى الظَّٰلِمُونَ إِلَّا كُفُورًا ﴿٩٩﴾﴾ ١٨٠

تفسير قوله تعالى: ﴿قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحْمَةِ رَبِّىٓ إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنفَاقِ وَكَانَ الْإِنسَٰنُ قَتُورًا ﴿١٠٠﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ فَسْـَٔلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِذْ جَآءَهُمْ فَقَالَ لَهُۥ فِرْعَوْنُ إِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسْحُورًا ﴿١٠١﴾ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَٰوَٰتِ

وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ﴿١٠٢﴾ فَأَرَادَ أَن يَسْتَفِزَّهُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ جَمِيعًا ﴿١٠٣﴾ وَقُلْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ لِبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱسْكُنُوا۟ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ﴿١٠٤﴾﴾ ١٨٥

تفسير قوله تعالى: ﴿وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَٰهُ وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿١٠٥﴾ وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴿١٠٦﴾ قُلْ ءَامِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓا۟ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ﴿١٠٩﴾﴾ ١٩٣

تفسير قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١١٠﴾ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا ﴿١١١﴾﴾ ١٩٩

سورة الكهف ....

- **مفردات الآيات (١-٣١) من قوله تعالى:** ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ﴿١﴾﴾ إلى قوله تعالى: ﴿مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ نِعْمَ ٱلثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا﴾ ٢٠٥

تفسير قوله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ﴿١﴾ قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴿٢﴾ مَّٰكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا ﴿٣﴾ وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ﴿٤﴾ مَّا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِءَابَآئِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴿٥﴾ فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا ﴿٦﴾ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴿٧﴾ وَإِنَّا لَجَٰعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا ﴿٨﴾﴾ ٢١١

تفسير قوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ﴿٩﴾ إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ فَقَالُوا۟ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴿١٠﴾ فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِى ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴿١١﴾ ثُمَّ بَعَثْنَٰهُمْ لِنَعْلَمَ أَىُّ ٱلْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓا۟ أَمَدًا ﴿١٢﴾ نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا۟ فَقَالُوا۟ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَا۟ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًا لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا ﴿١٤﴾﴾ ٢٢٢

تفسير قوله تعالى: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمُنَا ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَٰنٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا (١٥) وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأْوُۥٓاْ إِلَى ٱلْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا (١٦)﴾ ٢٣٤

تفسير قوله تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَهُمْ فِى فَجْوَةٍ مِّنْهُ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا (١٧) وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَكَلْبُهُم بَٰسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِٱلْوَصِيدِ لَوِ ٱطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا (١٨)﴾ ٢٣٧

تفسير قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَٰهُمْ لِيَتَسَآءَلُواْ بَيْنَهُمْ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُواْ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُواْ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَٱبْعَثُوٓاْ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا (١٩) إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُواْ عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِى مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوٓاْ إِذًا أَبَدًا (٢٠)﴾ ٢٤٤

تفسير قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوٓاْ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَآ إِذْ يَتَنَٰزَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُواْ ٱبْنُواْ عَلَيْهِم بُنْيَٰنًا رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُواْ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا (٢١) سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًۢا بِٱلْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَآءً ظَٰهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا (٢٢) وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّى فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا (٢٣) إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّى لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا (٢٤)﴾ ٢٤٩

تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَبِثُواْ فِى كَهْفِهِمْ ثَلَٰثَ مِاْئَةٍ سِنِينَ وَٱزْدَادُواْ تِسْعًا (٢٥) قُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُواْ لَهُۥ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِۦ وَأَسْمِعْ مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِى حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا (٢٦) وَٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا (٢٧)﴾ ٢٥٨

تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا (٢٨) وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِن يَسْتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا (٢٩)﴾ ٢٦٢

تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا (٣٠) أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ ۚ نِعْمَ ٱلثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا (٣١)﴾ ٢٦٩

• مفردات الآيات (٣٢-٤٤) من قوله تعالى: ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَٰبٍ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿هُنَالِكَ ٱلْوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلْحَقِّ ۚ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا (٤٤)﴾ ... ٢٧٣

تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَٰبٍ وَحَفَفْنَٰهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا (٣٢) كِلْتَا ٱلْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْـًٔا ۚ وَفَجَّرْنَا خِلَٰلَهُمَا نَهَرًا (٣٣) وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا (٣٤) وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا (٣٥) وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا (٣٦)﴾ ٢٧٤

تفسير قوله تعالى: ﴿قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا (٣٧) لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّىٓ أَحَدًا (٣٨) وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا (٣٩) فَعَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا (٤٠) أَوْ يُصْبِحَ مَآؤُهَا غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبًا (٤١) وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّىٓ أَحَدًا (٤٢) وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا (٤٣) هُنَالِكَ ٱلْوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلْحَقِّ ۚ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا (٤٤)﴾ ٢٨٠

• مفردات الآيات (٤٥-٥٩) من قوله تعالى: ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ أَهْلَكْنَٰهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟ وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا (٥٩)﴾ ٢٩١

تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا (٤٥) ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا (٤٦) وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا (٤٧) وَعُرِضُوا۟ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍۭ ۚ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا (٤٨) وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ

وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾﴾ ٢٩٤

تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ ۚ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا ﴿٥٠﴾ مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ عَضُدًا ﴿٥١﴾ وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا۟ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا ﴿٥٢﴾ وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا۟ عَنْهَا مَصْرِفًا ﴿٥٣﴾﴾ ٣٠١

تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَىْءٍ جَدَلًا ﴿٥٤﴾ وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓا۟ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّهُمْ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ قُبُلًا ﴿٥٥﴾ وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ۚ وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّ ۖ وَٱتَّخَذُوٓا۟ ءَايَٰتِى وَمَآ أُنذِرُوا۟ هُزُوًا ﴿٥٦﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِىَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ ۚ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۖ وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوٓا۟ إِذًا أَبَدًا ﴿٥٧﴾ وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِ ۖ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُوا۟ لَعَجَّلَ لَهُمُ ٱلْعَذَابَ ۚ بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ لَّن يَجِدُوا۟ مِن دُونِهِۦ مَوْئِلًا ﴿٥٨﴾ وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ أَهْلَكْنَٰهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟ وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا ﴿٥٩﴾﴾ ٣٠٩

• **مفردات الآيات (٦٠-٨٢) من قوله تعالى:** ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِىَ حُقُبًا ﴿٦٠﴾﴾ **إلى قوله تعالى:** ﴿ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا﴾ ٣١٥

تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِىَ حُقُبًا ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ سَرَبًا ﴿٦١﴾ فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا ﴿٦٢﴾ قَالَ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ ۚ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ عَجَبًا ﴿٦٣﴾ قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ ۚ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا ﴿٦٤﴾ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ﴿٦٨﴾ قَالَ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِى لَكَ أَمْرًا ﴿٦٩﴾ قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِى فَلَا تَسْـَٔلْنِى عَن شَىْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٧٠﴾﴾ ٣١٧

تفسير قوله تعالى: ﴿فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا ۖ قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا ﴿٧١﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٢﴾ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا ﴿٧٣﴾ فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُّكْرًا ﴿٧٤﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٥﴾ قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي ۖ قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا ﴿٧٦﴾ فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُ ۖ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴿٧٧﴾ قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ ۚ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٧٨﴾﴾ ٣٣٢

تفسير قوله تعالى: ﴿أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴿٧٩﴾ وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا ﴿٨٠﴾ فَأَرَدْنَا أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴿٨١﴾ وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٢﴾﴾ ٣٤٣

• **مفردات الآيات (٨٣-١١٠) من قوله تعالى:** ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَن ذِي الْقَرْنَيْنِ ۖ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾﴾ **إلى قوله تعالى:** ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ ٣٥١

تفسير قوله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَن ذِي الْقَرْنَيْنِ ۖ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا ﴿٨٤﴾ فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٥﴾ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا ۗ قُلْنَا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ﴿٨٦﴾ قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨٧﴾ وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَىٰ ۖ وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴿٨٨﴾ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٩﴾ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا ﴿٩٠﴾ كَذَٰلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا ﴿٩١﴾﴾ ٣٥٣

تفسير قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٩٢﴾ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴿٩٣﴾ قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾ آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ ۖ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انفُخُوا ۖ حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴿٩٦﴾ فَمَا اسْطَاعُوا أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا ﴿٩٧﴾ قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن

رَبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا ﴿٩٨﴾ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي
الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا ﴿٩٩﴾ وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرْضًا ﴿١٠٠﴾ الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ
عَنْ ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا ﴿١٠١﴾ أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِنْ دُونِي أَوْلِيَاءَ
إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا ﴿١٠٢﴾﴾ ٣٦٣

تفسير قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ
يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ
لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا ﴿١٠٥﴾ ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا ﴿١٠٦﴾﴾ ٣٧٥

تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَالِدِينَ
فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴿١٠٨﴾ قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ
رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ
يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴿١١٠﴾﴾ ٣٧٨

سورة مريم ....

• مفردات الآيات (١-٥٠) من قوله تعالى: ﴿كهيعص ﴿١﴾ ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ
زَكَرِيَّا ﴿٢﴾﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴿٥٠﴾﴾ ٣٨٤

تفسير قوله تعالى: ﴿كهيعص ﴿١﴾ ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا ﴿٢﴾ إِذْ نَادَى رَبَّهُ
نِدَاءً خَفِيًّا ﴿٣﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ
رَبِّ شَقِيًّا ﴿٤﴾ وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ
وَلِيًّا ﴿٥﴾ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴿٦﴾ يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ
اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا ﴿٧﴾ قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ
امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا ﴿٨﴾ قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ
خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا ﴿٩﴾ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ
النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ﴿١٠﴾ فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً
وَعَشِيًّا ﴿١١﴾ يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا ﴿١٢﴾ وَحَنَانًا مِنْ لَدُنَّا وَزَكَاةً
وَكَانَ تَقِيًّا ﴿١٣﴾ وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا ﴿١٤﴾ وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ
وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ﴿١٥﴾﴾ ٣٨٧

تفسير قوله تعالى: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾
فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ

بِالرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا (١٨) قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا (١٩)
قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا (٢٠) قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ
هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا (٢١) فَحَمَلَتْهُ فَانتَبَذَتْ بِهِ
مَكَانًا قَصِيًّا (٢٢) فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ
نَسْيًا مَّنسِيًّا (٢٣) فَنَادَاهَا مِن تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا (٢٤) وَهُزِّي إِلَيْكِ
بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا (٢٥) فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا
فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيًّا (٢٦)﴾ ٤٠٥

تفسير قوله تعالى: ﴿فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا (٢٧) يَا أُخْتَ
هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا (٢٨) فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ
فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا (٢٩) قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا (٣٠) وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا
كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا (٣١) وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا
شَقِيًّا (٣٢) وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا (٣٣)﴾ ٤٢٤

تفسير قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ (٣٤) مَا كَانَ لِلَّهِ أَن
يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ (٣٥) وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ
هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ (٣٦) فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِن بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ
عَظِيمٍ (٣٧) أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا لَٰكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (٣٨) وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ
الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (٣٩) إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا
يُرْجَعُونَ (٤٠)﴾ ٤٣٠

تفسير قوله تعالى: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا (٤١) إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ
تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا (٤٢) يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ
يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا (٤٣) يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا
(٤٤) يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا (٤٥) قَالَ أَرَاغِبٌ
أَنتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا (٤٦) قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ
سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا (٤٧) وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو
رَبِّي عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا (٤٨) فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ
إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا (٤٩) وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا
(٥٠)﴾ ٤٣٧

● مفردات الآيات (٥١-٩٨) من قوله تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ مُوسَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ۝٥١﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًۢا ۝٩٨﴾ ٤٤٧

تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ مُوسَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ۝٥١ وَنَٰدَيْنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَٰهُ نَجِيًّا ۝٥٢ وَوَهَبْنَا لَهُۥ مِن رَّحْمَتِنَآ أَخَاهُ هَٰرُونَ نَبِيًّا ۝٥٣ وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ إِسْمَٰعِيلَ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ۝٥٤ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرْضِيًّا ۝٥٥ وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ إِدْرِيسَ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ۝٥٦ وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ۝٥٧ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّۦنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَٱجْتَبَيْنَآ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَبُكِيًّا ۝٥٨﴾ ٤٥١

تفسير قوله تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلشَّهَوَٰتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ۝٥٩ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْـًٔا ۝٦٠ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ عِبَادَهُۥ بِٱلْغَيْبِ إِنَّهُۥ كَانَ وَعْدُهُۥ مَأْتِيًّا ۝٦١ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَٰمًا وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ۝٦٢ تِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِى نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا ۝٦٣ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ۝٦٤ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ۝٦٥﴾ ٤٥٦

تفسير قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا ۝٦٦ أَوَلَا يَذْكُرُ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْـًٔا ۝٦٧ فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَٱلشَّيَٰطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ۝٦٨ ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى ٱلرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا ۝٦٩ ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِٱلَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا ۝٧٠ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ۝٧١ ثُمَّ نُنَجِّى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ۝٧٢ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا ۝٧٣ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَٰثًا وَرِءْيًا ۝٧٤﴾ ٤٦٧

تفسير قوله تعالى: ﴿قُلْ مَن كَانَ فِى ٱلضَّلَٰلَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ مَدًّا حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْا۟ مَا يُوعَدُونَ إِمَّا ٱلْعَذَابَ وَإِمَّا ٱلسَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُندًا ۝٧٥ وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ هُدًى وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا ۝٧٦ أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ۝٧٧ أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ۝٧٨ كَلَّا سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُۥ مِنَ ٱلْعَذَابِ مَدًّا ۝٧٩ وَنَرِثُهُۥ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا ۝٨٠ وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لِّيَكُونُوا۟ لَهُمْ عِزًّا ۝٨١ كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ۝٨٢﴾ ٤٨٠

تفسير قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴿٨٣﴾ فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا ﴿٨٤﴾ يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾ وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا ﴿٨٦﴾ لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِندَ الرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ﴿٨٧﴾ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾ وَمَا يَنبَغِي لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾ إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَّقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا ﴿٩٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَٰنُ وُدًّا ﴿٩٦﴾ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُّدًّا ﴿٩٧﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا ﴿٩٨﴾﴾ ٤٨٩